فكتور مارسدن



النص الكامل مترجم باللغة العربية



بـــرتـــوكـــولات
حكماء صهيون

PROTOCOLS
OF THE LEARNED ELDERS
OF ZION

كتاب : بروتوكولات حكماء صهيون

تأليف : فكتور ماسدون

رقم ايداع : ٢٠٠٣/١٠٠٢٩

الترقيم الدولى : ٩٧٧ـ ٥٨٣٢ـ٣٥ـ٧

الحرية
للنشر والتوزيع
١٩ شارع ٢٦ يوليو ـ وسط البلد ـ القاهرة
ت ٥٧٤٥٦٧٩ ـ م: ٠١٢٢٨٧٧٩٢١

حقيقة بروتوكولات حكماء صهيون

الموضوع هو معرفة ما إذا كان بوسع المرء أن يتحدث عن العنصرية اليهودية من غير أن يتهم بأنه عنصرى أو معاد للسامية.

ثمة صداقة تقليدية بين المسيحيين والمسلمين مستندة إلى القرآن:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾

(القرآن - سورة المائدة، الآية ٨٢).

فباسم هذه الصداقة أود تقديم دعمى للمكتبة الإسلامية التى أقام عليها اللوبى اليهودى «ليكرا» دعوى قضائية لبيعها «بروتوكلات حكماء صهيون».

لقد درست، فى الواقع، البروتوكولات، وكتبا أخرى تعالج الموضوع ذاته، وتوصلت إلى قناعة مفادها أن هذه البروتوكولات حقيقية، وأن الخطة السرية، لإيجاد حكومة يهودية عالمية ورد وصفها فى هذه البروتوكولات، خطة موجودة فعلا.

يجب أن نعلم، قبل كل شئ، أن «بروتوكولات حكماء صهيون» سبق أن كانت موضوع العديد من الدعاوى أمام المحاكم.

فى ٢٦ حزيران ١٩٣٣، تقدمت الرابطة الإسرائيلية - السويسرية بشكوى تطلب فيها أن تصنِّف كراسة «البروتوكولات الصهيونية» عملا أدبيا هدّاما وأن يحظّر نشرها.

بناء على طلب محامى المتهمين، عُيِّن المقدم المتقاعد أولريش فليشهور، مدير «الدائرة العالمية» فى مدينة ارفورت، خبيرا فى ٦ تشرين الثانى ١٩٣٤.

فى ١٥ كانون الثانى ١٩٣٥، قدَّم أولريش فليشهور تقرير أهل الخبرة(١)، وبرهن على أن اليهود وشهودهم لم يكن لديهم أية حجة دامغة على تزوير البرتوكولات، وأن الظروف كلها تشهد لصالح صحة هذه الوثائق وحقيقتها.

بعد صدور الحكم فى المحكمة الابتدائية، الذى أصدره القاضى مير فى ١٤ أيار ١٩٣٥، عرضت القضية فى ٢٧ تشرين الأول ١٩٣٧ على محكمة الجنح التابعة لمحكمة الاستئناف فى مدينة برن. وصدر الحكم فى الأول من ٦تشرين الثانى ١٩٣٧. وذلك بإلغاء حكم المحكمة

---

(١) «تقرير أهل الخبرة لقضية برن»، أولريش فلي شهور، مطبوعات يو. بودونغ، ارفورت، المانيا، ١٩٣٥، ٤١٦ صفحة.

الابتدائية وتبرئة المُتَّهَمَيْن. ولم يكن بوسع الكراسة أن توصف بأنها كتابة هدّامة، لأنها لم تكن لها أية سمة لا أخلاقية، ولم تكن تحرض إطلاقا على الجريمة. وبوصفها كتابة سياسية، فيجب أن تتمتع بحرية الصحافة.

لقد اعترف بعض اليهود، من ناحية ثانية، بصحة البروتوكولات وحقيقتها، ولا سيما الكاتب النمسوى آرثور ترييتش، فى مؤلفه الأساسى «الروح الألمانية واليهودية» (فيينا - ١٩٢١)، الذى أعلن فيه ما يلى: «لا يمكن أن يراود المرء أدنى شك فى صحة كتاب «حكماء صهيون». ومن عرف مثلى، أن يستشعر الأفكار المطروحة فى هذه الوثائق السرية، المتعلقة بما فى حياتنا كلها الاقتصادية والسياسية والروحية من غايات ونيات، يمكنه أن يؤكد بثقة أنها تعنى جيدا تصريحات حقيقية. تحمل أثر الروح المطاطة لدى اليهود الذين يتطلعون إلى فرض هيمنتهم على العالم. إنها صحيحة وحقيقية لدرجة أنه قد لا يمكن أبدا لأى عقل آرى أن يدرك، بحال من الأحوال، أساليب الصراع هذه، وهذه المخططات، وهذه المكائد، وهذا التضليل». (الصفحة ٧٤).

على جميع من يعرفون كيف يفكرون، قراءة هذا الكتاب ودراسته ونشره ما وسعهم ذلك... لأننا فى الوقت الحاضر، نمسك بين أيدينا ما لا يمكن أن ينتزعه منا أى مكر أو تكذيب أو أى كذب غبى أو أى شخص وقح سفيه: إنها الخطة المرسومة بوضوح، والمعدَّة منذ قرون بالروح نفسها، إنها الخطة الرامية إلى القضاء على كل حياة حرة لدى الشعوب، وذلك بهدف فرض الهيمنة الصهيونية العالمية، فوق خرائب أنظمة دول الشعوب والعروق الأخرى كافة!». (الصفحة ٢٨٦).

نجد اعترافا مماثلا جاء على لسان يهودى آخر هو ماركوس إيلى رافاج إذ يقول:

«أنتم (أيها المسيحيون) لم تدركوا بعد عمق إجرامنا كله. فنحن دخلاء ونحن هدامون ونحن متمردون. لقد استولينا على عالمكم ومثالياتكم ومصيركم... لقد دسناها جميعا تحت أقدامنا . لقد كنا السبب الأول[1] ، ليس للحرب العالمية الثانية فحسب، بل لجميع حروبكم (تقريبا)، وليس للثورة الروسية فحسب، بل لجميع الثورات العظمى فى تاريخكم. لقد أدخلنا الفتنة والفوضى إلى حياتكم الخاصة والعامة. ولا نزال نقوم بهذا إلى اليوم. ولا يمكن لأحد أن يقول لنا كم من الزمن سنستمر فى التصرف على هذه الشاكلة».

(يهود وكاثوليك، الصفحة ٦٠، غراسيّه، ١٩٢٩). رواية يان مونكومبل، «المسؤولون الحقيقيون عن الحرب العالمية الثانية»، ١٩٨٢، الصفحة ٢٧٤.

---

(١) الاعتراف ذاته فى البرتوكولات: «لقد سبق لنا عدة مرات، أن أرغمنا حكومات الغوييم على شن الحرب، بوساطة الرأى العام المزعوم». (الاجتماع الرابع).

فى مجلة «عالم يودى» تاريخ ٩ شباط ١٨٨٣، يجد المرء هذا الاعتراف الآخر:

«إن المثل الأعلى العظيم لليهودية هو أن تخترق التعاليم اليهودية العالم قاطبة ، وأن تزول جمع العروق والديانات المتفرقة فى إخوة شاملة للأمم - وهى يهودية أكثر اتساعا-» (رواية بيير فيريون، «النظام الجديد للعالم» الصفحة ١٠٥٥، مطبوعات تكنى، ١٩٧٤).

«إن اليهود ... ماضون فى طريقهم للقيام تدريجيا بصهر الأفكار والأنظمة غير اليهودية ضمن قوالب يهودية.» (عالم يهودى، ٩ شباط، ١٨٨٣).

ظهر مقال فى ٢٠ أيلول ١٩٥٧ فى «بناى بريث ميسنجر» الصادرة فى لوس أنجلوس، يبرز عقلية مشابهة تماما لعقلية مؤلف البرتوكولات (كاتب المقال شيوما ببوف لندن)، يقول المقال: «اقنعتنى سنوات من دراسة الكتابات الصوفية الباطنية للقبلانية(١) والتلمود والمدراش(٢) بأن خلاص البشر المنتظر منذ وقت طويل من قبل إسرائيل سيبدأ فى العام ١٩٦٨، وبعد عشر سنوات من الصراع، والحروب التى لم ير العالم بعد مثلها أبدا. إن هذه المرحلة من العصر المسيحى معروفة من قبل من يعرفون باطن التوراة بزمن درب المسيح أو آلام المسيح المنذرة.

«إنى أستند فى ما استخلصته على الحسابات الرياضية للرسل القدامى والقبلانيين، ولا سيما على أبحاث الشهير دوم إسحاق ابربانل (أو ابرافانل، ١٤٣٧ - ١٥٠٨)، الذى كرس ثلاثة من كتبه الثلاثة عشر للمسألة المتعلقة بخلاص إسرائيل...

«يشير سفر الإشراق بوضوح إلى العام ٥٧٢٨ من التقويم العبرى، أى العام الميلادى ١٩٦٧ - ١٩٦٨ كفترة للبداية الحقيقية للخلاص النهائى لإسرائيل. غير أننا سنرى بادئ ذى بدء اثنى عشر عاما من الاضطرابات الضخمة فى العالم قاطبة. وستنهار الأنظمة السياسية والاقتصادية الحالية. وروسيا، قوة الشر هذه، وهى ماجوج الذى ورد ذكره فى نبوة حزقيال، الاصحاح ٣٨ - ٣٩، ستبرز لبعض الوقت كالقوة العسكرية القاهرة، التى ستنتشر على الأرض وتستعبد الشعوب التى تحب التوراة.

«سيمهد هذا كله الطريق أمام المسيح الحقيقى ابن داود، الذى سينفذ كموسى، إرادة الخالق.

«بعد هزيمة أعدائه فى إسرائيل، سترضى شعوب الأرض كافة بهذا الزعيم اليهودى، كما ستقبل أيضا الدين الموسوى...

اختصارا لحسابات المسيح إذا الواردة فى سفر الإشراق، فإن «النهاية» ستحل فى العام ٢٧٢ قبل نهاية الألف السادس، أى فى العام ٥٧٢٨ (عبرى) أو ١٩٦٧ - ١٩٦٨ ميلادى، قبل

(١) القبلانية: تفسير اليهود للتوراة على نحو صوفى ورمزى حسب تقاليد الأقدمين (المترجم).

(٢) المدارش: التفسير اليهودى التقليدى للتوراة (المترجم).

الساعة، ١١.٣٠ مساء بنحو دقيقتين. وبهذا يكون ليل النفى الطويل قد دام ١٩٠٠ سنة تماما، لأن المعبد الثانى دُمِّر فى العام ٣٨٢٨».

(ترجم هذا وأعيد نشره من قبل «الوحدة الوطنية» فى كانون الأول ١٩٥٧، مونتريال)(١).

الجدير بالملاحظة أن كاتب هذا المقال يتوقع أن روسيا، المماثلة تماما للملك مأجوج، الإصحاح ٣٨و ٣٩ من نبوة حزقيال «سوف تستعبد الشعوب التى تحب التوراة» فى حين أن يهوه يعلن للنبى حزقيال (متحدثا عن مأجوج):

«بعد سنين طويلة، سيأتى نحو البلاد التى نجا أهلها من القتل واجتمعوا، بين حشد من الشعوب، على جبال إسرائيل المدمَّرة منذ زمن بعيد. وسكنوا جميعا فى أمان، منذ أن انفصلوا عن الشعوب الأخرى.» (الاصحاح ٣٨، ٨).

«فى ذلك اليوم، سينطلق مأجوج، عندها شعبى إسرائيل سيسكن فى أنا.» (الإصحاح، ٣٨، ١٤).

«سيهب مأجوج ضد إسرائيل شعبى.» (الإصحاح ١٨، ١٦).

سنعثر فى منشورات «إسرائيل البريطانية» ، على هذه الفكرة المتعلقة بتدمير الأقوام الكاثوليكية من قبل الاتحاد السوفييتى.

أما برنار لازار فيقول فى كتابه «مناهضة السامية» ما يلى: «من غير القانون، ومن غير إسرائيل لممارسته، قد لا يكون العالم، وقد يدخله الله فى العدم، ولن يعرف العالم السعادة إلا عندما يخضع للإمبراطورية الشاملة لهذا القانون». (الصفحة ٣٠٧).

فى العام ١٩٢٦، كان جان إيزوليه، وهو برفوسور ماسونى فى كوليج دو فرانس، قد ألف كتابا عنوانه: «باريس، عاصمة الديانات» أو «المهمة الاجتماعية لإسرائيل»، طبعة آلبان ميشيل. (كان جان إيزوليه أستاذا للفلسفة الاجتماعية). وهاكم المحاور الأساسية فى هذا الكتاب: «فكرة توحيد الأرض بالتدريج، فكرة ماضية فى طريقها.» (الصفحة ٨٤).

«الدين جوهر السياسة بعينه، أو إن أردنا العنصر الثانى فيها، أو الثالث أو الرابع أو الخامس. ومن غير الحكومة الدينية والروحية، لن يمكن إيجاد حكومة سياسية واجتماعية. وإن لم يكن هناك امتثال داخلى للقانون «الشرعى». (الصفحتان ١١٨ - ١١٩). (اسمحوا لى ونحن ماضون أن ألفت الأنظار إلى ما قد يثيره أستاذ فى الكوليج دو فرانس من صيحات وصراخ، إذا ما وجّه هذا الاقتراح إلى الكاثوليك بعدم إمكان قيام حكومة سياسية من غير حكومة دينية وروحية!).

ويتابع إيزوليه قائلا: «هناك ديانة أخيرة أو ديانة أولى. وليس لهذه الديانة أى منطقة أو

---

(١) رواية بيير فيريون (حكومة عالمية قريبا؟) الصفحتان ٢٣٧ - ٢٣٨، طبعة تيكوى، ١٩٦٨.

اقليم، وهى حاضرة فى كل مكان. إنها ديانة دولية ومشتركة بين القارات، وباختصار ، إنها ديانة شاملة. إنها موسوية إسرائيل.» (الصفحة ٥٠).

«إذا كانت إسرائيل تطمح إلى إنشاء إمبرطورية للعالم، فهذا من حقها تماما.» (الصفحة ٧٣).

«العلمانية والدولية هما وجها اليهودية». (الصفحة ٥٦). أى أنهما الوسيلتان لانتزاع هوية الأمم بغية تهويدها؛

يعلن الكاتب بعد ذلك: «يجب التمكن من دنيوة(١) كنائسنا فى الغرب أو الشرق على نحو سليم ومقدس. ومن هنا ينشأ توليف الديانات، فى الديانة العالمية، التى سترسى أسس الوحدة الروحانية، وبالتالى الوحدة السياسية للجنس البشرى. وإن العرق الذى يتمكن من اختراق الصفوف أكثر نحو الأمام، من خلال سرية قوانين الخلق، ويتغلغل حتى قلب الكون، فله ولديانته، ستؤول السيطرة الروحية (والعالمية) على البشرية..» (الصفحة ١٨٤).

يرينا إيزوليه، أخيرا، أن إقامة نظام عالمى جديد تحت قيادة إسرائيل تسير فى طريق وحيد الاتجاه ولا يمكن عكسها. وقد كتب أنه لقطع خط الرجعة يجب الإبادة أو الإبعاد أو الطرد أو التكييف. (الصفحتان ٢٤٠ - ٢٤١).

ويخلص قائلا: «إنهم ليسوا بالتحديد من الحالمين العاطفيين، إنهم شرسون كالمغامرين الإسبان، ولم يعد الأمر مجرد غزو أمريكا، بل غزو الكرة الأرضية برمتها.» (الصفحة ٢٥٥).

يمكن القول، طبعا، أن هذا الكتاب من صنيع شخص مجنون، واهم، ولكن هذا الأمر أصبح خطيرا، وذلك أن آلة الحرب هذه قد حصلت على موافقة سيلفان ليفى، رئيس «التحالف الإسرائيلى العالمى» بموجب رسالة أعيد نشرها فى بداية الكتاب.

يكتب س. ليفى بخاصة: أن المسائل المطروحة فى هذا المؤلف «هى أصل اهتماماتى الحيوية».

لنتأمل بادئ ذى بدء خطة السيطرة العالمية المعروضة فى البروتوكولات، وبعد ذلك نقارن بين مختلف الكتب التى تعالج هذا الموضوع، ونرصد، أخيرا، الحدث السياسى، لنرى ما إذا كنا سنجد تطبيقا لهذه الخطة.

١ - خطة السيطرة اليهودية العالمية المعروضة فى البروتوكلات

بوسع المرء بادئ ذى بدء إبداء ملاحظة بشأن الشكل: إذا كانت البروتوكولات باطلة وغير صحيحة، فبدلا من اعتماد المحاضر الرسمية لعرض الاجتماعات، وهذا شكل صعب وغير موافق، إذ يكثر فيه التكرار ، ولا يحتوى أية خطة محددة تماما، كان بوسع الكاتب اختيار طريقة كتابة تقرير عن هذه الاجتماعات(٢).

---

(١) جعل الشئ الكنسى دنيويا (المترجم).

(٢) هناك من ناحية ثانية جملة تنم عن هذا: «أمامنا خطة». (الاجتماع الأول).

الواقع، أن الأمر لم يكن على هذه الشاكلة. فما هو أمامنا ليس خطة، بل طروحات صيغت من أجل خطة ، وكانت صياغتها سطحية بدرجة كافية.

ويبدو أن المقصود مذكرة قدمت إلى المؤتمر الصهيونى المنعقد فى بال فى العام ١٨٩٧.

لما كان الصهاينة يعدّون العدة لإحياء دولة إسرائيل، فربما كان المقصود من طرح هذه البروتوكولات، دعوة الصهاينة إلى أن لا تغيب عن أنظارهم خطة أكثر اتساعا وأكثر صعوبة: وهى خطة السيطرة اليهودية العالمية.

هذا كما يبدو لى، التفسير الوحيد المقبول لوجود هذا النص الردئ جدا، سواء من ناحية الشكل أم المضمون.

ويمكن اختصاره بعبارة موسيس هس، الرجل الذى اعتنق اشتراكية كارل ماركس وانجلز، وكان مؤسس الحزب الاشتراكى - الديمقراطى الألمانى، والذى له قبر فى إسرائيل. وإليكم هذه الجملة: «إن الصراعات العرقية لها الأولوية، وصراع الطبقات لا يأتى إلا فى الرتبة الثانية.» موسيس هس، روما والقدس»، المكتبة الفلسفية، نيوريوك)

لم يكن موسيس هس يخفى ، من ناحية ثانية، أن هدفه كان «تسديد الطعنة القاضية للدّين فى القرون الوسطى.» (القس ويتشارد وورمبران، «كارل ماركس وإبليس»، الصفحة ٧٠، رسالة المطبوعات، ١٩٧٦).

هذه الخطة، من ناحية ثانية، ذات سذاجة نموذجية: إذ تتوقع البروتوكولات، أن الأمم المسحوقة بين تجاوزات الليبرالية والجماعية، والناسية للمذهب الاجتماعى للكنيسة، الذى ينادى بالتعاون والوفاق بين أرباب العمل والعمال، (الانسجام الاجتماعى الذى نجمت عنه، من ناحية ثانية «المعجزة الألمانية» منذ نحو ٣٠ عاما)، هذه الشعوب التعيسة سترتمى إذا فى أحضان حكومة يهودية عالمية كما تستسلم لمنقذها؛ يجب على المرء أن يكون يهوديا طبعا ليتخيل مثل هذا الضلال والمروق، حيث يدافع عندئذ عن مصالح اليهود كالماسونى إيزوليه؛ فى حين أن العالم يرى اليهود وهم يدمرون الشعوب الأخرى، بإبادتها إبادة جماعية، ولا سيما الإبادة المخادعة، التى تأخذ أشكال الإجهاض ومنع الحمل والتعقيم كما سنرى فى الجزء الثالث، المخصص لبحث تحقيق خطة السلطة اليهودية الخفية حاليا.

١ - إليكم بعض المقتطفات من البروتوكولات المتعلقة بالتخطيط لاستسلام الأمم لليهود:

«إن حرية العمل، التى أرسخناها فى أذهان الغوييم(١)، توهن القوى عندما تصطدم بحرية الآخرين، وينجم عن هذا إخفاق وخيبة أمل وهزات أخلاقية.

«سيفيدنا هذا كله، فى النهاية ، فى إرهاق الغوييم لدرجة نرغمها فيها على أن تقدم لنا السيادة الدولية.» (الاجتماع العاشر).

(١) اسم يطلقه اليهود على الشعوب غير اليهودية ولا سيما المسيحيين (المترجم).

«الشعوب اليائسة بسبب الفوضى والإفلاس الأخلاقى لدى حكوماتها مهما كانت، ستصرخ: «اعزلوهم جميعا، وامنحونا زعيما واحدا، يصبح ملكا على الكون، ويكون من دم صهيون ، يعرف كيف يوحّدنا ويزيل أسباب فوضانا.» (الاجتماع العاشر).

يجب تعكير صفو العلاقات بين الشعوب بلا انقطاع، وبين الشعوب وسلطاتها الحكومية. (وهذا ما يفعله حاليا فى فرنسا اللوبى اليهودى مراب،، واللوانى ليكرا، واللوبى العنصرى سوس، التى تسعى إلى إثارة المهاجرين ضد الفرنسيين، بغية التوصل إلى ركام من الدسائس لتحقيق انقلابهم. وهذه اللوبيات، من ناحية ثانية، لم تتطرّق أبدا إلى الحديث عن الوضع الحزين للشعب الفلسطينى فى إسرائيل، ومصير الفلسطينيين الذى يرثى له فى لبنان، حيث انتهى بهم المطاف إلى الموت جوعا محاصرين بالميليشيات). وهكذا سينهك العالم من جراء الخلافات والعداوات المتبادلة، والصراعات والمنافسات، وحتى الموت من أجل قضية، ومن جراء إبادة الشعرب المعروفة بحملها وتصبرها (كالروس والهنود وغيرهم)، والمجاعة والتلقيح بالأمراض الوبائية، التى لم يعرف البلسم المضاد لها إلا علماؤنا، ومن جراء المآسى، بهدف سد المنافذ جميعا أمام الشعوب غير اليهودية ، فتستسلم لهيمنتنا المالية، وهيمنة احتكاراتنا، ويجب ألا ندع لها فرصة، وإلا فإن نتيجة عملنا السابق قد تجعلنا نرتقب ما لا نشتهى.» (الاجتماع التاسع).

«سيضع ملك سلالة داود على رأسه التاج الذى تقدمه له أوربا.» (الاجتماع الرابع عشر).

«ستصبح الشعوب منهكة للغاية من جراء تبدلات النظام، التى ندفع إليها الشعوب غير اليهودية، لتقوم بتفويض جهازها الحكومى، لدرجة أنها ستفضل قبول كل ما سنفرضه عليها وهذا خير لها من المخاطرة والوقوع ثانية فى الآلام والشقاء، ولا سيما أننا سنركز فى انتقاداتنا السياسية، على أخطاء حكومات الغوييم، التى عذبت البشرية خلال قرون..» (الاجتماع السابع عشر).

«وسنمضى بهذه الشعوب من خيبة أمل إلى أخرى، لكى تتخلى أخيرا عن كل شئ، لصالح الملك الطاغية المستبد الذى نعدّه للعالم.» (الاجتماع السابع عشر).

غير أنه من المسلّم به أعلاه، أن «مؤسسات الغوييم كانت تعمل قديما ضمن نظام قاس متشدد ولكنه عادل، وهو الذى استبدلناه بفوضى ليبرالية غبية ومستبدة.» (الاجتماع الثالث).

لا يبدو على واضعى هذه الخطة أنهم فكروا فى أن الأمم إذا عادت إلى الملكية، فستفضل، لا شك، أن تختار ملكا عليها أحد المنحدرين من إحدى سلالتها القديمة، التى حكمت بلادها، خيرا من أحد اليهود، وستفضل أيضا العودة إلى المسيحية، وهى ترى ما أوصلتها إليه الأخطاء الليبرالية والاشتراكية، وكذلك العلمانية؛

يدون الكاتب بسذاجته، فى الواقع ، ما يلى:

«لم يبق إلا بضع سنوات تفصلنا عن تقويض الدين المسيحى، أكثر خصومنا رهبة بسبب نظرياته المتعلقة بما وراء الطبيعة والحياة المستقبلية.» (الاجتماع السابع).

«لقد سبق أن تعهدنا أن نُفقد رجال الدين سمعتهم ومكانتهم لدى الغوييم، وأن ندك بهذا رسالتهم التى ربما شكلت عقبة فى طريقنا. ونفوذ القساوسة على الشعوب ماض فى التناقص دائما.» (الاجتماع السابع).

«لم نعد إلا على بضع خطوات من هدفنا، وهذا رسم لجميع الطرق التى سرناها، ورسم للمسافة القصيرة التى بقى علينا أن نجتازها لكى تكتمل دائرة الثعبان الرمزى، رمز شعبنا. وعندما ستغلق هذه الدائرة نهائيا، فإن دول أوروبا كلها ستجد نفسها محاصرة بما يشبه المخالب القوية.» (الاجتماع السابع عشر).

«قليل من الوقت أيضا، والفوضى والخراب سيزعزعان جميع المؤسسات القائمة.» (الاجتماع الثانى عشر).

ولكن مهما بلغت هذه الخطة من فظاظة ، فمن الثابت أنها تتحق وأن:

٢ - الأمم تتخبط بين الأفخاخ المتعارضة لليبرالية والماركسية، اللتين أطلقهما اليهود كلتيهما: فأما الماركسية، فلا حاجة إلى التذكير بأسماء موسيس هس، وكارل ماركس، وانجلز، وفوير باخ. وأما ما يتعلق بالليبرالية فقد أخذت أكثر أشكالها دقة من قبل دافيد ريكاردو، وهو يهودى برتغالى ، أطلق اسمه على قانون اقتصادى مزعوم، وبموجب هذا القانون ، وعندما تنسف الهيئات التى تحمى العمال، يمكن للمقاول أن يحصل من العامل على أقصى قدر ممكن من العمل مقابل أقل أجر، متيحا تماما للأجير قدرته على العمل؛

نعثر فى البروتوكولات على العقلية ذاتها:

«سنقدم أنفسنا كمحررين للعمال، بأن نعرض عليهم الانضمام إلى صفوف حشودنا من الاشتراكيين، والفوضويين المتمردين على السلطة والشيوعيين، الذين نساندهم دوما باسم مبدئنا المزعوم فى التضامن الأخوى. والأرستقراطية التى كانت تستفيد، رأسا، من عمل العامل، كانت لها مصلحة فى استخدام العامل المغذّى جيدا والمتمتع بصحة جيدة، والقوى النشيط.

«بينما نحن، على العكس، لنا مصلحة تامة فى رؤية عاملنا جائعا ضعيفا، لأن الحرمان يخضعه لإرادتنا، ولأنه فى ضعفه، لن يجد قوة ولا طاقة لمقاومتنا.».

(إن المجاعة تمنح رأس المال حقوقا أكثر قدرة تجاه العامل، لم تمنحها أبدا سلطة السيد للأرستقراطية. ومن خلال البؤس وما يثيره من أحقاد حسودة، ندس بدهاء ونحرك طبقات العمال ونستخدم أيديهم لسحق من يضايقونا» (الاجتماع السابع والعشرون)(١).

«لقد كبلنا الشعوب ذات الأشغال العنيفة ببؤس أشد مما كانت تعانيه قديما بسبب الرق والعبودية اللذين أمكنها تجاوزهما، بينما لم تتمكن من التحرر من البؤس.» (الاجتماع السابع والعشرون).

«نحن نهدم بمهارة وعمق موارد الإنتاج ذاتها، وذلك بتعويد العمال على عادة تعاطى المشروبات الروحية» (الاجتماع السادس والعشرون).

لما كان هذان الوحشان المتنافسان، الليبرالية والماركسية، من ابتكار اليهود، فيمكن لواضع البروتوكولات أن يؤكد:

«كان علم الاقتصاد السياسى من ابتكار حكمائنا» (الصفحة ٧١، الاجتماع العاشر)

لم يعد العمال، بالطبع ، فى وضع مرهق بعد ليبرالية القرن التاسع عشر، ولهذا كد اللوبى الصهيونى لتكوين بروليتاريا أخرى، من خلال العمال المهاجرين، بغية وضع طبقة من العمال تحت يدنا؛

وفى الواقع ، «أن تنهك الدولة من جراء اضطراباتها الداخلية أو أن تدفع بها الحروب الأهلية إلى تسلط الأعداء الخارجين، فإنها فى هذه الحالة أو تلك، تُعَدّ ضائعة نهائيا، وتحت سيطرتنا» (الاجتماع الأول).

لنر بادئ ذى بدء قيام الليبرالية:

«شعارنا الذى نادينا به: «حرية، مساواة إخوة»، قاد إلى صفوفنا من أربعة أركان الأرض، بفضل عملائنا العميان، أفواجا كاملة تحمل راياتنا بحماسة. ومع ذلك فإن هذه الكلمات كانت كالديدان القارضة التى تلتهم ازدهار الغوييم، مخربة السلام والسكينة والتضامن فى الامتثال للقوانين، مقوضة جميع أسس دول هؤلاء الغوييم. وهذا بالضبط ما يساهم فى تحقيق النجاح الباهر لنهجنا في الاستيلاء، سلميا، على العالم. وعندها نستطيع التمكن من إلغاء المزايا والامتيازات، وهى أصل الأرستقراطية ذاته لدى الغوييم، هذه الأرستقراطية التى كانت للشعوب والأوطان السور الطبيعى الذى يقف فى وجه تحركاتنا» (الاجتماع الأول).

«أتاح المفهوم المطلق للحرية إقناع الجماهير الشعبية بأن حكومتها ليست سوى وكيل

---

(١) هناك مقطع مماثل يقول: «عندما يصبح من الضرورى لنا اللجوء إلى القيام بقلب نظام الحكم نهائيا، فإن الطبقات الدنيا من الغويين ستسير ضد منافسينا على السلطة: الذين هم مثقفو الغوييم.» . (الصفحة ٦١، الاجتماع السادس).

لمالك البلد، الذى هو الشعب، وبأنه يمكن تغيير هذا الوكيل كما تغير القفازات البالية. وخيارات الشعوب هى التى وضعت بين أيدينا إمكانات العزل هذه عمليا» (الاجتماع الأول).

«نحن كالقائد العام، نصول ونجول على رأس جميع حشودنا من المتحررين» (الاجتماع الثالث).

«ولقد نمينا الأنانية والجشع لدى العملاء المكلّفين إعادة نشر النظام، بتقدمنا للغوييم طُعم الليبرالية وطُعم الإخلال بالواجب.» (الاجتماع السابع).

«عندما أفسدنا الجهاز الحكومى بالليبرالية، هذا لاسم القاتل، تغير مجموع الحياة السياسية للدول كافة» (الاجتماع الحادى عشر).

لم يعد للّيبرالية، فى الواقع ، من مثل أعلى تقدمه، ولا قيم تحتفظ بها، لم يبق لها سوى شعار واحد، كما يقول غيزو: اغتنوا، الأمر الذى أسفر عن شبيبة خاب أملها وخاب ظنها، ومن غير مثل أعلى. وفى الدولة ذاتها، يلاحظ أن القضايا الاقتصادية هى التى تشغل المسرح السياسى كله. (ليس هناك سوى اللجوء إلى المشادات إبان الانتخابات البرلمانية الأخيرة، فى فرنسا).

لقد أقنعنا الغوييم بأن الليبرالية ستقودهم إلى سلطان العقل.» (الاجتماع السابع والعشرون).

«بقدر ما نرسخ فى أذهان الغوييم أفكار الليبرالية، يتراءى للشعوب ، أن السلطة تقدم، باسم الحرية، امتيازات وتمنح اتفاقات. وتستنتج الغوييم أنها تشكل قوة، يمكن الاعتماد عليها، وظنا منها أن حقوقها تساوى حقوق قادتها، فإنها تنقض على السلطة؛ غير أنها مثل سائر العميان، ستصطدم آنئذ بعقبات لا تعد ولا تحصى.. ولدى وقوعها بين أيدينا ستضع مصيرها عند أقدام عملائنا.» (الاجتماع السابع عشر).

«نحن الذين زرعنا الشقاق بين الأحزاب، لأنه لتوجيه الصراع بين الأحزاب يلزم شئ من المال، ونحن الذين نملك المال كله» (الاجتماع الثالث).

«ربما بوسعنا أن نخشى قيام تحالف للقوة، يتمتع ببعد نظر متفاوت، بين حكومات الغوييم والقوة العمياء للشعب، غير أننا. أقمنا بين هاتين القوتين جدارا صلبا من عدم الثقة المتبادل» (الاجتماع الثالث)(١).

---

(١) سيختل قريبا ميزان الدساتير الحديثة، لأننا أثناء صياغتها حرفنا آليتها، بشكل تختل فيه كفّتا هذا الميزان باستمرار فيميل إلى هذا الطرف أو ذاك... وفى نظر الشعب، يأفل نجم الملوك خلف ممثليهم... ولما كان لدى الملوك شعور بالخوف من الشعب، فإنهم لا يستطيعون التغلغل بين صفوفه للتفاهم معه، كما كان فى الماضى، للاعتماد عليه فى حمايتهم من مغتصبى السلطة. إن سلطة الملوك البعيدة النظر وسلطة الشعب العمياء، إذا ما قمنا بتفريقهما عن بعضهما بعضا، فقدتا كل أهمية وأصبحتا بذلك عاجزتين ومعزولتين كالأعمى الذى فقد عصاه» (الصفحة ١٣٩، الاجتماع السابع والعشرون).

«لقد أحدثنا الاضطراب والخلافات والعداء والحقد» (الصفحة ٥٦، الاجتماع الرابع).

«قد تكون الحرية مسالمة وراسخة، إذا ما قامت على مبادئ الإيمان بالله، والاخوة الإنسانية... والشعب المحكوم بمثل هذا الإيمان، قد يسير بسلام وتواضع تحت وصاية الكنائس الخورنية، الخاضعة للقواعد الإلهية.. لهذا علينا أن نقوض دعائم الإيمان، وننتزع من نفس الغوييم كل فكرة عن الله والروح واستبدالها بقوانين رياضية، وبالشهوات والمكاسب المادية». (الاجتماع السادس).

«بدعوة الغوييم إلى الليبرالية، فنحن نبقى شعبنا فى طاعة شديدة، لأنه حيثما توجد الطاعة، يوجد النظام، وحيثما يوجد النظام ، يوجد السلام والرفاه.» (الاجتماع الخامس عشر).

«سيناقش فلاسفتنا وينتقدون جميع الثغرات فى معتقدات الغوييم، لكن الغوييم لن يتمكنوا من القيام بالمثل تجاه ديانتنا، لأنه لا أحد يعرف أسرارها، ما عدا العالمين منا بالتلمود وحاخاماتنا، وأولئك لن يخونوا أبدا، لأن فيهم تكمن جميع قوة سلطاتنا على رعيتنا» (الاجتماع السابع عشر).

«إذا ما رفعت بعض الحكومات صوتها ضدنا، فهذا ليس سوى أمر شكلى محض لتحريضنا، لأن نزعتهم المعادية للسامية، ضرورية لنا للسيطرة على إخوتنا الأدنى منا» (الاجتماع الثالث).

إزاء هذا، يرى المرء أن هذه الخطة لا تهدف إلى استعباد الأمم كافة فحسب، بل إن اليهود سبق أن كانوا أيضا عبيدا لحاخاماتهم العارفين بالتلمود!

«بعض الطوباويين.. ما زالوا يقدمون النفع لنا، لأنهم يوجهون النفوس نحو نظريات خيالية، ويحولونها عن الواقع، ولقد نجحنا فى إفقاد الرؤوس صوابها جميعا، من خلال فكرة التقدم.. ولا توجد سوى حقيقة واحدة، وهى كحقيقة، لا يمكنها أن تتقدم.. ويستخدم التقدم فى حجب الحقيقة، لكى لا يتمكن أحد من معرفتها، ما عدانا... نحن حراس الحقيقة بشأن سر العلاقات البشرية وخيرها ومنفعتها، هذه الحقيقة التى تحتفظ بها وراء الحجب حتى لحظة انتصارنا النهائى» (الاجتماع الثامن عشر).

ربما كان سيدنا عيسى ـ المسيح قد أعلم بهذا الخصوص ما يلى:

«الويل لكم، يا علماء الشريعة! استوليتم على مفتاح المعرفة، فلا أنتم دخلتم ، ولا تركتم الداخلين يدخلون!» (إنجيل القديس لوقا، الاصحاح ١١، ٥٢).

«تتضاءل هيبة السلطة عندما تعرض المؤامرات التى تحاك ضدها أمام أعين العامة. وإن كشف المكائد المتكرر قد يحمل على الاعتقاد بأن السلطة ترتكب الأخطاء، أو أنها ضعيفة،

ويمكن لهذا كله أن يثير السخط والاستياء.. وقد حططنا من هيبة ملوك الغوييم بمؤامرات متكررة تستهدف حياتهم حاكها عملاؤنا، وهم خرفان عمياء، كان من السهل دفعهم، من خلال بعض الجمل الليبرالية الرنانة، لارتكاب هذه الجرائم السياسية» (الصفحة ١١١، الاجتماع العشرون).

«لقد حاولنا نشر فكرة ضرورة فرض العقوبات الرادعة غير العادية بحق العصاة والمتمردين، وفى الوقت نفسه، أشدنا بشهادة مزعومة لشهيد الخلاص العام، ومثل هذه الإشادة ضاعفت عدد هؤلاء الليبراليين - الشهداء، شهداء الحق، الذى هو الحقيقة المزعومة، وقد جر هذا وراءه آلاف الخراف من الغوييم إلى صفوف أرقائنا الطائعين» (الاجتماع العشرون).

لنر الآن الفك الآخر من الكماشة: الشيوعية + الاشتراكية:

«لقد أعدنا إلى الغوييم موضوعها المفضل، وهو الحلم باستبدال النزعة الفردية البشرية بالوحدة الرمزية الجماعية» (الاجتماع الخامس عشر).

«عندما سنحكم، فإن الحق الذى يمكن لكل شخص أن يشتريه أو يبيعه لن يمنح للغويم. وللتمكن من هذا، فإن أفضل وسيلة هى تجريد الأرستقراطية من ملكية أراضيها: ويمكن بعد ذلك فعل الشئ ذاته تجاه الفلاحين. والطريقة الأكثر فعالية... هى رفع الضرائب والرسوم العقارية، وبتعبير آخر، إخضاع الأرض للديون» (الاجتماع السادس والعشرون).

يذكرنا هذا بمقطع من سفر الرؤيا:

«وأن يجعل جميع الناس، صغارا وكبارا، أغنياء أو فقراء، أحرارا أو عبيدا ، على أن يضعوا سمة على يدهم اليمنى أو جبهتهم، فلا يقدر أحد أن يشترى أو يبيع إلا إذا كان عليه سمة باسم الوحش أو بعدد اسمه.

«وهنا لابد من الحكمة: من كان ذكيا فليحسب عدد اسم الوحش. هو عدد اسم إنسان، وعدده ستمئة وستة وستون» (سفر الرؤيا، الاصحاح ١٣، ١٦ - ١٨).

يروى تيودور هرتزل أنه خلال رحلته الأولى إلى إنكلترا فى العام ١٨٩٥، التقى مع ضابط يهودى، يدعى غولد سميد، الذى قال له إن أفضل وسيلة لنزع ملكية الأرستقراطية الإنجليزية والحد من تأثيرها فى الشعب، كان إثقال كاهل الأرض بضرائب باهظة. وقد وافق هرتزل على هذه الفكرة. («بروتوكولات كبير زعماء صهيون»، لمؤلفه مارسدن، الصفة ٦، «التاريخ اليهودى» ، ١٤ تموز ١٩٢٢).

أوصلت انتخابات العام ١٩٠٦ الليبراليين إلى السلطة، وبعد فترة قصيرة أقرت ضريبة عقارية باهظة، لدرجة أن الكثيرين من النبلاء لم يعد أمامهم سوى بيع أملاكهم أو الزواج من يهوديات ثريات.

«ولكى لا ترى الغوييم خفايا الأمور قبل الوقت المحدد، سنخفيها بحجة رغبتنا فى خدمة الطبقات العاملة والمبادئ الاقتصادية العظيمة التى أعلنت عنها نظريات الاقتصادية» (الاجتماع السادس والعشرون).

«سنقدم انفسنا على أننا محررو الطبقات العاملة بأن نعرض عليها الانضمام إلى صفوف حشودنا من الاشتراكيين والفوضويين والشيوعيين، - الذين نساندهم دوما باسم مبدأ التضامن الأخوى المزعوم» (الاجتماع السابع والعشرون).

٣ - العنصرية المتمثلة فى البروتوكولات تطابق تماما العنصرية المثارة فى التلمود والقبلانية.

«أعضاء مجلس الشيوخ أنفسهم والهيئة الإدارية العليا يتبعون، بغباء، نصائحنا وإرشاداتنا. وأسوق لكم هنا دليلا جديدا على فقر المخ البهيمى لدى الغوييم، هذا المخ العاجز عن التحليل والملاحظة» (الاجتماع الثامن).

«روح الغوييم بهيمية محضة، فهى ترى ولكن لا تتوقع أبدا، واختراعاتها ذات طابع مادى حصرا. وينجم عن هذا كله أن الطبيعة ذاتها قد اختارتنا منذ الأزل لقيادة الغوييم وحكم العالم» (المصدر نفسه، الاجتماع الثامن).

«نعود إلى موضوع الغوييم المفضل، وهو الحلم باستبدال الفردية البشرية بالوحدة الرمزية للجماعة... وحقيقة أننا استطعنا الوصول بالغوييم إلى مثل هذا العمى تبرهن إلى أى مدى يتدنى تطورها العقلى بالمقارنة بنا، ومخها فى مستوى مخ الحيوانات، وهذا هو الدليل على اصطفائنا وذلك ما يعطينا ضمانة النجاح» (الاجتماع الخامس عشر).

تبدو بعض المقاطع الأخرى متناقضة نوعا ما، مع المقاطع التالية:

«لكى لا يكون لدى الغوييم وقت للتفكير والملاحظة، يجب توجيهها إلى الجشع للربح، بوساطة الصناعة والتجارة» (الاجتماع السادس).

ليست الأمم هذه المرة هى التى لها عقل حيوانى، بل هم اليهود الذين يسعون لمنعها من التفكير!

«عندما يصبح ضروريا إحداث انقلاب عسكرى نهائى، فإن الطبقات الدنيا من الغوييم ستزحف ضد منافسنا على السلطة: وهم من مثقفى الغوييم» (الاجتماع السادس).

كيف يمكنهم أن يكونوا منافسين، إن كان لهم عقل حيوانى؟

«أما الغوييم الأذكياء ، فسننجح فى اقتلاعهم من تربتهم» (الاجتماع السادس والعشرون).

مازلت أنتظر!

«سنمنع الأشخاص ذوى القيمة من أن يلمع نجمهم» (الاجتماع الثانى).

«يظل المجال الأدبى مغلقا على عدد محدد من المواهب الكبيرة، التى إن لم تخضع لأوامرنا، فلن نتمكن من اختراقه» (الاجتماع الثالث عشر).

كان المؤرخ فلافيوس جوزيف بعيدا عن إبراز مثل هذا الاحتقار تجاه الأمم، حينما كتب مايلى:

«سيبُدى المرء إعجابه بفطنة الرومان، الذين لم يكونوا يعلمون خدمهم المعتادة فحسب، بل أيضا فن الحرب. وإذا تأملنا نظامهم القتالى، ندرك جيدا أن قيادتهم للعالم كله لم تمنح لهم مصادفة، بل من خلال حكمتهم وجدهم. وفى الواقع، كانوا فى أثناء السلم، كما لو أنهم ولدوا مع أسلحتهم، فهم لا يفترقون عنها أبدا، وكان الجنود، من غير أن ينتظروا الفرصة، يتدربون فى الأيام كافة، كما فى زمن الحرب. لهذا كانوا يشعرون بالحرية فى أثناء القتال، ولم يكن الخوف يستولى عليهم، ولا التعب يثقل كاهلهم، ولا الفوضى تحطم نظامهم. ونجم عن هذا نصر محقق دوما على أعدائهما. ولايجانب الحقيقة ربما كان يسمى تدريباتهم وألعابهم معارك مواجهة مخططة من غير سفك دماء» («الاستيلاء على القدس، الصفحتان ١٩٢ ـ ١٩٣، طبعة دو روشيه، ١٩٦٤).

الحاخام حنانيا، حاخام أكبر قال: «صلوا من أجل رفاهية الإمبراطورية: لأنهم إن لم يكونوا يخشون منها لربما افترسنا بعضنا بعضا ونحن أحياء» (بيركيه آبيت، نصوص حاخامية جوزيف بونسيفن، قيمة النسخة ١٩ دولاراً، المعهد التوراتى الحبرى، روما، ١٩٥٥).

يشرح إسرائيل شاهاك أنه، بالنسبة للعلم الروحانى اليهودى، الذى أصبح عصريا أيضا فى بعض المناطق، فإن غير اليهود «يُعَدّون كأنهم عناصر إبليس تماما، والعدد القليل ممن ليسوا أبالسة؛ أى الذين يهتدون إلى اليهودية، فهم فى الواقع «أرواح يهودية» تاهت عندما اغتصب إبليس السيدة القديسة أو شيخينه» (الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود»، مجلة خمسين، العدد ٨، ١٩٨١، الصفحة ٢٩، إيتاكابرس، ١٣ شارع ساوثورك، لندن س إى آ).

«مقاطع التلمود الموجهة ضد المسيحية أو ضد غير اليهود اختفت أو عدّلت. وعبارات «غوييم»، «غير اليهود»، «أجانب»، استبدلت بعبارات مثل «وثنيين»، أو حتى «كنعانى» أو «سامرى».

بعد احتلال البريطانيين للهند، ادّعى بعض الحاخامات بأن العبارات المحقّرة ولا سيما الشائنة، لم تكن تستخدم إلا ضد الهندوس. وأحيانا، أهل البلد الأصليون فى أستراليا، كانوا يضافون إلى هذه اللائحة من كباش الفداء.

«عقب قيام دولة إسرائيل، وعندما شعر الحاخامات بالأمان، عادت إلى الطبعات الجديدة كافة، جميع العبارات والمقاطع المهينة الجارحة من غير تردد. وهكذا ندرِّس حاليا للأطفال اليهود بعض النصوص من أمثال النص الذى يأمر كل يهودى مار بالقرب من إحدى المقابر أن يبارك هذه المقبرة إن كانت يهودية ويلعن أمهات الموتى إن لم تكن المقبرة يهودية» (المصدر نفسه، الصفحتان ٣٥ ـ ٣٦).

يتساءل ميمونيد (١) فى نهاية مؤلفه «دليل التائهين» عن فروع البشرية التى يمكنها أن تبلغ القيمة الدينية العليا، وهى عبادة الله الحقيقية. ومن بين غير القادرين على الدنو من هذه الدرجة، هناك كما يقول: «بعض الأتراك (أى المغول)، والبدو الرحل فى الشمال والزنوج، والبدو الرحل فى الجنوب، ومن يشابهونهم فى بلادنا. فطبيعتهم كطبيعة الحيوانات الخرساء، وأنا أرى أنهم ليسوا فى مستوى الكائنات البشرية، غير أنه فوق مستوى الحمار، لأن لهم صورة وشبها بالإنسان أكثر من الحمار» (الكتاب الثالث، الفصل ٥١، الصفحة ٣٧).

باختصار «إن فناء يملكه أحد «الغوييم» مثل مأوى دابة»، هذا ما كتب فى التلمود (معاهدة أروبيم، جوزيف بونسيفن).

«سأثيرهم بوساطة أمة غبية» (تثنية الاشتراع، الاصحاح ٣٢، ٢١، رواية القديس بطرس، رسالة إلى روما، الأصحاح ١٠، ١٩).ومع ذلك فإن النصوص الواردة فى التلمود والقبلانية بعيدة عن روح التوراة:

«لن يكون لديكم سوى قانون واحد، للأجانب كما للمواطن» (سفر العدد، الاصحاح ٩، ١٤).

«سنشرون العدل بين المرء وأخيه أو الأجنبى المقيم عنده.. ولن تحابوا أحدا فى أحكامكم» (تثنية الاشتراع، الاصحاح ١، ١٦ ـ ١٧).

«أقام يهوه العدل بحق اليتيم والأرملة، وهو يحب الأجنبى، الذى يعطيه الغذاء والكساء. ولا يحابى أحدا» (تثنية الاشتراع، الاصحاح ١٠، ١٧ ـ ١٨).

المقصود تماما هم الأجانب، وليس الوثنيين المتهودين، لأنه مكتوب ما يلى:

«لن تزعج الأجنبى ولن تضطهده، لأنكم أنتم كنتم أجانب فى بلد مصر» (سفر الخروج، الاصحاح ٢٢، ٢٠). والحال أن الإسرائيليين كانوا أجانب ولم يكونوا وثنيين متهودين فى مصر، ولا سيما أنهم لم يعتنقوا ديانة المصريين.

فلنتابع ما نورده من التوراة.

«لأنك نهبت العديد من الأمم،

---

(١) موسى ميمونيد: طبيب وعالم باللاهوت وفيلسوف يهودى (١١٣٥ ـ ١٢٠٤)، وقد حاول التقريب بين اليهودية وفكر أرسطو (المترجم).

فإن كل ما بقى من شعوب سينهبك،
لأنك سفكت الدم البشرى، واغتصبت البلد،
والمدينة وكل من يسكنها!» (حبقوق، الاصحاح ٢، ٨).
«إنه عار بيتك الذى صممت عليه:
بتغلبك على العديد من الشعوب.
عملت ضد نفسك» (حبقوق ، الإصحاح ٢، ١٠).
«ويل لمن يبنى مدينة فى الدم.
ويؤسس حاضرة على الظلم.» (حبقوق، الإصحاح ٢، ١٢).
كان ملاخى[١] يأخذ على الكهنة ما يلى:
«لقد جعلتم عددا كبيرا منهم يتعثرون بوساطة الإرشاد، ولم تصونوا سبلى، غير أنكم حابيتم بعض الأشخاص فى إرشادكم» (ملاخى ، الإصحاح ٢، ٨ – ٩).
حتى إن المرء يجد فى التوراة بعض الآيات لصالح الفلسطينيين:
«الفلسطينى هو أيضا سيكون الفضلة لربنا، وسيكون كأمة فى يهودا» (زكرياء ، الإصحاح ٩، ٧).
«فى القبيلة، حيث يسكن، هناك ستعطون للأجنبى ميراثه» (حزقيال الإصحاح ٤٧، ٢٣).
نجد كذلك فى التوراة آيات تنتقد التلمود مباشرة:
«هذا الشعب قريب منى بالقول ويسبحنى بشفاهه، لكن قلبه بعيد عنى وخشيته ليست سوى درس تلقنه، وصية بشرية» (أشعيا، الاصحاح ٢٩، ١٣).
«إن جميع ما آمركم به، ستحفظونه وتمارسونه، من غير أن تضيفوا إليه أو تحذفوا منه» (تثنية الاشتراع، الإصحاح ١٣، ١).
«لن تضيفوا شيئا إلى ما أمرتكم به ولن تحذفوا منه شيئا، ولكنكم ستحفظون وصايا يهوه أبيكم كما أمرتكم بذلك» (تثنية الاشتراع، الاصحاح ٤، ٢، آخر نصوص موسى).
حسب المبدأ التلمودى الذى يقول: «اليهودى الذى يقتل وثنيا يذهب فقط بذنب ضد الشريعة السماوية ولا يستحق العقاب أمام المحكمة» (إسرائيل شاهاك، مجلة خمسين، العدد ٩ – ١٩٨١، «الديانة اليهودية وموقفها من غير اليهود» ، الصفحة ٢٦)، وتعلن البروتوكولات ما يلى:

---

(١) أحد أنبياء إسرائيل، ظهر فى النصف الأول من القرن الخامس قبل الميلاد. مهد للإصلاح الدينى الذى قام به نحميا (المترجم).

«أعدّ حكماؤنا خطط استعباد الغوييم وأعطونا هذا المبدأ الأساسى وهو ألا نقف أمام الوسائل، ويأمروننا بأن لا نقيم وزنا لعدد الضحايا الذين نضحى بهم لتحقيق قضيتنا النافعة الجادة. ونحن لم نحسب عدد الغوييم الذين كانوا يسقطون على دربنا» (الصفحة ٩٥، الاجتماع الخامس عشر).

«الغاية تبرر الوسيلة، وقد كلفنا هذا، التضحية بالكثير من أهلنا، وكل من هذه الضحايا يساوى أمام الله الآلاف من الغوييم» (الصفحة ٦٩، الاجتماع التاسع).

ليست هذه أبدا تعاليم التوراة، حيث أمر يهوه الإسرائيليين بأن ينذروا له كل ولد بكر، لأنه أمات الأولاد البكر للمصريين. (سفر الخروج، الإصحاح ١٣، ١٥).

وفيما بعد، كان الأولاد البكر للإسرائيليين يستبدلون باللاويين:

«يقول الرب لموسى: إننى أحتفظ لنفسى باللاويين من بين الإسرائيليين، بدلا من كل ولد بكر لأم من الإسرائيليين. وسيكون اللاويون لى. ويوم ضربت الأولاد البكر جميعا فى مصر، احتفظت لنفسى بكل ولد بكر لإسرائيل» (سفر العدد، الاصحاح ٣، ١١ - ١٣).

أما بخصوص الأولاد البكر الـ ٢٧٣ للإسرائيليين الذين كانوا يتجاوزون عدد اللاويين، فقد تم شراؤهم من جديد مقابل ٥ شاقلات للرأس (سفر العدد، الاصحاح ٣، ٤٤ - ٤٧).

لا أعتقد بأن اليهود كانوا يتوقعون أن يُغفر لهم بخصوص جميع الأجانب المقتولين، وجميع الأطفال الذين أجهضوا أو أبيدوا بوسائط منع الحمل، والتعقيم... إلخ، فلينظر يهوه وليحكم!

تُدرس العنصرية التلمودية فى مدارس «تلمود التوراة» (ومن المهم من ناحية ثانية وضع كلمة التلمود قبل التوراة!). وفى صحيفة «لوموند» الفرنسية عدد ٦/٥ كانون الثانى ١٩٨٦، يروى هنرى تانك قصة القرار المستسلم المنقاد لشخص يدعى «بول، وهو كاثوليكى مقتنع (؟) ومناضل (؟)، يقبل ألا يربى ابنه تربية دينية كاثوليكية رومانية، وقد صرح بما يلى:

«ابننا ناثانايل سيذهب إلى مدرسة «تلمود التوراة». وسيحترم والده، مع أن والده مع «الغوييم».

إنه اعتراف طويل!

من الأسهل ، بلا شك، الحديث عن العنصرية اليهودية فى إسرائيل، ولا سيما أن قانونا مناهضا للعنصرية قد أقرّ منذ عهد قريب، وهو يعاقب كل شكل من أشكال اضطهاد الأشخاص بسبب لونهم أو تبعيتهم لعرق ما أو أصلهم. والاستشهادات التى وردت فى بعض الكتب المقدسة والدينية (الحاوية على عبارات يمكن أن تعد عنصرية) لا تخضع لهذا الوصف إلا لإثبات أن هذه الكتب مستخدمة لأغراض عنصرية» (صحيفة لوموند، ٧ آب ١٩٨٦).

أما التفوق الفكرى لليهودى، إن كان هناك تفوق، فإن هذا لم يمنعه من الوقوع فى الزيغ والضلال، على الصعيد الدينى، حسب نبوءة أشعيا:

«أثقل قلب هذا الشعب، اجعله ضعيف السمع، دبق له عيونه، مخافة أن تبصر عيونه، وأن تسمع آذانه، وأن يدرك فؤاده، وأن يهتدى وأن يشفى» (أشعيا، الإصحاح ٦، ١٠، نقلا عن سيدنا يسوع المسيح فى إنجيل القديس يوحنا، الاصحاح ١٢، ٤٠).

إن اليهود، فى الواقع، لم يعترفوا ، إجمالا ، بعيسى المسيح كمخلص ، على الرغم من نبوءة دانيال[1] ،التى تبشر بمجئ المخلص فى ٧٠ «أسبوعا من السنوات» (سفر دانيال، الإصحاح ٩، ٢٤):

«خصص لشعبك ومدينتك المقدسة ٧٠ أسبوعا، لوضع حد للانتهاك ، ولوضع الأختام على الخطايا، للتكفير على الظلم، ولإشاعة العدالة الأزلية، وللختم على الرؤية والنبوءة، لمسح قدس الأقداس بالزيت المقدس».

«منذ اللحظة التى خرج فيها هذا الكلام:

«أن يُرَجّع وأن يجدد بناء القدس» (دانيال، الإصحاح ٩، ٢٥).

تفوه بهذا الكلام الملك أرتحششتا، فى العام السابع من حكمه. (سفر عزرا، الإصحاح ٧،٧ - ١٣)؛ أى فى العام ٤٥٨ قبل الميلاد.

٧٠ «أسبوعا» = ٤٩٠ سنة حسب اللاويين، الإصحاح ٢٥، ٨ - ١٠: «ستعد سبعة أسابيع من السنوات، سبع مرات سبع سنوات، أى فترة سبعة أسابيع من السنوات، تسعة وأربعين عاما».

العام السابع من حكم أرتحششتا يوافق العام ٤٥٨ قبل الميلاد، وإن ٤٥٨ ق. م + ٤٩٠ = ٣٢ بعد الميلاد، أى قريبا من تاريخ صلب سيدنا المسيح .

أخيرا، هناك إثبات آخر لصحة البروتوكولات:

٤ - وجود الماسونية

هذه الجماعة السرية، التى أسسها اليهود، كما أوضح ذلك الماسونى القديم، كوبان - البانشلى ، فى مؤلفه «السلطة الخفية فى فرنسا» ، ولا سيما فى مؤلفه «المكيدة اليهودية ضد العالم المسيحى»، ما من هدف لها إلا خدمة مخططات الهيمنة الدولية للسلطة اليهودية الخفية. والسمة اليهودية لطقوسها معروفة، ومجلة «الحقيقة الإسرائيلية» كانت تعترف بأنها من صنيع يهودى. (الصفحة ٧٤، المجلد ٥، العام ١٨٦١):

«هذه الروح (روح الماسونية)، هى روح اليهودية فى أكثر معتقداتها جوهرية، إنها أفكارها

---

(١) هى بالأحرى، وهذا مؤكد أكثر، نبوءة الحاخام ابريانل.

ولغتها، وتوشك أن يكون لها تنظيمها.

«هذه العلاقات (بين الماسونية واليهودية) أكثر حميمية مما يمكن الاعتقاد»[١].

كتب المؤرخ الأمريكي ماكس ديمونت ، أو أعلن تحت رعاية «مؤسسة التراث اليهودي» ما يلي:

«إن حكومة يهودية توجد في الحالة الخفية... وهي الحكومة الماركسية لدولة إسرائيل الرأسمالية إلا مقدمة جبل جليدي»[٢].

إن وجود هذه الحكومة اليهودية الخفية أخبر عنه آنفا كوبان - البانشلي في مؤلفه «المكيدة اليهودية ضد العالم المسيحي».

فإذا قبلنا بتأكيدات ماكس ديمونت - وليس هناك أي داع للتشكيك فيها - يمكننا أن ندرك أن هذه الحكومة الخفية اليهودية كان لها برنامج، وأن هذا البرنامج قد عرض في البروتوكولات ، التي تشرح خططها المشؤومة لماذا أرادت هذه المحمومة أن تظل سرية.

أخيرا، لا يخلو من فائدة لقضيتنا أن نسجل أن اللوبي اليهودي ليكرا شعر أنه هو المقصود في تصريح الصحفي أندريه فيفورا، المنشور في «الرأى المستقل للجنوب الغربي» بتاريخ ٣ تشرين الأول ١٩٨٦ : «المستقعات في الظرف الراهن، هي جميع الزمر الصغيرة من العصابات الأجنبية التي تكثر في باريس. إنها تجمعات تعمل على تمهيد الطريق أمام التخريب، تحت غطاء مناهضة العنصرية.

طالب اللوبي اليهودي ليكرا بـ ٥٠٠٠٠ فرنك كتعويضات.»

كان حكم محكمة الجنح في تولوز مغايرا، تبعا لحجج السيد سان - جوست والسيد ميرل، اللذين أصرا على أنه لا شئ يسمح بالتأكيد على أن المقال ينطبق على الليكرا!

وقد عفت المحكمة عن أندريه فيفورا وبرأته، ورفضت ادعاءات الليكرا، مغرِّمة هذا اللوبي بدفع ٣٠٠٠ فرنك كتعويضات، ودفع أجور الدعوى.

---

(١) نقلا عن يان مونكومبل «ثالوث العالمية وأسرارها»، ١٩٨٠، الصفحة ٣٧، العبقرية الجديدة.

(٢) رسالة إعلامية لبيير فيلمارست من المركز الأوروبي للإعلام رقم ٥ - ٢١ نيسان ١٩٨٧، الصفحة ٨ في الخاتمة.

١ - ما معنى بروتوكولات حكماء صهيون؟

ما معنى «بروتوكولات حكماء صهيون»؟

هذه الكلمات الثلاث، ليس لها حتى اليوم مفهوم واضح فى أذهان العرب، وعمرها فى العالم منذ انكشافها ٤٧ سنة، إذ كان ظهورها فى الانجليزية لأول مرة مترجمة عن الروسية، بعيد الحرب العالمية الأولى. وحتى الذين يحيطون بمعناها ومقاصدها الجهنمية، من ساسة العرب، فى جميع العالم العربى والمهاجر فى مختلف القارات هم قلة ضئيلة، وأما الصحف العربية عامة، فيتفاوت مقدار وقوفها الصحيح على البروتوكولات، وقليل من كتاب الصحف ومحرريها من حذق دراسة هذه المقررات اليهودية السرية، وأحاط بها، وتابع انسيابها من مصادر «التلمود» الذى مضى عليه حتى اليوم نحو ١٨ قرنا منذ الابتداء بوضعه، ونحو ١٤ قرنا منذ تكامله فى بغداد فى القرنين الرابع والخامس بعد الميلاد. وأما الرأى العام العربى، الخاص والعام، فليس أحسن حالا من جمهرة الصحف العربية. هذا، وقد جاء فى كتاب «الاستيلاء على العالم بحكومة عالمية - او بروتوكولات حكماء صهيون» فى الطبعة الانكليزية الحادية والثمانين ١٩٥٨ ان ما بيع من مجموع الطبعات باللغة الانكليزية بلغ اكثر من مليون نسخة.

ومنذ ١٩٤٨ ونحن نردد أخبار ما اقترفه اليهود فى فلسطين من فظائع وحشية دموية؛ كمذبحة دير ياسين، وطبريا، وناصر الدين، وقبية، وغزة، ومخالين وغيرها مما يتكرر ارتكابه، ويختلف نطاقه، لكنه يمثل روحا واحدة من الهمجية الخلقية، وقلما عنينا إلا بالظاهر السطحى، لنكشف الغطاء ما أمكن عن السر الرهيب، الكامن فى النفسية اليهودية الصهيونية، والباعث على ذلك. فإذا شئنا أن نقف على هذا السر الموروث، فلنقرأ «بروتوكولات حكماء صهيون»، فعندها الخبر اليقين.

الصهيونية قفاز خارجى لليهودية العالمية.

الصهيونية والماسونية اليهودية العالمية، سواء.

اليهودية العالمية حركة سرية نبتت من التلمود الرهيب الذى كان بأصله بضع مجلدات، فصار منذ ٨ قرون ١٢ مجلدا، ثم هو اليوم فى الانكليزية ٣٦ مجلدا من القطع الوسط.

التلمود مستودع شرور اليهود، وبدأوا يضعونه بعد جمع أسفار التوراة بنحو قرنين.

التوراة شئ أقفل بابه منذ ٢٢ قرنا، بعد جمع الأسفار وتداولها والرجوع من بابل. وأما التلمود فهو الذى علا على التوراة بأساطيره الغريبة وفى التلمود البذور الشريرة كلها. والعرب لم يعرفوا بعد شيئا من هذا كله، إلا نتفا منتاشة انتياشا، ماعدا الذين اختصوا بدراسات علمية، وهم نفر قليل.

من التلمود الرهيب استمد واضعو البروتوكولات فى العقد الأخير من القرن الماضى، روح سفك الدماء بأساليب بربرية، تطبيقا لدستور البروتوكولات.

فانظر كيف تسرى هذه الخيوط، وهى سرية.

إذا أحطت «بالبروتوكولات» الموضوعة بين يديك الآن، أحطت بمقدار كبير من الوقوف على الموروث من التلمود فى أخلاق اليهود الصهيونيين إنما من هنا، لا فى أى موضع آخر، على العربى أن يبتدئ بذهن جديد فى معرفة أخلاق التلمود واليهود.

* * *

البروتوكولات هى المخطط الذى وضعه، رجال المال والاقتصاد اليهود لتخريب المسيحية والبابوية، ثم الإسلام، وبعد هذا التخريب الذى قرر أصحاب البرتوكولات أن يتم فى خلال مئة سنة، أى قبل ١٩٩٧، يعتقد اليهود الصهيونيون أنهم سيستولون على العالم ويقيمون ملكات يهوديا داوديا، له من الحيلة والوسيلة ما يمكنهم وهم أقلية ضئيلة، من حكم العالم بأسره حكما أوتوقراطيا، ولا يجاور الدين اليهودى التلمودى دين آخر. لا مسيحية ولا إسلام.

وتنسف الحضارة القائمة نسفا تاما.

وكيفية الوصول إلى هذا ، كله يفصل تفصيلا فى البروتوكولات.

لم يسبق بعد أن دماغا بشريا شريرا، تخيل مثل هذا الخيال الجهنمى الشيطانى. لا دماغ فرد ولا دماغ جماعة.

«إسرائيل» المصطنعة فى الأرض المحتلة، فلسطين، هى قفاز اليهودية العالمية.

* * *

هذه الكلمات الثلاث - «بروتوكولات حكماء صهيون» - تؤلف فى مجموع ألفاظها شيئا أجنبى الزى والصفة، حروفها من حروف الهجاء، ولكن مؤداها غامض. فهى فى العالم العربى اشبه بسائح غريب بيننا، اذا تكلم سمعنا منه رطانة مختلطة، وإذا نظرنا إلى لباسه رأيناه يختلف عن لباسنا دع عنك سحنته المتميزة بخصائص وفوارق. إذا، «بروتوكولات حكماء صهيون» تحتاج إلى إيضاح.

أما لفظة «بروتوكولات» فعديدة المعانى، كمسودة الاتفاق أو المعاهدة أو الوثيقة بالمعنى الرسمى عند الحكومات، موقعة من الفرقاء أصحاب الشأن وهى أيضا فى «الرسميات» تعنى قواعد السلوك، وأعراف الأصول الدبلوماسية ومصطلحاتها؛ والصيغ الرسمية للوثائق الدبلوماسية، ومضابط الصيغ التى تبنى عليها الوثائق. ونحن العرب جعلنا نقول منذ أكثر من ٢٠ سنة «بروتوكول الاسكندرية» ، مثلا ، أو «ميثاق الاسكندرية» الذى قامت عليه جامعة الدول العربية.

وأما المعنى المقصود بها هنا فى عبارة «بروتوكولات حكماء صهيون» ، فهو الصيغة التى دونت بها مقررات العصابة المعروفة «بالحكماء» ولذلك يصح أن نقول أيضا «مقررات»، بدلا من بروتوكولات، ولا يختلف المعنى، لكن غلبت لفظة البروتوكولات فى جميع اللغات الاجنبية التى بحثت مسائل اليهود، فأصبحت المتابعة اولى.

ولفظة «حكماء» هنا، ما هى إلا بمعنى الشيوخ أصحاب القيادة من الناحية الدينية اليهودية، وتشمل ما هو أوسع من المعنى الدينى المجرد، لاختلاط الأمور بين ظاهر وخفى، ومكشوف ومستور، وتشمل فى معناها اليوم عند اليهود، أصحاب النفوذ فى السياسة والاقتصاد والصناعة، والأحزاب الخفية، والحركات الهدامة، وخلع الملوك ونسف العهود، والكيد، والقتل، والاغتيال، والمؤامرة وهى منحدرة عن كلمة «الحاخام، أو «الربى» أو «الربانى»(١). لكن فى «بروتوكولات حكماء صهيون»، معناها عصابة كبراء اليهود السرية، التى تجدد كيانها الخفى فى أثناء الثورة الفرنسية، ووالت سيرها فى منتصف القرن الماضى فى أيام كارل ماركس، ونشطت نشاطا خاصا فى روسيا القيصرية فى الربع الأخير من القرن قبل الماضى، ثم عقدت مؤتمرها الصهيونى العالمى الأول فى العقد الأخير من القرن المذكور برياسة

---

(١) وردت فى القرآن الكريم لفظة «ربيون» (سورة ال عمران ١٤٦)، «وربانيين» (سورة آل عمران ٧٩ و«الربانيون» فى سورة المائدة ٤٧و ٦٦. قال الإمام الزمخشرى فى «الكشاف» فى تفسير «ربانيين»: و«الربانى » منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون، كما يقال رقبانى ولحيانى ، وهو الشديد التمسك بدين الله، وعن الحسن: ربانيين أى علماء وفقهاء. وقيل علماء معلمين.

هذا ما قاله الزمخشرى على خير ما كان يعلم من هذا فى أيامه. أما الكتاب اليهود أصحاب الشأن فيقولون: - كلمة «راب»، بمعنى معلم أو أستاذ أو عالم، كانت تستعمل لعلماء التلمود العراقيين، «راب حزقيال» ، مثلا.

وكلمة «ربى»، بالاضافة الى ضمير المتكلم مع حذف الالف للتخفيف، تستعمل لعلماء التلمود فى فلسطين ، «ربى عزرا»، مثلا.

وأما كلمة «ربانى» فهى أعلى من راب وربى، ولا يختص بها إلا شوامخ العلماء، مثلا غمائيل الأول، وسيمون بن غملائيل، ويوحنان بن زكاى (القرن ١و ٢ فى فلسطين).

ويوحنان هذا كبير اليهود المشهور وقت كان الرومان يحاصرون القدس يريدون القضاء على الثوار اليهود المتصمين بداخل المدينة وامتد القتال من ٧٠ - ٦٧ ق. م وبن زكاى هو زعيم «الفريسيين» الذين ناصبوا السيد المسيح العداء هم والفرقة الأخرى «الصدوقيون» واخبارهم مبسوطة فى الإنجيل. قال القائد الرومانى لبن زكاى أثناء الحصار: «رجالهم يقاتلون كالأفاعى فى جحورها، فعلينا أن نستخرجهم من كل حجر لدق أعناقهم». وقد صدق القائد الرومانى فسباسيان واستل تلك الأفاعى من جحورها وهدم القدس وشتت اليهود. والشتات الحقيقى هو هذا لاشتات نبوخذ نصر البابلى فى القرن السادس ق.م وفى سيدة بن زكاى (٧٥ ب) ذكر للعرب ولكنه ذكر المقت والكراهية . فذكر أنهم كانوا يقيمون فى عكا ولهم هنالك الخيول والماشية. ثم ذكروا مرة أخرى بأن يهوديين احتكما إلى أعرابى فقضى بينهما للذى كان الحق فى جهته دون محاباة وسر الذى كان القضاء فى مصلحته، لأن اليهود من عاداتهم وتقاليدهم الا يروا القضاء العادل إلا نادرا وهم مردوا على قتل الأنبياء حتى فى الهيكل المقدس عندهم.

الدكتور تيودر هرتزل فى بازل (سويسرا) ١٨٩٧، وفى هذا المؤتمر السرى وضعت البروتوكولات، بل كانت معدة من قبل، ومن قبل احد كبرائهم الذى يعتقد الباحثون الغربيون انه «اشر غنزبرغ» من يهود أودسا، المشهور فى عالم الكتابة اليهودية باسمه القلمى وهو «احدهما عام» اى «أحد أفراد الشعب»، وجاء فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى وأقام ومات فيها سنة ١٩٢٧ بعد عمل استمر نحو ٦٠ سنة فى سبيل الصهيونية. فهذه المقررات كانت أعدت لتبحث فى المؤتمر وتقر وتبرم ، بعد تلاوتها فى المؤتمر فى بضع جلسات، كما يؤخذ من نصها، دهم البوليس السرى القيصرى، المؤتمر اليهودى فى بازل، دهمة الصاعقة يريد أن يغنم أوراقهم، فكانت أوراق هذه المقررات من جملة ما استولت عليه أيدى المداهمين. وسيأتى تفصيل هذا فى موضعه من هذه الصفحات.

و«صهيون» بالأصل اسم تلة أو رابية فى «أورشليم» أو بيت المقدس زمن اليبوسيين «أبناء عمومة العرب» ، سكانها القدماء من الكنعانيين الذين بقيت منهم بقية فى بيت المقدس إلى القرن الخامس او الرابع ق م ، والكنعانيون هم أهل فلسطين بمعظمها قبل بنى إسرائيل بقرون عديدة، ولما عاد اليهود من سبى بابل فى القرن الخامس ق.م وجدوا بقايا اليبوسيين على حالهم فى المدينة والأرباض. فلفظة «صهيون» كما ترى كنعانية لا عبرية.

وعلى هذه التلة، ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس فى القرن الحادى عشر ق. م وصارت كلمة صهيون مع الزمن معناها الحكومة اليهودية الدينية. و«عشاق صهيون» أو «أحباء صهيون»، منظمة علنية خفية رهيبة، أنشئت فى روسيا بعد منتصف القرن قبل الماضى، وانتشرت فى داخل روسيا وقامت بالحركات السرية لهدم القيصرية، كما انتشر لها فروع عديدة فى الخارج، وهذه المنظمة عنيت بفلسطين قبل هرتزل بعدة عقود، وانتهى إليها معظم يهود روسيا البارزين. فوالد ويزمن، وكيش، وبن غوريون، وبنتويش، وسوكولوف صاحب كتاب «تاريخ الصهونية » وغيرهم، كانوا جميعا أعضاء عاملين فى المنظمة المذكورة. وهذه المنظمة العنيفة هى أول من أخذ يرسل جماعات اليهود إلى فلسطين فى الربع الأخير من القرن الماضى . واغتال الأرهابيون القيصر إسكندر الثانى فى ١٣ آذار (مارس) ١٨٨١ وكان هؤلاء من اليهود ويقول موسى سميلانسكى، المعروف لعرب فلسطين جيدا، إن حكومة القيصر اعترفت بمنظمة «عشاق صهيون» سنة ١٨٨٠ - ٩١ وسميلانسكى هذا جاء فلسطين فى ذلك الوقت وهو شاب فى السادسة عشرة، منتم إلى «عشاق صهيون» (كتاب «نفيل باربر» ص ١١٥).

٢ - النكبات الأربع وأسباب غفلة العرب عنها

وضعت الحرب العالمية أوزارها فى خريف ١٩١٨ فبوغت العرب بأربع نكبات كلها من صنع بريطانيا وأميركا وفرنسا واليهود الصهيونيين:

١ - ظهور وعد بلفور أواخر ١٩١٧.

٢ - ظهور معاهدة سايكس - بيكو السرية المعقودة بين بريطانيا وفرنسا ١٩١٦ لاقتسام الأقطار العربية بعد الحرب (سوريا ولبنان والأردن والعراق وفلسطين).

٣ - الاحتلال الأجنبى - الفرنسى البريطانى - تحت قناع الانتداب (مصر كانت محتلة منذ ١٨٨٢ والسودان منذ ١٨٩٨ وتونس منذ ١٨٨١ والجزائر منذ ١٨٣٠ والمغرب منذ ١٩١٢. وكانت ليبيا جزءا من المملكة العثمانية فنزلت عليها إيطاليا ١٩١٢ فاحتلت سواحلها وكانت حتى حينئذ تعرف بطرابلس الغرب أو طرابلس وبرقة).

٤ - ظهور بروتوكولات حكماء صهيون سنة ١٩١٦ فى بلاد الانكليز قبيل الثورة البلشفية ١٩١٧ غير أن العرب لم يقفوا عليها، ولم يتسن لهم ذلك الا فى منتصف القرن الماضى وإلى حذ قليل، وعلى نطاق محدود.

* * *

أسباب غفلة العرب عن التنبه للبروتوكولات منذ ظهرت فى بريطانيا ١٩١٩:

١ - عناية اليهودية العالمية بألا ترى شيئا من حديث البرتوكولات يتسرب إلى الشرق، وذلك بالحيلولة دون أن ينتقل شئ من الكتب أو منشورات الصحف البريطانية إلى فلسطين خاصة. ولم يسمع بذكر البروتوكولات فى الدولة العثمانية حتى ١٩١٤.

٢ - كانت بعض الصحف البريطانية قد شرعت فى الخوض فى هذا الموضوع «كالمورننغ بوسط»، فإذا بها بعد قليل تسكت عن أى متابعة أو مزيد. وكان ونستون تشرشل نفسه، قبل أن مال إلى اليهودية العالمية وانتقل إلى معسكرها، قد نشر فى مجلة «اللتراتيد صنداى هيرالد» فى ١٩٢٠/٢/٨ مقالا يستفظع به مؤامرة اليهود الملاحدة ، كما وصفهم، لنسف الحضارة الأوربية، وأشار إلى أن الحركة عالمية، رهيبة، لكنه سكت بعد قليل كما سكتت «المورننغ بوسط». ولم يبق فى بلاد الانكليز الا جمعية بريطانية واحدة صامدة فى وجه اليهودية العالمية إلى اليوم . وسنأتى على ذكر هذه الجمعية فى هذه الصفحات وحوادث البطش اليهودى السرى والعلنى، بكل جريدة أو مجلة أو كاتب أو معلق أو جمعية، ممن تصدى لموضوع البروتوكولات، حوادث مشهورة أكثر من أن تحصى. فاين للعرب وقتئذ، وكل قطر فى عراك مع

الانكليز أو الفرنسيين، أن يتنبهوا لمثل هذه «الكماليات» فى القضية العربية. وحوادث بطش اليهود لم تكن مجرد إرهاب صورى، وقطع الإعلانات عن الصحف وتخريبات تجارية اقتصادية من وراء ستار، بل تعدت ذلك كله، إلى إحراق المطابع والقتل والاغتيال بطرق عجيبة فى بريطانيا وفرنسا وألمانيا. أما فى روسيا فالقتل هو جزاء من توجد بحيازته نسخة ما من البروتوكولات بأية لغة.

٣ - هذه الغفلة من جهة العرب، كانت عامة مطبقة، حتى إن الوفود العربية المختلفة التى توجهت من مصر وفلسطين والعراق وسوريا ولبنان إلى لندن وباريس فى مدة ما بين الحربين، ثم بعد الحرب الثانية إلى ١٩٤٨ لم تسمع شيئا حريا بالذكر من أمر البرتوكولات.

٤ - كانت حكومة فلسطين، وللصهيونية فيها النفوذ الكاسح، الواسع، يقظة كل اليقظة دائما كى لا يسمع شئ بهذا الموضوع. وإننا فى إيراد هذا الإجمال لا ينبغى أن نحث القارئ العربى فى العالم الآسيوى والإفريقى والمهجرى كله، على مطالعة هذه البروتوكولات، وقد أصبحت الآن بين يديه منقولة نقلا صحيحا من الانكليزية، بقدر ما نود استرعاء انتباهه إلى ناحية أخرى، وهى أن قيام اليهودية العالمية وأجهزتها على المتعرض للموضوع بالنقمة والاغتيال إلا الدليل الطبيعى المحسوس على صحة هذه الأوراق من حيث إنها من صنع عباقرتهم الجهنميين وسيأتى تفصيل هذا فى موضعه.

٣ - ظهور البروتوكولات

ولدينا ثلاث حوادث تتعلق بالموضوع وهى حرية بأن توضع بين يدى القارئ: -

الأولى: وقعت فى فلسطين فى ربيع ١٩١٨ والحرب قائمة. وكان الجيش البريطانى بقيادة الجنرال اللنبى قد احتل القدس فى السنة السابقة ولكنه لم يتمكن من التقدم شمالا بعد ذلك إلا قليلا. وكان باقى فلسطين والأردن ، فضلا عن سوريا ولبنان، بيد الترك والألمان. وكان قد مضى على صدور وعد بلفور بضعة أشهر. وكان ويزمن قد قدم فلسطين على رأس وفد يهودى صهيونى.، ومعه ماجور اورمبسى غور (بعدئذ وزير مستعمرات وصار لورد هارلخ) ضابط ارتباط بين الوفد والسلطة البريطانية العسكرية وغاية هذا الوفد الصهيونى، المسلح بكتب توصية من رئيس الوزارة، لويد جورج، أن يطلع على الحالة فى فلسطين تمهيدا لتطبيق السياسة اليهودية المنبثقة عن الوعد. وكان هذا الوفد شديد الحماسة لمهمته، لا يصدق متى يضع قدره على النار. فاصطدمت هذه الحماسة وحالة الحرب القائمة، وهنا المعارك والدم والقتال والكر والفر والهجوم والانسحاب، وهناك فى لندن من جهة الصهيونيين ولويد جورج ، المؤامرات والختل والخديعة. فأين مهمة الجيش البريطانى عسكريا وقتئذ، من مهمة وفد صهيونى قادم لتطبيق «وعد سياسى» كتب فى قصاصة ورق وهو عبارات مبهمة يتضارب بعضها مع بعض . فامتعض اللنبى من قدوم هذا الوفد عليه، لكن لم يكن بد من إنزاله فى مخيمه العام أو «مقر القيادة» فى «بئر سالم» قرب «الرملة» بين يافا والقدس، فى سهل من أجمل سهول بلاد العرب. جاء ويزمن يريد الشروع فى تطبيق سياسة التهويد، ومعظم فلسطين لا يزال بيد الترك والألمان كما ترى.

غير أن اللنبى وإن امتعض من مجئ هذا الوفد وحلوله ضيفا عليه بتوصية من لويد جورج، لم يسعه أن يزيد على التجهم شيئا فى وجه ويزمن، سوى تضمين الأجوبة منه إلى ويزمن فى مجرى تبادل الأحاديث، بعض الإبر الحادة. وكان من أعوان اللنبى وقتئذ فى مقر القيادة ، الجنرال ديدز، فكان ويزمن ينام فى مخيم ديدز، ويقول ويزمن فى مذكراته إنه كان مرتاحا فى مقامه فى هذا المخيم، لأن ديدز كان يعطف على اليهود ويقدر قدر وعد بلفور. وهذا من ويزمن نصف الوصف لديدز، والنصف الآخر، أن ديدز هذا هو من الشيعة البريطانية البروتستانتية التى يعتقد أهلها برجوع اليهود إلى فلسطين تحقيقا لما يسمى بنبؤات التوراة. فالصلة بين ديدز وويزمن روحية عميقة. جرت هذه الواقعة التى نحن بصددها الآن، فى ربيع ١٩١٨ كما قلنا، وديدز أحد أعوان اللنبى والحرب قائمة، أما ما كانه ديدز بعد ذلك،

وما تقلد من عمل، فإنه بقى فى الجيش إلى سنة ١٩٢٠ ولما جاء هربرت صموئيل اليهودى الصهيونى، اول مندوب سام على فلسطين وباشر عمله فى أول يوليو ١٩٢٠ وانطوى بساط الحكومة العسكرية، وانشئت إدارة مدنية يتولاها صموئيل هذا، انتقل ديدز من الجيش إلى أن يكون السكرتير المدنى الذى يلى المندوب السامى فى ممارسة السلطة والمسؤولية فى الحكم، أى أنه هو ثانى رجل فى الحكومة. وقد اختاره صموئيل لهذا العمل، كما اختار رونالد ستورس حاكما مدنيا على القدس، وستورس هذا هو أستاذ لورانس فى مصر قبل أن يذهب لورانس إلى الحجاز أواخر ١٩١٦. وبقى ديدز سنتين فى فلسطين يشغل هذا المنصب، ثم آثر العودة الى بلده ليعمل هناك فى مشروع عزيز عليه يتعلق بالخدمات الاجتماعية. وكان ديدز يتقن التركية إتقانا حسنا إذ هو كان أحد رجال بعثة عسكرية بريطانية إلى تركيا قبل الحرب العالمية الأولى لتنظيم قوة الدرك العثمانى، فتعلم التركية ووقف على كثير من مجارى السياسة العثمانية وقتئذ(١).

إذن، ديدز صديق الصهيونية عن عقيدة دينية. فلما كان ويزمن جالسا عنده ذات صباح، ولا ثالث فى المخيم، وانطلق الحديث بينهما، وويزمن واثق أن محدثه صديق الصهيونية، فاذا بديدز يخرج من الدرج جملة أوراق ويناولها ويزمن ويرجو منه أن يقرأ هذه الأوراق، فلما تناولها ويزمن وهو لا يعلم ما فيها، وهى مطبوعة بالمستنسخ، امتقع لون وجهه منذ وقع نظره عليها وانكمش وأبدى رغبته فى أن يعفى من قراءتها ، فعاد ديدز يطلب منه برفق الصديق المخلص أن يطيل أناته ويطلع على هذه الأوراق، فلم يسع الحال ويزمن حينئذ، إلا أن أبقاها بيده هنيهة متظاهرا بأنه قرأها وفرغ من مطالعتها، ثم توجه إلى ديدز بهذا السؤال: من أين وصلت إليكم هذه الاوراق؟ ولم يخف عنه ديدز شيئا من الحقيقة، فقال له: هذه الأوراق موجودة هنا فى حقائب الضباط وبعض الجنود، ولما كانت قواتنا العسكرية تقاتل إلى جانب الجيش الروسى القيصرى فى القفقاس، كان الأمير نقولا يقوم بتوزيع هذه الكراريس على الضباط الإنجليز، ولما انهارت جبهة القفقاس وانتقلت قواتنا إلى فلسطين، جاءت هذه الكراريس فى الحقائب والجيوب فصعق ويزمن وقال له ديدز إن لهذه الاوراق شأنا خطيرا يعرقل عملكم فى فلسطين.

---

(١) مؤلف هذا الكتاب، وقد هبط فلسطين من دمشق فى ايلول ١٩٢٠ يعرف ديدز معرفة شخصية تامة عن كثب وكان يخبرنى عنه الصحافى الغريبى (اللبنانى الاصل) الاستاذ ابراهيم النجار المشهور، وكان النجار يومئذ يصدر اول جريدة عربية فى القدس وهى «لسان العرب» وله صلة وثيقة بديدز اذ كان يبغى النجار ان يمثل دورا صحافيا بين العرب والانكليز واليهود ففشل بعد تجربة نحو ثلاث سنوات، ثم انتقل الى دمشق، وسكنت الريح بينه وبين الانتداب الفرنسى ثم الى بيروت. فاصدر جريدة وتولى إحدى الوظائف وتوفى بعد ١٩٥٠.

وما هى تلك الكراريس؟ هى «بروتوكولات حكماء صهيون» باللغة الانكليزية. ومن أعدها؟ يرجح أن الحكومة القيصرية هى التى أعدتها. وماذا جرى بعدئذ من أمر هذه الكراريس فى الجيش البريطانى فى فلسطين؟ لا ندرى شيئا. هذا سنة ١٩١٨.

الثانية: وقعت حوالى ١٩٣٠ فى فلسطين ، وقد انقضى أكثر من عقد على المضى بسياسة تطبيق الوعد والتهويد. وكانت فى سنة ١٩٢٩ وقعت ثورة عنيفة فى فلسطين بدأت فى القدس أولا، ثم انتقلت إلى الخليل وصفد وبيسان وغير منطقة. سبب هذه الثورة عدوان اليهود على «مربط البراق» بجوار المسجد الأقصى المبارك فسميت هذه الثورة فى تاريخ ثورات عرب فلسطين فى عهد الانتداب «بثورة البراق». وقتئذ انعقد المؤتمر الصهيونى فى سويسرا وكانت مقرراته مهيجة لليهود فى فلسطين، فظنوا أن تجربة العنف قد تجديهم، فجربوا ذلك فكانت الثورة التى استمرت سبعة أيام بلياليها(١)، وفى السنة التالية ذهب وفد عربى فلسطينى إلى لندن ، وبقى اليهود يعملون على الهياج فى الداخل والخارج، وهم لا يلقون من حكومة فلسطين وسيدتها حكومة لندن، الا كل تلبية ومسايرة، وفى اثر هذه الثورة بدأ العرب مقاطعة اليهود مقاطعة اقتصادية شاملة فى مختلف أنحاء البلاد. وغدا الاحتكاك بين الفريقين قابلا للالتهاب فى أى وقت. وإلى غاية ١٩٢٩ لم يكن دخل فلسطين من المهاجرين اليهود أكثر من نحو مئة ألف نفس.

وكانت تقيم فى يافا ثم فى حيفا منذ ١٨٩٥ سيدة بريطانية منتمية إلى إحدى جمعيات التبشير ، أو منظمة القديس يوحنا فى القدس، وهذه السيدة هى فرانس نيوتن التى عرفت بشديد صداقتها للعرب بعد أن نجم قرن اليهود فى فلسطين. والسيدة نيوتن لها مكانة علمية فى بلدها، فهى عضو فى الجمعية الملكية الجغرافية بلندن، والجمعية الجغرافية الاميركية. وطبعا تعلمت العربية، وطافت فلسطين طوافا واسعا من أجل الدراسة الدينية التاريخية، وكانت فى كل مدة تزور بلادها ثم ترجع الى فلسطين، وتوطنت حيفا أخيرا وابتنت دارا فيها، وكانت لا تتردد فى المآزق الحرجة أن تسمع أصدقاءها فى لندن صوتها احتجاجا على الظلم النازل بالعرب، وهى كما يستفاد من مذكراتها من أعلم الناس بخفايا امتياز البحر الميت، الامتياز الذى ناله اليهود سنة ١٩٢٩ ومن أملاح هذا البحر الميت الحى تستخرج إسرائيل اليوم

---

(١) وظلت بقايا منها أسبوعا آخر، فكانت خسائر اليهود فى جميع أنحاء فلسطين ١٣٣ قتيلا و ٣٣٩ جريحا، وخسائر العرب ١١٦ قتيلا و ٢٩٣ جريحا وإنما بلغت خسائر العرب هذا الرقم لأن الجند البريطانى فى هذه الثورة سنة ١٩٢٩ صنع ما صنعه ١٩٤٨ من تحيزه السافر لليهود، فمعظم خسائر العرب كان برصاص الجند الانكليزى وكان هذا من جملة العار الذى جلل رؤوس الانكليز فى فلسطين مدى ٣٠ سنة، بل إلى الأبد.

كنت وقتئذ أعمل فى «المجلس الإسلامى الأعلى» ومركزه القدس، ومكان البراق لا يبعد من مكاتب المجلس غير قليل وشهدنا مجرى الحوادث عن كثب ورأينا الكثير من ألاعيب اليهود والانكليز معا. وفى دفاترى جمعت ما استطعت جمعه من راهن الأخبار والمعاينة والمشاهدة.

مقادير كبيرة من الأورانيوم عدا البوتاس وغيره، والعرب غافلون عن هذا أو متناومون، لكن معذرتهم هنا ليست كمعذرتهم فى عدم وقوفهم على «بروتوكولات حكماء صهيون» وسنة ١٩٤٨ طبعت السيدة نيوتن مذكراتها بعنوان «خمسون سنة فى فلسطين» ووشحت غلافه بالعلم العربى الملون، وضمنت كتابها هذا كثيرا من المعلومات الخطيرة، مما لا يوجد عند غيرها من أصحاب المذكرات السياسية من الانكليز الذين اقاموا فى فلسطين فى الزمن الحديث.

فكان من الطبيعى أن يقف لها اليهود بالمرصاد، يأخذونها تارة بالمحاسنة، وطورا بالمخاشنة، وهى لا تلين ولا تتصاع الا الى جهة الحق، وجهة الحق كلها للعرب كالفرق بين معتد محض، ومظلوم محض. لكنهم مع هذا جعلوا أحد قادتهم السياسيين، وهو موشه مرغو ليس كلفرسكى، ورئيس حزب «بريتشالوم»[1] الذى يدعى التقرب من العرب، يكون على صداقة ظاهرة معها، وهى تعلم ماذا عنده وما وراءه.

وسنة ١٩٢٩ اشتدت نكاية اليهود لها فى فلسطين وفى لندن. والسبب فى هذا ان السيدة نيوتن بذلت اقصى جهدها فى مساعدة صديقتها الدكتورة «آنى هومر» الخبيرة بالعلوم الكيمائية، ان تنال الامتياز لاستثمار املاح البحر الميت، العجيب الغريب فى الثروة المعدنية ومعظمها يدخل فى الصناعات الحربية[2]. وكثرت مساعى الدكتورة هومر فى هذا السبيل لدى الحكومتين البريطانية فى لندن، والفلسطينية فى القدس، ومن ورائها متمولون انكليز هم شركاؤها فى المشروع. وكادت الدكتورة هومر ان تنال الامتياز، لأنها قدمت احسن شروط، وقبلت هى من الحكومة البريطانية كل الشروط. لكن فى اللحظة الاخيرة، صارت حكومة لندن تتملص من موقفها إزاء الدكتورة هومر، وتغلق الأبواب فى وجهها، وبالتالى رفعت حكومة لندن البرقع عن محياها، واذا بها تعطى الامتياز الى الفريق اليهودى الصهيونى وكان ذلك بطريقة خفت فيها كرامة حكومة لندن. فجن جنون الدكتورة هومر. والقصة طويلة مليئة بالعبر، لكننا لم نأخذ منها هنا الا ما هو ضرورى لمساق كلامنا المتعلق بصلته ببروتوكولات حكماء صهيون.

واسهبت السيدة نيوتن فى التفصيل فى مذكراتها وهى تبسط جملة الحقائق. ومما قالته، وهو لا يشرف الحكومة البريطانية ، ان النقطة المهمة فى القضية كلها، ليس اعطاء الامتياز الى اليهود الصهيونيين، بل بالطريقة غير المستقيمة التى اتبعتها حكومة لندن وحكومة فلسطين، وهذه بنية تلك وظلها.

---

(١) كان أبرز شخصية صهيونية فى فلسطين أيام الانتداب يحاول التقرب من العرب تحت قناع هذا الحزب، وكان يعمل فى شراء الارض وهو من ابرز يهود روسيا فى أواخر القرن الماضى، وهو خريج جامعة مونبليه فى الزراعة وخاصة البرتقال.

(٢) قالت السيدة نيوتن (ص ٢١٢) ان الدكتورة هومر قدرت مادة البوتاس، دون غيرها من المواد، بأن فى الامكان التام امداد الاسواق العالمية بمليون طن كل سنة. من هذه المادة لمدة الفى سنة وهى تقدر ثروة مجموع الاملاح بمئات الملايين من الاسترليني.

نعم، نزلت باليهود سنة ١٩٢٩ ضربة ثورة البراق، التى أشرنا اليها، واولئك قتلاهم وجرحاهم، وهؤلاء قتلانا وجرحانا، لكنهم هم كانوا يعملون فى الوقت نفسه، العمل المتواصل العنيف لنيل الامتياز فنالوه(١).

فبين السيدة نيوتن واليهود الصهيونيين شد حبال من زمن طويل، كما علمنا، غير انه لما جاءت مسألةنيل امتياز البحر الميت سنة ١٩٢٩ امست (الصداقة) بين الفريقين لددا حادا. وهذا ما حصل مما له صلة بالبروتوكولات:

يظهر ان السيدة نيوتن من شدة حنقها على حكومة لندن وحكومة فلسطين، بعد الفشل فى نيل الامتياز، رأت ان ترفع طرف اللحاف قليلا ليرى بعض العرب ما تحته مخبأ من (البروتوكولات) فى بعض فصولها والرواية الواقعية مدهشة.

فقد دعت الى بيتها عددا من اصدقائها اهل القرى، وبعد ان احسنت استقبالهم جعلت تطلعهم، لقمة لقمة، على البروتوكولات وما تحتويه. وهذه الدعوة خاصة، والمنزل منزلها، وهى صاحبة الشأن فيه. ولعلها كانت تعتقد ان تسريب المعلومات عن البروتوكولات الى العرب بهذه الطريقة خير من اتباع اية طريقة اخرى. فأهل القرى هم ينقلون البضاعة بعدئذ الى سائر الجهات ، فيعمى الامر على الحكومة، وهؤلاء الاصدقاء لن يبوحوا بسر، فيطلع العرب على ما خفى عليهم حتى ذلك التاريخ ٣٢ سنة.

وهذا ما وقع: فبينما السيدة نيوتن فى مجلسها فى بيتها، تحدث هولاء الاصدقاء بأمر يقف منه شعر الرأس يسمعونه فى حياتهم لأول مرة، والكتاب بيدها، فاذا رجل يدخل بغير استئذان ودون ان يقرع جرس الباب، وهو يهودى ملئ الجسم، جميل اللحية، الصديق كلفرسكي! فبغتت السيدة نيوتن. اما هو فاعتذر اسخف اعتذار لمخالفته قواعد السلوك فى دخول المنزل. قال: انه يفتش عن اصدقاء له ظنهم انهم هنا. ثم انسحب، وهى من حنقها لم تأبه به دخولا ولا خروجا. ثم بعد قليل ارفض المجلس وتفرق الزوار. واصبحت السيدة حذرة.

وفى ثانى يوم، طلبت السيدة الى القدس، مركز الحكومة، لمواجهة السكرتير العام

(١) فى سنة ١٩٤٢ والحرب على اشدها، خطب احد اعضاء الوكالة اليهودية فى مؤتمر صحفى فى تل ابيب، ومما قاله: «فى فلسطين اليوم (١٨٠٠) صناعة دائرة الدواليب، والمال الموظف فى هذه الصناعات ١٤ مليون جنيه ينتج كل سنة من السلع ما قيمته مثل هذا المبلغ: والصناعات فى مدى خمس سنوات مقبلة، بحيث تصبح فلسطين اقوى مركز صناعى فى الشرق الاوسط: وقسم كبير من رأس المال القومى موظف فى مشروع البحر الميت وشركة الكهرباء الفلسطينية وانما بوسعنا تنمية عدة مشروعات اخرى كبيرة اذا استطعنا ان نضع فى فلسطين المواد الآلية اللازمة لمشروع البحر الميت!!! وان كلا من تركيا ومصر تنمى صناعاتها الكبيرة: فاذا شاءت فلسطين منافستهما فعليها ان تزيد من عنايتها بالصناعات: وانما بهذه الصناعات ؛ نستطيع اعداد الاسباب لقبول المزيد من المهاجرين لا بمئات الالوف بل بالملايين». وهذا الكلام سنة ١٩٤٢ فليتأمل العربى سنة ١٩٦٦ . اى وقت تأليف هذا الكتاب.

للحكومة، فحضرت، وهناك سمعت من العزل والتأنيب ما الله اعلم به. فعادت من القدس الى حيفا خائفة تترقب.

وقبل ذهابها الى القدس، كان الصديق كلفرسكى، قد اتصل بالكولونيل كيش رئيس المكتب التنفيذى للوكالة اليهودية هى الحكومة الصهيونية داخل حكومة فلسطين وبسط له ما رأى من امر السيدة نيوتن، وهى متلبسة بالجريمة فى بيتها، تحدث رهطا من اهل القرى العرب، عن البروتوكولات(١).

لكن الكولونيل كيش(٢) ذكر فى يومياته صفوة ما قام به كلفرسكى من الزيارة المفاجئة،

---

(١) وهنا ملاحظة فان السيدة نيوتن لم تذكر عن هذا الحادث شيئا فى مذكراتها. ولا ندرى السبب، اهو الخوف ام الحكمة ام شئ آخر. ومعلوماتنا عن هذه الواقعة، من مصدرين: الأول ما سمعناه من عدة اصدقاء عرب هم اصدقاء نيوتن فى الوقت نفسه، والآخر ما ذكره الكولونل كيش فى مذكراته Palcsine Diary.

(٢) هو فى العربية «قيس» وقد ورد هذا الاسم فى التوراة بعض الورود، وكان شاول وهو أول من جعل ملكا ممسوحا على اسرائيل، اسم ابيه قيس.

هو يهودى انكليزى، وكان ابوه من المنتمين الى منظمة «عشاق صهيون» ومن رجال هذه المنظمة من كانوا من هيأة اليهود العالمية الأسرية التى هى منبع البروتوكولات. فنشأ فى بيت غذاؤه فيه التلمود والصهيونية. وفى خلال الحرب العالمية الاولى قضى مدة ليست بالقليلة فى العراق وهو وقتئذ احد المهندسين الملكيين، فجرح، وبعد شفائه نقل إلى مكتب الاستعلامات البريطانية. ولما وضعت الحرب اوزارها، ندب ليكول فى باريز فى الظاهر خبيرا عسكريا لدى الرئيس ويلسون، وانما الصهيونيون هم الذين ندبوه وهؤلاء تسيرهم تعليمات اليهودية العالمية. وكان حول ويلسون ثلاثة يهود صهيونيين: القاضى برنديزى الاميركى المشهور وآخر تحت قناع مترجم اسمه «منتو»، وكيش هذا، وكان ويزمن قد اجتمع به فى جبل طارق فى خلال الحرب العالمية وكيش هناك فى مهمة تجسس. وفى سنة ١٩٢٢ اختاره ويزمن ليكون رئيس المكتب التنفيذى فى القدس فبقى فيه الى ١٩٣١ ثم استقال وسكن جبل الكرمل ونشر مذكراته التى عنوانها «يوميات فلسطين»، وفيما ذكر اشياء كثيرة عن العرب دلت على سخافة وسطحية مدهشة. والفرق بين مذكراته ومذكرات ويزمن ان كيش كقوس قزح، محلى المدى اعمى الهوى، ومذكرات ويزمن للخديعة العالمية على مستوى أعلى. وكنا نعرف كيش عن كثب معرفة لا بأس بها. ولما كان مولانا شوكت على الزعيم الهندى فى القدس يحضر المؤتمر الاسلامى (١٩٣١ - ٣٢) وقعت مقابلة بينه وبين الكولونل كيش فى «كلية روضة المعارف الوطنية» المجاورة لمكاتب المجلس الاسلامى الاعلى، وطلب منى مولانا شوكت على ورئيس المجلس الاسلامى الاعلى ان احضر هذه المقابلة ممثلا المجلس فحضرتها، فعرفت هذا اليهودى الصهيونى وروغانه. وكان موضوع البحث بين اكبر زعيم مسلم هندى وبين كيش احد قادة الصهيونيين فى فلسطين ومستقبلها وبعد ان خرج كيش من اللجنة التنفيذية بقى فى فلسطين حتى كانت الحرب الثانية، وكان يهم الصهيونيين أن ينتدبوا نفرا مختارا منهم للخدمة فى الجيش البريطانى فى البلاد العربية، لكن الغاية الخفية هى التجسس ومعرفة احوال البلاد ابتغاء الاستفادة من هذا فى يوم آت، وكيش احد هؤلاء، كما كان شأنه فى العراق فى الحرب الاولى كذلك كان شأنه فى شمال افريقيا فى الحرب الثانية، وكان فى تونس فى فرقة المهندسين الملكية، فقتل هناك فى نيسان (ابريل) ١٩٤٣ ولما كان فى باريز ملحقا بالرئيس ويلسون تحت اسم خبير عسكرى، كان عمله الحقيقى المساهمة فى صياغة معاهدات الصلح من جهة ويلسن. فانظر وتأمل!! =

كما ذكر خطورة الجناية التى كانت تجنيها السيدة نيوتن مما يسبب سفح الدماء فى فلسطين على رأيه، فذهب الى السكرتير العام للحكومة محتجا مطالبا بالاخذ على يد السيدة. وما عدا التأنيب الذى سمعته السيدة، فقد صدرت وقتها التعليمات السرية الى دوائر الامن العام فى فلسطين، ولا سيما شمالى البلاد حيث تقع حيفا، بأن عليهم أن ينتبهوا الى ما عسى ان يسمع من شائعات فى القرى العربية تتعلق باليهود، حتى اذا التقطت آذانهم على يد الجواسيس والعيون اى شائعة من هذا النوع فعليهم باطلاع القدس على ذلك فورا، درءا لوقوع ما يخل بالامن!

ومعلوماتنا التى اتينا بها هنا تتعلق بهذا الحادث مأخوذة من دفاترنا الخاصة، ومن عدة مصادر انكليزية اهمها مذكرات كيش نفسه ومذكرات ويزمن، ومعلومات اصدقائى العرب الثقات.

الثالثة: وقعت فى سويسرا منذ نحو ٣٣ سنة من تأليف هذا الكتاب وهى من جنس آخر:

فى سنة ١٩٣٣ بعد ظهور هتلر وتفكيكه هيكل اليهود فى المانيا، كما عرف العالم، طريق الصهيونيون فى سويسرا، وكانت الجبهة الوطنية السويسرية هى المقاومة للصهيونيين وفاضحة البرتوكولات. فلجأ الصهيونيون الى القضاء، لكن بعد ان نجحوا بوسائلهم المعلومة فى اكتساب القاضى المنفرد الى جبهتهم. وهم بهذا اصحاب خبرة وحذق.

سجلت الدعوى فى ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٣٣ وكان المدعون يمثلهم اتحاد الطوائف اليهودية فى سويسرا، بشخص مندوب الطائفة اليهودية فى مدينة برن. واختار اليهود خمسة

= وذكر كيش فى «يومياته» من حوادث ايلول (سبتمبر) ١٩٢٩ وقت ثورة البراق ما يلى ننقله بالحرف: علمت اليوم بالحادث التالى وهو يدل على نشاط الدعاية المعادية فقد دخل الدكتور أدر من أساتذة الجامعة العبرية، غرفة صاحب البيت الذى يسكنه، وصاحبه مسيحى عربى، فرأى بيده نسخة من بروتوكولات صهيون، ولما ابدى الدكتور استغرابه قال صاحب البيت ان هذا الكتاب انما وصل اليه من صديق له، واضاف انه علم ان هذا الكتاب يوزع على الجيش.

قلت: اكتفى كيش بهذا القدر من تدوين هذا الحادث السخيف من يومياته وكما قلنا سابقا إن هذه اليوميات محشوة بالسطحيات والاكاذيب المتعلق موضوعها بالعرب. ولا يفوت القارئ، وقد مر به حادث السيدة نيوتن، ان يلاحظ كيف يتفق ان يدخل كلفرسكى بيت السيدة بلا استئذان فى حيفا، واما فى حادث الدكتور أدر فى القدس فلابد من ذكر اشياء تدل على ما فى يوميات كيش من زور : اذا كان صاحب البيت يعلم خطورة الكتاب الذى كان بيده ولابد له ان يعلم هذا، وجاء جاره الدكتور أدر يزوره، واستأذن هذا فى الدخول، فلابد حينئذ ان يطوى صاحب البيت الكتاب الذى بيده قبل ان يدخل عليه الزائر. وإذا كان الجار أدر دخل بلا استئذان، وهذا ما نرجحه ، فالدخول من أجل التجسس، كما فعل كلفرسكى تماما. ولا نعتقد ان قول صاحب البيت انه علم ان هذا الكتاب يوزع على الجيش، صحيح. بل نعتقد ان هذا من اضافات كيش للتهويل، اذ لو كان صحيحا لذكر فى يومياته انه اكتشف شيئا عظيما فى نظره. وإذا صح ان الكتاب كان يوزع على الجيش فالذى يصنع هذا هو الجيش نفسه على غرار ما قال ديدز لويزمن فى بئر سالم ١٩١٨ ونعلم وكنا فى القدس مدة الانتداب كلها، ان بعض رجال اليهود كانوا يتعمدون السكنى فى اطراف الاحياء العربية لا فى وسطها وداخلها، من اجل التجسس وكان الدكتور أدر من ابرع اليهود والطفهم واكيسهم فى هذا الامر.

اعضاء من الجبهة الوطنية السويسرية هم الذين توجهت اليهم الشكوى بأنهم نشروا ما يسمى بروتوكولات حكماء صهيون وقالوا فى الشكوى ان هذه البروتوكولات تطعن على اليهود وتقدح فيهم. وطلبوا الحكم على الخمسة المدعى عليهم ، ومنع تداول الكراس ومصادرة نسخه التى فى المكتبات.

وكان يعرف اليهود انهم فى نهاية الشوط، لن يربحوا الدعوى، لكنهم عمدوا الى هذه الطريقة: فاستمالوا القاضى سلفا، وان يكن هذا سماعه غريبا يقع فى سويسرا، واستعدوا أن يستفيدوا من هذا الحكم بأن يذيعوا فى العالم عند صدوره ان المحكمة السويسرية قضت بأن البروتوكولات مزورة، ويملأ اليهود الدنيا بهذه الدعاية. وكانت هذه الدعوى هى الاولى والاخيرة اقامها اليهود، فى سويسرة ولم يقيموا دعوى مثلها فى اى بلاد اخرى بينما الموت حتما هو جزاء من توجد بحيازته نسخة من البروتوكولات فى روسيا وجنوب افريقيا حتى هذه الساعة.

وأخذ القاضى يتصرف من الابتداء تصرفه الشاذ. فسمع ١٦ شاهدا زورا مصطنعا قدمهم المدعون، منهم سيدة معروفة بقبح السيرة، وقد سبق ان حكم عليها بجرم التزوير وهذه جاءت شهادتها متناقضة محشوة بالأكاذيب. ومما قالته ان البروتوكولات وضعت بعد الحرب الروسية اليابانية سنة ١٩٠٥ بينما من الثابت المعلوم الذى لا ينكر، ان البروتوكولات أخذت تظهر فى روسيا قبل هذا الوقت بأربع سنين أو اكثر.

وبعد أن سمع القاضى الشهود المأجورين الستة عشر، لم يسمع من شهود الدفاع إلا اثنين فقط.

ومن شذوذه انه سمح للمدعين بتعيين كاتب اختزال على حسابهم قام بعمل كاتب الضبط لوقائع الدعوى بينما الواجب أن يقوم بهذا كاتب المحكمة الموظف.

وبعد تمطى الدعوى سنتين تقريبا، صدر قرار هذا القاضى بأن البروتوكولات مزورة «وكان صدور هذا القرار فى ٣٥/٥/٤. أما الصحف اليهودية فقد نشرت هذا القرار قبل ان ينطق به القاضى من على المنصة بعدة أيام.

فاستأنف المدعى عليهم الحكم، وهنا لم يستطع الصهيونيون التلاعب كما استطاعوه أمام القاضى المنفرد.

وفى نوفبر ١٩٣٧ أبطلت محكمة الجزاء العليا القرار جملة وتفصيلا، فباء الصهيونيون بالفشل الذريع والخزى العظيم.

٤ ـ الفضائح الثلاث الكبرى في العقد الأخير من القرن قبل الماضى

لم يكن العالم بدينيه السماويين المسيحية والإسلام، ولا العالم السياسى فى جميع القارات، يعلم شيئًا عن أوراق سرية رهيبة اسمها «بروتوكولات حكماء صهيون» قبل ١٩١٧، إلا فى روسيا القيصرية التى انتهى أمرها على يد اليهود فى تلك السنة؛ وحتى فى روسيا نفسها، فقد كان وقوف الناس على هذا وقوفا ضيق النطاق، محصورا برجال الحكومة وبعض رجال الدين وأفراد من الناس. والمدة التى كان فيها يعرف عن البروتوكولات فى روسيا معرفة محدودة، هى الواقعة بين ١٩٠١ - ١٩١٧. والصحف الروسية التى كتبت وقتها حول البروتكولات قد انعدم كل اثر لكتابتها.

ونبتدئ لا بأصل المنبع للبروتوكولات، بل من يوم انكشافها للعالم، وهذا الانكشاف ينبغى ان يعد أعظم ارث انكشافى بدأ فى العقد الأخير من القرن قبل الماضى، ثم انتقل الى القرن الماضى، ولن يكون لقصته انتهاء ما دام فى العالم بشر يقال لهم يهود «قباليون»، «تلموديون»، «ماسون» «صهيونيون»، والمادة كلها واحدة.

وشاءت الأقدار أن يشهد العالم فى العقد الأخير من القرن قبل الماضى ثلاث فضائح عالمية كبرى، تعاصرت فى الحضانة والتفريخ والامتداد، والثلاث هذه لليهود فيها حصة الأشد وبعضها كله لليهود، وهذه الفضائح هى:

فضيحة مشروع قناة بناما (١٨٩٢).

فضيحة الخائن اليهودى الكابتن درايفوس الفرنسى (١٨٩٤).

فضيحة «بروتوكولات حكماء صهيون» (١٨٩٧).

الأولى لليهود فيها يد خفية والثانية بطلها اليهودى الخائن الأكبر درايفوس. والثالثة كلها يهودية بل تمثل اكسير الخبث النامى على عروقه التلمودية مدة ألفى سنة.

٥ - السيد فيكتور مارسدن الصحافى البريطانى أول من عثر عليها سنة ١٩١٧

السيد فكتور ا. مارسدن، مراسل جريدة «المورننغ بوسط» البريطانية، كان يقيم فى روسيا ممثلا لجريدته، فأقام فى روسيا خلال الحرب العالمية الاولى، واتقن الروسية وتزوج سيدة روسية. لما وقعت الثورة البلشفية ١٩١٧ كان نشيطا نشاطا فوق الحد فى موافاة الجريدة بأنباء الانقلاب والثورة، وأعمال الثورة ومجرى تقلبها.. لكن لم يطل به الأمر وهو على هذا النشاط، حتى قبض عليه وطرح فى السجن، فى عهد «كيرنسكى». ويقى مارسدن فى سجن «بيتروبول» سنتين. فلما أخلى سبيله وسمح له بمبارحة روسيا الى بلده، كان المرض قد علق ببدنه، ووهنت قواه. لكنه، وهو المراسل الخبير، استطاع ان يخفى فى امتعته كتابا فى الروسية مؤلفه العالم الارثوذكسى التقى البروفسور «سرجى نيلوس». نيلوس عالم بحاثة، وهو من رجال الكنيسة، غيور علي الارثوذكسية وروسيا معا.

مارسدن، لما تحسنت حالته الصحية فى لندن، عكف على ترجمة الكتاب الذى نقله سرا من روسيا، فاذا بهذا الكتاب هو الذى ما اصطلح على تسميته فيما بعد «ببروتوكولات حكماء صهيون». وتعب مارسدن فى ترجمته وعانى كثيرا لأن العبارات العبرية باصلها محبوكة حبكا وثيقا، وهى كحجارة الفسيفساء فى احتشاد بعضها الى بعض. ومما زاد فى صعوبة الترجمة، دقة المقاصد وجهنمية الغايات والأهداف. وتخبرنا التفاصيل التى تمحصت الى اليوم وتبلورت، ان مارسدن قام بهذه الترجمة فى مكتبة المتحف البريطانى فى لندن، ملتزما الصمت والسكون، حتى تم له ترجمة البروتوكولات، وهى ٢٤ فصلا، واقعة فى نحو ٨٥ صفحة انكليزية من القطع المتوسط والحرف الصغير، ماعدا المقدمة والفهرس.

هذا سنة ١٩١٩ والعالم خارج من معمعان الحرب الاولى، ومؤتمر الصلح فى باريز محوطا بالخبراء والتراجمة والامناء اليهود من قبل حكماء صهيون، ينعقد لا لعقد صلح شريف يكفل السلم فى العالم الى أمد بعيد بل للتحكم الانتقامى بالمغلوب، وبالامم الضعيفة فى العالم العربى والعالم الاسلامى وافريقيا، والوصول الى هذه الغايات وهى:

١ - تفكيك المانيا واستنزاف قواها.

٢ - الاتفاق على تجزئة الامبراطورية العثمانية عامة وتوزيع ارثها.

٣ - الاتفاق المهم على اقتسام الاقطار العربية خاصة، المنفكة عن الامبراطورية العثمانية.

٤ - استلال فلسطين من الاحبولة كلها وتهيئتها لتكون الوطن القومى اليهودى.

فى هذا الوقت نفسه كانت البلاد العربية على هذه الاوضاع ١٩١٩: -

١ - مصر منغمسة فى ثورتها الوطنية العارمة، تحت لواء سعد زغلول، تريد حريتها واستقلالها، وكانت مفروضة عليها الحماية البريطانية منذ ١٩١٤.

٢ - العراق، شأنه كشأن مصر فى الثورة على الانكليز يريد حريته.

٣ - سوريا والاردن، وكانا وقتئذ بلدا واحدا، بين فكى الكماشة، فرنسا وبريطانيا.

٤ - لبنان تحت الاحتلال الفرنسى.

٥ - فلسطين، تحت الاحتلال البريطانى. وكان وعد بلفور قد اخذ طريقه الى غاياته بالحراب البريطانية.

٦ - الجزيرة العربية، تتمخض تمخضا شديدا لعراك انتهى آخر ١٩٢٤ باستيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز ثم على عسير حتى تم للبيت السعودى بعد عدة سنين ان يجعل معظم الجزيرة منضوية الى ملكه.

٧ - اليمن، فى حكم الامام حميد الدين، منكمشا، مقمطا وهو يخشى بريطانيا وايطاليا.

٨ - السودان، تحت الاحتلال او الحكم الثنائى المصرى - البريطانى منذ ١٨٩٨.

٩ - ليبيا، وقد شرعت تعرف بهذا الاسم الجديد بدلا من طرابليس وبرقة، وقد انفصلت عن الامبراطورية العثمانية نتيجة الحرب الاولى.

١٠ - اما تونس والجزائر والمغرب، كل هذا كان يدور فى أفلاكه المحلية مع فرنسا، والصلة قليلة جدا بين هولاء الشقيقات والمشرق.

١١ - وكانت اطراف الجزيرة تهيمن عليها بريطانيا، وكانت الكويت فى الطريق الى ان تقبل على الوجود الحديث بالبترول، لكن بعد عدة عقود.

ومثلها البحرين وقطر وسائر امارات الخليج العربى. وعلى الجملة كان العالم العربى مفكك الاوصال لكنه يتمخض تمخضا شديدا عن ثورات دامية بعد قليل.

٦ - وضع البلاد العربية ١٩١٩ وعصبة الأمم

فى هذا الوقت نفسه، كانت «عصبة الامم» قد أنشئت لتسيطر على الارث العالمى الجديد، ونقطة بيكاره الاقطار العربية، وانشاء الوطن القومى اليهودى فى «فلسطين». وتسيطر بريطانيا وفرنسا على «العصبة»، لكن اليد الخفية هى الصهيونية، ومن ورائها اليهودية العالمية.

لم يخف على اليهودية العالمية ان العالم العربى الجديد قد اقتسمه الدولتان «المنتدبتان» واحتلتاه وضيقتا عليه مسالك الحياة، وقد يبقى العالم العربى وقتاً طويلا وهو يتحرك، ويستيقظ، ويتمطى، ويتحفز، ويغالب المستعمر المحتل، والتخلف الموروث من العهود القديمة داخل حدوده، قبل ان يستطيع ان يثبت قدرته على الوجود الحديث، وقبل ان تعرف فى النصف الاول من هذا القرن «الامة العربية» بالمعنى الصحيح. فكان مخطط اليهودية العالمية ان يبطش وعد بلفور بفلسطين ويعقم حياة العرب فيها، فى خلال فترة الاستيقاظ والتمطى. فلا يتكامل ذلك او يشتد عصبه، إلا والوطن القومى قد بلغ من القوة ما يكفيه ليمشى بعد ذلك وحده.

وكان هناك خطر من العرب على الوطن القومى بعيد الحرب الاولى، وكان هذا الخطر شاغلا بال اليهود الى حد بعيد. ذلك الخطر هو ان تقوم للعرب دولة فى سوريا قاعدتها دمشق. ووجه الخطورة فى هذا الخطر من وجهة نظر اليهود، لا كون الحكومة العربية الهاشمية التى أنشئت فى دمشق فى خريف ١٩١٨ هى حصيلة الثورة العربية التى باشرها الحسين بن على فى سنة ١٩١٦ وانتهت بعد سنتين ونصف، من جهة سوريا، بانشاء الحكومة العربية التى كان على رأسها فيصل بن الحسين. كلا. فسياسة الحسين بن على وسياسة ابنائه تدور فى الفلك البريطانى. وانما رأى اليهود احتمال الخطر أن يستوسق الامر للعرب العقلاء المسؤولين عن تجديد كيان الامة العربية، فى دمشق . فاذا قامت دولة عربية فى دمشق فى سنة ١٩٢٠ فكيف ينام الوطن القومى فى فلسطين قرير العين. فلما وصل غورو الى دمشق طربت اليهودية العالمية وأمنت جانب العرب، وبهذا انفطام لآمال العرب التى كانوا يعلقونها على الثورة وثمراتها. ولليهود رقصتان كبيرتان، الاولى يوم دخل غورو دمشق ١٩٢٠ والثانية ليلة التقسيم ١٩٤٧.

الدكتور ويلسون رئيس الولايات المتحدة، تلقى من لويد جورج، ومن ويزمن نص ما اتفق عليه من عبارات وعد بلفور، فوافق على ذلك وباركه، قبل ان يصدر الوعد رسميا فى ٢ نوفمبر ١٩١٧. اما فرنسا وايطاليا، فانهما وافقتا عليه بعد اصداره ، وكان المتفق عليه سابقا بين

الحلفاء ان تكون فلسطين دولية. فلما انتهى التفاهم على وعد بلفور، فوضت لندن الى ويزمن وسوكولوف فى امر استجلاب فرنسا وايطاليا الى الموافقة. وقد كان ذلك.

وكان للدكتور ويلسون ، مع موافقته على وعد بلفور، مخطط سلمى واسع، فأراد إبطال المعاهدات السرية، وإطلاق الحق للشعوب الضعيفة فى اختيار المصير، وان تكون «الانتدابات» مجرد إرشاد ونصيحة الى مدة موقوتة، ونزع السلاح، وتقوية «عصبة الأمم»، وهى بالأصل فكرته، لتكون الفيصل فى المنازعات والمعضلات. فلما لم يوافق الشعب الأميركى سنة ١٩٢٠ على أن تنغمس اميركا فى شؤون اوربا، قضى على مخططه ولم يعد الى اوربا، وانتهت رياسته ١٩٢١ وتوفى ١٩٢٤. وبقيت العصبة حية تسعى، لكنها هى عصبة:

١ - بريطانيا وفرنسا.

٢ - واليهودية العالمية من وراء ستار.

لا يظنن القارئ ان هذا الكلام كله هو من الاستطراد الذى يخرج بنا عن الصدد. كلا. فان رقبة الكلام «بروتوكولات حكماء صهيون» ، ووعد بلفور هو «ورقة المرور». وهذا كله عند اليهود قضية واحدة: العمل نحو الغاية.

٧ - «الأربعة الكبار» فى مؤتمر الصلح ١٩١٩ فى نطاق يهودى

عند ذكر قصة السيدة البريطانية، فرانس نيوتن، والكولونيل اليهودى كيش، وكلفرسكى، ذكرنا مجمل سيرة كيش هذا، وانه كان فى باريز من أدوات اليهودية العالمية، وساهم فى صياغة معاهدات الصلح، مع ان صفته الظاهرة هى «خبير عسكرى» ملحق بوفد الرئيس ويلسون الاميركى، وكيش بريطانى، افليس عند ويلسون من الأمر كان مثل كيش حتى يأتى به من غير ابناء أمته؟ نعم، عنده مئات لا عشرات، لكن الذى اتى بكيش لا ويلسون، بل براندیزی القاضى اليهودى الأميركى، واليهودية العالمية. ولما قدم ويزمن مذكرة مسهبة سنة ١٩١٩ الى مؤتمر الصلح يطلب حدود فلسطين ان تكون واصلة فى لبنان الى قرب صور مع جبل الشيخ، وان تكون واصلة فى سوريا الى قرب درعا ومن هناك على محاذاة سكة حديد الحجاز الى العقبة، كان كيش هذا من العاملين على ترويج المطالب بكل وسيلة مستطاعة. اليهودية العالمية فى العمل لمخططها لسانها البروتوكولات، فعلمنا اذا شئنا تصحيح معلوماتنا او التوسع فيها، قدر الامكان.

* * *

اليك مثالا مهما، يريك «لوحة» واحدة من لوحات أدوات اليهودية العالمية فى باريز سنة ١٩١٩ و ١٩٢٠ والعالم العربى وقتئذ فى جراحاته ومخاضه.

«الاربعة الكبار»، لفظ شاع فى تلك الغضون، وبه يراد رؤوس عصبة الامم الذين بيدهم المقادة والأعنة. وهؤلاء هم ويلسون (اميركا) ولويد جورج (بريطانيا) وكليمنصو (فرنسا) واورلندو (ايطاليا). فانسحب ويلسون، وايطاليا رتبتها فى القضية ثانوية، فبقى من ينطبق عليه القول: «حاميها حراميها»، واليهودية العالمية. وكان مع لويد جورج سكرتير يهودى اسمه ساسون. ولندع هذا على الرف لأن لويد جورج هو مع بلفور معطى الوعد الملعون، وكان لكليمنصو سكرتير اسمه مندل روتشيلد، ثم اقتصره على مندل. ونأتى الى الرئيس ويلسون لنعلم من كان حوله ممن هم لباب العقيدة اليهودية الصهيونية.

الدكتور ويلسون فى باريز كان حوله ثلاثة يهود:

١ - القاضى الاميركى برنديزى المشهور، وهو الابرة المغنطيسية فى دماغ ويلسون. ويزمن يشبهه «بابراهام لنكولن». وكان برنديزى زار فلسطين ١٩١٩ واطلع على البلاد

واحوالها، واسلوبه فى العمل الاسلوب الاميركى، بينما اسلوب ويزمن اسلوب اليهودى الروسى.

٢ - مترجم يهودى لم يعرف إلا باسم «منتو» وما كان يحب ان يعرف بأكثر من هذا، كأنه بلا أب ولا أم.

٣ - كيش «او قيس» الذى مر بك خبره.

وهؤلاء جميعا، يرمون عن قوس واحدة، بسهام مختلفة، الى هدف واحد.

هذه لوحة من أثر «البروتوكولات» وسيأتى المزيد من هذا.

فلما ظهرت البروتوكولات سنة ١٩١٩ كانت المرحلة التى يجتازها اليهود بمخططهم دقيقة للغاية. واذ قد استوفينا بايجاز وصف أوضاع العرب فى تلك الفترة، فلنعد الى قصة المستر مارسدن الذى ترجم البروتوكولات لأول مرة.

***

٨ - رواية أخرى لظهور البروتوكولات وفضل العالم نيلوس

وقفنا بمارسدن عند فراغه من ترجمة البوتوكولات فى مكتبة المتحف البريطانى ونمضى فنقول ان بعضهم يعتبر هذه الرواية هى الواقعة المرجحة تمثل كيفية خروج البروتوكولات من الظلمة الى النور، بعد عمل نيلوس.

غير ان هنالك رواية اخرى ذات وزن، وهى ان السيد مارسدن قبل ان يتوجه الى روسيا منتدبا من المورننغ بوسط سنة ١٩١٧ كما سبق له الذهاب إلى روسيا من قبل، والآن وقعت الثورة البلشفية ، لفت نظره الى ان فى المتحف البريطانى كتابا يبحث فى مخطط يهودى بلشفى، ونصح بالاطلاع عليه قبل ان يبرح لندن توسيعا لمعلوماته وتزودا بها، وروسيا اصبحت فى خضم من دم. فاطلع عليه وعلم اى كتاب هو، لكن ترجمه بعد عودته من روسيا. هذا الكتاب هو نسخة بالروسية من البروتوكولات، مطبوعة فى روسيا ١٩٠٥ ودخلت مكتبة المتحف البريطانى سنة ١٩٠٦. هذه الرواية الثانية لكيفية وصول مارسدن الى النسخة الروسية لا تغير من الجوهر شيئا وانما اوردناها زيادة فى بسط المعلومات لا اكثر. وتبقى الحقيقة الموجزة هى هذه.

١ - الفضل لسرجى نيلوس فى ترجمتها من العبرية إلى الفرنسية اول هذا القرن.

٢ - والفضل لمارسدن فى ترجمتها الى الانكليزية بعد ذلك.

والترجمة الانكليزية التى لدينا لمارسدن، ظاهرة الدقة ونقاوة التحرير وهى الوحيدة المعتمدة، ويجوز ان لحقها شئ طفيف فى متوالى الطبعات بعد ١٩٢٠ من تبديل لفظة بلفظة او عبارة بعبارة، ابتغاء المزيد من الجلاء.

وعاود المرض مارسدن بعد سنتين، فمات عليلا من أثر ما ناله من الشدة وهو فى سجن بيتربول، وزاد فى امر علته ما انكتب عليه من عمل وهو يترجم البرتوكولات. فعمله هنا وهو خدمة للانسانية، يفوق فى نظرنا ما عمله فى كل حياته فى سبل أخرى، ونعتقد أن العالم العربى كلما استيقظ وتنبه الى هذه المكيدة اليهودية الكبرى، تذكر فضل هذين البطلين: نيلوس الروسى، ومارسدن البريطانى.

ولنوجز خبر نيلوس ليكون ذكره لدى القارئ مقرونا بذكر مارسدن فهو ينتمى الى رجال الدين فى روسيا، ووصف بخوف الله وحبه البحث العلمى وغيرته على الارثوذكسية والمسيحية. وسنة ١٩١٧ كان قد اعد طبعة جديدة من كتابه هذا، فوقعت الثورة، وجاء عهد

كيرنسكى، فصدرت الاوامر المشددة بمصادرة الكتاب وإحراقه، وذلك قبل ان يوزع على المكاتب ثم بعد قليل اعتقل الرجل وسجن، وعذب، ثم نفى الى فلاديمير، وقضى نحبه هناك فى منفاه فى ١٩٢٩/١/١٣ بعد مارسدن بعدة سنين ولا نعلم اى شئ من حياته، قبل النفى ولا بعده غير هذا. ولكننا نعلم انه ذهب بين ايدى اليهود ضحية ما ترجم من البروتكولات.

هذا ما جمعه البحاث البريطانيون من معلومات تبين وصول أوراق البرتوكولات الى نيلوس:

ذكر نيلوس فى مقدمة كتابه الذى نشره فى روسيا، وفى هذا الكتاب فصل عنوانه «بروتوكولات حكماء صهيون» ان صديقا له، لم يذكر اسمه، دفع اليه قبل نحو ٤ سنوات اوراقا يعتقد ذلك الصديق انها ترجمة صحيحة لوثائق أصلية سرقتها سيدة من زعيم ماسونى كبير فى نهاية اجتماع ماسونى عقد فى فرنسا، (وفى فرنسا عش المؤامرات الماسونية). نرى هنا ان صديقا من أصدقاء نيلوس فى روسيا دفع اليه الأوراق، ودون ان نسأل هل تلك الاوراق مسروقة بحسب هذه الرواية، او انها وصلت بطريقة اخرى الى نيلوس بواسطة ذلك الصديق، فما هى اللغة المكتوبة بها الأوراق؟ اذا كانت عبرية، فيلزم ان نيلوس كان يعرف العبرية، واذا لم تكن بالعبرية، أفكانت بالروسية؟ فاذا صح هذا فليس لنيلوس إذا إلا فضل الدراسة والتعليق. واذا كانت وصلت اليه لا بالعبرية ولا بالروسية، فيلزم ان تكون بلغة اخرى كالفرنسية مثلا. وفى رواية اخرى ان أليكس نيقولافتش، من رجالات روسيا البارزين، هو الذى كلف نيلوس بالنظر فى الاوراق او ترجمتها بعد ان اطلعه عليها ودفعها اليه. والكتب الانكليزية التى تبحث فى البروتوكولات وسيأتى ذكرها عما قريب، لم تعلمنا من هو السيد الروسى ذو المقام المرموق. ولعل انغلاق الابواب لم يمكن من معرفة هذا او ان الدراسة الكافية لم تتوفر للموضوع بعد ١٩١٧.

* * *

٩ - الرواية الثانية التى اعتمدها «سكوت»

هناك رواية ثانية، اعتمدها الكاتب لفتننت ج. ك. سكوت فى كتابه «الحكومة الخفية» الصادرة طبعته الثالثة سنة ١٩٦٠ (الطبعة الاولى سنة ١٩٥٤) وهى على ما ذكره سكوت ومع ما جمعناه من مصادر انكليزية اخرى، كما يلى:

بعد ذيوع محاكمة الضابط درايفوس الخائن اليهودى الفرنسى فى باريز ١٨٩٤ وانقلاب هرتزل من يهودى اندماجى، او من لا صهيونى، الى صهيونى ازدادت حركة «عشاق صهيون» فى روسيا نشاطا سياسيا خفيا، وكان الحكم على درايفوس بالتجريم والخيانة والسجن والنفى الى جزيرة نائية والتجريد من الشرف العسكرى، محركا لليهودية العالمية. وكان هرتزل مهتما بوضع كتابه «الدولة اليهودية» الذى نشره بالالمانية ١٨٩٦ . وكان اليهود قد ضاعفوا جهودهم الخفية لدى القيصرية الروسية بعد مقتل القيصر اسكندر الثانى (١٨٥٥ - ١٨٩٤) اشد التدابير ضد اليهود فجعلوا يهاجرون الى الأمريكتين ومن هنا اخذت منظمة «عشاق صهيون» تهتم بأمر الهجرة الى فلسطين . ولما جاء القيصر نقولا الثانى (١٨٩٤ - ١٩١٧) وكان هو آخر القياصرة، وقتله اليهود فى قصته المشهورة سنة ١٩١٧، كان هذا القيصر ضعيف الارادة فاخذت النقمة تشتد عليه فى روسيا حتى كانت الثورة والحرب مع اليابان فى العقد الاول من هذا القرن. ولعل اليهود أطمعهم ضعف القيصر نقولا، فعزموا على توسيع مخططهم. لكن كانت حكومة القيصر يقظة حذرة، بمقدار ما كانت بطاشة فتاكة بغير هوادة.

ومن مخطط هرتزل سنة ١٨٩٧ ان يعقد المؤتمر اليهودى العالمى فى بازل (سويسرا) فانعقد وكان هذا المؤتمر يستر عمله بجلسات سرية.

وطبعا درت حكومة القيصر بما يبيت لها اليهود فصممت من ناحيتها على ان تبطش اذا امكن، فماذا فعلت؟

انها اختارت عصبة مكينة من مهرة الجواسيس الروس المجربين، وانفذتهم الى «بازل» متنكرين. واتقنوا الخطة كل الاتقان. وبينما المؤتمر منعقد فى جلسة سرية، اقتحمت عصبة الجواسيس الروس القاعة اقتحامة الضوارى وهبوا على المؤتمرين كالصاعقة، وهؤلاء كما يقال، من المصادر اليهودية ، بين ٢٥٠ - ٣٠٠ ممثل، وكلهم رجال الاقتصاد والمال واساطين الفكرة اليهودية فذعروا ورأوا أنفسهم فى لحظات ان قد احاطت بهم اسوأ هلكة، فطلبوا السلامة والنجاة بنفوسهم واوراقهم، وانذعروا كالارانب، وفى لحظات ايضا جالت عصبة المقتحمين جولة خاطفة فجمعت ما استطاعت جمعه من الاوراق المنشورة على المناضد، وخرجت وتوارت عن الانظار، دون ان تلحق اى اذى «باشخاص» المؤتمرين. وانتهى كل هذا قبل

ان يصل احد من رجال الشرطة الى محل الحادث.

ثم انتهت هذه الاوراق الى بطرسبرج، وهناك نخلت ومحصت، فعثروا على الاوراق التى تحتوى «البروتكولات». هذه الرواية الثانية. ويرجح اكثر البحاث ان هذه الرواية هى الصحيحة. واذا كانت هى الصحيحة فتكون الاوراق انتهت الى الحكومة الروسية بالعبرية، الا اذا كان واضع البروتوكولات قد وضعها بلغة غير العبرية، كالفرنسية مثلا، ولما كان اليهود حريصين على مصطلحاتهم العبرية، منذ استعمل واضع البروتوكولات كلمات عبرية، فقد حافظت عليها الترجمة الروسية، واقتفت اثرها الترجمة الانكليزية، ونحن هنا كذلك، وهما لفظة «غويم» او «جويم» وهذه عند اليهود يعبرون بها عن غير اليهود ولكنها الى التحقير اقرب، اذ ورد فى البروتوكولات الفاظ «الحيوانات» و«الماشية» بمعنى «الغريم»، والمعنيون بهذا خاصة اهل اوربا. واللفظة الاخرى العبرية هى «اغنتير» او «اجنتير» ومعناها يتعلق بالسياسة. ومهما يكن من امر يتعلق بكيفية وصول الايدى الروسية الى هذه الاوراق، قد انتهت الى نيلوس كما تقدم.

ويؤخذ من عبارة نيلوس التى قالها سنة ١٩٠١ من ان الاوراق دفعها اليه صديق له منذ اربع سنين سابقة، ان تلك السنة هى التى انعقد فيها المؤتمر ١٨٩٧ ويكون نيلوس قد صرف فى دراستها وترجمتها الى الروسية اربع سنين.

وقال سكوت صاحب «الحكومة الخفية» ان مداهمة العصبة الروسية القيصرية كان فى اليوم الثانى او الثالث لانعقاد المؤتمر، حسب تقديره، غير اننا نحن نعتقد من التدقيق الذى قمنا به ان المداهمة، اذا صحت، كانت بعد اليوم الرابع او الخامس، لوجود قرائن فى نصوص البروتوكولات تدل على عدة أيام مضت قبل المداهمة اكثر من يومين أو ثلاثة.

* * *

١٠ - المتهم بوضع البروتوكولات
اشر غنزبرغ المشهور باسمه القلمى «احدها عام»

هل واضع البروتوكولات فرد ام جماعة؟ ومن هو اذا كان فردا؟ ان ما اجمع عليه البحاث الغربيون ان هذه البروتوكولات اعدها قبل انعقاد المؤتمر احد كبراء اليهود، اذ نفسها نفس واحد، لتقرأ فى المؤتمر وتقر لا لتنشر، بل لتكون بمثابة دستور يستنير به العاملون من اليهودية العالمية. ولا يراد توزيعه حتى على خاصة اليهود.

وبعد ان ترجمت البروتكولات الى الانكليزية، وجعل الكتاب يخوضون فى امرها، اتجهت التهمة الى اكبر مفكر عندهم، هو اشر غنزبرغ من اودسا، وهذا الرجل هو بمثابة استاذ روحى لويزمن، وويزمن يعترف باستاذية غنزبرغ عليه. اعترافا كله مباهاة وافتخار واكبار.

وما هى القرائن التى يلاحظها المدقق اشارت الى اشر غنزبرغ؟ ولابد ان تكون هذه القرائن قائمة واضحة، والقرائن، ولا سيما المقنعة المعقولة، تقوم مقام البينات المحسوسة فى مثل هذه الحال. ويبدو ان التهمة توجهت الى اشر غنزبرغ بعد اجتياز مرحلتين فى التدقيق عند الكتاب الاوربيين، وهما:

اولا: نخل ادمغة كبراء اليهود فى الربع الاخير من القرن الماضى، وحصر من يتعلق بهم الاحتمال ان يكونوا هم الواضعين للبروتوكولات ، بأقل عدد ممكن.

ثانيا: دراسة هؤلاء فى كتبهم المنشورة، ودراسة اتجاهاتهم ومذاهبهم الفكرية السياسية، ونوع نشاطهم، ومستواهم فى كل ذلك، وتأثيرهم فى توجيه التيارات اليهودية، والفرق بين كل واحد من هؤلاء وآخر.

ولما وقع يهود روسيا فى الضنك، بعد ان اغتيل القيصر اسكندر الثانى سنة ١٨٨١، وتوجهت التهمة الى جمعياتهم الارهابية السرية، وهى جمعيات على نحو ما رأى عرب فلسطين منها فى فلسطين منذ ١٩٢٠ ولا سيما منذ ١٩٤٢ فصاعدا، اتسع تفكير كبراء اليهود فى الوصول الى غايتهم، وازداد نشاطهم الارهابى الخفى، فالذين عنوا بنخل الادمغة اليهودية ليستجلوا من هو الاقرب منها الى التهمة ، ولا ريب انهم فعلوا ذلك على ضوء روح البرتوكولات، وشمولها، وغايتها، فظهر من هذا الربط بين روح البروتوكولات وبين من عساه ان يكون هو الواضع، ان الذى ينطبق عليه ذلك اكثر ما يمكن بالقرائن هو اكبر مفكر عندهم، اشر غنزبرغ.

* * *

١١ـ من هو «احدها عام»؟
أستاذ ويزمن الروحى

ومن هو هذا الرجل الخطير فى مخططه وغايته؟

١ - انه برز اول ما برز فى البيئة اليهودية كاتبا ناقدا عميق الفكرة، واختار اسما قلميا احدها عام وبهذا الاسم عرف فى كل حياته فيما بعد.

٢ - وغنزبرغ يهمه امر الاسس، والغايات، وصحة الاساليب، ولا تهمه الجزئيات.

٣ - لم يكن متفقا مع هرتزل فى اساليب العمل نحو الغاية. حضر المؤتمر الصهيونى العالمى الاول ١٨٩٧ لكنه كان صاحب رأى مستقل غير منسجم مع رأى هرتزل.

٤ - يقول اشر غنزبرغ ان بعث اليهود فى هذا العصر، يجب ان يستند الى بعث الروح اليهودية العنيفة، كالروح التى نمت فى التيه على يد موسى ويشوع، وانما بهؤلاء الذين كانوا الجيل الثانى بعد الخروج من مصر، استطاع يشوع دخول فلسطين من جهة اريحا بعد عبور الاردن من جهة الشرق، ولولا ما تشبع به بنو اسرائيل من روح الاقتحام والفتك، لما استطاعوا دخول فلسطين من شرق ولا من غرب، وربما بقوا فى التيه وأكلتهم الصحراء وفنوا.

٥ - فعنده انه يجب خلق روح الاقتحام اولا، وهذا يعقبه العمل للوصول الى ارض يجتمع فيها اليهود. اما هرتزل فمخططه الارض اولا، ولو فى شرق افريقيا، ثم التدرج الى فلسطين، ثم عاد هرتزل فوضع فلسطين نصب عينيه توا.

٦ - ومع ان هرتزل مضى بعد مؤتمر ١٨٩٧ بخططه حتى مات ١٩٠٤ فقد بقى اشر غنزبرغ يعمل على طريقته من خلق روح الاقتحام وهذا معناه الدم والسيف والتدمير والهيئات السرية وما الى ذلك ووضع الرجل كتابين من اجل تحقيق غاياته، وانشأ منظمة بنى موسى لتخريج عدد من الشبان اليهود كل سنة، يحملون روحه وعقائده. وويزمن انتهى الى ان يكون احد تلاميذه.

٧ - ولبيان الفرق بينه وبين هرتزل، فان هرتزل بعد وضعه كتابه الدولة اليهودية وعقده المؤتمر ١٨٩٧ صار يبنى خطته على نقطتين: الهجرة الواسعة النطاق، وامتلاك ارض يكون اليهود فيها احرارا. فلذلك، هو لم يعارض اول الامر فى ان تكون هذه الأرض فى الارجنتين او شرق افريقيا ، لكنه عاد فتمسك بفلسطين، لما هب فى وجهه يهود روسيا يطلبون فلسطين لا غيرها، فكان له إما ان يذعن واما ان يستقيل فاذعن، وفى اثناء المؤتمر افترعت منه سيدة

يهودية، وقالت له وهو نازل من على المنبر: يا خائن! ويرجح ان هذه السيدة كانت مدفوعة من الفئة التى كان يقودها ويزمن الشاب فى المؤتمر. اما ويزمن فأخذ من الاثنين: الروح الاقتحامية من احدها عام والهجرة الواسعة وامتلاك الارض من هرتزل. واول من زرع هذه العقائد فى فلسطين بعد الحرب الاولى جابوتنسكى استاذ مناحيم بيغن وشترن وسائر العاملين فى صناعة الإرهاب والدم والتدمير.

٨ - والارهاب الذى قام به اليهود فى فلسطين فى خلال الحرب الثانية من ١٩٤٢ فصاعدا وظهور عصابة المنظمة القومية العسكرية (ارغون زفاى ليومى) يرأسها الارهابى مناحيم بيغن السفاك المشهور، ثم من هذه العصابة اشتقت وظهرت عصابة فرعية يرأسها السفاح شترن كل هذا ينطبق كل الانطباق على مخطط احدها عام. ثم كانت مذابح ١٩٤٨ الوحشية قام بها هؤلاء المناكيد، فكانت تحمل الروح نفسها. وكذلك جميع المذابح الاخرى، بعد مذبحة دير ياسين ، وطبريا، وناصر الدين ، (١٩٤٨) جاءت مذابح وادى عربة (١٩٥٠) ومذبحة شرفات (١٩٥١) ومذابح عيد الميلاء فى منطقة بيت لحم (١٩٥٢) ومذبحة قبية (١٩٥٣) ومحاولة تدمير مخالين (١٩٥٤) ومذبحة الاطفال فى وادى فوكين ودير ايوب (١٩٥٤) والهجوم البربرى على غزة (١٩٥٤)، والهجوم المركز على خان يونس (١٩٥٥) ثم تكرر الهجوم على غزة ١٩٥٦ ثم المذبحة الرهيبة فى كفر قاسم آخر ١٩٥٦ ليلة الهجوم الثلاثى على سينا، ثم عدوان اليهود على قرية التوافيق (١٩٦٠) ثم على قرية النقيب (١٩٦٢) ثم تكرار العدوان على قرى «المثلث» ثم على الاردن وسوريا، كل هذا يحمل روحا واحدة وعقيدة احدها عام.

٩ - وهناك نقطة فى غاية الخطورة، وهى ان الوكالة اليهودية ايام الانتداب الى ١٩٤٨ ثم اسرائيل بعد ذلك، وكلتاهما واحد، كانتا دائما وراء حوادث تخطيط الارهاب وتنفيذه، واوسع هذا المجازر كشفا عن هذا، مذبحة كفر قاسم. فهذه الروح سارية فى المنظمات الصهيونية، ولما انقلبت تلك المنظمات الى اسرائيل او اندمجت فيها، صارت عقائد الوحشية تسلك الى غاياتها مؤيدة فى ذلك من المنظمة الكبرى او ما يسمى اسرائيل.

* * *

نبت ونشأ احدعام - وهو يعرف بهذا الاسم كما قلنا، معرفة استغرقت اسمه الحقيقى اشر غنزبرغ - فى مدينة اودسا (على البحر الاسود فى اقليم اوكرانيا، واودسا دائما موئل اليهود فى العنف والارهاب منذ قرون).

ولد سنة ١٨٥٦ فهو اكبر من هرتزل باربع سنين، ومات فى تل ابيب سنة ١٩٢٧ فعاش بعد موت هرتزل (١٩٠٤) ٢٣ سنة. ولما جعل يشتغل فى الحركة اليهودية كان شائعا وقتها مذهب الاندماج - ان يندمج يهود كل بلاد بأهل تلك البلاد التى يقيمون فيها. مجتمعا ولغة

وثقافة واتجاها، ولا تبقى العبرية الا لغة الصلاة - فنبذ هذا الاتجاه وصار يحمل عليه حملات شعواء. أما هرتزل فقد كان فى اول امره اندماجيا لكنه تحول عن هذا بعد محاكمة درايفوس الخائن اليهودى، الى الصهيونية السياسية المكشوفة.

وسيطر احدها عام بمقالاته العميقة الروح والدعوة ، على التيار الروسى فازداد قوة اجتذاب للشباب. وعلا شانه اكثر فاكثر بعد موت هرتزل (١٩٠٤). وحل فى التأثير والاستمالة محل عشاق صهيون التى سبقت الاشارة اليها فى عدة مواضع.

وكان يعاصر احدها عام من اهل الفكر على هذا الطراز، يهودى آخر ومن اودسا ايضا، وكان له اثر فى التوجيه، هو الدكتور ليون بنسكر. فهذا المفكر اليهودى كان متاثرا بالاصلاحات التى منحها القيصر اسكندر الثانى (١٨٥٥ - ١٨٨١) فقام بنسكر باعتناق الثقافة الروسية واحلالها محل اللغة اليديش فى شرق اوروبا وجنوبها (اليديش خليط اكثره من كلام عبرى والمانى، وكلمة يديش هذه مثل جويش فى الانكليزية) فتحل الروسية محل هذه اليديش ومحل العبرية ايضا. وهذا الاتجاه من بنسكر فى قبول الاندماج كان مجاله فى المانيا، اذ هناك تبقى العبرية مع الاندماج لغة الصلوات والطقوس الدينية. لكن بعد مقتل القيصر ١٨٨١، واليهود هم المتهمون باغتياله، وبعد ان راحت الحكومة القيصرية تبطش باليهود، تراجع بنسكر عن مخططه ودعوته الى التمسك بعرى يهوديته تماما، كما فعل مثله من بعد ٢٣ سنة هرتزل اثر محاكمة دريفوس.

فوضع بنسكر كتابا سنة ١٨٨٢ سماه «التحرر الذاتى» دعا فيه اليهود الى ان يوقظوا وعيهم فى افاق نفوسهم ووجدانهم، قبل ان يطلبوا انشاء وطن مادى، ورفض ان تكون فلسطين هى الرقعة المختارة، اذ شرطه فى اختيار الارض ان لا تكون مشغولة بسكان يقطنونها، ولا نزاع عليها، وهى مأمن، والوصول اليها سهل ميسور بغير عنف. ودعا الى عقد مؤتمر عام يبحث هذا المبدأ. فكان لكتابه صدى بعيد، لكن لم يؤد الى خطوات عملية. ثم صار بنسكر على جانب المسرح وبقى احدها عام فى طريقه وعلى منهاجه[1]. ولم يعقد المؤتمر، وكان مخطط بنسكر نحو المؤتمر الذى اقترحه ان تنبثق من المؤتمر مؤسسة كبيرة تعنى بجمع الاموال وتبحث عن الارض المناسبة، حتى اذا تم هذا، كفلت المشروع جهات دولية. وهذا تعبير غامض تفسيره.

(١) من الفائدة ان نذكر هنا اتماما للصورة، ظهور يهودى آخر أوقف حياته على احياء العبرية فى هذا الوقت، هو اليعازر بن يهودا. انفق حياته فى روسيا ثم انتقل الى فلسطين وسكن فى حى عربى. وعكف على الاستعانة بالعبرية فى ما هو بسبيله فكان عمله هذا، من الناحية الثقافية، بمثابة جواب ينقض حركة الاندماج الثقافى، وانتهى به الامر الى ان وضع معجما عبريا حملا اصوله وجذوره للكلمات من العبرية القديمة، ومن العربية الخالدة. وحتم على اهل بيته الا يتكلموا الا العبرية، وعاش فى القدس بعد الحرب الاولى سنين، وفى الحى اليهودى فى القدس اليوم شارع ،اسمه «شارع بن يهودا»، وفى حوادث النسف قبل ٤٨/٥/١٥ نسف ثوار العرب معظم هذا الشارع ودمروه.

ويتفق بنسكر وهرتزل على هذه النقطة وهى ان تكون الارض فى كنف دولى من الكفالة والضمان.

وتشبع احدها عام بروح التلمود والى الآن لم نطلع بعد فى جميع ما كتب لنا ان نقوم به من دراسات يهودية، على ان يهوديا برز فى الحركة اليهودية إلا ان يكون تلموديا من قمة رأسه الى اخمص قدميه. والتلمود، كما قلنا فى وصفه، منبع روح التدمير كلها. والبيت اليهودى الذى فيه التلمود يمتلئ بتقاليد التلمود ونزعاته. وهنا التوراة لا شأن لها يقارب شأن التلمود. وعندما يطالع القارئ العربى بروتوكولات حكماء صهيون وهى هنا بين يديه، يتأكد هذا ويدرك لماذا استعمل واضع البروتوكولات كلمة حيوانات او ماشية للتعبير عن غير اليهود.

وكان لأحدها عام صفة تجارية. فقد كان وكيلا لشركة وسوطزكى اليهودية، وهى اكبر شركة للشاى فى اودسا ولها فروع فى الخارج، فلما نمت فروع الشركة فى الخارج، ندب احدها عام ليتولى ادارة اعمالها فى لندن. ولم يعلم هل هذه التجارة كانت عملا حقيقيا له، ام انها كانت قناعا استتر به واتخذ منه وقاء لعملة الخفى؟ ولما جاء احدها عام الى لندن، كانت الصلة بينه وبين ويزمن قد مضى عليها وقت طويل، فقد بدأت الصلة بينهما لما كان ويزمن يتعلم فى المانيا، وابتداء انتقال ويزمن من بنسك الروسية الى المانيا كان سنة ١٨٩٤ أى لما كانت هرتزل يحضر محاكمات الخائن درايفوس فى باريز. ولما جاء ويزمن يحدثنا فى مذكراته عن استاذه الروحى لم يذكره فى المانيا إلا ايجازا، وانما شرع يتوسع فى الكلام عليه لما استأنف لقاءه له فى لندن ١٩٠٥ - ٦ والفرق فى السن بينهما طبعا كبير، ٢١ سنة.

***

١٢ - دفاع ويزمن عنه

ولما وضع ويزمن مذكراته سنة ١٩٤٨ كان عليه ان يفى استاذه حقه لا من حيث ما لاحدها عام من فضل عليه، فضل الاستاذ على تلميذه، بل من حيث الدفاع عن احدها عام انه ليس هو واضع بروتوكولات حكماء صهيون، اذ لا يليق بالتلميذ ان يجعل كتاب مذكراته خاليا من هذا، والا قال الناس ان خلو المذكرات من نفى التهمة الكبيرة عن المتهم، من شأنه أن يكون سكوتا بمعنى الاثبات، ولا حيلة أخرى. وكان قد مضى على وفاة احدها عام فى تل ابيب ٢١ سنة، لما وضع ويزمن مذكراته.

وهذا ما وصف به ويزمن استاذه مما نوجزه ايجازا فى مواضع، ونأتى به كاملا فى مواضع: -

١ - لطيف الخلق، ناعم، يميل الى الانزواء، متواضع، يكره حب الظهور، ومن هنا اختار اسمه القلمى احدها عام - أحد افراد الشعب.

٢ - مفكر عميق الفكر، لا يعنى بالجزئيات فى القضايا والمسائل، وانما يهمه القواعد والمبادئ والاتجاهات.

٣ - ميله للنقد يرمى الى البناء، والاصلاح فى الحركة الصهيونية. نقد اتجاهات عشاق صهيون، كما نقد هرتزل، ونقد عرض بريطانيا المتعلق بيوغندا. عبارته موجزة، ولغته وصفت بانها طراز أول، وأسلوبه آسر. منذ أخذ يكتب وينشر، تلقاه القراء بالاقبال عليه ووعى ما يقول.

٤ - يقول ويزمن: «ثم اكتشفت معادن اليهودية فى منشستر وتوطدت صلتى بالصهيونية البريطانية سنتى ١٩٠٥ و ١٩٠٦ لكن انفتاح الآفاق امامى كان على يد احدها عام، وكان هو قد جاء لندن واتخذ مقامه فيها، وكنت ازوره متحملا نفقات الانتقال الثقيلة، واقضى عنده نهاية الاسبوع، وهو يسكن فى بيت متواضع فى هامب ستيد.

٥ - ثم قال ويزمن: «عرفته منذ سنين خلت أولا باسمه وشهرته الفكرية والكتابية، لما كنت طالبا فى برلين، ثم بعد برلين كنت القاه على فترات، وهو عامل من العوامل الفعالة فى صياغة حياته، وصار الآن (فى لندن) صديقى، وهو اكبر منى بعشرين سنة».

«فاكتشفت شخصيته عن كثب، شخصيته التى تركت أثرا واسعا فى الجيل الحديث من ابناء الصهيونية... وكنت أنظر اليه فيلسوفا لا رجلا كسائر الرجال يعمل فى حلبة المعترك.. حضر المؤتمرات الاولى، ثم عزف عن حضور ما تلاها من مؤتمرات أخرى... واذا كان بعضهم قد غالى كثيرا من مؤازرة هرتزل والاطناب فيه بغير حساب، وبحماسة مفرطة، فأحدها عام كان متزنا معتدلا، وفى أول اجتماع فى بازل ، جلس جلسة الشاكل الناحب. فقال ان القيم

الصحيحة المعنوية للحركة هى: الكرامة اليهودية، والحرية الذاتية اليهودية، والتحرر الذاتى اليهودى، كل هذا لا ينال بالمظاهرات العامة وشقاشق الألسنة، وانما بالانضباط النفسى اليهودى، والارادة اليهودية، وهو كما انتقد عشاق صهيون وادارة روتشيلد للمستعمرات فى فلسطين، كذلك انتقد المؤتمر الاول، للاعتقاد بفراغ برنامجه، اذ لا طائل تحته كما كان يعتقد».

٦ – ويقول ويزمن: «ومر على الحركة دور كانت فيه تحت الظلال المزدوج: هرتزل واحدها عام، فكانت هناك صهيونية هرتزلية تمتاز بعظمة نظرتها السياسية البعيدة المدى، بين خطين متوازيين، الى غاية قصية، لكن هرتزل كان يميل الى اهمال الصهيونية العملية، بالارجاء والتأجيل ارتقابا لفرصة مقبلة يأتى بها الزمن. وهناك صهيونية احدها عام، منصبة على تنمية الروحية الخلقية فى مشروع العودة الى فلسطين. وهاتان النظرتان لم تأتلفا معا، الا بعد سنين». ثم يعقب ويزمن على هذا بقوله: «وصرفت معظم جهودى فى سبيل تحقيق الوفاق بين الرجلين. أما مظهر الحال بينهما ففاية الاحترام المتبادل. احدها عام ليس له قضية شخصية، متجرد، غير متحيز فى نقده، ويهتدى بعقل وهاج، نزه. وجذوره عميقة. وكان يهود روسيا الصهيونيون يتقبلون نقده خير قبول مع الاخلاص له.. ومع انه فى الاصل يعتبر مفكرا، فيلسوفا، غير ان طاقته فى التطبيق العملى، ومباشرة الامور، عظيمة جدا ... وكان دقيقا فى كل شئ، فى عاداته وآداب سلوكه، وقيامه بأعماله، وانى اذكر انه تأخر مرة عن موعد دقيقتين، فلما دخل اخذ يزجى مزيد الاعتذار».

٧ – الى هنا انتهى ويزمن من وصف استاذه من النواحى التى ذكرها. ثم اتى الى النقطة السوداء المتعلقة بالبروتوكولات، فقال: –

«ولا اعلم لماذا اختار دعاة اللاسامية هذا الشخص، والمفكر المتنزه، ليرموه بأنه زعيم تلك المؤامرة الغامضة؛ والمسرحية المحزنة التى عرفت باسم حكماء صهيون، فكان دعاة اللاسامية كلما ارادوا لصق التهمة بأحد ما، اختاروا واشاروا الى اشرغنزبرغ، كأنه هو الذى وراء هذه المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم. وهل السبب فى هذا كون البروتوكولات قد ظهرت اول ما ظهرت فى مكان ما جنوبى اودسا، حيث كان احدها عام سكرتير لجنة اودسا لفلسطين، وهذه الهيئة قديمة كانت فى ايام عشاق صهيون. ومهما يكن السبب، فلا يمكن ان يكون هناك تناقض اشد مما فى قضية تهمته هذه: بين الحابك الرئيسى لشبكة المؤامرة على المدنية الغربية، والمفروض فى هذا الحابك ان يكون هو رئيس حكماء صهيون، وبين رجل رصين العقل كبيره، محشو بالآراء والعقائد الفلسفية، ولم يسبق له قط ان تدخل فى شؤون غير اليهود. لكن ما عودنا دعاة اللاسامية ان نرى منهم شيئا معقولا، فدأبهم اثبات الاعمال المستهجنة». هذا ما قاله ويزمن فى مذكراته ينفى ان استاذه احدها عام هو واضع البروتوكولات، وقد نقلناه بما نستطيع من دقة ولنا تعليق عليه. راجع مذكرات ويزمن Trial and Error. ص ١٠٤ ـ ١٤١.

١٣ - اعتراف ويزمن بأن البروتوكولات هى: «المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم»

بالاضافة الى ما قلناه فى موضع قريب ان ويزمن لابد له من الدفاع عن استاذه خير دفاع يستطيع، لم يخف عليه، وقد فرغ من وضع مذكراته ١٩٤٨، ان العالم الذى اطلع على البروتوكولات بات مقتنعا بصحة ما فيها، من حيث ان المخطط الذى اشتملت عليه هو مخطط اليهودية العالمية، لا ريب فى ذلك. فلم يجازف بأن يتخذ جانب الانكار، فيستهزئ، لكنه اختار اهون الشرين عليه، فاعترف بأن المؤامرة هى المؤامرة اليهودية الشريرة للتسلط على العالم. ونعتها بالشريرة واعتراف ويزمن هذا قضى على كل جدل حول هذه النقطة المهمة، ولن يقوم بعد اليوم جدل آخر من هذا النوع.

* * *

والعالم عامة، والعرب خاصة، لا يهمهم أن يكون غنزبرغ استاذه، هو نفسه واضع البروتوكولات ، ام اى يهودى آخر من وزنه وطرازه. حتى لا يهم العالم ولا العرب، ان تجتمع قوى شر مثل هذه ونستقيها من ينابيع التلمود، وتتهيأ بها للقيام بأرهب مشروع يتخيله عقل شيطانى: ان يسيطر اليهود على العالم قاطبة بعد محو المسيحية والقضاء على البابوية ونترك القارئ يطلع بنفسه على العبارات الواردة فى البروتوكول السابع عشر، مما نرىأ بنقله بحروفه، والقضاء على الإسلام، عن طريق استنبول، ويقيموا ملكا داوديا فى اوروبا وفلسطين، اذ ليس بوسع اليهودية العالمية ان تصل الى هذا، والعالم الانسانى اليوم بادیانه السماوية وغير السماوية، اكثر من ثلاثة آلاف مليون، ولهم الآلة والحضارة والعلم والعقل والتاريخ كله، والسلطان على الكرة الارضية، واليهود حفنة صغيرة فى هذا الخضم دعهم فى غيهم يعمهون. فاليهودية العالمية قدرت فى البروتوكولات ان يتم مخططها فى بحر مئة سنة من ١٨٩٧، والانقلابات البشرية من اول هذا القرن (٢٠) فصاعدا، مهما يكن لليهودية العالمية من يد خفية لعينة فى مشكلات العالم من حروب وازمات، فقافلة هذه الانقلابات ستمتص اليهودية العالمية وتعقمها شيئا فشيئا، لا اليهودية العالمية ستمتص تيار القافلة البشرية باثنى عشر - الى اربعة عشر مليونا من اليهود.

* * *

وما يهم العالم هو هذا:

١ - لماذا لم يعلن احدها عام وويزمن ومن فى صنفهما استنكارهما لمحتوى البروتوكولات؟.

٢ - لماذ لم يقولا: اننا براء من هذا؟

٣ - واضع البرروتوكولات دماغ يهودى مبير لا يخفى على ويزمن، فلماذا لم يشأ ويزمن الكشف عن هذا الدماغ والاشارة اليه باليد والاصبع؟ ومن يصدق ان ويزمن لا يعرف من هو صاحب ذلك الدماغ الجبار «اليهودية من ابرع ما خلق الله فى سرقة الاسرار من الملوك والرؤساء والاحزاب والجمعيات والقصور والمعاهد» فويزمن يعرف اسم واضع هذه المؤامرة الشريرة بنعته هذا لها، والواضع استاذه، وهم كلهم شركاء فيها. أفيعترف؟ كلا.

٤ - ان ويزمن فى دفاعه عن استاذه المتهم، وقف عند حد قوله ان البروتوكولات هى المؤامرة اليهودية الشريرة، لكن ألم يخطر بباله سنة ١٩٤٨ وهو يكتب مذكراته ان العالم سيسأل: واى فريق من اليهود هم الواضعون لهذه البرتوكولات؟ فان مؤامرة كهذه يراد بها نسف البابوية والمسيحية والاسلام، لا تتصدى لها عقول اقل وزنا من العقل الوهاج. هذه البرتوكولات فيها عنصر من اينشتين فى هذا العصر، وعنصر آخر من باروخ سبينوزا بالامس، وآخر من موسى بن ميمون منذ قرون، وعناصر من بيت روتشيلد. فهى عصارة عقل يهودى كائنا من يكون ، لكن الذى جمها وصاغها فى قالب البرتوكولات هو حسب نقاد اوروبا: اشر غنزبرغ أو احدها عام.

ما هي آثار «احدها عام» الأخرى؟ هي «التجمع والاقتحام» و «نادى بنى موسى»

نعود الى تمام خبره من جهة ما له من اثار قلمية وكتب، وعمل تنظيمي:

١ - له مقالاته المشهورة في النقد والتوجيه، كان يطلع عليها اليهود بشغف زائد في جميع أنحاء العالم. وكان قراؤه يرتقبون وصول البريد اليهم ليقرأوا ما يكتب احدها عام. وتأثير هذه المقالات في خلق روح الدم الجديد، تأثير واسع، ظهر أثره في فلسطين في الحركات السرية كلها منذ اعلن وعد بلفور، فالهاجناه (الدفاع القومي) وحزب جابوتنسكي ومناحيم بيجن وشترن، كل هذا جرى ويجرى على مبادئ الاقتحام البربرى والقوة العسكرية اليوم في اسرائيل كلها ملحقة بهذه العقائد.

٢ - لأحدها عام كتابان مهمان وضعهما بالعبرية، الاول عنوانه موسى والآخر عنوانه على مفترق الطرق. والاول ترجم الى الفرنسية، والآخر لم يترجم الى لغة اخرى بعد. على ما نعلم، والعرب لم يعرفوا شيئا بعد عن هذين الكتابين(١). هذان الكتابان خطيران إلى الغاية، اذ هما يختلفان في الروح اختلافا واسعا عن جميع الكتب الاخرى التى ألفها امثال موسى هس، وموسى مندلسون، وبنسكر وكتاب عشاق صهيون، وهرتزل، وزنكويل، وسوكولوف، وبنويش، والدكتور الحاخام غاستر. ولعل هذا الاختلاف، يكاد ينحصر على الجملة في نقطة واحدة، وهي، انصباب احدها عام على فكرة التجمع والاقتحام.

٣ - الى جانب كتبه ومقالاته، عنى أحدها عام بناحية عملية بالغة حد الخطورة، فأنشأ مع فريق من صحبه ناديا يهوديا او جمعية يهودية تحت اسم بنى موسى واراد بهذه الحركة ان

---

(١) علمنا (١٩٦٥) ان العلامة الدكتور حسن ظاظا الاستاذ في جامعة بيروت العربية نقل الى العربية كتاب «على مفترق الطرق» لكن لم يطبع هذا الكتاب بعد. فعسى يرى هذا الكتاب. والكتاب الآخر (موسى)، عما قريب على يد الدكتور ظاظا الاختصاصي في الآداب العبرية وتاريخ اليهود وسبق له ان اقام في القدس و«الجامعة العبرية» هناك مدة خلال الحرب الثانية، فهو في ما يبحث حجة وثقة.

هذا ما علقناه السنة الماضية ١٩٦٥، ونقول اليوم اواخر ١٩٦٦ وكتابنا هذا في طريقه الى المطبعة انه يسرنا ويسر القارئ العربى ان يعلم ان الدكتور ظاظا قد اخرج في السنة الحالية كتاب «حول تاريخ الانبياء عند بنى اسرائيل»، مترجما من العبرية ترجمة نقية واضحة، والكتاب هذا هو لأحد كبراء اليهود وعلمائهم ممن سجال الاختصاصى بدراسة التوراة والعقائد اليهودية. ومن هذا الكتاب يستطيع القارئ العربى ان يطلع لاول مرة باسلوب علمى سهل على شأن النبوة عند اليهود. فهذه خدمة كبيرة من الدكتور ظاظا وعساه يتمكن قريبا من نقل الكتابين اللذين ذكرناهما «لأحدها عام».

يخرج الشباب اليهود على الروح الجديدة: التجمع والاقتحام. ويؤخذ من جملة كتابات متفرقة ان هذا النادى سرّى الى جانب مظهره الخارجى. وكانت السلطة القيصرية فى روسيا شديدة الحذر منه. ولم يشأ ويزمن فى مذكراته ان يأتى على ذكر هذا النادى إلا بعبارة جد مقتضبة، وانما قال ان اشر غنزبرغ انشأ جمعية سماها بنى موسى وهى لتخريج الشباب ليتولوا قيادة الحركة الصهيونية الروسية، وما كان اشرغنزبرغ يقبل اكثر من مئة شاب فى الدورة الواحدة. وكان يعاونه فى هذا العمل اصدقاؤه المختارون. ولم يزد ويزمن على هذا.

هذا، ويؤخذ من اقوال ويزمن فى مذكراته، وهو يذكر زميله مناحيم مندل او أوسشكين، الزعيم الروسى والذى كان مرشحا ليكون هو، لا ويزمن ، زعيم الحركة الصهيونية، ان اوسشكين هذا كان فى تمرسه بانشاء الخلايا السرية، مثل احدها عام بعمله فى نادى بنى موسى. ويقول ويزمن ان اوسشكين كان الزعيم العملى للصهيونية الروسية، كما كان احدها عام الزعيم الروحى. ومن قبل كان اوسشكين منتميا الى منظمة عشاق صهيون وهو مثال نموذجى لروح هذه المنظمة، ولكنه انتمى فى الوقت نفسه الى نادى بنى موسى. ومن المهم ملاحظة ما فى مذكرات ويزمن وهو فى معارض الكلام يتناول هذا أو ذاك من زملائه، انه اذا ذكر واحدا من هؤلاء، قال انه كان خريج نادى بنى موسى - التجمع والاقتحام.

ويطلع القارئ على ترجمة وافية لاوسشكين فى كتابنا هذا.

١٤ - هرتزل وتعاليم «التجمع والاقتحام»
هرتزل لكرومر ١٩٠٢:
«افضل أن آخذ فلسطين بالفتح وإراقة الدماء»

اذا كان هناك فرق فى الاساليب العملية والنظرية بين هرتزل واحدها عام، فلا فرق بينهما فى الغاية الكبرى. وسمعنا الآن من ويزمن يصف رأيه فيهما، وهو من احدها عام كالتلميذ من استاذه، وهو نفسه، ويزمن، استطاع بوسع الحيلة والتصوير ان يخبر قراءه بأساليب ضمنية، ان يعد هرتزل اليهودى الالمانى الاندماجى فى اول امره، انتقلت مقاود الحركة الى ايدى اليهود الروس الاشكناز (الشطر المقابل للسافرديم وهؤلاء هم يهود المشرق والذين خرجوا من اسبانيا) الذين قاموا بالعبء كله بعد ذلك. ومع ثنائه على هرتزل الثناء الذى تقتضيه الحال، لم يمنعه ذلك من القول فى موطن آخر ان هرتزل انقلب بعد موته الى ان يكون بمثابة اطار لصورة الحركة، لا اكثر. وويزمن هو الذى ذكر فى كتابه ان امرأة يهودية تصدت لهرتزل وهو نازل من على المنبر ابان المؤتمر الذى عقد سنة ١٩٠٣ فى لندن لبحث عرض بريطانيا المتعلق بيوغندا، وقالت له يا خائن! . واحدها عام استاذه، يقول ويزمن، كتب مقالا مقيما مقعدا فى تلك الغضون، حمل فيه على الذين يميلون الى قبول العرض، اذ فى ذلك تخل عن فلسطين. وكان فى اثناء المؤتمر عدد ضخم من المندوبين اليهود الروس. فهؤلاء لما رأوا هرتزل يحاول بنعومة اساليبه، ان يجعل المؤتمر يقبل دراسة العرض ولو ابتداء بايفاد لجنة خبراء الى يوغندا، خرجوا من قاعة المؤتمر الى الممشى الخارجى وانطرحوا ارضا وجعلوا يبكون. فاتخذ احدها عام عنوان مقاله ايها الباكون محرضا على التمسك بالرفض ويعد هذا المقال من انفس ما كتب احدها عام فى بابه، كما يقول كتاب اليهود.

وعلى كل حال، يلتقى هرتزل واحدها عام فى فكرة التجمع والاقتحام التقاء واضحا. فقد ذكر كريستوفر سايكس، ابن مارك سايكس المشهور، فى كتابه دراسة مأثرتين المطبوع ١٩٥٣ واقعة لولاه، كما نعتقد، لما خرج خبرها الى النور. فان كريستوفر هذا كاتب ممحص، احب ان يسجل تسجيلا واقعيا علميا ما لأبيه من يد وجهد فى سبيل الصهيونية بعد ان اعتنقها فى لندن اواخر سنة ١٩١٦ او قبل هذا التاريخ على يدالدكتور موسى غاستر الحاخام، الربى الاكبر للطائفة السفرديم فى لندن، وأصل غاستر هذا من رومانيا وكان يقيم فى بخارست. فلما طفى على الحكومة الرومانية بتطرفه اليهودى اخرجته الحكومة من البلاد فجاء لندن وتوطنها، ولما كان هو عضوا فى جمعية المستشرقين كما كان مارك سايكس ايضا،

فهنا كان لقاؤهما الاول قبل ١٩١٤ ولما كان مارك سايكس يمثل دوره فى بوتقة السياسة البريطانية العربية من يوم دخلت تركيا الحرب الى جانب المانيا فى خريف ١٩١٤، كان فى بواطنه ومنازعه قد اصبح عاشقا الصهيونية. ولما كان يقوم بدوره هذا، كان يعتقد انه هو باسم حكومته طبعا، فى سبيل غاية سيفسح لها التاريخ كثيرا من صفحاته(١).

وربما من غاستر تشرب سايكس عقائد الصهيونية كلها.

وفى سنة ١٩٠١ وهرتزل يتقلب بين عبد الحميد السلطان الخليفة العثمانى، وملوك اوروبا ورؤسائها وأمرائها. انعقد المؤتمر الصهيونى الخامس برئاسة هرتزل، فوجد هرتزل ان فى طريقه عراقيل، وكانت مفاوضاته الخفية مع الحكومة البريطانية قد بدأت وهى حول قضيته اليهودية.

فحاول لورد لنسدون وزير الخارجية البريطانى ١٩٠٢ ان يكون هو بطل الوصول الى ايجاد حل مرض لهرتزل. وكان هرتزل قد ألف فى لندن شركة مالية كبرى منذ ١٨٩٨، ووضع عينه على قبرص، فأشار اليه لنسدون بأن هذا لا يكون . غير ان انسداد الامل من جهة قبرص ، فتح بابا جديدا فى وادى العريش فى مصر، ومصر وقتئذ عليها لورد كرومر المستعمر الخبير. وقيل وقتئذ ان الاستعمار اليهودى لوادى العريش امر ممكن ، اذا تيسر جر المياه الى هذه المنطقة من النيل. فوافق لنسدون على اساس الفكرة، وصارت تجرى الامور حول هذا المحور بين الثلاثة: وزارة الخارجية، وهرتزل، وكرومر. واوفدت لجنة خبراء الى العريش لدراسة الحال عن كثب. ثم بعد ذلك جاء هرتزل مصر ليباحث كرومر. يقول كريستوفر انه استطاع بأبحاثه ان يلتقط شيئا من العلم بما دار بين كرومر وهرتزل من حديث، لا ريب فيه، وهما الى مائدة العشاء فى دار المعتمد البريطانى فى القاهرة . وهنا بيت القصيد. ويظهر ان الداهية كرومر احب ان يعطى اذنه الى هرتزل ليقول هذا كل ما فى جعبته وقلبه، حتى قال هرتزل: «بوسعك ان تتأكد ان بوسعى ان أغنم فلسطين بالفتح واراقة الدماء، ولو انى اخذت بما تميل اليه نفسى، لأثرت هذه الطريقة على أى طريقة غيرها». قال كريستوفر عند هذا الكلام: أما كرومر فتأثر واطرق وانكمش. والاوراق التى دققها كريستوفر من ارث أبيه تؤيد هذا. وبعد تبادل الحديث حتى النهاية بين لنسدون وكرومر، انتهى الامر الى الفشل. وبعد هذا جاء جوزيف تشمبرلين وزير المستعمرات، اثر رحلة قام بها الى افريقيا الشرقية، ودعا هرتزل

---

(١) اشار كريستوفر فى هذا الموطن ان محاولات الحكومة البريطانية الآخذة بنصرة اليهود الى ما يشتهون، وقعت ثلاث مرات، الاولى، على يد اوليفر كرمويل، الحاكم الدكتاتور فى القرن السابع عشر. والثانية على يد بالمرستون رئيس الوزراء فى القرن التاسع عشر. والثالثة هى هذه الآن. قلنا اما كرمويل فينتمى الى شيعة البيوريتان البروتستانت، وبالمرستون كذلك من هذه الشيعة الموالية لليهود. والمرة الثالثة ليست من صنع رجل واحد بل من صنع بريطانيا اشترك فيها لويد جورج وبلفور وتشرشل وغيرهم لكن غلب اسم بلفور لانه كان وزير الخارجية.

اليه وتلطف معه ثم عرض عليه يوغندا. ولا نتناول من الكلام المتعلق بقبرص والعريش اكثر من هذا، اذ الغرض ان نبين ان هرتزل هو مثل احدها عام فى عقيدة التجمع والاقتحام. وحزب جابوتنسكى فى فلسطين، كان يجاهر بهذه العقيدة ولا يهمه من الامر شئ منذ سنة ١٩٢٠ وبدأ اليهود من تلك السنة يؤلفون سرا منظمة عسكرية سموها الهاجناه (الدفاع) واتوا بالسلاح الوافر وخبأوه فى مكامنه. ومن يدقق اليوم فى منهاجهم الذى مشوا عليه منذ صدور وعد بلفور، والحرب قائمة فى سوريا والعراق وفلسطين، يدرك بجلاء ان المخطط المبنى على عقيدة التجمع والاقتحام هو المخطط الوحيد الذى اعتمد اليهود عليه، وما كان من جنس العمل السياسى الظاهر والاخذ والعطاء والجدل ومناقشات الوفود وما الى ذلك إلا تمثيلا مسرحيا لا اكثر. وبعد هذا يسهل على اى قارئ عربى ان يستجلى ما وراء البرتوكولات بغير ابهام ولا غموض.

***

١٥ - جابوتنسكى

أول من حاول تطبيق «التجمع والاقتحام» سنة ١٩٢٠
وصف السيدة فرانس نيوتن لفرائز جابوتنسكى

وقف القارئ على ما سبق من الكلام المتعلق بالسيدة فرانس نيوتن صاحبة كتاب خمسون سنة فى فلسطين وقصة محاولتها اطلاع بعض اصدقائها من العرب على مضامين البروتوكولات فى حيفا.

ورأينا ان من الفائدة الآن ان ننقل إلى القارئ بعض صفحات من كتابها هذا. وهذه الصفحات تبين ما بدأ به اليهود من غطرسة فظيعة من يوم جاءهم ويزمن على رأس وفد صهيونى من لندن، ليتفاهم مع القائد اللنبى حول الشروع فى تطبيق سياسة التهويد، وكان مجئ ويزمن الى فلسطين فى ربيع ١٩١٨. وذكرت السيدة نيوتن خبر اول اصطدام دموى بين العرب واليهود فى القدس فى موسم عيد الفصح سنة ١٩٢٠، او فى موسم اعياد ما يعرف فى فلسطين بالنبى موسى[١] وان جابوتنسكى هذا تلميذ آخر من تلاميذ عقيدة التجمع والاقتحام، هو الذى اقتدح نار الفتنة، والحكومة وقتئذ عسكرية، واستعمل جابوتنسكى السلاح الذى اخرجه من مكمنه، ثم ما جرى له من محاكمة عسكرية وكيف كان يتصرف فى المحكمة وهو مجرم. وتحتوى مجموعة هذه الصفحات التى ننقلها من كتاب السيدة نيوتن على لوحة لا بأس بها فى التعبير عن كل ذلك. وما نترجمه هو من الفصل الثامن عشر وعنوانه الادارة العسكرية، قالت:

---

(١) موسم النبى موسى فى فلسطين من المفيد تلخيص امره: بعد الحرب الصليبية بقى هنالك خطر يجب الاستعداد لدرئه واتقائه، وهو ظهور الاجانب من البحر غفلة ومهاجمتهم البلاد وعبثهم فيها. وكانت فلسطين الهدف ولا سيما القدس. فرأت الدولة زمن صلاح الدين او زمن المماليك ان ينشأ نظام ظاهره وحقيقته خطة عسكرية للدفاع عن البلاد. فانشأ مزار للنبى موسى فى الغور قرب اريحا والبحر الميت على بعد نحو ٣٦ ك م من القدس ورتب له موسم عظيم كل سنة بحيث تجتمع الالوية فى القدس من جبل القدس وجبل الخليل وجبل نابلس على ثلاثة ايام وهى تتوارد هازجة راقصة كانها فى عرض عسكرى. ثم تهبط هذه الوفود الى مزار النبى موسى فتمكث اياما ثم تعود الى القدس وتتفرق والقصد ان تظل روح النخوة فى النفوس. وهذا اعظم موسم قومى دينى له صبغة عسكرية بهذا المعنى الذى ذكرناه والدولة العثمانية اعتنت به وحافظت على رسومه . وهنالك على هذا الغرار مواسم اخرى على سواحل فلسطين انشئت من اجل هذه الغاية تمتد من صفد شمالا الى غزة جنوبا فى اماكن متعددة وموسم النبى روبين فى يافا يمتد الى اسابيع ويخرج الناس فيه بأمتعتهم وزادهم كانهم فى عيد وكذلك فى غزة . ومما هو جدير بالملاحظة ان هذه المواسم ذات الصبغة الدينية فى ظاهرها انما تقع على الحساب الغربى لا الهجرى والسبب واضح هو استراتيجى.

«ان وصول الوفد الصهيوني الى فلسطين، مخولا من الحكومة البريطانية ان يحصل على جميع التسهيلات من الحكومة المسكرية فى تنقله فى البلاد، وجولاته ودراسة الاحوال، وطلب التقارير، حول مشروع الوطن القومى وانشاء الصلات الودية مع العرب[1] وغيرهم من الاهالى، كل هذا وقع فى وقت اثار مخاوف العرب وفتح عيونهم على الحقيقة البادية الراهنة. فبرزت هذه الطليعة اليهودية فى الميدان وحدها، دون ان يكون هناك فريق آخر من العرب يقابلها للدفاع عن وجهة النظر العربية. ولا شك ان التحمس الذى ظهرت به الطليعة الصهيونية للقضية الصهيونية المباغتة، كان تجاهلا لشعور العرب، من حيث كان ينبغى حسن التصرف بدقة، ولباقة، وهذا من الضرورة بمكان. ومحاولات الدكتور ويزمن لتدارك هذا جاءت بعد فوات الوقت فلم تثمر شيئا. ومعظم المطالب التى نادى بها اليهود قوبلت بالصد والنبذ. فهم ألحوا بأن يشتركوا فورا فى الادراة العسكرية، وان تؤلف لجان للأراضى من الخبراء اليهود لدراسة أحوال البلاد ومصادر ثروتها الطبيعية وهم يؤلفون هذه اللجان لا غيرهم. وتمسكوا بأن ليهود يافا الحق بموجب نصوص وعد بلفور ان يستقلوا بانشاء مستودعات جمركية تكون لهم دون سواهم، وان بنك انجو - بالستين، هو شركة يهودية، يقدم القروض اللازمة الى المزارعين اليهود، وطلبوا ان يكون لهم حق اختيار الأفراد ليعملوا فى سلك البوليس، وهم يوفون ما ينقص موازنة الحكومة من مال لهذا. وطلبوا - وهذا باشروه فعلا قبل الطلب - ان ينشئوا قوة دفاع يهودية الهاجناه ولهم الأمر فى التدريب وكل ما يتعلق بهذه القوة وطلبوا ان يعترف بالعبرية لغة رسمية. طلبوا كل هذا فى فترة الحكم العسكرى المؤقت من حيث ان الواجب على الحكم العسكرى ان يحافظ على الاوضاع الراهنة فى البلاد المحتلة حتى يبت فى مصيرها نهائيا بعد الحرب.

«وفى هذا الوقت، اوائل الاحتلال، كانت لليهود محاكم دينية مستقلة لأحوالهم الشخصية موروثة منذ عهد بعيد يوم كانت القضايا تفصل بالتحكيم. وآثرت المؤسسة الطبية الصهيونية الأميركية ان تمضي بعملها الطبى مستقلة عن ادارة الحكومة. وكان من الواضح ان اليهود انشأوا دائرة استخبارات تجسس فائقة التنظيم والاستعداد وهى من الدقة بحيث قلما يفوتها شئ من اسرار الحكومة، كما هو واقع الآن - اى سنة ١٩٣٧ - ولما وقعت اضطرابات ١٩٢٠ اتخذ الصهيونيون من الحكومة موقفا ناقما معاديا علنا كل هذا والانتداب لم يزل قيد البحث لم يقرر بعد.

«فكانت النتيجة المحزنة من هذا الوضع، ان بعض الموظفين المدنيين فى حكومة فلسطين، وجدوا انفسهم مكرهين على أن يأخذوا بعين الاعتبار وجهة نظر العرب من باب

---

(١) انظر الى هذا النوع من الكذب والنفاق الذى يدعيه ويزمن!.

العدالة اذ لا يمثل هذه الوجهة أحد منهم ذو وزن سياسى فى الحكومة ولم يكن هناك شخص آخر يعرب عن الناحية العربية، بينما الوفد الصهيونى يطوف البلاد كما يشاء، وأعطيت له التسهيلات كلها من استعمال التلفونات، ودوائر البرق، وزود برخص الدخول والخروج وحرية التنقل، وحق طلب المعلومات من الدوائر الرسمية واى مرجع أو جهة ، وحق عقد الاجتماعات، بينما العرب مكمومة افواههم، يرون بلادهم تلوح فى وجوهها سكاكين الجزارين الصهيونيين الذين ظهروا فجأة متنمرين، وطائفتهم المقيمة فى فلسطين (نحو ٥٠ ألفا) كانت لم تزل الى يوم احتلال القدس -٩/١٢/١٩١٧ - طائفة الذل، تقيم فى ظل الغربي، متمسكنة، تود ان تبقى فى كنف العرب.

«فاعتبر العرب انفسهم انهم ما لقوا إلا الخيانة والغدر من الانكليز وقبل قليل كانت الطائرات البريطانية، والحرب قائمة فى فلسطين، تحوم وتلقى المناشير من الجو على العرب اهل البلاد، تستثيرهم الى نصرة الجيش البريطانى ونيل الاستقلال العربى، وقوات الثورة العربية بقيادة الامير فيصل فى ارجاء العقبة فشمالا، فلبى مئات وانتقلوا الى جيش الثورة العربية، وكثير من الضباط والجنود العرب فى الجيش العثمانى تركوا خدماتهم العسكرية وفروا إلى جيش الثورة. واذا بالبعثة الصهيونية هذه تهبط البلاد والحرب قائمة، ويفغر الصهيونيون افواههم النهمة الجائعة لابتلاع البلاد على نحو ما دونه تقرير اللجنة الملكية. واعتبر اليهود سنة ١٩٢٠ الادارة العسكرية غير موالية للصهيونيين، وربما لمجموع اليهود ايضا. فالمخاوف العربية تشتد فى حيز، تقابلها المطامع اليهودية المتزايدة فى حيز، فلا غرو ان بلغت كل جهة حد التطرف فوقعت الفجوة وكانت عميقة ادت مع الزمن الى ان صارت معضلة سياسية لا يرأب لها صدع.

«غير ان الاضطرابات التى وقعت على عيد الفصح ١٩٢٠ مستمدة زخمها من العداء العنصرى بين الفريقين فى القدس، وكان يمكن ان تعتبر نذيرا ببركان قابل للهياج وقذف الحمم فى أى وقت».

انتهى كلام السيدة نيوتن فى هذه المرحلة. وسنعود اليها بعد قليل.

١٦ - الحاكم العسكرى الجنرال بولز ١٩١٩ ومشروعه الخيالى لتحويل فلسطين الى بلاد «اللبن والعسل»

لما عين الفيلد مارشال اللنبى مندوبا ساميا على مصر فى اواخر اكتوبر ١٩١٩ مع بقائه على القيادة العسكرية العامة فى فلسطين وسوريا ولبنان، أراد ان يترضى الصهيونيين، وكان هؤلاء على جارى عادتهم، لا يعترفون بالسلطة العسكرية، الا اذا كانت نازلة فى الصغير والكبير من المسائل على ما يشتهون، وكان الحاكم العسكرى على فلسطين وقتها الجنرال مونىMoney، فنقله اللنبى الى مكان آخر، واتاهم بحاكم عسكرى جديد هو الجنرال بولزBols.

ومن يا ترى اكبر، أبيلاطس النبطى ايام السيد المسيح، ام اللنبى فى زمن وعد بلفور؟ وكما صنع بيلاطس كذلك قلده اللنبى.

وأحب بولز ان يساير الصهيونية، تنفيذا لتعليمات حكومته، ومرجعه الآن اللنبى فى مصر، ولويد جورج فى لندن.

وهل كانت مسايرته مكرا وخديعة، ام خطة وسياسة؟ لا ندرى. وهذه رسالة منه فى ٢١ دسمبر ١٩١٩ الى سيده الجنرال اللنبى، بعد انتقاله الى مصر بأقل من شهرين. هذه الرسالة لم نكن نعلم بها ونحن فى فلسطين ايام الانتداب كلها، ولم نطلع عليها لأول مرة إلا فى مذكرات ويزمن المطبوعة ١٩٤٨. وعلى ما يقول ويزمن ويفهم من كلامه، ان الجنرال بولز هذا الذى كتب هذه الرسالة الى اللنبى فى ١٩١٩/١٢/٢١ بعد نحو اربعة اشهر من ذلك التاريخ وقعت المذبحة الاولى فى القدس - بتعبير ويزمن - تحت سمع الحكومة العسكرية وبصرها. وكأن ويزمن بايراده هذه الرسالة، اراد ان يشير الى ان الحكومة العسكرية لم تكن نازلة على منهجهم، فيجب ان تذهب وتأتى مكانها حكومة مدنية على رأسها صهيونى محض مثل هربرت صموئيل، الذى كانت مهمته كمهمة عزرا النبى قبل ٢٤ قرنا، بعد الرجوع من السبى البابلى:

سيدى الجنرال

انى مرسل هذا مع الدكتور ويزمن، وهو اقام هنا نحو شهرين وقام بأعمال طيبة تتعلق بقضايا وشؤون مختلفة، بأسلوبه الهادئ ، غير المتحيز (!!) وانى ارى ان النشاط المعادى للصهيونية قد خفت حدته، والفضل فى هذا يعود الى الاشياء التى قام بها ويزمن، وانى كحاكم عسكرى لم يمض على فى منصبى هذا اكثر من شهر من الوقت ، اعتقد انه لن يكن هناك صعوبات كبيرة فى ادخال عدد كبير من اليهود الى البلاد، شرط ان يتم هذا دون ان يرافقه ضوضاء او ضجيج. نعم يوجد هنا نفر من المحرضين على مناهضة اليهود،

وستستمر دعوتهم الى سوريا الكبرى[١] دون توقف.

«والبلاد بحاجة الى التنمية العمرانية بسرعة، وفى هذا نيل رضى الأهالى وعندما يقرر الانتداب، ينبغى الحصول على قرض كبير يساهم الاهالى فيه الى حد ما، واريد ان يكون عندى سير هربرت صموئيل للمشاورة معه فى هذا الامر.

«فاذا حصلنا على قرض كبير، فى حدود عشرة ملايين او عشرين مليونا، فانى واثق انى استطيع تحسين وضع البلاد تحسينا يكون فيه دخل للخزانة، واما السكان، وعددهم اليوم ٦٠٠,٠٠٠ فسيزيدون الى مليونين ونصف المليون. وهذا له متسع كاف. فوادى الشريعة ينبغى ان يسكنه مليون نفس بدلا من الألف نفس المبعثرين فيه اليوم.

لذلك رجائى

١- ان يعود الى ويزمن بأسرع وقت ممكن.

٢ - ان ترسلوا الى السر هربرت صموئيل للزيارة.

٣ - ان تمدونى بموظف مالى عالى الطراز.

٤ - ان تفكروا فى مسألة القرض.

فاذا تم هذا، فبوسعى ان أعد انى احول البلاد الى البلاد التى تفيض لبنا وعسلا حقا فى مدى ١٠ سنوات، وستكفون مؤونة الصعاب المقاومة للصهيونية.

المخلص

ل.ج. بولز

L. J. Bols

* * *

ولا يذكر ويزمن، وقد حمل هذه الرسالة فى جيبه الى اللنبى، ماذا كان من امرها بعدئذ قط.

يستطيع القارئ ان يدهش من هذه الرسالة، وهى تبدو لنا اليوم ١٩٦٦ جعبة اضاحيك!.

واول سؤال بعد امعان النظر، من منهما كان يضحك على الآخر؟ لكن لا، فلا الحاكم العسكرى فى موقف مزح، ولا رسول حكماء صهيون جاء ليسمع هزءا.

اذا، فالموقف جد فى الفريقين. ويبقى السر محجوبا عنا تفصيله.

والاسلوب، كما يرى القارئ، اسلوب عسكرى، فيه عقلية الصبيان، وتطوحات دون كيشوطية. من هو لعمرى الفارس المجنون، ومن هو خادمه الامين العاقل سانشو بانزا؟

الجزء الوحيد الذى تحقق من هذه الرسالة، هو مجئ صموئيل، لكن مجيئه لم يكن بطلب بولز، بل بطلب من حكماء صهيون.

(١) كانت فلسطين بعد الحرب العالمية الاولى ممثلة فى المؤتمر السورى العربى الذى عقد فى دمشق وقرر مما قرر رفض الصهيونية وانشاء دولة عربية حديثة تنضم اليها فلسطين كسائر الاقاليم الشامية وكان يعبر عن فلسطين بسورية الجنوبية.

١٧ - الدماء الأولى فى القدس ١٩٢٠
يوم النبى موسى

الدماء الاولى، او انفجار البركان كما تصفها السيدة نيوتن!.

فى الدماء الاولى، كما نروى حقيقتها هنا، نصبح وجها لوجه امام اول «لوحة» من لوحات ويزمن فى التحريف والتمويه، وتطبيق قاعدة التجمع والاقتحام.

فى مهرجان موسم النبى موسى ١٩٢٠، فى الربيع، يقع الفصح المجيد او فى الفصح المجيد يقع مهرجان النبى موسى، لم ينس القارئ بعد ما قلناه حول هذا الامر فى صفحات قريبة.

المسرح: الحكومة العسكرية تصول وتجول ببقايا الجيش البريطانى، من هندى واسترالى ونيوزلندى، لم تزل تعج بها القدس. الغطرسة الصهيونية ملأت البلاد. العرب ينادون بسوريا الكبرى للانقاذ متطلعين الى دمشق. التواطؤ بين بريطانيا وفرنسا على تنفيذ معاهدة سايكس - بيكو قد تم امره. ومؤتمر سان ريمو قريب الانعقاد ليقتسم الاسلاب ويوزع الانتدابات. لا راديو ولا اذاعة ولا ترانسستور بعد. السيادة لم تزل جديدة. الهتافات فى العواصم العربية: لا حماية ولا وصاية!.

* * *

نحب ان ننقل ما قالته السيدة نيوتن، وهى وقتئذ فى فلسطين ترى كل شئ عن كثب، فى اسباب الدماء الاولى او انفجار البركان، وهذا من الفصل نفسه الذى نقلنا منه سابقا، وجعل اليهود عملهم هذه التجربة الاولى فى تطبيق قاعدة التجمع والاقتحام، وبطل التجربة الخاسرة جابوتنسكى، قالت:

«ان اضطرابات الفصح كانت ويا للأسف اول نوبة أخذ البركان ينفث فيها حممه. ووقعت الاضطرابات فى هذا الوقت لأن المدينة المقدسة، اعتادت منذ القديم ان تكتظ بالألوف من الحجاج المسيحيين يفدون عليها للتبرك، وكثيرون من اولئك الحجاج من روسيا يأتون متحملين المشقة تحت حماية حكومتهم. ولكى تناهض تركيا المسلمة هذه الكفة، وهذا الدفق المسيحى، فقد اخذت تشجع زيارة الاحتفاء بالنبى موسى، واضعة هذا الثقل فى الكفة الاخرى(١). فيتقاطر الى القدس الوف من المسلمين من جميع انحاء البلاد فى الوقت نفسه،

(١) لا تغيب على السيدة نيوتن اذا لم تعرف حقيقة السبب فى اصل موسم النبى موسى الا هذا، فهو فى نظرنا قشور. ولو انها اطلعت على تاريخ فلسطين مليا لدولتى بنى ايوب والمماليك لوجدت ان السبب هو ما ذكرناه سابقا فى موضعه.

ويكون المهرجان فى ساحة الحرم الشريف ثم يؤلفون المواكب، تخفق فوقها الالوية، وتنتضى السيوف وتغرد البنادق فى الفضاء، وتلتهب النفوس بالاهازيج والاناشيد. ثم تنحدر الصفوف الى مزار النبى موسى وهناك مسجد باسمه قرب البحر الميت.

«ودون ان يكون لى اقل رغبة فى التقليل من خطورة الاضطرابات، وهى مأساة فظيعة، وقعت فى غضون تلك الايام، اود ان اضع بين يدى القارئ ما اعلمه من اصل السبب فى ذلك.

«لا يخفى ان العاطفة الدينية تكون شديدة الاستيقاظ فى موسم النبى موسى طول ايام هذا المهرجان، والآن زاد السبب علة: الجو المحموم الذى يسود فلسطين، فوجدت روح القومية العربية متنفسا لها فى هذه الاحتشادات الصاخبة. ان هذه المواكب، وان بدت للعين الاوروبية انها تمثل الجمهور العام غير انها كانت تسير مع اختلاط بعضها ببعض سيرا منظما، ونطاق الشرطة من حواليها، وطريقها باب الخليل. وكان الجماهير من الناس من على جانبى الطريق المكشوفة يتفرجون كعادتهم، وطبعا كان فى هذه الجماهير يهود، وسمع احد هولاء اليهود يتفوه بكلام بذئ تحقيرا للمشهد، وهناك شهود قالوا انهم رأوه على الاثر يبصق فى وجه الاعلام الدينية. فلما كان منه هذا، على مرأى ومسمع من العرب، تناولته الايدى طرفة عين وذهبت به بغير هوادة. فكانت هذه هى الشرارة الاولى، وانتصر لليهودى اخوانه فوقعت الواقعة، خالطها الفريقان.. وانتقلت الصيحة الى داخل المدينة (باب الخليل حيث وقع الحادث من خارج السور) وكان الصدام هناك مريرا على العرب واليهود. واستدعيت الجنود لتؤازر الشرطة فى اخماد النار، وقد اتخذت الواقعة شكلا عاما واسعا. واغلقت بوابات المدينة كى لا تداهم من الخارج فيبقى من فيها على السلامة. ونصب الخفراء والحراس على المداخل والمخارج وصار لا يسمح لأحد بالانتقال الا اذا كان بيده رخصة خطية. وبعد ثلاثة ايام او اربعة، سكنت الحال، وعاد الهدوء، وبحسب الارقام الرسمية كانت الخسائر سبعة من اليهود قتلى و٢٠٠ جرحى، ومن العرب خمسة قتلى و ٢٥٥ جرحى . اجل، ان الواقعة مأساة، لكن بفضل ما ابدته الحكومة من حزم فقد اعيد الامن الى نصابه. وهذه هى الحقائق الواقعية لا ريب فيها، وبالوسع تأييدها بشهادات شهود عيان من موظفين بريطانيين فى الحكومة كانوا فى القدس فى ذلك الوقت، ومن بعضهم فهمت هذا مباشرة لما زرت القدس بعد بضعه ايام.

«ولابد من ان اضيف الى هذا عبارات تتعلق بالنتيجة المنطقية لهذه الاضطرابات وما جرت اليه من حوادث اخرى فى المستقبل . فقد حضرت هيأة قضائية من مصر لتحقق فى الحوادث. غير ان تقرير هذه الهيئاة لم يذع على الأهالى . وبحسب القوانين العسكرية المرعية، ألفت محكمة عسكرية خاصة لمحاكمة الموقوفين من عرب ويهود. ومحاكمة شخص من هؤلاء قام وقعد لها العالم اليهودى، وهو جابوتنسكى، الذى كان متوليا امر الهاجناه فى انشائها وتدريبها التدريب العسكرى فى الخفاء ولأسباب يجهلها الرأى العام . فالسلطة العسكرية لم

تتخذ اى اجراء لحل هذه المنظمة، وهى غير قانونية ووجودها تحد للحكومة، اذ لا يسمح للاهالى المدنيين باقتناء السلاح (وانا كان عندى بندقية المانية معلقة فى بيتى وهى هدية تذكارية فجاءت الشرطة واخذتها). واما كيف استطاعت منظمة الهاجناه غير القانونية ان تأتى بالسلاح، ومن أين ، فذلك لم يعرف وبقى سرا عاما، غير ان العرب توصلوا فى التقصى الى ان اليهود استوردوا السلاح تحت ستار انه بضاعة تخص الصليب الاحمر. وتأكد العرب من هذا، فزادهم نقمة على الحكومة لان المياه مشت من تحت اقدامها وهى لا تدرى وليس من المهم ان ما قاله العرب صحيح او غير صحيح، غير ان المهم هو وجود منظمة الهاجناه بهذه الاسلحة يستعملونها فجأة فى هذه الاضطرابات، وهذا ما احنق العرب وهم عزل من السلاح الا العصى والمدى.

«وفى اثناء محاكمة جابوتنسكى، وقع شئ استرعى انتباه اللجنة الملكية فذكرته فى تقريرها (١٩٣٧) اذ قالت : وكان لهم أى لليهود دائرة استخبارات بالغة الحد من السرقة. وهذه اشارة الى جابوتنسكى فانه ابرز فى اثناء محاكمته من قبيل البينة أوراقا رسمية فى الشيفرة على غاية الخطورة مسروقة من صندوق الحكومة، الصندوق الذى من الواجب على رئيس الاركان ان يكون حافظا مفتاحه معلقا فى عنقه. وكان جابوتنسكى امام الحكمة العسكرية مستخفا مستهزئا. وكان يجابه القضاة بوقاحة انه لا يهمه اى حكم يحكمونه به اذ هذا الحكم سينقض لا محالة. فحكمت عليه المحكمة بالسجن ١٥ سنة مع الاشغال الشاقة. وبعد مدة قليلة خفضت مدة السجن الى سنتين، وبعد مدة قليلة اخرى، صح ما قاله جابوتنسكى، فعفى عنه(١). »

ثم قالت السيدة نيوتن فى النهاية:

«ولا يسعنى ان اختم هذه القصة المحزنة التى وقعت فى الفصح، دون ان استرعى الانتباه الى حقيقة لا سبيل الى انكارها، وهى ان هذه الاضطرابات لم تكن مدبرة قط من جهة العرب. هذه هى الحقيقة، وهى طبعا عكس ما أشاعه اليهود. فقد كانت الاضطرابات محض ارتجالية، او انفجارا آنيا، ناشئا عن شدة كراهية العرب لسياسة الوطن القومى، اذ باتوا يرون خطره عليهم وعلى ذراريهم يزداد يوما عن يوم. وكان كل احد يعلم ان البركان صارت تسمع له زمزمة منذرة بالقذف. وربما كان لابركان تطول حاله وهو هامد لولا الشئ المستفز الذى حدث فى باب الخليل».

انتهى كلام السيدة نيوتن.

---

(١) يقول ويزمن فى مذكراته أن جابوتنسكى لم يقبل العفو لانه وضع على مستوى المتهمين العرب. والذى عفا عنه هربرت صموئيل اليهودى اول مندوب. سام. وهذه من ويزمن انتفاخة رخيصة، فقد بذل ويزمن نفسه غاية الجهد للحصول على العفو. والمندوب السامى صهيونى محض .

لما جئت فلسطين من دمشق فى سبتمبر ١٩٢٠ كان قد مضى على سيل اول دماء او انفجار أو بركان نحو خمسة اشهر، وكان مقامى فى القدس. وما ذكرته السيدة نيوتن هو الواقع بعينه حرفا حرفا، ولا غبار على ما قالته الا ما يتعلق بأصل السبب فى انشاء موسم النبى موسى فى فلسطين وقد غاب عنها ذلك من الوجهة التاريخية، وقد نبهنا على ذلك فى موضعه.

وبقى الحديث بين الناس عن يوم النبى موسى (١٩٢٠/٤/٤) مدة طويلة فى فلسطين والخارج. وتركت الدماء الاولى اثرا عميقا فى النفوس. وتلفتت البلاد العربية الى هذه بذهول، لكن العين بصيرة واليد قصيرة كما يقولون، وكانت دمشق وقتها بدأ مقلاها يغلى على النار، اذ كان غورو يستعد للعمل العسكرى. واخبرنى اصدقائى فى القدس، وأحدهم من اخوانى العرب المسيحيين، وكان يشاهد الموكب فى باب الخليل عن كثب، التفاصيل كلها(١)،

وهى تماما كما قالت السيدة نيوتن. وليس المهم عند العربى الذى يتصدى للكتابة عن ايام العرب فى فلسطين قبل ٤٦ سنة من اليوم أى اليوم الذى كتب فيه هذا الكتاب، ان يقول انه لولا مجئ اليهود الصهيونيين الى الموكب، ظاهرهم التفرج وقصدهم التحرش، لما وقع شئ! ان مثل هذا القول مضى زمنه فاليهود تراهم فى هذا الدور فى اول المراحل، سنة ١٩٢٠، وعمدتهم السلاح اتوا به رغم انف الحكومة، ومن يدرى فقد يكون ذلك بشئ من علمها، ويقودهم تلميذ احدها عام، وهو الكابتن جابوتنسكى الذى يعد ممثل فكرة التجمع والاقتحام والعرب الفلسطينيون وقتئذ لم يزالوا فى اول فجرهم، وقت لا تميز الخيط الابيض من الخيط الاسود الا بعد تحديق النظر. ولما كنا معنيين كما يلاحظ القارئ العربى، بالكشف عن مناهج برتوكولات حكماء صهيون، وكيف تطبق لبنة لبنة، درجة درجة، وتسير خطوة هنا وخطوة هناك، وكانت لهذه البرتوكولات آثار مستترة فى فلسطين، وكان جابوتنسكى هو البارز فى هذا، فقد رأينا ان نستوفى خبر جابوتنسكى بعد قليل لنقدمه الى القارئ نموذجا من بضاعة الصهيونى الذى تسيره روح البروتوكولات الجهنمية وروح التلمود.

* * *

(١) واخبرنى هذا الصديق زيادة على ما اجملت مس نيوتن: انه هو، وهو واقف يرى مرور الموكب، ويشاهد ما حدث، ابصر جنديا هنديا فارع القامة، تناول يهوديا بضربة لها سرعة البرق فاضمحل اليهودى وذهب شطرين او اكثر وانما صنع الجندى الهندى هذا من نفسه فى ابان الضوضاء لأنه هو رأى بعينه وسمع بأذنه البصق والشتم من اليهود

١٨ - ويزمن فى مذكراته يشوه رواية الواقع

ولكى نتم خبر يوم النبى موسى نقول:

هذه هى وقائعة، وقد اطلع عليها القارئ.

والحقيقة المحسوسة، ان اليهود الصهيونيين تعمدوا الاحتكاك بالعرب، ليظهروا غطرسة مسلحة، وهم واثقون ان الحكومة العسكرية أعجز من أن تأخذ على يدهم. فماذا قال ويزمن فى مذكراته وهو يتعمد التحريف القبيح؟ قال ما هذه خلاصته:

١ - انه اجتمع بالحاكم العسكرى واللنبى فى القدس، وكان هربرت صموئيل فى فلسطين وقتئذ زائرا دارسا من قبل الصهيونيين(١) «وتنبأ ويزمن بوقوع مذابح وطالب باتخاذ وسائل الاحتياط عسكريا، فقال له بولز: لا تخف! المدينة تعج بالجند فاذهب الى حيفا، واصرف يوم العيد مع والدتك الشيخة العجوز!

٢ - ان العرب تعمدوا الفتنة لأن مؤتمر سان ريمو قريب الانعقاد ليبحث مصير الأقطار التى انفصلت عن تركيا وتوزيع الانتدابات، فالفتنة تلفت النظر الى العرب والخفض من شأن وعد بلفور.

٣ - ان السلطة العسكرية كانت تعلم ماذا سيقع او هى حرضت عليه من وراء ستار!

٤ - والتحريف الفظيع الذى التزمه ويزمن فى مذكراته وهو يسرد ما يريد، انه تجاهل تماما الحوادث فى باب الخليل، ومن باب الخليل انتقلت الى داخل المدينة، وذهب رأسا الى القول بالعدوان داخل المدينة، فقال ان العرب عند خروجهم من المسجد الأقصى صاروا يقتلون من رأوا من اليهود. وحوادث داخل المدينة فرع من حوادث باب الخليل، كما رأينا سببها اليهودى بالشتم والبصق.

٥ - ولم يذكر ويزمن السلاح النارى الذى استعمله اليهود علنا لأول مرة، والعرب ليس فى أيديهم شئ على الاطلاق، سوى بعض العصى والمدى.

٦ - وقال ان جابوتنسكى حكمت عليه المحكمة بالجسن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة، الحكم الوحشى، ثم عفا عنه هربرت صموئيل لما جاء فى أول يوليو ١٩٢٠ اول مندوب سام،

(١) ينبغى ألا يقع ى ذهن القارئ العربى شئ من الإبهام، إذ يرى هربرت صموئيل الآن فى فلسطين زائرا، والآن فصل الربيع ١٩٢٠، ثم يراه فى اول تموز (يوليو) قادما مندوبا ساميا. فان «حكماء صهيون» لما كانوا مهيئين هربرت صموئيل ليكون أول مندوب سام مذ نقل اللنبى الى القاهرة كما تقدم، فقد ترتب ان يجئ صموئيل لدراسة الاحوال عن كثب فى اثناء الحكم العسكرى فجاء وقام بمهمته.

فرفض جابوتنسكى هذا العفو لأنه وضع على مستوى واحد وصعيد واحد مع العرب. ولم يذكر ويزمن ما أبرز جابوتنسكى الى المحكمة من وثائق شيفرة خطيرة يتباهى بأنها مسروقة من صندوق شيفرة رئيس أركان حرب الجيش البريطانى.

٧ - ثم توجه ويزمن الى اوروبا، وفى طريقه الى سان ريمو فى شمال ايطاليا، عرج على اللنبى فى مصر وطلب منه أن ترحل الحكومة العسكرية عن فلسطين بأقرب وقت ممكن!

* * *

١٩ - بعد مئة يوم يطلب الجنرال بولز إلغاء المنظمة اليهودية

لم ننس الرسالة العجيبة التى كتبها الجنرال بولز فى ٢١/ ١٢ / ١٩١٩ الى الجنرال اللنبى فى مصر، وسلمها الى ويزمن، وفيها انه يتعهد بأنه فى عشر سنوات يستطيع ان يحول فلسطين الى بلاد لبنا وعسلا اذا اسعف بقرض ١٠ - ٢٠ مليونا عند تقرير الانتداب، وأنجد بهربرت صموئيل وينتج عن ذلك فى جنة عدن:

١ - ان تخف مناهضة العرب للصهيونية مع بقائهم مطالبين بالانضمام الى سوريا الكبرى.
٢ - والآن يفتح الباب للهجرة دون ضوضاء.
٣ - ويصبح عدد السكان مليونين ونصف المليون بدلا من الست مئة الف اليوم (١٩٢٠).
٤ - ووادى الأردن سيسكنه مليون بدلا من الألف المبعثرين فيه.

ثم مضى على هذه الرسالة مئة يوم وثلاثة ايام، وفى ٤/٥/٢٠ اى اليوم الذى وقعت فيه فى القدس حوادث النبى موسى وقد وقف عليها القارئ، نرى الجنرال بولز نفسه، بعد ان رأى تصرف ويزمن واللجنة الصهيونية والهيئات اليهودية ازاءه وازاء السلطة العسكرية، هو كتصرفهم فى مصر زمن الفراعنة، وتصرفهم مع ملوك الكلدان، والبابليين، وملوك سوريا الاراميين وملوك سوريا السلوقيين بعد الاسكندر، وملوك البطالسة فى مصر وملوك الرومان، والرسول العربى محمد بن عبد الله فى الجزيرة، كتب الى اللنبى هذه الرسالة الوضاحة الجبين، ننقلها من الاصل الانكليزى وقد نشرت قبل اليوم فى عدة مواضع(١):

سيدى الجنرال،

لا استطيع ان اقرر على اى فريق من فريقى السكان تقع المسؤولية حتى ولا استطيع تعيين افراد منهم، ما دامت القضية - قضية فلسطين - لم يبت فيها بعد، ولكنى استطيع ان اثبت بكل توكيد انه لما وضعت الامور على المحك(٢)، راحت اللجنة الصهيونية تتمرد على

(١) هذه المراسلة الرسمية من بولز إلى اللنبى لم تنشر رسميا يوما ما، بل بقى امرها مستورا زمنا طويلا، و«حكماء صهيون» الذين استطاعوا ان يسرقوا «الشيفرة» من الصندوق الذى مفتاحه فى عنق رئيس اركان حرب الجيش البريطانى بفلسطين، استطاعوا ايضا ويستطيعون ان يحولوا دون نشرها. وعلى مقدار ما نعلم، لعل صديقنا وديع البستانى رحمه الله هو اول من اخرجها من الظلمة الى النور. فنشرتها مصادر انكليزية وعربية عديدة. فنشرت فى كتاب «فلسطين العربية» لعيسى السفرى ١٩٣٧ وفى كتاب «الانتداب فى فلسطين» (بالانكليزية) للبستانى نفسه. وما يطلع عليه القارئ هنا، هو ترجمتنا من الاصل الانكليزى.

(٢) اى قد تم له المرور بتجاريه مع اليهود، كأنه كان من قبل هذه التجارب وهذا المحك يجهل اليهود الصهيونيين ومن هم فى حقيقة عنصرهم وجبلتهم. وقد تم له وضع الامور على المحك فى بضعة اشهر!

سلطة الحكومة، واتخذت من بداية الامر موقفا كله منابذة، ونقد جارح وسفاهة. وباستثناء قلة ضئيلة من رجالها فكلهم يرفضون التصديق بحسن نيتنا البريطانية وأخذنا بالعدالة والسوية.

فهم لا يرتضون هذه العدالة من المحتل العسكرى، بل يريدون ان تكون الحكومة العسكرية ملبية لرغائبهم فى كل قضية يكون فيها احد الفريقين يهوديا. فهم صعاب المراس جدا. وفى القدس، وهنا هم الاكثرية، لا يرضيهم بل يريدون ان يمارسوا السلطة بأنفسهم. واما فى اماكن اخرى حيث هم اقلية، فيستصرخون السلطة طالبين حمايتها. ولا حاجة الى الاسهاب فى شرح الصعاب التى لابد للحكومة ان تلاقيها فى المستقبل (قلت: واين ذهبت التعهدات ان تصبح فلسطين بعد ١٠ سنوات بلد اللبن والعسل؟) **وانا اليوم اذا احتجت الى التعامل مع ممثل الطائفة اليهودية، فيهددنى بقوة الرعاع، ويرفض ما تفرضه الانظمة الرسمية المقررة، الجارية الاحكام.**

«فيتضح مما تقدم ان سلطتى الخاصة (كحاكم عسكرى) وسلطة اى دائرة من دوائر الحكومة، هما عرضة للتنزى عليهما من قبل اللجنة الصهيونية. وانى متأكد انه من المتعذر استمرار هذا الوضع دون ان يسبب ضررا ويوقع الامن العام فى معضلات تعم البلاد، فتجر الحكومة الى مآزق حرجة.

«ولا يجدينا نفعا فى هذه الحال ان نقول للسكان المسلمين والمسيحيين اننا فى السير بادارتنا الحكومية انما نحن محافظون على العهد الذى اعلناه لهم لما دخلنا القدس، بينما شواهد الحال تكذبنا فى ذلك، فمن جعل العبرية لغة رسمية، الى انشاء جهاز قضائى يهودى، الى امتلاء جهاز الحكومة بالموظفين اليهود الذى ولاؤهم للجنة الصهيونية، الى منح اعضاء اللجنة الصهيونية امتيازات خاصة فى اسفارهم وتنقلاتهم. كل هذا وأمثاله، يراه منا السكان غير اليهود خروجا على العهد المقطوع لهم، ومحاباة وتمييزا وايثارا، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان اللجنة الصهيونية تتهمنى وتتهم موظفى الحكومة بأننا معادون للصهيونية. فهذه حالة لا تطاق. ومن الانصاف لى وللموظفين الذين فى اداراتى ان تزول هذه الحالة. ولابد من القول ان هذه الحكومة التى فى عهدتى قد نفذت باخلاص رغبات حكومة جلالته، ونجحت، لانها سارت وفق قوانين الادراة الاحتلالية العسكرية بدقة. غير ان هذا لا يرضى الصهيونيين الذين يزدادون غطرسة فى محاولتهم حمل الحكومة العسكرية المؤقتة على ان تمنحهم التفضيل على سواهم قبل ان يقرر الانتداب. وانه لمن المستحيل ان تستطيع ان ترضى قوما ينادون بألسنتهم نريد وطنا قوميا، بينما هم فى خططهم العملية لا يطمعون فى ما هو اقل من الدولة اليهودية بكل معانيها السياسية.

فلذلك ومن اجل مصلحة الامن العام، ومصلحة الصهيونيين انفسهم، التمس إلغاء اللجنة الصهيونية.

المخلص ل.ج بولز

* * *

لا ريب ان القارئ يستغرقه الاستغراب، وهو يقرأ هذه الرسالة ، كما حصل له مثل هذا لما كان يقرأ الرسالة التى ارسلها الجنرال بولز الى اللنبى ووضعها ويزمن فى جيبه، قبل بضعة اشهر.

ونود استرعاء نظر القارئ الى العبارة التى وردت فى هذه الرسالة الآن، وتحتها خط رفيع، فهذا الخط منا لندل عين القارئ عليها الآن بسهولة. فيقول بولز، الحاكم العسكرى البريطانى فى فلسطين، نائب القائد العام، واللنبى القائد العام نائب الملك والامبراطور، انه اذا احتاج الى التعامل مع الطائفة اليهودية، فيهدده ذلك الممثل بسطوة الرعاع.

حسن ثم حسن، لكن كيف يتصور ذلك بعين العقل او الخيال؟

كل ذلك ممكن، واكثر منه، ما دام وراء ممثل الطائفة اليهودية فى فلسطين ١٩٢٠ قوة حكماء صهيون وهى الآن فى اول الطريق.

قال نفيل باربر صاحب كتاب Nisi Domiuus فى التعليق على هذه الرسالة ان الجنرال بولز لما كتبها اثر حوادث يوم النبى موسى ١٩٢٠ وارسلها الى القائد العام اللنبى فى مصر، لم يكن يدرى المحور الذى كان يدور حوله لويد جورج ولورد بلفور من اجل اليهود، فقد كان يجهل ذلك جهلا تاما.

وقالت السيدة نيوتن ان الجنرال بولز لما رفع هذا التقرير الى الجنرال اللنبى لم يكن يخفى عليه ان ساسة لندن سيعرضون عنه، لذلك قدم فى الوقت نفسه اقتراحا آخر يلطف من اقتراحه حل اللجنة الصهيونية ويفضى الى نتيجة عملية، وهو ان تحل اللجنة ثم يؤلف مجلس يهودى استشارى يكون على صلة بالحكومة وتحت جناحها، فتمشى الامور الى ان يقرر الانتداب. ونقول: ولا هذا التلطيف يجدى شيئا، اذ هنا اليهودية العالمية!

* * *

٢٠ـ اليهود ينذرون الجنرال بولز إنذارا مدته ساعتان والوثائق الأربع

فى ٩ / ٤/ ١٩٢٠ وحوادث يوم النبى موسى أخذت تهدأ بقوة الجيش لكن النار لم تزل تحت الرماد، قررت اللجنة الصهيونية التى رئيسها بالوكالة وقتئذ مناحيم مندل أورسيشكين، وهو روسى من اودسا، زميل ويزمن منذ ١٨٩٨ كما قرر المجلس الطائفى اليهودى فى فلسطين بالاشتراك مع اللجنة، أن يضربا الجنرال بولز ضربةً جارحةً لكرامته، وكرامته من كرامة رئيسه الذى فى القاهرة، فكتبا رسالة وقحة إلى الجنرال تنطوى على إنذار وتهديد ووعيد، منها هذه الفقرة التى عرفت وقتئذ ثم بعد مدة نشرت فى الصحف:

«... وقد رأينا من الواجب المحتم علينا أن نبلغك أن السكان اليهود من كبيرهم إلى صغيرهم قد قرروا أنهم فى ساعتين اثنتين فقط إذا لم تضمن لهم سلامتهم ضماناً تاماً، وتكفل حمايتهم كفالة كاملة،، فانهم يرون أنفسهم تتسلط عليهم أيدى سواهم، فيقوموا قومة رجل واحد يدافعون عن أنفسهم وعن اخوانهم الذين يساء اليهم ويقتلون امام عيونهم وعلى الحاكم العسكرى المسؤولية»[1] ا هـ.

ووقع هذا الانذار أوسيشكين الذى تكلمنا عنه هنا بايجاز وسنتناوله فى موضع آخر بما فيه الكفاية، وداود يلين، وهذا من اليهود المحليين وزعمائهم من قبل الحرب العامة. فأراد اليهود جميعاً أن يتحرشوا بالحاكم العسكرى نفسه كما تحرشوا بالعرب من قبل أيام. والغاية بعيدة قريبة على طرف الثمام، إذ فى أول يوليو ١٩٢٠ حصل ما يلى:

١ ـ وصل من لندن السير هربرت صموئيل إلى يافا مندوباً سامياً، فتلقاه اليهود بالهتاف (أهلاً بأمير إسرائيل الأول) لكنه وجد البلاد وهى عربية متجهمة فى وجهه، فاليهود وإن كان أكبر عدد منهم يوجد فى القدس، غير أنهم لا يزيدون على ستة بالمئة من مجموع سكان البلاد. فنُقِل من يافا إلى القدس بحراسة عسكرية فائقة. ولما كتب هو مذكرته ١٩٤٥ ذكر هذا وقال إنه لم يكن خائفاً من العرب!

---

(١) هذا الإنذار كان سنة ١٩٢٠ كما ترى، والحكومة عسكرية، وجعلت بريطانيا تهود البلاد ٣٠ سنة (من ١٩١٨ ـ ١٩٤٨) حتى سلمت اخيراً إلى «حكماء صهيون»، ١٩٤٨ وكانت إسرائيل. وكانت بريطانيا اشبه بمن يرضع الذئب، فمنذ ١٩٤٢ فصاعداً نظم اليهود قوات الارهاب الفتاك المسلح، بتدريب ضباط بريطانيين وأسلحة مستودعات الجيش، سراً وعلناً، ولما قوى الذئب صارت العصابات اليهودية تقتنص الضباط الانكليز وتجلدهم وتعلقهم على جذوع الشجر.

٢ ـ وصعد إلى دار الحكومة فى جبل الطور ليتسلم مسؤولية الحكومة من الحاكم العسكرى الجنرال بولز وهو كان ضيفاً عليه قبل بضعة أشهر.

٣ ـ وهناك حدث ما فيه عبرة عن طريق النكتة التى لم يسبق لها مثيل. ولما كانت القصة تتعلق بالجنرال بولز، وبهربرت صموئيل نفسه، وهذا الأخير أصدر مذكراته سنة ١٩٤٥ واورد الحكاية، فننقل من مذكراته ص ١٥٤ ما ذكره عبارة عبارة قال:

«لما وصلتُ إلى دار الحكومة فى جبل الطور، وكانت قَبْلُ مقر الحكومة العسكرية، واعتباراً من هذا اليوم امست دار الحكومة المدنية، استقبلنى مضيفى جنرال بولز الذى كنت ضيفاً عليه من قبل، وهو متهئ للترحيب بى وتسليمى مقاليد الحكومة. وكان فيه طبع المرح والنكتة، مما سبب حادثة فكاهية نشرتها الصحف فيما بعد، لكن لم يكن نشرها فى الصحف بغاية الدقة، فاحببت ايرادها هنا. فلما انتهى دور التسليم وقبل أن يخرج الجنرال بولز من المكتب قال لى: والآن أريد منك أن توقع لى وصلاً بالاستلام. فسألته: «وصلاً باستلام ماذا؟ قال: فلسطين فقلت لا أستطيع ذلك ولعلك لا تعنى هذا من قبيل الجد. فأجاب: أعنى هذا بكل تأكيد. وهذا هو الوصل مهيأ ومطبوع. وناولنى قصاصة ورق صغيرة هذا ما فيها: ـ

«استلمت من الماجور ـ جنرال سير لويس ج. بولز. K. C. B. فلسطيناً واحدة بالتمام والكمال» وبعد هذا، التاريخ وفسحة للتوقيع. فعدت أتردد، فأصر، فوقعت، وأضفت عبارة «ما عدا السهو والغلط»، جرياً على عادة لغة الوصولات التجارية. وأخذ بولز هذا الوصل ولما عاد إلى لندن وضعه فى إطار. وقيل لى إن هذا الرسم كان على منضدته فى محل عمله. ومن هنا تسرب خبره إلى الصحف» انتهى كلام صموئيل.

فيحسن بالقارئ أن يتذكر هذه الأوراق، وليعتبر:

١ ـ رسالة بولز إلى اللنبى يتعهد باللبن والعسل.

٢ ـ رسالة بولز إلى اللنبى يطلب الغاء اللجنة الصهيونية.

٣ ـ رسالة التهديد من اوسيشكين وداود يلين إلى بولز.

٤ ـ الوصل الذى وقعه هربرت صموئيل فى أول يوليو ١٩٢٠.

***

هربرت صموئيل، هكذا عرف اسمه خمس سنوات ونصف فى فلسطين.

هو من: حزب الأحرار وأول يهودى وَصَل إلى حقيبة وزارية بعد دزرائيلى اليهودى الذى كان فى الربع الأخير من القرن قبل الماضى. صموئيل هو أول من قدم عريضة إلى الحكومة البريطانية إثر دخول تركيا الحرب ١٩١٤ إلى جانب المانيا، يطلب اقطاع اليهود سنجق القدس فى حالة هزيمة تركيا واقتسام أملاكها، وكان تقديم هذه العريضة آخر سنة ١٩١٤ فلم تقبل

بصيغتها الأولى، فعدلها فقبلت. وجاء فلسطين مرتين دارساً قبل أن يعين مندوباً سامياً، وهو أول مندوب سام خَلَف الحكومة العسكرية كما تقدم فى صفحة سابقة. وخطب سنة ١٩٢٢ خطبة سياسية فأنكر أنه صهيونى، مع أن صديقه تشرشل وزير المستعمرات وصفه بأنه صهيونى قح وهو فى خطبته هذه راح يبدى ختلاً وتضليلاً وجَمّل يفسر الصهيونية تفسيراً كله خداع ومراوغة. وهو مَرِن، طويل الاناة. تعلم العبرية وقليلاً من العربية. وهو الذى أنشأ جميع الأوضاع لسياسة التهويد. كان يلقبه اليهود بأمير إسرائيل الأول أو عزرا الثانى لا ريب أنه يعد من رؤوس الصهيونية العالمية المنيفة. ولما دعى بلفور سنة ١٩٢٥ ليحضر حفلة تدشين الجامعة العبرية على جبل الطور، هاجت البلاد نقمة عليه فذهب إليه مدير الأمن العام البريطانى واقترح عليه الغاء دعوة بلفور فرد الاقتراح وقال: «حان للعرب أن يفهموا أن اليهود أصبحوا سادة فى بلادهم، أحراراً فى وطنهم». وأوردت السيدة نيوتن فى كتابها هذه العبارة بعينها.

جاء بلفور، وحضر الحفلة وخطب، وكرر الإعراب عن أمانيه نحو الوطن القومى. وأراد هو وأراد هربرت صموئيل أن يزورا الحرم الشريف فى القدس، فأقفلت أبواب الحرم فى وجهيهما واضربت البلاد كلها وساد القلق والخوف. ولما ذهب بلفور إلى دمشق فى طريق عودته إلى لندن، نُصِبَ له كمين فلم تنجح الخطة. وهبت دمشق فى وجهه بالمظاهرات العنيفة فاضطرت السلطة الفرنسية إلى حمايته ونقله إلى بيروت فالباخرة نقلاً مخفوراً بالجند.

أما هربرت صموئيل فأطلقت عليه النار مرة فى شمال فلسطين فنجا، وثانى المرتين فى بيسان لا بقصد قتله بل للحفاوة به. وبيسان كلها وقتئذٍ عرب محض وعصبة حمية. وكانت زيارته للبلدة لأول مرة. وكان الحاكم الوطنى هناك ربحى مراد من القدس فقص علىَّ خبرها بتفصيل قيدته فى دفاترى. لكن الحادث مرعب. فلما أحاطت الفرسان بموكب صموئيل وجعلوا يطلقون النار من بنادقهم فى الفضاء، والعثير سد الجو، وعلت الصيحات، تهاوى صموئيل فى مقعده، وانحل وامتقع لون وجهه وصاح بالحاكم ربحى مراد بالانكليزية: «حياتى فى خطر، انقذنى بحرمة العرب»! فأنقذه بأن استعان بكل قوة حتى أدخله سراى الحكومة فى بيسان وضرب نطاق الحراسة من حولها؛ وفى الصباح رتب أمر خروجه وبراحه ترتيباً محكماً. ولما وصل صموئيل القدس وبعد قليل عزّلَ الحاكم. ثم أطلقت عليه النار للمرة الثالثة فى غزة يوم زارها تشرشل ١٩٢١ فنجا. مات منذ نحو ٣ وقت تأليف هذا الكتاب سنين عن عمر جاوز التسعين. ابنه ادوين صموئيل فى إسرائيل اليوم. ولهربرت صموئيل عدة كتب فكرية فلسفية ما عدا مذكراته. وله فى أثناء ولايته حوادث وأخبار فريدة تدل على كثير من مخطط حكماء صهيون. ولو تقدمت يقظة الأمة العربية عشرين سنة، لما جاء هربرت صموئيل ولا بلفور إلى فلسطين ونعرف له نوادر وأموراً كثيرة فى أثناء تقلده العمل، وهذا لا محل له هنا.

٢١ ـ جابوتنسكى ينبوع الإرهاب اليهودى

٢

لما كان غرضنا الأول من هذا الكتاب بقسميه البروتوكولات وتطبيقها فى فلسطين، أن نضع بين أيدى القراء العرب فى العالم كله نماذج من تطبيق عقيدة التجمع والاقتحام التى يعد أحدها عام واضع منهجها وفيلسوف فكرتها، وقد مر الكلام على أحدها عام فى موضعه، فإننا نوجز هنا بداية تطبيق المخطط فى فلسطين؛ بإيراد المزيد من خبر جابوتنسكى، وذلك للأسباب التالية:

١ ـ هو مع رفقته من أول المنادين، منذ مؤتمر هرتزل الأول ١٨٩٨ فى بازل، بأن المملكة اليهودية يجب أن تؤلف من فلسطين كلها ومن شرق الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية)، ثم من النيل إلى الفرات.

٢ ـ هو من المنادين أيضاً بأن الوصول إلى هذا، يجب أن يتم بالتجمع والاقتحام أى بالقوة المسلحة.

٣ ـ انفصل عن ويزمن والمنظمة الصهيونية سنة ١٩٢٢ وأعلن مخططه بانشاء حزب سياسى جديد اسمه بالانجليزية Revisionist[١] واقترح أن يتفق مع المنظمة على اصطناع انشقاق فى الحركة الصهيونية العالمية. ومدار هذا الانشقاق أن يمثل ويزمن دور كافور، وجابوتنسكى دور غاريبالدى، ولا بأس أن يغالى فى تمثيل هذه الصورة إلى أبعد حد ممكن. وهكذا وقع كما يعرف عرب فلسطين الذين عاصروا الحوادث.

٤ ـ اسمه فى فلسطين معروف لكل العرب. أما الجيل العربى الصاعد منذ سنة ١٩٤٨، فلا يعلم عنه إلا قليلاً أو بالأحرى لا يعلم شيئاً إلا اسما يهودياً صهيونياً دموياً.

٥ ـ هو أول يهودى صهيونى هرَّب الأسلحة إلى فلسطين، ويعلم بعض رجال الحكومة،

---

(١) هذا الاسم لا يدل على حقيقة المخطط وغايته، بل هو للتضليل، وكما يستفاد من مذكرات ويزمن، ومن الوقائع التى كانت تشاهد فى فلسطين من حيث تلاعب اليهود وأساليب مكرهم. فالمراد أن يكون جهاز السياسة اليهودية بفلسطين قائماً على محورين: الأول الغلو والتطوح من النيل إلى الفرات، وهذا هو جناح جابوتنسكى، والآخر تطبيق مراحل التهويد فى فلسطين عملياً، وهذا هو جناح ويزمن. وكلاهما واحد. ومراد جابوتنسكى بهذا الاسم هو تنقيح صك الانتداب تنقيحاً يجعل الوطن القومى يشمل بالنص الصريح شرق الأردن كما يشمل فلسطين. واعتادت الصحف العربية أن تسمى هذا الحزب «بالحزب الاصلاحى» وما هذا إلا خطأ فى الترجمة وقصر نظر.

واستعمل هذه الأسلحة علناً فى حوادث يوم النبى موسى فى إبريل ١٩٢٠ فلم يكن بدّ من محاكمته، وفى المحاكمة كان يهزأ بالقضاة العسكريين الانجليز ويقول لهم: أصدروا على أى حكم تشاؤون فهذا الحكم سيلغى حتماً! وفعلاً وقع ذلك كما رأى القارئ. هذا إلى تباهيه فى المحكمة بأن فى يده وثائق بينات مسروقة من صندوق الشيفرة السرى الذى ينبغى أن يكون مفتاحه معلقاً دائماً فى عنق رئيس أركان حرب الجيش البريطانى، كما تقول مس نيوتن، وقد مرّ ذكرها.

٦ ـ حكمت عليه المحكمة العسكرية سنة ١٩٢٠ بالسجن ١٥ سنة مع الأشغال الشاقة ثم بإخراجه من البلاد بعد السجن، فلم يلبث بعد قليل أن عفى عنه وعاد يسرح ويمرح حراً. عفا عنه هربرت صموئيل أول مندوب سام مدنى، وصموئيل فى نظر اليهود عزرا الثانى أو أمير إسرائيل الأول بعد السبى البابلى. فرفض جابوتنسكى العفو من ابن جلدته، لأنه فى هذا العفو وضع على مستوى واحد مع العرب الذين عفى عنهم أيضاً فى الوقت نفسه. غطرسة يهودية! تارةً ثعلب وطوراً أرنب!

٧ ـ جميع المنظمات الارهابية السرية فى فلسطين هو منظمها الأول.

٨ ـ مات فى أغسطس ١٩٤٠.

٩ ـ جميع ما اقترفه اليهود من مذابح فى فلسطين، ولاسيما فى ١٩٤٨ وما بعدها يعدّ تطبيقاً لمخطط التجمع والاقتحام، وجابوتنسكى هو أول مجرب لتطبيق قاعدة التجمع والاقتحام.

وإننا نورد الآن صفوة ترجمته على قدر ما استطعنا جمعه من أجزاء وخيوط ونقاط، لتكون من كل ذلك صورة للرجل الذى كان أول منفذ مع رفيقه يوسف ترمبلدور، لمخطط التجمع والاقتحام فى فلسطين. وبينما هذا الفصل من هذا الكتاب يجرى طبعه فى النصف الثانى من شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٦٦ وردت الأنباء من مقر هيأة الأمم أن عصابة صهيونية مؤلفة من ٣٠ شاباً اقتحمت مقر البعثة السورية فى نيويورك وارتكبت جريمة محاولة الاستيلاء على موجودات المكتب بالقوة، ومثل هذا الحادث الوحشى الأول من نوعه إنما يقع لأول مرة فى هيئة الأمم وهذه العصابة هى من منظمة جابوتنسكى وترمبلدور.

ومصادرنا فى إيجاز قصته هنا: معلوماتنا مباشرة ونحن فى فلسطين أيام الانتداب كلها. مذكرات ويزمن. كتاب نفيل بارير الانجليزى. كتاب السيدة نيوتن. كتاب مشرقيات لرونالد ستورس استاذ لورانس وحاكم القدس من ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦. مذكرات الكولونيل كيش. تقرير اللجنة الملكية البريطانية ١٩٣٦ ـ ٣٧. كتاب هرويتز. وأسماء هذه المصادر والمراجع مبينة فى آخر هذا الكتاب بعناوينها الانجليزية وتاريخ طبعها.

٢٢ ـ صفوة سيرته وسيرة يوسف ترمبلدور

هو فلادمير جابوتنسكى من يهود اودسا التى منها أحدها عام الواقعة على البحر الأسود (إقليم أوكرانيا) وأودسا هذه أكبر أوكار التلمود، واشتهرت فى القرون الأخيرة بما خرج منها من مغامرين عملوا فى الحركات السرية الارهابية انتقاماً من القيصرية الروسية. وحياة اليهود فى أودسا وسائر أوكرانيا فى العهد القيصرى كناية عن تسديد ضربات وتلقى ضربات. واليهود هنا منذ القرن التاسع الميلادى أو قبل ذلك. وهم خليط مختلف، وأحد هذه العناصر، الخَزَر[1]. اودسا خرج منها فى عصر الصهيونية، أحدها عام واوسشكين زميل ويزمن، والمفكر أو الفيلسوف الصهيونى الدكتور بنسكر صاحب كتاب التحرر الذاتى أو حرر نفسك، وحاييم نحمان بياليك، شاعر الصهيونية والنافخ فى بوق النهضة اليهودية وامتاز بوصف المذابح التى حلت بقومه ولاسيما فى أودسا وأوكرانيا، إلى آخرين فى عدد كبير، وكلهم دورهم طليعى، وهؤلاء الذين ذكرناهم هنا من أودسا، جاءوا فلسطين وأقاموا فيها، باستثناء بنسكر. وأودسا كانت محشورة بأوكار عشاق صهيون من زمن طويل.

ولد جابوتنسكى سنة ١٨٨٠، وهذا قبل أن يظهر هرتزل بالصهيونية السياسية بأربع عشرة سنة. ويزمن أكبر منه بست سنين وهو أكبر من بن غوريون بست سنين. نشأ صحافياً كما نشأ هرتزل، وأتقن عدة لغات، اتخذ توقيعه القلمى التاليا وهذا رمز إلى معنى لم نعثر على مدلوله. خطيب يهوى السياسة لكنه غير مهيأ لها بطبعه ومزاجه، وهذا باعتراف ويزمن، واعتراف هيروتز صاحب كتاب الكفاح فى سبيل فلسطين.

فى دراستنا له، فضلاً عن معرفتنا بأمره عن كثب فى فلسطين، لم نقف على المفصل من أخبار نشأته، وإنما هو على كل حال تلمودي وارتضع روح الصهيونية من البروتوكولات، وهذه من التلمود. ولما كانت الرائحة الأولى التى اشتمت دالةً على مَنْ توجهت إليه تهمة النقاد أنه موضع البروتوكولات، فدلت على أحدها عام ابن بلده، راح جابوتنسكى يتظاهر بالبغضة له ويعلن هذا بأى سبيل. ولماذا التظاهر بهذه الكراهة ولم يعرف لها من سبب معقول؟ فقد تكون مصطنعة اصطناع الانقسام بين جابوتنسكى نفسه وويزمن على نحو ما سيتضح الآن فى مساق الكلام، وقد يكون الخوف.

لكننا نستطيع أن نتابع جابوتنسكى من بداية الحرب العالمية الأولى، وهو وقتئذ فى الرابعة والثلاثين. ومن هذا الوقت فصاعداً يبتدئ بروزه المنيف فى الصهيونية، وهو لا يطير

---

(١) عنصر الخزر فى اليهود: فى هذا الفصل الحقيقة الموجزة.

فى تفكيره إلا على أجنحة التجمع والاقتحام، مخطط أحدها عام فيلسوف الفكرة، ولهذا نرجّح أن تظاهره بالمقت لأحدها عام ما كان فى الواقع إلا تصنعاً وتضليلاً. سنة ١٩١٤ وقبلها، كان كثير التنقل بين إيطاليا وبريطانيا وفرنسا ومصر وبلدان أخرى. ولما وقعت الحرب الأولى كان فى الإسكندرية. ويقول ويزمن أن غوركى، والشيخ الفيلسوف ليوتولوستوى.

ومن الإسكندرية كان جابوتنسكى يراسل الجريدة الروسية RUSSKIYA VYE-DOMOSTI ثم يقول ويزمن: «أما تنقلاته فى المرحلة الأولى من الحرب فغامضة علينا». أصحيح هذا؟ لكننا نعلم من ويزمن أن جابوتنسكى لما كان فى مصر أول الحرب وضع هناك مع رفيقه يوسف ترمبلدور[1] فكرة إنشاء فرقة عسكرية يهودية تقاتل مع الحلفاء، وهذا ما نفذ بعدئذ بانشاء ما سمى بتعبير ويزمن بفرقة البغالة الصهيونية واستخدمت فى غاليبولى وكانت شؤماً على الحلفاء والانجليز خاصة بالكسرة التى كسروها وأمر هذه الكسرة مشهور فى تاريخ الحرب الأولى.

بعد مدة انتقل جابوتنسكى إلى لندن، وهناك شرع يعمل على تنفيذ فكرة تجنيد فيلق يهودى للغاية التى ذكرناها، فلم يقف بجانبه أحد سوى ويزمن وزعيم صهيونى آخر هو يوسف كوين Cowen[2]، وزوجة ويزمن. ولكى تنسجم الأمور بالبحث المفصل، فقد دعاه ويزمن ليقيم فى بيته، وهنا توطدت العلاقة بينهما وصار كل منهما يشرب من ماء أخيه، غير أن ويزمن كان الوعاء الأكبر فى الفكر واتساع الحيلة ولما شرع فى تأليف الكتيبة اليهودية انضم روتنبرغ إلى ويزمن وجابوتنسكى، فقام هؤلاء الثلاثة بالعبء كله.

يقول ويزمن: «كنا فى بداية العمل، وفى أحد الأحاديث التى لا أنساها، فُتِحَتْ عينى عليه فقلت له: أنت يا جابوتنسكى تتولى الدعاية للحركة الصهيونية خطابة وكتابة. فأنت موهوب فى هذا الباب. فتطلع إلى وكادت عيناه تدمعان وقال: يا دكتور ويزمن، إن العمل الوحيد الذى أنا مهيأ له هو العمل السياسى، وأراك تدفعنى إلى غيره، يقول ويزمن: فدهشت، إذ العمل السياسى ليس هو بأهل له، ولا يحسن الأخذ والعطاء مع الإنجليز، فهو يتحلى بروح العناد، وليس له أناة طويلة، ويصعب عليه وزن الأمور الواقعية وقت الشدائد. تراه من فرط تحمسه أبداً متفائلاً، واسع الاقيسة الفضفاضة، فياض الأمل. وهو لم يغير من صفاته هذه

---

(١) صفوة ترجمته ترد بعد جابوتنسكى.

(٢) «كوين» هذا، كان وقتها رئيس الاتحاد الصهيونى البريطانى، واشترك مع ويزمن فى الشوط كله حتى صدور وعد بلفور أواخر ١٩١٧. ولما جاء ويزمن إلى فلسطين على رأس وفد صهيونى أوائل ١٩١٨ ليمهد مع اللنبى والسلطة العسكرية لسياسة التهويد، كان هذا الوفد مؤلف من زعماء يهود بريطانيا وفرنسا وإيطاليا. أما الذين كانوا يمثلون الصهيونية البريطانية فى هذا الوفد فهم ويزمن ويوسف كوين والدكتور داود أدَرْ، وهذا قد مر ذكره

شيئاً، رغم ما لاقى من فشل فى أثناء مساعيه لتأليف الكتيبة اليهودية». ثم يقول ويزمن: «ثم أفلح فى النهاية وأنشأ الكتيبة وجاء إلى فلسطين ١٩١٨ لما كنت فيها. فَرُقّى إلى رتبة كابتن. وفى نهاية تلك السنة وأنا على وشك المفارقة، جعلناه الضابط السياسى فى المنظمة الصهيونية، ولكنى فى سرى لم أكن مرتاحاً إلى تعيينه، وإنما قلل من هواجسى أن فوق يده يد الدكتور أدر، وحسبتُ أن الجمع بين هذين الاثنين أمر لا بأس به». انتهى كلام ويزمن.

***

لا نرى الدكتور ويزمن هنا فى الكلام على جابوتنسكى، إلا متناقضاً مع نفسه، والأمر ظاهر، فهو بعد أن يعترف بعدم أهلية جابوتنسكى لتعاطى الأمور السياسية، ونصحه له فى لندن بأن يتوجه إلى فن الدعاية، نراه فى فلسطين يختار جابوتنسكى لأدق عمل يتعلق بالصهيونية فى أول نبتتها، والحكومة عسكرية، والحرب قائمة، واليهود وقتئذ فى فلسطين لا يزالون فى عهد الذل الطبيعى، أقلية ضئيلة لا تزيد على ٦ بالمئة من مجموع السكان. والضابط السياسى فى المنظمة الصهيونية معناه شد الحبال وارخاؤها مع السلطة العسكرية. وقال ويزمن أنه تدارك الحال بأن وضَعَ الدكتور أدر فوق جابوتنسكى، وليس هذا فى ممارسة الصلاحيات، بل بمثابة مستشار ينقذ جابوتنسكى عندما يتورط.

والتناقض الذى وقع فيه ويزمن ـ وفى مذكراته كثير مثل هذا ـ له سبب. فإن ويزمن، وهو تلميذ أحدها عام، فضل أن يكون الضابط السياسى الأول فى المنظمة الصهيونية سنة ١٩١٨ يهودياً صهيونياً يحمل عقيدة التجمع والاقتحام، وهذه العقيدة فى جابوتنسكى أفيد فى المظهر من تعقل يوسف كوين. فآثر ويزمن أن يكون جابوتنسكى الفاتق، وكوين الراتق. ونرى بعد قليل أن ويزمن هو نفسه الذى ضرسَ بالحصرم.

لدينا الآن نقطة مهمة للغاية تكشف عن ناحية أخرى عن تكتيك حكماء صهيون. فقد قال ويزمن أن الذين وقفوا إلى جانب جابوتنسكى فى فكرة إنشاء الكتيبة اليهودية هو نفسه أى ويزمن، وزوجته، ويوسف كوين، وعند التقدم فى المشروع انضم اليهم روتنبرغ، وهذا من أركان الصهيونية. يقول ويزمن إن المنظمة الصهيونية قامت فى وجه الفكرة وعارضت جابوتنسكى، واليهود غير الصهيونيين صاحوا بالمعارضة الباتة، وتطيروا من الفكرة. فكان التشبيط من كل جهة. وكان للحركة الصهيونية مكتب مركزى واسع فى المانيا، فانتقل هذا المكتب إلى كوبنهاغن أول الحرب، وأعلن باسم الحركة الصهيونية أن اليهود فى العالم على الحياد. فهذا المكتب، الذى يسميه ويزمن مكتب الحياد، بلغ المراجع الصهيونية فى لندن، طبعاً بوسائل سهلة عند الصهيونيين، معارضته لفكرة إنشاء الكتيبة اليهودية. ويقول ويزمن إن بعض المنتقدين قالوا له: «بينما أنت تسعى لتوحيد العالم اليهودى فى حركتك الصهيونية، فاننا نراك تعمل على قسمته». وكل هذا من ضروب الختل والمراوغة، فالتخطيط الصهيونى محايدون فى الحرب.

رات الصهيونية عند وقوع الحرب أن تتهيأ للمساومة، مساومة الحلفاء فى لندن، ومساومة الدول المركزية، كما كان يقال لها فى الحرب الأولى، المانيا والنمسا، وهذا فى برلين. فانشات مكتباً لها فى كوبنهاغن، وقالت هذا هو مكتب الحركة الصهيونية للحياد. وأبقت هيئة صهيونية فى برلين، وصار بوسع مكتب الحياد أن يمتص من لندن وبرلين معاً، ويوازن ويقارن. وجعل الصهيونيون فى بريطانيا يساومون الانجليز على فلسطين ثانى يوم دخلت فيه تركيا الحرب إلى جانب المانيا فى ٥ نوفمبر ١٩١٤ وكان هربرت صموئيل أول من باشر هذا، وهو وقتئذ وزير فى الدولة بتقديمه عريضة إلى رئيس الوزراء يطلب، وقد دخلت تركيا الحرب إلى جانب المانيا، أن تقطع بريطانيا فلسطين ـ وعبر عن هذا بقوله سنجق القدس ـ إلى اليهود فى نهاية الحرب، وقد مر هذا كله فباسم من يحق لهربرت صموئيل وقتئذ أن يطلب هذا وهو وزير فى الدولة وولاؤه لدولته؟ باسم القوة المساومة، الصهيونية المستترة. ولا نطيل الشرح هنا فيما يتعلق بمجارى الأمور فى لندن، فقد نجحت مساومات لندن ونال الصهيونيون وعد بلفور لا فى نهاية الحرب، بل فى ١٩١٧ والحرب فى فلسطين لم تزل قائمة. وإنما يهمنا أن نلفت النظر الآن إلى مساومة الصهيونيين فى برلين واستنبول، لنعلم لا السبب فى تناقض ويزمن وكفى، بل أيضاً كيف كانت تعمل عصابة حكماء صهيون لا من عهد هرتزل واحدها عام، وعشاق صهيون، بل منذ وقت نابليون، لما غزا مصر محاولا الاستيلاء على أرض الشرق وقطع طريق الهند على الانجليز.

***

ذكرنا فى أول هذا الفصل أن من عناصر اليهود الخزر. ومن المفيد إيجاز الحقيقة اليهودية العرقية من جهة Race فالعنصرية اليهودية القديمة لا يقرها علم الأجناس اليوم. فاليهود الذين خرجوا من فلسطين سبياً وطرداً واختلطوا بالأمم فقدوا شيئاً فشيئاً العنصرية القديمة. واعتنق اليهودية فى الأزمنة القديمة والمتوسطة كثير من الأقوام، فأمسى هؤلاء يهوداً ولكنهم بالدم آريون لا ساميون كالخزر مثلاً. فأمسى اليهود جماعات دينية اجتماعية. وبسبب ضعف الدعاية العربية بقيت هذه الأساطير من أن اليهود ساميون سارية، إلا علم الأجناس البشرية فنفاها.

وخير بحث موجز يجلو هذه الحقيقة، وضعه الدكتور محمد عوض العلامة المشهور فى الإنجليزية فى كتيب قدمه إلى اللجنة الانجلو ـ امريكية سنة ١٩٤٧. وهو:

The Zionist Question, In Its Scientifie Setting.

٢٣ ـ حياد الصهيونية المصطنع للمساومة بين بريطانيا وألمانيا وتركيا ١٩١٤

جعل مكتب برلين بعد وقوع الحرب، يغزل مع الألمان وزعماء الاتحاد والترقى الأتراك القابضين على زمام الأمور، غزلاً فى مصلحةالصهيونية والمانيا وتركيا. وكان زعماء الصهيونية قد استطاعوا أن يقطعوا مسافة واسعة فى الوصول إلى فلسطين عن طريق استنبول العثمانية، فى مدة الست سنين التى انقضت من يوم إعلان الدستور العثمانى ١٩٠٨ إلى صيف ١٩١٤ وهى السنة التى وقعت فيها الحرب. وسبب نجاح السياسة الصهيونية فى المملكة العثمانية هو تمكنهم من استمالة عدد من كبار الساسة الأتراك المسلمين الذين يرجعون بأصولهم الدموية إلى اليهود الذين خرجوا من إسبانيا آخر القرن الخامس عشر وعرفوا باسم الدونمة، فخيوط الدعاة الصهيونيين جعلت تمتد إلى عصب الدولة، لا منذ سنة الانقلاب فصاعداً بل من وقت قام هرتزل فى العقد الأخير من القرن قبل الماضى وقبل ذلك. ولولا تنبه النواب العرب فى البرلمان العثمانى واشتداد صياحتهم، لقفز الصهيونيون قفزات أطول مما استطاعوا نيله(١). التفاصيل لهذه المرحلة المتعلقة بالصهيونيين فى الدولة العثمانية طويلة لا محل لها هنا. يكفى أن نقول إن الغلو فى الحركة الطورانية أو العصبية الجنسية الطورانية كان بالتالى جاراً للترك الطورانيين للوقوع فى النهاية بين مخلبين: مخلب المانيا الناهدة لاستعمار معظم المملكة العثمانية عن طريق مشروع سكة حديد برلين ـ بغداد، وللوصول إلى اليمن عن طريق مشروع سكة حديد الحجاز الذى بدئ فى إنشائه ١٩٠٨، ومخلب الصهيونيين الطامعين فى فلسطين. ففشلت المانيا فى الوصول إلى الشرق عن طريق استنبول، وفشل الأتراك الطورانيون فى إنشاء إمبراطورية طورانية ينضوى إليها العنصر التركى من بلغاريا فى جنوب أوروبا إلى أقصى التركستان شرقاً فى آسيا الوسطى ـ وربح الصهيونيون.

---

(١) اشتهر فى هذه الصيحات ثلاثة من العرب: روحى الخالدى وهو نائب القدس فى البرلمان العثمانى، ومن كبار علماء العرب، وشكرى العسلى نائب دمشق. وأحد الشهداء الذين علقهم على الأعواد السفاح أحمد جمال القائد التركى الطورانى، ونجيب، نصار، وهو صحافى من لبنان يقيم فى حيفا وأوقف جريدته الأسبوعية التى أنشأها بعد إعلان الدستور العثمانى ١٩٠٨ واسمها «الكرمل» على إيقاظ العرب والكشف عن حقائق الصهيونية. وله كتاب «الصهيونية ـ ملخص تاريخها وغايتها وامتدادها حتى سنة ١٩٠٥» نشره سنة ١٩١١ وتفصيل هذا كله مما يتعلق بصيحات العرب فى البرلمان العثمانى سبق لنا أن نشرناه فصولاً فى جريدة «الأنوار» اليومية البيروتية سنة ١٩٦١.

٢٤ ـ الصهيونيون ودعاة الطورانية من الترك

سنة ١٩١٣ كان الصهيونيون قد بلغوا من النفوذ إلى بواطن الدولة العثمانية وملتقى شرايينها، مبلغاً مخيفاً، وأما أساليبهم فى ذلك فتقرأ وصفها فى البروتوكولات، وهذه لم تكن قد اشتهرت بعد إلا فى روسيا القيصرية. آخر انقلاب عثمانى هو الذى وقع فى تلك السنة ١٩١٣، ولا انقلاب بعده إلا دخول تركيا فى الحرب إلى جانب المانيا ثم انهيارها أواخر ١٩١٨ وانسلاخ البلدان العربية عنها. وبقى أمر الدولة العثمانية بيد العصبة الطورانية إلى أيام عقد الهدنة، ثم تفرقوا فى الآفاق. وفى وزارة الانقلاب ١٩١٣، نال الصهيونيون تحت قناع الوطنية التركية ثلاث حقائب وزارية هى: الأشغال العامة، والتجارة والزراعة، والبوسطة والتلغراف (بالفاظ تلك الأيام) ومع هؤلاء جاويد ناظر المالية، وهو من الدونمة، وهذه الثلاث حقائب هى من أصل ثلاث عشرة حقيبة، وهذا شئ لم يصل إلى مثله اليهود فى بلد ما منذ شتتهم الرومان سنة ٧٠ ب. م. بل كان نفوذهم البادى الخفى فى السياسة التركية الطورانية منذ انقلاب ١٩٠٨، هو الحلقة الأخيرة فى الوصول إلى فلسطين، عن طريق التوسع الضخم العظيم فى محاولة شراء الأراضى الفسيحة التى كانت لعبد الحميد وتعد من أملاكه الخاصة وهى المعروفة بالجفتلك، واستطاع اليهود أن يجعلوا الحكومة تسن القوانين والأنظمة، مما يمكنهم من الشراء تحت أسماء شركات تحمل أسماء غريبة غير عثمانية، وهى بحكم تلك القوانين أشخاص معنوية وهذا لم يكن مباحاً من قبل قطعاً. فوقعت الحرب بعد سنة، ثم فى ١٩١٧ نال اليهود وعد بلفور. أما مسألة الوزارات الثلاث التى نالها اليهود بانقلاب ١٩١٣ ونفوذهم فى الدولة، فسنزيدها ايضاحاً فى الفصل التالى.

٢٥ ـ استفحال النفوذ اليهودى فى الدولة العثمانية من ١٩٠٨ ـ ١٩١٤

سنة ١٩١٢، للصهيونيين ٤ حقائب وزارية وللعرب لا شىء

وهذا شيء من التفصيل للنفوذ الصهيونى فى الدولة العثمانية كما تجلى ذلك فى آخر انقلاب عثمانى وقع سنة ١٩١٢ وقد مر الكلام على هذا، فنال اليهود أربع حقائب وزارية (من هذا حقيبة جاويد وزير المالية وهو مسلم بالظاهر لكنه من الدونمة) وهنا نود بيان هذا من جملة نواح.

قلنا إن اليهود نالوا ثلاث حقائب:

وزارة النافعة ـ (الأشغال العامة).

ووزارة التجارة والزراعة.

ووزارة البوستة والتلغراف.

وعند الأتراك الناظر هو الوزير، والصدر الأعظم هو رئيس الوزراء.

أما ناظر النافعة فهو بساريا أفندى، عضو مجلس الأعيان وهو بأصله فلاخى بغدانى (من رومانيا) وكان رئيس تحرير جريدة جون تورك ومراقباً على ما يكتب فيها من قبل الجمعية الصهيونية، وهذه الجريدة صهيونية عرقاً ودماً. وقد انسلخ اقليم الفلاخ والبغداد عن الدولة منذ وقت طويل وبقى بساريا افندى الوتد الذهبى فى استنبول للمضى بمهامه الصهيونية، وحصل على مقعد فى مجلس الأعيان. وأما ناظر التجارة والزراعة فهو نسيم مازلياح نائب أزمير فى البرلمان العثمانى سابقاً، وهو دائماً مفوض الجمعية الصهيونية، وأما ناظر البوستة والتلغراف (بهذا اللفظ فى تلك الأيام) فهو اوسقان أفندى وهو وإن لم يكن يهودياً كرفيقيه غير أنه تهوّد قلباً وقالباً وجيباً، شديد الغلو فى الصهيونية، فتهوده فظيع ذهناً وذهباً. وقبل الوصول إلى هذه الحقيبة بخمس سنين كان كاتباً فى الديون العمومية، فإذا به يرسل فجأة إلى الروملى مفتشاً مالياً، ثم بقدرة خفية يصير الآن وزيراً.

وكان جاويد ناظر المالية، وهو المشهو له بالبراعة فى علم المال، مسلماً، لكنه دونمى العرق والأرومة، وهو يسلك مع الثلاثة، فيصبح لليهود أربع حقائب من أصل ١٢ حقيبة. واليهود فى المملكة العثمانية قلة ضئيلة وعندما تعد الاقليات فى المملكة فهم آخر من يذكر.

أما العرب، وهم نصف المملكة فى عدد السكان. وبلدانهم فى المساحة أكبر من الاناضول

اضعافاً مضاعفة، دون أن يدخل فى هذا ما هو اليوم العربية السعودية وإمارات الخليج والجنوب العربى، فلم يكن لهم من مقاعد فى البرلمان إلاّ أقلّ من نصف ما يستحقون، وفى وزارة الانقلاب سنة ١٩١٣ هذه لم يكن هناك وزير عربى قط، اللهم إلا سليمان البستانى كانت له حقيبة فاستقال ١٩١٤ لما دخلت تركيا الحرب إلى جانب المانيا، وكانت استقالته بمثابة احتجاج على سياسة الاتراك الطورانيين، وإلى أن انتهت الحرب أو إلى انتهاء المملكة لم يكن فى الدولة وزير عربى، وهى مدة اربع سنوات ونصف السنة.

وهناك غريبة، فإن اوسقان افندى الذى رأيناه الآن وزير البوسطة والتلغراف، وكان قبل بضع سنين كاتباً فى الديون العمومية، ظل السعد الصهيونى ينتقل به ويعلو، حتى إذا جاءت سنوات ما بعد الحرب وقامت الانتدابات وما تحتها من حكومات، وللعراق انتدابه وحكومته، رأينهُ فى حكومة العراق خبيراً مالياً يعمل بعقد. فانظر إلى حيل اليهود كيف تلعب وتفكرّ، فى من أتى بأوسقان افندى إلى بغداد عاصمة الرشيد، وفيما وراءه وفوقه وإلى جانبه من سحر وتعاويذ. إنه ديماس حكماء صهيون والانجليز!

وكان رئيس الوزراء العثمانى ١٩١٣ البرنس سعيد حليم باشا من اسرة بيت محمد على الالبانى، وكان يمتاز بضعف الشخصية، لا حول له ولا طول، وامره طرداً وعكساً بيد العصبة التركية الطورانية، التى هى بدورها بيد برلين من ناحية، وبيد الصهيونيين من ناحية أخرى.

وكانت الحكومة العثمانية عندئذ قد استدانت قرضاً مالياً من فرنسا مقداره ٣٥ مليون جنيه ذهباً. وعندما يطلع القارىء العربى على البروتوكولات ومنها البروتوكول العشرون، يدرك كيف تعقد القروض بواسطة اليهود ومن اليهود، وكيف تتفق انفاقاً يؤول بالمستقرضين إلى الانقراض. وهذه الخيوط كلها من نسيج حكماء صهيون. توسعنا فى هذا الاستطراد إذ الغاية من ذلك شرح ما ينبغى الاحاطة به من مخطط البروتوكولات. ووصلنا فى مساق متن الكلام إلى أدق نقطة: كيف تلاعب الصهيونيون تلاعبهم الذى قرّبهم فى أول الحرب من لندن وابعدهم عن برلين. ولعلّ فى هذا الموطن يكون من المفيد أن نبدى هذه الملاحظة التالية على قدر ما ورد فى أحد الكتب المترجمة حديثاً إلى العربية من قول غير دقيق ولا صحيح يتعلق بالماسونية واليهودية العالمية ورجال تركيا الفتاة.

هذا الكتاب هو تركيا الفتاة لمؤلفه الدكتور ارنست أ. رمزور الاميركى E. E. Ramsaur, Jr. وناقله إلى العربية الدكتور صالح أحمد العلى. وضعه المؤلف سنة ١٩٤٧ ونشرته بالعربية مؤسسة فرنكلين فى بيروت سنة ١٩٦٠ وهو كتاب على الجملة حصيلة بحث واسع مفصل، نال به صاحبه رتبة الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة برنستون. غير أن هذا الكتاب لا يخلو من هفوات واسعة الفجوات، وإليك مثالاً من ذلك.

فقد قال المؤلف فى صـ ١٢٧ فى الماسونية الدولية أو اليهودية العالمية ما ننقله بعبارته:

«وعلى أى حال، فإن أعضاء تركيا الفتاة المؤمنين بقوميتهم سواء كانوا فى داخل الامبراطورية العثمانية أو خارجها، لم يكن من طبيعتهم الرضوخ لقيادة أية منظمة دولية. نعم إن الماسونية لقيت فى تركيا رواجاً لبعض الوقت على أثر ثورة ١٩٠٨ غير أن أى دارس جدى للشؤون التركية لا يستطيع اتهام حكومة تركية الفتاة بالسماح للماسونية الدولية أو اليهودية العالمية بإملاء سياستها فى الحقبة التى مرت بين سنة ١٩٠٨ إلى إعلان الحرب».

هذا هو رأى المؤلف، أو استنتاجه، أو ميله، ونجيب على هذا كله بالوجيز مما يلى:

١ ـ لا يستطيع هذا المؤلف أو أى مؤلف غيره، أن يتناول الحكم فى مسألة النفوذ الماسونى أو نفوذ اليهودية العالمية، فى المملكة العثمانية، قبل أن يجيب على هذا السؤال: أهو قد اطلع على البروتوكولات أم لا. فإذا كان قد اطلع عليها، أفيأخذ بها أم لا؟ فإذا كان قد اطلع عليها وهو يأخذ بها، فلا مجال لرأيه الذى ذكره بحال. وإذا كان قد اطلع عليها وهو لا يأخذ بها فهو يصادم الواقع والمنطق. ويكابر. أو أن هذا الأمر لم يحط به علمه وهذا غير معقول.

٢ ـ ترتكز اليهودية العالمية على الماسونية. والماسونية اثنتان: الماسونية اليهودية وماسونية الغوييم أى غير اليهود، وهذه آلة بيد تلك.

٣ ـ صرحت البروتوكولات فى أكثر من بروتوكول بما هى الماسونية بنوعيها تفصيلاً مشبعاً لا يدع مجالاً للرد. وأخص ما ورد هذا فى البروتوكولات الأول والثالث والخامس والتاسع والعاشر والحادى عشر والثانى عشر والخامس عشر. وهذا البروتوكول الأخير تناول ماسونية الغوييم أى غير اليهود. وماسونية اليهود الدونمة فى المملكة العثمانية تنطبق عليهم الصفتان: الماسونية العالمية بصفتهم فى الحقيقة يهوداً، والماسونية الغوييمية بصفتهم مسلمين أتراكاً. ولا دخل فى هذا للأتراك المسلمين المحض، الأحرار، الذين هم أعداء اليهودية العالمية والماسونية.

٤ ـ نحيل المؤلف على كتاب.

World Conquest Through World Government'

Protocols of the Learned Elders of Zion

by:

Victor E. Marsden

وهذا الكتاب يحصل عليه من:

Britins Publishing Society,

Beamish House

74 Brincedale Rd.

London W. 11

٥ ـ هل اطلع المؤلف على ما سمى فى سوريا ولبنان قبل الحرب العالمية الأولى بمشروع الأصفر ـ نجيب الأصفر ـ وهل اطلع المؤلف على حقيقة من باع طرابلس الغرب وكيف جرى ذلك؟

٦ ـ هل اطلع المؤلف على حقائق تتعلق بمحاولات اليهود للوصول إلى فلسطين بين ١٩٠٨ و ١٩١٤ على نحو ما أوجزناه فى هذه الصفحات؟

ويبقى هناك مجال للاستغراب الشديد، هل المؤلف فى رأيه هذا جاهل أم متجاهل؟.

***

لما وقعت الحرب سنة ١٩١٤ كان اليهود فى فلسطين تحميهم الأيدى الخفية فى بيوت مركز الولاية، أو فى استنبول العاصمة. لكن أخذت عين الدولة العثمانية تحمر عليهم لأن برلين كانت تراقب نشاط الصهيونية فى بلاد الإنجليز منذ عهد هرتزل، وخشيت أن تعلق بريطانيا بفلسطين عن طريق الصهيونية. وكان الإمبراطور غليوم سنة ١٨٩٨ قد فشل فى استجلاب عبد الحميد إلى ما يرضى هرتزل، والقصة فى غاية الأهمية لا يتسع لها المجال هنا إلا للبابها المقتضب:

كان بهاء الدين بك، المسؤول عن الشؤون اليهودية فى وزارة الداخلية فى استنبول، وقد اختير لمراقبة النشاط الصهيونى فى فلسطين عن كثب، فعُين قائمقام ليافا. ولما دَرَس الأمور قدّم إلى استنبول تقريراً خطيراً جاء فيه تعداد لبعض ما يصنعه اليهود قبيل الحرب فى فلسطين وصفوة ذلك: ـ

محاولتهم أن يكونوا مستقلين بشؤونهم وأوضاعهم عن سكان البلاد. احتفاظهم بجنسياتهم الأجنبية بعد إقامتهم فى البلاد. يفضون منازعاتهم بالتحكيم فيما بينهم على يد هيئات خاصة. أقامتهم رموز دولتهم ولاسيما العلم الأزرق والأبيض. يروجون طوابع كطوابع البريد تعود إلى الصندوق القومى الخاص بهم. مطاردتهم للعامل العربى. إقبالهم على شراء الأرض. استخفافهم لهيبة السلطة التركية واللغة التركية فى مدارسهم التى تحشو أذهان الطلاب بالعقائد الصهيونية وبث الكراهية للحكومة. جعلهم كل مستعمرة من مستعمراتهم مستقلة بشؤونها عن الحكومة وخدماتها(١). هذا إلى مضيهم السرى بالتدريب العسكرى تحت ستار أندية الرياضة ومنظماتها الواسعة واستعمالهم اللغة العبرية.

***

(١) نقله «نفيل بابر» عن كتاب مهم فى بابه عنوانه «وعد بلفور وكيف ولد» لمؤلفه م. ن. جلبر وهو بالعبرية (ظهر فى القدس ١٩٣٩) ص ١٣٩ وهذا الكتاب قد لا يدانيه كتاب آخر فى بابه لما يشتمل عليه من معلومات تتعلق ببواطن الصهيونية.

فقامت الحكومة العثمانية نزولاً على رغبة برلين، ورعاية لمصلحتها وها هى الحرب قد أحاطت بأوربا، فَنَفَت من نفت من الصهيونيين إلى مطارح مختلفة فى المملكة، وتمكن عدد كبير منهم من الهروب والالتجاء إلى مصر، ومصر أصبحت تحت الحماية التى أعلنتها عليها بريطانيا أثرَ خلع الخديوى عباس حلمى الثانى، ولما كان جابوتنسكى فى مصر يفكر فى تأليف الكتيبة اليهودية لتقاتل مع الحلفاء، كان على ما يظهر يعتمد على عدد كبير من هؤلاء اللاجئين إلى مصر. ورغم الشدة التى صارت الحكومة التركية تظهرها نحو الصهيونيين، فإن ممثلهم فى استنبول ريتشارد لختيم لم يأل جهداً فى البيان للحكومة التركية بياناً ملحاً ينصح بمحاسن اتخاذ سياسة مؤتلفة مع الصهيونية. كما كان الممثل الصهيونى فى برلين يتقرب من حكومة برلين برأى مثل هذا، لكن المغريات مختلفة. وهذا شأن اليهود فى التقرب من كل دولة يأملون منها الخير لهم فى صدد فلسطين، منذ عهد نابليون. والآن جاءت هذه المغريات كمغريات هرتزل على الجملة من حيث الفوائد التى تقدمها الصهيونية إلى تركيا، وإنما زادت هذه المرة شيئاً، وإن لم يكن جديداً، فهو شديد الاغراء، وقد قامت فى البلاد العربية منذ ١٩٠٨ حركة تطلب الاصلاح الواسع. فبين لختيم للترك أن القومية الصهيونية فى فلسطين تكون رادعاً للحركة العربية ومناهضة لها.

***

أما برلين فقد بين لها الممثل الصهيونى هناك أن الصهيونية تكفل لها نشر الثقافة الألمانية والتجارة الألمانية فى هذا الشرق. وأن الصهيونية ستكون قوة حديثة فى شرقى البحر المتوسط، فإذا حصل الاتفاق مع المانيا، فالصهيونية تكون ركيزة لألمانيا فى مشروعاتها المقبلة.

واحتوى كتاب جلبر المذكور على مقتبس من رسالة بعث بها لختيم من استنبول إلى زميله فى برلين، يصف له ما بذله من جهد لدى السفارة الألمانية فى استنبول، ومما جاء فى هذه الرسالة:

«لم أترك وسيلة مقنعة إلا استعملتها ـ نشر اللغة الألمانية والتجارة الألمانية، وما فى عروضنا هذه من انسجام نحو الأتراك، وأن نكون بالمرصاد للعرب، وما لنا من نفوذ مالى وصحفى فى العالم، وما سيكون من يهود أمريكا من مؤازرة لألمانيا شاكرين لها الفضل هذا، وما هناك من فائدة لألمانيا بانشاء هذه القاعدة الثقافية الصهيونية والمانيا صائرة إلى أن تكون الدولة الكبرى فى الشرق الأدنى. وإنى أكتب إليك هذا مفصلاً لكى تجعل مقالتك للألمان هناك مؤتلفة مع مقالتى للأتراك هنا».

يقول نفيل باربر بعد هذا فى كتابه (ص ٥٥): «وهذا كله إذا أجمل فى عبارة كان كناية عن «أن فلسطين بهجرة يهودية تتحول إلى قاعدة سياسية تجارية، أو جبل طارق تركيا والمانيا، على حدود المحيط الانجلو ـ عربى».

«ولكى يبلغ الاغراء مداه، فقد عرض الممثل الصهيونى عربون صداقة مع الأتراك، وهو تأليف فرقة يهودية من يهود بولونيا لتقاتل مع الجيش العثمانى فى الدفاع عن فلسطين، بحيث لا يقل عدد رجال هذه الفرقة عن عشرة آلاف مقاتل، مقابل شرط واحد، وهو أن يسمح لليهود باستعمار فلسطين بعد الحرب، فلم يلتفت إلى هذا الاغراء، وكانت لندن فى الوقت نفسه أوفر نجاحاً من برلين فى التفاهم مع الصهيونيين». هذا كله يبينه جلبر فى الصفحات ١٦٢ و ١٧٥ و ١٧٩ من كتابه المذكور. ا هـ

***

قبل أن نعود إلى جابوتنسكى، وهذه الاستطرادات كلها روافد تصب فى واديه، نرى أن نتمم القصة من ناحية برلين واستنبول والعرب وفلسطين. ففى سنة ١٩٣٦ ـ ٣٧ رجعت اللجنة الملكية من فلسطين منهية عملها وهو التحقيق الجذرى الواسع فى أسباب ثورة ١٩٣٦ وهى أكبر ثورة عربية[1] داخل فلسطين فى أثناء الانتداب، تقدم أمامها رجلان للشهادة، أحدهما

---

(١) أسبابها ونتائجها: لسنا هنا فى صدد تاريخ النضال العربى فى فلسطين فى أثناء الانتداب لكننا نوجز لباب هذه الثورة فى سطور:

١ ـ كان اليهود فى السنوات الأربع السابقة قد أخذوا يتدفقون على فلسطين بأعداد ضخمة من المانيا خاصة وأواسط أوربا وشرقها، ولاسيما من المانيا بعد قيام هتلر والحكم النازى.

٢ ـ كان اليهود فى السنوات السابقة ولاسيما فى السنة السابقة ١٩٣٥ قد هربوا إلى فلسطين مقادير عظيمة من الأسلحة، وحكومة فلسطين تتغاضى عنهم.

٣ ـ كان سنتئذ قد مضى ١٦ سنة على المضى بسياسة التهويد وكلا الفريقين الانجليز واليهود على ازدياد فى هذا. ففى سنة واحدة بعد قيام هتلر، تدفق على فلسطين من اليهود أكثر من مجموع جميع السنين السابقة.

٤ ـ مضى المنظمات اليهودية بالتدريب العسكرى، وهذا كله استعداد «للتجمع والاقتحام»، واستقتل اليهود على شراء الأراضى بأثمان مغرية لم يسبق لها مثيل.

٥ ـ بدأت الثورة باضراب عربى فلسطينى شامل طبق المدن والقرى، واستمر ستة أشهر ابتداء من نيسان. واعتقلت الحكومة لا أقل من عشرة آلاف عربى حشرتهم فى مختلف المعتقلات والسجون وأنشأت المحاكم العسكرية إلى جانب المدنية وملأت السجون بالعرب.

٦ ـ قامت الحكومة بحجة التفتيش عن الأسلحة، فهدمت مئات المنازل والبيوت ولاسيما فى يافا فنسفت حياً عربياً بأسره، وأحرقت قرى عديدة، والقت المتفجرات من الطيارات، ومكنت اليهود فى أثناء ذلك من إنشاء مرفأ تل أبيب ليقضى على مرفأ يافا المجاور، ولجأ العرب إلى «محكمة العدل العليا»، يشكون الحكومة فيما كانت تصنع من هدم ونسف وتدمير فى يافا بحجة كاذبة هى التجميل والعمران. فأصدرت المحكمة قراراً يجرم الحكومة بعبارات فاضحة. وما أن صدر هذا القرار حتى طلب المندوب السامى من قاضى القضاة، وهو رئيس المحكمة أن يستقيل. وسنت قانوناً خاصاً لصرف تقاعده واعادته إلى بلده، واشتهر هذا فى العالم. =

لويد جورج، الذى كان رئيس الوزارة البريطانية التى أصدرت وعد بلفور ١٩١٧، والآخر هو جابوتنسكى(١).

أما لويد جورج فمما قال أن الدول المركزية (النمسا والمانيا وحلفائهما) كانت فى الوقت نفسه (وقت مساومات اليهود على فلسطين) تعلم ما للميول اليهودية من قيمة ووزن فى ترجيح كفة الحرب. ولما أعطى الوعد كانت الحكومة الألمانية تبذل أقصى جهد لتستميل الحركة الصهيونية إلى جانبها، وبعيد صدور الوعد سارعت هى وحليفتها تركيا فى عرض وعد مقابل ينافس وعدنا. وخلاصة ما عرضته المانيا، إنشاء شركة بامتياز لمصالح اليهود الألمان الصهيونيين. وتتمتع هذه الشركة بشكل محدود من الحكم الذاتى، مع حق المهاجرة اليهودية إلى فلسطين. وفى نهاية ١٩١٧ علم أن الترك كانوا مستعدين أن يقبلوا هذا المشروع على هذه الأسس. لكن، قبل أن يصل هذا الأمر إلى نهاية باتة فى استنبول، كانت فلسطين صارت فى قبضة الجنرال(٢) اللنبى».

وقال لويد جورج فى شهادته هذه أيضاً: «وأعطانا زعماء الصهيونية عهداً باتاً إذا أعطتهم دول الحلفاء تسهيلات لإنشاء وطن قومى لليهود فى فلسطين، فهم يبذلون جهدهم من ناحيتهم لجعل الميول اليهودية والمؤازرة اليهودية فى جميع العالم تساند قضية الحلفاء. وقد

= ٧. لأول مرة فى تاريخ نضال فلسطين تدخل ملوك العرب وأمراؤهم (بإيعاز من الحكومة البريطانية) تدخلاً يُنسى ما قبيلَ الحسين بن على من هوغارت، أواخر الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٨ من تفسير مضلل خادع لوعد بلفور، وكان قد مضى على ذلك ١٨ سنة لما جاء تدخل ملوك العرب وأمرائهم وغايته الدعوة لحل الاضراب وإعادة الثقة ببريطانيا!

٨. جاءت لجنة التحقيق الملكية هذه ومكثت فى البلاد شهرين، ولما وضعت تقريرها ضمنته فكرة تقسيم فلسطين فتم هذا بعد عشر سنوات.

(١) لما سألته اللجنة عن رأيه فى التقسيم (لاحظ أن هذا ١٩٣٦).

أجاب، كيف نرضى بأن تعطونا «كنتوناً» من فلسطين وهى كلها لنا، وإذا قلنا لكم نعم إننا نرضى فما نحن إلا كذابون!

(٢) ومما هو جدير بالإشارة إليه: أن لويد جورج عرف بكثير من المتناقضات فى الأقوال التى قالها والأشياء التى سجلها فى مذكراته، مما يتعلق بفلسطين واليهود ووعد بلفور. ولنلاحظ هنا قوله أمام اللجنة الملكية من أن فلسطين كانت قد أمست بيد اللنبى أواخر ١٩١٧ قبل أن يتم عرض الأتراك فى الأستانة، والواقع أن اللنبى بعد احتلاله القدس فى ٩/ ١٢/ ١٩١٧ بقى إلى خريف ١٩١٨ وهو لا يتقدم شمالاً، وجنوده على خط بين نهر الأردن وشمال القدس بقليل إلى الساحل، ولم يستأنف اللنبى هجومه بعد ذلك شمالاً إلا فى سبتمبر ١٩١٨، ولما قرر وعد بلفور نهائياً ولم يعلن بعد، كان معظم فلسطين بيد الترك والألمان، فإذا كان لا يجوز فى القوانين الدولية التصرف ببلاد محتلة إلا بعد إنهاء الحرب وعقد الصلح، فكيف يجوز بيع جلد الدب قبل صيده؟ إنما يجوز إذا كان وراء الأكمة حكماء صهيون.

وفوا بما وعدوا»[١].

وبعد أن صدر وعد بلفور، انتهى عمل مكتب الحياد الصهيونى فى كوبنهاغن. وفعلاً، شرع اليهود يفون للحلفاء ما وعدوا به وذلك بتسديد أول الضربات القاطمة لألمانيا! وكانت ألمانيا قد أكلتها الحرب الضروس بسنواتها الأربع، فحاولت أن تعقد قرضاً داخلياً لتستطيع متابعة الحرب، وإذا بمشروع القرض يمنى بالفشل والجمود، وكان عجز ألمانيا عن إنجاح مشروع القرض، من أكبر الأسباب التى أفضت بها إلى الهزيمة. وكان اليهود بأساليبهم الجهنمية هم المخربون للمشروع بخلق العراقيل فى طريقه.

ولما أدركت برلين أن الصهيونية ارتبطوا مع لندن، وانتهى الأمر، دفعت أصدقاءها من رجال الاتحاد والترقى أصحاب المقادة فى الدولة العثمانية وعلى رأسهم طلعت رئيس الوزراء، إلى أن يقوموا بعمل شئ آخر لعله ينقض ما صنعته لندن، ويشل الإنجليز فى فلسطين وسوريا، وذلك عن طريق عقد صلح منفرد بين العرب والترك، فينال العرب فى أقطارهم الأسيوية (لا ذكر هنا لطرابلس وبرقة) حكماً ذاتياً تاماً، تكفله ألمانيا. ولم تذكر برلين للأتراك شيئاً عن وعد بلفور الجديد، أو عن المفاوضات المتعلقة به قبل حين، إما لأنها لم تكن هى واقفة على ذلك، وإما لأنها لم تشأ أن تطلع استنبول على ذلك فاكتفت بفكرة عقد صلح منفرد بين العرب والترك. فقام القائد العثمانى، أحمد جمال باشا الملقب بالسفاح بتنفيذ هذه المحاولة فى أواخر ١٩١٧، بأن أنفذ رسالة سرية إلى فيصل بن الحسين، وفيصل فى العقبة، وخاطبه بعاطفة إسلامية حارة، وكشف له عن معاهدة سايكس - بيكو الحديثة الظهور فى بتروغراد. وكان الإنجليز وقتها على أبواب القدس لم يدخلوها بعد. فأنفذ فيصل الرسالة إلى أبيه فى مكة وطلب منه التعليمات. أجاب الحسين فيصلاً بأن يرفض العرض. ثم إن الحسين بعث هذه الرسالة وما يتبعها إلى المعتمد البريطانى فى مصر، وهذا قدمها إلى حكومته فى لندن.

***

والحجة التى اعتمد عليها الأتراك الآن فى استمالة الحسين هى ظهور المواطأة بين الحلفاء على تقسيم البلاد العربية وهو بما يعرف بمعاهدة سايكس - بيكو المعقودة سرياً بين بريطانيا وفرنسا وروسيا (ودخلت إيطاليا فى المشروع بعد قليل)، فلما وقع الانقلاب البلشفى فى روسيا خريف ١٩١٧ أخرج البلاشفة جميع الأوراق السرية المتعلقة بمصالح روسيا القيصرية، وأعلنوا أن العهد الثورى الجديد ينبذ كل ما يتعلق بمشروعات الاستعمار، ومن جملة تلك الأوراق معاهدة سايكس - بيكو هذه. وبقطع النظر إلى ما كان عند الألمان والترك

(١) أما الثورة العربية، وقد اعترف اللنبى بفضلها فى أنها كانت الجناح الشرقى للزحف على سوريا، حتى حلب، وأما عهود بريطانيا للحسين بن على أو «مكاتبات الحسين مكماهون» بأن تنال بلاد العرب استقلالها، وأما دماء العرب على ما وصفت السيدة نيوتن فى الحرب العالمية الأولى فهذا كله تجازى عليه بريطانيا أن تستخدم سلاحها ٣٠ سنة لإقامة دولة «حكماء صهيون» فى فلسطين.

من حسن نية فى عرض الصلح على فيصل وأبيه، مقابل الحكم الذاتى فى البلاد العربية الأسيوية، فظهور هذه المعاهدة السرية الرهيبة، المتممة منذ أواسط السنة السابقة، وتنتظر أن يحين وقت تنفيذها، كان ينبغى أن تكون سبباً كافياً فى إعادة النظر فى سير الثورة بجرأة حازمة. نقول هذا سنة ١٩٦٦ وقد انقضى نصف قرن على خطوات ذلك المصير، ويبدو لنا العجب لماذا لم يفعل الحسين وأبناؤه ذلك. والجواب واقعى محض لا يحتاج إلى بيان طويل: الثورة العربية كانت عند معظم القائمين بها قومية فى الصدور والآمال، والدماء، لكنها كانت تتغذى من الإنجليز من يوم قامت فى الحجاز فى يونيو ١٩١٦ إلى أن احتل فيصل حلب فى خريف ١٩١٨. وبين ١٩١٧ و ١٩٥٢ مدة ٣٥ سنة!!

***

وبرلين التى رمت بهذه المحاولة، جاءت متأخرة جداً. فقد كانت بوسعها أن تأخذ على يد السفاح وهو يفتك بأحرار العرب ويصعدهم إلى الحبال فى دمشق وبيروت سنتى ١٩١٥ و١٩١٦. فلم تفعل شيئاً، وهى لو فعلت وتداركت جنون السفاح وهو نفسه يلبس الآن جلد الحمل فوق جلد الذئب، ويتباكى على الإسلام، ويعرض الحكم الذاتى وهو قبل قليل كان يزيل رؤوس العرب الذين كان ذنبهم أن طلبوا شيئاً أقل من الحكم الذاتى وهو الاصلاح الضرورى، وأن تكون العربية لغة البلاد الرسمية فى التعليم، لربما تغير المصير.

وبين إنفاذ السفاح الرسالة إلى الحسين، وانتظار جوابها، وانفاذ الحسين تلك الرسالة عينها إلى المعتمد البريطانى بمصر وانتظار جوابه، وهذا اتجه إلى لندن، كانت قد انقضت سنة ١٩١٧ ودخلت ١٩١٨، وفى شباط كانت لندن فرغت من حياكة جواب ينقله إلى الحسين (بعد وصوله إلى المعتمد فى مصر) وكيل القنصل البريطانى فى جدة. وقال الجواب: الا يلتفت الحسين إلى تلك الأوراق فهى قديمة قبل التعاهد معه على الثورة ولا حكم لها الآن، واتهم الجواب، السفاح ومن وراءه، بسوء النية ومحاولة الافساد بين الحلفاء. وأكد الجواب للحسين أن بريطانيا باقية على عهد الوفاء له وللعرب. فنام الحسين نوماً عميقاً.

هذه الضربة الأولى. والثانية بعد بضعة أشهر، واللنبى يستعد للزحف على فلسطين الشمالية وسوريا، استطارت الأخبار من لندن بعد ٢ نوفمبر تصف وعد بلفور وماهيته. وحاولت القيادة البريطانية الا تدع هذه الأنباء تشيع فى مصر أو القسم المحتل من فلسطين. ولم تكن وقتئذ اذاعات فى العالم. لكن أنباء خطيرة من هذا النوع لا يمكن حجبها على كل حال، فوصلت إلى فيصل والحسين فقلق الحسين: أمس معاهدة تقسيم البلاد التى يثور من أجلها، واليوم اقتطاع فلسطين المقدسة، واعطاؤها إلى اليهود.

هنا قررت لندن دقة الموقف لا بالنسبة إلى الحسين وحده، بل بالنسبة إلى العرب

أجمعين، ولما وصل النبأ إلى مصر سارع يهود الإسكندرية إلى إقامة مظاهرة ابتهاج، وكانت هذه أول مظاهرة يهودية تحية لوعد بلفور، ومن اليهود الذين لا يقيمون فى فلسطين. فلم تر لندن أن الجواب فى رسالة برقية عن طريق وكيل القنصل فى جدة يكفى، كما فعلت فى الجواب حول معاهدة سايكس ـ بيكو. فاختارت البروفسور هوغارت[1] العالم الأثرى المشهور والثقة فى تاريخ العرب، وكان فى مصر رئيس المكتب العربى الذى يدير الشؤون العربية خارج مصر، ومنها ثورة الحسين.

قابل هوغارت الحسين مرتين فى جدة فى أوائل ١٩١٨ وبلغه رسالة شفوية، لا خطية، (والشفوية هنا لا حكم لها) أن المراد بوعد بلفور السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين واستيطان البلاد، على مقدار ما تسمح به حالتها السياسية والاقتصادية. هذا ما انتهى الينا من الكلام الذى أجاب به هوغارت، وواضح أن وعد بلفور فيه قيد احترازى مآله صيانة حقوق العرب الدينية والمدنية، وهنا يستعمل هوغارت الحالة السياسية والاقتصادية. فتقبل الحسين هذا. ويظهر أن هوغارت لم يستعمل كلمة صهيونى وصهيونية. وعلى كل حال، نام الحسين نوماً عميقاً مرة ثانية. وأكمل العرب تقديم المساعدة إلى اللنبى. واستسلمت تركيا فى ٣٠ أكتوبر ١٩١٨ وفى ١٢ نوفمبر دخل الأسطول البريطانى الدردنيل. وفى ٩ نوفمبر قام الجنرال هندنبرغ بتبليغ الإمبراطور غليوم أنه ما عاد يضمن ولاء الجيش، ونصحه بالخروج، فانتقل الامبراطور إلى هوئندا ووقعت الهدنة مع المانيا وانتهى الأمر.

***

أما خدعة هوغارت للحسين هذه المرة فى تصويره له بلسان الحكومة البريطانية معنى السماح لليهود بالهجرة إلى فلسطين واستيطانها، على مقدار ما تسمح به حالة البلاد السياسية، فلا تقل فى المكر والختل عن الخدعة السابقة قبل بضعة أشهر، لما فسرت الحكومة البريطانية للحسين مسألة معاهدة سايكس ـ بيكو، فأنكرتها وقالت إنها شئ من عبث العدو ومكايده، وهنا نرى الخدعة تتضمن هذه العناصر:

١ ـ كان وعد بلفور قد أعلن قبل أربعة أشهر بنصه الرسمى، فلماذا لم ينقله هوغارت بذلك النص الصحيح؟

٢ ـ صور هوغارت للحسين أن هذه القضية المتعلقة باليهود ما هى إلا عطف إنسانى، فتكون فلسطين ملجأ لهم! لقوم مضطهدين!

٣ ـ لم يذكر هوغارت للحسين أن الوعد قائم على أساس أن تجعل البلاد تحت أوضاع

---

(١) هو D. G. Hogarth استاذ لورانس فى علم الآثار. وله كتاب Arabia يشتمل على صفوة تاريخ الجزيرة مما لم يسبق له نظير فى بابه.

سياسية أو اقتصادية تؤدى إلى إنشاء الوطن القومى، بل صور له أن استيطان اليهود فلسطين يكون على قدر ما تسمح به حالة البلاد السياسية والاقتصادية!

٤ ـ ولسنا هنا فى هذا الموضع لنناقش موقف الحسين بن على مما سمعه من هوغارت، وهوغارت لم يبلغه ما بلغه إلا شفوياً، لا خطياً. لكننا نقول إن ما أدركه الحسين بعد أربع أو خمس سنين من الحقيقة كان ينبغى له أن يدركه سنة ١٩١٧ و ١٩١٨. ولنفرض أن هوغارت بلغ الحسين هذا خطياً، أفيجدى ذلك شيئاً فى سياسة الحسين إزاء بريطانيا، وبريطانيا خدعته بعهود صريحة الكلام ثم أنكرتها ومن ينكر الأصل والأساس ينكر الفرع كذلك. ونقول بهذه المناسبة، والإيراد المفصل ليس هنا، أن المكاتبات الرسمية التى دارت بين الحسين ومكماهون (١٩١٥ ـ ١٦)، وقد بقى الحسين سنين عديدة ينوه بها ويستند عليها، على الراجح أنها قد سرقت منه لكن من السارق؟ ومتى؟ والأدلة على هذا لم تنشر بعد لكنها مقنعة لكل ذى عقل والذى عاهد، سرق.

٢٦ـ جابوتنسكى ١٩٢٠ـ ١٩٤٠
٣

تركنا جابوتنسكى فى القدس سنة ١٩١٨ وقد اختاره ويزمن ليكون شاغلاً أدق منصب صهيونى، وهو الضابط السياسى فى المنظمة الصهيونية، وهذه أول خطوة من خطى تنفيذ سياسة وعد بلفور. وقلنا إن ويزمن قد آثر جابوتنسكى على غيره، لأن جابوتنسكى فى نظره أجرأ من يحمل ويطبق منهج التجمع والاقتحام، مع أن ويزمن ذكر بصراحة أن جابوتنسكى لا يصلح للسياسة. وقال ويزمن زيادة على هذا إنهما لما كانا يسكنان معاً فى لندن، فى بيته، «كانا يسبحان سباحة واسعة فى نسج الأحلام». وقال ويزمن أيضاً: «جابوتنسكى يحسن الكلام والحديث، وثاب القلب، كريم اليد، وأبداً مستعد أن يساعد من وقع فى ضيق». ومن صفاته فوق كل هذا أنه على طبع يستغرقه، وهو حب البطولة المسرحية والفروسية الشاذة... وعلى العكس من هذه الطباع، أجدها عام». وقال: «اثنان من الصهيونيين الروس كان عديمى الإيمان الصهيونى بانتصار بريطانيا، وبقيا على هذا حتى اللحظة الأخيرة: تشلنوف وأوسشكين. ويستثنى منهم جابوتنسكى وفنحاس روتبرغ». ولكن ويزمن قد اختار جابوتنسكى غير ناظر إلى قلة مرونته فى تعاطى الشؤون السياسية مع الانجليز، لغرض أبعد وهو تطبيق روح التجمع والاقتحام وأما اللعب السياسى الراقص فبيد الدكتور أدر.

وما مضى على تسلم جابوتنسكى صلاحيات عمله إلا أيام قليلة، وويزمن على أهبة العودة إلى لندن، حتى دعا الجنرال كلاتين الدكتور ويزمن وقال له بلطف: «إنه يحسن بجابوتنسكى المجاور مكتبه لمكتبى فى مقر القيادة، أن يختار وقتاً معيناً كل يوم لمراجعتى، بدلاً من أن يفاجئنى على غير موعد». يقول ويزمن أنه لما خرج من مكتب كلايتن شعر بالقلق. ولما كان ويزمن فى باريز بعد قليل اجتمع هنالك بالجنرال اللنبى، فلفت اللنبى نظره إلى الوضع القلق فى القدس، ونصحه بأن يكون فى القدس، ووجد ويزمن نصيحة الجنرال فى محلها.

ولما وقعت حوادث يوم النبى موسى سنة ١٩٢٠ فإذا بجابوتنسكى يخرج السلاح الحربى المخبأ، ويتسلل إلى المدينة داخل السور، حيث توجد جماعة من اليهود يسكن معظمهم فى بيوت مستأجرة يملكها العرب المسلمون، وهذا من قبل الحرب العامة بوقت طويل، يريد الدفاع عن أولئك اليهود. فلم يكترث جابوتنسكى للعرب، ولا همه الجيش البريطانى، فهو من أودسا، وأودسا مدينة الدماء، واشتهر الشاعر بياليك مما اشتهر به بوصفه للدماء وقصيدته خبثينى تعد من أنفس شعره كما يقول نقاد الأدب وأحب جابوتنسكى أن يسجل أول بطولة مسرحية

فى القدس، فاعتُقل وأصبح قيد المحاكمة، وراح ويزمن يعض على اصبعيه. وكان جابوتنسكى لما تسلل إلى الحى الذى يسكنه اليهود داخل المدينة، مشتملاً بُروح الأخذ بالثأر، ليوسف ترمبلدور الذى صرع فى مستعمرة تل حى قرب الحدود السورية، ما كان قد مضى على مصرعه أكثر من بضعة أسابيع.

ولما حوكم جابوتنسكى، علم القارئ من أمر تصرفه المسرحى فى المحكمة، ما لا حاجة لنا إلى تكراره.

***

سنة ١٩٢٢ اشتد تململ العرب ازاء تدفق اليهود على البلاد. فأصدر تشرشل وزير المستعمرات كتابا أبيض، حاول فيه أن يفسر معنى وعد بلفور والوطن القومى، تفسيراً يجمع فيه بين رضى الفريقين ففشل من ناحية العرب وازداد رضى اليهود عنه. وتشرشل أتى بتفسيرات فاق بها على ما فى وعد بلفور وصك الانتداب، وذلك بأنه قال أن مقدار الهجرة يكون بحسب طاقة البلاد اقتصادياً للاستيعاب، وبهذا نسخ ما هو أقل شراً من هذا للعرب فى المادة السادسة من صك الانتداب. وقرر أن هجرة اليهودى إلى فلسطين «حق لا منة» وقال إن فلسطين لن تكون خالصة لفريق. وأنكر أن فلسطين مشمولة بعهد بريطانيا إلى الحسين وكأن تشرشل بالكتاب الأبيض ١٩٢٢ قد هندس الأحجار الأساسية للوطن القومى. فرفض العرب قبوله ومضوا يطالبون بحقوقهم.

ولما أجمعت المنظمة الصهيونية على قبول الكتاب الأبيض الذى رفضه العرب، وقبولها فى مصلحة الوطن القومى، كان جابوتنسكى عضواً فى المنظمة ووقع قرار قبول الكتاب الأبيض مع الباقين، لكنه تمشياً مع مخططه، انسحب أو ادعى الانسحاب من المنظمة، جرياً على خطة «كافور وغاريبالدى» وانشأ حزباً سماه Revisionist[١] ومعنى هذا فى برنامجه اعادة تنقيح صك الانتداب، بحيث يشمل نصه شرق الأردن لتدخل فى حيز المخطط الجغرافى المراد للدولة اليهودية، أى ضفتى الأردن، ثم بعد ذلك التوسع من النيل إلى الفرات.

وإتماماً لتمثيل الرواية، راح يعلن معارضته لسياسة ويزمن، أى المنظمة الصهيونية، ويَشْرَه بأمانيه إلى الدولة اليهودية، والآن صار له حزب سياسى، وصحف ومنظمة عمال تؤيده. وأحياناً يهزأ بويزمن ويقول: «حوت من خشب للتخويف» ويقول ويزمن: «يظن جابوتنسكى إنى إذا تدحرجت أنا علا هو وارتفع»، وكل هذا من الفريقين تمثيل متفق عليه وهما فى اللباب واحد.

---

(١) من باب الخطأ، جعلت صحف فلسطين العربية تترجم اسم هذا الحزب «بالحزب الاصلاحى»، وهذا تعبير قاصر بل مضلل، فإن القصد هو التوسع الجغرافى لا إصلاح عادى. وقد مرت الملاحظة على هذا

ومن سنة ١٩٢٥ فصاعداً صار معدوداً من زعماء الصهيونية فى العالم.

وفى هذه السنة قاوم دخول غير الصهيونيين إلى المنظمة أو الوكالة اليهودية بحجة أن غير الصهيونيين لا فائدة منهم.

وسنة ١٩٢٩ جعل بعض جماعته ينسحبون من الوكالة اليهودية أما هو فبقى مع الآخرين. ولما وقعت ثورة البراق فى هذه السنة أخرج من فلسطين.

وسنة ١٩٣١ طلب من المؤتمر الصهيونى إفراد مخطط الدولة اليهودية من على جانبى الأردن(١) وأن تبنى سياسة المؤتمر على هذا علناً(٢) .

***

---

(١) كانت شرق الأردن داخلة فى صك الانتداب. فرأت بريطانيا رعاية منها كما ادعت لاتفاقها مع الحسين ابن على. أن تخرجها من تطبيق الوطن القومى بحكم المادة ٢٥ من صك الانتداب، وعقد المؤتمر الصهيونى الثانى والعشرون سنة ١٩٢١ فسئل ويزمن عن شرق الأردن فقال: لقد نشر الآن صك الانتداب ولا سبيل لنا إلى تغييره إلا من ناحية واحدة. فإن شرق الأردن، وكانت خارج منطوق الانتداب فى النص الأول، هى الآن مشمولة به، وكان ويزمن يوجه الجواب إلى السائل أو المعترض «هرمان ليم»، فاطرد يجيبه: وأما مسألة الحدود الشرقية فقد أدركنا بعضها كما ترى. وندرك ما بقى منها يوم تصبح Cisjordania (فلسطين أو غرب الأردن) غاصة باليهود، وحينئذ تشق الطريق إلى Transjordania شرق الأردن.

(راجع نفيل باربر صفحة: ١٠)

(٢) ذكر لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية وهو وبلفور الركن الأول فى اصدار «وعد بلفور»، فى مذكراته (المجلد ٢ ص ٤٥٥) أن الحدود التى طالب بها الوفد الصهيونى فى مؤتمر الصلح فى مذكرته المؤرخة ٣ فبراير ١٩١٩ تشمل فلسطين غرب الأردن وشرقه، وجنوب لبنان وهذا هو نص المطلب:

«تكون حدود فلسطين تابعة اجمالاً للخطوط المبينة هنا كما يلى:

«أما شمالاً فيبتدئ الخط من نقطة على البحر المتوسط، على مقربة من جنوبى صيدا، ثم يسير على سفوح التلال أو الجبال اللبنانية حتى جسر الفرعون، ثم باتجاه البيرة فاصلاً بين حوض وادى التيم، ومن هناك جنوباً فاصلاً بين السفوح الشرقية والغربية لجبل حرمون (الشيخ) حتى غرب «بيت جن» ثم شرقاً محاذياً القسم الشمالى من نهر الغنية حتى يصل إلى الخط الحجازى فيكاد يتصل به من الجهة الغربية.

«وأما شرقاً، فيسير خط الحدود على مقربة من الخط الحجازى حتى ينتهى فى العقبة وأما جنوباً، فيتشقق على خط الحدود مع الحكومة المصرية.

«وأما غرباً، فالبحر المتوسط».

وجاء فى مذكرات الشيخ محمد الجسر وقد نشرت تباعاً فى جريدة «الجريدة» سنة ١٩٥٤ وهذا الذى ننقله نشر فى عدد ١٠/ ٢/ ١٩٥٤:

«الجمعة ٤ تموز ١٩٢٤ . دخلت مجلس النظار، وهذه أول مرة انعقد فيها المجلس تحت رئاسة الجنرال فندبرغ، فاجتمعنا ودخلنا عليه الساعة الحادية عشرة.

=

وسنة ١٩٣٣ اغتيل (ارلوزوروف) رئيس المنظمة الصهيونية فى ضاحية تل أبيب ليلاً وضوء القمر يملأ الدنيا، وكان يتمشى ومعه زوجته. وإذا بالقتلة هم من أتباع جابوتنسكى، فحكمت عليهم المحكمة المركزية، وفى الاستئناف استطاعوا أن يخرجوا أحراراً. والأسباب التى أبديت للمحكمة جعلت الرأى العام فى فلسطين يدهش دهشاً عظيماً حتى بعض اليهود إذ النفوذ الخفى الصهيونى يخرج القتلة من المحاكم من بين أيدى القضاة!

وسنة ١٩٣٥ انسحب جابوتنسكى من المنظمة وأنشأ «المنظمة الصهيونية الجديدة»(١) وراح يصطنع الحملة تلو الحملة على الوكالة اليهودية قائلاً أنها لا تمثل يهود العالم، وأكبر كتلة على مذهبه كانت تتجاوب معه هى كتلة بولونيا.

ثم توسع فى دعوته فقال إن فلسطين يجب أن تفتح أبوابها لجميع يهود الشتات حتى يجتمع شملهم فى فلسطين وهم من ثمانية ملايين إلى ١٨ مليوناً. ودعا إلى الاعتماد على الشباب اليهودى وسماه جيل الحرب (القائم على التجمع والاقتحام) وقال إنما ينتظم فى صفوف هؤلاء من سنهم من ٢٣ ـ ٣٥ سنة.

وأما مجموع أتباعه فى فلسطين فليس عددهم كبيراً ولكن منهم المغتالون والقتلة والسفاحون والعصابات.

وسنة ١٩٣٨ اعترفت المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية بحزب المنظمة الصهيونية الجديدة أو حزب الدولة اليهودية، والوكالة يعترف بها صك الانتداب فى مادته الرابعة فكأن حكومة فلسطين وحكومة لندن قد اعترفتا بهذا الحزب أيضاً الذى اسمه رسمياً حزب الدولة اليهودية وكان قد مضى سنتان على صدور تقرير اللجنة الملكية المعروفة بلجنة بيل، وفى هذا

= الأربعاء ١٦ تموز ١٩٢٤ ـ اشتغلت فى الدائرة كثيراً لأن الأوراق كانت مكدسة ولم يصادفنى شئ مهم هذا اليوم سوى أن السير روزور رئيس الغرفة السياسية، أعلمنى موافقة الحاكم على وضع قانون يمنع اليهود من التملك فى لواء الجنوب، أى يمنع الصهيونيين من التملك ويظهر أنهم شعروا أخيراً بهجوم اليهود على التملك فى لبنان لأغراض سياسية. وقد كنت نبهتهم إلى هذا الأمر منذ سنة وقلت لهم إن الحكومة العثمانية منعت تملك اليهود فى لواء الجنوب خشية من أغراضهم السياسية فلم يلتفتوا إلى هذا القول حينئذ بل أن المستشار المالى قد رد على ردا مطولاً مستنكراً حرمان الانسان من التملك، إذ لكل حق الابتياع والاستيلاء على ما يشاء بأمواله. وهكذا رجعوا إلى قولى الآن من أن وجود الصهيونيين سيكون يوماً ما شوكة فى جانب العرب تستغلها دول الغرب».

وذكر ويزمن فى مذكراته تفصيلات وافية لأحاديث جرت بينه وبين الفرنسيين حول استعمار الأرض فى الجزيرة. سنأتى على مجملها فى الفصل ٢٩ من هذا الكتاب.

(١) وشاع اسم هذا الحزب بين اليهود «حزب الدولة اليهودية» أى أنه ارتفع بمطمحه من الحزب المطالب بلعدة ترخيب اللجنة الصهيونية التنفيذية الممثلة للمؤتمرات الصهيونية، إلى حزب سافر يطالب بدولة يهودية علناً.

التقرير اقتراح التقسيم، فبين مناداة حزب الدولة اليهودية بهذا العنوان، والوصول إليه، عشر سنين كان ثلثاها سنوات مليئة بالإرهاب المصطنع بين الوكالة وحكومة فلسطين.

وسنة ١٩٤٠ انتهى أمر جابوتنسكى فعاش ستين سنة إذ ولد سنة ١٨٨٠ وكذلك رفيقه يوسف ترمبلدور ولد سنة ١٨٨٠ وانتهى سنة ١٩٢٠ كما تقدم. جابوتنسكى هو أبو مناحيم بيغن وإبراهيم شترن، فى صناعة الإرهاب، وبيغن وشترن هما رأس العصابات كلها.

والمذابح العربية فى فلسطين كلها صناعة هؤلاء وعلى رأسهم جابوتنسكي ممثل خلق التجمع والاقتحام.

غير أن جابوتنسكى كانت له صورة رائقة فى نظر رونالد ستورس (حاكم القدس من ١٩٢٠ ـ ١٩٢٦) تدور بين الجد والسخرية. وستورس كاتب يعلو فى مستواه الكتابى على لورانس أو يمشى الاثنان فى قرن واحد. ولا أدرى السبب الذى جعل لجابوتنسكى تلك الصورة فى عينى ستورس المدلس النقريس، وقد عرفناه فى القدس معرفة تامة طول تلك المدة، وما كان منه من غرائب ونوادر. فقد أثنى ستورس على جابوتنسكى من جهة انضباطه العسكرى، وقال إن جابوتنسكى فى صناعة خلق الاضطرابات نابغة، أدواته الفوضى والثورة وقلب الأشياء رأساً على عقب، فلو أتيح له من الفرصة ما يريد لاستطاع أن يغمر فلسطين وسوريا بالقلق المقيم المقعد. وقال ستورس أيضاً: إن تطرف جابوتنسكى وغلوه، خدما القضية الصهيونية خدمة كبيرة حتى صارت الصهيونية السياسية الرسمية تبدى اعتدالاً واقعياً بالنسبة إلى مخططه. هذا قول ستورس الإنجليزى، أما التعبير الصحيح فإن التخطيط والتنفيذ كانا بيد حكماء صهيون، وكانت الحراب البريطانية فى فلسطين تعمل وفق المخطط اليهودى.

ولا ينسى القارئ السبب الذى من أجله اخترنا استيفاء خبر جابوتنسكى إلى هذا الحد، إذ هو مثال بارز فى فلسطين للخلق المنبعث عن منهج التجمع والاقتحام ـ البروتوكولات.

***

٢٧ ـ يوسف ترمبلدور

هو رفيق جابوتنسكى، فليراجع ما قلناه فى جابوتنسكى.

وهو أحد اليهود المغامرين الذين سقطوا قتلى فى فلسطين سنة ١٩٢٠ وكان مقتله على يد العرب قرب الحدود الشمالية، وناح اليهود عليه مناحة عظيمة، وأقاموا له الذكرى، ووضعوا عهداً أنهم ليأخذون بثأره.

وورد ذكره ونحن نتكلم على جابوتنسكى، وإن هذا الأخير المغامر لما دخل المدينة القديمة (القدس ـ داخل السور) فى حوادث النبى موسى التى أجملنا خبرها، دخل متسللاً ومعه السلاح والعدة، ليحمى حسب دعواه اليهود المقيمين فى الحى اليهودى، وقصده الحقيقى أن يصطاد بالرصاص من يقع له من العرب، أخذاً بالثأر لزميله يوسف ترمبلدور، وهذا لم يكن قد مضى على مصرعه إلا أسابيع قليلة. وقلنا إننا سنورد صفوة قصة ترمبلدور بعد الفراغ من الفصل السابق.

***

هو من أبناء القفقاس وولد سنة ١٨٨٠ وامتهن الكتابة والصحافة، مثل سائر زملائه الذين أتينا على أخبارهم، وهو تلمودى، وكأسه من التلمود دهاق. والصهيونى التلمودى هو المتهئ بكل قواه ليكون شارباً من تعاليم أحدها عام خمرة التجمع والاقتحام وهذا من صلب البروتوكولات.

تطوع فى الحرب الروسية اليابانية (١٩٠٤ ـ ١٩٠٥) ففقد ذراعه اليسرى. ويقول كيش فى مذكراته أن ترمبلدور هو أول يهودى فى الجيش الروسى بلغ رتبة ضابط ونال أوسمة. وليس للقارئ العربى أن يفتر بهذا، فاليهودى الذى ينشأ على عقيدة التجمع والاقتحام، لا يتطوع فى أى جيش، ولاسيما الروسى القيصرى، إلا لغاية فى نفسه تتعلق بالصهيونية من إحدى نواحيها، والغاية هنا، مع تظاهره بالوطنية الروسية، أن يختبر أموراً عسكرية يهم اليهود أمرها، وهم للانقضاض على الحكم القيصرى بالمرصاد، بل كانوا سراً من العاملين على إيقاد نار الحرب بين روسيا واليابان.

بعد أن انصرف ترمبلدور من الخدمة فى الجيش الروسى سنة ١٩٠٥ انقلب صهيونياً وضاح الجبين، مغامراً، وكأنه وجابوتنسكى فلقتا حبة واحدة. فانظر، بين ليلة وضحاها كيف انقلب من ضابط وطنى فى الجيش الروسى، ولاؤه على الأقل بلسانه للقيصر، إلى صهيونى ولاؤه للتجمع والاقتحام والبروتوكولات.

وليس لدينا علم بالمرحلة التى تقع بين ١٩٠٥ ـ ١٩١٢ من مراحل حياته. ويلاحظ الدارس لهذا النمط من رجال الصهيونية، أن على الغالب لكل واحد منهم مرحلة غموض، يتوارى فيها وقد يكون هذا لأمر ما.

ثم جاء ترمبلدور فلسطين سنة ١٩١٢ بعد بن غوريون بست سنين، واشتغل فى ظاهر الحال عاملاً زراعياً، فى مستعمرة داجانيا، تماماً كما كان يشتغل بن غوريون، ووراء هذا العمل الانكباب على تدريب شباب الطلائع يجعلونه تحت ستار الرياضة البدنية. وكل هذا فى فلسطين حتى ١٩١٤ تغطية على عيون السلطة العثمانية.

والسنوات التى انقضت لترمبلدور فى فلسطين حتى ١٩١٤ قليلة كما ترى، غير أن النشاط الصهيونى بمختلف مناحيه كان قوياً مليئاً بل مستقلاً، وكانت تنمية الروح العسكرية أهم ما يعنون به، وطبيعى أن يدخل فى هذا التنشئة السرية على اعتناق عقيدة التجمع والاقتحام وفى هذا المجال كان يعمل ترمبلدور مستفيداً من خبرته فى الجيش الروسى. ولما فتقت ريح الحرب ١٩١٤ جعل معظم رجال الصهيونية يفرون من فلسطين سراً إلى الخارج، وزادهم هلعاً أن مفاوضات الوصول إلى فلسطين عن طريق المانيا قد نسختها مفاوضاتهم مع لندن، والآن استحكمت قبضة برلين على الأستانة والطغمة التركية الطوزانية فما بقى منهم فى فلسطين إلا من تعين عليه القيام بالجاسوسية لمصلحة الإنجليز، ويؤكد الخبراء والنقاد أن كان للورنس صلات وثيقة مع جهاز التجسس اليهودى فى فلسطين فى خلال الحرب، وقصص هذا التجسس انتشرت فى العالم بعد الحرب رمن بطلاتها أكثر من فتاة يهودية، وقد وضع بعضهم الكتب الضخمة فى تمجيد هؤلاء البطلات.

وفر يوسف ترمبلدور إلى مصر ليعمل فى جهاز التجسس هناك، ومصر وقتئذ فى قبضة الإنجليز، والتقى ورفيقه جابوتنسكى فى الإسكندرية واتفقا على العمل معاً، وهما يعدان أنفسهما رأس فكرة، وحاديى قافلة، وهما أول من وضع فكرة التطوع فى فرقة يهودية إلى جانب بريطانيا، وحسابهما أن تركيا ستخرج من الحرب بالهزيمة القاضية عليها، فتقسم أملاكها غير التركية، فتغدو فلسطين لهم على موعد لقاء بعد طول انتظار. ورأيا أن تسمى الفرقة بالفرقة اليهودية لا الصهيونية ليسهل على كل يهودى غير صهيونى الانضمام إليها، وألفت هذه الفرقة، واتخذت شعار الحلفاء والقصد بريطانيا بوجه الحصر عملياً. وعملت هذه الفرقة التى سميت بفرقة البغالة، فى ساحة غاليبولى سنة ١٩١٥ ـ ١٦ ومن تسميتها بفرقة البغالة تعلم ضآلة شأنها.

ثم عدنا لا ندرى تفصيلاً لأيام ترمبلدور حتى نراه قد عاد إلى فلسطين سنة ١٩١٩ وقد انتهت الحرب، فاتحد هو وجابوتنسكى يعملان معاً بعقيدة واحدة، وإذن وعد بلفور، لكن لايزال مبهماً.

وفى شهر آذار (مارس) ١٩٢٠ أحب حملة عقيدة التجمع والاقتحام ممارسة هذه العقيدة بالفعل وتجريتها على سبيل النموذج والمثال الصغير فى حوادث مع العرب، وركبتهم الغطرسة والشكاسة على ما وصفهم به الجنرال بولز البريطانى، وقد تقدم هذا فى الكلام على موسم النبى موسى، ولم يكن سكان المستعمرات اليهودية فى شمال فلسطين إلا كسائر بنى بذرتهم فى الخلق الثعلبى الأرنبى. فقاموا بحركات تحرش وعدوان. ومن تلك المستعمرات جلعادى وتل حى، فأدبهما العرب. وخف إلى هناك ترمبلدور ومعه جماعة رفاقه مصطحبين معهم بعض الفتيات المسترجلات المسلحات[1]. فصرع ترمبلدور مصرعاً فظيعاً لتوه وساعته، فاشتدت عليه مناحات اليهود. ونحتوا من اسمه أو عقيدته أو تعاليمه كلمة بيتار اتخذوها شعاراً ووسموا بها قَسَماً أنهم آخذون بثأره من عرب وعربيات. وهنا انتهى يوسف ترمبلدور، وقبره فى تل حى جعلوه مزاراً يفدون إليه كل سنة. ولما تسلل جابوتنسكى إلى داخل القدس فى حوادث النبى موسى ١٩٢٠ كان يشتد حماسة أنه لابد آخذ بثأر زميله الذى انطوى قبل أسابيع، فانهزم جابوتنسكى كما رأينا.

وبعد الوقوف على هذا كله، يوقن القارئ العربى، أن اليهود فى جميع ما اقترفوه من مذابح فى فلسطين ولاسيما فى ١٩٤٨ وبعدها حتى اليوم، وفى دير ياسين خاصة ١٩٤٨ وفى كفر قاسم سنة ١٩٦٦ كانت وحشيتهم فى بقر بطون النساء والتمثيل بالأجساد والتفنن فى ذلك، ذلك كله من تعاليم التجمع والاقتحام.

---

(١) مما استطعنا الوقوف عليه من تفصيل، أن ترمبلدور لما توجه إلى شمال فلسطين ملبياً مغيثاً، أصطحب معه بضعة شباب من أتباعه وفتاتين، والفتاة اليهودية فى تعاليم التجمع والاقتحام يجب عليها القتال كما يجب على الرجل، فإذا قُتِلتْ فيحسب قتلها كمقتل الرجل.

٢٨ ـ مخطط التوسع الصهيونى من المتوسط إلى الفرات

أوردنا فى حاشية إحدى الصفحات من هذا الجزء، ونحن نتابع الكلام على جابوتنسكى، أقوال ويزمن فى المؤتمر الصهيونى الثانى عشر ١٩٢١ المتعلق بشرق الأردن والوطن القومى، وجوابه لسائله فى المؤتمر أن غرب الأردن عندما يكتظ باليهود فحينئذ يسهل على اليهود شق الطريق إلى شرق الأردن، وأوردنا أيضاً ما ذكره الشيخ محمد الجسر فى مذكراته (١٩٢٤) من تنبيه الفرنسيين إلى خطر الصهيونيين على اللواء الجنوبى من لبنان فلم ينتبهوا لأمر ما، ثم انتبهوا بعد سنة، وسبب انتباههم أمر ما.

ونود الآن أن نستوفى الكلام على هذه النقطة الحيوية استيفاء أوسع، بأن نورد جملة ما ذكره ويزمن فى مذكراته من أقوال، ليكون القارئ البصير على بينة كافية من كل هذا ـ وكله تطبيق لمخطط التجمع والاقتحام.

وكانت نقطة البيكار عند الصهيونيين فى مؤتمر الصلح فى باريز سنة ١٩٢٠ أن يحرزوا مطلبين كبيرين بعد أن أخرج فيصل بن الحسين من سوريا، وهما:

١ ـ الحصول على حدود الوطن القومى وفق ما طلبوه فى مذكرتهم المقدمة إلى مؤتمر الصلح فى ٣ فبرايو ١٩١٩ وكان فيصل بن الحسين قد أعد مذكرته إلى مؤتمر الصلح بتاريخ ٢٩ يناير ١٩١٩ تكلم فى المؤتمر فى ٦ فبراير مدافعاً عن وجهة نظره العربية[١].

٢ ـ فإذا لم يحصلوا على تلك الحدود، فعلى الأقل يحصلون على الليطانى وعلى وادى اليرموك الأسفل[٢].

---

(١) المؤلم ونحن نكتب هذا سنة ١٩٦٦، أن فيصلاً فى ذهابه إلى مؤتمر الصلح رئيساً على الوفد الذى كان يرأسه «الوفد الحجازى» نائباً عن أبيه ملك الحجاز وهو فى الوقت نفسه رأس الحكومة العربية فى دمشق، لم يبين قضيته وهى المطالبة باستقلال البلاد العربية، على ما كان ينبغى له أن يبنيها عليه من نضال العرب مضافاً إلى ذلك الاتفاقات الرسمية الخطية التى عقدت بين أبيه وممثل بريطانيا فى مصر السير هنرى مكماهون. فإن فيصلاً، عملاً بتعليمات أبيه، لم يعرج على تلك الاتفاقات قط. وكان حوله كل الوقت لورانس. وهذا من الغرائب! وأما الوثائق الرسمية التى كانت بيد الحسين إلى آخر الحرب، وعليها مستنده، وهى ما يسمى «بمراسلات الحسين ـ مكماهون» فيعتقد أنها كانت مفقودة من الحسين، وهو لم يعلن هذا فى ذلك الوقت ولا فى أى وقت آخر إلى آخر حياته ١٩٣١ وهذه المسألة إذا كان لها من قيمة اليوم فقيمتها تاريخية علمية لا أكثر. راجع ما قلناه حول هذه النقطة فيما سبق.

(٢) «الكفاح فى سبيل فلسطين» عنوان كتاب ضخم وضعه ج. هرويتز J. Herewutz سنة ١٩٥٠ وهو =

قام ويزمن فى تلك الغضون برحلة استطلاعية إلى شمالى فلسطين وجنوبى لبنان فقال يصف اعتلاج ذكرياته وهو ينظر إلى الأرض التى يطمع فى أن تكون له:

«فقمنا بتطواف واسع ننتقل من مكان إلى آخر، واجتزنا الحدود السورية إلى لبنان وتوقفنا فى عدة مواضع ونحن نرى المستعمرات النائية على الحدود. وكأن كل تلة من التلال وصخرة من الصخور، برزت تستنطقنى فى هذه اللحظات، وتوحى إلىّ فى كل ثنية من ثنايا الطريق، ما علينا إنفاقه فى هذه الأرض من عمل وجهد وتخطيط ومال قبل أن تصبح صالحة ليستوطنها العدد الكبير من اليهود[1] (ص ٣١٢ من مذكرات ويزمن)

= يهودى أمريكى عُنى بدراسة أحوال العرب واليهود دراسة مفصلة ولاسيما منذ ١٩٣٦ فصاعداً، إذ فى نظره أخذت قضية فلسطين تتطور تطوراً مصيرياً منذ تلك السنة التى بدأ فيها العرب يناضلون على صعيد امتد إلى البلاد العربية. وعُنى هذا المؤلف أيضاً بالفروع والأجزاء فى المسائل كما عنى بالأصول والجذور. وغايتنا من إيراد ما يتعلق بالحدود وما إليها من كتابه إلى القارئ العربى، أن نقدم نموذجاً من الذهنية اليهودية من هذه الناحية. وهذا أمر له خطره اليوم وغداً. يقول المناطقة فى تحديداتهم: الحكم على الشئ فرع من تصوره. عالج المؤلف فى القسم الأول من كتابه ما كان من أمر الحدود. على غرار ما ذكر ويزمن، وهذا ما قاله هورويتز:

«وهناك غموض آخر يتعلق بحدود فلسطين. ففى مؤتمر الصلح فى باريز طلبت المنظمة اليهودية أن تكون السفوح المطلة على الليطانى والمنحدرات الغربية من جبل حرمون (الشيخ) والقسم السفلى من وادى اليرموك، كل هذا داخلاً فى الحدود الشمالية لفلسطين. لكن بسبب تصلب الفرنسيين ذهب معظم هذا إلى دول المشرق، وطلب الصهيونيون أيضاً أن تكون الحدود الشرقية واصلة إلى الخط الحجازى الذى يمتد من درعا إلى معان، إذ فى هذه الأنحاء رقعة واسعة من الأرض الخصبة شرقى نهر الأردن. وهذه الأنحاء كانت تحت يد الحكومة العربية المؤقتة فى دمشق برئاسة الأمير فيصل ثالث أبناء شريف مكة. وبعد أن أخرج الفرنسيون فيصلاً من دمشق بالقوة فى يوليو ١٩٢٠ الحق الإنجليز القسم الجنوبى من تلك الأراضى بفلسطين التى تمتد حدودها الآن من المتوسط إلى العراق. وبعد خمسة أشهر من ذلك التاريخ كان صك الانتداب فى صيغته الأولى قد أنجز ويراد تطبيق نصوصه على هذه الأراضى كلها.

وحوالى شهر أغسطس ١٩٢١ أضيفت مادة جديدة إلى الصيغة الثانية من صك الانتداب تخول الدولة المنتدبة أن تؤجل أو تمسك عن تطبيق ما جاء فى الصيغة الأولى (من البحر المتوسط حتى العراق) فيما يتعلق بالوطن القومى اليهودى من جهة أراضى شرق الأردن. وفى غضون المدة التى انقضت بين الصيغتين، كان الأمير (الملك) عبد الله، أخو فيصل وهو أكبر منه، قد وُضع فى عمان وَضْعاً مؤقتاً على رأس حكومة شرق الأردن وفى شهر يونيو ١٩٢٢ أعلنت وزارة المستعمرات أن قرارها المتعلق بهذا الأمر وهو استثناء شرق الأردن من مجال الوطن القومى ـ مع بقاء تلك البلاد تابعة لانتداب فلسطين ـ كان وفق الوعد الذى وعده السير هنرى مكماهون للحسين سنة ١٩١٥. فوافق الصهيونيون على هذا موافقة رسمية، ومع ذلك اعتبروا فصل الأردن ما هو إلا تدبير مؤقت، ثم حاول اليهود بعد ذلك مراراً علاج مسألة الاستيطان فى الأردن». انتهى كلام هورويتز.

والآن بوسع القارئ أن يضم هذا الجواب إلى الذى أجاب به ويزمن سائله فى المؤتمر الصهيونى الثانى عشر، وقد مر ذكره.

(١) فى أوائل أيام المندوب السامى الأول هربرت صموئيل، المنعوت عند اليهود بعزرا الثانى وأمير إسرائيل الأول (بعد السبى) ذهب هذا الرجل لزيارة مقام النبى شمويل (صموئيل) الذى على رأس أعلى جبل شمالى =

٢٩ ـ موقف فرنسا من الوطن القومى
دى جوفنيل يعرض على ويزمن استعمار وادى الفرات

قال ويزمن فى الفصل الرابع والثلاثين من مذكراته: ـ

«كان من الواجبات المهمة الملقاة على كاهل الرئيس (يعنى نفسه) أن يحتفظ بالصلات الحسنة مع الحكومات العديدة فى عصبة الأمم. وأول هذه الدول فرنسا. وفرنسا، ما عدا كونها الجار الملاصق لبريطانيا، هى المنتدبة على سوريا. ثم هناك إيطاليا. لذلك كان معظم وقتى فى باريز وروما.

فى باريز اجتمعت بجميع رؤساء الوزارات من بونكاريه إلى رينو، ليون بلوم[١] الذى سجلنا له مساعدات وافية. لما كان سوكولوف[٢] يتولى مفاوضاتنا فى القارة، كان بلوم يطلعه بصورة غير رسمية على الأشياء الجارية، ثم ازداد نشاطه فيما بعد بواسطة أحد زعماء المنظمة الصهيونية الفرنسية. مسيو ارستيد بريان كان يعطف علينا، لكنه بقى على غموض من نحونا وكان يقول: فلسطين ستصير بلاداً مدهشة. وكان يطرب للبرتقال الذى نهديه كل سنة على عيد الميلاد، مما لم يأكل مثله فى حياته، وكان رجلاً طيب القلب، وعنده نزعات الأحرار،

= القدس، ولم تكن الزيارة لهذا المقام مسموحاً بها لليهود. غير أن المجلس الإسلامى الأعلى جامل المندوب السامى فى طلبه الزيارة. فلما اقترب هربرت صموئيل من المقام وقف مطرقاً وقد استغرقته الذكريات ولما أفاق قال: «ومن يدرى فقد يكون هذا الراقد هنا هو جدى»!! وبين شمويل القديم وشمويل الجديد ٣٦ قرناً. ولما كانت القوات اليهودية تقاتل الجيش المصرى فى سيناء بعد ١٩٤٨ بقليل، نشرت إحدى المجلات الإنجليزية الأسبوعية أن ضابطاً يهودياً وقف يحرض من معه على القتال فخطب فيهم ومما قاله: «هؤلاء هم أعداؤكم الذين استعبدوكم منذ ٣٦ قرناً!!» فانظر فى هذه الروح اليهودية!

(١) ليون بلوم يهودى متشح بالاشتراكية. تريك البروتوكولات أن اليهودى لا يمكن أن تعلو على عقيدته اليهودية عقيدة أخرى أبداً. ومن لا يصدق هذا إلا من كان من الغفلة، عربياً كان هذا المغفل أم غير عربى. وإذا كان اليهودى «تلمودياً» فويل منه فى باريز كما فى تل أبيب.

(٢) سوكولوف يمين ويزمن وعضده فى الحركة اليهودية. هو مؤرخ الصهيونية وكتابه «تاريخ الصهيونية من ١٦٠٠ ـ ١٩١٨» فى بضع مجلدات، أجمع تواريخ الصهيونية للوثائق التى يعتبرها اليهود مادة تاريخهم. وأخباره مستفيضة وهو عاصر الحوادث كلها وكان معروفاً بكتاباته فى البيئات اليهودية فى روسيا وخارج روسيا قبل أن يظهر هرتزل فى العقد الأخير من القرن الماضى وكان رئيس الوفد الصهيونى إلى مؤتمر الصلح ١٩١٩ ـ ١٩٢٠ وهو الذى نال من فرنسا وإيطاليا الموافقة على وعد بلفور وهو الذى عمل فى نقض الترتيب الأول ١٩١٥ أن تكون فلسطين دولية فلما حصل اليهود على الموعد محوا الدولية كلها. وسوكولوف قابل قداسة البابا كذلك بعد أخذ وعد بلفور. وله صفوة ترجمة فى كتابنا هذا.

ولفتت نظره النهضة اليهودية، وأما عطفه العملى علينا فلم يتعد قشور البرتقال الذى كان بين يديه، وهو لم يستطع أن يعلم مدى قوة حركتنا فى الداخل، ومعظم الفرنسيين الذين فى الكاى دورساى كانوا قليلى الاكتراث، إما لأنهم يبطنون روح المناهضة لنا، وإما أحياناً من الحسد، إذ كانوا بهذه النظرة يتطلعون إلى عملنا فى فلسطين. وسبق لى أن قلت إن فرنسا اعتبرت فلسطين كما اعتبرها العرب الجزء الجنوبى من القطر، ولما وضعت فلسطين تحت انتداب بريطانيا اشمأزوا. وهم يعدون أنفسهم دائماً وجه أوروبا فى شرقى المتوسط، وحماة المسيحيين فى هذه الأرجاء. اللغة الإنجليزية كانت فى فلسطين غير معروفة تقريباً، حتى بعد مجئ اللنبى، وكثيراً ما ينسى هذا الأمر فى بريطانيا من أننا نحن سبب وجودها بوعد بلفور. وصارت فرنسا تنظر إلى نهضتنا بعين كاثوليكية، وعدت هذا كله فى فلسطين افتئاتاً على تقاليدها.

«وأما أكثر الفرنسيين استرعاءً للنظر فهو مسيو دى جوفنيل على ما أعتقد، فقد كان ند فيلد مارشال بلومر[١] فى فلسطين وكان محرر الماتان سابقاً فى باريز والماتان إحدى كبريات الصحف الواسعة النفوذ، وكان خصماً للفكرة الصهيونية ولكل ما يمت إليها بسبب، وعجزنا عن أن نحصل على سطر واحد فى جريدته لوجهة نظرنا. ولما اجتمعت به لم يكن بطيئاً فى الإعراب عن أفكاره هذه. وهذا ما حصل فى بيروت: فقد قدمنى إليه بعض الأصدقاء الفرنسيين. فأراد استغلال المناسبة ليجعل نفسه فى حلٍّ من أمره معنا. وأما أنا فقد أفسحت له المجال حتى يفرغ ما فى جعبته ثم قلت: لا يمكنكم أن تتكلموا عن الصهيونية وفلسطين، إذا لم تدرسوا الأولى وإذا لم تزوروا الثانية وهى على الحدود فلو فعلتم ذلك لتغيرت أفكاركم.

«فوافق. وزار فلسطين يومين ضيفاً على المندوب السامى فاجتمعت به ثانية. المقارنة بينه وبين بلومر شديدة البروز فى التناقض. دى جوفنيل فرنسى شجاع، أنيق المظهر. وبلومر أرستقراطى إنجليزى، جدى على طراز عهد فكتوريا. فطاف جوفنيل البلاد، ثم اجتمعت به

---

(١) الفيلد مارشال بلومر هو ثانى مندوب سام على فلسطين، وقبله هربرت صموئيل الذى انتهت مدته ١٩٢٥ وبلومر مكث ٣ سنوات وهو عسكرى فعلاً وقولاً، مظهراً ومنظراً. من قرنه إلى قدمه. جاء وثورة سوريا بقيادة سلطان الأطرش فى جبل العرب على فرنسا تطلق أول هديرها. كانت بريطانيا تود فى قلبها أن تدق أعناق الفرنسيين والسنغاليين فى سوريا المجاورة لفلسطين، لكنها كانت حريصة فى الوقت نفسه على ألا تقلق راحتها ولا راحة اليهود فى فلسطين. ونفذ بلومر سياسة حكومته حرفاً حرفاً، وأما فى سياسة التهويد فقد اكتسب عطف اليهود وولاءهم، إذا وصلنا مدته بمدة هربرت صموئيل، تكون فلسطين، بعد ثورة النبى موسى ١٩٢٠ واضطرابات محدودة بعيد ذلك، قد اجتازت نحو ٩ سنوات هادئة. اليهود يعملون تحميهم الحراب البريطانية، والعرب فى دور الاختمار، حتى كانت ١٩٢٩ و «ثورة البراق». وصادف فى سنوات بلومر أن أصيبت الهجرة اليهودية بأزمة مالية قاصمة، فلم يدخل البلاد أكثر من ١٧ ألفاً وكان العائدون أكثر من نصف هذا العدد وكثر عدد المتعطلين عن العمل عند اليهود حتى بلغ عددهم باعتراف ويزمن نحو ٨ آلاف عامل واشتدت المنازعات بين العمال وأصحاب العمل وكذلك الإضراب والاعتداء حتى هدأت الحال ١٩٢٨.

ثالثة، فإذا به متغير الرأى، فذكرنى أمره بما حصل مثله من جهة مستر فيلكس واربورغ(١).

«جوفنيل بعد أن غير ما غير من افكاره، لم يكتف بأن سحب انتقاداته السابقة، بل أنب الصهيونيين على انهم لم يأتوا ويصنعوا شيئاً فى سوريا على غرار ما يصنعون فى فلسطين.

«فدهشت لاقتراحه وأجبته بأن لدينا مجالاً واسعاً فى فلسطين حيث نعمل هناك تحت شروط الانتداب، دون حاجة المجئ إلى سوريا حيث لا مكان لنا فيها. ثم إن العرب يحسبوننا طارئين عليهم، أو إننا بداية موجة توسع تشمل الشرق الأوسط كله، لكن جوفنيل أصر فقال إن اليهود هم الوحيدون الذين يستطيعون إعمار سوريا.

«ثم قال: طبعاً، لا أريدكم أن تعملوا جنوبى سوريا (هكذا) إذ لا تكادون تصلون إلى صور وصيدا حتى تطلبوا تعديل الحدود. لكن لدى مشروعاً كبيراً وهو إعمار وادى الفرات. نعم، إنه بعيد مئات الأميال من فلسطين ثم أبرز خارطة فوراً وأخذ يرينى كيف أن الفرات يمر بمناطق صحراوية واسعة قليلة السكان من البدو.

«ثم قال بحماسة: إن آلاف الأميال المربعة يمكن أن تروى هنا فتتقلب موطناً لشعب كثيف. ثم مضى يتوسع فى هذه المناحى حتى قال: إن الطيارين الفرنسيين الذين جابوا جو حوض الفرات، وقع نظرهم على آثار القنوات القديمة التى كانت تنساب فيها المياه إلى تدمر، حيث كانت فى تدمر حضارة ناضرة ثم قال: وما صنع فى الزمن القديم يمكن صنعه فى الزمن الحديث. ثم استرسل يتكلم ببلاغة الفرنسيين يشرح هذه الطاقة العمرانية. وعلى كل كلامه هذا أجبت جواباً واحداً: أنت تعلم يا سعادة المفوض أن عندنا قضية مياهنا فى فلسطين، وعلينا أن نكتفى ونقنع بمياه الأردن. وهذه المشروعات التى تصفها لى، مدهشة، لكننا لا نستطيع الاستجابة لإغرائها.

«ثم تحول إلى أن يقنعنى قناعة تاريخية فقال: يا دكتور ويزمن، هذا الذى أقوله لك وارد فى سفر نحميا: أن تدمر بناها اليهود(٢).

«ثم أثار هذا الموضع ثانية لما اجتمعت به مرة أخرى فى باريز، وحاول اقناع ليون بلوم

---

(١) فيلكس واربورغ من أعمدة اليهود فى الولايات المتحدة. بدأ ويزمن صلته به من سنة ١٩٢٣ فى أمريكا، وكان واربورغ حتى ذلك الوقت ناقداً للأمور فى فلسطين نقداً لاذعاً ولا يتبرع بشئ، ومازال به ويزمن يفتل منه فى الذروة والغارب حتى ابتلعه. وقد وصفه ويزمن فقال شئ من «الأمير الصالح»، لكنه يفتح أذنيه لكل نابسة وهامسة ويصدق من حوله. ودعاه لزيارة فلسطين هو وزوجته فزارها، وظل واربورغ بعد ذلك يدور فى فلك ويزمن. وصار عضداً بالمال للجامعة العبرية فى القدس، ثم كان من أكبر المساهمين فى شركة استثمار البحر الميت منذ ١٩٢٩ فصاعداً، وهنا، كل الصيد فى جوف الفرا.

(٢) هذه من الأساطير ولو ذُكِرَتْ فى «العهد القديم».

بصحة آرائه، لكن كل هذا لم يكن له عندنا أقل وزن من الناحية العملية. انتهى كلام ويزمن.

ثم انتقل ويزمن بلا تراخٍ إلى الكلام فى مضمار آخر، وبلا فاصل فى الحديث فقال:

«وحادث غريب بقى فى بالى بصدد زيارتى لفونسا ومحاولاتى استمالة الرأى العام إلى جهتنا. وقع هذا سنة ١٩٣٣ لما قام هتلر بحملته وأخذت الجموع تتوجه إلى فلسطين. تلقيت برقية من الآنسة لويز ويس (Weiss) الصحافية الفرنسية المشهورة، الواسعة الصلة بالمقامات السياسية، تدعونى إلى إلقاء محاضرة عن الصهيونية وفلسطين فى السوربون، وأكدت لى أن المحاضرة ستكون تحت رعاية شخصية عالية، وسيحضرها أناس كثيرون. فترددت لسبب واحد: وجدت أنه من المستحيل علىّ إلا أن أتناول الحالة فى المانيا، وربما غلب علىّ عامل العاطفة، ووقتها كان منا فى منافى هتلر رهائن عديدة. فأكون قد أجرمت إذ سببت لهم زيادة عذاب. ومن ناحية أخرى وجدت أن هذه المناسبة تولينى فرصة سانحة فريدة لأطلع الرأى العام على الحقيقة، فوازنت بين نعم ولا، واستنصحت أصدقائى، وبالتالى قبلت.

«أما الحضور فقد كانوا من السراوة على ما وصفت الآنسة ويس، والرئيس هو مسيو مارتن وزير مالية سابق. وقيل لى أن من الحضور، كما أنى لاحظت ذلك، بعض شخصيات من السفارة البريطانية، وأصدقاء من الكاى دور ساى وممثلين من بيت روتشلد، وابن الكابتن درايفوس[١]، ورئيس الحاخامين الفرنسيين وغيرهم.

«حاولت أن أتكلم بهدوء عن الحالة فى ألمانيا، والمسؤولية التى رست على العالم المتمدن نحو ضحايا السياسة الألمانية، وتكلمت عن الملجأ الذى وُجد فى فلسطين، وقد كان هذا أكثر من ملجأ إذ بالنسبة إلى الصغار فكأنهم جاءوا إلى وطنهم، واختلط أبناء يهود المانيا بأبناء يهود فلسطين حتى صعب التمييز. ثم تناولت فلسطين فقلت إنها على صغرها ففيها قابلية الاتساع بإمكاناتها على قدر ما تقضى به الحاجة.

والحضور، أحسنوا الإصغاء إلى، وكان هذا واضحاً. ولما انتهيت دهشتُ إذ سمعت الرئيس يقول إن علىّ أن أعيد إلقاء هذه المحاضرة فى هذا المكان نفسه فى اليوم التالى، إذ هناك فريق من الناس لا شك يودون سماعها ثانية، وينبغى إعطاء الفرصة إلى من لم يتسع لهم المكان فى الليلة الأولى بسبب الازدحام. وقال الرئيس إنه متأكد أن مسيو عاريو يسره أن يكون مترئساً الاجتماع. فما وسعنى إلا القبول. فألقيت المحاضرة للمرة الثانية، والجمهور أشد ازدحاماً، لكن الرئيس لم يكن هريو، إذ تخلف عن الحضور فكانت الحفلة بلا رئيس فافتتحت

(١) درايسوف، هو صاحب الفضيحة الكبرى فى فرنسا، خان دولته ببيع أسرار عسكرية إلى المانيا وحكم عليه بالسجن ثم النفى. تقدمت قصته عند الكلام على هرتزل إذ كانت محاكمة درايفوس فى باريس سبب انقلاب ذهنى نفسى فكرى فى هرتزل فانتقل من كونه يهودياً اندماجياً إلى يهودى صهيونى حتى أنشأ الحركة الصهيونية السياسية.

الاجتماع الآنسة ويس؛ وبينما أنا فى وسط المحاضرة وصل هريو بغتة، ودون أن يبدى أى انتباه لى إذ لما دخل توقفت عن الكلام، ولعله لم يقع نظره على، وصعد المنبر وأخذ يلقى محاضرة بصوت جهورى لمدة عشرين دقيقة دون توقف، متناولاً مسائل لا علاقة لها بالصهيونية وفلسطين واليهود؛ وإنما راح يتباهى بأمجاد فرنسا وتألقها الحضارى لكنه لم يذهب إلى أكثر من هذا على الصعيد المجمل. وانتهى كما بدأ فجأة. ودهش الحضور من هذا الفصل الروائى المضحك؛ ثم صعدت الآنسة ويس المنبر وطلبت منى بهدوء استئناف محاضرتى؛ ولم أجتمع بهريو بعد هذا، وإنى واثق أنه لم يكن يعلم شيئاً عن طبيعة الاجتماع.

***

٣٠ ـ ويزمن يعرض فلسطين قاعدة حربية ١٩٣٨

فى سنة ١٩٣٨ ـ ١٩٣٩ وغيوم الحرب العالمية الثانية أخذت تبدو فى الأفق، وبريطانيا انغمست فى دراسة المواقع الاستراتيجية فى الشرق الأوسط، تغير منها ما تغير وتبدل ما تبدل، وتبتعد من هنا وتقترب من هناك، لإقامة أسس الدفاع على خير وضع، أرسل ويزمن إلى سيرجون شكبره Shakburgh الوزير البريطانى الرسالة التالية:

«اسمحوا لى أن أقول كلمة موجزة تتعلق بالمسألة الاستراتيجية ولهذه المسألة اليوم شأنها فى مساق المحادثات الجارية ولها الصدارة. ويكون من الغرور من رجل عادى مثلى، أن يبدى أى رأى فى القيم الاستراتيجية النسبية بين حيفا وقبرص، غير أن هناك بعض الحقائق المحسوسة التى لا يصعب على كيماوى بسيط مثلى أن يفهمها. فإن خطوط أنابيب البترول، والمطارات، وجبل الكرمل، كل هذا لا يمكن نقله إلى قبرص، ولا سكك الحديد الواصلة إلى مصر، ولا المواصلات مع قناة السويس، ولا الممر الكوريدور إلى بغداد. هذا ولا مزيد». انتهى. (مذكرات ويزمن ص ٤٨٧).

٣١ ـ أوسيشكين

مناحيم مندل أوسيشكين، اليهودى الروسى المقارن لويزمن فى القافلة الصهيونية، ولد ١٨٦٣ ومات ١٩٤١ فى فلسطين، وهو من ألبس العاملين فى الصهيونية لجلد الذئب. معاصر لهرتزل، وهذا يكبره بثلاث سنين فى المولد، وعمل مع هرتزل، وتمسك بمخططه، وقال خائن للصهيونية مَنْ يرضى عن فلسطين بديلاً. يعرفه ويزمن من أيام الشباب، وأوسيشكين أكبر منه بإحدى عشرة سنة. بعد الحرب جاء فلسطين وكان رئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية نحو سنتين، ثم انتخب رئيساً «للكيرين كايمت» وهذه المؤسسة هى الموكول إليها شراء الأرض، كما أن «كيرين هايسود» هى المولجة فى جمع المال. وأما «البيكا» فهى المختصة بمستعمرات بيت روتشيلد. وهذه الأسماء يعرفها عرب فلسطين معرفة تامة. وأوسيشكين جزء دائم من المؤتمرات الصهيونية التى تعقد كل سنتين مرة. ولميله إلى الأتراك كان يقال له حتى بين بنى قومه «مناحيم باشا». وأما رونالد ستورس حاكم القدس البريطانى من ١٩١٨ ـ ١٩٢٦ فقال أما عندنا فنقول له «القيصر مناحيم».

قال فيه ويزمن فى مذكراته: «أوسيشكين قام فى روسيا بعبء الصهيونية العملية، كما قام أحدها عام بالرسالة الفكرية الروحية. شخصيته نافذة. بليغ الكلام، واضح الآراء، منطقى البرهان، عملى الطرائق والأساليب. له قدرة عجيبة على مباشرة الأمور وطاقة كبيرة على التنفيذ واجتياز الظروف الحرجة، ومن جملة تلك الظروف أن العمل للحركة الصهيونية فى روسيا كان ممنوعاً. فأنشأ خلية عاملة سرية فى كل مركز مهم فى المنطقة، يجتذب إليه من يتوسم فيهم حسن الاستجابة ويبث فيهم القوة والأمل. وكان مثالاً نموذجياً من روح عشاق صهيون، وكان من المعاونين لأحدها عام فى التدريب الذى يضطلع به نادى بنى موسى، ومع وقوفه على المآخذ التى أُخذت على هرتزل فى حركته، فقد بقى أوسيشكين على هذا الولاء حتى برز هرتزل بمشروع يوغندا، عندئذ خلع أوسيشكين رابطة الولاء علناً، وشنّ ثورة حامحة على القيادة.

ثم قال ويزمن: «كان أوسيشكين رجلاً بعيد الهمة، عنيداً لا يتراجع، صريح المذاق حتى يجرح، وفيه عرق من الأوتوقراطية، ولهذا كان لا يطيق نزوات الشباب. وكان لنا ندوتان فى الغرب للفكرة الصهيونية، واحدة فى برلين يرعاها موتزكين، والأخرى فى جنيف أرعاها أنا، فكان يصف أوسيشكين هاتين الندوتين بأنهما للجعجعة ولا طحن منهما. وهو بالفطرة محافظ، وقد اختلف مع هرتزل حول موضوع المناورات الدبلوماسيه المحمة العاليه، مؤثراً

عليها المساومة والمماكسة مع الأتراك تواً. وهو فى هيأته يعطى صورة مزيج من باشا تركى ووال روسى. وكل أخطائه يمحوها بذله وتضحيته فى سبيل الصهيونية. ما كان يهمه شئ آخر فى العالم إلا الصهيونية... ضخم الرأس مدوره، حتى يكاد يستطيع أن ينطح به الجدار... وحياته تجرى وفق التقاليد اليهودية. وكان فى أموره الدنيوية ميسوراً، وهذا ما زاد فى طاقته على التضحية. وكان بيته بيت العائلة اليهودية القديمة الجذور. وكان يحب الفكاهة. فإذا ما كانت زوجته حاملاً، قرع الطاولة بجدٌ وعُنف وقال لها: صبى!! إياك غير صبى!! لكنه من هذه الناحية لم ينل إلا نصف ما أراد، فقد ولدت زوجته صبياً وبنتاً لا غير.

«وسرت معه سيراً حسناً، محترماً لمساوئه احتراماً لا يقل عن احترامى لفضائله. وكانت أنانيته متسلطة، تجعل الناس يعتقدون أن تلبيته واجبة».

ومضى ويزمن فى الكلام فقال: «وأول ما أخذت صلتى به تشتد عُراها، كان فى الحرب العالمية الأولى لما جاء هو إلى بريطانيا. وكان يجتاز مآزق. فلما أكره على الخروج لجأ إلى استنبول، ثم راح يحور ويدور حتى وصل لندن فى سنة ١٩١٨، ولما شبت الثورة فى روسيا استطاع أن يخرج معه بعض ماله. ولما وصل لندن، كان وعد بلفور قد صدر وجاء يحمل اعتقاداً أن تأليف حكومة يهودية فى فلسطين على وشك أن يتم. وكان فى جيبه قائمة بأسماء الوزراء وهيئة هذه الحكومة. ولما بينت له أننا لانزال بعيدين من هذا كثيراً أخذه الامتعاض الشديد.

«وعلى غزارة مداركه واتساع طاقته العملية، فقد كانت تشوبه أحياناً موجات من السذاجة غير المؤتلفة مع أمره. ولما حلت به الخيبة إذ رأى أننا لا نستطيع حتى الآن تأليف حكومة يهودية فى فلسطين، زاد على ذلك استغرابه أن الحلفاء لم يربحوا الحرب بعد. وكانت قناعته من قبل أن المانيا ظافرة، ذاهباً إلى هذا من شدة اكباره للعقل الألمانى والعظائم الألمانية، والمانيا فى نظره ذخيرة الحضارة الغربية. ولما جاء لندن لم يكن بعد قد طاف خارج حدود بلاده شيئاً. وهو فى الأيام السابقة، قبل الحرب الأولى، والثورة الروسية، كان يعيش فى أودسا، ومن أودسا كان يدير الحركة كلها فى تلك الأنحاء. وهو من خلال البحر الأسود كان يتطلع إلى فلسطين وهى وقتئذٍ تحت البربرية التركية، وهو كان يعتقد أنه إذا أتى إليها فسيأتيها على مرتبة الأوروبى ومستوى الغربى، لكن لما أخذت بريطانيا فلسطين، وَجَد نفسه أنه هو الذى وُضع على المستوى البربرى. ولما حل بلندن استغرب أساليبها وعاداتها. وكان إذا ما خاض فى حديث المستقبل والأفق المقبل، قال بكل براءة «اسمع ثم اسمع! أنت تبقى فى أوروبا لأمورنا هنا، وأنا أتولى أمورنا فى فلسطين». وكنت أجد حرجاً من هذا غير أنى كنت أتجاوز عن تطوحاته، فهى مغتفرة لشدة انكبابه على القضية». إلى هنا انتهى كلام ويزمن، وقد آثرنا نقل هذا القدر منه لننتقل إلى ناحية أخرى فى إيراد صورة أوسيشكين.

بعد موت هرتزل ١٩٠٤ انقسم الصهيونيون قسمين، لا من جهة ما يتعلق بالقبول أو عدم القبول للعرض الذى عرضته بريطانيا عليهم، وهو أن يستعمروا يوغندا فى شرق أفريقيا، فهذا الأمر كان مفروغاً منه فى آخر مؤتمر عقد زمن هرتزل سنة ١٩٠٣ لبحث الموضوع، فقام الصهيونيون الروس، وعلى رأسهم ويزمن وأوسيشكين وسوكولوف (ستأتى ترجمته بعد أوسيشكين) وغيرهم ومن ورائهم أحدها عام، ورفضوا المشروع جملة وتفصيلاً، وأحرجوا موقف هرتزل كثيراً، ولم ينس القارئ أن فى أثناء المؤتمر، وقد ساد الهرج واشتدت الضوضاء، تقدمت سيدة من هرتزل وهو نازل من على المنبر وقالت له يا خائن! وهذا ما رواه ويزمن بنفسه. ولما اشتدت البأساء بهرتزل من جراء هذا، كاد ينهار فيستقيل من الحركة، لولا أن استقالته، على ما قال هو فى مذكراته، كانت ستؤدى إلى انشقاق أوسع وأدهى. لكنه ماشى الفريق الذى رفض يوغندا وتعلق بفلسطين قطعاً، وهو ما كان ليقول غير هذا قبل عرض يوغندا، وإنما اعتبر قبول الفكرة باستعمار يوغندا مرحلة تمهيدية للوصول إلى فلسطين، شيئاً فشيئاً، بحيث تبقى البلاد هناك لليهود حتى ولو استطاعوا الحلول بفلسطين فيما بعد. فهو أبعد مرمى، وأشَرّه. وهو منذ أخذ يتصل بعبد الحميد السلطان العثمانى منذ ١٨٩٧ ويغرقه بالمغريات الفاتنة، جعل انصبابه المحكم على فلسطين. وكان يقول لهم فى المؤتمر، قضية قبولنا يوغندا قضية مبيت ليلة على الطريق، وكتب فى مذكراته حول هذه النقطة يقول:

«إنى واثق أن الانشقاق الكاسح أخذ يدب فى الحركة، وهذا الانشقاق يخترقنى شخصياً اختراقاً تاماً. وإنى، وإن كنت من قبل مجرد طالب دولة يهودية فى أى رقعة كانت، غير أنى اليوم، وقد وقع ما وقع، لن أرفع إلا راية صهيون، وأعد نفسى من عشاق صهيون. وفلسطين هى البلد الوحيد الذى يستطيع شعبنا أن يجد فيه الراحة والأمان. وعندنا الآن مئات وألوف من أبنائنا يحتاجون المساعدة والإنقاذ. ولكى أدفع المحذور فليس لدفعه سوى وسيلة واحدة: أن أستقيل» وكان هرتزل من قبل هذا الوقت يشكو من ضعف فى قلبه، وبعد تسعة أشهر من ارفضاض المؤتمر مات فى ٣ يونيو ١٩٠٤ وقال فريق من شيعته أن ما عجل عليه، الصدمة العنيفة التى لقيها فى المؤتمر(١).

هذا هو الموقف الراهن وقت فَقَدَتْ الحركة الصهيونية زعيمها الأول، ولم يستقل هرتزل وقتها إذ كان موته نهاية الرواية من جهته لكن بعد موته تغلب الفريق الصهيونى الروسى على

(١) على كل، إن الذين كانوا يقولون بدولة يهودية فى أى مكان، تميزوا بعد موت هرتزل بزعامة إسرائيل زنكويل، الكاتب اليهودى الإنجليزى المشهور، وهم فئة قليلة، وجعلوا يوالون البحث عن أرض غير يوغندا، ويقال أنهم هم الذين حاولوا استعمار طرابلس وبرقة (ليبيا اليوم) ففشلوا. وبقوا على خطتهم حتى كانت سنة ١٩١٧ وجاء وعد بلفور. وانقسام هذه الفئة بهذا الحيز ليس انقساماً وإنما الانقسام المصنوع هو الذى نتكلم عنه فى مساق الكلام هنا. وليلاحظ القارئ هذا.

مقود الحركة، ومسك بجميع أعنتها، ونقض أساليب هرتزل نقضاً، بهدوء ومكر واتقان حيلة. فإن أساليب هرتزل كانت هى التى أشار إليها ويزمن على لسان أوسيشكين، المناورات الدبلوماسية الفخمة العالية، يتردد بها بقامته الفارعة، وبذلته السوداء، ولحيته التى يزين بها طلعته، على الملوك والأمراء والرؤساء فى العالم، على أعلى مستوى فى الأبهة والازدهاء، نعم كان نشاطه مغلفاً بالسرية والكتمان، غير أن تخفية هذا النشاط عن أعين الناس ما كان إلا فى مصلحته وفق ما يريد ويؤثر.

وجاءت أساليب جديدة بعد موت هرتزل، يمكننا إيجازها فى هذا الإطار:

أولاً: أن يكون للحركة صورتان: خارجية، متلونة، لا تصطبغ إلا بالصبغة التى تماشى الحوادث العالمية، ولا تقف مواقف مثيرة للشك والارتياب. وصورة داخلية هى المعول عليها وليس عنها محيد وفى سبيلها يجب تذليل جميع الصعاب، للوصول إلى فلسطين.

ثانياً: فالصورة الداخلية هى المبنية على فلسفة أحدها عام أو التجمع والاقتحام، وهرتزل نفسه لم يكن إلا من هذه الفلسفة[1]، والفرق بينه وبين من أتى بعده من زعماء الحركة فى روسيا، أنه هو كان يقول بالمراحل هذا من جهة، ويقول إن التسلح بموافقة دولية على المشروع ضرورى الحصول عليه ليتخذ منه مجن لوقاية الحركة، هذا من جهة أخرى. فجاء الأسلوب الجديد الآن، وجعل تطبيق فكرة التجمع والاقتحام مبنية على العمل فى فلسطين بالتسلل المحكم تحت ستار العاطفة الدينية، وشراء الأرض، وتكثير سواد اليهود، وتدريب شبابهم عسكرياً تحت ستار النشاط المدرسى الرياضى. أى ليس تطبيق الفكرة موقوفاً على فرمان سلطانى من عبد الحميد، كما كان يبتغى هرتزل، أو من رجال تركيا الفتاة الذين تسلموا الدولة العثمانية بعد إعلان الدستور ١٩٠٨، أو موافقة دولية كما طلب هرتزل.

ثالثاً: وعلى هذا، بقيت الصور الخارجية تعمل لخدمة الصور الداخلية، وهنا نقطتان مهمتان، وهما: أولاً، أن يستفاد من حركة طلب الحرية والاصلاح والحكم الدستورى فى المملكة العثمانية بالاندساس فى صفوف الحركة واستغلالها من أجل الوصول فى النهاية إلى فلسطين. وهذا يقتضى أن يكون العمل فى استنبول على رأس النبع. فجعل عشرات من العملاء الصهيونيين، يقيمون فى عاصمة المملكة العثمانية تحت أغطية مختلفة فإن بن غوريون، مثلاً، هو أحد هؤلاء. فقد جاء استنبول ودرس الحقوق فى جامعاتها وسنة ١٩٠٦ انتقل إلى فلسطين. والنقطة الثانية، هى أن زعماء الحركة الروس، أيقنوا أن ألمانيا لن تكون مؤازرة لهم وعلى رأسها الإمبراطور غليوم، الطامح أن ينشئ مستعمرة لا نظير لها فى قلب

---

(١) لا ننسى أن هرتزل لما كان يفاوض لورد كرومر فى مصر حول وادى العريش أو سيناء قال له، إنه هو نفسه: لو جارى هوى نفسه، لمال إلى اخذ فلسطين بالفتح وإراقة الدماء، وقد مر هذا فراجعه.

المملكة العثمانية، بواسطة مشروع سكة حديد «برلين ـ بغداد»، إذ امتياز هذا المشروع الضخم يخول الشركة الألمانية أن تستثمر لمصلحتها مساحة من الأرض من على جانبى الخط عرضها عشرون كيلو متراً. فالوساطة التى قام بها الإمبراطور غليوم لدى عبد الحميد سنة ١٨٩٨ لم تؤد إلى الفشل وكفى، بل رأى غليوم أن صديقه عبد الحميد يخاف من اليهود أن يبطشوا به غداة تصبح لهم السيطرة على فلسطين، فإذا ألح عليه اهتز مشروع سكة حديد برلين ـ بغداد. فصمم زعماء الحركة الصهيونية على الاعتماد على بريطانيا، إذ لا رجاء لهم فى برلين.

لكن لابد من لعبة، والصورة الخارجية يراد بها، كما قلنا، أن تكون خادمة للصورة الداخلية، والآن يراد تطبيق فكرة التجمع والاقتحام فكيف ينبغى أن تكون الحيلة؟ اصطنع قادة الحركة انشقاقاً بينهم فيقول فريق بالتسلل إلى فلسطين تواً، والتسلل مظهر خارجى ليغطى المقاصد، وبالتسلل تمتلك الأرض خطوة خطوة. والنشاط الصهيونى الذى استمر إلى ١٩١٤ كان على هذه الصورة، أى هو مراحل التجمع والاقتحام تحت ستار التسلل. ويقول فريق آخر بوجوب الاتفاق مع الدولة العثمانية. وهذا الفريق وإن بدا فى ظاهره أنه لا يختلف عن هرتزل، غير أنه هنا يراد به التمويه، والخداع.

وعرف الفريق الأول باتباع السياسة العملية وعرف الفريق الآخر باتباع النظرية السياسية وبقى هذا إلى سنة ١٩١٤[١].

وعلى هذا يكون المخطط الصهيونى قد انحصر بعد موت هرتزل بالتسلل وهو بقوة عنيفة، بالمال، والعمل فى الأرض، وإنشاء المستعمرات، وتكثير سواد اليهود الشباب المدربين، وبالتوغل فى داخل الأجهزة للدولة العثمانية. ولذلك لا نستغرب أن فى سنة ١٩١٣ استطاع اليهود أن يحصلوا على أربع حقائب وزارية من أصل ١٣ حقيبة، ومجموع اليهود فى الدولة العثمانية لا يؤلفون إلا أقلية ضئيلة، والعرب وهم أكثر من نصف المملكة بعدد السكان، وأضعاف الأناضول بالأراضى والمساحة، لم يكن لهم شئ، وقد تقدم ذكر هذا.

ونعطى الآن مثالين صريحين على عمل الصورة الخارجية وعمل الصورة الداخلية. أما الخارجية، ويراد بها التمويه، فقد عقد المؤتمر الصهيونى سنة ١٩١١ فى بازل، وكان النواب العرب فى البرلمان العثمانى يعلون الصيحات احتجاجاً على النشاط الصهيونى فى فلسطين وخطره، وكانت الحركة العربية قد اشتدت وزادت من قوتها، بعد هزيمة الدولة فى طرابلس وبرقة بعد قليل، وفى البلقان ومكدونيا، وكان المطلوب الآن عند القادة الصهيونيين أن يتظاهروا علناً بما يخفف من نقمة العرب. فقال رئيس المؤتمر الصهيونى فى أغسطس ١٩١١:

---

(١) هذا هو الانقسام الذى تظاهر به قادة الصهيونية بعد موت هرتزل، أما زنكويل الساعى وراء اختيار قطعة أرض تناسبه، فى الأرجنتين، أو ليبيا، أو انكولا فى غرب أفريقيا فلا يدخل فى هذا كله.

«إن الذين يجرأون على اتهامنا بأننا في صدد إنشاء مملكة يهودية لا يفعلون هذا إلا من جهل وغباوة أو من حقد وضغينة. وهم يخلطون بين الصهيونية والنزعات اليهودية الدينية المتعلقة بفلسطين خلطاً مؤذياً. فإن محبتنا لفلسطين، وهى محبة لا حد لها، نابعة لا ريب من العقيدة الدينية، لكن لم يخطر لنا فى بال يوماً ما، نحن الصهيونيين العمليين العصريين، أن نستغل النزعات الدينية لخدمة حركتنا، ولا أن نقترف هذا العمل السئ بالتلاعب بالشعور الدينى الذى يحمله ملايين عديدة منا. فإننا بكل وضوح قد بينا رغباتنا وأعربنا عن آمالنا فى برنامجنا. فغاية الصهيونية هى إيجاد وطن آمن للشعب اليهودى فى فلسطين، على أن يعترف بهذا الوطن فيحميه القانون. ولا نريد دولة يهودية، بل نريد وطناً فى أرض آبائنا الأولين، حيث نستطيع أن نعيش حياة يهودية بمأمن من الاضطهاد». فصفق المؤتمر بالموافقة. وهذا الوصف للوطن الروحى هو تقريباً ما طلبه هرتزل فى المؤتمر الصهيونى الأول ١٨٩٧ والحيلة هنا هى استخدام هذا الغموض فى التحديد للوطن اليهودى. وبقى القادة الصهيونيون يصرحون بمثل هذا بكل مناسبة. ومثل هذا هو ما قاله هوغارت للحسين أوائل ١٩١٨.

والمثال الثانى هو أوسيشكين. ولا تستغربن التناقض الهائل بينه وبين رئيس المؤتمر الصهيونى سنة ١٩١١، والمعمعان الصهيونى فى إبانه، والعالم كله وقتئذ يسير بخطى واسعة إلى الأمام، وألمانيا مشمرة على ساعديها لمزاحمة بريطانيا فى ما وراء البحار، والمملكة العثمانية تهتز وتتلوى. فقد وضع أوسيشكين بعد سنتين وثلاثة أشهر، فى نوفمبر ١٩١٣.، وقد حلت النكبات بتركيا وصار حديث اقتسامها نهائياً شاغلاً بال الدول الكبرى الطامعة (بريطانيا وألمانيا وروسيا والنمسا وفرنسا وإيطاليا) كتاباً صغيراً، سماه البروغرام الصهيونى السياسى ولم يقصد بهذا الكتاب توزيعه على العالم، بل على حملة عقيدة التجمع والاقتحام، واحدها عام سنتئذ فى السابعة والخمسين، ونادى بنى موسى مُجِد فى التخريج، وعلمنا أن أوسيشكين يساعد أحدها عام فى هذه الحركة، مع توليه النشاط الصهيونى الخفى لا فى أودسا وأوكرانيا بل فى معظم جنوبى روسيا.

وفى هذا الكتيب بسط أوسيشكين ما هى الصهيونية على عقيدته، مكشوف الجبين، غير مستتر، ولماذا يستتر هنا وهو يكتب لحملة الفكرة. غير أن جريدة فلسطين[1] العربية فى يافا استطاعت أن تحصل على نسخة من هذا الكتاب ونقلته إلى العربية، ونشرته فلسطين من

---

(١) كان عيسى العيسى صاحب «فلسطين» فى يافا ونجيب نصار صاحب «الكرمل» فى حيفا، من أشد المناضلين العرب فى مكافحة الصهيونية والكشف عن مخططها وإيقاظ العرب ليفتحوا عيونهم على الخطر الزاحف على فلسطين ثم على ما هو أبعد من فلسطين، عن طريق فلسطين. وكان العلامة روحى الخالدى النائب فى البرلمان العثمانى أبعد النواب العرب صوتاً فى التحذير والتنبيه. كان هذا قبل الحرب العالمية الأولى. وقد ألمنا إلى هذه الناحية فى سابقة.

كتاب أوسيشكين وما استطعنا الاطلاع عليه هو خمسة الفصول الأولى منه نشرتها مجلة المنار الإسلامى فى القاهرة فى عددها المؤرخ فى أغسطس ١٩١٤، منقولة من جريدة فلسطين.

ونكتفى هنا بايراد عبارات وبعض فقرات من أقوال أوسيشكين مأخوذة من مواضع مختلفة: ـ

١ ـ «إن المساعى التى بذلها الشعب الإسرائيلى للخلاص من منفاه... قد تحولت منذ ٢٥ سنة من حالة التفكير والسكون إلى حالة الحركة والعمل، وذلك لإعادة حياته السياسية الحرة (فى بلاد أجداده» الفصل الأول).

٢ ـ «أما حالة البلاد أو الأرض التى تريد الأمة أن تستقل بها استقلالاً سياسياً، فيجب أن تكون ملكاً لها بالفعل، من الوجهتين الاقتصادية والعقلية، أعنى أن تكون جميع قوى تلك الأرض الحيوية فى يد شعبها، وإن كانت الأرض نفسها تحت سيادة غيره سيادة اسمية، وأن يكون للشعب بها علاقة روحية، وتكون تربتها مشبعة من دمه وعرق جبينه، وإلا كانت غير صالحة للاستقلال» (الفصل الأول).

قلت: المراد بالسيادة الاسمية هنا، سيادة عرب فلسطين أهل البلاد.

٣ ـ «لنتصور الآن أن الظروف الخارجية كانت موافقة لرغباتنا، ونريد أن نجدد تاريخنا وحياتنا الاستقلالية فى فلسطين، ووافقت الحكومات والشعوب جميعها على رغبتنا هذه، ولم يكن هناك مانع خارجى فى سبيلنا، ولكن شعبنا كان من جهته قليل الثقة بقواه الخاصة، وقليل الاستعداد لبلوغ الغاية التى نرمى إليها، فلا جمعيات منظمة لديه، ولا أموال عامة تساعده على اغتنام الفرص المهمة واستخدامها، فماذا تكون النتيجة؟ فالفرصة التى سنحت، تفوت، وربما لا تعود فى عدة قرون. ومثل هذه الفرص عرضت مرتين لليهود عندما طردوا من إسبانيا فى أيام الدوق يوسف أمير نكسوس فلم يستخدموها[١]». (الفصل الثانى).

---

(١) هذا المسمى هنا الدوق جوزيف نكسوس، ونكسوس احدى جزر بحر إيجه، إنما يذكر بهذا الاسم واللقب فى بعض كتب التاريخ الأوروبى العام. ومن عادة اليهود أن يغيروا أسماءهم ويحرفوها لكى يخفوا ما يريدون من أمورهم وحقائقهم، تبعاً للأحوال والبيئات فى كل بلد يسمون فيه إلى غاياتهم، وغاياتهم مستترة ترتدى فى الظاهر قناعاً، يحجب العيون عن رؤيتها على حقيقتها. وهذا الأمر من تغيير الأسماء أو على الأقل التحريف كثير فى تاريخهم من وقت سبى بابل.

وهذا اليهودى الكبير الذى يذكره أوشيسكين أن على يديه لاحت الفرصة لليهود ليعودوا إلى فلسطين بعد طردهم وخروجهم «من إسبانيا»، ويورد اسمه «الدوق جوزيف نكسوس»، فلم تغتنم الفرصة ولم تتحقق، أمره غريب. «فالدوق» لقب من ألقاب الشرف عند الإنجليز منزلته بعد منزلة أمراء البيت المالك، وفى الممالك الأوروبية الأخرى يكون من رتبة الأمراء أيضاً، ونكسوس اسم إحدى الجزر فى بحر إيجه.

وفى كتب اليهود فى العربية هو: الرئيس يوسف ناسى. أو الرئيس يوسف ناسى دوق نكسوس، =

٤ ـ «إن سبب قلة نجاح الحركة الصهيونية فى الخمس والعشرين سنة الأخيرة، يرجع معظمه إلى النقص فى العمل. فجمعية عشاق صهيون لم تهتم فى غير الأرض، ولم تفكر فى إعداد الشعب وإنماء مداركه العقلية، ولا فى إنشاء رؤوس أموال عمومية، ولم تعرف أن تحول هذه الحركة إلى حركة رسمية سياسية... بل اكتفت بأن تظهر مظهر المحسن بإنشاء بضع مستعمرات تعيش من مال الإحسان. لذلك انتهت المدة الأولى من تاريخ الصهيونية بأزمة سنة ١٨٩١» (من الفصل الثالث).

قلت: بوسع القارئ أن يلاحظ ما هو مراد أوسيشكين من هذا. فمراده أن مجرد إنشاء مستعمرات على الإحسان، كمستعمرات بيت روتشيلد فى فلسطين زمن عشاق صهيون، ومستعمرات الثرى اليهودى النمساوى البارون هرش فى الأرجنتين، لا يفضى إلى إنشاء قوة سياسية. وإنشاء القوة السياسية تقتضى تطبيق عقيدة أحدها عام: التجمع والاقتحام.

٥ ـ «إن جميع الصهيونيين الحقيقيين أصحاب الوجدان ومفكرى الأمة، رأوا فى بروغرام مؤتمر بازل الأول ادغام البروغرومات السابقة بأخرى جديدة حوت صفوة ما تقرر، وخلاصة رغبات الأمة، ولاسيما فى تصريحه جليا على مسمع من العالم أجمع بأننا نناضل لإنشاء حكومة يهودية فى فلسطين ولابد لنا لكى نصل إلى هذه الغاية من أربعة أمور.

١ ـ امتلاك فلسطين اقتصادياً وأدبياً.

= كما فى كتاب «رحلة بنيامين» لعزرا الحداد اليهودى من بغداد (طبع سنة ١٩٤٥). «وموسوعة تاريخ العالم» لوليم لنجر تذكره باسم «دون يوسف ناسى». و «دون» هذه فى الإسبانية اليوم مثل. Sir أو .Mr فى الإنجليزية أو .M مسيو فى الفرنسية، ولابد أن يكون ليوسف هذا اسم ولقب فى تاريخ الدولة العثمانية للقرن السادس عشر إذ الدور الذى اشتهر به هو الذى مثله فى البلاط العثمانى، لكن لا اطلاع لنا على التركية.

وأصل هذا الاسم هو «يوسف مَنْدَه»، واسم منده كان يعرف فى الأندلس وأسبانيا لغير اليهود، ويوسف واسرته خرجوا من إسبانيا وقت الطرد وتقلبوا فى بلاد أوروبية عديدة، من بلاط إلى بلاط، حتى استقروا فى البلاط العثمانى فى قصة فريدة الوقائع والوجوه.

وكلمة «ناسى» هى عند اليهود وفى تاريخهم، لقب رفيع، ليس عندهم ما هو أرفع منه، يلقب به كبراؤهم فى المجامع أو علم الشريعة الموسوية أو الوجاهة الواسعة. وكان أحد رئيسى مجلس السَنْهَدْرين الأعلى يلقب «بالناسى».

ويظهر بعد خروج يوسف وقومه من إسبانيا، وهم من رؤوس اليهود، أخذوا بتغيير اسمائهم حتى أنها لتبدو وبألفاظها الحالية كأنها أوربية إنجليزية، كما ترى، وما هى فى الحقيقة كذلك.

والدور الذى مثله يوسف منده فى البلاط العثمانى فى القرن السادس عشر، بين السلطانيين سليم وسليمان، فى محاولته نقل اليهود المطرودين من إسبانيا والبرتغال إلى أنحاء طبرية وصفد دور عجيب، شأن ما يصنعه «حكماء صهيون» لقومهم فى كل عصر. ولذلك وضعنا له ترجمة وافية ابتناها فى الجزء الثانى من هذا الكتاب، وإنما رأينا من المفيد الاتيان بهذه الخلاصة الوجيزة هنا لنبين للقارئ من هو «الدوق جوزيف نكسوس»، على ما ذكره أوسيشكين فى كلامه هنا.

٢ ـ تنظيم قوى الشعب اليهودى وإنشاء رؤوس أموال عامة له.

٣ ـ إنماء الشعور القومى اليهودى فى الشعب وأذكاؤه.

٤ ـ السعى بكل طرق السياسة لجعل جميع الظروف الخارجية موافقة لنا (من الفصل الثالث) قلت: هذا ما يقوله أوسيشكين إلى حَمَلة العقيدة العدوانية من قومه. أما هذه المقررات الأربعة التى ذكرها هو هنا، فقد نشرت على العالم سنة ١٨٩٧ بهذه الصورة حرفاً حرفاً، والناشر هو المؤتمر نفسه: ـ

«إن غرض الصهيونية هو إنشاء وطن للشعب اليهودى فى فلسطين يحميه القانون. ويعتقد المؤتمر أن هذه الغاية تدرك بالوسائل التالية:

١ ـ استعمار فلسطين على يد العامل اليهودى زراعياً وصناعياً وعلى أساليب مناسبة.

٢ ـ تنظيم الشعب اليهودى كله وربطه بواسطة منظمات مناسبة محلية ودولية، وفق قوانين كل بلاد.

٣ ـ تقوية الوعى القومى اليهودى وتنميته.

٤ ـ اتخاذ الخطوات التمهيدية للحصول على موافقة الحكومة حيث يبدو هذا ضرورياً لتحقيق الغاية الصهيونية».

وبالمقابلة بين ما كتبه أو سيشكين وما نشره المؤتمر، يتضح مقدار التلاعب بصياغة الكلام، مع تقارب المعانى بعضها من بعض.

٥ ـ «إن النقطة الأساسية فى بروغرام مؤتمر بازل هى إنشاء وطن سياسى حر مستقل للشعب الإسرائيلى فى فلسطين، ويفهم من هذا بوضوح أن الغاية الوحيدة من الحركة الصهيونية هى إنشاء دولة سياسية حرة مستقلة لليهود فى فلسطين، لا إيجاد ملجأ أو مركز روحى لهم، وقد ذكرت فلسطين ولم أذكر غيرها، لأن كل سعى يرمى إلى بلاد غير فلسطين ليس هو من الصهيونية بشئ، وأَحْرِ بالقائمين به أن لا يستظلوا بالعلم الصهيونى لنشر فكرتهم. ولذلك أصبح من واجب المؤتمر السابع أن يهدم ما وضعه أولئك المنافقون المتظاهرون بالصهيونية، ويزيد على بروغرام المؤتمر الأول كلمة واحدة لها معنى كبير وهى كلمة فقط أى فلسطين فقط ويحتاط بمادة أخرى يضيفها إلى القوانين الأساسية الصهيونية، تضمن لمجموعها عدم التنقيح والتغيير فيها». (الفصل الخامس)

***

لما نشر العلامة السيد محمد رشيد رضا هذا فى مجلته المنار سنة ١٩١٤ والحرب العامة كانت قد فتقت رياحها فى أوروبا، علق على هذه الفصول بقوله وهو بغاية السداد:

«لو لم ينشر من هذا الكتاب الصهيونى إلا هذه الفصول لكفت من يعتبر من العرب الفلسطينيين وغيرهم، عبرة وبياناً، لمقاصد هؤلاء الصهيونيين وليعلم من لم يكن يعلم دين هذه الأمة وتاريخها، إن الصهيونيين إذا تم لهم ما يريدون، فإنهم لا يبقون فى أرض الميعاد التى يؤسسون ملكهم الجديد فيها مسلماً ولا نصرانياً. وليست أرض الميعاد أو فلسطين عندهم ما نسميه نحن الآن فلسطين فقط، بل هى فى عرفهم وتحديد كتبهم الدينية تمتد إلى سوريا حتى النهر الكبير أى نهر الفرات. فهذه بلاد لا يجوز عندهم أن يقيم فيها أحد غير الإسرائيليين». ثم أورد السيد رشيد رضا نصوصاً من التوراة. ثم انتهى إلى قوله: «فماذا عسى أن يفعل العرب أصحاب فلسطين من أسباب المحافظة على وطنهم وأملاكهم فيه على تفرقهم وجهل السواد الأعظم منهم بكنه الخطر وكنه قوة مزاحمتهم»؟ ثم مضى صاحب المنار فى زيادة التنبيه بعبارات مؤلمة موقظة. قلت: إن ما قاله السيد رشيد من هذا الكلام سنة ١٩١٤ هو بعينه الكلام الذى يصح أن يوجه، ولا يصح غيره، إلى الأمة العربية فى آسيا وأفريقيا سنة ١٩٦٦.

***

وسنة ١٩١٤ لما نشر أوسيشكين غاياته هذه، بهذه المصراحة المناقضة لتصريحاتهم العلنية المتعلقة بسياستهم الخارجية، وقد مر إيجاز هذا، لم تكن البروتوكولات قد اكتشفت بعد، ولا ظهرت فلسفة أحدها عام المبنية على التجمع والاقتحام.

***

٣٢ـ سوكولوف

وفى ناحوم سوكولوف أيضاً نجد مثالاً واضحاً، كما وجدنا فيمن تقدم الكلام عليهم من رؤوس الصهيونية، على العمل المزدوج الوجه: تطبيق التجمع والاقتحام فعلاً ومتابعة، والتظاهر بأن الصهيونيين لا يريدون دولة سياسية فى فلسطين والذى يرمون إليه إنما يبتغونه وطناً روحياً ثقافياً يكونون فيه آمنين.

فقد مر بنا ما قاله رئيس المؤتمر الصهيونى العالمى سنة ١٩١١ من توكيده للعالم أن الصهيونيين ليس من برنامجهم إنشاء دولة سياسية، وأفرغ هذا القول بصيغة تلفت النظر: «إن الذين يجرأون على إتهامنا بأننا فى صدد إنشاء مملكة يهودية، لا يفعلون هذا إلا من الجهل والغباوة، أو من الحقد والضغينة».

وقال سوكولوف فى سنة ١٩١٩ بعد صدور الوعد بسنتين تقريباً معيداً التوكيد: «الدولة اليهودية لم تكن فى يوم ما داخلة فى برنامجنا الصهيونى. وغاية الشعب اليهودى» ـ (كما جاء بعدئذ فى قرار المؤتمر الصهيونى سنة ١٩٢١) ـ «أن يعيش مع الشعب العربى على الوئام والاحترام المتبادل، والتعاون فى سبيل إنماش البلاد وإيصالها إلى الازدهار[١]».

سوكولوف، وهو من متقدمى الحركة الصهيونية، وأحد النفر الذين قاموا بعبثها منذ العقود الأخيرة من القرن الماضى، يمشى مع هرتزل واحدها عام وويزمن وأوسيشكين وروتمبرغ وجابوتنسكى وأضرابهم أصحاب المقادة. هو من وارسو قاعدة بولونيا التى استولت عليها روسيا منذ ١٨١٥ أثر الحروب النابليونية. وقيض لبولونيا أن تكون أكبر عش زاخر باليهودية والصهيونية وأما ويزمن فهو من مدينة موتول من أعمال اقليم منسك، للشرق بالشمال من وارسو، وإقليم منسك كان من روسيا الغربية المسماة بروسيا البيضاء. سوكولوف صحافى صهيونى منذ أواخر القرن قبل الماضى، وكان يُعَدُّ أول صحافى حديث لم تعرف اليهودية الصهيونية صحافياً آخر أعلى كعباً منه. وكانت مجلته هازفيرا تماثل المجلات الأوروبية مستوى وفناً، كما يقول ويزمن. وهو واضع كتاب تاريخ الصهيونية أواخر الحرب الأولى وكتب مقدمته ويزمن. وسنة ١٩١٤ انتقل سوكولوف إلى لندن، وانضم إلى زملائه هناك، وكان من أكبرهم مكانة عند الصهيونيين، وأعلمهم فى سبيل وعد بلفور، ويقول كريستوفر سايكس بن مارك سايكس إن سوكولوف لو كان فى لندن من أول الشوط لكان هو أولى من ويزمن بأن يكون زعيم الحركة، إذ كان هناك اثنان على هذا المستوى لهما أن ينافسا ويزمن على تولى الزعامة، سوكولوف والدكتور غاستر زعيم اليهود السفارديم فى بريطانيا[٢].

(١) نفيل باربر، كتابه Nisi Dominus ص ٢٠٤ طبعة ١٩٤٦.

(٢) أى لو كان سوكولوف يقيم فى لندن إقامة مضاهية لمدة ويزمن، وويزمن فى لندن منذ ١٩٠٥.

ولما كانت المفاوضات تجرى فى لندن حول مصير الصهيونية، كان سوكولوف هو العضو الوحيد الموجود فى لندن من أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية، ووايزمن لم يكن وقتئذ إلا عضواً فى اللجنة العاملة التابعة للمنظمة، غير أن ويزمن، لما ركب السرج، عرف كيف يحافظ عليه، إذ هو ابرعهم فى الأخذ والعطاء مع الإنجليز وأوسع زعماء الصهيونية حيلة، وأضبطهم مزاجاً، وأكثرهم استعداداً لهذا من وجوه جمة.

ولما صدر وعد بلفور وتم أمره بين بريطانيا والصهيونيين، كُتِم أمره نحو سنة أو أكثر، حتى أعلن بكتاب بلفور إلى روتشلد فى ٢ نوفمبر ١٩١٧. وكان وَضْع فلسطين قبل وعد بلفور وحسب الاتفاقات السرية بين الحلفاء، أن تكون دولية، ولم يُعَين لها وضع مفصل بعد، فتعين على الصهيونيين أن يتغلبوا على صعوبتين: أن يخرجوا فلسطين من مخطط الدولية إلى وضع لم يقرر شكله، وإنما اقترح الصهيونيون وآثروا أن يكون ذلك من نوع الكومونولث. والصعوبة الثانية أن توافق فرنسا وإيطاليا على ذلك من الناحيتين، الإخراج من الدولية والموافقة على أن ينشأ وطن قومى لليهود، وهذه أهم قضية عند الصهيونيين، بعد الحصول على الوعد. فندبوا سوكولوف للقيام بهذه المهمة. فجاء باريز ثم روما واستطاع بمساعدة مارك سايكس أن ينال مراده. ثم لما جاء مؤتمر الصلح فى باريز أوائل ١٩١٩ كان سوكولوف أحد الصهيونيين الخمسة الذين يتألف منهم الوفد الصهيونى وهؤلاء حضروا أمام المؤتمر الذى كان مؤلفاً ممن كان يعبر عنهم بالعشرة الكبار يمثلون أمريكا وبريطانيا وفرنسا وإيطاليا[1]، وقدم الوفد الصهيونى مذكرته التى يطلب فيها إنشاء وطن قومى فى فلسطين بحدود واسعة، وهى التى ذكرها لويد جورج فى مذكراته ومنه عرفت لا من غيره. وكان هذا الوفد مؤلفاً من خمسة وهم:

ويزمن، وسوكولوف، وأوسيشكين. ويهوديان فرنسيان اندره سبير Andre Spire وسيلفان ليفى (لاوى) وهذا الأخير برز معارضاً الفكرة من وجهة فرنسية وسنذكر هذا قريباً.

وكان هؤلاء الخمسة مع أشخاص آخرين من كبرائهم، وعلى رأس الجميع هربرت صموئيل، قد اشتركوا فى إعداد المذكرة الصهيونية الخطيرة. واقتسم أعضاء الوفد مناحى الكلام، فأخذ كل واحد منهم منحى، فكان سوكولوف مختصاً بالصلة بين اليهود وفلسطين تاريخياً، وجعلوا هذا الحيز فاتحة الكلام فى خطبهم، لدى مؤتمر الصلح، لتظهر منه صورة لقضيتهم بادية لوحة واحدة فى إطار واحد. وتكلموا بثلاث لغات: الفرنسية والإنجليزية والعبرية. نعم، كانت العبرية لسان أحد خطبائهم: أوسيشكين.

لا يخفى علينا أن مساق الكلام هنا يدور على سوكولوف، كما دار فى الصفحات

---

(١) كانوا هكذا: لنسننغ وهويت (أمريكا). لويد جورج وبلفور (بريطانيا). كليمنصو وآخر هو بيشون أونارديو (فرنسا) بارون سونينو وآخر (إيطاليا) مع آخرين لتمام العشرة.

السابقة، على اوسيشكين، غير أننا نجد هنا الموضع المناسب لذكر ما يتعلق بمذكرة فيصل بن الحسين إلى المؤتمر، وقد أتينا على ذكرها مرة سابقة. وما نود تناوله الآن أن فيصلاً، ويحتاطه لورانس، هيئا كلاهما المذكرة المختصة بقضية العرب، بل كان لورانس له الرأى والقول فى تحديد نقاطها ونطاقها، وتعيين ما هو محلل وما هو محرم ذكره.

ولنذهب إلى نقطة البيكار تواً: فإن المذكرة لم يستند فيصل فيها على ما بيد والده من عهود رسمية من الحكومة البريطانية، فضلاً عن استناده على الثورة والدماء، وحق الحياة الاستقلالية للعرب. وما السبب فى هذا؟ إن تعليمات الحسين لفيصل كانت تحول دون ذلك. والحسين الآن هو ملك الحجاز المعترف به دولياً. لما أنفذ الحسين ابنه فيصلاً على رأس وفد عربى إلى مؤتمر الصلح كان اسم الوفد الحجازى إلى مؤتمر الصلح، وفيصل وقتئذ أمير سوريا، ومرجعه اللنبى، القائد العام للحملة المصرية - هكذا كان اسم الجيش الذى عمل فى فلسطين وسوريا إلى نهاية ١٩١٨ فى قتال الترك والألمان حتى جلا العثمانيون عن جميع البلدان العربية.

ومعنى ما رآه الحسين، ونفذه فيصل، وحول فيصل لورانس، فان قضية العرب لم توضع على صعيد دولى كما هى مهيأة لذلك. وسبب هذا أن الحسين - وهذا عند الناس معرفته مستفيضة - رأى، ورأيه لا يناقش ولا يقبل الحسين أن يناقش به - أن يمضى الشوط حاصراً اعتماده على بريطانيا وواضعاً فيها كل ثقته. فكان يعتقد الحسين أن بريطانيا دولة عظيمة ترعى الشرف وتحفظ العهد! فالخفة والضآلة، وطى العهود، كان كل هذا فى مذكرة فيصل، وأحكام الزور والتزييف للتاريخ والدعاوى الباطلة، كل هذا كان فى الوفد اليهودى. فالحق سكت وصمت، ونطق الباطل. فتآمر على قضية العرب لدى مؤتمر الصلح عنصران:

الأول: أصابع اليهودية العالمية الخفية.

الثانى: لورانس من حول فيصل، وهذان العنصران فى الخارج.

وأما العنصر الثالث: فهو عقلية الحسين بن على، وطريقة تقييمه لشرف بريطانيا الوهمى، وقلة خبرته بالسياسة الدولية، ثم اضطرار فيصل وقتئذ ليكون طوع أبيه مراعياً تعليماته. وهذا العنصر الثالث فى الداخل. وهذا من عجائب الزمن فى الدروس للأمة العربية.

أما الوفد اليهودى فتقدم إلى المؤتمر بباطل دعواه المتعلقة بفلسطين ووراءه اليهودية العالمية، الظاهر والخفى.

فانظر! قام حول الدكتور ويلسون، ولويد جورج، وبلفور، النفر المختار من العملاء الصهيونيين، والظاهر من هؤلاء النفر وقتئذ هم الذين عرف أنهم تولوا فيما بينهم إعداد

المذكرة اليهودية تحت هيمنة هربرت صموئيل الذى جاء أول مندوب سام على فلسطين سنة ١٩٢٠ بعد انطواء بساط الحكومة العسكرية. فإن اللغة العبرية كانت لسان أحد المتكلمين اليهود، واللغة العبرية وقتها ليست لغة يفهمها أحد من الناس إلا بعض حاخامى اليهود وعلماء اللغات السامية، ولا تسمع إلا فى كنيس اليهود فى بعض الصلوات، وليس لها صحف، ولا كتب، ولا معجم، وعلى الجملة كانت رميماً ورطانةً غريبة عن الآذان والأسماع، وقصد الوفداليهودى من جعل أحد خطبائهم يتكلم العبرية التى لا يفهمها أحد فى المؤتمر حتى ولا اليهود أنفسهم، أن يخلق هيبة لها فيعرف العالم ويسمع بأن هناك لغة عبرية تكلم بها خطيب يهودى فى مؤتمر الصلح، وهذا كله وهى لم تخلق بعد حتى فى فلسطين ما عدا استعمالها بين فريق من اليهود فى البيوت. ولغة اليهود الاشكناز هى «اليديش» الخليط.

شئ آخر: يقول ويزمن: «إننا أجمعنا على طلب الوطن القومى!! استناداً على ماذا؟ على وعد بلفور الباطل واقعياً ودولياً؟ على دعوى أن اليهود كانوا فى فلسطين منذ ألفى سنة؟ كل هذا كلام فارغ المعنى يتسلح به الوفد اليهودى. فوعد بلفور قصاصة ورق بالقياس إلى عهود بريطانيا إلى الحسين وهذه العهود بقيت تدور المفاوضات حولها أكثر من سنة حتى انتهت إلى ما انتهت إليه. ومذكرة فيصل تسكت عن هذا! مسرحية يجللها الخجل من جميع جوانبها، وفائدتها الوحيدة إنها تعطى العبرة لمن يريد أن يعتبر من العرب فى هذا الجيل والأجيال القادمة، للأمم طفولة، ونشأة، وترعرع، وشباب، والرجولة بعد هذه الأدوار.

***

نعود إلى سوكولوف وويزمن: إن العضو الخامس اليهودى الفرنسى كان سيلفان ليفى Sylvan Levy، فهذا لما خَرجَ الوفد اليهودى من قاعة مؤتمر الصلح حوالى الخامسة بعدالظهر قال له سوكولوف: إنك قد خنتنا شر خيانة!![1] ولماذا قال له هذا؟ لأن ليفى هذا لم يعتقد بالصهيونية أنها حركة صحيحة، فوضعها فى خطبته على صعيد واقعى علمى، وحللها، ثم انتهى إلى ما يفيد إبطالها، مصرحاً فى خطبته بأنه يزن الحركة من وجهة النظر الفرنسية. وما هى نقاطه؟.

نقاطه نعلمها من ويزمن. وويزمن أوردها فى مذكراته مضطراً لا مختاراً، فلو لم يذكرها، فهى عند غيره من الكتاب الأوروبيين والأميركان الذين كتبوا عن مؤتمر الصلح الوثائق والرقائق. فإذا خَلَتْ مذكراته من هذه النقطة أوقع نفسه فى إنكار ما لا سبيل له إلى إنكاره. والعرب لم يعنوا بعد بدراسة الصهيونية دراسة وافية، ولم تبلغ الآفاق الفكرية العربية هذه

---

(١) الصهيونيون يستعملون «الخيانة» فى مواضع بيكولوجية خاصة، ألم يدفعوا بامرأة هى المؤتمر سنة ١٩٠٣ برياسة هرتزل لتقول له «يا خائن!» وقد مر ذكر هذا؟

التفاصيل المليئة بالعبرة، إلا نتفاً متساقطة فى مفارض شتى.

قال ويزمن إن ليفى لما بدأ خطبته، بدأ بداية حسنة حتى علا وسبح وحلق. هذا هو القسم الأول. أما القسم الثانى فانخفض فيه إلى القعر. وكان عند ليفى ثلاث نقاط، جعلها كل صيده فى جوف الفرا.

الأولى، هى الإطراء، والمدح. فقد أجمل أوليات الصهيونية وإنشاء المستعمرات فى فلسطين تعيش على الصدقات من الخارج، وارتاح إلى جهود اليهود لإحياء العبرية، وامتدح بصورة خاصة عمل عشاق صهيون وبيت روتشيلد، وعمل الأليانس الثقافى. والنقطة الثانية أنه أثنى على الجهود الصهيونية من حيث هى - كما يقول ويزمن - من الناحية المعنوية الأدبية. وإنما قال المعنوية الأدبية، ليستثنى السياسة كما سيجئ فى النقطة الثالثة، وأتم ليفى الكلام على النقطة الثانية بتسليمه أن جماهسر اليهود تتجه إلى فلسطين روحياً.

النقطة الثالثة:

١ - فلسطين بلد صغير، ضيق الرقعة.

٢ - يسكنها ٦٠٠ ألف عربى.

٣ - ينتظر أن يكون مستوى المعيشة عند اليهود أرقى منه عند العرب، وبحكم الطبيعة سيغزو اليهود العرب بالوسائل الاقتصادية غزواً ملاشياً تدريجياً حتى بالتالى يحل اليهود محل العرب.

٤ - اليهود الذين سيذهبون إلى فلسطين سيكونون بكثرتهم من يهود روسيا وهؤلاء هم مادة متفجرة Explosive.

٥ - إنشاء الوطن القومى فى فلسطين يسبب سابقة خطرة، وهى ازدواجية الولاء والحقوق اليهودية فى الخارج، وهذا مهم فى نظر فرنسا فى شرقى البحر المتوسط.

ولا نعلم المزيد مما قاله ليفى، غير هذا. وهو بصفته اليهودية قد جمع بين عقله ودينه وعاطفته فى آرائه هذه. والقارئ العربى اليوم، المؤمن بالتاريخ العربى والأمة العربية إيماناً صحيحاً، يستطيع أن يكمل أقسام النقطة الثالثة، بعد أن يذكر أن الحراب البريطانية حكمت فلسطين ٣٠ سنة حكماً محولاً للبلاد إلى ما يشتهى البرنامج الصهيونى، ولليهودية العالمية، وحكماء صهيون، ثم كانت أيام ١٥/ ٥/ ٤٨ المخجلة للعرب المعاصرين لها، ثم نحن اليوم فى سنة ١٩٦٦ وعرب فلسطين كاد ينقضى ويُطوى الجيل الذى تَحَمل المباضع تعمل فى لحمه وعروقه، ونشأ جيل عربى جديد خارج فلسطين مشتت فى المخيمات، لكنه بدأ يستيقظ على تاريخه وأمته بعد ظهور منظمة التحرير الفلسطينية مدعومة من جامعة الدول العربية فى مؤتمر القمة. أما آراء ليفى من حيث هى فلا غبار عليها.

وتكملة ما قال ليفى الفرنسى سنة ١٩١٩:

١ - نهاية الصهيونية، مهما امتدت التجربة المريرة، مغلفة بأزهى ضروب الدعايات المضللة، هى إلى البوار المحتم، والجفاف، حتى الاختناق.

٢ - ذلك لأن الأمة العربية بيدها أن توصل الصهيونية إلى تلك النهاية.

٣ - حركة الأمة العربية فى النمو والتقوى، تؤيدها النواميس الطبيعية فى آسيا وأفريقيا، ويؤجه النواميس الطبيعية لا يستطيع أحد أن يقف حاجزاً معارضاً، إلا إذا كان هذا الحاجز المعارض أقوى من تلك النواميس وهذا محال...

٤ - هذه النواميس الطبيعية التى تدفع بالأمة العربية إلى النمو، هى نفسها تنكر على الصهيونية مجال البقاء والحياة إذا لم تكن صحيحة الأساس، فتيبس وتجف، وتقتلع وتجرف.

٥ - حركة الزمن تماشى حركة التنمى والتقوى فى الأمة العربية، فى جميع أجهزتها العضوية، والرصيد الباث الذى تنتقل به من كل معضلة تعترض سيرها فى مرحلة، إلى مرحلة أخرى، أوفر وأعظم بكثير من الألم الذى تحدثه تلك المعضلة.

٦ - القوة النفسية فى الجيل العربى الجديد، محتوم عليها أن تقابل عنصر التجمع والاقتحام من الناحية الصهيونية، مقابلة يكون فيها فصل الخطاب.

٧ - لا يستطيع أحد أن يعين مقياساً لبلوغ النتائج، والمقاييس التى لدينا اليوم، مهما اسعفتنا فى التقدير، فإننا نظل بها على عجز فى تعيين الميقات، غير أن هناك شيئاً عظيم الخطر، وهو أن نؤمن أننا كلما أتقنا بعقولنا فهم عمل النواميس الطبيعية، وساعدنا أنفسنا فى إدراك المحجة.

***

وهذه شذرات تكمل قصة سوكولوف على العربى أن يطلع عليها:

١ - قال هربرت صموئيل: سوكولوف كان فى لندن يمين ويزمن. كلاهما لسان الصهيونية. ومر بنا قريباً أن سوكولوف لو كان فى لندن الوقت الذى كانه ويزمن لكان هو أولى بالزعامة الصهيونية من ويزمن. وبقيا معاً حتى النهاية.

٢ - أعظم خدمة من سوكولوف للصهيونية بعد عمله السياسى، وضعه تاريخها آخر الحرب الأولى.

٣ - أول الحرب وحتى لسنة أو أكثر لوقوعها، كان يخشى سوكولوف أن تنتصر ألمانيا فاقنعه ويزمن أنهما مع الحصان الفائز فى الحلبة.

٤ - الوفد الصهيونى إلى مؤتمر الصلح، جَعَلَه المتكلم الأول.

٥ ـ بعد أن ارفضت جلسة مؤتمر الصلح وخرج الناس، سأل الممثل الأمريكى لنسننغ، ويزمن: إنك قد طلبت وطناً قومياً يهودياً فى فلسطين، فماذا تعنى بالوطن القومى؟ فأجاب ويزمن: «إنى أعنى خلق إدارة تابعة من أحوال البلاد الطبيعية ـ ودائماً مع المحافظة على مصالح غير اليهود ـ حتى مع اطراد الهجرة تصبح فلسطين يهودية كما هى إنجلترا إنجليزية» ثم سأله ويزمن: أهذا واضح؟ فقال لنسننغ: بالتأكيد.

ارايت تلاعباً اكثر من جهة ويزمن، وكلمة اشد غرابة من «بالتأكيد» يقولها لنسننغ؟ ثم قال ويزمن بوسعنا أن نعمل فى فلسطين ما عمله الفرنسيون فى تونس، وسنغمر فلسطين بالمال اليهودى، والإدارة اليهودية والعزم اليهودى والحماسة اليهودية.

٦ ـ قال ويزمن: كان الإنجليز يحترمون سوكولوف لعلمه ومكانته، ولكنه هو لم يكن منسجماً معهم دائماً.

٧ ـ لما كان ويزمن لم يزل طالباً يدرس فى برلين كان سوكولوف فى تألقه الصحافى الصهيونى فى وارسو. ويقول كريستوفر سايكس أن سوكولوف كان وجه الثقافة اليهودية منذ العقود الأخيرة من القرن الماضى.

٨ ـ ويزمن هو الذى أدخل بلفور فى الصهيونية. ومارك سايكس أدخله الحاخام الدكتور غاستر. وسوكولوف أدخل جورج بيكو ممثل فرنسا، ولويد جورج لم يدخله أحد وإنما أعطى وجارى، حتى يستخلص فلسطين من فرنسا، ولم يكن للعرب وزن يذكر فى نظره.

٩ ـ لسوكولوف استعداد كبير لتعلم اللغات خاصة، والاستبحار فى العلوم. وتعد مجلته هازافيرا لسان النهضة الثقافية العبرية.

١٠ ـ «كان بيته فى وارسو، كما يقول ويزمن، أشبه بمحطة قطار حديدى، غاصاً بالرائح والغادى فى أى وقت. غير أن بيته فوضى فى ترتيب أثاثه وماعونه. والزوار عنده، وإن لم يكن هو فى البيت، أو كان مستغرقاً فى مشاغل أخرى. ثم يطل فجأة بقميص النوم وبعد الظهر يخرج يومياً إلى مقهى يجلس فيه الساعات الطوال ومعه أوراقه، وقد يبقى حتى منتصف الليل، فيأوى إلى البيت وقد أعد مواد العدد. كان عنده لا أقل من ١٢ مقالاً مهيئاً ما يكفى لعدة أيام. طاقته الكتابية غزيرة، وموضوعاته متنوعة، وأساليبه تختلف تبعاً للموضوع. النقد الأدبى ـ المسرحيات. الأبحاث السياسية والفلسفية. الرواية المتسلسلة، وكانت زوجته معواناً له فى كل هذا، وهو كان لا يبالى بالأمور الإدارية والمالية فى أعماله الصحافية، فكانت زوجته تقوم بكل هذا على خير وجه، بالإضافة إلى تدبير شؤون البيت، وكان له شطحات نسيان وذهول، فمرة تواعدنا معه على اللقاء عنده فى المنزل لنبحث مشروع إنشاء الجامعة العبرية، فجئنا ونحن على أحر من الجمر، فاستقبلنا ورحب بنا وأتحفنا بغداء لا نظير له، لكنه لم يذكر لنا

ولا كلمة تتعلق بما جئنا من أجله».

١١ ـ «كان لاتساع ذهنه وصدره، لا يرى بأساً أن يجمع بين طرفى الحبل، يرضى هذا ويرضى ذاك، ونحن وقتئذ شباب ننكر عليه هذا. فكانت مجلته هازفيرا للصهيونية على مطلق مدارها، وكانت ازرائيليتا الأخرى للاندماجيين وكان يقول لا تخرب الدنيا إذا استمعت إلى وجهه نظر الفريق الآخر. فكان من طبعه التوفيق ما أمكن التوفيق». ويقول كريستوفر إن سوكولوف فى المفاوضات كان يستقى من السكينة التى فى داخل نفسه، طويل الأناة فى الجدل، وتظهر حرارة إيمانه عندما تمس مبادئه القطعية التى يحملها. ونقول: إن القارئ سيمر بعد قليل بالحوار الذى وقع بين قداسة البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف سنة ١٩١٧ ويدرك بواطن اليهودية الكامنة فى صدره.

١٢ ـ كان يتبرم بالشباب لأنهم وثابون قفازون فى رأيه، وهو يؤثر الروية ولا يستحسن الطفرة، وأحياناً يقول إنهم مجانين.

١٣ ـ وأما قوته النفسية على ضبط مشاعره ـ هذا كله يقوله ويزمن ـ فحدث عنها ولا حرج. يقول ويزمن أيضاً أنه من المصادفة كان عنده فى مكتب هازافيرا لما أخذت البرقيات تفاجئه بمذبحة اليهود فى ميشيناف سنة ١٩٠٢ وهى تنقل الأنباء المقيمة المعقدة، فبقى هادئاً، ولم يكن هدوؤه ناشئاً عن قلة شعور بل لشدة ما يعلم من أمر هذه النكبات فى حياته.

٣٣ ـ فنحاس روتنبرغ

يهودى روسى، ثورى، عنيف الإرادة. كان فى روسيا يظهر ويختفى من قطر إلى قطر وبلد إلى بلد، دون أن تكشفه العيون. القتل والهدم والقتل والنسف والإبادة مشتهى صناعته، لما كان فى روسيا يعمل مع اسكندر كيرنسكى ١٩١٧ فى الانقلاب الروسى. تلمودى من طراز فريد، وروح التلمود، مستولية عليه. فى أول أمره ما كان يعرف من العبرية شيئاً. القسم الأول من حياته إلى نهاية الحرب الأولى، غامض، إلا ما عرفناه من أمره عن طريق ستورس. بعد الحرب الأولى وخرج من روسيا استقر فى فلسطين ودأب فى العمل ومن ورائه الصهيونية، لانشاء المشروع الكهربائى الكبير المعروف فى فلسطين إلى ١٩٤٨ باسم مشروع روتنبرغ، فعرف هذا المشروع الحيوى باسمه الشخصى أكثر مما عرف باسم الشركة وهى شركة الكهرباء الفلسطينية، وبلغ رأس مالها ثلاثة ملايين جنيه فلسطينى، كما يقول هربرت صموئيل، وقد صار صموئيل بعد سنة ١٩٣٦ رئيس مجلس إدارتها فى لندن، خلفاً للرئيس السابق اليهودى لورد ريدنغ الذى كان من قبل حاكم الهند ونائب الملك. وهكذا كان هربرت صموئيل اليهودى المندوب السامى البريطانى على فلسطين، بل كان أول مندوب ابتداء من ١٩٢٠، جاء وفى جيبه رسالة ملكية إلى أهل فلسطين من الملك جورج الخامس بأن فلسطين ستنعم بالخير والفلاح، فى ظل العلم البريطانى! وكان هربرت صموئيل فى الواقع قد اختاره اليهود اختياراً، ليكون فى نظر الحكومة البريطانية من الناحية الرسمية مندوباً سامياً ونائب ملك فى فلسطين، ومن الناحية اليهودية الصهيونية أمير إسرائيل الأول وعزرا الثانى بعد السبى البابلى! حكماء صهيون لهم وجهان، الظاهر والخفى، فهم حكام، ساسة، أرباب مؤامرات، رؤساء شركات! وغير ذلك.

القسم الثانى من حياة روتنبرغ قضاه فى فلسطين حتى مماته سنة ١٩٤١. ولم نقع على تاريخ مولده، لكن الرجل على كل حال من أتراب رجال القافلة الصهيونية الأولى، الذين نشأوا فى الربع الأخير من القرن قبل الماضى وجمعتهم الرابطة الصهيونية بعد ظهور هرتزل ثم الحصول على وعد بلفور. وما عدا هرتزل نفسه، وهو يهودى نمساوى الموطن، فكل هؤلاء الذين تناولنا نواحى من أخبارهم هم من يهود روسيا المعروفين بالأشكناز، أى يهود أواسط أوروبا وشرقيها وبعض جنوبها، ويقابل هؤلاء الفريق اليهودى الشرقى والإسبانى الأصل المعروف بالسفرديم.

ويهمنا أن نقف على خصائص حياة روتنبرغ باعتباره من أركان الصهيونية العاملة،

وسيشمل ذلك مراحل حياته كلها على الجملة. فهو من تلامذة أحدها عام وحَمَلة عقيدة التجمع والاقتحام. ونقطة واحدة نحب أن نختزنها فى ذهن القارئ، وهى أن روتنبرغ بعد أن استقر فى فلسطين بعد الحرب، عجز عن مباشرة العمل الثورى فى فلسطين على الطريقة التى كان يألفها فى روسيا، وارتضى بما تيسر من عمل من وراء ستار، حتى إذا استغرقه العمل فى المشروع الكهربائى، انقطع إليه وألقى فيه كل ثقله. هذا هو ظاهره المعلوم بعد ١٩٢٢ وبقى القسم الخفى منه رهن الاكتشاف والدراسة.

***

هذه صفته: محبوك الخُلق والخَلق معاً. ممتلئ البنية: رأسه بين كتفيه أصلب من الغرانيت، كما يقول فيه رونالد ستورس حاكم القدس إلى ١٩٢٦ وصاحب كتاب المذكرات المعروفة بالمشرقيات. وستورس هذا، يعد كاتباً نقريساً، وهو متعمق جداً فى الأدب الإنجليزى الكلاسيكى حتى جذوره الإغريقية واللاتينية، وهو أستاذ لورانس أو من أساتيذه فى مصر، وستورس جاء مصر سنة ١٩٠٥ وبقى فيها بقاءً مطرداً حتى الحرب الأولى، ثم كان من رجال الدائرة البريطانية التى نظمت أمور الثورة مع الحسين بن على فى الحجاز، وبعد احتلال فلسطين جاءها وكان ضابطاً فى الجيش، وكان حاكم القدس العسكرى إلى ١٩٢٠ ثم تحول إلى حاكم القدس (مدنياً) وبقى إلى سنة ١٩٢٦ ثم نقل إلى قبرص حاكماً عليها.

وكان ستورس حاكم القدس، يمثل بأساليبه وطرقه طرازاً فريداً من الحكام الإنجليز فى فلسطين الذين نشأوا على مذهب كرومر وغورست وكتشنر فى مصر، وخلط ستورس فى خبرته الشخصية بين الجد واللعب، والحكمة والحيلة، وسداد البرهان وفارغ الإيهام، فتراه فى جلسة واحدة مع زائريه يعلو وينخفض، يحمى ويبرد، يعشق المظهر واللقب، يتقلب بين العرب واليهود فى الظاهر وهو آلة من آلات التهويد فى الواقع، وكان على الجملة وعلى كل حال من أبرز شخصيات الإنجليز فى فلسطين حتى ١٩٢٦، وقد عرفناه معرفة تامة فى جميع أطواره. وإنما استطردنا إلى ستورس فى هذا المجمل من الكلام، ونحن لسنا بصدد ترجمته فى هذا الموضع لنعلم القارئ أن ينابيع ستورس فى معلوماته عن خفايا اليهود عميقة غزيرة. فإذا قلنا الآن أن ستورس هو صاحب هذا القول أو الرواية، فكأننا عزونا ذلك إلى أحفل حاكم بريطانى بأخبار الصهيونية ورجالها.

ونذكر الآن صفات روتنبرغ عن طريق ستورس.

وستورس يضع جابوتنسكى وروتنبرغ فى قرن واحد، من حيث الوزن، والتطوح الذى عرفه فيهما، مع فرق كبير وهو أن روتنبرغ بعد أن شَرَع يبنى مشروع الكهرباء اقتصر عليه، فى الظاهر على الأقل، بينما بقى جابوتنسكى يغنى ويرقص.

روتنبرغ كان لباسه اللون الأسود دائماً. إذا تكلم جرجر صوته بانخفاض حتى كأنه يهمس همساً. لصوته جرّس يحمل رشاشاً من نغمة المتوعد، وهذا يتفجر من مكنون نفسه. منطبق الأسنان فإذا تكلم فكأن كلماته تفر من بين شفتيه فرار الأسير من معتقله فى أول الاحتلال وزمن الحكومة العسكرية (١٩١٧ ـ ١٩٢٠) وبداية تفطرس اليهود وتمرهم، حاول روتنبرغ وجابوتنسكى معاً استعمال السلاح، واستعملاه فعلاً إلى حد ما، والحاكم على القدس هو ستورس الذى يفيض علينا بهذه الأخبار. وبعد مشاورة كبار المسؤولين الإنجليز، قررت السلطة العسكرية أخذ السلاح منهما. وانظر. فبدلاً من أن يقبض عليهما فوراً، ويصادر السلاح ويحالا إلى المحاكمة، توجه ستورس إليهما بألطف وارق ما عرف من أمر فى صيغة الرجاء أو رجاء فى صيغة الأمر، فبلغهما: إما تسليم السلاح وإما أن يقبض عليكما! هما يهوديان! فسلما السلاح. وبعدئذ مشت صحبة ختل ومراوغة بين ستورس وروتنبرغ إلى آخر الشوط. قلنا إن ستورس يرى جابوتنسكى وروتنبرغ كفتى ميزان، أما ويزمن فيرى روتنبرغ درجة وسطى بين جابوتنسكى واحدها عام أو غنزبرغ.

ويؤخذ من كلام ويزمن أن روتنبرغ قديم العهد فى صناعة الثورات، إذ اشترك فى الثورة الروسية سنة ١٩٠٥ إلى حد لم يعرفه ويزمن والمدة التى انقضت من ١٩٠٥ إلى بداية الحرب العامة ١٩١٤ لا نعلم فيها من أمر روتنبرغ شيئاً. وبعد هذه السنوات التسع نرى روتنبرغ فى لندن، ونسمع القصة من ويزمن فيقول أن روتنبرغ لما أتى لندن سنة ١٩١٤ لم يستطع ويزمن أن يعرفه من هو فى أول لقاء. كان ويزمن يقيم فى منشستر، وفى ليلة مظلمة، مطفأة أنوارها، ولا خدم فى البيت إذ انصرفوا على مواقيتهم، قُرع جرس الباب، ولما فَتَح ويزمن الباب فإذا بشبح أمامه، شبه ملثم، مطوى بعضه على بعض، أخذ يتكلم بالروسية بصوت ضعيف، فلم يعرف ويزمن من هو هذا الرجل، ولم يتذكر ويزمن أن صورة هذا الرجل وقعت عينه عليها من قبل. فلما دخل الضيف البيت، دفع إلى ويزمن كتاب وصاة قرأه ويزمن فوجده أنه من مارسيل كاشان، الاشتراكى الفرنسى، فاطمأن ويزمن لكنه بقى على حذر كما يقول، إذ كان ويزمن فى اتجاهه السياسى مناهضاً لروسيا وقتئذ.

وأخذ روتنبرغ يفرغ من جعبته: الحال فى روسيا، اليهود فى روسيا، الجيش اليهودى الذى يقترح روتنبرغ إنشاءه، وأمثال هذه الموضوعات الشهية. يقول ويزمن أما حميته فأعجبنى، ومراميه ومطامحه كذلك. وفيه عبقرية، لكن آراءه المتعلقة بفلسطين سطحية من قلة الدراسة ونقطة خاصة لاحظها ويزمن: إن روتنبرغ يؤمن بأن بريطانيا وحلفاءها إلى النصر، وهو على نقيض ما كان يراه أوسيشكين. يقول ويزمن: وبينما نحن فى الحديث فإذا به يقول إن وقته قد ضاق عليه، إذ لابد له أن يكون فى البيت فى ساعة هذه الظلمة الحالكة

ليتسنى له المشاركة فى الاحتفاء بعيد الفطير اليهودى. فعجبت منه - يقول ويزمن - وهو رجل لا يعرف إلا نغمة الثورة، يبالى هذه المبالاة بعيد الفطير. وتواعدا على اللقاء القريب فى بيت أحدها عام، وذهب ويزمن على الموعد، لكنه ذهب مبكراً ليستطلع رأى أستاذه فى الرجل، ويدرك ما يستطيع من كنه حقيقته. عند أحدها عام الخبر اليقين. فهو ملتقى الخيوط كلها من ظاهرة وخافية، من القاصى والدانى. لا يحدثنا ويزمن عما جرى عند أحدها عام من حديث حول النقاط العميقة. لكنه يقول إنه لما ازدادت ثقة بروتنبرغ، ومطامحه، جعل يتعاون معه، وهنا كان العمل كله منصباً على تأليف الكتيبة اليهودية، وهذا العمل يشترك فيه كل من ويزمن المقيم فى لندن، وجابوتنسكى القادم من الإسكندرية، وروتنبرغ القادم من روسيا، والجامع لهم أحدها عام. ويقول ويزمن أن روتنبرغ مع عمله المجيد البارع فى إنشاء الكتيبة، بقى فى نظره أنه مع عبقريته يعجز عن الوصول إلى باطن البواطن وخافى الخوافى فى المسائل البعيدة الغور. قلت: وهذا معناه أن روتنبرغ فى نظر ويزمن لا يصل إلى الدقائق التى يريدها ويزمن.

***

وكان ينتظر أن يظل روتنبرغ عاملاً فى الناحية التى كان بسببها كما يقول ويزمن، فإذا به يختفى، ونقول أيختفى دون علم أحدها عام وويزمن؟ وكان أحرى بويزمن أن يقول إن روتنبرغ فارقنا بعد حين على خطة، وإلى أين؟ إلى روسيا، حيث جعل يعمل مع كيرنسكى، وليس هذا وكفى، بل سمع عنه أنه كان حاكم بتروغراد سنة ١٩١٧ لمدة ما. ولما استوثق الأمر للبلشفيك عاد روتنبرغ فاختفى وذاب، حتى نراه يظهر فى أودسا يبذل جهده فى مساعدة اليهود فى الفرار والهرب. ثم عاد إلى لندن، ولا يعلم أنه عاد بعد هذه النوبة إلى روسيا.

هنا شيئان نسمع أحدهما من ويزمن إذ يقول: أن كيرنسكى لو بقى عهده ماشياً دون أن يطغى عليه البلاشفة، لما عاد روتنبرغ إلى الحياة اليهودية بحال. والآخر نسمعه من ستورس بعبارته التى تحمل فى كثير من المواطن مسحة السخرية تنقط من أسلوبه الأدبى التعبيرى، والكلام هنا لستورس: يقول روتنبرغ فى أحاديثه معى أنه ليس بسياسى، ولا يعرف السياسة، وأنه لا يعرف من الدنيا شيئاً إلا العمل والإنشاء والبناء والعمارة! هيه! هيه! روتنبرغ لا يعرف السياسة! وهو كان مع كيرنسكى قبل عهد السوفيات، ولما لاحت الفرصة لكيرنسكى فوراً أن يطيح بالرؤوس المناوئة. ولو فعل كيرنسكى هذا لساد روسيا شئ آخر، ربما غير الفوضى. ولنا أن نأخذ من عبارة ستورس هذه، المعنى الطبيعى فى المخطط اليهودى وهو أن غاية روتنبرغ من الذهاب إلى روسيا والعمل مع كيرنسكى التهيؤ للعمل مع كيرنسكى للمصلحة اليهودية بحال استيلاء كيرنسكى على الموقف نهائياً استيلاء وطيداً ليس له منافس. كما أن الصهيونيين

كانوا فى الوقت نفسه منبثين فى البلاشفة بصيغة أخرى. حتى إذا غلب أحد الفريقين كانوا مع الغالب، ولا يصعب على اليهود الذين مع الفريق المغلوب أن يدبروا أمرهم، هذا إذا لم يكونوا هم سبب الهزيمة فتلتقى فصول الرواية فى النهاية على مرادهم. أفيذهب روتنبرغ إلى روسيا القائمة القاعدة سنة ١٩١٧ من لندن، دون أن يكون ذلك على تدبير خطة مشتركة بينه وبين أحدها عام ووبزمن؟

ولعل ستورس يقصد بعبارته تلك أن يسود روسيا مخطط حكماء صهيون! وستورس لم يأخذ معلوماته هذه العميقة من ويزمن، بل على الراجح انه أخذها من ينابيعه التى وسائل أعلامها تدخل بين الكحل والعين. ثم يقول ستورس: لو شاء روتنبرغ أن يستجلب إليه اليهود فى فلسطين يوم محنة، لانضووا إليه دون غيره، ولاسيما العمال الذين كانوا مرتاحين إلى حسن معاملته لهم.

***

ذكرنا فى موضع سابق شيئاً حول المشروعين اليهوديين الكبيرين فى فلسطين لسنة ١٩٤٨ وهما مشروع استثمار الاملاح الكيماوية المختلفة فى البحر الميت ويسمى هذا المشروع عادة بمشروع البوتاش وهذه تسمية مضللة لتخفى وراءها الاملاح المهمة التى تدخل فى الصناعات الحربية، ومشروع توليد الكهرباء فى شمال فلسطين قرب طبرية. وفى حوادث ١٩٤٨ كان ينبغى للقوات العربية أن تدمر مشروع توليد الكهرباء إذ كله شرايين الحياة الصناعية والزراعية فى فلسطين المحتلة، فهذا لم يقع، وما وقع هو عكس هذا، فبقى المشروع سليماً وفى مأمن. وكان من المصلحة فيما يتعلق بمشروع الاملاح فى البحر الميت أن يستولى العرب على المشروع بجميع أجهزته الآلية والفنية، إذ هو واقع فى منطقة عربية منيعة، ويكون بوسع العرب استثمار الاملاح، وهذا لم يقع بل كانت الخطة المدبرة الشريرة أن يُخَرب المشروع فَخُرِب، فخسر العرب من ذلك خسارة كبيرة حتى اليوم، وهذه الخسارة ماضية ما بقى العرب على بُعدٍ من الاستثمار الفعلى لأهم كنز من كنوز المعادن يقع فى أراضيهم.

***

ونود هنا أن نضيف إلى ما قلناه هناك، أشياء مهمة نأخذها من السيدة نيوتن. فهى تقول إن الصهيونيين لما شرعوا فى بث الدعاية لهذا المشروع فى بريطانيا، علقوا الصور الكبيرة فى الأماكن العامة بلندن، بحيث يظهر فى تلك الصور الجذابة المنظر، نهر الأردن من ينابيعه عند بانياس والليطانى وغيرهما إلى البحر الميت، أنه فى حوزة اليهود خالصاً كله لهم. وكان مخططهم الاستيلاء على ينابيع الأردن كلها، لكن لما عُدلت الحدود بين فلسطين ولبنان، وسوريا، رأى اليهود أن الينابيع قد أفلتت من أيديهم.

وأراد اليهود أن يظهروا جبروت نفوذهم عن طريق أخذ الامتياز دون علم العرب البتة، فأخذوا الامتياز لسبعين سنة (١٩٩٢) قابلاً التجديد دون تغيير الشروط، والشروط لم يسبق لها مثيل فى اتساع الصلاحية للاستملاك إنشاء السدود وشق القنوات والطرق والمعابر وإقامة المحطات ونصب الأعمدة والأسلاك كما يشاؤون، ومعظم هذا بل كله فى أرض العرب وأملاكهم وهذه هى الناحية الصناعية الاقتصادية. وهناك ناحية دينية تتعلق بالمسيحية، فطبريا ونهر الأردن من لأماكن المقدسة المسيحية، وبوسع الشركة صاحبة الامتياز، أن تستعمل كل هذا استعمالاً تمتهن به القدسية الدينية التى لها مكانتها فى النصرانية منذ ألفى سنة.

لم ينته الكلام المؤلم على هذا الأمر بعد. ومن شروط الامتياز الطاغى، وهناك موقف العرب منه موقفاً اعتراضياً سلبياً، أنه لا يجوز توليد الكهرباء العامة فى فلسطين إلى جانب هذا، إلا ما يريد صاحب بيت أن يضع لنفسه من جهاز توليد خاص لبيته، دون أن يستطيع أن يمد السلك إلى بيت أخيه وجاره ولو كانا متلاصقين.

وصمدت عدة مدن عربية على المقاطعة للمشروع، حتى سنة ١٩٤٨ كنابلس والخليل وأما مدينة القدس نفسها فإنها مستثناة من امتياز روتنبرغ إذ كان امتياز إنشاء الكهرباء فيها قد ناله غير عربى وغير يهودى من الحكومة العثمانية سابقاً، ولم يستطع الصهيونيون تعطيله أو ابطاله، فسوى أمره تسوية أبقت القدس خارج نطاق امتياز روتنبرغ حتى ١٩٤٨، والشركة التى تولت بالتالى استثمار كهرباء القدس، إنجليزية.

وبعد أن اعتزل لورد ريدنغ العمل فى الهند، حاكماً عاماً ونائباً عن الملك، وريدنغ من صميم اليهودية، صار هذا اللورد الذى كان حاكماً على شبه القارة الهندية بمئات ملايينها من السكان، رئيس مجلس الإدارة فى شركة روتنبرغ فى لندن إلى سنة ١٩٣٦. فلما مات، خلفه فى هذه الرياسة هربرت صموئيل وبقى صموئيل يرعى هذه الشركة سنين طويلة. وأوائل سنة ١٩٤٨ والجو غدا مشحوناً بنذر الويل والخراب قبل «١٥/ ٥» عُلم فى فلسطين أن هربرت صموئيل جاء من لندن بمهمة اتخاذ التدابير لتجنيب مشروع الكهرباء عوامل التخريب، إذا وقع النزاع المسلح بين العرب واليهود، وقد كان له ذلك. وقد مضى الكلام على هذا.

ووجه الخطورة فى أننا نرى عظماء اليهود المقدمين فى صعيد اليهودية العالمية، يتناوبون على الرياسة فى هذه الشركة، هو ما يختزنه البحر الميت من المواد الكيماوية التى تدخل فى الصناعات الحربية المختلفة، هذه صفحة من صفحات العمل الذى تظهر لنا منه ناحية، وتختفى منه النواحى الأخرى. فاليهودية العالمية وراء كل هذا، والبحر الميت معظمه الآن بيد العرب، ولا أملاح منه البتة للعرب!

٣٤ ـ بين البابوية ورؤوس الصهيونية في ثلاث مقابلات مهمة

قداسة البابا بيوس العاشر، قابله هرتزل ١٩٠٣

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر، قابله سوكولوف ١٩١٧

قداسة البابا بنديكت الخامس عشر، قابله ويزمن ١٩٢١

هذه ثلاث مقابلات خطيرة تكشف لنا عن كثير مما تبطن الصهيونية وتخفيه، وإذا أُحرجَتْ بالسؤال، كما جرى بين البابا بيوس العاشر وهرتزل، لاذت بالروغان والإبهام. أما المقابلتان الأوليان، فننقلهما من كتاب مريستوفر سايكس، وأما مقابلة ويزمن فننقلها من مذكراته.

وكلمة موجزة حول كتاب كريستوفر سايكس، وأبوه هو مارك سايكس، الذى عرفه العرب منذ الحرب العالمية الأولى واشتهر اسمه عن طريق المعاهدة المشؤومة المعروفة بمعاهدة سايكس ـ بيكو، ففى هذه المعاهدة التى جزأت الأقطار العربية التى كانت تابعة للإمبراطورية العثمانية، وعقدت سنة ١٩١٥، كان سايكس يمثل الحكومة البريطانية، وجورج بيكو، يمثل الحكومة الفرنسية. وسنة ١٩٥٣ وضع كريستوفر كتاباً ينطوى على دراستين لرجلين عنوانه Two Studien in Virtue.

وهاتان الدراستان فى المناقب، إحداهما تتناول ريتشارد سبثورب Richard Sibthorp أحد رجال الكنيسة فى القرن الماضى، وشغلت دراسته من الكتاب نحو ثلث صفحاته، وتتناول الدراسة الأخرى، مارك سايكس، والد كريستوفر، فى جهوده نحو الصهيونية، إذ هو كان قد اعتنق الصهيونية سنة ١٩١٥ اعتناقاً لم يدر به العرب، وكانت مساعيه من أقوى العوامل فى حصول اليهود على وعد بلفور. وترك مارك سايكس وثائق وأوراقاً مختلفة مما يعد كله مصدراً مهماً فى أخبار النشاط الصهيونى فى لندن بعد ١٩١٤ حتى نهاية الحرب. وهذه الدراسة شغلت من الكتاب القسم الأكبر منه. وكثير مما ذكره كريستوفر فى كتابه من أخبار أبيه، إنما هو الأخبار المدونة فى الأوراق التى تركها أبوه. وكانت لأبيه آراء وملاحظات قيدها بوقتها. وإنما ألمعنا إلى هذا هنا، لنقول إن ما انتهى إلينا من أخبار المقابلتين الأوليين، بين البابا بيوس العاشر وهرتزل سنة ١٥٩٣ وبين البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف ١٩١٧، قد استقاه المؤلف من تلك الأوراق.

بين البابا بيوس العاشر وهرتزل ١٩٠٣

قال كريستوفر (ص ١٥٦) إن آخر مقابلات هرتزل لملوك أوروبا، مقابلته لقداسة بيوس العاشر، وكانت هذه حرية بأن تسترعى الانتباه، وهذا قلما حصل، ثم يمضى المؤلف بوصف المقابلة مما ننقله فقرة فقرة:

«المقابلة لم تكن منسجمة. فبعد تبادل عبارات المجاملات المعتادة، بدأ هرتزل الكلام فأخذ يصف مخططه الذى يرمى إلى أن تُمْنَح الأماكن المقدسة وضعاً خاصاً فوق العادة، وهذا الوضع يؤلف ناحية من مخطط صهيونى أوسع وأشمل، يراد به التخفيف من بلاء اليهود، قال هرتزل هذا دون أن يعرج بشئ على المصالح الدينية (أى المسيحية) فاستمع البابا إليه ببرود ثم أجابه:

«هناك احتمالان اثنان: فإما أن اليهود يحتفظون بمعتقدهم القديم، ويظلون ينتظرون مجئ المسيح، الذى نعتقد نحن أنه قد جاء. وفى هذه الحالة يكون اليهود منكرين للاهوت يسوع المسيح، فلا يكون بوسعنا أن نمد إليهم يد المساعدة، وإما أنهم يريدون الذهاب إلى فلسطين، ولا دين لهم على الإطلاق، وهذا ادعى لنا لنكون أقل عطفاً عليهم. إن الدين اليهودى هو أساس ديننا، غير أن اليهودية قد حلت محلها المسيحية، ولهذا السبب لا يمكننا اليوم أن نعطى اليهود من المساعدة أكثر مما أعطيناهم من قبل[1]. ولما كان ينتظر أن يكون اليهود أول المستجيبين لدعوة يسوع المسيح فإنهم لم يفعلوا هذا حتى اليوم.

«فجهد هرتزل ما استطاع أن يرد على قداسة البابا، مستميناً بقوة بداهته، وهو الآن أخذه الامتعاض فأجاب بتأثر: لم تكن النكبة ولم يكن الاضطهاد يوماً، خير وسيلة لاقناع شعبنا، على ما اعتقد.»

---

(١) علق المؤلف كريستوفر على هذا بقوله إن المساعدة المعنية هى التى كانت فى زمن كاليكتوس الثانى، وغريغورى التاسع، واينوسنت الرابع، وغوريغورى العاشر، ومارتن الرابع، وبولس الثالث، مما يتعلق «بسرقة الدم» والخطف والقتل، لاستعمال دم الضحية فى الطقوس الدينية اليهودية.

قلت: إن قضية «سرقة الدم» هذه لم يبرأ منها اليهود فى الماضى والحاضر وحوادثها الثابتة بالتحقيق القانونى فى كل بلاد وقعت فيها، عديدة. وأهم حادثة فى سوريا اشتهر أمرها، هى خطف الأب توما الراهب الكبوش فى دمشق، آخر أيام إبراهيم باشا ابن محمد على (١٨٤٠) وثبتت الجريمة على نحو عشرة من يهود دمشق، ولما صدرت الأحكام عليهم بالإعدام قامت قيامة اليهودية العالمية تتوسط لدى محمد على فى مصر حتى عفا عن المحكومين. وتجد فى قضية «البادرى» أو الأب توما، المحسن، المداوى للفقراء مجاناً أغرب الخفايا اليهودية المتعلقة بسرقة الدم. وقد وردت صور أوراق التحقيق فى كتاب «الأصول العربية لتاريخ سوريا». وكان «مونتفيورى» الذى له ترجمة وافية فى هذا الكتاب، هو رسول اليهودية العالمية إلى محمد على يحمل فى جيبه من الملكة فكتوريا وُصَاة الكتب، ومن صناديق «حكماء صهيون» الذهب، ثم لا عجب!

«فاستثارت هذه العبارة من قداسة البابا حميته الحارة ليفند ما قاله هرتزل فأجابه:

«إن سيدنا يسوع المسيح أتى ولا قوة مادية له. وكان فقيراً، وكان رسالة سلام. ولم يَضْطهد أحداً وإنما هو نفسه اضطهده المضطهدون، وتخلى عنه الناس حتى بعض تلاميذه. وما أخذ سلطانه يقوى إلا بعد انقضاء حياته على الأرض. بعد ذلك لا قبله. والكنيسة لم يتوطد سلطانها إلا بعد تأسيسها بثلاث مئة سنة. وفى خلال هذا الوقت كله كان الباب مفتوحاً لليهود أن يؤمنوا بلاهوت السيد المسيح لكنهم لم يؤمنوا ولا يؤمنون اليوم».

«ومع أن هرتزل كان يمقت الكثلكة أكثر من سائر بنى قومه اليهود فى أيامه، فلم يكن له بد أن يتأثر بعبارات البابا وهى مجلوة بجلال البساطة والبراءة، كما دون هذا فى مذكراته.

«وبعد امتداد الحديث فترة أخرى، حاول هرتزل لآخر مرة أن يحول مجرى الحديث من الدين إلى ناحية أخرى، مفيضاً بين يدى قداسة البابا فى شرح ما يلقى اليهود من ضنك اجتماعى سياسى، حتى انتهى. ولدينا هنا الدليل الكافى على أن بيوس العاشر، وهو يعيش فى جو إيطالى نقى، كما كان يعيش سلفه من قبل، كان قليل الاطلاع على ما بلغته اللاسامية من العنف فى أواسط أوروبا وفرنسا وروسيا، وهو سبق له أن كان اسقفاً فى منتوا Mentua تسع سنوات.... فرفض أن يخوض فى تفصيلات مآسى اليهود فى هذا العصر، وهرتزل على ما يبدو، وهذا ما يدعو للعجب، لم يحاول أن يقدم إلى البابا معلومات أوسع. ثم عاد البابا فكرر آراءه، وقال إن الكنيسة تصلى من أجل اليهود، وفى مثل هذا اليوم الذى نحن فيه (٢٥ يناير) أننا نحيى ذكرى رجل كان غير مؤمن، فأشرق عليه النور وهو فى طريقه إلى دمشق، فآمن بدين الحق بطريقة مدهشة. وغاية ما بوسعى أن أقوله لك أنكم أنتم اليهود إذا استطعتم الاستيطان فى فلسطين، فجل ما نقدر على مساعدتكم به هو الكنائس والقس لتعميدكم».

«ثم انتهت المقابلة بنكتة مرفهة. فدخل كونت لباى الذى على يديه رتبت المقابلة، ولعله استاء إذ رأى أنه هو كان السبب فى تقديم رجل غير مسيحى إلى خليفة مار بطرس، وفى محاولته أن يلطف الجو، فقال للبابا: أن هرتزل سبق له الثناء على السيد المسيح كثيراً وعلى شمائله. فأنصت هرتزل يستوعب ما يسمع، ثم كان بعدئذ مغتبطاً إذ يسمع البابا يجيب لباى مقاطعاً: كلا، كلا، فإنى على العكس، مرتاح إلى لقاء السنيور كومنداتور. ولما حان وقت الانصراف ركع لباى وقبل خاتم البابا. ومثل هذا لم يفعل هرتزل لما دخل، ومع أنه هو غير مسيحى، ولا يكون بتصرفه الذى كان منه خارجاً عن الرسم المتبع، فقد اعتقد أن قسوة البابا كان سببها أنه لم يقبل يده. ونحن نؤمن أن استنتاج هرتزل لا يتفق وكل ما نعلمه من دماثة الخلق فى بيوس العاشر. غير أن هرتزل عجب مما رأى من مظهر الغبطة على وجه البابا، لما فعله لباى ولم يفعله هو. ودوّن هرتزل الخاتمة بقوله: أما أنا فصافحته مصافحة مع الانحناءة».

انتهى كلام كريستوفر المؤلف.

بين البابا بنديكت الخامس عشر وسوكولوف ١٩١٧

لما قام هرتزل بمقابلة البابا سنة ١٩٠٣ على ما رأينا، كانت بريطانيا سنتئذ قد عرضت على هرتزل اقليماً واسعاً طيب الهواء والأرض فى يوغندا، شرق أفريقيا، لينشئ اليهود لهم هناك وطناً قومياً، فلم يقبل يهود روسيا بذلك. وأصروا على فلسطين. ويعتبر قادة الحركة الصهيونية أن العشر سنوات التى انقضت من وقت موت هرتزل إلى أول الحرب العالمية الأولى، أشبه بالركود فى اطراد النشاط. ومن الصعب تصديق قولهم هذا، فالنشاط الصهيونى السرى داخل المملكة العثمانية أواخر سنى عبد الحميد، وداخل جمعية تركيا الفتاة السرية، كان قوياً لكنه كان خفياً. وكذلك فى فلسطين، إذ بدا نشاطهم على نطاق واسع فى شراء الأراضى، وفى خلال هذه المدة كان فريق من قادتهم فى فلسطين يعملون فى تدريب الشباب تحت أقنعة مختلفة ومن هؤلاء المدربين بن غوريون نفسه وقد جاء فلسطين ١٩٠٦. وقد مر بنا استشراء خطرهم فى أنحاء الدولة العثمانية سنة ١٩١٣ لما نال اليهود ٤ حقائب وزارية نتيجة آخر انقلاب فى الدولة ثم وقعت الحرب العامة سنة ١٩١٤ وسنة ١٩١٧ نالوا وعد بلفور.

«فى هذه السنة ١٩١٧ جرت مقابلة سوكولوف للبابا بنديكت الخامس عشر، وقد كانت انتهت مفاوضات وعد بلفور إلى ما يريد اليهود، ولكن هدا لم يعلن بعد. والبابا الآن بنديكت الخامس عشر، وكان مارك سايكس قد سبق سوكولوف إلى روما، ورتب له أمر المقابلة بواسطة السفارة البريطانية، ومضى سايكس من هناك إلى القاهرة فى مهمة سياسية عربية: حتى جاء سوكولوف روما بعد ثلاثة أسابيع (فى ١٠/ ٥/ ١٩١٧) وتمت المقابلة. غير أن سايكس لم يكتف بترتيب أمر المقابلة، بل اتصل برجل كبير فى الفاتيكان مقرب جداً من البابا ومسموع الكلمة عنده، هو المونسنيور باشيلى (بعدئذ البابا بيوس الثانى عشر) وكيل وزير الخارجية، فحادثه سايكس وبسط له العُقَد المحيطة بقضية القدس من الحركة العربية، والأماكن المقدسة الإسلامية، والصهيونية، والمصالح الدينية المتضاربة بين اللاتين والارثوذكس، وهذا بالإضافة إلى مطامع الدول. ومع أن وكيل الوزير لم يُفِضْ فى الحديث كثيراً، غير أنه أبدى ملاحظته وهى أن وضع الأماكن المقدسة تحت رعاية بريطانية شئ لا يتنافى وسياسة الفاتيكان. وقال سايكس إنه لمح من كلام وكيل الوزير أن ذكر فرنسا فى مجرى الحديث كأنه شئ لم يَستَطِبْه. وقال سايكس أيضاً إن الفرصة اتسعت له فمهد الطريق أمام الفكرة الصهيونية وبين لوكيل الوزير غاياتها، وقال له إن سوكولوف قادم إلى روما وهو يعطى المزيد وكل تفصيل. وقال سايكس أيضاً إن الفاتيكان لا ينتظر أن يكون متحمساً للفكرة الصهيونية، ولكن وكيل الوزير يسره أن يلقى سوكولوف على كل حال.

«وصل سوكولوف وقابل البابا على يد مونسنيور باشيلى. وكانت النتيجة كأن أثر المقابلة السابقة بين بيوس العاشر وهرتزل قد امحى، حتى بالتالى سأل الباب زائره: أتراني قد أدركت مقاصد الصهيونية إدراكاً وافياً؟ وما أعجب دورة الفلك ـ استمر كلام البابا ـ وعودة التاريخ إلى أن يعطى العبرة! فمنذ ١٩ قرناً قامت روما بتدمير بيت المقدس، والآن، أنتم تريدون إعادة بنائها، تجعلون طريقكم على روما!!

«فأجاب سوكولوف جواباً ضمنه الإشارة إلى مصير الإمبراطورية الرومانية وقابل بين ذلك ومصير اليهود الذين اتصل كيانهم واطرد إلى اليوم وقال: فريق اضمحل واندثر، وفريق بقى حياً يطالب بأرض جدوده!

«فقال البابا بحماسة: نعم، نعم، تلك هى ارادة الله. ثم سأل البابا هرتزل أن يبين له مقاصد الصهيونية بشئ من التفاصيل فأجاب سوكولوف: مخططنا مزدوج. فهو يرمى أولاً إلى إيجاد مركز روحى ثقافى لليهود فى فلسطين، وثانياً إلى إنشاء وطن قومى لليهود المضطهدين، ومرادنا أن نشيد فى هذه البلاد مركزاً عظيماً حيث يستطيع اليهود أن ينموا ثقافتهم بحرية، وأن يعلموا أولادهم المثل اليهودية وينشؤوهم على الروح اليهودية، وأن يبذلوا غاية جهدهم فى أن يجعلوا وطنهم القومى مظهر المدنية اليهودية وآدابها.

«فبدا البابا عميق الوعى فقال: فكرة عظيمة! ثم أراد أن يعلم هل هذا المخطط قد اتخذ لغاية وقاية اليهود من الاضطهاد، فأجاب سوكولوف باسلوب خطابى عاطفى الروح، على ما اتفق له من مؤاتاة البديهة، فأشار إلى حق اليهود «فى مكان تحت الشمس فى أرض آبائنا» ثم قال: وإننا نتطلع إلى أحياء اليهودية التاريخية، وتجديد الوطن روحياً ومادياً، تجديداً تتمثل فيه مميزاتها القومية وتقاليد توراتنا فى انقى صورها. إننا نطالب بحق الحرية، الحرية التى لا تنكر على أى شعب».

فسأل البابا: أهناك مجال من الأرض كاف فى فلسطين يتسع لمخططكم هذا؟»

قال كريستوفر: وفى الجواب على هذا السؤال الذى ما برح يطرح إلى ما بعد هذا التاريخ بثلاثين سنة، وعليه المدار فى المستقبل، قال سوكولوف بحذقِ مَنْ يريد المراوغة: هناك إمكان الوصول إلى غرضنا، لكن علينا أن نمهد الطريق». ثم انتقل الحديث إلى عدد المستعمرات اليهودية فى فلسطين فى ذلك الوقت، وهو عدد قليل والسكان ١٢ ألفا، وإلى الصعوبة المنتظر أن تكون من جراء الانتقال بالبلاد على يد الإنجليز من مستواها الحالى إلى مستوى حضارى يحل محل الحكم التركى. فأجاب البابا مقاطعاً: إن بريطانيا الكبرى هى أكبر دولة استعمارية فى العالم ولا خبرة بعد خبرتها.

ثم انتقل الحديث إلى بحث المقاصد الصهيونية إزاء الأماكن المقدسة، لكن قبل هذا سأل

البابا سؤالا يتعلق بأساس المشروع، وقد تجددت ملامح وجهه: اتنوون أن يقيم فى فلسطين عدد كبير من اليهود؟

وهنا، مرة ثانية، لاذ سوكولوف بالروغان مفرغاً جوابه فى قالب مطاط براق، فقال: سنأتى بخير من عندنا، وبالذين أشدهم وقوعاً فى الضيق، ثم انتقل بمجرى الكلام إلى حيز الأعمال الزراعية الكبيرة، وما صنع الرواد، ثم عطف من هناك على حالة اليهود فى شرق أوروبا.

قال كريستوفر: وآخر كلمات البابا فى هذه المقابلة، جواباً على طلب سوكولوف المساعدة المعنوية، وهذا طالما ردده الصهيونيون فيما بعد: نعم أعتقد أننا سنكون جيراناً جيرة حسنة».

وأحب كريستوفر أن يورد جواب البابا بلفظه الإيطالى، وهو هكذا:

«Si, Si, io credo che noi saremo buoni vicini»

وقال فى الحاشية إن محتوى هذا الحديث بين البابا وسوكولوف اقتبسه من تقرير وضعه ابن سوكولوف، مستر فلوريان سوكولوف، مستنداً فيه على الأوراق التى خلفها أبوه، ونشر هذا فى مجلة صهيون فى عدد يناير ١٩٥٠

***

بين البابا بنديكت الخامس عشر وويزمن ١٩٢١

إن التفصيل الذى ذكره ويزمن فى كتابه لهذه المقابلة، ليس له مساق واضح، وإنك تشعر وأنت تقرأه بأن الرجل يتوكأ على كثير من الترقيع المصحوب بروح الارتماض. ودوره سنة ١٩٢١، والوطن القومى شرع فيه، غير دور هرتزل ١٩٠٣ ودور سوكولوف ١٩١٧ بين يدى البابا. فهو لا يعطى القارئ كل ما فى جعبته حول الموضوع، فتراه بين أن يسوق نقطة وإن يجلوها، وأن يستر منها ما ينبغى أن يكون متصلاً بها، طالعاً نازلاً فى كلامه، ولا يخفى علينا أن ويزمن لم يضع مذكراته للعرب، بل لكل قارئ يعرف الإنجليزية فقصده تمثيل قضية، وحكاية يهودية غامضة، وسرد قصة جذورها فى الظلام. هذه الصفحة هى فى اعتقادنا الصبغة الغالبة على كتابه التجربة والخطأ وقد صدر سنة ١٩٤٩ فى طبعته الإنجليزية الأولى.

وهذه هى الأشياء المتقطعة التى نستطيع أن نجمعها من أقوال ويزمن نعلم منها انطباعاته عن مقابلة البابا سنة ١٩٢١:

١ ـ قال إن فى سنة ١٩٢١ ـ ٢٢ أحتاج إلى كثرة السفر إلى أوروبا والتنقل فى عواصمها، والانتداب لم يتقرر بعد. وكانت هناك مسألة الفاتيكان وموقفه من اليهود أو الصهيونية بسبب الأماكن المقدسة، فأحب أن يقابل البابا ويحاول كشف الغطاء، لأن بطريرك اللاتين فى

القدس، مونسنيور بارلسينا كان شديد العداء للصهيونية ولا يذكر ويزمن اسم قداسة البابا بيوس الحادى عشر فى غضون كلامه، ولعله من شدة الشعور المرتمض فى نفسه تغافل عن التصريح باسم البابا.

٢ ـ قال: أن السنيور شانزير كان وزير الخارجية الإيطالية، وهو من تريستا، ويحتمل أن يكون من أصل يهودى. فوقع بينه وبين ويزمن حديث شائك حول الأماكن المقدسة، وألح عليه الوزير بأن يبذل جهده لحل المسألة حلاً قريباً يرضى الفاتيكان. فتنصل ويزمن من المسؤولية لأن مرجع الأمور ليس هو بل حكومة فلسطين.

٣ ـ ثم تلقى دعوة ليزور الكاردينال غسبارى وزير الخارجية، فزاره فوجده محشواً حشواً بالأخبار المنقولة إليه من مونسنتور بارلسينا، المخاصم للصهيونية، وذكر أنه ألقى محاضرة فى الكلية الرومانية، وعلقت على المحاضرة جريدة أوسرفاتور رومانو الناطقة بلسان الفاتيكان، وفى ثانى يوم اطلع فيها على خبر القائه المحاضرة ومما جاء فى هذا الخبر أن الدكتور ويزمن «بين فى محاضرته أن المنظمة الصهيونية فى فلسطين لديها من الأراضى للاستثمار ما يكفيها عشر سنوات للمستقبل فهى لا تحتاج إلى أن تنتزع الأرض من العرب». فلما جاء لمقابلة الوزير فى صباح اليوم التالى بادره الوزير بقوله: كانت محاضرتك أمس حسنة يا دكتور ويزمن! فقال ويزمن: أتعنى محاضرتى فى الكلية الرومانية أم فى اوسرفاتور رومانو؟ وبعد المقدمات دخلا فى الحديث حول الأماكن المقدسة. وهنا جعل ويزمن كلامه ضرباً من المراوغة، ولما راح يصف للوزير ما تقوم به المنظمة الصهيونية من أعمال باهرة فى الزراعة وتجفيف المستنقعات والتشجير، والخدمات الطبية والتعليم، أجاب الوزير أن كل هذا حسن لا يخشى منه، وإنما ما يخشى منه هو الجامعة العبرية، على جبل الزيتون، وهنا أورد ويزمن أصل العبارة بالفرنسية.

«G'est votre universite que je crains»

ولا يعلق ويزمن على هذا بشئ.

٤ ـ ثم يذكر مَنْ قابل مِنْ رجال الدولة الإيطالية. ثم يصف حالة يهود إيطاليا وقال إنهم أقرب إلى الاندماج منهم إلى الصهيونية. لكن أخذوا بعد قليل يدخلون فى العقائد الصهيونية.

انتهى ما لخصناه من مذكرات ويزمن التجربة والخطأ.

***

ونتمم خبر الدكتور ويزمن، بخبر أخيه الذى هو أصغر منه سناً وكان يعمل فى دائرة الزراعة فى حكومة فلسطين، وعمله هنا ليس خدمة الحكومة ولا البلاد جملة، بل غايته كانت، كما هى أساليب المنظمة الصهيونية، أن يكون واقفاً على مخطط الحكومة زراعياً مما يتعلق بالعرب، فيعرقل منها ما يستطيع بطرق غريبة الأساليب. ولا يتردد أى قارئ فى أن يصدق

هذا. فإذا تردد فتردده سيزول عندما يقرأ البروتوكولات. تقول السيدة نيوتن، إنها كانت يوماً فى بيتها وعندها ضيف عربى من أصدقائها مدعو للغداء وبينما هى والضيف وغير مدعوين على المائدة، جاءت الخادمة تعلن دخول زائر، وكان هذا الزائر الطارئ وقت تناول الغداء، على غير موعد، وليس هذا الوقت وقت الزيارة، هو ويزمن الزراعى وكان يقيم فى حيفا. وبهذا الأسلوب جاء مرة كلفرسكى لغرض التجسس فيما يتعلق بحادثة إطلاع السيدة نيوتن فريقاً من العرب على محتوى البروتوكولات وقد مضت الإشارة إلى هذا، وبعد الانتقال إلى الصالون وفى أثناء تناول القهوة، جرى حديث شائك بين ويزمن ونيوتن والضيوف، تناول طغيان الصهيونية فى فلسطين، وهذا سنة ١٩٢٥، وسنتئذ افتتح اليهود الجامعة العبرية على جبل الزيتون، وهى الجامعة التى كان يخشاها وزير خارجية الفاتيكان، وذلك قبل افتتاح الجامعة بأربع سنين. فسألت السيدة نيوتن ويزمن الزراعى: قل لى، هل أنتم إذا بلغتم مرادكم فى فلسطين تريدون أن تحولوا الهيكل (أى الحرم القدسى الشريف أولى القبلتين وثالث الحرمين) إلى ما كان عليه قبلاً، من طقوس يهودية متزمتة، وعادات ورسوم وطرق؟ (وفى سؤالها هذا رمز إلى ما كان عليه الهيكل زمن السيد المسيح من الامتهان فلما دخله السيد طرد منه باعة الحمام والصيارفة والمشتغلين بحقائر الأمور، وقلب الموائد والمقاعد وقال لليهود الذين وجدهم على هذه الصفة فى الهيكل، بيتى مكتوب بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص!).

فأجاب ويزمن الزراعى: كلا، فإننا قد وضعنا أسس بناء الجامعة العبرية على جبل الزيتون المطل على الهيكل، وفى هذه الأسس وضعنا ١٢ حجراً، بعدد أسباط بنى إسرائيل، بحضور الجنرال اللنبى (الذى لما دخل القدس فاتحاً ١٩١٧ قال كثيرون فى أوروبا: اليوم انتهت الحروب الصليبية! ثم قامت دولة الفاتح فحولت فلسطين إلى أصحاب المغارة بالأمس!).

ويذكر الدكتور ويزمن فى مذكراته أنه وإخوته وأفراد أسرته احتفوا بعيد ميلاد والدتهم فى حيفا، وأشاعوا حولها جواً عائلياً بهيجاً، فإذا بها بدلاً من البشر والانطلاقة تبدو بوجه كئيب حزين، فسألها الدكتور ويزمن السبب فى ما هى عليه من كآبة بادية على وجهها فقالت بعد أن تأوهت: لأنى يا حاييم لا أرى كل اليهود قد عادوا إلى فلسطين بعد! قلنا: لن يعودوا!!

***

ولابد للقارئ العربى أن يكون قد أخذه الدهش من جواب قداسة البابا لسوكولوف «أعتقد أننا سنكون جيراناً جيرة حسنة» وهذا الجواب كان سنة ١٩١٧، ولما أقيمت إسرائيل وتحكمت بالأقلية العربية الباقية فى الأرض المحتلة، ونحن اليوم فى سنة ١٩٦٦ علم العالم أى اضطهاد ينزله اليهود بالعرب مسلمين ومسيحيين، إلى هدم المساجد والكنائس مما وقائعه معروفة فى العالم.. وغاية حكماء إسرائيل إلا يدعو مجالاً لدين غير دينهم فيما يسمى إسرائيل.

نصوص بروتوكولات
حكماء صهيون

البروتوكول الأول

الحق للقوة - الحرية: مجرد فكرة - الليبرالية - الذهب - الإيمان - الحكومة الذاتية - رأس المال وسلطته المطلقة - العدو الداخلى - الدهماء - الفوضى - التضادّ بين السياسة والأخلاق - حق القوى - السلطة اليهودية الماسونية لا تُغلب - الغاية تبرر الواسطة - الدهماء كالرجل الأعمى - الأبجدية السياسية - الانشقاق الحزبى - افضل أنواع الحكم: السلطة المطلقة - المسكرات - التمسك بالقديم - الفساد - المبادئ والقواعد للحكومة اليهودية الماسونية - الارهاب - الحرية والعدالة والاخاء - مبادئ حكم السلالات الوراثية - نسف الامتيازات التى للطبقة الارستقراطية من «الغوييم» - الارستقراطية الجديدة (اليهودية) - الحالات النفسانية - المعنى المجرد لكلمة «حرية» - السلطة الخفيّة التى تُقصى ممثلى الشعب.

اننا نتناول كل فكرة على حدة، ونمحصها تمحيصا: بالمقارنة والاستنتاج، حتى تتبين لنا ماهيتها بذاتها، ونرى ما يلابسها ويحيط بها من حقائق. وأما أسلوب الكلام فنجرى عليه سهلا خاليا من زخرف الصناعة.

وما علىّ أن أبدأ بشرحه الآن، هو منهجنا فى العمل، فأشرح ذلك من ناحيتين: وجهة نظرنا، ووجهة نظر الغوييم.

وأول ما يجب أن يلاحظ أن الناس على طبيعتين: الذين غرائزهم سقيمة، والذين غرائزهم سليمة، والأولون أكثر عددًا. ولهذه العلة، فخير النتائج التى يراد تحقيقها من التسلط على الغوييم بطريق الحكومة، إنما يكون بالعنف والإرهاب، لا بالمجادلات النظرية المجردة، إذ كل امرئ مشتهاه الوصول إلى امتلاك زمام السلطة، وكل فرد يريد لو أصبح دكتاتورا. وقليلون الذين لايشتهون تضحية مصالح الجمهور من أجل منافعهم الخاصة.

ولعمرى ما هى الروادع التى تكفُّ الحيوانات المفترسة عن الوثوب، وهذه العجماوات ما هى إلا الغوييم؟ وما هو الأمر الذى قام فيهم حتى اليوم لضبط أحوالهم؟

أما بدايتهم، بداية تكوين المجتمع، فإنهم كانوا مأخوذين بالقهر من القوة الغاشمة العمياء ولهذه القوة كانوا خانعين، أما بعد ذلك، فسيطر عليهم القانون الموضوع، وهو القوة الغاشمة نفسها، ولكنه جاء بزىٍّ مختلف فى المظهر لا غير. وأستنتج من هذا أنه بموجب ناموس الطبيعة، الحق للقوة.

* * *

الحرية السياسية إنما هى فكرة مجردة، ولا واقع حقيقى لها. ولهذه الفكرة، وهى الطُّعم فى الشَّرك، على الواحد منا أن يعلم كيف يجب أن يطبقها، حيث تدعو الضرورة، لاستغواء الجماعات والجماهير إلى حزبه ابتغاء أن يقوم هذا الحزب فيسحق الحزب المناوئ له وهو الحزب الذى بيده الحكومة والسلطة.

وهذا العمل إنما يصبح أهون وأيسر، إذا الخصم المراد البطش به قد اخذته عَدْوَى فكرة الحرية المسماة باسم ليبرالية، وهذا الحزب مستعدٌ من أجل ادراك هذه الفكرة المجردة، أن ينزل عن بعض سلطته. وهنا، جزمًا، يكون مطلع انتصار فكرتنا. وتحصل حينئذ حال اخرى: فما للحكومة من زمام، يكون قد استرخى واخذ بالانحلال فورًا، وهذا من عمل قانون الحياة، فتتسلط اليد الجديدة على الزمام وتجمع بعضه إلى بعض وتقيمه، لأن القوة العمياء فى الأمة لا تقوى على البقاء يومًا واحدًا دون أن يكون لها موئل يهيمن عليها بالضبط والإرشاد، ثم تمضى الحكومة الجديدة بالأمر، وجلُّ ما تفعله إنها تحل محل الحكومة السابقة التى نهكتها فكرة الليبرالية حتى أودت بها.

هذا الطور كان فيما مضى. أما اليوم فالقوة التى نسخت قوة الحكام من انصار الليبرالية هى الذهب. ولكل زمان ايمان يصحّ بصحته. وفكرة الحرية مستحيلة التحقيق على الناس، فإنه ليس فيهم من يعرف كيف يستعملها بحكمة واناة. وانظروا فى هذا، فإنكم إذا سلّمتم شعبًا الحكم الذاتى لوقت ما، فإنه لا يلبث أن تغشاه الفوضى، وتختلّ أموره، ومن هذه اللحظة فصاعدا يشتدّ التناحر بين الجماعات والجماهير حتى تقع المعارك بين الطبقات، وفى وسط هذا الاضطراب تحترق الحكومات، فإذا بها كومة رماد.

وهذه الحكومة مصيرها الاضمحلال، سواء عليها أدَفَنَتْ هى نفسها بالانتفاضات الآكلة بعضها بعض من داخل، أم جرّها هذا بالتالى إلى الوقوع فى برائن عدو من خارج، فعلى الحالتين تعتبر أنها أصيبت فى مقاتلها، ففدت أعجز من أن تقوى على النهوض لتقيل نفسها من عثرتها. فإذا بها فى قبضة يدنا. وحينئذ تأتى سلطة رأس المال، وتكون جاهزة، فتمدّ هذه السلطة بطرف حبل خفىّ إلى تلك الحكومة الجديدة لِتَعلّق به، طوعًا أم كرهًا، لحاجتها الماسة إليه، فإن تفعل هوت إلى القعر.

فإذا قال قائلٌ من هواة الليبرالية إن هذا النهج المتقدمه صورته، يتنافى وشرع الاخلاق، سألناه: إذا كان لكل دولة عدوّان، وجاز للدولة فى مكافحة العدو الخارجى أن تستعمل كل وسيلة وطريقة وحيلة، دون أن يُعَدّ عليها هذا أو ذاك أنه شئ لا تقرُّه الأخلاق، كأن تُعَمّى على العدو خطط الهجوم والدفاع، حتى لا يدرى منها شيئًا، وكأخذه بالمباغته ليلا، أو بالانقضاض عليه بعدد ضخم من الجند لا قبل له به، أفلا يكون من باب أولى فى مكافحة العدو الداخلى

الذى هو شرٌ من ذاك، وهو العدو المخرب لكيان المجتمع ومصالح الجمهور، أن تستعمل هذه الوسائل للقضاء عليه؟ وكيف يبقى مساغ للقول أن هذا الأمر إذا جاز هناك فلا يجوز هنا؟ والحق الذى لا ريب فيه أن تلك الوسائل إذا كانت سائغة مطلقة هناك، ومباحة فلا تكون هنا منهيًا عنها فلا يؤخذ بها.

ولعمرى كيف يكون ممكنًا لدى أىّ حكيم بصير، أن يأمل فى إدراك الفلاح والفوز، فى قيادة الجماهير إلى حيث يريد، إذا كانت عدته ما هى إلا الاعتماد على مجرد منطق الرأى والارشاد، والجدل والمقال، حينها تعترضه مقاومة، أو رماه الخصم بعورة حتى ولو كانت من الترهات، واصغت الجماهير إلى هذا، والجماهير لا تذهب فى تحليل الأمور إلى ما هو ابعد من الظاهر السطحى؟

* * *

فالرجال الذين تحسبهم من الآحاد وفى الطليعة، إذا ما سَبَحُوا فى غمرة الجماهير المؤلفة من الدهماء، فحينئذ لا يستولى على هؤلاء الرجال وجماهيرهم الا سائق الأهواء، والمعتقدات الرخيصة، وما خفّ وفَشَا من العادات والتقاليد والنظريات العاطفية، فيقعون فى مهوى التطاحن الحزبى، الأمر الذى يمنع اتفاقهم على أى قرار، حتى ولو كان هذا القرار واضح المصلحة ولا خَفَاء فى ذلك ولا مطعن. ثم إن كل قرار يضعه الجمهور العابث، يتوقف مصيره حينئذ إمّا على فرصة مؤاتية تمضى به إلى غايته، وإمَّا على كثرة كاثرة تؤيده، ولكن الكثرة لجهلها أسرار السياسة وبواطنها، فالقرار الذى يخرج من بين يديها لا يكون إلا سخريةً ومهزلةً، وإنما فى هذا القرار تكمن بذرة الفساد، فتفسد الحكومة بالنتيجة، فتدركها الفوضى ولا مناص.

* * *

فالسياسة مدارها غير مدار الاخلاق، ولا شئ مشترك بينهما، والحاكم الذى يخضع لمنهج الأخلاق لا يكون سائسًا حاذقًا، فيبقى ما يبقى على عرشه مهزوزًا متداعيًا، وأما الحاكم اللبيب الذى يريد أن يبسط حكمه فيجعله وطيدًا، يجب عليه أن يكون ذا خصلتين: الدهاء النافذ، والمكر الخادع. وأما تلك الصفات التى يقال إنها من الشمائل القومية العالية، كالصراحة فى اخلاص، والأمانة فى شرف، فهذا كله يعدّ فى باب السياسة من النقائص لا الفضائل، ويسرع بالحكام إلى أن يتدحرجوا من على عروشهم ولا منقذ لهم، ويكون هذا أكيد لهم وانكى، وأفعل فى تفكيكهم وتهديمهم من الذى يأتيهم من قِبَلِ أكبر عدو يتربَّص بهم. وتلك الصفات منابتها ممالك الغويم وحكوماتهم، فهى منهم وهم بها أولى. وحذار أن نقبل مثل هذا نحن.

حقنا منبعه القوة. وكلمة حق، وجدانية معنوية مجردة، وليس على صحتها دليل. ومفادها لا شئ أكثر من هذا: اعطنى ما أريد فابرهن بذلك على انى أقوى منك.

فأين يبتدئ الحق واين ينتهى؟

فإنى أجد فى كل دولة استولى الفساد على إدارتها، ولا هيبة بقيتْ لقوانينها ولا سطوة، ولا مقامات مرعية لحكامها، وانطلق الناس إلى مطالب الحقوق، فكل ساعة ينادون بمطلب جديد ويسقطون مطلبًا، فاختلطت دعاويهم وتضاريت، وصار لكل حزبٍ من الافتتان والهوى، حقٌ باسم الليبرالية - أنى أجد هنا فى مثل هذا الموطن أن أهاجم باسم الحق، وهو حق القوة فاذرو فى الهواء جميع هياكل الأنظمة والأجهزة الجوفاء، وآتى بشئ جديد يحل محل الذاهب، واجعل نفسى حاكمًا سيدًا على هؤلاء الذين تركوا لنا الحقوق التى كانوا يبنون عليها حكمهم، وأما مصيرهم هم فالإستسلام إلى ما كانوا يحملون من عقائد الليبرالية.

وتتميز قوتنا فى مثل هذه الحالة الرجراجة، عن كل قوة أخرى، بمميزات امنع وأثبت، وأقوى على ردّ العادية، لأنها تبقى وراء الستار، متخفية، حتى يحين وقتها، وقد نضجت واكتملت عدّتها، فتضرب ضربتها وهى عزيزة، ولا حيلة لأحد فى النيل منها أو الوقوف فى وجهها.

ومن هذا الشر المؤقت الذى نُكّره على ايقاعه، يخرج الخير، هو خير الحكم الجديد الذى لا تهزّه ريح، فيردّ الأمور المنحرفة من جهاز الحياة الوطنية إلى نصابها ويجعلها فى الطريق القويم. وكل هذا كانت الليبرالية قد مزقته. فالنتائج تبرر الأسباب والوسائل. فعلينا فى وضع منهجنا أن نراعى ما هو افيد وضرورىٌ أكثر مما نراعى ما هو اصلح واخلاقى.

* * *

وأمامنا الآن مخطط، وفى هذا المخطط رُسِمت الطريق التى يجب علينا أن نسلكها نحو غايتنا، وليس لنا أن نحيد عن هذا قد شعرة، الا إذا فعلنا ذلك مجازفة ومخاطرة، فنخسر نتائج عملنا لعدة قرون، فيذهب كله سدى.

ولكى نُوَفّق إلى بناء الأمور على ما نريد من الصحة والكمال فى أفعالنا، لا بدّ لنا أن نأخذ بعين الاعتبار ما يكون عليه جمهور الدهماء من طباع خسّة ونذالة، وتراخ، وقلة استقرار، وفراره من حالة إلى حالة، وفقده القدرة على اكتناه أمور حياته، وافتقاره إلى نظرة الجد وصحة العزم، فهو متعامٍ عن رؤية وجه مصالحه. ويجب أن يكون واضحًا أن قوة الدهماء عمياء، تخدّرت منها حاسة الشعور، ولا تجرى فى الفهم والاستيعاب على نطاق معقول، وهى أبدًا رهن أى مستفزّ يستفزّها من أى ناحية. وأعمى لا يقود أعمى إلا إلى هاوية، وفى النهاية يخرج افراد من الدهماء ومن سواد الشعب، لا يعدو طورهم أن يكونوا ممن لا خبرة لهم ولا سابق تجربة، وقد يكون لهم من النبوغ مظهر برّاق، ولكن لقصورهم عن النفاذ إلى بواطن المسائل السياسية المحجبة فإنهم لا يلبثون، إذا استطاعوا أولاً بلوغ الزعامة وقيادة الدهماء، أن يهووا، فتهوى معهم الأمة، فينتقض الحبل كله.

وإنما هناك رجل مجرّب، رُبّى منذ الصغر على فهم الحكم المستقل وَتمَرّس به، بوسعه

أن يعى ويزن جيدًا الكلمات التى تتركب منها أبجدية السياسة.

والشعب الذى يُترك وشأنه ليستسلم إلى أمثال هؤلاء الذين يظهرون على المسارح فجأة من صفوفه، يجنى على نفسه إذ تقتله منازعات الأحزاب، المنازعات التى يزيد من شدة أوارها حب الوصول إلى السلطات، والازدهاء بالمظاهر والألقاب والرياسات، وكل هذا فى فوضى شاملة. افتستطيع الدهماء، بهدوء وسكينة، وبلا تحاسد وتباغض، أن تتعاطى مهمات المصلحة العامة، وتديرها على الحكمة، دون أن تخلط بين هذا ومصالح خاصة؟ أتستطيع أن تدافع عن نفسها فى وجه عدوّ خارجى؟ لا لعمرى! لأن المسألة التى تتخطفها الأيدى تتمزق بعدد الأيدى التى تتخطفها، مآلها أن تشوّه، وتفقد الانسجام بين أجزائها، فتتعقد، وتبْهم، وتستعصى على أن تقبل التنفيذ.

* * *

ولا يتم وضع المخطط وضعًا كاملاً محكما إلى آخر مداه، إلا على يد حاكم مستبد قاهر، يقوم على ذلك حتى النهاية، ثم يوزعه أجزاء على جهاز الدولة، فيتعلق كل جزء بآلته الخاصة به من جهة التنفيذ، ونستنتج من هذا بالضرورة أن الوضع الذى ينبغى أن تكون عليه الدولة مع اللياقة والكفاية، هو الوضع الذى يجتمع كله فى يد رجل مسؤول. وبلا سلطة مطلقة، لا حياة للحضارة، والحضارة لا تقوم على الدهماء، بل على يد مَنْ يقود الدهماء، كائنًا من يكون ذلك الرجل القائد. والدهماء قوة همجية، وهذه القوة تتجلى فى كل مناسبة واقعة. وفى اللحظة التى تتسلم فيها الدهماء الحرية، وتجدُ نفسها قادرة على التصرف كما تشاء، تقع الفوضى فورًا وهذا الضرب من الاختباط أسوأ ضروب التردى الإنسانى الأعمى.

* * *

انظروا إلى الحيوانات المدمنة على المسكر، تدور برءوس مدوَّخة، ترى من حقها المزيد منه فتناله إذا نالت الحرية. فهذا لا يليق بنا، ولا نسلك نحن هذه الدروب. فشعوب الغوييم قد رنحتها الخمرة، وشبابهم قد استولت عليهم البلادة من نتيجة ذلك، فأخملتهم وألصقتهم بالبقاء على القديم الموروث الذى عرفوه ونشأوا عليه، وقد ازدادوا اغراء بأوضاعهم هذه، على يد المهيأين من جهتنا خاصة للدفع بهم فى هذا الاتجاه كالمعلمين المنتدبين للتعليم الخاص، والخدم، والمربيات والحاضنات فى بيوت الأغنياء، والكتبة والموظفين فى الأعمال المكتبية وسواهم، وكالنساء منا فى المقاصف وأماكن الملذات التى يرتادها الغوييم. وفى عداد هذا الطراز الأخير، اذكر ما يسمى عادة «بمجتمع السيدات»، أو «المجتمع النسائى» حيث المعاشرة مباحة للفساد وللترف. وشعارنا ضد هذا: العنف، وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشئ المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لا ريب فيه. وإنما بالعنف وحده يتم لنا الغلب فى الأمور السياسية، ولا سيما إذا كانت أدوات العنف مخيفة، من المواهب الذهنية مما هو ضرورى

لرجال السياسة. فالعنف يجب أن يُتخذ قاعدة وكذلك المكر والخداع، وما قلناه مما ينبغى أن يكون شعارًا، كل هذا فائدته العملية أن يتخذ قاعدة فى الحكومات التى يراد أن تتخلى عن تيجانها تحت أقدام الممثل الجديد لعهد جديد. وهذا الشر هو الوسيلة الوحيدة لبلوغ الغاية المقصودة من الخير. ولذلك لا ينبغى لنا أن نتردد فى استعمال الرشوة والخديعة والخيانة، متى لاح لنا أن بهذا تحقق الغاية. وفى السياسة يجب على الواحد المسؤول أن يعرف كيف تقتنص الفرص فورًا، إذا كان من نتيجة ذلك الاستسلام إلى السلطة الجديدة.

ودولتنا الماضية قُدُمًا فى طريقها، طريق الفتح السلمى، من حقها أن تبدّل أهوال الفتن والحروب بما هو أخف وأهون، وأخفى عن العيون، وهو إصدار أحكام بالموت، ضرورية، من وراء الستار، فيبقى الرعب قائما، وقد تبدلت صورته، فيؤدى ذلك إلى الخضوع الأعمى المبتغى.

قل هى الشراسة. ومتى ما كانت فى محلها ولا تتراجع إلى الرفق، غدت عامل القوة الأكبر فى الدولة. وإن تعلّقنا بهذا المنهج، ولا يراد به المكسب والمغنم فحسب، بل نريده أيضًا من أجل الواجب انتحاء بالقافلة نحو النصر، ونعود فنتقرر أنه هو العنف، وأخذ الناس بالحيلة ليعتقدوا أن الشئ المتعلقة به الحيلة كأنه صحيح لا ريب فيه.

فى الزمن الماضى، كنا نحن أول من نادى فى جماهير الشعب بكلمات الحرية والعدالة والمساواة، وهى كلمات لم تزل تردد إلى اليوم، ويرددها من هم بالببغاوات أشبه، ينقَضّون على طُعم الشرك من كل جو وسماء، فأفسدوا على العالم رفاهيته كما أفسدوا على الفرد حريته الحقيقية، وكانت من قبل فى حرز من عبث الدهماء.

والذين يرجى أن يكونوا حكماء عقلاء من الغوييم، وأهل فكر وروية، لم يستطيعوا أن يفهموا شيئًا من معانى هذه الألفاظ التى ينادون بها، الفارغة الجوفاء؛ ولا أن يلاحظوا ما بين بعضها بعضًا من تناقض وتضارب، ولا أن يتبينوا أن ليس فى أصل الطبيعة مساواة، ولا يمكن أن تكون هناك حرية، إذ الطبيعة هى نفسها قد صنعت الفروق فى الأذهان والأخلاق والكفايات، وجعلت هذه الفروق ثابتة كثبات الخضوع لها فى سننها ونواميسها. وعَجَز أولئك أيضًا عن أن يدركوا أن الدهماء قوةٌ عمياء، وأن النخبة الجديدة المختارة منهم لتولى المسؤولية، هى خلوٌ من التجربة. وهى بالقياس إلى ما تتطلبه السياسة، عمياء كالدهماء، حتى ولا فرق. واللوذعى وإن كان مجنونًا فبوسعه أن يصل إلى الحكم، بينما غير اللوذعى، ولو كان عبقريا، فلا يدرك كنه السياسة. وهذه الأشياء كلها لم يفقه الغوييم من بواطنها وأسرارها شيئًا، ومع هذا، فقد كانت عهود الحكم، وحكم السلالات فى الماضى عند الغوييم، ترسو على هذه الأغاليط، فكان الأب ينقل إلى ابنه معرفة أصول السياسة بطريقة لا يشارك فيها أحدٌ إلا أفراد السلالة، ولا أحد منهم يفتح هذا الباب للرعية. ومع اطراد الزمن صار معنى احتكار هذا الأمر فى السلالات يعروه الإبهام والكمود، حتى تلاشى واضمحلّ. وهذا بالنتيجة ساعد فى إنجاح قضيتنا.

وفى جميع جنبات الدنيا، كان من شأن كلمات حرية - عدالة - مساواة أن اجتذبت إلى صفوفنا على يد دعاتنا وعملائنا المسخرين، مَنْ لا يحصيهم عدّ من الذين رفعوا راياتنا بالهتاف. وكانت هذه الكلمات، دائمًا هى السوس الذى ينخر فى رفاهية الغوييم، ويقتلع الأمن والراحة من ربوعهم، ويذهب بالهدوء، ويسلبهم روح التضامن، وينسف بالتالى جميع الأسس التى تقوم عليها دول الغوييم. وهذا ساعدنا أيضًا فى احراز النصر، على ما ترون من البيان بعد قليل: فمما أعطانا المُكنة التى توصلنا بها إلى الورقة الرابحة، هو سحق الامتيازات، أو بتعبير آخر، نسف ارستقراطية الغوييم نسفًا كليًا تامًا، وقد كان أهل هذه الطبقة هم الوفاء الوحيد للدفاع فى وجهنا من وراء الشعوب والبلدان. وعلى انقاض ارستقراطية الغوييم وارث محتدها القديم، بنينا ارستقراطية من طبقتنا المتهذبة الراقية، تتوّجها ارستقراطية المال. وجعلنا أوصاف ارستقراطيتنا مستمدة من نبعتين: المال، وهذا أمره يقع على عاتقنا، والمعرفة، وهذه تستقى من حكمائنا الشيوخ، وهذا منهم هو القوة الدافعة.

والظفر الذى بلغناه، قد جاء ايسر واهون، لأننا فى تعاملنا مع الناس الذين احتجنا اليهم، كنا دائمًا نضرب على أدق الأوتار حساسية فى ذهن الإنسان، ومن جملة ذلك الدفع نقدا، واستغلال النهمة نحو المال، والشره إلى الحاجات المادية للإفساد، وكل واحدة من هذه النقائص الإنسانية، إذا عملت وحدها، كانت كافية لتشلّ نشاط الفرد كله، وتجعل قوة ارادته مطاوعةً ملبية، مستجيبة للذى اشترى منه العمل.

وكان من شأن المعنى المجرد لكلمة «الحرية» أن عضَّدَنا فى اقناع الدهماء فى جميع البلدان أن حكوماتهم ما هى إلا حارس الشعب والشعب هو صاحب القضية، فالحارس يمكن تغييره وتبديله، كقفاز قديم نبذ وجئ بجديد.

وإنما هى هذه المُكنة، مكنة تبديل ممثلى الشعب، ما جعل الممثلين طوع امرنا، وأعطانا سلطة تسخيرهم.

* * *

البروتوكول الثانى

الحروب الاقتصادية - أسس التفوق اليهودى - الحكومات الصورية والمستشارون السريون - نجاح التعاليم المدمّرة - المرونة فى السياسة - الدور الذى تمثّله الصحف - ثمن الذهب وقيمة الضحايا اليهودية.

إن غرضنا الذى نسعى إليه، يحتم أن تنتهى الحروب بلا تغيير حدود ولا توسع اقليمى، وينبغى تطبيق هذا ما أمكن. فإذا جرى الأمر على هذا قدر المستطاع، تحولت الحرب إلى صعيد اقتصادى وهنا لا مفرّ أن تدرك الأمم من خلال ما نقدم من مساعدات، ما لنا من قوة التغليب، تغليب فريق على آخر، ومن التفوق، ونفوذ اليد العيليا الخفية. وهذا الوضع من شأنه أن يجعل الفريقين تحت رحمة عملائنا الدوليين الذين يملكون ملايين العيون اليقظة التى لا تنام، ولم مجالٌ مطلق يعملون فيه بلا قيد. وحينئذ تقوى حقوقنا الدولية العامة على محق الحقوق القومية الخاصة، فى نطاق المعنى المألوف لكلمة حق، فيتسنى لنا أن نحكم الشعوب بهذه الحقوق تمامًا كما تحكم الدول رعاياهم بالقانون المدنى داخل حدودها.

* * *

والأشخاص الذين نختارهم من صفوف الشعب اختيارًا دقيقًا ضامنًا لنا أن يكونوا كاملى الاستعداد للخدمة الطائعة، لن يكونوا من طراز الرجال الذين سبق لهم التمرس بفنون الحكم والحكومة، حتى يسهل اقتناصهم ووقوع الحكم فى قبضة يدنا، فتتخذ منهم مخالب صيد، ويتولاهم منا أشخاص أهل علم مكين وعبقرية، يكونون لهم مستشارين من وراء ستار، واختصاصيين وخبراء، وهؤلاء الرجال المختارون منا، يكونون قد نُشّئوا منذ الصغر تنشئةً خاصة، وأهلوا لتصريف شؤون العالم تأهيلاً كاملاً، ويكونون، كما تعلمون، قد مضى عليهم زمن، وهم يرتضعون معلوماتهم التى يحتاجون إليها، من مناهجنا السياسية ودرس التاريخ، ومن ملاحظة سير الحوادث وهى تقع على توالى الوقت. أما الغوييم فقد بَعُدَت الشقة بينهم وبين إن يكونوا قادرين على الاهتداء إلى الحكمة، بالملاحظة التاريخية غير المتحيزة، إذ جُلُّ ما تبلغ استنارتهم به هو الطرق النظرية على نمط رتيب، دون أن يتعمقوا فى تسليط العين الفاحصة النافذة على مدار النتائج للحوادث. فليس بنا من حاجة، والحالة هذه، أن نقيم لهم أىّ وزن - فلندعهم فى حالهم وما يشتهون ويحبّون، حتى تأتى ساعة اقتناصهم، أو يظلوا يعيشون على الآمال تنتقل بهم من مشروع خيالى إلى آخر، ويتباهون بذكريات ما سبق لهم

التمتع به من لُبَانات. وليبق هذا كله دورهم الرئيسى الذى يمثلون. وقد نجحنا فى إقناعهم بأن ما لديهم من معلومات نظرية، إنما هو من حُرِّ محصول العلم. وما دام غرضنا هو هذا، فدأبنا بواسطة صحفنا أن ترسخ فيهم الاعتقاد بصحة ما يحملون من نظريات وآراء. أما أهل الفكر منهم، فينتفخون ازدهاءً بما لهم من حظ المعرفة، وتراهم، وهم غُفلٌ عن الاستعانة بوضع التجربة على محك المنطق، يندفعون إلى وضع نظرياتهم موضع العمل، ولكن ما هو فى نظرهم علم ومعرفة، إن هو فى الواقع إلا ما عُنِىَ عملاؤنا الاختصاصيون بتصنيفه لهم بحذقٍ ومهارةٍ، وهيَّأ هذا كله لتتنور أذهانهم به على الاتجاه الذى نريد.

إياكم أن تعتقدوا ولو للحظة واحدة، إن ما أقول هو من الكلام القليل الجدوى: فما عليكم إلا أن تتفكروا فى ما صنفنا لإنجاح النظريات الدرونية والماركسية والنيتشية. أما نحن اليهود، فما علينا إلا أن نرى بوضوح ما كان لتوجيهاتنا من أثرٍ خطير فى التلبيس على إفهام الغوييم فى هذا المجال.

ولا بد لنا فى منهجنا هذا، إن نأخذ بعين الاعتبار، ما عند الأمم من طراز فكر، وخلق، ونزعة، واتجاه. وإنما نفعل هذا لكى نحترز به من الانزلاق فى معالجاتنا السياسية والتوجيه الإدارى، فلا نعثر ولا نكبو. وإن انتصار منهجنا، الموزعة اجزاؤه على مختلف المناحى توزيعًا يصيب كل ناحية بما يؤاتيها منه، حسب امزجة الشعوب التى تقع فى طريقنا - أن انتصارنا المتوخى، قد يفشل ويحبط دون إدراك الغاية، إذا كان تطبيقنا للمنهج ليس مبنيًا على الأحكام المستمدة من صفوة دروسنا الماضية، نطبقها على ضوء الحاضر.

* * *

ولا يخفى أن فى أيدى دول اليوم آلةً عظيمة تستخدم فى خلق الحركات الفكرية، والتيارات الذهنية، الا وهى الصحف. والمتعين عمله على الصحف التى فى قبضتنا، أن تدأب تصيح مطالبة بالحاجات التى يفترض أنها ضرورية وحيوية للشعب، وأن تبسط شكاوى الشعب، وأن تثير النقمة وتخلق أسبابها، إذ فى هذه الصحف يتجسد انتصار حرية الرأى والفكر. غير أن دولة الغوييم لم تعرف بعد كيف تستغل هذه الآلة، فاستولينا عليها نحن، وبواسطة الصحف نلنا القوة التى تحرِّك وتؤثر، وبقينا وراء الستار. فمرحى للصحف، وكفُّنا ملئٌ بالذهب، مع العلم أن هذا الذهب قد جمعناه مقابل بحار من الدماء والعرق المتصبب. نعم، قد حصدنا ما زرعنا، ولا عبرة إن جلّت وعظمت التضحيات من شعبنا. فكل ضحية منا أنها لتضاهى عند الله ألفًا من ضحايا الغوييم.

البروتوكول الثالث

الأفعى الرمزية ومغزاها - الاختلال فى الموازين الدستورية - الإرهاب فى القصور - وسائل القوة والمطمح - المجالس النيابية و«الثرثارون» من خطباء وكتّاب - سوء استعمال السلطة - العبودية الاقتصادية - اسطورة «حقوق الشعب» - نظام الاحتكار والأورستقراطية - جيش اليهودية الماسونية - تناقص الغوييم - المجاعات وحقوق رأس المال - الدهماء وتتويج الملك السيد على العالم كله - القاعدة الأساسية للتعليم فى المدارس الأهلية - الماسونية فى المستقبل - السر العلمى فى حقيقة هيكل المجتمع وتركيبه - الأزمة الاقتصادية العالمية - ضمان الأمان لشعبنا - السلطة المطلقة فى الماسونية وقيام المملكة التى يسودها العقل - لا فائدة ولا مرشد - الماسونية والثورة الفرنسية الكبرى - الملك المتسلط المستبد من نسل صهيون - الأسباب التى تولى الماسونية المناعة فلا تقهر. الدور الذى يمثله عملاء الماسونية السريون - الحرية.

بوسعى اليوم أن أعلمكم أن هدفنا قد تدانى واقترب، فلم يَبْقَ بيننا وبين الوصول إليه إلاّ بضع خطوات، فى مسافة قصيرة. وبنظرةٍ إلى الوراء، ندرك أن الطريق الطويلة التى اجتزناها كادت تنتهى، ثم تقفل الأفعى الرمزية دورتها، وهذه الأفعى هى رمز شعبنا فى قيامه بهذه المراحل. وعندما تغلق هذه الحلقة، تمسى الدول الأوروبية جميعًا محصورةً ضمن دائرتها، والأفعى قد تكورت من حولها كالكُلابة.

* * *

وإننا سنرى موازين الدساتير لأيامنا هذه عما قريب تنهار، إذ نحن أقمناها ونصبناها، وجعلناها على شئ من الخلل فى تركيبها عمْدًا، بحيث تبقى دائمة الحركة على مدارها، بين أن تشيل تارةً وترجع طورًا، لتذوب وتتلاشى مادتها فى النهاية، كما يذوب بالتالى مدارها كله. وأما الغوييم، فهم تحت الاعتقاد الموهوم أنهم أحكموا وأحصفوا اقامة هذه الموازين، وراحوا يعلقون عليها الأهمية، وينتظرون حسن انتظام سيرها، لعلهم يدركون يوما ما يأملون. غير أن مدارات الموازين - الملوك الذين هم على العروش - هم فى شغل عن ذلك لأنهم غدوا محوطين بأمر ممثلى الشعب ونوابه، وجعَلَ هؤلاء يرقصون للملوك على كل لحن يلذّ لهم، وتوزعت السلطة فوضى، يتناتشها كل فريق قدر استطاعته، والسلطة التى بيد هؤلاء الممثلين إنما وصلت اليهم عن طريق الإرهاب الذى بالتالى وصل زفيره إلى داخل القصور. وتقطعت الحبال التى ينبغى أن تكون الصلة بين الملك والشعب، فلا شئ بعد ذلك يصل بينهما. فبقى الملك على عرشه خائفًا يترقب، يتوقع مداهمة البغتات من الطامعين فى السلطة. ونحن قد أنشأنا برزخا يفصل بين السلطة العليا للدولة، وسلطة الشعب العمياء، فصار كل فريق فى حيّز، وفقَدَ معناه

وصار أمرهما كالأعمى قد حيل بينه وبين عصاه.

ولكى نحرّض طلاّب الوصول إلى السلطة على أن يَثِبوا إلى ما يشرهون إليه ويسيئوا استعماله، فقد حركنا جميع قوى المعارضة فى مختلف جبهاتها، ليقوم هذا فى وجه ذاك، ونفخنا فى كلٍّ منهم الروح التى تهزّه، فانطلقوا بنزعاتهم الليبرالية نحو طلب الاستقلال، وإيقاعًا للإخلال، ولا مهرب، فقد جارينا كل فريق وما يهوى، وسلحنا جميع الأحزاب، وجعلنا الوصول إلى السلطة الغرض المقدس فوق كل شئ. وأما الدول، فاتخذنا من منازعاتها حلبة صراع حيث يشتد التصادم والاقتتال. ولن يمضى بعد هذا إلا القليل من الوقت حتى العالم أجمع يأخذ يتخبط فى الفوضى والإفلاس.

واتخذ طلاب الوصول، وهم أكثر من أن يُحصوا، من قاعات البرلمانات والمجالس الإدارية العالية، ساحات ومنابر للخطابة الرخيصة. وكثر الصحافيون المحترفون وأصحاب الأقلام الذين يعيشون على حرفة التحرش والوقيعة، ودأبهم أن يطرقوا كل يوم أبواب السلطة التنفيذية للأجر والمكافأة. واتسع شيوع المخازى من سوء استعمال صلاحيات الوظائف اتساعًا يدلّ على أن مؤسسات الدولة بأصولها وفروعها، قد تهيأت ونضجت لتعصف بها الرياح المقبلة، فيثور الشعب برعاعه ودهمائه، ويجعل عالى الأمور سافلها.

* * *

وترى الشعب الآن قد نهشته أنياب الفقر، فصار فى عبوديته أسوأ من عبودية رقّ الرقَبَة ورق الأرض من قبل، وأمره مغلق. أما العبودية القديمة، فقد كان أمرها أهون، إذ يستطيع الشعب التحرر منها بوسيلة ما، أمّا من هذا الفقر المدقع المحيط به، فلا أمل له فى النجاة، وقد جعلنا الدساتير تنص على الحقوق نصًا صريحًا، وهى ما يسمى بحقوق الشعب. وأما الشعب نفسه، فإنه لا يناله من هذا شئ، وهو لا يجد هذه الحقوق إلا خيالاً وسرابًا، ويوقن العامل الكادح أن لا جدوى له من تلك النصوص الفارغة والخطب الجوفاء فى القاعات، إذ يدور حول نفسه، فإذا به باقٍ على الطوى يعانى الشدائد، ولا يصيبه أىُّ خير من الدستور ونصوصه، إلا ما يتساقط عليه من فتات الموائد فى مواسم الانتخابات العامة، لينتخب المرشح الذى يُملى عليه اسمه من قِبَل عملائنا. والحقوق التى ينالها فى بلاد الحكم الجمهورى ليس له منها إلا المرارة، وهى لا تخفف من أعبائه شيئًا، بل تسلبه من الناحية الأخرى جميع الضمانات التى تكفل له بعض الأجور المنتظمة، وتجعله يلجأ إلى الإضرابات مع رفاقه، أو تراه موقوفًا محجوزًا عليه بأمر سادته.

والشعب بإرشادنا قد محا الطبقه الارستقراطية التى كانت تدافع عنه وتحميه لمنفعتها منه إذ مصالحهما مشتركة. ونرى الشعب اليوم بعد نسفه الطبقة الارستقراطية، قد أطبقَتْ

على مخنقه أيدى صغار المرابين يمتصونه امتصاص العَلَق، فاسترقوه وقيّدوه.

فنأتى نحن الآن بدورنا، ونظهر على المسرح مدّعين حبّ انقاذ العامل الفقير مما هو فيه من بلاء. فندعوه أن ينتظم فى صفوف جندنا المقاتل تحت لواء الاشتراكية والفوضوية والشيوعية، وأما حملة هذه الألوية فمن دأبنا أن نساعدهم اتباعًا لقاعدة أخوية مزعومة وهى تضامن الإنسانية، وتلك من قواعد الماسونية عندنا. أما الطبقة الارستقراطية التى يُوليها القانون الوسيلة لتستثمر تعب العمال البائسين، فإنها أمست الآن مرتاحة قريرة العين، إذ ترى هؤلاء العمال قد اكتسوا، وَرُدَّت إليهم العافية فى ابدانهم. هذا، بينما خطتنا نحن، على النقيض من هذا تمامًا: أن تسود الفاقة، ويتناقص كيان الغوييم. وآلتنا تكون قوية، إذ استحكمتْ حلقات المجاعة وازمنت، وحلّ الهُزّال بالعامل، فيكون ممنى هذا كله أن العامل أصبح فى الطريق إلى أن يمسى مستعبدًا لإرادتنا، وهو يعلم انه لن يجد فى حكومته المُكنة ولا الطاقة ولا الهمة ولا العزم، ليقف شئ من ذلك فى طريقنا. والجوع يخلق لرأس المال الحق ليتحكم بالعامل تحكمًا مارست مثله الطبقة الارستقراطية فى أيامها، حتى ولو كان الملوك من ورائها يُعدُّونها بسلطة القانون.

* * *

وبالفاقة، وما تولده وتفرّخه من حسد وبغضاء، نستطيع أن نهيج الدهماء ونحوّل أيديهم إلى سلاح يدمرون به ما يكون فى طريقنا من عقبات. ومتى ما دقت الساعة منذرةً بمجئ مولانا الملك، ملك العالم كله، ليعلو التاج مفرقيه، ستكون هذه الأيدى العمالية نفسها، هى الأيدى التى تزيل من الطريق كل عقبة.

* * *

ونرى الغوييم قد فقدوا صحة التفكير كأنهم فى ضلال، إلا إذا أيقظتهم مقترحات الاختصاصيين منا، فهم أقصر نظرًا من أن يروا ما نرى نحن، من الضرورة التى تقضى بإحداث ما سنُحْدث يوم تقوم مملكتنا، وأول ذلك، وهو بالغ الخطورة، إدرارة التعليم فى المدارس الوطنية الأهلية، بحيث يقتصر على تعليم عنصر واحد بسيط من عناصر المعرفة، وهو أسّ المعارف كلها: كيف يتركب كيان الحياة الإنسانية، والكيان الاجتماعى. وهذا يقضى بتقسيم العمال إلى فئات، وبالتالى تقسيم الناس إلى طبقات، ولكل طبقة أوضاعها، ويكون من الضرورى أن يعلم الجميع أنه بسبب اختلاف الغايات من النشاط الإنسانى، لا يمكن أن تكون هناك مساواة. ولا يستوى اثنان فى ميزان واحد: فإن الذى يعمل عملاً تتأثر بنتائجه طبقة بكاملها، ليس على استواء أمام القانون مع الذى يعمل عملاً لا يتأثر بنتائجه إلا هو نفسه، صانع العمل، وحده، وسيكون من شأن المعرفة الصحيحة لتركيب بنية المجتمع، وعلى أسرار

هذا لا نطلع الغوييم، أن تظهر لجميع الناس أن العمل وما يلزمه من وضع، كل ذلك يجب أن يضبط ضبطًا ضمن حدود معينة، حتى لا يبقى بعد ذلك سبب يجر الإنسانية إلى الشقاء، مما يؤدى إليه التعليم الحالى الذى لا يتفق مع العمل الذى يطلب من الأفراد القيام به. وبعد الإحاطة الوافية بهذه المعرفة، سيبادر الناس من تلقاء أنفسهم إلى طاعة السلطة وقبول الأوضاع التى تعينها لهم الدولة. أما قيمة المعارف فى الوقت الحاضر، وما أعطيناه من إرشاد لتوجيهها، فظاهرٌ فى أننا نرى الشعب الذى يصدّق كل ما تقع عليه عينه فى الصحف والكتب يبطن الكراهة العمياء لأىّ وضع يراه أعلى من وضعه الحالى، وسبب هذه الكراهة ناشئ عن عدم فهمه شيئًا من معنى الطبقة، ولا من معنى الوضع اللازم لها، وهو مخبول فى أمره، بما نلقى إليه من تلقين يضلّله، ويزيد من جهالته.

* * *

وهذه الكراهية ستبلغ أمدًا أبعد، إذا ما هبّت عليها رياح أزمةٍ اقتصادية تجمّد التعامل فى البورصات، وتشل دواليب الصناعة، وإننا بالوسائل السرية التى فى أيدينا، سنخلق أزمة اقتصادية عالمية لا قِبَل لأحد باحتمالها، فتقذف بالجموع من رعاع العمال إلى الشوارع، ويقع هذا فى كل بلدٍ أوروبى بوقتٍ واحد. وهذه الجموع ستنطلق هازجة إلى الدماء تسفكها بنهمة وقَرَم، هى دماء الطبقة التى يكرهها العمال من المهد، وتنطلق الأيدى فى نهب الأموال ويبلغ العبث أمده الأقصى.

أما أموالنا نحن، فلن يمسها العمال، لإننا نكون واقفين على مواقيت حركاتهم وسكناتهم، فإذا ما حاولوا أن يتوجهوا نحونا، عرفنا كيف نصدّهم ونحمى جهتنا من عدوانهم.

وقد بينًا من ناحيتنا أن التقدم المادى من شأنه أن يجعل الغوييم يثوب إلى حكم العقل ويستظل بظله. وهذا بعينه ما ستفعله سلطتنا المستبدة. فهى تعلم كيف إنها تستطيع بالقسوة الحكيمة العادلة أن تستأصل جذور الاضطراب وتسكّن هائجه، وإن تتناول الليبرالية بالكىّ لتبرأ من علتها، ولا تتناول بالكى غيرها من المؤسسات.

وإذا ما رأى سواد الشعب، بطبقته العامة، أن جميع الامتيازات التى كانت للطبقات الأخرى قد زالت، كما زال أيضًا ما كانت عليه تلك الطبقات من هوى وانغماس، فإنه يَلج باب الاعتقاد أنه هو صائر سيدًا مطاعًا، ولكنه يبقى سرا لا يعلم أنه هو، وقد نَسَف بيته بيده، أمسى كالأعمى الذى واجهه ركلمٌ من حجارة فعثر، وكلما حاول أن ينهض عاد فعثر ثانية، فراح يستنجد بمن يكشف له الطريق فازداد بلبلة، وغاب عنه أن الأولى به أن يعود إلى الوراء، إلى وضعه السابق. وفى النهاية يستسلم بجميع ما لديه تحت أقدامنا. تذكروا الثورة الفرنسية التى نحن أطلقنا عليها نعت الكبرى، فإن أسرار تدابيرها عندنا لإننا نحن صنعنا ذلك بأيدينا.

ولم نزل منذ الثورة الفرنسية نقود الشعوب وتحررها من طلاسم الشعبذات، الاعتقاد أنها تستطيع أن تفعل ما تشاء. وشكرًا لهذه الحال: فالشعب يدمر كل شئ وطيد ثابت، ويخلق الاضطراب فى كل خطوة يخطوها.

فكلمة حرية تجرّ الجماعات إلى مقاتلة كل قوة وسلطة، حتى إنها لتقاتل اللّه وتقاوم سننه فى الطبيعة. ولهذا السبب نحن متى ما اقمنا ملكنا، سنمحو هذه الكلمة من معجم الحياة، لأنها توحى بمبدأ القوة الغاشمة التى تجعل الدهماء عطاشًا إلى الدماء كالحيوانات.

* * *

ومن طبيعة هذه الحيوانات حقًا انها تأخذها سِنَةُ النوم إثرَ كل مرةٍ تجرع فيها كأسًا دهاقًا من الدم، وبينما هى كذلك مستكنة، يسهل وضع القيد فى ارجلها، ولكن اذا لم يتسنّ لها شراب الدم فلا تنام، وتبقى آخذة بالعراك.

* * *

البروتوكول الرابع

الأدوار التى تجتازها الجمهورية - الماسونية الأممية عند (الغوييم) - الحرية والإيمان - المنافسة الدولية الاقتصادية - دور المضاربات. عبادة الذهب.

كل جمهورية لا بد لها أن تجتاز عدة ادوار فى حياتها. فالأول يتضمن ايامها الأولى بعد قيامها، وهنا تبرز عناصر الهوج والجنون، وتسوّد يد الهمج والرعاع، يتمايلون بالعهد يمنة ويسرة تمايل الثمل. والثانى، تبرز فيه أوشاب الشعب، التى تتبع كل ناعق يقوم فيها داعيًا محرضًا، وهنا المشّ الذى تخرج منه الفوضوية وتأخذ بالتلابيب. وهذا فى مآله ظهور المستبد المتسلط - ولا شرعية يستند اليها ولا يعمل فى وضح النهار، ومع هذا فهو متسلط - يحمل تبعة، ومسؤول ايضًا، لكنه مسؤول الى قوة خفيّة غير منظورة. أو الى منظمة سرية، تديره من وراء حجاب، وهذه تخبط على ما يحلو لها بلا وازع ولا رادع، لأنها انما تعمل فى الخفاء، مستترة وراء العملاء الذين يتبدلون، وتبدّلهم ليس منه أذى، بل يساعد القوة الخفية من باب التوفير المالى فيرفع عنها نفقات جزيلة كانت تؤدى مكافآت على خدمات طويلة عريضة، ثم يتبدل هذا بغيره ويجرى الأمر دواليك شوطًا بعد شوط.

فمن ذا الذى يكون فى وضع مؤات، أو ما هى الناحية التى تلابسها أوضاع مؤاتية، لنسف هذه القوة الخفية؟ هذا كله حاصل لنا نحن، ومن يستطيع نسف تلك القوة الخفية؟ هو نحن. والماسونية الأممية، (الغوييم) تخدمنا خدمة عمياء، بأن تكون ستارًا نحتجب من ورائه نحن واغراضنا وصور خططنا، لكن مخططنا المعدّ للعمل مع التنفيذ، يبقى هذا كله على طبيعته كما يبقى المكان الذى يوجد فيه، سرًا عميقًا لا يطلع عليه أحد.

* * *

والحرية فى الموطن الذى ذكرناه الآن، لا تكون ضارةً، ويمكن أن تجد لها محلاً فى اقتصاد الدولة، دون أن يسبب ذلك أىّ أذى للناس فى رفاهيتهم، وذلك الموطن هو أن تقوم الحرية على أساس الإيمان بالله وأخوة الإنسانية، غير متعلقة بعقيدة المساواة، وهى العقيدة التى تنفيها نواميس الكون، وهذه النواميس أوجبت وقوع التباين فى المخلوقات، بالخضوع والاتباع. فإذا ساد الإيمان بالله، فيمكن أن يحكم الشعب، بأن تقسم الأرض إلى أقاليم، وعلى كل إقليم راعيه الوصىّ، فيسير الشعب راضيًا قنوعًا تحت إرشاد الراعى الروحى، إلى ما فيه

مشيئة الله على الأرض، وهذا هو السبب فى أنه من المحتم علينا أن ننسف الدين كله، لنمزق من أذهان الغوييم المبدأ القائل بأن هناك آلهًا ربًا، وروحًا، ونضع موضع ذلك الأرقام الحسابية والحاجات المادية. ولكى لا نعطى الغوييم وقتًا للتفكير والروية، فيجب تحويل أذهانهم إلى الصناعة والتجارة. وبهذا، تبتلع جميع الأمم وهى مشغولة بالانسياق وراء الكسب والغنم، فتلهو بما فى ايديها، ويصرفها ذلك عن الالتفات إلى من هو فى نظرها العدو المشترك. ونقول مرة أخرى، إنه من أجل أن نرى الحرية قد سببت ملاشاة الغوييم إلى آخر اثر، يجب أن نضع الصناعة على قواعد التنافس والمزاحمة. ونتيجة ذلك أن ما يسحب من البلاد بالصناعة، ينزلق ويتسرب إلى الأيدى ويمضى إلى المضاربة، ونهايته بعد ذلك إلينا، فيستقر فى حيز طبقاتنا نحن.

* * *

والصراع العنيف فى طلب التفوق والغلبة، والهزات التى تصيب الحياة الاقتصادية، كل ذلك سيخلق، كلا، بل خلق الآن، جماعات وطوائف من الناس ذاهلة، تعروها البرودة، وكأن أفئدتها قد تهاوت وفرغت. وهذه الجماعات سيطرأ عليها ما ينمى فى نفسها المقت للجو السياسى الذى فوقها، وللدين. فلا يبقى لها من سلوى إلا أن تغتبط بجمع المال والكسب، أعنى الذهب الذى ستعبده، وتفنى فى سبيله، من أجل أن تنال به ما تبتغيه من حاجات محسوسة. ثم تدق الساعة، فإذا بالطبقات السفلى من الغوييم تنضوى إلى قيادتنا فى الزحف لتحطيم خصومنا المشرئبين الي السلطة، وهم أهل الفكر في الغوييم، فيرون في هذا الدور النهاية، والدافع لتلك الطبقات السفلى فى الاستجابة لنا، لا إحراز المغانم، ولا جمع المال، بل للثأر من تلك الطبقة الفكرية التى حانت الآن ساعتها لتلقى المصير الذى ينتظرها.

* * *

البروتوكول الخامس

إنشاء حكومة مركزية ضخمة. وسائل القبض على أزمة السلطة بواسطة الماسونية. الأسباب التى من اجلها يستحيل وقوع الاتفاق بين الدول. دولة اليهود التى تقوم عن سابق اختيار من الله. الذهب: هو من الدول كالمحرك من الأجهزة الآلية. ما للانتقاد والتجريح من بالغ التأثير فى التهديم والتقويض. اقامة «المعارض» فتنة فى مظاهرها. ما لصناعة «غزل الكلام» من تأثير فى التفتيت. كيف يقبض على أعنة الرأى العام. أهمية نشاط الفرد. الحكومة العليا فى العالم.

ما هو شكل الحكم الادارى الذى ينبغى أن يُعطى الى جماعات قد استشرى فيها الفساد، وتغلغل فى كل جنباتها؟ جماعات، المال لا يدور فيها الا بوسائل أشبه بالاحتيال، وهو أقرب الى الاختلاس، مجتمعها مسترخى الزمام، منحل الضابط، والآداب العامة فيه لا تحفظ إلا بأن يكون قانون العقوبات مسلطاً فوق الرؤوس، والتدابير الصارمة على طرف الثمام، ولا رعاية للأخلاق طوعاً من وازع النفوس، اذ هنا الشعور نحو الدين ومسقط الراس قد محته معتقدات مستبضعة من اسواق عالمية، ورأى شكل من الحكم ينبغى أن يطبق على هذه الجماعات سوى الحكم المطلق الذى سأصفه لكم؟ القبض بأيدينا على جميع الأعنة!! وسنضبط ضبطاً محكماً مسارب نشاط الحياة السياسية لرعايانا بقوانين جديدة لم يعرف مثلها من قبل. ومن شأن هذه القوانين أن تزيل كل الاباحيات والحريات المطلقة مما اجازه الغوييم لنفوسهم، وبهذا ستتميز مملكتنا بسلطة مطلقة فريدة رائعة الأوضاع والتقاسيم، وعلى استعداد فى أى زمان ومكان لأن تجرف أيما كان من جنس الغوييم ممن يعارضنا بفعل أو قول.

وسيقال لنا أن هذه السلطة المطلقة لا تتمشى وتقدم هذا العصر الذى نعيش فيه، ولكنى ابرهن لكم على أنها تتمشى ولا غبار عليها.

ففى الزمن الغابر، لما كانت الشعوب تنظر الى الملوك المتبوئة العروش، كأنها تنظر الى من تجلت فيه ارادة الله، كانت تلك الشعوب وقتئذ خاضعة لشرب عقول الشعوب عقيدة أن لهم حقوقاً، شرعوا يعتبرون الجالسين على الأرائك بشراً وقوماً عاديين يأتى عليهم الفناء كسائر الناس. والزيت المقدس الذى مُسِحَ به رأس الملك الذى هو ظل الله على الأرض، زيت عادى غير مقدس فى عيون الشعب، ولما سلبناهم ايمانهم بالله، فاذا بجبروت السلطة يرمى به الى الشوارع حيث حق التملك هو حق الجمهور، فاقتصناه نحن.

وفوق ذلك، فإن فن توجيه الجماهير والأفراد بوسائل تُتقن إلقاءَ النظريات وإشباعها بكثرة الكلام حولها، مما يرمى الى ضبط مدار الحياة المشتركة بهذا وغيره من الحيل التى لا يعرف الفوييم من اكتناه اسرارها شيئاً . ان هذا الفن، عندنا نحن أربابه الاختصاصيون الذين تلقوا اصوله من ينابيع أدمغتنا الادارية، فهؤلاء الاختصاصيون قد نشأوا على التمرس بالتحليل والملاحظة، ومعاناة حصر الدقائق فى القضايا الحساسة الرفيعة، وفى هذا المضمار ليس لنا ند ولا نظير فى رسم المخططات للنشاط السياسى ومعالجة المسؤوليات. وفى هذا المجال لا يضاهينا أحدٌ إلا الجزويت، لكننا نحن قد ابتدعنا من الطرق ما يصلح لإسقاط هيبتهم عند الدهماء وسواد الناس الذين لا يفكرون إلا سطحياً، وإنما تمكنا من الجزويت لأن مؤسستهم مكشوفة، بينما نحن استطعنا أن نبقى أجهزتنا السرية مُغطاةً محجوبة كل الوقت. وعلى كلٍّ، فالعالم قد لا يبالى شيئاً بمن يتبوأ عرشه، أهو رأس الكثلكة أم المتسلط الذى يَظهر منا متحدراً بدمه من صهيون؛ هذا من جهة العالم، أما من جهتنا نحن فهذا الأمر يهمنا جداً، فاننا الشعب المختار، والمسألة تقتضى منا كل المبالاة.

وإذ قام فى وجهنا غوييم العالم جميعاً، فيجوز أن تكون لهم الغلبة، لكن مؤقتاً. ولا خطر علينا من هذا، لأنهم فى نزاع فيما بينهم، وجذور النزاع عميقة جداً إلى حد يمنع اجتماعهم علينا يداً واحدة، أضف الى هذا أننا قد فتنا بعضهم ببعض الأمور الشخصية والشؤون القومية لكل منهم. وهذا ما عنينا به بديمومته عليهم وتنميته مع الأيام خلال العشرين قرناً الأخيرة، وهذا السبب الذى من أجله لا ترى دولة واحدة تستطيع أن تجد عوناً لهم إذا قامت فى وجهنا بالسلاح، إذ كل واحدة من هذه الدول لا تنسى أن تعلم ان الاصطفاف ضدنا يجرها إلى الخسارة.. اننا جد أقوياء، ولا يتجاهلنا أحد، ولا تستطيع الأمم أن تبرم اى اتفاق مهما يكن غير ذى بال، إلا إذا كان لنا فيه يد خفية.

Per me reges regnant. "It is throught me that Kings reign".

منى يستمد الملوك سلطتهم.

وجاء على لسان الأنبياء أننا نحن اختارنا الله لنحكم الأرض كلها، والله منحنا العبقرية لنضطلع بهذا العبء. ولو كانت العبقرية فى المعسكر الآخر لبقيت حتى اليوم تناهضنا. واذا جاءنا قادمٌ جديد فلن يكون لنا نداً، على ما لم ير العالم له مثيلاً فى عهد مضى. واذا افترضنا ان فيهم موهبة العبقرية (الفوييم) فقد جاءتهم متأخرة جداً. وكل دواليب الأجهزة للحكومات ما تحتاج الى محرِّك، وهذا المحرك بأيدينا وهو «الذهب»، وقد كان من شأن علم الاقتصاد السياسى ان رفعَ من شأن رأس المال، ومعلوم ان وَضْعَ هذا العلم وتقريره يعود الفضل فى ذلك الينا.

ورأس المال، اذا كان يراد به ان يساهم بالتعاون وهو غير مقيد، فيجب أن يكون حراً طليقاً، ليتمكن من إنشاء الاحتكار فى الصناعة والتجارة. وهذا ما قد صنعته يد خفيّة فى جميع العالم. ومن شأن هذه الحرية لرأس المال ان تُمِد الذين يعملون فى الصناعة بالطاقة السياسية، وهذا يؤول الى التمكن من اخذ الشعوب بالضبط والمقادة. وفى أيامنا هذه، يكون الأمر واوزن لدينا، اذ عملنا على ان ننزع سلاح الشعوب لا أن نسوقها الى الحرب، بل وأعظم من ذلك لنا، أن نستغل لمصالحنا انفعالَهَا العاطفى المشتعل، بدلاً من إطفائه، وان نستولى على تيار الأفكار والآراء، ونترجمه على ما يناسبنا بدلا من مكافحته ومحاولة استئصاله. فالفرض الرئيسى لقيادتنا هذه قاعدته: أن نُخْمِل الذهن العام ونَضْنِيه بالنقد والتجريح، وان نَحيد به عن طريق التفكير الجدّى الرصين، التفكير الذى يؤدى بالنهاية إلى مقاومتنا، وأن نصرف نشاط الأذهان عن تلك الوجهة ونأخذ بها حيث تقام معارك صورية، سلاحها الخطابة ومصطنع البيان.

وفى جميع العصور نرى شعوب العالم، من جماعات وأفراد، تنام على الكلمة التى تسمعها ثم لا يهمها بعد ذلك من التنفيذ شىء. وعلة هذا فى تلك الشعوب أنها تقنع من الشىء بمظهره، وتأخذها صورة العَرَض، وقلما تتوقف لتتأمل، وتلاحظ فى مجرى الحلبة العامة، هل تقترن الوعود بالتنفيذ. لذلك تروننا اننا سنعنى باقامة مؤسسات المعارض التى تفيدنا فى هذا الباب فوائد كبيرة...

وسنحتل لأنفسنا الصفة الليبرالية التى تجمع سمات جميع الاحزاب والجهات، ثم نجعل معانى ذلك كله تجرى على ألسنة خطباء اذا تكلموا راحوا يُشْبِعون الموضوع ويدورون من حوله حتى يمل السامعون ويضجروا، ويأخذوا بالضجيج.

ولكى يتسنى لنا الاستيلاء على الرأى العام يجب علينا ان نرميه بما يحيّره ويخرجه عن طوقه، وذلك عن طريق جَعْل إبداء الرأى العام حقاً شائعاً مفتوح الباب للجميع، ليلقى كل بدلوه فى الدلاء. فتتناقض الآراء ويشتدّ التشاحن، ويطول الحال والمقال، والناس فى كل ذلك متضاربو النزعة، ثم يُنَادِى منادٍ: إنّ أَوّلى ما يُصنع للخروج من هذا المأزق الحرج، ان يترك النقاش ويقلع عنه، ولا خوض فى القضايا السياسية لأن جمهور العامة لا يفقه من لباب هذا شيئاً ولا يحسن وعيه، فمن الصواب ان مثل هذه الشؤون تُردّ الى المسؤولين العارفين بها، يتدبرونها على ما يرون.

هذا هو السر الأول.

والسر الثانى المشترط لنجاح حكومتنا المقبلة هو أن نكثر من مصنوعات الأشياء، شتى متنوعة، ونجعلها تَردُ موارد عزيزة فياضة من كل جنس: الفشل فى المشروعات الوطنية، افشاء

العادات الجديدة، ايقاد العواطف، الاستثارة والاستفزاز، التبرم من شؤون الحياة، وذلك كله حتى يغدو من المستحيل على أىّ شخص أن يعلم اين هو من هذا المعترك الذى خاص فيه كل حابل ونابل، وعَمِىَ الاختلاط. واذا بالناس قد استغرقتهم البلبلة، ولا يفهم بعضهم بعضاً. وهذه الطريقة تفيدنا ايضاً من ناحية اخرى: الإفساد بين الأحزاب، وتفريق القوى المجتمعة على غرض ولا تزال تأبى الانصياع لنا.

واخيراً عرقلة نشاط أىّ شخص يقف فى طريقنا. وليس هناك ما هو أضرّ من نشاط الافراد بصفتهم المستقلة الشخصية، فهؤلاء، اذا كان وراءهم مادة العبقرية، فيبلغ نشاطهم من الضرر بنا مبلغا تقصر عنه الملايين من الناس الذين مزقنا كلمتهم. وعلينا أن نعنى بتوجيه التعليم فى مدارس جماعات الغوييم توجيهاً دقيقاً، فَيُلْقَى فى الأذهان انه متى ما جىء على مسألة عويصة تحتاج الى كد الذهن تنقيباً واجتهاداً، فالاولى تركها واجتيازها الى ما هو أهون وأيسر، فيتولاها من هو أهلٌ لها. والضنى الفكرى الذى يحصل للفرد من كثرة العمل، ينسف ما فيه من القوى الذهنية عندما تصادم حريته حرية شخص آخر. وينشأ عن هذا الاصطدام رجات خلقيةٌ نفسيةٌ عنيفةٌ، وذهولٌ، وشعورٌ بالفشل. وبهذه الذرائع كلها، سنفتت وجود الغوييم، حتى يُكرهوا على أن يسلّموا لنا ما به تقوم القوة الدولية فى العالم على أوضاع تمكننا بلا عنف، ورويداً رويداً من ان نبتلع طاقات الدول، ثم نخطو بعد ذلك الى الامام فننشىء الحكومة العالمية العليا، وسيكون لهذه الادارة عون واسع من الايادى التى تمتد الى البلدان كلها وتعلق بها كالكماشة. واما اجهزة هذه الادارة فستكون بالغة العظمة حتى تلقى ظلها على جميع أمم الأرض.

* * *

البروتوكول السّادِس

الاحتكارات، وعليها تتوقف ثروات الغوييم. انتزاع الثروة العقارية من ايدى الطبقة الارستقراطية. التجارة والصناعة والمضاربات. الترف والبذخ. رفع مستوى الأجور العمالية وزيادة مستوى اسعار الحاجيات الضرورية. نشر اسباب الفوضوية وإدمان الخمرة. المعنى السرى للدعاية تبثها نظرياتنا الاقتصادية.

سنشرع دون تأخر فى انشاء أجهزة احتكارية ضخمة، وحشد الثروات وتجميع الأموال، ليكون كل ذلك محصوراً بأيدينا، وقد أمسى قوة مرهوبة، وفى الوقت نفسه تكون هذه القوة هى المسيطرة على الكبير الوافر من ثروات الغوييم، وهذه موقوفة حياتها على قوتنا الى حد أن تلك الثروات ستهبط إلى القاع جارة وراءها ارصدة الغوييم، فى اليوم الذى يكون مضروباً لإنزال ضربتنا السياسية القاصمة.

وأنتم أيها السادة الحضور هنا، وكلكم رجال اقتصاد، بوسعكم ان تتصوروا بعين العقل ما يكون لهذه القوة الاحتكارية، التى مضاؤها كمضاء السيف، من خطورة حاسمة.

ويجب علينا أن نبذل جهدنا بكل طريقة ممكنة لتوسيع نطاق هيبة الحكومة العالمية العليا، والإعلاء من شأنها، وذلك بتصويرها أنها ما قامت إلا لحماية الدول التى تنضوى اليها وتستظل بظلها، وهى منبع الخير والعون لتلك الدول.

اما ارستقراطية الغوييم من جهة كونها قوة سياسية، فتكون قد أُدرجت فى أكفانها ـ فلا ينبغى لنا أن نأخذها بحساب. ولكن يبقى من أمرها خطرٌ واحدٌ علينا، من ناحية كونها تمثّل طبقة أرباب الثروات العقارية من أرض وبناء، ووجه هذا الخطر، ان تلك الطبقة تبقى فى تدبير معايشها معتمدة على الدخل الذى تجنيه من ريع املاكها هذه، وهذا الريع يكفيها مؤونة حاجاتها. فعلينا بكل حال أن نحرمها هذه الأملاك. وإنما يتمُّ تحقيق هذه الغاية بأفضل وجه، بزيادة الضرائب والتكاليف المرتبة على العقار والارض زيادة تجرها الى الديون المغرقة المُبهظة، ثم يكون من شأن هذه التدابير انها تحد من نشاط التملك وتجعله مُعَرْقَلاً فينصاع الغوييم لنا مستخذين لتوجيهنا وآرائنا.

ولما كانت ارستقراطية الغوييم غير معتادة بحكم اساليبها القديمة الموروثة، ان تقنع بالقليل من الخير، ودأبها الطمع فيه والاستكثار منه، فسيضطرب امرها أى اضطراب يُخرجها عن طورها لعدم قدرتها على تحمل العوز والقلة، فتنادى بالويل والثبور. فيجب علينا فى هذا

الوقت نفسه أن نكون أصحاب الهيمنة على أوسع نطاق ممكن، على التجارة والصناعة وبصورة خاصة على أسواق المضاربات، إذ المضاريات هى الأداة التى تهب فى وجه الصناعة فتشلها، وعدم وجود الصناعات بلا مضاربات، من شأنه ان يحمل رؤوس الاموال التى فى الأيدى الخاصة تنمو وتزدهر، فيفضى ذلك بالزراعة الى الانتعاش عن طريق تحرر الأرض والأملاك من ربقة الديون للمصارف العقارية. وما نحتاج اليه حقاً فى هذا الموطن، هو أن تكون الصناعة سبب تجفيف الأرض من العمال ورأس المال. فاذا جرى الأمر على ما نخطط، وانتهى إلى غايته، انساقت إلى أيدينا أموال العالم فحزناها نحن وحدنا، ثم نحول الغوييم جميعاً الى وضع الصعاليك الكادحين (البروليتارية). واذ بالغوييم يجثو امامنا صاغراً، واذا لم يكن من سبب لذلك إلا حق البقاء المجرد، لكفى

ولكى يتم لنا مخطط نسف الصناعات، فاننا سنأتى بما يعزز هذا الامر ثم ندعه ينطلق فى سبيله يعمل عمله، فنُعنى بنشر الوسائل المغرية بالترف وعبادة الاناقة بين الغوييم، ونشوقهم الى هذا الطور، ونزين لهم ملذاته وأطايبه، اذ نهمة هذا الاتجاه اذا استحكمت حلقاتها، فلا تبقى ولا تذر وسنعلى مستوى الأجور العمالية، ولكن لا خير من هذا يصيبه العمال، لأننا فى الوقت نفسه سنعلى أيضاً مستوى الأسعار للحاجات الضرورية التى تعم بها البلوى، مدعين وزاعمين أن هذا كله ناشىء عن جمود الزراعة والتراخى فى تربية الماشية. ثم بالاضافة إلى هذا كله، سنشلّ مصادر الإنتاج، ونعطلها بأساليب هى غاية الفن والبراعة، وبذلك يجعل العامل يعتاد المشاكسة والحُرون، واساليب الفوضوية، وركوب الرأس، فيمسى يتخبط فى حاله كيفما اتفق له، وسنشيع وسائل الإدمان على الخمرة، وهذه التدابير مجتمعة تَسير قافلة واحدة متساندة، موالية السير قُدُماً نحو غاية كبيرة، وهى ملاشاة العناصر المتعلقة من الغوييم، من على وجه الأرض.

وخشية أن يدرى الغوييم بهذا فيجفل قبل نفاذ الخطة بتمامها، وقبل حلول اليوم الموقوت، فإننا سنفرغ هذا كله فى قالب المصلحة، الخادعة فى المظهر، بدعوى الرغبة الحارة فى خدمة الطبقات العاملة، والمبادىء الصحيحة للاقتصاد السياسى، مما تكون نظرياتنا الاقتصادية قد قامت بالتمهيد له على يد أجهزة دعاياتنا، على نطاق أخّاذ واسع.

البروتوكول السابع

الغاية من توسيع باب التسلح. الهزات العنيفة، والانشقاق، والأحقاد فى جميع أنحاء العالم كبح جماح الغوييم فى المعارضة التى يقوم بها. الحرب تُشَنُّ عليه حرب محصورة او عالمية شاملة. الكتمان سبب نجاح السياسة. الصحف والرأى العام. مدافع اميركا والصين واليابان.

التسابق فى التسلح تسابقاً ضخماً، وزيادة القوات الدفاعية فى العالم، كل هذا ضرورى فانه يساعد فى تنجيز خططنا هذه. ولكن هدفاً كبيراً، من أهدافنا يجب أن نعنى بتحقيقه بصورة خاصة، وهو محو جميع الطبقات فى جميع دول العالم دون استثناء، إلا طبقة الصعاليك لا غير، مع بضعة مليونيريات موجهين الى خدمة مصالحنا وشرطتنا وجندنا.

وفى أوروبا كلها،كما فى غير بلاد أيضا، علينا أن نخلق الهزات العنيفة، والانشقاقات، واثارة الضغائن والأحقاد، عن طريق شبكة الصلات المحبوكة فى أوروبا فنغنم مغنمين، الأول: ابقاء البلدان مكبلة مقيدة، لا تقوى على شىء تأتيه كما تريد، اذ كل دولة تعلم حق العلم اننا نحن الذين بيدهم تصريف الامور، قبضاً وبسطاً، وبيدنا أسباب تأريث نار الحرب أو اخمادها. ولا يغيب عن أى من الدول ان ترى بحكم العادة أن لنا القوة المبسوطة اليد فى إيقاع الإكراه الذى نريد، وانف الجميع راغم. والمغنم الآخر، اننا سنمد بسنانير المكايد الخفية الى المجالس الوزارية فى كل بلد، فتعلق بها الخيوط متضاربة متعقدة، وما تلك السنانير الا المعاهدات الاقتصادية وقيود القروض المالية. ولكى نضمن لنا النجاح فى هذا، ففى اثناء المفاوضات التى يجب أن تكون جد حاذقين، وأَهْلَ دهاء وحيلة، حتى ننفذ الى صميم الأغراض المتوخاة، وأما فيما يتألف منه المظهر الخارجى الرسمى، فموقفنا ينبغى أن يكون على العكس من ذلك: كلاماً معسولاً، متقنعاً بقناع الأمانة، وشرف المعاملة، مع حسن المسايرة والملاطفة والاستجابة. وبهذه الأساليب ستظل شعوب الغوييم وحكوماتهم، وقد عودناهم الاكتفاء من الأشياء بمظاهرها الخارجية، راضيةً بنا ومسلمةً بأننا نحن ما جئنا إلا لخير الجنس البشرى وخلاصه.

وعلينا أن نكون فى موضع يمكننا من تناول أىّ عمل من أعمال المعارضة وذلك بإبقاء الحرب بين البلاد المعارضة لنا وجاراتها. وفى حال قيامها جميعاً فى وجهنا يداً واحدة، فحينئذ لا سبيل إلا أن نستوقد حرباً عالمية كاسحة.

والعامل الرئيسى فى نجاح خططنا السياسية، هو كتمان المساعى والمشروعات، والقاعدة: ان السياسى ليس شرطاً فيه أن تتفق أقواله مع افعاله. ويجب إرغام حكومات

الغوييم على انتهاج الخطة التى نشير بها نحن، فى برامجنا المدروسة على أوسع نطاق وأبعده، وهى البرامج التى أخذت الآن تقترب من الخاتمة. وطريقة حمل تلك الحكومات على ما نريد، هو التيار الذى يقال له الرأى العام وفى يدنا الخفية زمامه ومقادته نحركه بالقوة الكبرى. الصحف، والصحف، ماعدا قليلاً منها، مطواعة لنا مستجيبة لما نشير به.

وموجز الكلام، من ناحية صفوة خططنا لإبقاء حكومات غوييم أوروبا تحت كابح منا يأخذ على ايديهن، إننا نظهر مجالى قوتنا لفريق منهن، بوسائل الإرهاب الذى يتناولهن جميعاً، إذ رأينا احتمال وثبتهن علينا متفقات، فتجيبهن يومئذ بمدافع أميركا والصين واليابان.

البروتوكول الثامن

استعمال الحقوق القانونية استعمالاً غامضاً. الأعوان الذين يختارون من المركز الصهيونى. المدارس والتخرج العلمى الفائق المستوى. رجال الاقتصاد والمليونيرية. الى من سيعهد بالمناصب الكبيرة الحساسة فى حكومتنا؟ مجازاة عملائنا من الغوييم بالقتل اذا خالفوا تعليماتنا.

السلاح الذى يحتمل ان يستعمله أعداؤنا فى وجهنا يجب أن نستعمله نحن، وعلينا أن نحاول بألطف مقال، وأنعم كلام، وأرفع طراز فى تلفيق الفتاوى القانونية، تسويغ أحكام القضايا التى تبدو خارقة العادة، جريئة، ظالمة، إذ من الخطورة بمكان أن نجعل هذه الأحكام تتشح أروع صور العدالة، ونطرحها أمام الناس نماذج من المثل الأخلاقية، كأنها أفضل ما يستطاع استمداده من مادة القضاء. وعلى جهازنا الإدارى الموجِّه، أن يحيط خبرة، بجميع القوى التى تدخل فى نسيج المدنية، القوى التى يعمل هذا الجهاز فى وسطها: قوى حملة الأقلام، والفقهاء المتمرسين، والاداريين من الرتبة العليا، والساسة، وأخيراً الأشخاص الذين كَمل تخرجهم تخرجاً خاصاً، ودربوا تدريباً علمياً فائق المستوى فى مدارسنا المعدة لهذه الغاية. هؤلاء الأشخاص لن يفوتهم بحال أن يلاحظوا الأسرار فى تركيب المجتمع، وفقه لغة السياسة على اختلاف أساليبها، وكل ما يندرج تحت الأبجدية السياسية ويجرى من ألفاظها. وهم بعد، قد ازدادوا اطلاعاً على الخفايا والغوامض من الطبيعة البشرية، ومواطن الأنسجة للحس المرهف المستتر، وهذه الأنسجة إنما هى القالب الذى أفرغ فيه ذهن الغوييم، وهى مَجْلَى نزعاته، ونواقصه، ورذائله وفضائله، وما تجد هنا مختزناً من صور مفصلة للطبقات والأوضاع. وإنى بغنى عن القول، أن الأعوان من ذوى المواهب الذين يختارون ليقوموا بمناصب مساعدين فى الإدارة، لن يؤخذوا من عناصر الغوييم، الذين أتناولهم هنا، واعتادوا أنهم إذا قاموا بعمل إدارى وأنفذوه، فإنما يقومون به دون أن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير فيما يراد به، أو ما عسى أن تكون الحاجة التى اقتضته. فالمختارون من الغوييم للإدارة، يكفيهم أن يوقّعوا الأوراق ولا حاجة بهم الى التمعن فيها، وهم فى الخدمة لأحد غرضين: إما ابتغاء الأجرة أو المرتب، وإما اشتهاءً لقضاء المطمح القاصر فى نفوسهم.

ثم إننا سنمد أجهزة حكومتنا بعالم فيّاض من رجال الاقتصاد، ولنتذكر أنه من أجل هذه الغاية، جُعِل تدريس العلوم الاقتصادية فى مدارسنا أهم مطلب يتمين على اليهود تحصيله بتمامه وكماله. وسنحيط دولتنا برهط إثر رهط من رجال المصارف، والصناعيين، والمتمولين،

وواسطة عقد هؤلاء هم أصحاب الملايين، إذ فى الواقع سيكون مرد كل شىء إلى صعيد الأرقام، وهذه فى جميع الأحوال والقضايا هى الفيصل الأخير، فلا حكم بعد حكمها.

والذين يُختارون للمناصب ذات المسؤولية فى حكومتنا من إخواننا اليهود، ويحتاج أمرهم فى البداية إلى فترة اطلاع على مجارى العمل قبل أن يعهد إليهم فى ذلك، فإنهم سيوضعون فى خلال هذه الفترة فى عهدة أشخاص (من الغوييم) مؤقتاً، غير أن هؤلاء الأشخاص هم من الذين اشتدت شبهات الناس (الغوييم) بهم، حتى قام بينهم وبين جماعتهم برزخ من الريب، فإذا ما تقاعسوا عن تنفيذ التعليمات التى تصدر إليهم، فهم إما سيلقون الجزاء والعقاب متهمين، وإما سيغيبون عن الوجود بالمرة. وانما نضعهم هذا الوضع لكى نحملهم على خدمة مصالحنا، حتى النفس الأخير من حياتهم.

* * *

البروتوكول التاسع

تطبيق المبادىء الماسونية فى مادة التعليم الذى تعلمه الشعوب. الشعارات الماسونية. معنى «اللاسامية». الدكتاتورية الماسونية. الإرهاب والرعب. من هم خدام الماسونية. معنى القوة المبصرة والقوة العمياء فى دول الغوييم. الاتصال المباشر بين السلطة والدهماء. إباحات الليبرالية. القبض على زمام التعليم والتدريب. النظريات الكاذبة. تفسير القوانين. الحركات السرية والأوكار الخفية.

فى تطبيق مبادئنا، علينا أن ننتبه إلى الشعب الذى تقيمون بين ظهرانيه وتعملون فى بلاده، وهذا الانتباه يتعلق بأخلاق ذلك الشعب، فإننا إذا أخذنا بتطبيق مبادئنا عليه، تطبيقاً ظاهرياً عاماً، وعلى نسق متماثل دون تمييز، وجرينا على هذه الوتيرة إلى أن نكون قد عدلنا وأصلحنا مادة التعليم لذلك الشعب تعليماً ينطبق على أهدافنا ومنوالنا، فعلى هذا الوجه لا مطمع لنا فى إدراك النجاح. لكن إذا أخذنا نرعى التطبيق بيقظة واحتراس، فلن يمضى على ذلك أكثر من عقد من السنين حتى يكون طور ذلك الشعب قد تغير حتى فى أصلب ما يعرف عنه من خلق العناد والمشاركة، وبذلك نضيف شعباً جديداً إلى صفوف الذين قد تم لنا اقتيادهم وإخضاعهم لنا.

وإن كانت ليبرالية وما يشتق من معانيها، الكلمات التى هى فى الواقع من شعاراتنا الماسونية، كالحرية والعدالة والمساواة، سنبدلها عندما نقيم مملكتنا، الى كلمات لا تحمل هذا المعنى الشعارى بعد ذلك، وإنما يغدو معناها الوحيد مجرد الدلالة على صور مثالية، فالأولى تصبح حق الحرية والثانية واجب العدالة، والثالثة كمال المساواة، ويقاس على هذا سائر التعديل وبهذا نمسك الثور من قرنيه.

ومن الوجهة الواقعية، فإننا قد وفقنا إلى الآن فى محو كل نوع من أنواع العهود الحاكمة، إلا عهدنا، مع أن من الوجهة القانونية لا يزال هناك عهودُ حكم قائمة بالصورة والشكل فقط، وهذا أمره بيدنا نتصرف به على ما نرى، ونصدر فيه تعاليمنا، وذلك لأن اللاساميّة لا نراها إلا ضرورية لنا للاستفادة منها فى رعاية إخواننا المستضعفين فى هذه القضية أكثر من هذا الحد، لأن موضوعها قد أشبع بحثاً وكرر ذلك فيما بيننا على ما فيه الكفاية.

وأما نشاطنا، فلا شىء يحد من اتساع نطاقه. وأما حكومتنا العليا، فكائنة فى أوضاع فوق الأوضاع القانونية الراهنة، وأوضاعنا هذه هى الموصوفة فى المصطلحات الجارية بمعنى

الطاقة المنبعثة والقوة الماضية . أعنى الدكتاتورية. وبوسعى أن أعلمكم بكل نقاوة ضمير أننا، ونحن الذين يوحون بالتشريع ومنا مصادره، سنتولى بأيدينا، حينما يحين الوقت، تنفيذ الأقضية والأحكام، فتذبح من نذبح، ونعفو عمن نعفو، ونحن ذوو القيادة على صهوة جواد الأمير القائد. إننا سنحكم بالقوة. لأن بيدنا بقايا حزب من الأحزاب، كانت له الصولة والسطوة فيما مضى، فأيدناه فاندرج فى الماضيين. وأما الأسلحة التى فى أيدينا فهى مطامع لا حدود لها، وجشع آكلٌ، كاوٍ، وحبُّ انتقامٍ لا يعرف الرحمة، وضغائن وأحقاد.

ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذى دارت دوائره بالناس. وفى خدمتنا أشخاص شتى ينتمون الى جميع المذاهب الفكرية، ومختلف التعاليم؛ منهم المطالبون بالعروش، واسترداد الملكيات، وزعماء السواد والعامة، والاشتراكيون، والشيوعيون، وحَمَلة الأحلام الطوباوية من كل حزب. وقد قرنا هؤلاء جميعاً إلى نير العمل فى سبيلنا. وجعلنا كلاً منهم، وحبله على الغارب، يثقب ما بقى من جدران السلطات، ويجهد طاقته ليدكّ قوائم الأنظمة القائمة على اختلاف صورها. فامست جميع الدول بسبب هذا فى عذاب ووبال. تبذل النصيحة من أعماق نفسها طلبا للسلامة، وهى مستعدة لتضحى بكل عزيز من أجل الحصول على الأمان والسكينة، واننا لن نعطيها ما تطلب من سلامة وأمان، قبل أنْ تعترف جهاراً، وفى وضح النهار، بحكومتنا العالمية العليا، وأن تفعل هذا مستسلمة صاغرة.

ولقد اشتد صياح الشعب بالولولة والإعوال، طالبا بحكم الضرورة تسوية المسألة الاشتراكية بطريق التفاهم والاتفاق الدولى. والعامل والمهماز فى هذا هو الانقسام والانشقاق إلى أحزاب صغيرة مؤلفة من فئات ضئيلة، فَدفَعتْ هذه الحالة بالشعوب إلينا، فغدا المُضِىّ بالعراك بعد ذلك، وكلٌّ يشدُّ الحبل إلى جهته، فى ميدان المكافحة، أمراً صعباً شاقاً بسبب الحاجة إلى المال، والمال كله قد استقر فى أيدينا.

وقد يكون هناك من السبب، ما يحملنا على التخوف من اتحاد يقع بين القوة المبصرة التى لملوك الغوييم، الجالسين على العروش، وبين القوة العمياء التى للدهماء، ولكننا قد اتخذنا من لازم التدابير ما يكفى لمواجهة مثل هذا الاحتمال إذا لاح: فإننا قد نصبنا بين هاتين القوتين متراساً حاجزاً يرى فيه كل فريق الرعب والهول يأتيانه من قِبَلِه. وبهذه الطريقة، تبقى القوةَ العمياء فى جانبنا، نمدّها، ونحن وحدنا القادرون على هذا، بزعيم يتولى أمرها، وهذا امره بيدنا؛ فترشده إلى الطريق التى يجب أن تسلك نحو هدفنا.

ولكى لا تستطيع يد القوة العمياء التفلت من سلطاننا عليها، فيجب من جهتنا بين وقت وآخر، أن نتصل بها اتصالاً مباشراً، وهذا إذا لم يكن على يد أشخاص (من الغوييم) فيكون على يد أحد إخواننا الذى هو عندنا ثقة خالصة. ومتى ما تم وانتهى الاعتراف بكوننا نحن السلطة الوحيدة، فحينئذ نتفاوض مع الشعب وجهاً لوجه، وباللسان علناً، وفى الساحة العامة،

فترشدهم فى المسائل السياسية بطريقة تجعل اتجاههم هو هذا الاتجاه المراد.

ولعمرى ما هى السبل التى نتمكن بها من مراقبة التعليم فى مدارس القرى والأرياف ومعرفة ما يجرى هناك؟ لا يصعب علينا ذلك إذ لا يمكن أن تخفى خافية أو ليس أى قول ينطق به لسان الحكومة؟ أو حتى الملك نفسه جالساً على العرش، سرعان ما يذاع ويشاع فى جميع الدولة ثم فى الخارج لكثرة ما يلهج به الناس ويتناقلونه من مكان الى مكان؟

وحتى لا تتلاشى مؤسسات الغوييم قبل حلول الوقت المضروب، فإننا قد أفرغنا عليها مسحة من الإخوة الماسونية، ومظهراً يعطى الهيبة والكياسة وقبضنا على نوابض الأجهزة كما يقبض على جهاز آلى متحرك، وهذه النوابض نعنى بضبطها، ووضع الموضع المحكم، العناية كلها، وهى الآن تحل محلها الفوضى من الإباحيات المنطلقة من الحرية الليبرالية. وإننا قد تدخلنا اوغل تدخل فى ما يتعلق باجراء القوانين وتطبيقها، كما تدخلنا فى إدارة الانتخابات العامة، وفى توجيه الصحف، وحرية الفرد، على أن تدخلنا الرئيسى وهو أصل من أصول خطتنا، هو فى التعليم والتدريب، إذ هما حجر الزاوية فى الوجود الحر.

وأما شباب الغوييم فقد فتناهم فى عقولهم، ودوخنا رؤوسهم، وأفسدناهم بتربيتنا إياهم على المبادىء والنظريات التى نعلم أنها فاسدة، مع أننا نحن الذين لقناهم ما تربوا عليه.

وفوق أجهزة القوانين الجارية، ودون حاجة إلى أن نغير مادتها من حيث الأساس، قد استطعنا أن نقيم شيئاً تنبعث منه مجالى العظمة والجلال، وذلك بأننا لوينا القوانين فالتوت، وعقّدناها فتعقدت، فأمست ركاماً من تفاسير متناقضة، فأدركنا المراد بالنتيجة: فنشأ عن ذلك أولاً أن تلك التفاسير والشروح لتناقضها قد أُلبسَتْ معانى القوانين والغموض والابهام، فانسدت الطرق على الطالبين، ثم بعد ذلك زاد شىء آخر، وهو ان القوانين نفسها قد عُمّى لبابها عن أفهام الحكومات لاستحالة التوفيق بين مختلف المقاصد، واستحكام حلقة المعضلات، حتى أمست القوانين مشتبكاً كبيت العنكبوت.

وإنما هنا يكمن اصل نظرية التحكيم.

فقد تقولون ان الغويين سيهب فى وجهنا وبيده السلاح، إذا ما اشتم رائحة ما يجرى فى الخفاء إلى نهايته التى لم يحن وقتها بعد. وأجيب على هذا بأننا قد أعددنا فى الغرب (أوروبا) مناورة مذهلة تتزلزل منها أقوى الأفئدة وتصطك الركب: الحركات السرية المدمرة، والأوكار والأعشاش الخفية، والدهاليز السوداء، وكل هذا سيكون مهيئاً لينفجر معاً فى العواصم والحواضر فيذرو فى الريح كل شىء من مؤسسات وسجلات.

البروتوكول العاشر

المظهر الخارجى للمسرح السياسى. عبقرية اولاد الحرام. ما هى وعود الانقلاب الماسونى. حق الانتخاب العام. الاعتداد بالنفس. زعماء الماسونية. العباقرة الذين هم قادة الماسونية. المؤسسات فى الدولة ووظائفها. سموم الليبيرالية. الدستور مدرسة الانشقاقات الحزبية. عصر الجمهوريات الدستورية. رؤساء الجمهوريات مطايا الماسونية. مسؤوليات الرؤساء. استغلال الفضائح كفضيحة بناما. الدور الذى يمثله على المسرح كل من النواب والرئيس. الماسونية هى القوة الاشتراعية. دستور الجمهورية الجديد. دور الانتقال إلى الماسونية فى سلطتها المستبدة. حول اليوم الذى يعلن فيه «ملك العالم». نشر جرائم الأمراض وغير ذلك من قبائح الماسونية.

ابتدىء كلامى اليوم بتكرار خاصة ما قلته سابقاً، وأرجو منكم أن تعوا فى أذهانكم ان الحكومات والشعوب إنما تقفان فى تحليل المسائل السياسية عند الظواهر لا تتعداها. وكيف يقوى الغوييم على النفاذ إلى بواطن الأمور، ولا هم لممثليهم إلا التسكع وراء المتع والملذات؟ وهذا الايضاح الذى أبينه الآن، تقتضى مصلحتنا الانتباه له، لما فى ذلك من الفائدة لنا عندما نضع فى الميزان ما يتعلق بتوزيع السلطة، وحرية الرأى، وحرية الصحافة، والمعتقد الدينى، وقانون الجمعيات، والمساواة أمام القانون، وحرمة المال والمقتنيات، والمساكن، وما يتعلق بالضرائب (غير المباشرة)، وما تحدثه القوانين من قوة رد فعل فى المجتمع. فهذه المسائل هى من الخطورة والدقة بحيث لا تطرح على بساط البحث علناً، وعلى مسمع ومرأى من الشعب. فاذا استدعت الضرورة شيئاً من هذا، ولا مناص، فيقتصر على ذلك الشىء مجملاً، ولا يسمى بالصراحة أو يعين تعييناً، ويجتنب التفصيل، ويكتفى بالقول المقتضب اننا نعترف بهذه القوانين الجارية. والسبب فى ما ينبغى أن نتخذه من مجانبة وصمت، هو أننا بعدم تسميتنا المبدأ أو القاعدة على وجه التحديد الذى ينفى كل شبهة، تبقى لنا حرية التصرف والعمل، فنسقط هذا الأمر أو نعيده، نقره أو نثبته، تبعاً لما يتراءى لنا، دون أن يكون من وراء ذلك ما يوقظ الانتباه. وعلى العكس من هذا، إذا ذهبنا إلى التعيين والتحديد، فكأننا قد طرحنا المسألة للنقاش، وهذا مانحاذر.

ومن عادة الدهماء، أن يستهويهم العباقرة الممثلون للقوة السياسية، وما يأتيه هؤلاء من أفعال البأس، والإقدام والجرأة، فيقول الدهماء فى الثناء على تلك الافعال والإعجاب بها: هذا

عمل لا يعمله إلا الوغد ابن الحرام ولكنه حقاً عمل رائع مدهش! أجل، إنه حيلة وخديعة، ولكنه بغاية البراعة والدهاء!

ومما نعتمد عليه، ان نجتذب انتباه الأمم الى العمل الذى نقوم به من بنائنا الهيكل الأساسى للنظام الجديد، وهو ما وضعنا نحن خططه. وهذا هو السبب فى انه من الضرورى لنا قبل كل شيء، ان نسلح نفوسنا وندخر فى قلوبنا تلك الروح البطاشة التى لا تعرف الخوف ولا تهاب العواقب، وتكتسح فى طريقها كل عقبة ـ روح الفاتك الغشوم، الروح التى تمتلج فى صدور العاملين الفعالين من رجالنا. ومتى ما أنجزنا الانقلاب، قلنا للشعوب المختلفة: «ان الزمان قد ساء بكم، فاختلت اموركم وانهارت، وعم الشقاء احوالكم وملأ آفاقكم، ففسد الذى بين أيديكم، وما نحن هنا إلا من أجل خيركم وملاشاة الأسباب التى جرت عليكم كل هذا العذاب ـ التمسك بزهو القوميات، وقضايا الحدود الاقلمية، وما لكل دولة من نقد مضروب لا يعدو حيزها، وانتم فى الخيار، والحالة هذه، ان تحكموا حكماً مؤيدا لنا، او جارحاً لما أتينا من انقلاب، لكن ايكون الحكم عادلا منصفاً، اذا اجريتموه علينا قبل ان تفحصوا، وتصدقكم التجربة لما نحن مقدمون اليكم.؟ فاذا ما فعلنا هذا وقلنا على هذه الصفة، فالدهماء يأخذهم الاغترار بنا، فتثنى علينا وترفعنا على الاكتاف بالإجماع رفع المنتصر الظافر، وكلهم أمل ورجاء. وبهذا تتجلى الفوائد المتوخاة من الحيلة التى أدخلناها عليهم وهى الاقتراع، التصويت، او حق الانتخاب، اذ نكون قد جعلنا من هذه الوسيلة الفاتنة ما يكفل لنا الوصول الى صولجان العالم، بعد ان تغلغلت فتنة التصويت فى كل مكان، واصابت كل فئة من البشر، مهما تكن هذه الفئة ضئيلة الشأن، وسادت فى الاجتماعات والهيئات عند كل فريق، واعطت الآن ثمراتها للمرة الاخيرة، اذ يجمع الناس على ان يعرفونا قبل ان يحكموا علينا: ولكى تسلم هذه الثمرات كما نشتهى، علينا ان نعمم حق التصويت ونجعله شاملاً بلا فارق فى الطبقة أو الأهلية، ليكون لنا من ذلك الكثرة الكاسحة المطلقة، مما لا نناله من الطبقة المتعلمة من ارباب الأملاك. واننا بإشرابنا الجمهور كله نزعة الاعتداد بالنفس، وتلقيحه بهذا اللقاح، نكون قد فككنا رابطة الأسرة، واذبنا ما لها من قيم ثقافية، وازحنا من الطريق الأفراد الذين يحتمل لما لهم من عقل ان ينشقوا عن الجماعة المذعنة ويذهبوا طريقاً مخالفاً لنا، واذا ما عن لهم ان يفعلوا مثل هذا، فالدهماء حقاً اعتادوا ان يصغوا لنا وحدنا، لأننا نكافئهم على الطاعة والاصغاء. بهذه الطريقة نخلق قوة طائشة عمياء عنيفة، وهى على وضع لا نتمكن معه من اتيان أية حركة فى أى اتجاه دون إرشاد عملائنا الذين أقعدناهم مقعد الرياسة، وهم من الدهماء، وأمسى امرهم بيدنا، ثم إن الشعب لن يتوانى فى الاستكانة إلى هذا العهد، لأنه يعلم أن تحصيل قوته والوصول إلى مطالبه ومنافعه، كل ذلك يكون موقوفاً على اتباع قادته هؤلاء المنصوبين عليه.

وأما مشروع إنشاء الحكومة، فينبغى أن ينفرد بوضعه دماغ واحد منا، لأن هذا الأمر إذا تولاه عدة نفر، اختلف الرأى ووقع التنابذ، وجاءت الحكومة ولا نصيب لها من التماسك. فعلينا ان ندقق فى هذا المشروع عن ناحيته العملية، لكن لا يجوز بحال علاجه بالمناقشة العلنية، كى لا يفسد ما فيه من مزايا الضبط والإحكام، وتسلب منه خاصية التماسك والترابط، وما تضمنته كل فقرة من المقاصد التى أرسلناها غامضة. فإذا أبحنا للدهماء نقاش المشروع، واقترحوا التغيير والتبديل، بطريق التصويت، فكأننا أبحنا لهم أن يذهبوا فى ذلك مذاهب متضارية لا تقف عند حد، وتتصادم أقوالهم وآراؤهم إلى ما فيهم من سوء فهم، وهم بعد ذلك أقصر مدى فكريا من ان يكتنهوا خفاياه فيجب علينا الا نطرح بنتاج عبقرية رجالنا الى أنياب من ينهشها، حتى ولا إلى النفر المتزعم من الدهماء. وهذه المشروعات الانقلابية لا تكون حتى الآن قادرة على قلب الأنظمة القائمة، رأساً على عقب. قصارى ما تستطيع ان تبلغه انه تحدث تغييراً فى المجال الاقتصادى، وبحكم النتائج كلها جملة واحدة، يقع تبديل كذلك فى مجرى حركة التقدم والتطور، ينسجم واتجاهنا المخطط.

* * *

وفى جميع البلدان نرى شيئا واحداً، اختلفت أسماؤه واتحد معناه: التمثيل النيابى، مجلس النواب، والوزارة، مجلس الشيوخ، مجلس الشورى الأعلى، السلطة الاشتراعية، السلطة التنفيذية وأمثال ذلك. ولا حاجة بى أن أوضح لكم ما بين هذه المؤسسات من الصلة الآلية الرابطة، إذ تعلمون ذلك جيداً. وإنما ألفت نظركم إلى أن كلا من هذه المؤسسات، تقابله وظيفة مهمة من الوظائف التى تقع على عاتق الدولة. وأرجو منكم الملاحظة الآن نعت الوظيفة بالمهمة فى العبارة السابقة هنا، لا أعنى به أن الأهمية المقصورة، عائدة إلى المؤسسة نفسها من حيث هى. كلا. بل أعنى أن الأهمية هى أهمية الوظيفة التى تقوم بها المؤسسة. وهذه المؤسسات قد اقتسمت فيما بينها وظائف الدولة، من إدارية واشتراعية وتنفيذية، وهى تقوم بها قيام أعضاء الجسم الإنسانى بوظائفه نحو مركب الجسم كله، فاذا اعتل عضو واحد من هذا المجموع اعتل سائره بفعل تعدى الأثر، ثم يفسد الجسم كله.. فيدركه الفناء.

ولما أدخلنا اسم الليبرالية على جهاز الدولة، تسممت الشرايين كلها، ويا له من مرض قاتل، فما علينا بعد ذلك إلا انتظار الحشرجة وسكرات الموت..

ان الليبرالية أنتجت الدول الدستورية التى حلت محل الشىء الوحيد الذى كان يقى الغوييم ـ السلطة المستبدة. والدستور، كما تعلمون جيداً، ماهو الا مدرسة لتعليم فنون الانشقاق، والشغب، وسوء الفهم، والمنابذة، وتنازع الرأى بالرد والمخالفة، والمشاكسة الحزبية العقيمة، والتباهى باظهار النزوات. وبكلمة واحدة: مدرسة لإعداد العناصر التى تفتك

بشخصية الدولة وتقتل نشاطها. ومنبر الثرثارين وهو ليس اقل من الصحف إفساداً فى هذا الباب، راح ينعى على الحكام خمولهم وانحلال قواهم، فجعلهم كمن لا يرجى منه خير أو نفع. وهذا السبب كان حقاً، العامل الأول فى القيام على كثيرين من الحكام فأسقطوا من على كراسيهم. فأطل عهد حكم الجمهورية، وتحقق، فجئنا نحن نبدل الحكم بمطية من قبلنا ونجعله على رأس الحكومة - وهو ما يعرف بالرئيس، نأتى به من عداد مطايانا أو عبيدنا، وهذا ما كان منه المادة الأساسية المتفجرة من الألغام التى وضعناها تحت مقاعد شعب الغوييم، بل على الأصح شعوب الغوييم.

وفى المستقبل القريب، سننشىء نظام مسؤولية رؤساء الجمهوريات.

وحينئذ نكون قد أصبحنا فى وضع يمكننا من إغفال القيمة الشكلية فى إجراء الأمور التى يكون الرئيس المطواع هو المسؤول عنها. ثم وماذا يهمنا إذا رأينا الذين يتهافتون على الكراسى والوصول إلى الحكم، يفنى بعضهم بعضاً، فى حال ظهور أزمة مغلقة ناشئة عن استحالة العثور على رئيس جديد، ومثل هذه الأزمة يوقع البلاد فى الداهية الدهياء.

وحتى نقتطف الثمرات من خططنا، سنشير بإجراء انتخابات لاختيار هذا الرئيس، ويكون اختياره من بين أولئك النفر الذين سبق لهم فتلطخ ماضيهم بما يشين ويعيب، ولم يكتشف أمرهم بعد، كالذى كان من فضيحة بناما، أو غيرها، والذى نختاره رئيساً من هذا الطراز، لا بد أن يكون عميلاً لنا موثوقاً به، قادراً على اتباع ما توحيه خططنا. وما يدفعه إلى هذا، خشيته أن يفضح أمره، ويكشف الستر عنه، يضاف إلى هذا ما فى نفسه من الرغبة الطبيعية، كما فى غيره، للاحتفاظ بما انساق إليه من جاه وامتياز ومقام ومكانة ظاهرة، عن طريق السياسة. اما مجلس النواب فشأنه أن يكون بمثابة الوقاء للتغطية على الرؤساء، وحمايتهم وانتخابهم، ولكننا سننزع من المجلس حق الاقتراع فيمن هو الرئيس الجديد، وحق تغيير القوانين القائمة، لأن هذا الحق نمنحه الرئيس المسؤول، المطية الذلول، ثم من الطبيعى ان ما يتمتع به الرئيس من صلاحيات يجعله هدفاً يرمى بالنبال، من الحسد او الضغينة، فيمطر بالنقد والتجريح من كل جهة، لكننا نمده بما يدافع به عن نفسه، وهو حق الاحتكام الى الشعب، من فوق رؤوس النواب، والشعب أعمى، (أو كثرة الدهماء) اعتاد الانقياد والطاعة. وما عدا هذا، فإننا سنسلح الرئيس بحق آخر: هو إعلان الحرب. ونبرر هذا ونسوغه من ناحية أن الرئيس بصفة كونه القائد الأعلى للجيش وسيد البلاد، ينبغى أن يكون فى متناوله هذا الحق لحاجته الضرورية إليه من أجل الدفاع عن سلامة البلاد وحماية الدستور الجمهورى الجديد، فهو المسؤول عن الدستور وهو يمثل الدستور.

وبمعزل عن هذا، فإننا سننزع من مجلس النواب حق توجيه السؤال إلى الحكومة، أو

استجوابها، فيما تتخذه من تدابير فى نطاق صلاحيتها، ونتخذ حجة فى هذا، الحفاظ على الأسرار السياسية للدولة. وأكثر من ذلك، فإننا سنخفض عدد النواب إلى الحد الأدنى، فيخف بذلك الشغب السياسى، ويتوارى فى نفسه الشره للاشتغال بالسياسة. فإذا هو مع هذا، اندفع إلى الشغب وهذا لا يتوقع، فالمندفعون لا يكونون إلا قلة، فنجرفهم ونمسحهم مسحاً، وذلك بأن يطلب رد الأمر إلى الأمة لاستفتائها.. ويتوقف على الرئيس تعيين الرئيسين لمجلس النواب ومجلس الشيوخ وتعيين وكيليهما أيضاً. وبدلاً من أن تعقد المجالس النيابية جلسات عديدة، فيختصر ذلك إلى أقل عدد ممكن ولبضعة أشهر وكفى. والرئيس، بصفته رئيس السلطة التنفيذية، يكون من صلاحيته أيضاً دعوة مجلس النواب إلى الانعقاد، وله تعطيله او حله، وفى هذه الحالة الأخيرة تطول فترة الحل قبل العودة إلى انعقاد آخر. وحتى لا تقع نتائج هذه الأعمال كلها، وهى فى مادتهاغير قانونية، على كاهل الرئيس فتهيض جناحه، قبل أن يكمل استواء مخططنا، ونحن جعلناه مسؤولاً تحمل أعبائه، فإننا سنحرض الوزراء وكبار الموظفين الإداريين على ألا يأخذوا إخذه، ولا يجاروه فى أهوائه، ليروا فى المسألة رأيهم مستقلين عنه، وبهذا يصبحون هم كبش النطاح بدلاً منه. وإننا نوصى الوصية الملحة، بأن هذا الأسلوب من أساليب عملنا، لا يسمح بتطبيقه إلا فيما يتعلق بمجلس الشيوخ ومجلس الشورى الأعلى أو مجلس الوزراء، لكن من المؤكد لن يسمح بذلك لموظفين بمفردهم.

ثم ينبرى الرئيس، بايماز منا، يبين ان منشأ هذه العقدة إنما هو تضارب التفاسير القانونية المتعددة، ثم يلغى كل ذلك عندما نشير إليه بالإلغاء. ويكون له الحق بعد ذلك أن يقترح ويضع قوانين موقتة، بل أكثر من هذا، أن يتخطى أحكام الدستور، وحجته فى هذين الأمرين ما تقتضيه مصلحة الدولة العليا.

بهذه التدابير نتمكن من القبض على السلطة التى ندمر بها شيئا فشيئا، وخطوة خطوة، ما نريد إزالته من دساتير العالم تمهيداً للانتقال الكبير، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة وجعلها مقطورة إلى سلطتنا تابعة طائعة.

والاعتراف بصاحبنا، صاحب السلطة المستبدة المطلقة، قد يقع حتى قبل تدمير الدساتير. وإنما تقع هذه الحالة عندما تهب الشعوب، وقد سئمت من عجز الحكام ومخالفاتهم للقوانين ـ (وهذا ما سنعنى بتدبيره) صائحة: «اذهبوا بهؤلاء عنا، وأعطونا ملكا واحدا يحكم الدنيا كلها، ويوحد أمرنا، ويجمع شملنا، ويلاشى أسباب فرقتنا ـ ويخلصنا من مسائل الخلافات على الحدود الإقليمية، والتباهى بالقومية والعنصرية، والتزمت الدينى، والديون التى ترزح تحتها الدولة ـ ويوردنا موارد الأمان والسلامة، ويحقق لنا ما فشل فيه حكامنا وممثلونا السابقون».

* * *

وانكم تعلمون تمام العلم، أننا من أجل أن نهيء لجميع الأمم إطلاق هذه الصيحة، لا بد من وسيلة إلى ذلك، وهى رمى البلدان المختلفة بما يشغل بالها، ويقيمها ويقعدها، فتسوء العلاقات بين الحكومات ورعاياها، ويظل هذا الانهيار فى طريقه حتى تستنزف قوى الإنسانية، وتهلكها الانقسامات، وتتفشى بينها الكراهات، والمكايدات والحسد، والاستغاثات طلباً للنجاة من تعذيب الأجساد، كما تتفشى المجاعات ونشر جراثيم الأمراض عمداً، فيستسلم الغوييم فيرون أن لا مخرج لهم ولا سلامة إلا بأن يلوذوا بسلطتنا الكاملة المجهزة بالمال وكل شيء آخر.

لكننا إذا أعطينا الأمم فترة تنفس واستراحة، فاليوم الذى نرقبه، يقل الأمل كثيراً فى الوصول إليه.

البروتوكول الحادى عشر

برنامج الدستور الجديد . بعض التفاصيل المتعلقة بالثورة الجديدة . الغوييم قطيع من الغنم . الماسونية السرية ومحافلها التى هى «معرض» خارجى.

مجلس الدولة الأعلى أو مجلس الشورى الأعلى، كان ولا يزال أقوى تعبير عن سلطة الحكم، وسيبقى الواجهة الخارجية للسلطة الاشتراعية، أو بالأحرى ما يسمى بلجنة تحرير القوانين والأنظمة التابعة للحاكم.

وهذا هو برنامج الدستور الجديد . سننشىء الأوضاع اللازمة للقانون والحق والعدالة، حتى يبدو أن هذه العناصر الثلاثة قد تبوأت مكانها المعد لها، وتفعل ذلك بثلاث طرق: (١) فى قالب مشروعات قوانين تحال على السلطة الاشتراعية (٢) فى قالب مراسيم مجلس الوزراء (٣) وفى حالة سنوح الفرصة المواتية فى شكل ثورة تهب رياحها داخل الدولة.

وبعد أن نكون قد فرغنا من ترتيب هذه الأمور على مواقيت، فإننا نتحول إلى جهة أخرى، فنُعنى بتفصيل ما يتعلق بالمناحى التى بها تتم مجارى الثورة عن طريق أجهزة الدولة في الاتجاه المقرر . وأعنى بهذه المناحى حرية الصحافة، حق تأليف الجمعيات والأحزاب والهيئات، حرية الرأى والضمير، حق التصويت فى الانتخاب، وغير ذلك مما يجب أن يمحى ويغيب إلى الأبد من ذهن الإنسان، أو أن يُعدل تعديلاً ينسف حتى الأساس، شرط أن يقع هذا كله غداة إعلان الدستور الجديد بلا تراخ . وهذا مستطاع الآن فى هذه الفترة، فنصدر أوامرنا كلها دفعة واحدة، ولا نؤخر منها شيئاً، إذْ لو أخرناها أقل تأخير والحق بالدستور تعديل تال، فكل تعديل ذو بال يقع على هذا الوجه، لابد أن يكون فيه خطر، للسبب التالى: اذا كانت مادة التعديل خشنة فظة، وكانت طريقة الاقتراح خشنة فظة كذلك، مع قصر نظر المقترح فى موضوعه، فقد يشمخ المقترح بأنفه ويعتقد أن هذا التعديل يفتح الباب لأمثاله ينسجون فى الاقتراح على منواله، وحينئذ يقال بأننا قد اعترفنا بأخطائنا، وهذا ينال من الهيبة المحيطة بسلطتنا المعصومة، أو يقال إنه قد دخلت علينا مخاوف فاضطررنا إلى المسايرة والمجاراة، وعلى هذا الموقف لا يشكرنا أحد، بل يظنون أننا نزلنا على الإكراه، وغلبنا على أمرنا . وكل وجه من هذه الوجوه ضار بسمعتنا بين يدى الدستور الجديد . وأما ما نريد، فهو أن تعترف الشعوب فوراً، وحرارة الانقلاب لم تبرد بعد، بأننا أقوياء، ولا سبيل لأحد إلى زحزحتنا قيد

شعرة، وكل ناس رهيب مر قربنا إلى قدمنا. فلا نحسب حساب أحد، ولا نخاف الخوف الذى يضطرنا إلى الأخذ برأى أحد، ونحن على استعداد فى كل وقت ومكان أن نسحق كل من ينبس بكلمة اعتراض، ونثبت أننا قد ملكنا الامر كله على الغوييم، وليس بودنا أن نتقاسم وإياهم ما ملكنا، وأننا نفعل هذا والرؤوس لا تزال دائخة من هول ما وقع والناس مأخوذون، والخوف يتملكهم حينئذ تراهم مما اعتراهم من الفزع قد أغمضوا عيونهم على ما رأوا وسكتت حالهم، وراحوا ينتظرون ما تكون العاقبة.

الغوييم قطيع من الغنم، ونحن ذئابهم. وتعلمون ماذا يحل بالغنم اذا جاءتها الذئاب.

وهناك سبب آخر يحملهم على إغماض العين: فإننا سنوالى إزجاء الوعود بأننا ساعة نفرغ من تحطيم أعداء السلام وترويض جميع الأحزاب، سنعيد إليهم الحريات التى أخذناها منهم، لكن سيطول بهم الزمن وهم ينتظرون. فلأى غاية، نسأل الآن، قمنا باختراع هذه السياسة، وتلقيح أذهان الغوييم بها دون أن نعطيهم الفرصة للتفكير فيما وراءها؟ هل الغاية إلا أن نبلغ من هذا كله، بطريق المراوغة والدوران، ما لا نستطيع بلوغه بسلوكنا الطريق المستقيم؟ هذا لعمرى هو الأساس الذى قامت عليه مؤسستنا الماسونية السرية التى لا تعرف حيوانات الغوييم من أمرها شيئاً يذكر، ولا من أغراضها الخفية إلا ما يؤخذ بالظن والتقدير. فاجتذبنا الغوييم إلى القافلة الجرارة من معارض الأندية والمحافل الماسونية فقامت هذه المحافل بذر الرماد فى عيون أعضائها. والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار، بنعمة السبى والجلاء، والتفريق والشتات فى الأرض، وهذا الأمر الذى كان فيما مضى مجلى ضعفنا، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التى أفضت بنا الآن إلى أن نلج الباب الذى منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله. هذا ما بلغناه. وأما ما بقى علينا أن نبنيه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بعسير.

البروتوكول الثانى عشر

نوع الترجمة الماسونية لكلمة «حرية» مستقبل الصحافة فى المملكة الماسونية. التسلط على الصحافة. شركات الأنباء. ما هو التقدم فى رأى الماسونية؟ الصحافة ايضاً من ناحية اخرى. التضامن الماسونى فى صحف العصر. إثارة مطالب الرأى العام فى الأرياف. العهد الجديد معصوم.

كلمة الحرية التى تفسر تفسيرات مختلفة، انما لها عندنا هذا التحديد: الحرية هى حقك أن تفعل ما يبيحه لك القانون. وهذا التحديد يكون مفيداً لنا فى الوقت المناسب، لأن زمام الحريات كلها سيكون بيدنا، بعد أن تصبح القوانين هى صاحبة القول الفصل تأخذ ما تأخذ، وتعطى ما تعطى، على ما تتطلبه مصلحتنا، وعلى النهج الذى نريد.

وسنعامل الصحافة على هذا المنوال:

فما هو الدور الذى تمثله الصحافة اليوم؟ أهى دائبة العمل على الإثارة والتحريض، وإشعال العواطف التى تخدم غاياتنا، أم هى فى خدمة اغراض الأنانية للأحزاب؟ ومن هنا هى على الغالب تافهة، تأخذ جانب الشطط، كاذبة مختلقة، وجمهور الشعب يجهل الاغراض التى تخبط وراءها الصحافة أما نحن نسرجها ونلجمها ونأخذها بعنان شديد، ومثل هذا نصنع إزاء جميع ما تخرجه دور الطباعة والنشر من انتاج مختلف الألوان، إذ لا يكون هناك من معنى لتخلصنا من حملات الصحف علينا، مع بقائنا هدفاً للنشرات والكتب. وسنعنى العناية الخاصة بما يتعلق بمادة النشر والطبع، مما تخرجه المطابع على اختلافه، فإخراج المطبوعات اليوم كثير التكاليف والنفقات بسبب الرقيب. وهذا الأمر الدائر كله حول المطبوعات، سنحوله الى مورد يدر على خزينة الدولة دخلاً غزيراً. وسنُخْضع الصحف لنوع من الضريبة البريدية، ودفع الوديعة المالية الاحتياطية مسبقاً قبل اصدار الرخصة، ويتناول هذا التدبير أى نوع من النشرات والصحف والمجلات. وهذا التدبير يكفل لحكومتنا الوقاية من أى حملة كتابية علينا من جانب الصحف. وحينئذ، فأى محاولة للحملة علينا، هذا إذا كانت محتملة الوقوع، بوسعنا ان نخمدها فى أى وقت عن طريق فرض الغرامة المالية بلا رحمة، وباقتطاع هذه الغرامة، واستيفائها من الوديعة، وهذا كله يأتى منه دخل كبير، صحيحٌ إن صحف الأحزاب قد لا يكون لديها مال مرصد لينفق على النشر، فهذه الصحف إذا هاجمتنا فسنغلقها إذا كررت عملها، ولن يكون بوسع أحد، مهما ظن أنه فى حصانة من نفسه، أن يشوح بالنقد ولو بطرف إصبعه،

قاصداً أن ينال من هالة التقديس المحيطة بحكومتنا. وستكون حجتنا فى وقف اى نشرة، أنها اساءت الى الرأى العام بما كتبت ونشرت دون مناسبة أو مبرر. وأرجو منكم أن تلاحظوا أن بين الصحف المهاجمة لنا، تكون هناك صحف أخرى حقيقتها مستترة، وكلهم فى الحلبة شىء واحد، غير أن المستترة بقناع هى الصحف التى نحن أنشأناها سراً، فاذا حملت علينا ونَقَدَتنا فإنما هى تفعل ذلك فى الموضوعات التى نكون نحن قد قررنا من قَبْلُ، ان يجرى تعديلها، ولا ضرر من اثارة النقد فى مثل هذا الظرف.

ولن تصل إذاعة أى نبأ الى الجمهور عن طريق الصحف، قبل ان تكون مادة الخبر قد مرت علينا، وكاد هذا الأمر يكون واقعياً اليوم على هذا الوجه، وزمامه بيدنا، على ما نراه فى شركات الأنباء والأخبار القليلة العدد، حيث تتوافد عليها الأنباء من مختلف أنحاء العالم، وفى اليوم القادم سيكون امر هذه الشركات لنا نصرفه كيف نشاء، ولن يُطلَق نبأ واحد الى العالم إلا ما نمليه نحن. فإذا كنا قد توصلنا حتى اليوم الى ما فيه رضانا. فلننظر فلا نرى دولة واحدة تقف بيننا وبينها حواجز تؤخرنا عن الوقوف على ما نسميه الغوييم الأغبياء بأسرار الدولة، فكيف تكون الحال من جهتنا من وسع حيلة، ونفوذ كلمة، وتوغل فى كل ناحية، بعد ان يُعتَرف بنا أننا سادة العالم فى شخص ملكنا الذى سيطبق سلطانه الأرض كلها؟

ولنَعمدْ إلى أمر المطبوعات والنشر فى المستقبل. فكل واحد من العاملين فى هذا الحقل، يرغب فى أن يكون ناشراً، او صاحب مكتبة، او متعاطياً فن الطباعة، عليه ان يكون حاصلاً على دبلوم احد المعاهد، فاذا عثر او كبا، ضبطنا منه الدبلوم وسحبناه منه بلا تردد. وبهذه الوسيلة والتدابير، تغدو اداة النشر الفكرى فى آفاق الرأى العام، أداةً تعليمية فى يد حكومتنا، فلا تبقى الجماهير بعد ذلك عرضة للتضليل بالطرق الملتوية والنزوات، والتغنى الباطل ببركات مزعومة جاء بها عصر التقدم والنور. ومن هنا لا يعلم ان هذه البركات الخيالية الموهومة، ما هى إلا الطريق التى تؤدى تواً الى متاهات التفكير الجنونى، وهذا التفكير الجنونى يفضى بصاحبه إلى حيث تتولد بنور الفوضوية، تنتشر بين الناس أنفسهم ثم بينهم وبين السلطة، لأن التقدم، أو بالأحرى فكرة التقدم كان السبب فى الانطلاق إلى التحرر من كل ضابط، وكل ذلك جمد بالتالى وتوقف عن عجز، وجميع من يسمون بالأحرار هم دعاة فوضوية، وإذا لم يكونوا هذا فى الواقع فعلى الأقل هم هكذا فى الفكرة. وكل واحد من هؤلاء راح يتخبط وراء خيالاته، ويزداد إفراطاً وجنوناً حتى يقع فى حفرة الفوضى، فيصيح ويحتج، لا من أجل شىء بل لمجرد شقشقة الألسنة بالاحتجاج.

ونتناول الآن الصحف الدورية من مجلات ونشرات وأمثالها. وهذه أيضاً سنخضعها كغيرها من سائر المطبوعات للضريبة البريدية، على أن يكون مدار الاستيفاء موقوفاً على عدة صفحات النشرة، ونُلزِمها باسم القانون دفع الوديعة المالية الاحتياطية، وأما الكتب التى تتألف

من أقل من ٣٠ ملزمة، فإننا نرتب عليها دفع الضريبة مضاعفة، وسنعتبر المجلات الدورية من نوع الكتب الصغيرة أو النشرات، والقصد من هذا على نوعين، أولاً: أن يتناقص عدد هذه المجلات، وهى فى الواقع أردأ أنواع المطبوعات وأسمّها مادة، وثانياً: ان يُكرّه الكتّاب على الإكثار من هذه المادة، إكثاراً مُملاً يحمل القراء على أن يُعْرِضوا عن المطالعة، وهذا بالإضافة إلى غلاء الثمن. أما نحن ففى الوقت نفسه سنتولى إصدار مجلات من قِبَلِنا لتنشيط الحركة الذهنية فى اتجاهنا، وأثمان مجلاتنا هذه رخيصة، ومادتها يشغف القارىء بمطالعتها. والضريبة البريدية ستحد كثيراً من مطامع المنتمين إلى صناعة الكتابة، فيجدون أنفسهم محصورين فى نطاق ضيق، ولا مجال لهم للعبث، ثم تدركهم حين الاقتضاء الغرامات المالية، فينوئون تحتها فيجمدون ثم ينتهون إلينا. ومع هذا، فإذا اغتر واحد منهم بعد ذلك بالحملة علينا، فلن يجد المطبعة التى تقبل أن تطبع له ما يريد قبل ان تراجعنا للإذن بالطبع. وبهذه الطريقة نتمكن من الوقوف على المادة المراد نشرها قبل طبعها وتتكشف لنا الحيلة، فنضرب بالمادة عرض الحائط، لكننا ننظر فى محتواها، فإذا وجدنا فيه شيئاً يقتضى الإيضاح للرأى العام، فعلنا ذلك من تلقاء أنفسنا.

صناعة الأدب والصحافة فى مضمارها، هما أشد عوامل التهذيب، ولهذا السبب ستكون حكومتنا مالكة مقود معظم الصحف، وهذا من شأنه أن يعقم العوامل الضارة فى هذا الباب، مما يملكه أرباب الصحف وبهذا التدبير نكون قد امتلكنا القوة الأولى الموجهة للرأى العام. وإذا أعطينا، مثلاً، عشر رخص لإصدار صحف إلى مطلق الناس، فينبغى أن نعطى إلى جماعتنا ثلاثين رخصة، ويجرى الأمر فى أى صعيد آخر على هذه النسبة. ولا يشك الرأى العام فيما نصنع، إذ كل الصحف التى تنتمى إلينا ستكون من حيث المظهر جامعة لمختلف النزعات والآراء المعارضة، وهذا ما يوهم الجمهور، دون أن يدرى ما وراءه، ويستدنى إلينا الخصوم الذين لم يمعنوا فى إساءة الظنون بنا، فنتلقاهم، ونستل منهم الأشواك، فيغدون ولا ضرر منهم.

ففى الصف الأول تأتى الصحف ذات الصبغة الرسمية، الناطقة بلساننا. وهذه الصحف هى الحارس على مصالحنا دائماً، ولذلك لا يكون لها كبير تأثير فى مجرى حركة الرأى العام.

وفى الصف الثانى تأتى الصحف التى صبغتها شبه رسمية، وهذه هدفها استمالة الفاترين الباردين، والذين هم على مفترق الطرق، وقليلاً ما يبالون.

وفى الصف الثالث الصحف التى نعهد إليها فى معارضتنا فى الظاهر، وفى واحدة منها على الأقل ينبغى أن تكون المعارضة على أشدّ ما يمكن من المرارة، أما خصومنا الحقيقيون فإنهم فى سرهم سيرتضون هذه الحال بصمت، فلا يفطنون ان المسألة تمثيل خادع على المسرح، فتجوز عليهم الحيلة. وبهذه الحيلة التى انطلت عليهم، يكشفون لنا عن أوراقهم.

وجميع صحفنا التى تشرب من مائنا ستحمل شتى الوجوه والسحنات والنزعات، من ارستقراطية، إلى جمهورية، إلى ثورية، وحتى فوضوية، إلى آخر ما تحمله قائمة الأسماء. وستكون هذه الصحف كصنم فشنو فى الهندلها مئة ذراع وذراع، وكل عين من عيونها مفتوحة على ناحية من نواحى الرأى العام. فإذا ما اشتد نبض صحفى ما، وظهرت حُمى من الحميات، فتلك الأيدى ترشد الرأى العام إلى ما نريد، لأن المريض، الثائر النفسى، يفقد توازن الفكر ويميل إلى قبول نصيحة تعمل على تسكينه والتخفيف عنه.

وأولئك المجانين الذين يظنون أنهم على حق فى ترديد ما قالته جريدتهم الناطقة بلسان معسكرهم، يكونون فى الواقع يرددون مقالتنا نحن من حيث أصل الفكرة، أو ما يجرى مجراها من أمثالها ويكون عبثاً ظنهم أنهم يتعلقون بما هو من بضاعتهم، بينما الراية التى يدافعون عنها، وتحـ . يقفون، هى رايتنا مرفوعة فوق رؤوسهم.

وحتى ينتظم أمر الصحف المتجندة لنا، على هذا القرار المتقدم، فعلينا العناية الدقيقة بكل ما يتعلق بها ويؤول اليها. وتحت ستار دائرة مركزية للمطبوعات، سننشىء خلايا ادبية نابغة يتلقن منها عملاؤنا ما يلقى اليهم من تعليمات وأوامر، وكلمات سر، كل يوم بيومه، دون أن يكون شىء من أمر هذا يلفت النظر. وتجرى فى هذه الخلايا مناقشات على وجهى النفى والإثبات، والمناقضة والتأييد، وكل هذا إنما هو من التمثيل والمظهر المصنوع لا أكثر، دون تعمق إلى الجوهر الحساس. وستتولى الصحف السائرة فى ركابنا شنّ حملة عنيفة صارمة على الصحف الرسمية الناطقة باسم الدولة، وما الغرض من هذا سوى إعطائنا الفرصة لندلى فى هذه المناسبة بتصريحات حول الموضوع أوسع واشمل مما لو جئنا نعالجه ببيانات رسمية فى أوقات أخرى وظاهرٌ جليٌّ وجه النفع لنا من هذا.

وهذه المهاجمة التى وُجِّهَتْ إلينا، يكون لنا منها فائدة أخرى، وهى أن تقنع رعايانا بأن الحريات التامة متوفرة لها، ومن هذه تلوح الفرصة لعملائنا فيثبتوا أن جميع المعارضة ما هى إلا ثرثرة فارغة، تخبط خبط عشواء، فالمجال أمامها فسيح لتقول وتثبت حجة ما تقول، فلم تفعل شيئاً من ذلك، وعجزت عن إقامة الدليل الواقعى على دعواها. والأمر من طرفيه يكون محكماً على ما أصدرنا من تعليمات بشأنه إلى عملائنا.

إن الأسباب الإدارية التى من هذا الطراز، وهى جدّ دقيقة، وتخفى عن عيون الرأى العام، تغدو خير الوسائل لجعل الرأى العام يلتفت إلى حكومتنا بالثقة والاطمئنان. ومرحى لهذه الأسباب البارعة تمكننا من وقت إلى آخر، حسب الاقتضاء، من تهييج الرأى العام أو تسكينه، حول موضوع سياسى، أو من إقناعه به أو حمله على التشكيك، والتشويش عليه، فننشر اليوم ما هو الصدق والحق، وغداً ما هو الكذب والباطل، وتارةً المسلَّم به، وطوراً ما هو نقيضه. وهكذا دواليك، ودائماً نتحسس الأرض التى نمشى عليها قبل نَقْل الخطى، كى لا

نعثر. والنصر مضمونٌ لنا على أعدائنا، إذ ليس بيدهم صحف رهن امرهم كما لنا نحن، تنشر آراءهم على نحو ما نفعل نحن. وعندما تعالج مسألة من مسائلهم ويؤول الأمر إلى إسكاتهم، نكتفى بعد ذلك بالتنفيذ السطحى، ولا نزيد.

وصغائر هذه العبارات النارية تطلقها عند الحاجة صحف الصف الثالث، فنظهر السخط عليها وندعى عدم الرضى عنها، بل تفندها صحفنا شبه الرسمية.

وحتى فى أيامنا هذه، لنا مثال على اتجاهنا، وهذا المثال نأخذه مما هو مشاهد فى صحف فرنسا، حيث تقع حالات وصور يظهر منها التساند الماسونى على يد الشعار أو كلمة السر: فإن رجال الصحف فى فرنسا مقيدون برعاية سر المهنة الصحفية، وشأنهم إذا سألتهم عن مصدر خبر ما، شأن العرافين فى الزمن القديم. يجيبون بإبهام ثم يصمتون، وهؤلاء الصحافيون لا يبوحون باسم المصدر الذى استقوا منه الخبر، إلا إذا أجمعوا على البوح به، فذلك شيء آخر. ولا تجد صحافيا واحداً يجترىء على فشو السر، كما لا تجد صحافياً آخر يمكن أن ينتمى إلى الأسرة القلمية الكتابية ما لم يكن فى ماضيه قد ناله ما يُلَطخ ويَصم... وهذه اللطخات والوصمات، لا تلبث ان ينكشف عنها الغطاء. وانكشافها ما دام محصوراً فى فئة قليلة، فيبقى ذلك الصحافى على حسن السمعة فى نظر الجمهور، يجتذبهم إليه وهم الدهماء يسيرون وراءه بنخوة وحماسة.

وحساباتنا هذه تتناول الآن أهل الأرياف والقرى، فلابد من أن نستشيرهم ونستفزهم فى ما له مساس بمسائل راحتهم وسلامتهم، ومطالبهم، واتجاهاتهم حتى إذا تحركوا وهاجوا، حَمّلنا قصتهم ونقلناها إلى العاصمة وقلنا لأهلها: هذا ما تتعلق به آمالهم. وطبعاً يكون مصدر ما يطلبه هؤلاء وهؤلاء: نحن. ثم إن ما نحتاجه من الآن إلى أن يحين وقت تسنمنا ذروة السلطة العليا، أن نجعل العواصم والحواضر تصيبها الضربة فى عراقيبها، وهذه الضربة هى الآتية من الأرياف. ثم يقال لأهل العواصم: هذا هو رأى الأم، أى رأى الاكثرية التى نظمها عملاؤنا ورتبوها ثم يجب علينا عند سنوح الفرصة النفسانية المواتية، أن نمنع أهل العواصم من مناقشة أى موضوع، تَمَّ وانتهى، بحجة أنه يصبح فى حُكم الأمر الواقع، وأهل الأرياف، وهم الكثرة، قد قبلوا هذا وأقروه، وأقفل الباب.

وفى ذوى العهد الجديد، وهو انتقالى الى الدور الأعلى حيث نتقلد زمام العالم كله يجب منع الصحف من نشر الفضائح على الرأى العام، من أىّ نوع كان، والضرورة القصوى لهذا الوجه، ان يعتقد الجمهور ان العهد الذى طلع عليه قد جاء بالخير والبركة إلى كل انسان، فراقت الأحوال، وسكنت الطباع بعد القلق، وغابت الجرائم، وصَفَتْ الهيئة الاجتماعية من هذا الوباء؛ وأما حوادث الجرائم من حيث وقائعها المادية، فتطوى طياً لا يعلم بها إلا ضحاياها، وقد ذهبوا، وشهودها، إن وجدوا غرضاً، ذهبوا كذلك.

البروتوكول الثالث عشر

الحاجة اليومية إلى الرغيف . مسائل السياسة . المسائل الصناعية . فتن الملهيات المسليات قصور الشعب . «الصحيح صحيح بذاته» القضايا الكبرى.

الحاجة إلى رغيف الخبز كل يوم، تُكْرِه الغوييم على أن يخلدوا إلى المسكنة، ويكونوا خداما لنا طائعين، والعملاء الذين نختارهم منهم لخدمتنا فى الصحف، سيقومون، بإيماز منا، بمناقشة ايّ موضوع لا يناسبنا أن نعالجه نحن فى بيانات رسمية نصدرها إلى الجمهور تواً، لكننا، والنقاش دائر، حامى الوطيس فى أخذ ورد، ما علينا سوى أن نقوم، بهدوء تام، بالإجراءات التى نراها ضرورية حسب رغبتنا، وهى ما يتعلق بموضوع النقاش الدائر، ثم نعرض المسألة على الرأى العام، كأنها أمر واقع قد فرغ منه. حينئذ لن يجرؤ أحد على أن يتقدم فيطلب إلغاء هذا الرأى الواقع، وتضيق الحلقة به وبأمثاله، عندما نكون قدمّنا ما قدمناه بمثابة إصلاح وتحسين. وفوراً تقوم الصحف بدعوة الرأى العام واجتذابه إلى ما هو أشياء جديدة فاتنة، فتنصرف إليها الأذهان (ألم نكن قد عودناها اشتهاء الجديد المستحب فتنصرف إليها المصالح؟) ثم ينبرى لبحث الامور الجديدة أشخاص ما وُهِبوا من مقسم الحظوظ إلا فراغ العقول، وهم الذين يغيب عنهم أن يفهموا أنهم ليسوا على شىء، وأعجز من يدركوا اللباب. فأمور السياسة إنما نحن وحدنا نحذقها، وقد هيأنا الله لها بفعل الأجيال الجديدة، فمن مبدعها غيرنا؟

تعلمون من كل هذا، أننا فى طلبنا موافقة الرأى العام على ما نكون بسبيله، إنما نطلبه فى الواقع لنسهل به عمل أجهزتنا، وقد تلاحظون أن ما نرغب فى نيل الموافقة عليه، ليس عملاً من أعمالنا التى انتهى أمرها وفرغنا منها، بل ذلك هو مجرد كلمات رمينا بها وقول قلناه، يتعلق بهذا أو ذاك من الأمور التجارية. ومن دأبنا دائماً أن نصرح ونعلن، أننا فى مسرانا نعتصم بالأمل، ووراءه اليقين، إننا غير متوخين إلا خدمة المصلحة العامة.

ولكى نصرف أذهان الجمهور المزعج الشكس، عن مناقشة الأمور السياسية فإننا نجيء إليه بما ندعيه بأنه الجديد المختار، فى باب الصناعات وما إليها. وندعه يخوض فى هذا ويسبح ما شاء. واعتادت الجماهير الا تستسلم إلى الاسترخاء، وتنفض يدها مما تمده من متاعب السياسة (مما دعوناها معاناته من قبل، لنستغل ذلك فى مكافحة حكومات الغوييم) إلا

إذا توافر لها من الأعمال المناسبة الأخرى ما تعتاض به عما تتخلى عنه من شواغل السياسة، ولكى تبقى الجماهير فى ضلال، لا تدري ما وراءها وما أمامها، ولا ما يراد بها، فإننا سنعمل على زيادة صرف أذهانها بإنشاء وسائل المباهج، والمسليات، والألعاب الفكهة، وضروب أشكال الرياضة، واللهو، وما به الغذاء للذاتها وشهواتها.. والإكثار من القصور المزوقة والمبانى المزركشة، ثم نجعل الصحف تدعو إلى مباريات فنية رياضية ومن كل جنس. فتتوجه أذهانها إلى هذه الأمور وتتصرف عما هيأناه، فنمضى به إلى حيث نريد، فَيُسَلِّم موقفنا، وهو الموقف الذى لو أعلناه بارزاً مكشوفاً، تواً، بغير اصطناع هذه الوسائل الملهية، لوقعنا فى التناقض أمام الجماهير. ثم إن الجماهير بحكم ما ألفته واعتادته من قلة التفكير داخل آفاقها النفسية، ولا قدرة لها على الاستنباط، تراها شرعت تقلدنا وتنسج على منوالنا فى التفكير إذ نحن وحدنا من يقدم إليها المناحى الفكرية.. وطبعاً لا يكون هذا إلا على يد أشخاص لا شك فى إخلاصهم لنا.

والدور الذى يلعبه الليبراليون والطوباريون، حملة الأحلام الخيالية، يكون قد استنفد غرضه عندما تقوم حكومتنا، وقد تم لها الأمر. وريثما تظهر حكومتنا ويبرز كيانها، فأعمال هؤلاء تبقى مفيدةً لنا، ونحن نمُدهم بما يوجه عقولهم إلى انتحال كل تافه من العقائد يرونه جديداً، مطلوباً ومقبولاً. ألسنا نحن الذين نجحوا فى توجيههم بعقولهم الرخيصة، توجيه التضليل والتعمية، حتى باتوا، ولا ترى فيهم واحداً قادراً على التمييز، ومعرفة أن معنى كلمة التقدم يتضمن المفارقة أو المناقضة فى جميع الأحوال، حيث لا يكون الشىء كناية عن اختراع مادى، لأن الصحيح بذاته هو على وجه واحد ثابت، وليس فيه مكان لمعنى التقدم. والتقدم كفكرة، شىء فاسد، ومن شأنه أن يجعل الصحيح مبهماً غامضاً محجوب الرؤية، ورؤية الصحيح بجلاء ما خلقت إلا لنا، شعب الله المختار؛ حراس هذا كله.

وعندما ندخل مملكتنا، سيتولى خطباؤنا شرح هذه المسائل التى قلبت الإنسانية رأساً على عقب، وبالتالى جَرَّتها إلينا، أهناك من يشك مقدار ذرة، أن جميع هذه الشعوب، نحن قد اقتدناها هذا الاقتياد المسرحى حسب مرادنا السياسى، ولن يستطيع أحدٌ أو خطر بباله أن يدرك كيف سارت به قافلته هذه القرون العديدة.

البروتوكول الرابع عشر

دين المستقبل. العبودية فى أحوالها المستقبلة. دين المستقبل مكتوم لا تصل إليه المعرفة الأدب الإباحى والأدب المشترك العام فى المستقبل.

متى ما وَلجنا ابواب مملكتنا، لا يليق بنا أن يكون فيها دينٌ آخر غير ديننا، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا، من حيث كوننا الشعب المختار، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا. فيجب علينا أن نكنس جميع الأديان الأخرى على اختلاف صورها. فإذا أدّى هذا إلى ظهور الملحدين، والالحاد، على ما نرى اليوم، فذلك لن ينال من أراثنا شيئاً، والدور دور انتقال، بل يكون الإلحاد بمثابة إنذار للأقوام التى تُقبل على استماع تبشيرنا بتور موسى، وهو الدين الذى بوضعه الوطيد وكمال نظامه، وقد استمال جميع أمم العالم تخضع لنا وحينئذ نعلن أن ديننا هو الدين الذى يتوجه به الإنسان إلى الملأ الأعلى بلا واسطة. وفى هذه المرحلة من هذا الدور الانتقالى، سننشر على الناس من الفصول والمقالات والأبحاث ما يتبينون به الفوارق بين حكمنا الخيّر وأحكام العصور الغابرة، بالمقارنة. وبركات الاستقرار الذى هو حصيلة عراك قرون عديدة، ستعلى من قدر الخيرات التي تظهر من حكمنا. أما أخطاء حكومات الغوييم، فسنحصيها عليها ونحاسبها بأشدّ ما يمكن من العنت. وسنذيع على الملأ بشاعة تلك الأخطاء إلى حد يجعل الناس يؤثرون السكينة فى دولة هم فيها عبيدٌ مستخدمون، على ما رأوا من فارغ حقوق الحرية التى عذبت الإنسانية واستنفدت قوة الوجود الإنسانى، وهى القوى التى استغلتها عصابات دهماوية ضالة، مغامرة، لم تعرف من حقيقة أمرها شيئاً، وتغيير أشكال الحكومات فيما مضى، وهو أمرٌ طالما دفعنا الغوييم إليه وأغريناهم بإتيانه، لما كنا نعمل على دك كيان الدول، كان من نتيجته حتى الآن أن نَهك طاقة الشعوب واستنزف عافيتها حتى أتت مذعنة لتحمل أى مشقة فى ظل حكمنا، وهى ترى هذا خيراً لها من العودة إلى معاناة العهود السابقة فى ظل حكومتها التى قد انطوت.

وفى الوقت نفسه، لن ننسى أن نندد بالأخطاء التاريخية التى ارتكبتها حكومات الغوييم، الأخطاء التى تعذبت بها الإنسانية دهراً طويلاً لعجز تلك الحكومات عن أن تفهم وتعى معنى أى شيء من الخير المحض للإنسانية، فظلت (تلك الحكومات) راكبةً رأسها وراء مطالبها القائمة على الشهوات، والمكاره، آملة أملاً فارغاً أنها ستحصل على البركات الاجتماعية، ولم تلاحظ قط تلك المطالب كان من شأنها أن تزيد الشر وبالاً وسوءاً، دون أن تحقق شيئاً من

تحسين وضع العلاقات بين البشر وهذه العلاقات هى أساس حياة الإنسان.

وما تنطوى عليه مبادئنا من طاقة كامنة، وما فى قواعد عملنا من قوة، كل هذا ستتجلى محاسنه بطريقة واحدة، وهى أن نعرض ذلك ونبيّنه للناس ونشرحه لهم، فيظهر خيره للعيان بالمقابلة والمقارنة، مع الأنظمة السابقة التى فَنِيَتْ واضمحلت.

وسيتولى فلاسفتنا بالشرح والتوضيح، الكشف عما تنطوى عليه معتقدات الغوييم الدينية من عوار. غير أنه لن يسمح بأن يطرح ديننا للبحث ابتغاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة، إذ هذا علمه محصور بنا، مقصور علينا وحدنا، ونحن دائماً حريصون على الا نبوح بأسراره لغيرنا.

وفى خلال القرون التى تنعت بقرون النور والتقدم، وضَعْنَا فى أيدى الناس ضروباً من مادة الآداب المنشورة بالطباعة، هى غاية فى التفاهة والقذارة والغثاثة. وبعد أن نقيم مملكتنا فهذه الأنماط من مادة الأدب ستظل على حالها سارية مسراها، تروّجها وتحثّ عليها، والغاية من ذلك أنه عندما نأتى نحن بأنفس طراز من محاضراتنا وخطبنا وأبحاثنا وبرامج أحزابنا، وكل ذلك رائع، يوزع من قبل مقاماتنا العالية، حينئذ يدرك الغوييم إدراكاً مذهلاً مدى الفرق العظيم بين ما أعطيناهم، وما كانوا عليه، وسيقوم حكماؤنا، المهيأوون لقيادة الغوييم، بوضع المحاضرات ورسم الخطط والمشروعات، وكتب المذكرات وصنوف المقالات، مما نستعمله نحن لفائدتنا، فيسرى اثره الى عقول الغوييم تتلقح به وتستضىء بنوره بالاقتباس منه، استدراراً للمعارف، على ما قررت مناهجنا.

البروتوكول الخامس عشر

الانقلاب او (الثورة) يعم العالم فى وقت واحد. الإعدام. حظ ماسون الغوييم فى المستقبل. أسرار السلطة. الإكثار من المحافل الماسونية. الهيئة المركزية الحاكمة من حكماء الماسونية الأساليب المتحايلة. الماسونية وقيادتها جميع الجمعيات السرية. استحسان ما يقوله المغررون. الجماعة المتضامنة. الضحايا. إعدام حتى من هم ماسون. سقوط هيبة القوانين والسلطة. مكاننا بصفتنا الشعب المختار. ميزة القوانين فى الإيجاز والوضوح فى حكومة المستقبل. طاعة الأوامر. العقوبة لمن يسىء استعمال القانون. صرامة العقوبة. تحديد سن صرف القضاة من الخدمة. الليبرالية عند القضاة والسلطة. احتشاد أموال العالم. السلطة المستبدة الماسونية. حق الاستئناف فى المستقبل. مظهر الأبوة فى حكم المستقبل. حق القوى هو الحق الوحيد ولا غيره. ملك إسرائيل هو الأبوة للعالم بأسره.

متى ما أنجزنا إقامة دولتنا بالانقلابات والثورات المعدة فى كل مكان، لتقع فى يوم واحد موقوت، بعد أن يكون أمر الحكومة قد بلغ غاية التدلى والتفاهة، واتضح ذلك ولا سبيل إلى إنكاره (وما ينقضى من الوقت من يومنا الحاضر حتى يوم تحقيق أهدافنا المقبل قد يمتد إلى قرن) فإننا سنُعنى بعد ذلك بمكافحة أى شىء من حياكة المؤامرات علينا، وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح (بأيديهم) ليقاوموا الانضواء إلى مملكتنا. وكل نوع من المنظمات الجديدة يؤلف بعد ذلك ويكون من الجمعيات السرية، يعاقب القائمون بالموت. وأما الجمعيات القائمة اليوم، وهى معروفة لدينا، وتعمل فى خدمتنا كشأنها فى الأمس، سنجردها من سلاحها، ونطرح رجالها فى المنافى فى القارات البعيدة من أوروبا. ثم بعد ذلك نمضى، ومعنا ماسون الغوييم الذين تحنكوا بالعمل، فنالوا الخبرة والمعرفة، كما يكون معنا أيضاً أمثالهم، ممن نعفو عنهم، لسبب ما، عفواً يبقيهم دائماً خائفين، مترقبين المفاجآت، يتوقعون النفى. وسنسن لهم قانوناً يجعل جميع الأعضاء فى الجمعيات السرية السابقة معرضين للنفى فى أوروبا، واوروبا حينئذ مقر حكمنا.

وستكون مقررات حكومتنا باتة، لا استئناف لها.

وأما جمعيات الغوييم السابقة التى زرعنا فيها بذور التفرقة، والمخاصمة، والتنابذ، والانشقاق، فَنَمَتْ تلك البذور وامتدت جذورها، فالطريقة الوحيدة لإقامة النظام فى هذه الجمعيات هو اتخاذ تدابير صارمة تتجلى فيها سطوة السلطة بكل وضوح. ولا نبالى بالضحايا فى هذا السبيل، فان تضحيتنا هنا بهؤلاء إنما هى لخير المستقبل، وتحقيق هذا الخير

للمستقبل، ولو شُرِىَ بالضحايا، ينبغى أن يكون الواجب المطلوب من كل حكومة تعترف بأن تبرير وجودها، لا يتم بأن يكون لها حقوق وكفى، بل لا يتم إلا بأن يكون عليها أيضاً واجبات والتزامات. وأكبر ضمان لوثاقة الحكم الجديد فى أوضاعه، هو إظهار عزة الدولة وهيبتها، كأنها تعتصب هالةً من نور، وهذه الهالة مجلاها ومظهرها جبروت القوة، ويدل على ذلك الشعار الذى فى جبينها، وهو رمز عصمتها المستمدة من أسباب علوية . يوم اختارنا الله. والأوتوقراطية الروسية إنما كانت على هذه الصفة حتى وقت قريب، وهى العدو الوحيد الرهيب رأيناه فى العالم، ولا ندخل فى هذا الحساب الآن، البابوية. واحفظوا فى بالكم على سبيل المثال ما وقع فى إيطاليا، فإنها، وهى سابحة فى الدم، لم تستطع أن تمس ولو شعرةً من رأس صولا وهو الذى أسال تلك الدماء. وتمتع صولا بصولة عارمة فعلاً وتأله، لما ملأ عيون الناس روعة السطوة، مع أن الشعب كان قد رزى منه الويل والعذاب، وانتشر من بين يديه مقطعاً إرباً إرباً. لكن لما عاد صولا إلى إيطاليا عودة المقحام الجرىء أفرغت عليه عودته هذه بهاءَ العظمة، ووشاح القدرة التى لا تُغلب. فأمسى الشعب أخوف من أن يومى إليه إيماء، وأصل ذلك عند صولا الإقدامُ وقوةُ العقل.

وفى خلال الوقت الذى ينقضى من الآن إلى أن نقيم مملكتنا، سنسلك الطريقة المخالفة لهذا: فإننا سنخلص ونكثر من المحافل الماسونية الحرة فى جميع بلدان العالم، لتمتص إلى جوفها الذين يمكن أن يغدوا من ذوى النباهة والشأن، أو هم هكذا فى حاضر حالهم، فى تعاطى الشؤون العامة. وفى هذه المحافل نجد طلبتنا من مكان التجسس الرئيسية وأسباب نشر نفوذها. وهذه المحافل سنضعها تحت إدارة مركزية معروفة لنا وحدنا، وأما غيرنا فلا يدرى من ذلك شيئاً مطلقاً. وهذه الإدارة المركزية انما تؤلف من حكمائنا. ويكون لها ممثلون ينطقون باسمها، وهم بمثابة ستار يغطى الادارة المركزية الماسونية التى منها تصدر التعليمات، والشارة وكلمة السر. وفى هذه المحافل، نُحْكِم رَبْط العُقْدة التى تضم أنشوطتها جميع العناصر الثورية والليبرالية. وهذه العناصر آتية من مختلف طبقات المجتمع. وعلى هذا الوجه، فإن أوغل المؤامرات السياسية فى دهاليز السرية وأوكارها، يكون عندنا خبره، ونحن المحركون لذلك بأيدينا المشيرة من وراء ستار من أول يوم تولد. وينضوى الى عضوية المحافل، جميع العملاء للبوليس الدولى العام، والبوليس المحلى فى كل دولة، إذ خدمة هؤلاء لا يعتاض عنها بسواها، لأنهم يستطيعون استعمال تدابيرهم الخاصة إزاء المتمردين، وليس هذا وقفا على نشاطنا بما يضعون من تأويل وتفسير ومزاعم ومدعيات، فى حالات انتشار القلق والتذمر وما أشبه.

وأما أولئك الأفراد من طبقة الشعب، الذين يسارعون طوعاً من تلقاء أنفسهم للانتماء إلى الجمعيات السرية، فهم القوم الذين يعيشون بمتاييس ضئيلة على قدر أفهامهم، مستندين على القليل الذى عرفوه واكتسبوه من تعاطيهم أعمالهم المختلفة، وكل واحد منهم هو ابن

صنعته، فهولاء على الجملة والغالب خفاف العقول، ولا نجد صعوبة فى معاملتهم واستعمالهم عند الاقتضاء كأدوات تصلح لتعطيل سير الأجهزة التى هى من صنعنا. فإذا طرأ اضطراب على هذا العالم، فمعنى ذلك أننا نحن الذين رأوا إيقاع هذا الاضطراب لتقوم الأمم على بعضها بعضاً، وتهدم كيانها المتضامن المنيع. ولكن إذا ظهرت فى وسط العالم مؤآمرة، فعلى رأس تلك المؤامرة لا يكون أحد سوى من هو فى خدمتنا وأشدهم إخلاصاً لنا. فطبيعى، إذنْ، ان نكون متولين توجيه النشاط الماسونى، لأننا نعلم أين هى الغاية من التوجيه، والهدف المقصود من كل نشاط، بينما الغوييم يجهلون من هذا كل شىء، ولا يتصورون النتائج حتى فى ابسط أشكالها، وشأنهم المعتاد أن يبادروا إلى إظهار الاعتداد بالنفس والتباهى والازدهاء بآرائهم الخاصة، إلى انغماسهم فى مصالحهم الفردية، دون أن يلاحظوا على الأقل أن محض الفكرة التى يدورون حولها ليست من بضاعتهم فى الأصل، وإنما وَرَدَتْ عليهم منا، ألقينا بها وهم لا يَدْرُون.

والحافز لأفراد الغوييم فى انتمائهم الى المحافل، عادة حب الاستطلاع ودافع الفضول، أو أملاً أن ينتشلوا من المجتمع لقيمات من حب الظهور وفيصل ثالث منهم، أمنيته أن يقف فيتكلم فى الجمهور ليستمعوا إليه، وهذا ليس عنده إلا ترهات. فهؤلاء جميعاً متعطشون إلى أن يستمتعوا بلذة القول أنهم نجحوا، واستحسن الناس ما قالوا. ونحن فى هذا على غاية الجود والكرم. والسبب الذى من أجله أننا نمن عليهم بهذا النجاح والاستحسان، هو أن نسخرهم ونستغلهم من ناحية غرورهم المطبق، وهذا كله مما يحملهم على ان يهضموا بلا شعور، آراءنا وأفكارنا، ويتبنوها دون ان ينتبهوا إلى أن ذلك هو منا. ومن شدة هذا الغرور فهم عديمو الاحتراز، وليس لهم صحة تقدير، فيتظاهرون عن ثقة تلابسهم، بأن هذا النجاح كله هو من بنات أفكارهم ومبتكراتهم، وهم أكبر من أن يقتبسوا، أو يقترضوا مثله من سواهم. ومن السهل جداً، من هذه الناحية، أن تجر، حتى أعقلهم، إلى موقف السذاجة، دون أن يشعر بأنه منساق مجرور، وهو متجاوب مع غروره، وسَهُل كذلك أن تميل إليهم الذى تريد، منتزعاً قلوبهم من بين حنايا صدورهم، وذلك لأقل فشل يلاقونه، حتى ولو كان هذا الفشل لا يزيد خيبتهم فى أنهم لم يلاقوا مقدار الاستحسان الذى كانوا يتوقعون، فيستذلون ذلّ العبيد من أجل أن يعود إليهم ما يأملون.. وجماعتنا ينبغى ألا يهمهم شىء من مقدار هذا النجاح الذى يشغل بال الفرد من الغوييم، إلا إذا رأت جماعتنا أن من المصلحة لها، المسايرة فى تنفيذ المسألة المطروحة، مع العلم أن الغوييم فى سبيل التلذذ بالنجاح، الذى إليه يتوقون، يضحّون بكل مرتخص وغال. وهذه الحالة عند الغوييم تساعدنا كل المساعدة، ونحن نعالج تعيين مكانهم من الاتّجاه المطلوب. فهم نَمِرَةٌ وأسودٌ فى الظاهر، أما نفوسهم فنفوس خرفان، والرياح تلعب برؤوسهم دائماً تندفع بهم هذه الناحية أو تلك. وقد اشريناهم. عن طريق اركابهم حصاناً

من قصب كحصان الصبية اللاعبين فى الساحة، فكرة اندماج الفرد فى المجموع لتحصل من ذلك الوحدة الرمزية للجماعة.. ولم يفطنوا، إلى أن هذا الحصان الذى أركبوه فامتطوه بازدهاء وخيلاء، ما هو إلا ابتعاد واضح من مجرى النواميس الطبيعية، إذ الطبيعة قد أوجدت من أول يوم الكون، كل وحدة من وحداتها تختلف عن الأخرى، والغاية من ذلك إنشاء الفردية.

فإذا كنا قد استطعنا أن نورد الغوييم من كل هذه الموارد من التضليل لبلاهتهم وانغلاق عقولهم، أفليس هذا برهاناً ساطعاً على ما انتهت إليه أذهانهم من ركود وتخلف، إذا قابلتم الحال بيننا وبينهم؟ وهذا ما يضمن لنا النجاح.

ولعمرى، ما كان أحكم سلفنا فى الأزمنة الغابرة لما قالوا إن فى طلب كبار الغايات لا يقام وزن للوسائل والضحايا.. وما بنا من حاجة لنحسب ما تحمله الغوييم من ضحايا لحفظ بذرة حيوانه والاحتفاظ بسلالته، مع أن ضحايانا نحن لم تكن بالقليلة. ولكن من أجل ما تحملوا هم، فنعطيهم اليوم من المكان والفسحة على وجه الأرض ما لم يتخيلوه حتى فى أحلامهم وأما عدد ضحايانا القليل من مجموعتنا، فقد حَفَظَ لنا قوميتنا وحماها من الاندثار.

الموت حق على كل حى. فيكون خيراً وأفضل أن نقرّب الآجال على الذين يعترضون سبيلنا ، من أن نقرّب آجالنا، نحن الواضعين لهذه الخطة. وإننا مستعدون أن نعدم الماسونى إعداماً يخفى خبره عن الناس جميعاً، ماعدا الإخوة الماسونية، ولا يدرى بهذا أحد حتى المحكوم عليه نفسه،فيظل على جهل من مصيره المدبَّر له حتى يلقاه، فيموت بالوقت الذى عيّن له كأنه مات ميتة طبيعية من مرض عادى.. والإخوة الماسون أنفسهم، اذا ما علموا بذلك فلن يقووا على الاحتجاج. وبهذه الطريقة نكون قد اقتلعنا من وسط الماسونية الجذور التى قامت تشغَب علينا. وبينما نُعنى بنشر الليبرالية فى آفاق الغوييم، لينطلقوا يفعلون ما يريدون، ترانا جدّ حريصين على جعل شعبنا وعملائنا فى حالة الخضوع لنا دون أى اعتراض.

ولا يغيب عنا أننا بفعل هيمنتنا على الغوييم، استطعنا أن نجعل تنفيذ القوانين عندهم يلزم الحد الأدنى، ذلك لأن هيبة القوانين قد نسفتها نسفاً التفسيرات الليبرالية، فعقدتها، وتركتها كومة من الأوهام. وأهم القضايا وأعلاها شأناً، يتولى القضاة فيها على ما نوحى به إليهم، وينظرون فى المسائل على هذا النحو أيضاً، فى ادرارة شؤون الغوييم وهذا طبعاً على يد أشخاص هم أدواتنا باطناً، لكنهم فى الخارج وعلى عيون الناس. لا صلة بيننا وبينهم، ويتم تبليغ ما يراد تبليغه بمقالات الصحف وما أشبه. وحتى أعضاء مجلس الشيوخ، وكبار رجال الإدارة، فإنهم يتقبلون نصائحنا بالرضى؛ وعقل الغوييم لخشونته المطلقة، تراه عاجزاً عن التحليل والملاحظة، وهو بعد ذلك أعجز عن رؤية أقرب النتائج للحلول التى يضعها ولا يتصور ما تؤدى اليه.

ومن هذا الفرق فى الخصب العقلى بيننا وبين الغوييم، يتضح ما اختصنا الله به منذ شاء اتخاذنا الشعب المختار، ويتجلى ايضاً ما اختصنا به من درجة عالية فى سجية الإنسانية وأما الغوييم فلهم العقل الراكد. ولهم عيون ولكنهم لا يبصرون شيئاً مما أمامهم، وهم لا يخترعون، ولا يبدعون (إلا ما عسى ان يكون فى باب الاختراعات المادية) ومن هذا يعلم أن الطبيعة نفسها هى التى خطت مصيرنا لقيادة العالم والسيادة عليه.

ومتى ما جاء الوقت لنمارس الحكم العالمى علناً، ونقبض على زمامه فى وضح النهار، باسطين للناس بركاته، فإننا سنفرغ كل القوانين فى قوالب جديدة، موجزة، واضحة، متينة التركيب، لا تحتاج إلى تفسير أو تأويل، بحيث يكون بوسع أى فرد أن يفهمها بسهولة، والخصيصة الأولى الملازمة للنصوص، هى بيان وجوب الطاعة للقانون. وهذه القاعدة الأساسية تنزل المنزلة الكبرى من الخطورة، فتتلاشى النقائص والقباحات، ويمحى سوء الاستعمال، لما هناك من مسؤولية يحاسب عليها، وعين السلطان العليا رقيبة على كل شيء والخارجون على القانون ينالهم العقاب الصارم، ولا مجال لأحد لكى يفرض تجربته الشخصية عن طريق القانون، وسنحيط سير الإدارة برقابة فاحصة يقظة، إذ على هذا يتوقف سير أجهزة الدولة كلها فى مطلق شُعبها ودوائرها، لأن الخلل إذا وقع هنا فى الإدارة، تفشى فى جسم الدولة بلا استثناء. لذلك لن تمر حادثة واحدة من حوادث المخالفات إلا ويتناول العقاب مرتكبها.

أما إخفاء الجريمة والذنب، والتواطؤ بين القائمين بالإدارة الحكومية، كل هذا الشر لن يكون له وجود، بعد أن يُنْزِل العقوبات الصارمة بمن يستحقها فى البداية، فتكون من ذلك عبرة كافية. وهالة سلطتنا المشعة بالنور، تقتضى هذا، أى العقوبات العنيفة على أقل الذنوب، لتظل الهيبة القانونية على جلالها، لا تعلق بها شائبة. ومرتكب الذنب قديلقى من الجزاء فوق ما يستحق، ومَثَلُه مَثَلُ الجندى، لكن ميدانه العمل فى الخدمة الإدارية لمصلحة الدولة، مبدأ وقانوناً، وقد يُوَلى أن يمسك بعنان المركبة العامة ويكون سائقها، فلا يجوز له أن ينحرف بها عن جادة الطريق، فتنزلق وتهوى بمن فيها، وما السبب فى ذلك إلا ما فى نفس السائق من عاية خاصة، ومثل ذلك يقال فى القضاة: فقضاتنا سيعلمون أنهم إذا تجاوزوا بعامل الرحمة والشفقة، فيكونون بهذا قد خالفوا قانون العدالة، القانون الذى وضع لتقديس شخصية الفرد، عن طريق عقاب المجرم على ما ارتكبه من جرم، وليس موقف القاضى هنا أن يظهر ما فى صدره من عاطفة حنان ورأفة، إذ هو هنا لإجراء حكم القانون فحسب، لا للميل إلى ما فى نفسه. فإذا كان للقاضى عواطف وميول خاصة، فليمارس ذلك فى شؤون حياته الخاصة، لا فى ساحة القضاء، حيث القضية هنا هى تعليم وإرشاد لخير الحياة الإنسانية.

والقائمون بأعمال الجهاز القضائى يُصْرَفون من الخدمة عند بلوغهم سن الخامسة والخمسين، وأسباب ذلك أولاً لأن الذين تقدموا فى السن، يجمدون على آراء يخالطها تحيز ومحاباة، فيصعب عليهم التخلى عن طبعهم إلى ما هو أصلح. ثانياً، أن هذا الصرف من الخدمة يعطينا الفرصة لتحقيق المرونة فى تغيير الموظفين وانتقاء عناصر جديدة أطوع، فالذى يريدُ أن يشغل عملاً ما، عليه أن يستحقه بالطاعة. وعلى الجملة، فإننا سنختار قضاتنا من الذين آمنوا كل الإيمان بأن الواجبات المطلوب منهم القيام بها هى العقاب على الجريمة، وتطبيق القانون، لا مجاراة الأهواء الليبرالية، على حساب الآلة التهذيبية فى الدولة، على نحو ما يفعل الغوييم اليوم. ثم إن صرف الموظفين أو تغييرهم، من شأنه أن يذهب برابطة تكتل الموظفين الذين يجمعهم التضامن المسلكى وهم رفقةُ صعيد واحد. وفائدة أخرى أيضاً من الصرف:: وهى رَبْط عمال الدولة جميعاً بوثاق مصالحها. وعلى هذه المصالح يتوقف مصير الموظفين. وأما عنصر الشباب من قضاتنا فيكمل استعدادهم لتولى القضاء بإخضاعهم لدورات تدريب يفهمون منها استحالة الميل مع المذنب، إذا يتجلى لهم ما يكون وراء هذا من إفساد لأوضاع الرعية فيما بين بعضها بعضاً.

وفى أيامنا هذه، نرى قضاة الغوييم ينحرفون عند النظر فى كل نوع من أنواع الجرائم فلا يفهمون فهماً سليماً معنى ما عهد إليهم فيه، ذلك لأن حكامهم عند اختيار القضاة لا يهمهم أن يكون القاضى متشبعة نفسه بجب التجرد ليستطيع موازنة الأمور بحكمة وإصابة. وكما تُطلقُ الحيوانات صغارها لترعى حيث تريد، كذلك يفعل الغوييم بتسليط الموظفين على المصالح والأعمال، ليعتصروا منها ما يشاؤون لأنفسهم، وهذا هو السبب فى ما يحل بحكوماتهم من خراب، فهم فى الواقع يخربونها بأيديهم، عن طريق عمالهم.

ولا باس أن نقتبس درساً آخر من نتائج هذه الأعمال لخير حكومتنا.

إننا سنطارد الليبرالية من جميع المناصب الحسّاسة الخطيرة، وعلى هذه المناصب يتوقف تدريب العمال الثانويين اللازمين لهيكل الدولة وهذه الوظائف لا يشغلها إلا من كَمَلَ تدريبهم ليعملوا فى الإدارة، وإذا قيل من باب الاعتراض على هذا، إن صرف الموظفين من الخدمة على هذا الوجه، يحمّل خزانة الدولة عبئاً مالياً، أجبت، أولاً بأن المصروفين من الخدمة سيهيأ لهم من الأعمال فى المصالح الخاصة خارج الحكومة ما يعتاضون به عما فقدوه من مرتب. وثانياً، علىّ أن ألفت النظر إلى أن جميع أموال الدنيا ستكون محتشدة فى أيدينا، فلا تكون حكومتنا فى النهاية هى التى تخشى أن تتحمل هذه النفقات.

وسلطتنا المطلقة تكون فى مجرى هذه الأمور كلها على منطق آخذ بعضه برقاب بعض، اطراداً وانسجاماً، فيتلقى الشعب أوامرنا الباتّة الصفة فى كل قضيّة، بغاية الرضى والقبول، وينفذ إرادتنا إلى غايتها دون اعتراض، ولن نقيم وزناً لأى شكوى أو تململ، فإذا ظهر شىء من هذا فنسحقه تواً، ونستأصله بالمجازاة الصارمة.

وسنلغى حق الاستئناف لصاحبه. وإنما نجعله فى خيارنا ـ تحت نظر الحاكم، إذ لا ينبغى أن ندع الاعتقاد يسرى فى الأذهان أن لا طريق لتصحيح الخطأ الذى يقع فيه القاضى، والقاضى هو من قِبَلنا، ونحن أقمناه ليقضى فى الناس. فإذا ما وقع فى هفوة، فنحن نرفع القضية من تلقاء أنفسنا إلى مراجعها العالية، ولكننا نأخذ القاضى بعقاب عنيف، ليكون امثولة وعبرة، وحتى لا يقع فى الخطأ مرةً أخرى.. وعلىّ أن أكرر لنأمن العثرات، فيطمئن الشعب إلى حكمنا ويسكن، ومن حقه أن يطلب من الحكومة الفاضلة موظفاً فاضلاً.

وستكون حكومتنا متشحة بمظهر الوصاية الأبوية على الشعب، ويتمثل هذا فى شخص الحاكم الأعلى، وسيدرك شعبنا ورعيتنا هذا الحنان الأبوى فى كل مصالحهم وأعمالهم، وفى مجرى كل العلاقات الشعبية المتبادلة بين واحد وآخر، ومجرى العلاقات التى بين الشعب والحاكم. وهذا ما سيشربهم العقيدة أنهم لا غنى لهم عن استظلال ظل هذه الوصاية الأبوية، إذا شاءوا أن يعيشوا بسلام وهدوء، وسيعترفون بفضائل الأوتوقراطية فى حاكمنا، بإجلال كاد يكون تأليهاً، ولا سيما عندما يقتنعون بأن الذين نصبناهم عمالاً عليهم من عُمال الدولة، لن يتبعوا الهوى أو آراءهم الخاصة، بل دأبهم أن ينفّذوا إرادة صاحب السلطة العليا كما تملى عليهم وكذلك سيسر الشعب ما أحدثناه له من تنظيم أمور حياته ورعاية مصالحه، فصنعنا له ما يصنع الأب الحكيم نحو أولاده من تربيتهم على حب الواجب والطاعة. فإن شعوب العالم من جهة وقوفها على أسرار دولتنا، كانت عبر التاريخ كله بمثابة القاصر الذى لم يبلغ الرشد، وكذلك كانت حكوماتها.

وكما تعلمون، فإنى ابنى سلطتنا الفردية المطلقة على قاعدتى الحق والواجب والحق هو الإجبار على تنفيذ الواجب كما رسمته الحكومة باعتبار الأبوة التى لها على الشعب. فلها حق القوى تستعمله فى توجيه الإنسانية نحو هذا النظام الذى حددته الطبيعة وعرّفته بأنه الخضوع. وكل شىء فى العالم معناه الخضوع، وإذا لم يكن هذا الخضوع للإنسان فهو للأحوال والظروف، أو للقوة الذاتية فى الشىء نفسه، وعلى كل اعتبار يكون الخضوع للقوة التى تسيطر عليه. ولذلك نقول إننا سنكون نحن هذه القوة المسيطرة من أجل الخير.

ولا نتردد فى تضحية الأفراد الذين يخالفون النظام القائم، ففى العقاب الصارم ينزل بالمخالف ما يعطى درس التعليم.

ومتى ما وضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى تقدمه إليه أوروبا، فإنه يصبح أبا العالم، والضحايا الذين تقضى المصلحة بتضحيتهم، ولا مهرب من هذا، لن يماثل عددهم عدد الضحايا الذين سقطوا فى خلال القرون الماضية بسبب تهالك حكومات الغوييم على الأباطيل والتبارى من أجل الأبهة الفارغة، وسيكون ملكنا على اتصال دائم بشعوبه، ملقياً عليهم من على منبره الخطب التى فى ساعة إلقائها يتردد صداها فى العالم كله.

البروتوكول السَادِس عَشر

تعقيم برامج التعليم فى الجامعات. ماذا يحل على الكلاسيكيات. التدريب والمهن. التبشير بسلطة الحكم الجديد فى المدارس. إلغاء حرية التعليم. النظريات الجديدة. استقلال الفكر. التعليم على اسلوب «دروس الأشياء»

إنه لكى يتم لنا تخريب جميع القوى التى تعمل على تحقيق الانسجام الفكرى، والتضامن الاجتماعى، ماعدا قوانا نحن، علينا أن نبدأ بتفكيك حلقات المرحلة الأولى من هذا وهى الجامعات. والطريقة، ان ننقض وننقض أساليب التعليم من أساسها، ونُفَرِّغهَا فى أساليب جديدة وتوجيه حديث. والأساتذة والقائمون بالوظائف التعليمية، يهيَّأون تهيئة خاصة وفق برامج سرية عملية، ويُقيدون بها بشدة، حتى لا يسوغ لأحد منهم أن يحيد عنها قيد شعرة. ويدقق فى اختيارهم وانتقائهم بكل عناية، فإذا ما شرعوا فى أعمالهم باتوا ومستندهم الحكومة، ولا انفكاك لهم بعد.

وسَنُخْرِج من مادة التعليم الجامعى دستور الدولة وكل ما يمت إليه وإلى المسائل السياسية بصلة. غير أن هذه الموضوعات يقصر تعليمها على بضع عشرات من الذين يُختارون من الطلاب اختياراً لتفوقهم فى الذكاء، وبهذا تقف الجامعات عن أن تقذف إلى العالم كل سنة بطائفة بعد طائفة من المخنثين الذين ينطلقون بخفة لتلفيق المخططات الدستورية ورسم المشروعات الهوائية، راقصين حول هذا كأنهم على مسرح فى رواية مضحكة أو مأساة، يتلهون بمناقشة موضوعات هى فوق مداركهم، ولم يسبق لآبائهم أن حذقوا شيئاً من دقة الفكر.

وتعريف الجمهرة من الناس تعريفاً سيئاً ملتوياً، بشؤون الدولة ومسائلها، وهم يأخذون هذا بعقول فَجة، أمر لا ينتج عنه سوى ظهور العنصر الذى يركبه الهوس والخيال، يرافقه المواطن الردئ السيرة، ويسهل عليكم ملاحظة المثال على هذا، فى ما ترونه من نتائج التعليم الشائع اليوم فى العالم بين الغوييم. فالواجب الذى علينا هو أن ننقلهم إلى حيّز تعليم آخر، يتعلمون فيه جميع المبادئ والقواعد والأصول، مما كان رائعاً فى نفس نظامهم. ولكن متى ما تسلمنا نحن زمام الحكم والسلطة، سنزيل من المناهج كل موضوع شائك مقلق، ونجعل من الشباب شباباً طائعين للسلطة، محبين للحاكم، يرون فى حكمه العون والأمل فى بيئة السلام والطمأنينة.

وأمّا تدريس الآداب والفنون الكلاسيكية (منذ عهد اليونان والرومان) وكذلك تدريس التاريخ القديم، مما امثلته تدل على أن ضرره أكثر من نفعه، فهذا كله سنذهب به، ونضع محله

تدريس برامج المستقبل. وسنمحوا من أذهان الناس جميع ما وعته من وقائع القرون الحالية، مما لا نرى فيه الخير لنا، ولا نبقى إلا على ما يسجل المزالق على حكومات الغوييم. وما يحتل المكان الأول فى برامج التعليم الجديدة، تدريس أصول الحياة العملية، والواجب نحو النظام، ونحو علاقات الناس بين بعضهم بعضاً، وفى التدريس المقبل نجتنب الأمثلة التى فيها صور الأنانية والانحراف، إذ فى هذا تَكْمُن بذور الشر وعدواه، ثم يُعتنى بكل عنصر من عناصر التهذيب والتقويم. والمناهج التعليمية تتوزع على مناح مختلفة، بحيث يتعلق كل منهج بمنحى من مناحى الحياة على مراحل العمر كله، ولن نجعل التعليم يجرى على نمط متماثل وله طابع متسق. وهذه المسألة هى فى غاية الخطورة ولها عندنا المقام الأول.

وكل مرحلة من مراحل العمر، تُضبَط قواعدها على التحديد، ويُجْعل مقابلها ما يناسبها من العمل فى الحياة. وأما النبغاء الذين يظهرون منفردين فى الذكاء، والآن وفى كل زمان، فلهم من ألمعيتهم ما يمكنهم من تخطى حدود المراحل فى حلبة الحياة، ولكن من البلية على هؤلاء المشرقين اللامعين أن يزاملهم من رفقائهم مَنْ حظه البلادة وفقر الموهبة، فيحاول هؤلاء المناكيد مزاحمة من هو أفضل منهم وامتاز عليهم بحكم الفطرة أو الجدارة فى إتقان العمل. ولا يخفى عليكم ما أصاب الغوييم من نكبة بسبب ضلالهم فى هذا الأمر.

ومن تصدى للحكم، وابتغى أن يكون له فى قلوب الرعية مكانة وطيدة، وفى أذهانها صورةٌ جميلة، وجب عليه بالضرورة، مادام يمارس واجباته، أن يطلع الأمة جمعاء بكل وسيلة، فى المدارس والساحات العامة، على ما هو بسبيله من مقاصد وأعمال، وما يهدف إليه من خير شامل فى نشاطاته.

وسنلغى حرية التعليم فى جميع الوجوه. فالمتعلمون، وكل فريق منهم يتبع مرحلة من المراحل، يكون لهم الحق أن يجتمعوا مع آبائهم وأهليهم فى أماكن عامة كاجتماعهم فى منتدى. وفى هذه الاجتماعات أيام الاستراحة، يقوم الأساتذة الموكول إليهم الأمر، بقراءة مواد تجرى مجرى الخطب والمحاضرات، مجانية، تتناول العلاقات الإنسانية والقوانين مع الشواهد والأمثلة، كما تتناول شرح القيود والنواهى المتولدة من الصلات اللاشعورية بين الناس، وأخيراً فلسفة النظريات الجديدة التى لم تعلن بعد إلى العالم. وهذه النظريات ستعلى من شأن قيمتها الى حد أن ينيلها من جد الاعتبار ما للعقائد فى الأديان، وهذا يقع فى دور الانتقال نحو الوصول إلى ديننا فى النهاية.

وإذ قد فرغت من عرض برامجنا العلمية للحاضر والمستقبل، فإنى أتلو عليكم الآن مجمل القواعد لتلك النظريات.

وبكلمة موجزة، إننا نعلم بالتجربة لعدة قرون، أن الشعب إنما يعيش على الآراء ويهتدى بها، ويرتضع هذه الآراء عن طريق التعليم الذى يدارج مراحل الحياة. وهنا يختلف معنا الأمر

من جهة أساليب التعليم وطرقه. فنحن بهذا الاختلاف فى الأساليب، سنلاشى القديم إلى آخر أثر من آثاره، ونحصر زمام التعليم بأيدينا، فلا يبقى خيط من خيوط الفكر المستقل إلا وطرفه بيدنا، وهو ما كنا نستعمله سابقاً لاستمالة الشعوب واجتذاب أفكارها.

وأسلوب التعليم الملّجم للعقول، والطامس على الأذهان مُطبق اليوم في المنهج المعروف بدروس الأشياء Object Lessons وهذه الطريقة غايتها إخمال أذهان الغوييم ودفعها نحو البلادة والاسترخاء، تنتظر أن يؤثر إليها بالأمثلة من الأشياء المحسوسة، جاهزة الشكل لتعرف ماهيتها بالصورة المشاهدة (بدلا من إعمال الفكرة).... وفي فرنسا نرى أن هذه الطريقة قد نجحت كل النجاح حيث نرى أفضل عملائنا من البورجوازية قد وضعوا لها المناهج العامّة ومشوا عليها.

* * *

البروتوكول السابع عشر

المحاماة القضائية . نفوذ رجال الدين عند الغوييم . حرية الضمير . البلاط البابوي . ملك اليهود محل «الأب البابوي» . كيف نكافح الكنيسة الحالية . واجبات الصحف في هذا العصر . منظمة البوليس . البوليس المتطوع . التجسس على منوال التجسس عند منظمة «القبالا» . سوء استعمال السلطة.

إن ممارسة المحاماة تنتج رجالاً بردت طباعهم وقست قلوبهم، اعتادوا الإلحاح واللجاجة، ونزل اللؤم من أخلاقهم منزلة ملحة، ولا يهمهم في كل القضايا والدعاوى إلا أن يتعلقوا بنقطة من نقاط القانون مطاطة غامضة، يدورون حولها دورانا طويلا. يحللون كل شيء من حق وباطل، ليسوغوا وجهة نظرهم في الدفاع عن موكلهم، لا ليخدموا المصلحة العامة التي تهم المجتمع. لا يترددون أبداً في اقتحام أي موقف منحرف من أجل غايتهم هذه، ويطلبون إخلاء سبيل المتهم والبراءة له، متهالكين متماحكين، حول كل جزء قليل من نص، عابثين بهيبة العدالة. وهذا ما يدعونا إلى أن نجعل مهنتهم في نطاق ضيق، ضابطا لها، يحفظ كرامتها، ويدخلها في حيز السلطة الإجرائية التنفيذية، حرصا على المصلحة العامة. فالمحامون (على سوى القضاة)، سيمنعون من حق التعاطي مع فريقي الدعوى، وعليهم أن يقوموا بالعمل الذي تعينه لهم المحكمة، فيدرسون ذلك ويضعون عليه التقارير مسنودة بالوثائق المثبتة، ثم يدافعون عن موكلهم بعد أن يكون قد استجوبته المحكمة في الوقائع المادية في الدعوى، وتقدر المكافأة للمحامي على «أتعابه» دون نظر الى قيمة الدفاع الذي أدلى به، وهذه الطريقة تجعله مجرد واضع بيانات موضحة، تتعلق بالأعمال القضائية والمحاكم، لمصلحة العدالة، فيكون في هذه الكفة من الميزان كمساعد للنائب العام في الكفة الأخرى، وهذا كله من شأنه أيضا أن تختصر به المعاملات لدى المحكمة، وتقام قواعد شريفة لمهنة الدفاع على غير جنف ولا محاباة، والهادي في هذا ليس مافي نفس المحامي من مطمح لجر المغنم إلى جيبه، بل وحي الضمير النقي. وهذه الطريقة ستقضي على مانرى اليوم من فساد مداره المساومة بين المحامين متواطئين تواطئا مؤداه الذهاب مع الفريق الذي ينالون منه مغنما أوفر لجيوبهم.

* * *

وقد سبق لنا فيما مضى من الوقت أن بذلنا جهدا لإسقاط هيبة رجال الدين عند الغوييم، وقصدنا بذلك أن نفسد عليهم رسالتهم في الأرض، وهي الرسالة التي يحتمل أنها لا تزال بنفوذها عقبة كؤودا في طريقنا. ولا نرى هذا النفوذ في الوقت الحاضر إلا في تناقص

يوما بعد يوم. أما حرية الضمير فقد انتشرت وعمت فى كل مكان، وبتنا الآن لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحى قد انهار انهيارا تاما، سوى بضع سنين.

أما ما يتعلق بالأديان الأخرى، فالصعوبة التى سنلاقيها فى تعاملنا معها، تكون أقل، ولكن من السابق لأوانه أن نتكلم على هذا الآن. وسنضيق الحلقة فى الكهنوتية ورجال الكهنوت، لنجعل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقرى بالقياس إلى ما كان لهم من فلاح فى الماضى.

ومتى حان الوقت لهدم البلاط البابوى، ستظهر أصبع يد خفية تشير إلى الأمام هينا نحو ذلك البلاط. فإذا ما انقضت الأمم عليه، سنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه، رغبة فى حجب الدماء. وبهذه اللعبة، سنوغل أيدينا فى أحشائه ولن نخرجها بعد، حتى تتبدد قواه ولا حراك به.

ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقى للمسكونة كلها، وبطريرك كنيسة دولية عالمية.

وفى خلال هذا الوقت، ونحن نعلم الشباب وننهج بهم على تقاليد دينية جديدة، تمهيدا للوصول بعد ذلك إلى ديننا، لن نحرك ساكنا تحريكا مكشوفا، ممكرا على الكنائس الحالية، بل نكتفى من قتالنا لها بشن حملات الانتقاد الهدام مما يؤدى إلى الانشقاق والفرقة.

وعلى الجملة، وما يصح قوله الآن، ينبغى ان تستمر صحافتنا المعاصرة فى شن حملات النقد اللاذع على الدول فى أعمالها، وعلى الأديان، وعلى ما يتردى فيه الغوييم من عجز وضعف، وينبغى أن تكون لهجة الحملات بالغة حد العنف، خارجة عن آدا ب الخطابة، حتى حتى تتواطأ الوسائل كلها فى إضعاف الهيبة وتهشيمها، وهذا الأسلوب لا يتقنه إلا النابغون من رجال قبيلنا المخصوص بالمواهب.

وستكون مملكتنا دفاعاً عن الوهية «فيشنو» (١) الذى فيه قد تجسمت صورة الألوهية. وسنقبض بالمئة يد ويد من أيدينا على كل زمام من أزمة جهاز الحياة الاجتماعية، وسننفذ بأبصارنا إلى أن نرى كل الخفايا، بلا استعانة بالبوليس الرسمى، إذ لا حاجة بنا إليه، لأنه مع ما له من حق التدخل، وهذا ما أحكمنا نحن تهيئته له، وتجهيزه به من أجل العمل بين الغوييم، بات عمله لا يناسبنا لصيرورته عائقاً فى طريق الحكومات. وتقضى برامجنا، بأن يعمل ثلث الشعب فى التجسس على الثلثين الآخرين. ويكون التجسس منبعثاً عن الشعور بالواجب وعلى قاعدة التطوع بالخدمة فى سبيل الدولة، ووقتئذ لا يكون من العار أن تكون جاسوساً ومخبراً، بل يكون ذلك مزية وفضلاً، فإذا انطلقت ألسنة بالتعيير، والقذف، نالت جزاءها وحفظت للتجسس كرامته.

---

(١) فيشنو Vishnu هو الإله الثانى من الآلهة الثلاثة المعبودة فى الهند؛ فالأول «براهما» وهو «الخالق»؛ والثانى «فيشنو» وهو «الحافظ»؛ والثالث «سيوى» وهو «المهلك»، ويمتاز فيشنو بأن له كثيراً من الأيدى المبسوطة. (المترجم)

وسننتقى جواسيسنا من مختلف الطبقات، العليا والسفلى، ومن رجال الإدارة العاكفين على اللهو والأطايب، ومن محررى الصحف والكتاب، والناشرين، وباعة الكتب، وموظفى الدوائر والدواوين، ومن الذين كثر اختلاطهم بالجمهور عن طريق الأخذ والعطاء، والبيع والشراء، ومن العمال والسواقين والخدام والأتباع، وقس على هذا. وهؤلاء الأشخاص، ليس لهم حق اتخاذ أى إجراء يتعلق بموضوعات تقاريرهم، ولا صلاحية لهم فى هذا على الإطلاق، كأنهم بوليس بلا سلطة، فإن المطلوب منهم هو أن يشاهدوا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم، وينظموا التقارير بما شاهدوا وسمعوا. أما التأكد من صحة ذلك، وإلقاء القبض، فكل هذا معهود فيه إلى نفر مسؤول حاذق من ضباط البوليس. وأما تنفيذ أوامر إلقاء القبض فيقوم به رجال الدرك والشرطة البلدية.

وكل شخص رأى أو سمع مساساً بقضايا الحكومة ولا يبلغ الحكومة ذلك، يتهم بإخفاء المعلومات التى يجب عليه نقلها إلى الحكومة ويحكم عليه بالجزاء إذا ثبتت التهمة.

وكما تجرى الأمور من هذه الناحية الإخبارية فى بيئتنا اليوم، كذلك تجرى فى المستقبل وتبقى على صفتها هذه. فإخواننا اليوم مكلفون تحت طائلة أخذهم بالمسؤولية والحساب العسير فى حالة الإهمال والتقصير، بأن يبلغوا هيئة القبالا (١) عما يقع لهم أن يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودى من أبناء أقربائهم، أو ما يرونه من شغب على هيئة القبالة أو قذفها بتهمة؛ كذلك سيكون الأمر فى مملكتنا علناً فى أرجاء العالم كله، ويمسى من الواجب على رعايانا، بلا استثناء، ملاحظة هذه الخدمة للدولة.

---

(١) القبالة، أو القبلة، أو القبالا، أو القبّالا، لفظة عربية قديمة لها فى الوجود عند اليهود بمعناها السرى نحو ١٩ قرناً، وليس لها وجود فى الكتب العربية على اختلافها. إلا ما قد يكون عرضاً، وعلى الجملة لا يعرفها العرب إلا سماعاً نادراً.

ومدلولاتها اليوم كما يلى:

١ هى بظاهر معناها عند اليهود «التصرف» اليهودى.

٢ ـ وأما فى الحقيقة والواقع، فهى لا تتخذ من «التصرف» إلا الستر لتغطية حقيقتها الرهيبة السرية، وللتضليل على ما سترى.

٣ ـ هى أوغل منظمة خفية، قديمة، سوداء الزوايا، مقنعة عند حكماء صهيون، فهى عشهم الأكبر، وهم أبناؤهم الفانون فى سبيلها فنقطة بيكار «اليهودية العالمية» هنا فى القبال.

٤ ـ لا يعرف لها مكان، وهى ماشية مع الزمان، و «الماسونية اليهودية العالمية» أداة من أدواتها، و «حكماء صهيون» هم منفذو مخططها اذ هى منهم وهم منها.

٥ ـ يعثر القارىء للروايات الأوروبية عادة على اسم «القبالا» «الكهال» فى معرض المؤامرات العميقة الحبك، فيبتدىء بالغموض وينتهى بالغموض.

٦ ـ القبال عند «حكماء صهيون» السلطة التى ليس فوقها سلطة، تتناول الإيمان بالقتل والاغتيال والتدمير، ومسرحها الأكبر كان فى روسيا القيصرية ثم نجم قرنها فى فلسطين بعد ١٩١٨ على يد الصهيونيين أتباع عقيدة «التجمع والاقتحام». =

وإن إدارة من هذا النوع والصفة، بوسعها أن تكافح أعمال العبث بالسلطة، ومخالفة القانون، والرشوة، وكل شيء ادخلناه بموجب نصائح حكمائنا على عادات الغوييم من مفاسد، عن طريق نظريات حقوق الإنسان العليا. وعلينا الآن أن نسأل: بأي وسيلة استطعنا أن نكثر من خلق الأسباب المؤدية إلى الاختلال والانتقاض في حكومات الغوييم؟ من تلك الوسائل واحدة كانت الفعالة، وهي اتخاذ العملاء والجواسيس، فتأتي بهم بدعوى أن مهمتهم العمل على إعادة النظام، والحق إلى نصابه، وبفضل ما اخترنا لهم من مناصب مناسبة، يغتنمون الفرصة في بث أسباب الانتقاض وقدح الزناد، ويمارسون في هذا أسوأ ما ركز فيهم من خلق مخرب، وعناد، وغرور، واستعمال السلطة بغير مسؤولية، وأشنع من هذا كله - استقتالهم في حب المال.

= ٧ - كتاب العرب ومؤرخوهم في الزمن الحديث، لم نلاحظ أن أحداً منهم خاص في موضوع «القبال». حتى إن المؤرخ الشهير المنقب، جرجي زيدان، لم نلاحظ أنه أتى على شيء يتعلق «بالقبالا» في كتبه، ولا سيما روايته «فتح الأندلس» حيث تكلم بإسهاب عن أعمال اليهود الخفية في إسبانيا، وتظاهرهم بالنصرانية.

٨ - كتيب «شيعة المسونيين» المطبوع «بمطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين في بيروت سنة ١٨٨٥» في ١٢٢ صفحة، يكشف النقاب عن مخازي الماسونية اليهودية إلى حد بعيد مجمل، لكنه لم يذكر «القبالا» بشيء.

٩ - يبدو أن «القبال» أصل معناها الحرفي اللغوي: القبول، والتلقي، والأخذ، وهذا كله بمعنى التلقين والتلقن.

١٠ - قد تكون هناك صلة جذرية بين الكلمة العبرية، وفعل «قبل» يقبل قَبولاً وقُبولاً بالعربية، ومن مصادر هذا الفعل عندنا القِبالة والقَبالة. ومثاله للتوضيح: زيد يلتزم عملاً يقوم به أو ديناً يتعهد بوفائه، فالقيام بموجب الالتزام هو القِبالة، والصك أو السند المكتوب فيه الالتزام هو القبالة، وهناك «قبالة» بمعنى تجاه: جلست قبالته، وهذا كله لا صلة بينه وبين «القبالا» العبرية. ومن فعل «قبل» ومزيداته نرى مصادر وأسماء عديدة لا حاجة بنا إلى ذكرها فهي في المعاجم.

١١ - وفي المعجم الانكليزي - العربي» ترى العجب من معاني «القبالا». وتكتب على وجوه من حيث «الباء» بسيطة أو مشددة:

Cabal و Cabala و Cabbala واسم الفاعل Cabbaler ومصدرها الصناعي Cabbalism والنسبة إليها Cabbalist و Cabbalistic و Cabbalistical والمعنى الأول للكلمة الأولى Cabal: العصابة السرية من عدة أشخاص يحبكون مؤامرة لغاية خفية ويستعملون من هذه الكلمة فعلاً لازماً: تآمر في الخفاء. وأما لفظة «القبلة» بمعنى التصوف اليهودي فباقية للتغطية.

١٢ هذا «التصوف» هو التعاليم السرية المِمتصة من «التلمود». وتعاليم التلمود عند اليهود هي كما يزعمون، ما أفضى به موسى إلى سبعين رجلاً من بني إسرائيل، وإلى أخيه هرون ويشوع بن نون من أسرار شفوية لم تدخل في أسفار موسى الخمسة. صارت هذه الأسرار تنتقل من رهط إلى رهط، فمن يشوع إلى «القضاة»، ومن «القضاة» إلى «الأنبياء» (بعد داود وسليمان) ومن الأنبياء إلى مجمع «السنهدرين» ثم إلى جامعي التلمود في القرن الأول والثاني بعد الميلاد. ومن التلمود خرجت تعاليم «القبالا». وأتباع «القبالا» هم «حكماء صهيون» في كل عصر حتى اليوم.

١٣ - لذلك رأينا أن نبذل ما نستطيع من جهد في الكشف عن «القبالا» ونحن في صدد توفية الكلام على «حكماء صهيون»، ويرى القارىء الفصل المتعلق بالقبالا في هذا الكتاب في عدة أبواب، وإنما أردنا بهذا المجمل هنا، على الحاشية، استرعاءً انتباه القارىء إلى خطورة الموضوع، فالقارىء العربي اذا لم يطلع على كنه «القبالا» فكأنه بقي في الغموض، كقارىء الروايات الغربية. والبروتوكولات لم توضع لتوزع على اليهود خاصتهم، وإنما وضعت لتكون دستوراً عملياً لبضع مئات من «الحكماء» ولهذا صرح البروتوكول السابع عشر باسم «القبالا» دون حرج، إذا لم يدر يوم وضع البروتوكولات أنها ستخرج يوماً ما. إلى العالم لكنها خرجت ساعة ميلادها كما ترى تفصيله في الفصل المخصوص.

البروتوكول الثامن عشر

تدابير الدفاع السرية. مراقبة المؤامرات من داخل. تدابير الدفاع العلنية المؤدية إلى الاستيلاء على السلطة. الحرس المحيط بملك اليهود. زوال الصفة الدينية عن السلطة. إلقاء القبض والاعتقال على أقل شبهة.

عندما نرى ضرورياً لمصلحتنا أن نقوى دفاعنا السرى بالتدابير الصارمة (هذا أفتك سهم بهيبة السلطة) فإننا سنصطنع ما يوهم بوقوع الاختلال، أو ما يكون منه مظاهر النقمة العامة والتململ، وذلك بالاستعانة بنفر من الخطباء اللسنين، فيلتف من حولهم كل من يخلبه القول فينساق الى غايتهم فنستمد من حالة الهياج العام العلة والسبب، فتداهم المنازل والمساكن وتقتحم بالتفتيش والمصادرة، وأخذ الناس بالاستجواب، ووضعهم تحت المراقبة وتقييد حرياتهم، فتنتشر المخاوف ويعم القلق، وإنما يقوم بهذا عملاؤنا الذين هم طوع أمرنا، يعملون فى شرطة حكومات الغوييم.

ولما كان معظم من يقوم بحبك المؤامرات هم الذين لهم استعداد بالفطرة لهذا العمل، وفى نفوسهم هوى لإتقانه، ويتولعون به، لمجرد أن يمارسوه ويخوضوا فيه، فيكون لهم شأن، فنحن ندعهم وما هم بسبيله، لا نتعرض لهم بشىء، كأن لا صلة بيننا وبينهم، إلا أن ندس فيهم من العيون الخفية من قبلنا، إلى أن تقع على أيديهم حوادث مكشوفة، وعلينا أن نتذكر أن هيبة السلطة لا بد لها أن تتناقص وتهزل، إذا كثر اكتشاف المؤامرات عليها فيأخذ الناس من هذا أن قد عراها الوهن، ويرون مصداق هذا فى مواقفها وضعف الوسيلة فيما تصنع، بل يعتقدون ما هو أسوأ: وهو أنها أوغلت فى إيقاع الناس فى المظالم، وهذا فعل الأسباب فى خرابها. وتعلمون أننا قد همشنا هيبة الملوك، ملوك الغوييم، بما أوقعناه من محاولات اغتيالهم مرات متعددة، على يد عملائنا، وهم كالأغنام فى سهولة الانقياد، يتحركون بكل طواعية واستجابة، وشرطهم الوحيد أن يوماً إليهم بالثناء عليهم، ويشاد بذكرهم على مسمع من الجمهور أنهم أصحاب بطولة سياسية. بهذا نكون قد أكرهنا الحكام على الاعتراف بضعفهم لما امتدحناهم على ما اتخذوه علناً من تدابير الدفاع وهو من أسرار الدولة وهنا المفتاح لانهيار السلطة.

أما حكامنا فتتولى حراستهم فئة ضئيلة جداً من رجال الحرس، إذ لا نقر بحال، ونرفض حتى نظرياً، أن من الممكن أن يقع على أحد منهم مؤامرة خبيثة لا يستطيع هو كشفها

والتغلب عليها وتداركها.

ولا نسلم بفكرة احتمال أن يغلب الحاكم على أمره فى مثل هذه الحال، إذ لو سلمنا بها، كما من عادة الغوييم أن يسلموا به، لكان معناه بحد ذاته، وفى نظرنا، الحكم بالإعدام إن لم يتناول حاكمنا عاجلاً تناول عائلته فى يوم قريب، ولا مناص.

وتقضى الأوضاع المصطنعة من المظاهر والصور الخارجية، بالا يستعمل حاكمنا شيئاً من سلطته، إلا فى سبيل نفع الأمة وخيرها، ولا يجوز له بحال، أن يجر مغنماً ما لنفسه أو لأسرته. ومستواه السليم هذا، يعلى من مقامه ومكانته فى عيون الناس، وقد بلغ درجة التقديس، فيتضح لهم أن رفاهيتهم الجماعية ورفاهية كل فرد فى الدولة، كل ذلك موقوف على دقة هذا النظام المتناهى وإحكام تنفيذه.

وهذا النوع من التدابير العلنية للدفاع، مؤذن بالضعف الذى أخذ يسرى فى داخل جهازه.

وعندما يخرج حاكمنا الى الناس، يكون دائماً محوطاً بجم غفير من مختلط رجال ونساء، كأنهم فى ظاهر حالهم وما يبدو عليهم، من عامة الشعب وسواده ودهمائه، تسارعوا بالمجىء ليروا الحاكم عن كثب (ولكنهم فى الحقيقة هم حرس) فيأخذون صفوفهم حلقات حلقات مترابطة تحيط به، ثم بعدها إلى الوراء حلقات أخرى على غرار الأولى، وكل هذا يوهم أنه عمل يأتيه الجمهور من تلقاء نفسه. ثم يكون الناس بعامتهم وجملتهم وراء هذه الحلقات، فإذا تدافعت الجماهير ردتها الحلقات إلى مكانها، رعاية للهيبة والنظام. وإذا برز واحد من الجمهور يحاول شق طريقه من خلال الصفوف يريد الوصول إلى الحاكم وبيده رقعة، فيتناول هذه الرقعة منه من هم فى صف الحلقة القريبة من الحاكم، وتقدم الرقعة إليه على مرأى منه وملأ من الناس كافة، فيتأكدوا أن رقاعهم تصل إلى مرجعها الأعلى، ويتولى الملك النظر فيها بنفسه، ولا يكل هذا إلى غيره، وهو حريص على هذا كل الحرص، ثم إن من مقتضى شعار القوة، ولكى تكون صورتها فى أذهان الناس جلية بارزة دائماً، أن يتمكن الناس من قضاء لبانات مثل هذه عندما يقولون «يا ليت الملك علم بهذا الأمر، أو يا ليته يسمع به!!»

ثم إنه عند إقامة نظام الدفاع السرى على صورته الرسمية، الظاهرة، تزول الهيبة الغامضة للسلطة، وعندما تجيش الصدور بالحماسة، وكل واحد يعد نفسه بطل الموقف، يكون القابض على زمام الشبكة للفتنة عالماً بما هو عليه من أهبة وسبب كاف، فإذا ما حانت الساعة انقض على فريسته واستولى على ما يريد.. هذا، وأما الغوييم، فكنا نأخذهم من قبل بدعوة أخرى، ولكننا بتلك الدعوة نفسها قد تمكنا من أن نرى ما كان لاتخاذ تدابير الدفاع العلنية من نهاية ما وصلوا إليها الآن.

وأما الجناة والمجرمون فى عهدنا، فلا هوادة فى أمرهم، فانهم يُعتقلون ساعة تقوم عليهم الشبهة المؤكدة، ولا يجوز بحال عند مخافة الوقوع فى تفسير قانونى غامض، أن يستفيد المتهم بجرم سياسى أو جريرة صغيرة، من ذلك، فائدة إخلاء السبيل، فهنا لا هوادة ولا رحمة. ولكن مع هذا فإذا اقتضى الحال مرةً ما بسبب تأويل نقطة ما تأويلاً مطاطاً، أن يسمح بإعادة النظر فى دوافع الجرم، وهذا أقصى ما يكون، فلا يمكن أبداً أن يقع مثل هذا فى قضايا الأشخاص الذين تورطوا فى مسائل لا أحد يكتنه أسرارها إلا الحكومة، وليست كل حكومة تتقن فهم أسرار السياسة الصحيحة.

البروتوكول التاسع عشر

حق الشعب فى رفض العرائض والمقترحات. الشغب السياسى. التجريم فى المسائل السياسية. الإعلان عن الجرائم السياسية.

إنا وإن كنا لا نسمح بأى عبث بالأمور السياسية يقوم به من يركب راسه، غير أننا من الجهة الأخرى نشجع كل صنف من المذكرات والرقاع والمقترحات ترفع إلى الحكومة، فتدرسها جمعاء وما تتضمنه من مختلف المشروعات الرامية إلى تحسين حالة الشعب. وبهذا لنا فائدة: فينكشف لنا ما يدور فى ذهن الشعب من أفكار، ويظهر لنا ما عنده من نقائص ونزوات. وعلى كل، فإننا نتجاوب مع المطالب المقترحة، إما بتنفيذ ما هو صالح وفى محله، وإما برد المسألة، رداً بارعاً، يبدو معه خطل صاحب الاقتراح وقصر نظره فى وزن الأمور.

أما تعاطى الشغب، فما هو إلا كنباح الكلب الصغير فى وجه الفيل . فالحكومة الوطيدة النظام، لا يكون هذا النباح عليها، مع سهر الشرطة وهو آتٍ من جهة الرأى العام، إلا دليلاً على أن النابح أعجز من أن يدرى نصيبه من المكنة والقوة، أو ما هو الفيل المنبوح عليه. وبإشارتنا إلى مثل واحد من الأمثلة الصحيحة، يظهر لكم وزن كل فريق منهما، فتدركوا كيف تكف الكلاب عن نباحها لتتقلب إلى التبصبص بأذيالها حول الفيل ساعة تقع عليها عينه.

ولكى تتم لنا ملاشاة الشهوة إلى البطولة من وراء الجناية السياسية، سنحيل الشخص إلى المحاكمة، متهما على مستوى اللصوص والمجرمين والقتلة ومرتكبى أقذر الجنايات وأبشعها، فيبهم الأمر على الرأى العام، وتلتبس عليه حقيقة الرجل الذى كان بالأمس مسموعاً عنه طيب الأحدوثة وحسن السيرة. فإذا به اليوم يرونه متهماً فيزدرونه ويتخلون عنه.

وإننا إلى الآن قد بذلنا غاية جهدنا، واعتقدنا أننا أفلحنا، حتى رأينا الغوييم لا مكنة لهم لتعاطى الشغب، وإنما من أجل هذه الغاية، رحنا نشيد بمزية الاستشهاد، فى الصحف، ومن على المنابر العامة، بأساليب ضمنية، لا مباشرة مكشوفة، ولا سيما فى الكتب المدرسية، ككتب التاريخ الموضوعة وضعاً دقيقاً، وكل ذلك مما يرفع فى الظاهر من شأن الاستشهاد المزعوم أنه فى سبيل مصلحة الشعب. فنتج عن عملنا هذا بهذه الوسائل، أن ازداد عدد أحرار الغوييم فانضووا إلينا، وهم آلاف، وانضموا إلى صفوف الحيوانات من ماشيتنا.

البروتوكول العشرون

البرنامج المالى . الضريبة التصاعدية . الخزانة العامة وسندات الدين بفائدة . طريقة المحاسبات . إلغاء مراسيم الاحتفالات (التشريفات) ركود راس المال . إصدار أوراق النقد . قاعدة الذهب . مستوى الأجور . اليد العاملة . قروض الدولة . إصدار سندات بفائدة نسبة مئوية . أسهم الشركات الصناعية . حكام الغوييم؛ البطانة والمحسوبية والعملاء الماسون ,

نتناول فى نوبة اليوم البرنامج المالى الذى أرجأت بحثه إلى القسم الأخير من هذا التقرير، لأنه أعسر الأمور علاجاً، وهو الغاية والنهاية، وهو القول الفصل، الشامل تأثيره جميع ما لدينا من مخططات، وأول ما أذكركم به أنه سبق لى فى موضع تقدم أن أشرت إشارة عابرة إلى أن حاصل أعمالنا كلها تقرره الأرقام.

متى ما أقمنا مملكتنا، ستجتنب حكومتنا الأوتوقراطية، تمشياً مع مبدأ المحافظة على النفس، إبهاظ جماهير الشعب بالضرائب إبهاظاً غبياً. وستبتعد من هذا إذ لا يغيب عنها أنها هى للشعب بمقام الأب والوصى. لكن لما كان نظام الإدارة فى الدولة يقتضى وافر التكاليف، فمن الضرورة، والحالة هذه، أن تحصل الدولة على المال اللازم لها. فتطلب هذا بأفضل الطرق وأيسرها، واضعة نصب عينيها صحة التوازن فى هذه المسألة.

وفى حكمنا المقبل، يكون الملك متمتعاً بالصفة المعنوية الشرعية التى بموجبها يعتبر هو مالك كل شىء فى الدولة من كلى وجزئى (ويجوز أن يتحول هذا من الحيز النظرى المعنوى إلى الحيز الفعلى الحقيقى) وله أن يضع يده على جميع مقادير الأموال والأملاك من جميع الأبواب كلها، حتى يستطيع تنظيم دورة المال فى الدولة ويبنى على هذا أن نظام الضرائب العامة يمكن أن يعتاض عنه بنظام الضريبة التصاعدية على العروض والأملاك، وبموجب هذا تدفع الضريبة التصاعدية دون أن تسبب لدافعها إرهاقاً، أو إغراقاً، إذ هى على نسبة مئوية من قيمة العروض والأموال. وعلى الأغنياء أن يعلموا أن واجبهم ان يضعوا جزءاً من فضلة أموالهم تحت تصرف الدولة وحق الكسب الشريف، وأقول الشريف لأن نظام مراقبة الأموال سيقضى على التهريب المقنع عن طريق القانون قضاءً تاماً.

والإصلاح الاجتماعى يجب أن يبتدئ من فوق، وأعلى السلم، والوقت اليوم موات ناضجة وسائله. وهذا الإصلاح عربون عهد الأمان.

والضريبة على الفقير هى بذرة الثورة وسوس الخراب فى جسم الدولة التى تلهث وراء القليل من الفقير فلا يغنيها، وتدع الكثير فى يد الموسر وهو فى متناولها. وفضلاً عن ذلك،

فإن الضريبة على أصحاب رؤوس المال من شأنها أن تخفض من احتشاد الثروة فى أيد قليلة محدودة، وهذا هو ما عنيناه وجرينا عليه فى حكومات الغوييم لنجعله فى كفة الأغنياء قوة تناهض القوة التى فى الكفة الأخرى . مالية الدولة.

والضريبة المتزايدة على نسبة مئوية من رأس المال، تأتى بدخل أكثر بكثير مما تأتى به الضريبة الحالية على المكلف. والسلع والعروض، وهذه الأخيرة إنما فائدتها مطلوبة فى أمم الغوييم، لأنها معوان لنا فى خلق القلق وتسبيب الانتقاض.

والقوة التى يستند إليها ملكنا فى حكمه المقبل، قائمة على شيئين: التوازن المالى، والأمن المستقر. ولكى تستقيم الأمور على هذا الوجه، لابد أن يتخلى أصحاب رؤوس المال عن جزء من دخلهم من أجل أن يضمن حسن سير جهاز الدولة كما ينبغى. وحاجات الدولة يجب أن يقوم بتسديد تكاليفها أولئك الذين لا تنزل عليهم الضريبة التصاعدية منزلة العبء، ولديهم من فضلة المال ما يسوغ الأخذ منه.

واستيفاء الضرائب لحاجات الدولة على هذه الطريقة، ينتزع من قلب الفقير على الموسر، إذ يراه أصبح عوناً مالياً للدولة، وعاملاً من عوامل الهدوء والرفاهية، يؤدى هذا كله بطيبة خاطر.

وأما الطبقات المتعلمة، فلكى لا تستثقل أمر التكاليف المترتبة عليها، بموجب النظام التصاعدى، ولكى تستبين الحقائق على علاتها، فيشرح هذا كله بموارده ومصادره، وأصله وفصله، وأرقامه، لكى تكون على بينة منه، ولا يستثنى إلا مخصصات العرش وأجهزة الإدارة.

ومن يجلس على كرسى الحكم، لا ينبغى أن يكون كالأفراد مالكاً لشىء من المقتنيات لنفسه خاصة، بعد أن يغدو رئيس الدولة، لأن كل شىء فى الدولة يمسى وهو القيم عليه، فإذا خرج عن هذه الصفة، تنافت شخصيته الحاكمية مع شخصية الفرد الحائز للمال الخاص. والإحراز الفردى للحاكم معناه أن يهدم حقه فى الحكم.

أما أقرباء الحاكم وذووه، ما عدا ورثته، الأقرباء الذين تعولهم الدولة، فيجب أن ينتظموا فى سلك خدمة الدولة، أو أن يخرجوا لطلب الرزق بالعمل المستقل، لكى يحصلوا على حق التملك الفردى كسائر الناس، فإن امتيازات الدم الملكى لا يجوز أن تكون سبباً فى استنزاف الخزانة.

وصفقات البيع والشراء، وقبض المال نقداً، وانتقال الإرث، كل هذا يخضع لضريبة تصاعدية، وكذلك بيع العقار والمنقول، بصيغة نقد، أو غيره إذا كان خالياً من شهادة دفع الضريبة حيث ينبغى بيان الأسماء كاملة، يعرض المالك السابق لدفع فائدة على الضريبة من ساعة إتمام المعاملة، إلى يوم اكتشافها، اذ تعتبر مهربة، لم تعلن حسب الأصول، وتقدم جداول الانتقالات إلى دوائر المالية المحلية اسبوعاً فاسبوعاً مع كشف بأسماء المالكين وعناوينهم، سابقاً وحاضراً. وهناك حدود معينة لابتداء الضريبة؛ وهذا أيضاً يتقاضى عنه ضريبة مكس

خفيفة على نسبة مئوية للوحدة.

ولكم أن تتصوروا أن مجموع هذه الضرائب لمرة واحدة كم يضاهى من مجموع الدخل لدول الغوييم من مرات.

وتحتفظ الخزانة بمبالغ كاملة من الاحتياطى المقطوع، وما يزيد عليه ينبغى وضعه فى التداول، وينفق هذا الاحتياطى على الأشغال العامة، فيكون زمام العمل فى الأشغال العامة بيد الحكومة، ومنها المورد والمستقى، فيغدو العمال مرتبطين بها، مخلصين لها ولمن بيدهم الحكم إذ فى هذا مصلحتهم. ويجنب قسم من الاحتياطى المقطوع لتخصيصه مكافآت على الاختراعات وتجويد الإنتاج وتحسينه.

ولا ينبغى أن يبقى شىء، مهما قلَّ، من الاحتياطى ولا من المقادير المخصصة لأبواب الموازنة، فى دوائر الخزانة، لأن المال إنما وجد لتتداوله الأيدى، وكل ركود يطرأ عليه يخرب سير أجهزة الدولة التى هو لها بمثابة الزيت للآلات، وإذا لحق الركود هذا الزيت، فتقف آلات الدولة ودواليبها عن الدوران.

وإن وضع سند الفائدة، موضع سندات الخزانة، ولو بمقدار قليل، يسبب هذا الركود تماماً، وتكون نتيجته الرديئة واضحة.

وينشأ ديوان المحاسبة، وبموجبه يستطيع الحاكم أن يطلع على واردات الدولة ونفقاتها فى أى ساعة، ماعدا الحسابات الشهرية الجارية التى لم تقطع بعد، وحسابات الشهر السابق الذى لم تصل جداوله بعد إلى مراجعها.

والشخص الوحيد بمفرده الذى لا مصلحة له فى نهب خزانة الدولةصاحبها أو حاكمها، وهذا هو السبب الذى يجعل مراقبته لها كافلةً لسلامتها فلا ينفق شىء من أموالها جزافاً.

وناحية المراسم و (التشريفات) فى البلاط، من مقابلات وحفلات وما الى ذلك، مما يستغرق كثيراً من وقت الحاكم، كل هذا يلغى، ليتوفر له من الوقت ما يكفى لمراقبة سير الشؤون والأعمال، والنظر فى القضايا والمهمات والمصالح. وعلى هذا، لا تكون سلطة الحاكم نهباً مقسماً بين رجال المحاسبة والبطانة والمقربين والمحيطين بالعرش للأبهة والفخفخة، وهؤلاء هم وراء منافعهم الخاصة ولا يهمهم من مصالح الدولة شىء.

والأزمات الاقتصادية التى خلقناها نحن للغوييم، ما خلقناها إلا بواسطة سحب المال من التداول. فإن مقادير عظيمة من رؤوس المال قد ركدت لدى سحب الأموال من الدولة. وهى الأموال التى كانت دائماً تستخدم لمنفعة المال المسحوب باتخاذها قروضاً: وهذه القروض أثقلت العبء المالى على الدولة من جهة الفائدة، فصارت مالية الدولة مستعبدة لتلك القروض أو رؤوس الأموال... ثم إن انحصار الصناعة بأيدى أصحاب رؤوس المال الكبار بدلاً من أن تكون

موزعة بين عدد المتوسطين، قد امتص عصير الشعب والحكومة معاً.

وإصدار النقد فى الوقت الحاضر، يجرى على نمط لا يتناسب على الجملة مع حاجات الناس على حساب حاجة كل فرد منهم، فيعجز عن سد حاجات جميع العمال. فمقدار الإصدار ينبغى أن يضاهى عدد السكان فى نموه، ويدخل فى هذا الاعتبار إحصاء المواليد، إذ هؤلاء يعدون من المستهلكين من ساعة ميلادهم. فتنقيح نظام إصدار النقد مسألة تهم العالم كله.

وتعلمون ان العمل بقاعدة الذهب قد خرب الدول التى سارت عليه لأنها لم تكن قادرة على تلبية المطالب للنقد، فازدادت الحالة حرجاً، فاضطررنا إلى إخراج الذهب من التداول إلى الحد الممكن.

ويحل محل قاعدة الذهب عندنا، قيمة تكاليف اليد العاملة، سواء حسبت بالورق أم بغيره. وسنجعل إصدار النقد على قدر الحاجات العادية فى كل باب، مع إضافة المواليد بين وقت وآخر وطرح الوفيات.

وحسابات الدولة، كل دائرة تكون مسئولة عما تقوم به من أعمال، على منهج استقلال الدوائر (كما هو الأمر فى فرنسا ـ الدائرة الإدارية الفرنسية).

ولكى لا يقع تأخر فى مدفوعات الدولة، اللازمة لسير أجهزتها، فكل هذا ينظم وتصدر به المراسيم بمبالغه وشروطه من قبل الحاكم. وهذه الطريقة تقضى على ما اعتادته الوزارات من المحاباة بحماية مؤسسة ما، تحت كنفها، ضد مؤسسة أخرى، وبهذه الطريقة نأمن الخلل.

وأما موازنة الدخل وموازنة الخرج، فتمشيان معاً متوازيتين غير متباعدتين،حفظاً للانسجام بينهما.

وأما مشروعات الإصلاح والتحسين المخططة بموجب الأنظمة والقواعد عند الغوييم، فنفرغها فى قوالب لا يخشى منها أحد. وسنبين وجه الضرورة فى تلك المشروعات، وهى إنما جىء بها لتلافى الاختلال الذى انغمست فيه أمم الغوييم، لما طرأ على ماليتها من فساد وعوج. وأول عناصر الفساد، كما سنعلم، يبتدىء هكذا: توضع الموازنة السنوية كالعادة، ثم لا تلبث أن تعتل أوضاعها بالتنقيح المتزايد المتكرر سنة بعد أخرى، فتتضخم، وتتهالك على نفسها وذلك للسبب التالى: يأخذون أطرافها وجرها إلى منتصف الطريق، ثم تختل دواليبها، فتضطرب وتتسكع فى السير، فيطلبون موازنة تصفية فتأتى السنة الجديدة، ولا بد أن تبنى على إرث السابقة ومنها موازنة التصفية، ناقلة جملة أرقامها، وذلك كله خبط وعوار وفساد. فالانحراف الذى يقع فى مدار السنة الجديدة يبلغ الآن خمسين بالمئة، وعلى هذا ترى أن الموازنة قد بلغت ثلاثة أضعاف فى عشر سنوات، والعلة فى خراب خزانات دول الغوييم حتى أمست فارغة، تعود إلى تلك الأساليب والطرق، مما صنعناه نحن لها. ثم يأتى دور القروض، فيمتص ويلتقم

ما بقى، وما بعد ذلك إلا الإفلاس.

ولا يخفى عليكم أن الأنظمة الاقتصادية التى من هذا النوع، ونحن اقترحناها وقدمناها إلى الغوييم ـ للتخريب ـ لا يمكننا أن نجرى عليها ونطبقها عندنا.

فان كل ضرب من القروض يدل على الاعتلال فى الدولة، وعلى النقص فى فهم حقوق الدولة. فالقروض تعلق فوق رؤوس الحكام كيف ديموقليس. وبدلاً من أن يأخذوا المال من رعاياهم عن طريق فرض ضريبة مؤقتة، فإنهم يمدون أيديهم يستجدون مصارفنا. والقروض الأجنبية ما هى إلا علَق لا ينفك يمتص حتى يشبع فيتساقط من نفسه، أو تنزعه الدولة نزعاً وترمى به، ولكن دول الغوييم أعجز من أن تنتزع العلق، فتلجأ إلى ما هو أيسر وأهون، فتداوى أمرها باستخدام المزيد من العلق أكثر فأكثر، حتى تجف عروقها بطبيعة الحال، وينتهى انسياب دمها كأنه من فصاد اختيارى (كلاحس المبرد).

وما هو القرض الداخلى الحقيقى؟ القرض هو إصدار الحكومات سندات على الخزانة تحتوى على التزام نسبة استهلاكية لمجموع رأس مال القرض. فإذا كان القرض مرتباً له فائدة بالمئة ففى عشرين سنة تظل الدولة تدفع من هذهِ الفائدة ما حكمه حكم العبث، حتى يوازى مجموع ما يدفع. أصل القرض، وفى أربعين سنة تكون الدولة قد دفعت هذا مضاعفاً، وفى ستين سنة، يضاعف ثلاثاً، ومع هذا يبقى أصل القرض على حاله، ديناً على الخزانة.

يتضح من هذا، أن فرض الدولة ضريبة على رعاياها تصيب كل فرد، مهما يكن أسلوب الضريبة، معناه امتصاص آخر درهم من جيوب دافعى الضرائب الفقراء لتسديد ديون الأثرياء الأجانب الذين منهم أتت القروض، بينما بوسع الدولة أن تجمع من المكلفين من رعاياهاما يلزم لحاجاتها دون أن يكون له فائدة إضافية.

وما دامت القروض قروضاً داخلية تتعاطاها أمم الغوييم، فغاية ما يحصل من المال انه ينتقل من جيوب الفقراء إلى الأغنياء. ولكن عندما يشترى الرجل الذى يعهد إليه فى تدبير القروض من الخارج، تسيل أموال الأمم الى صناديقنا وخزائننا، وتسرع امم الغوييم فتؤدى إلينا ضريبة الرعية.

وإذا اعتبرنا نوع الحياة التى يحياها ملوك الغوييم وهم على عروشهم، حياة القشور والعبث، وما هناك من إهمال لشؤون الدولة، واستقتال الوزراء فى جمع المال لجيوبهم، وجهلهم المسائل المالية، وحذو باقى الحكام هذا الحذو بحيث أدى الأمر كله إلى جعل بلدان الغوييم مدينة لخزائننا بمقادير من الديون هى أعجز من أن تقوى على تسديدها، الا فلنعلم أن هذا لم يتم دون أن تكبدنا فى سبيله تكاليف ثقيلة من اضطراب ومال.

وركود المال لن يكون له محل فى عهدنا، ولذلك لن يكون ايضاً شىء من سندات بالفائدة

على الدولة، ماعدا الإصدار الذى بفائدة واحد بالمئة، ولن يكون هناك دفع فوائد للعَلق الناهش لعصب الحياة فى دولتنا. وحق إصدار سندات بالفائدة سيحصر بالشركات الصناعية التى لا تجد صعوبة فى دفع الفائدة على السندات من أرباحها، بينما الدولة فى هذا الأمر لا تعطى فائدة على القروض التى هى كقروض الشركات، لأن الدولة تقترض لتنفق لا لكى تستثمر المال فى المشروعات المربحة.

وسندات الشركات بوسع الحكومة أن تشتريها كما يشتريها جميع الناس بعد أن كانت الحكومة مقترضة تدفع جزية القرض، صارت مقرضة (الشركات) بفائدة تجنبها. وهذا التدبير يمنع الركود والأرباح الطفيلية والاسترخاء، مما كان كله مفيداً لنا لما كانت دول الغوييم مستقلة ولنا مآرب من سوقها ذاك المساق، أما فى حكمنا فهذا بعيد.

وما أوضح ما نرى من تخلف عقل الغوييم وغباوته الكثيفة وتخبطه فإنهم يقترضون منا بالفائدة دون أن يفكروا فى أن كل هذا المال مع فائدته كان يجب أن يأخذوه من جيوب دولهم ليسددوا لنا الدين. وأى شىء أسهل من أن يأخذوا المال من جيوب شعوبهم.

ولكن هذا كله برهان على إشراق نبوغنا العقلى وإشعاعه، ونحن الشعب المختار. فإننا قد اخترعنا لهم هذه الحيلة بشكل تقديم القروض، مزينة منمقة، فصدقوها واعتقدوا أن فيها الخير لهم.

أما طريقتنا فى حساباتنا فستكون واضحة جلية فى بيان المصادر والموارد، والدخل والخرج، لا أثر للإبهام فى ذلك، منقاة على ضوء خبرتنا المستفادة من القرون الماضية فى دول الغوييم، وستتميز بالدقة والبت والقطع. وبإلقاء نظرة عليها، يستطيع كل واحد أن يرى جوهر محتواها وهذا ثمرة ما ابتكرناه. وبذلك تنتهى مخازى الغوييم التى استعنا بها فى التسلط عليهم، وهذا كله منبوذ عندنا.

وسنضرب بسياج من الرقابة حول نظام الحسابات عندنا بحيث لا يكون من المستطاع بحالٍ للحاكم أو لأى موظف فى الدولة، مهما علا مقامه، أن يحول درهماً واحداً عن بابه، دون أن يكشف أمره، أو أن يجرى نقل مرصد مالى من باب إلى آخر، إلا ضمن ما نصت عليه التعليمات وربط بضابطه.

وبغير هذه الطريقة الجازمة لا سبيل للحكم والسير فى طريق تحتها الغام، وبغير موارد على الصفة التى ذكرنا، مصيرها إلى البوار، حتى ولو كان القائمون بالحكم أبطالا أو شبه آلهة، وكل ما صنعناه لحكام الغوييم الذين طالما أمددناهم بالنصائح (المضلة) فصرفناهم عن العناية بشؤون الدولة وحراسة مهماتها ومصالحها، والهيناهم بمراسم الظهور بأبهة المحافل والمهرجانات والانتفاخ بآداب السلوك الاجتماعى، والمآدب والولائم، كل هذا ما كان إلا حجاباً

لستر خططنا المؤدية إلى قيام حكمنا. وقد حشونا كل بلاط بالمحبوبين لديهم من عملائنا (وعميلاتنا) فوضعناهم فى مناصب كلها مفاتيح، فعملوا، وأحسنوا القيام بما عملوا، وكانوا يستغلون قصر النظر، فيمنونهم بمواعيد عرقوبية أن الفرج وتحسن الحالة الاقتصادية، كل ذلك قادم فى الطريق. ومما يأتى الفرج أتأتى بركات اقتصادية من ضرائب جديدة؟ كان ذلك ممكناً بنفسه ولكنهم لم يفهموه ليطلبوه. وكيف يفهمونه ويطلبونه وقد قرأوا ما كتبنا لهم ووضعنا أمامهم فاتبعوه.

وواضح ما كان لهم من نهاية، هى نتيجة الدرب الذى سلكوه، وما ارتطموا فيه من بلاء العسر المالى، وخمول الصناعات فى بلادهم.

البروتوكول الواحد والعشرون

القروض الداخلية. الديون والضرائب. تحويل الديون إلى ان تصبح ما يقال له الديون الموحدة. الإفلاس. بنوك التوفير. والدخل. إلغاء الأسواق المالية. تنظيم القيم الصناعية.

إتماماً للموضوع الذى شرحته فى الاجتماع الأخير، وهو القروض الأجنبية أقدم الآن إيضاحاً وافياً حول القروض الداخلية. ولا حاجة بى أن أزيد الكلام على القروض الخارجية، فهى التى ساقت إلينا ثروات الغوييم، وأما فى دولتنا فلا وجود للأجانب، أى لا شىء خارجى.

إننا قد اغتنمنا فرصة ما عليه رجال الإدارة الكبار من التكالب على جمع المال، وما أصيب به الحكام من آفة الخمول، فاستعدنا أموالنا منهم ضعفين وثلاثة أضعاف، بل أكثر من هذا، فكنا نقرض حكومات الغوييم من المال ما يفوق حاجتها. أفيستطيع أحد أن يدور بنا مثل هذا المدار؟ لذلك أقصر كلامى على تفصيل القروض الداخلية. والقصة هكذا:

تعلن الحكومة أنها ترغب فى عقد قرض مالى صفته كذا وكذا. وتطرح سنداتها للاكتتاب، وهى من نوع سندات دين بفائدة، ولكى تبقى الحكومة، وفى متناولها الأمر كله من جهة متراوح الاسعار، فإنها تجعل سعر السند بين مئة وألف، ويخصم شىء من هذا للسابقين فى الشراء. وفى اليوم التالى، فإذا بالاسعار فى صعود نتيجة التحايل والتلاعب، والسبب المنتحل أن الإقبال على الشراء كان غزيراً جداً، وفى بضعة أيام تمتلىء صناديق الخزانة ويقبض المال عنها، حسب زعمهم، إذ تدفق عليها وزاد فيضه على ما تحتاج إليه بكثير (إذا كان هذا صحيحاً فلماذا تقبل الخزانة هذا الفائض الزائد؟) ثم يذاع ويشاع أن الاكتتابات فاقت مطلوب القرض أضعافاً، ومن هنا يكمن سر الرواية. فتسمع الناس يقولون: انظروا؛ ما أشد الثقة بسندات الحكومة؛

وعلى اثر تمثيل هذه المسرحية المضحكة، يطل رأس الحقيقة سافراً، وهو أن الحكومة واقعة فى دين، لكنه دين يقصم الظهر. فتتخبط فى أمرها. ثم يعسر عليها دفع الفائدة، فتلجأ إلى قروض جديدة، وهذه لا يستفاد منها فى وفاء الدين بل تضيف إليه عبئاً جديداً. ومتى ما نفد مال القروض الجديدة، صار من الضرورى فرض ضرائب جديدة لا لوفاء أصل القروض الأولى، بل لدفع فائدتها، فتغدو هذه الضرائب ديناً لتغطية دين.

ثم يأتى دور تحويل سندات الديون فيخفضون من الفائدة، ويبقون الدين على حاله، غير

أن هذا العمل لا يستطيعونه إلا بموافقة المقرضين حملة السهام، فتعضل المسألة وعند إعلان التحويل، يسمع اقتراح من رواية ما، إن الذين لا يوافقون على تحويل سنداتهم تعاد إليهم قيمتها فإذا طلب حملة السهام جميعاً استعادة أموالهم، وقعت الحكومة فى الورطة، وعلقت بها الكلاليب، وتكون كمن طلب الزيادة فوقع فى النقص، وتعجز عن الدفع. ومن حسن الحظ أن الغوييم، ولا فهم لهم فى الأمور المالية، يؤثرون دائماً أن يخسروا من قيمة السندات ويقبلوا فائدة مخفضة، على أن يجرأوا فيحاولوا استثمار أموالهم فى مشروع آخر. وفى خلال هذا كله، تتولد الفرصة للحكومة فتنفض عن كاهلها ديناً عليها قد يبلغ عدة ملايين.

وفى الوقت الحاضر، لا يبقى بوسع الغوييم أن يلعبوا هذه اللعبة فى القروض الخارجية، إذ هم يعلمون أننا إزاء هذه نطلب أن تعاد إلينا أموالنا كلها كاملة.

وبهذه الطريقة التى شرحتها لكم، يكفى أن تؤخذ العبرة من حادث إفلاس واحد لا ريب فيه، ليعلم ما هناك من مسافة بعيدة بين مصالح الشعب ومصالح الحكام.

وأرجو منكم أن تحصروا انتباهكم الخاص بما تقدم من الكلام، ربما أعقب عليه الآن توّاً: أن جميع القروض الداخلية أصبحت فى وقتنا هذا ديوناً موحدة، أى ما يسمى بالديون السائرة، وخاصية شروطها تسديدها فى آجال قصيرة. وهذه الديون هى أموال مدفوعة إلى بنوك التوفير وإلى الحساب الاحتياطى، فإذا بقيت تحت تصرف الحكومة مدة طويلة، تتبخر إذ تستعمل فى دفع فوائد القروض الأجنبية، ويعتاض عنها بمبالغ تعادلها تؤخذ من أموال الدخل والإيراد، وهذه الأموال هى آخر ما فى جعبة الخزانة من أدوات الترقيع ورتق الفتوق.

ومتى ما اعتلينا عرش العالم، فيجمع هذه الألاعيب المالية وأمثالها المنافية لمصالحنا، يقضى عليها بالمرة، ويعفى أثرها، وكذلك نمحو الأسواق المالية من الوجود، لأن وجودها ضار بمكانتنا وهيبة سلطاتنا المالى، لما تسببه من التقلب فى الأسعار، فيؤثر ذلك فى قيم أموالنا تأثيراً سيئاً.. ووجه عملنا، احتفاظاً بمستوى قيم أموالنا وأسعارها، سنسن قانوناً يمنع التلاعب بين صعود وهبوط (فالصعود ينقلب بسبب الهبوط، وهذا ما كان يقع فى دور ابتداء تدخلنا فى أسواق الغوييم).

وسنعتاض عن أسواق الأوراق المالية (البورصات) بمؤسسات حكومية للاقراض، بالغة حد العظمة والغاية من هذه المؤسسات أن تحدد أسعار القيم الصناعية على حساب ما ترى الحكومة، ويكون بوسع هذه المؤسسات أن تغرق السوق بخمس مئة مليون من سنداتها الصناعية، وأن تشترى من السوق سندات ما يعادل هذه القيمة، كله فى يوم واحد، وبهذه الطريقة تصبح المشروعات الصناعية متوقفة علينا. ويمكنكم أن تتصوروا ما يكون لنا من وراء هذا من نفوذ وسطوة.

البروتوكول الثانى والعشرون

أسرار ما سيأتى به الغد. شرور القرون العديدة أساس المستقبل الخير. شعار القدرة والخشوع لها خشوع العبادة.

فى جميع ما أوردته عليكم حتى الآن، كان هدفى أن أصرر لكم بعناية ما سيأتى به الغد، وما هو جار اليوم مندفعاً إلى سيل الحوادث الجسام الطالعة علينا عما قريب، وسر العلاقات بيننا وبين الغوييم، والأعمال المالية. ولم يبق لى ما أقوله إتماماً للموضوع إلا القليل وهو هذا:

إن فى يدنا أرهب قوة فى هذا العصر: الذهب، ففى مقدورنا أن نخرج من خزائننا منه أى مقادير نريد فى بحر يومين.

ومن المسلم، أن لا حاجة بنا إلى مزيد برهان على أن حكمنا المقبل هو من إرادة الله. ومن المسلم أيضاً أننا لن نفشل، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال، فى إقامة الحجة على أن الشر الذى عكفنا على ارتكابه عدة قرون، كان عوناً فى خاتمة المطاف لقضية الرفاهية والخير. يجعل الأمور كلها تحت أجنحة النظام، ولا ننكر أننا فى غضون هذا السير قد لجأنا إلى بعض العنف والجور، على أن النتيجة كانت تكون واحدة على كل حال فى النهاية. وما بقى علينا هو أن ندبج الفصول والمقالات برهاناً على أننا نحن الخيرون المحسنون، أعدنا إلى العالم الممزق المتناثر، نعمة الخير الفعلى، وحررنا الإنسان الفرد، وبهذا نمكن العالم من أن يحيا متمتعاً بهاتين النعمتين (الخير والحرية) فى ظل السلام والطمأنينة، مع حسن العلاقات المرعية بين الناس، وذلك طبعاً شرط المحافظة الدقيقة على القوانين الدائمة، وسنبين للناس جميعاً أن الحرية ليست فى الاستباحة والهوى، وحق الانغماس فى المحظورات بلا قيد، بأكثر مما هى كرامة، وقوة إرادة فى الإنسان، وهذان ليس معناهما إبلاء الفرد نفسه الحق أن يأخذ بالقواعد الهدامة تحت أسس حرية الضمير والمساواة وما أشبه. وحرية الإنسان ليس محتواها أن يهيج المرء نفسه ويهيج غيره إلى الشر بالخطب الرعناء فى الرعاع العابثين، وإنما المحتوى الصحيح هو الصمود والمناعة فى الشخص الذى يراعى جميع قوانين الحياة بأمانة ودقة، والكرامة الإنسانية عن طريق وعى الوحدات للحقوق، فى مشهد كل حق ومغيبه، وليس من معنى المحتوى أنه مطلق الاستسلام إلى الخيال، والنزوات الجامحة، مما يدور حول موضوع الذاتية أو الأنانية الإنسانية.

وستكون سلطتنا رائعة، لتحليها بصفة القدرة الكاملة الشاملة، وتبسط كل حكمها وترشد الناس، ولا تشايع زعماء وخطباء يتراقصون على العبارات الفارغة وما به يتشدقون، مما كله في نظرهم المبادىء السامية، وما هو بالحقيقة الراهنة إلا الطوباوية الخيالية.. سلطتنا ستكون تاج النظام، وفي هذا تتدرج سعادة الإنسان كلها. والشعار الوهاج لهذه السلطة، تنبعث منه عوامل السجود الروحى له، وخشية الإجلال بين يديه، من الخلق أجمعين. إن القدرة الحقيقية لا تسالم حقاً من الحقوق حتى ولو كان حق الله. ولا يستطيع أحد أن يدنو منها بسوء ولو بمقدار شعرة.

البروتوكول الثالث والعشرون

التقليل من الأدوات الكمالية. الصناعيون المتوسطون. التعطل عن العمل. منع الخمرة. محو المجتمعات السابقة وبعثها فى شكل جديد. المختار من الله

إن الشعب، حتى يعتاد الطاعة، من الضرورى أن تتشرب أذهانه دروس الاتضاع والقناعة. وطريق ذلك، الإقلال من إنتاج الكماليات وأدوات الزينة الفارغة، والترف. فتترقى الأخلاق العامة التى ما جاءها الفساد إلا من شدة انغماسها فى مباءة الترف المهلك. وسنعنى بإعادة إنشاء صناعات إنتاج متوسطة، وهذا معناه وضع الألغام فى طريق رؤوس الأموال الصناعية الخاصة. ومن فضائل هذا أيضاً، أن الصناعيين الكبار على النطاق الواسع، غالباً هم المحركون، ولو عن غير علم منهم دائماً، لأفكار الجماهير فى اتجاه معاكس لا يعرف شيئاً من التعطل عن العمل (البطالة)، وهذا ما يدعو لشده إلى النظام القائم شداً وثيقاً، وبالتالى يقوده إلى احترام هيبة السلطة. ثم أن التعطل عن العمل يعتبر أشد ما يفتك بالحكومة من آفات، أما نحن، فسنداويه يوم ينتقل الزمام إلى أيدينا. والخمرة ستمنع بالقانون، وشاربها معرض للعقاب لارتكابه جرماً ضد إنسانية الإنسان، ولصيرورته بالشراب فى صف العجماوات.

والرعايا، وأكرر هذا القول، إنما تنقاد لليد القوية التى تحكم، وهى بمعزل عن الرعايا جميعاً، ومن هذه اليد تستشعر الشعوب رهبة السيف الذى ينتضى لمكافحة الأوبئة الاجتماعية واستئصالها، وما عساهم يريدون فى ظل ملك ملائكى الروح، يرون فيه هذه القدرة والقوة مجسدتين.

واجب السيد الأعلى الذى يحل محل جميع الحكام الحاليين، المتسكعين فى طريقهم على حاشية الحياة، فى مجتمعات نخرة، أوردناها موارد التدلى والفساد، مجتمعات جحدت كل شىء حتى سلطة الله، ومن وسطها تنجم قرون الشر بنار الفوضى من كل جهة واجب السيد الأعلى قبل كل شىء أن يخمد تلك النار الفاغرة فاها، إخماداً تاماً. وهو فى هذا الصدد يكون مضطراً إلى أن يمحو جميع تلك المجتمعات ولو صبغها بدمه، حتى يبعثها بعثاً جديداً على صورة جنود منتظمة الصفوف، تقاتل بوعى كل الآفات التى تعترى جسم الدولة وتزرع فيه البثور.

وهذا الحاكم المختار من الله، إنما اختاره الله ليقضى على قوى الشر، القوى التى تنبعث من الغريزة لا من العقل، ومن الوحشية لا من الإنسانية. وهذه القوى هى الآن فى نشوة

انتصارها، متمثلة باللصوصيات وكل ضرب من الاغتصاب، تحت قناع مبادئ الحرية والحقوق. وقد عبثت بالنظام الاجتماعى ونقضته من كل جهة لتقيم على أنقاضه عرش ملك اليهود، ولكن دور محاسبة هذه القوى الشريرة يكون فى يوم ظهور مملكتنا، فتجرف من طريق ملكنا جرفاً حتى لا يبقى منها أثر، عالقة به بقايا عثرات، أو كسرات محطومة.

حينئذ نستطيع أن نقول لأمم العالم: اشكروا لله واسجدوا للذى فى جبينه خاتم مصير الإنسان، الإنسان الذى قاد الله نجمته إليه، مظهراً بذلك أنه هو وحده القادر على تحريرنا من جميع القوى والشرور التى ذكرنا.

البروتوكول الرابع والعشرون

تثبيت نسل الملك داود. تخريج الملك وإعداده للعرش. تنحية الوارث ولو كان من النسل الداودى إذا كان لا يصلح للملك. الملك وأعوانه الثلاثة لا غير. الملك هو المصير. ملك اليهود فى اخلاقه نحو الناس هو فوق العيب.

فى الاختتام، أتناول من الكلام ما يتعلق بإثبات النسل الداودى فى أصوله وجذوره إلى آخر الدهر.

سر هذا البقاء، فى المقام الأول، كامن فى ما يتضمنه ذلك الشىء الذى تمكن به حكماؤنا حتى اليوم، من جعل إدارة شؤون العالم مشربة روح المحافظة على القديم، وذلك عن طريق توجيه التثقيف الفكرى للإنسانية جمعاء.

يأخذ بعض الأشخاص من نسل داود على عاتقهم إعداد من يصلح للملك ومن يصلح ليكون وارثاً للعرش، غير جاعلين الاختيار تابعاً لحق من حقوق الإرث، بل كل ما يراعى من مميزات هو الكفاية بصفاتها من الجدارة والموهلات. فيطلعون المرشحين على أعمق الأسرار المتعلقة بالتدابير السياسية، وأساليب الحكومات وأطوارها، مع الحذر الشديد الا يتسرب شىء من ذلك الى الخارج. والغاية من هذه الطريقة أن يعلم الناس جميعاً أن زمام الحكومة لا يمكن أن يلقى به إلى من لم يتخرج بالمعرفة والاطلاع على مواطن الأسرار فى فن الحكومات.

وهؤلاء المرشحون هم بوجه الحصر الذين قد تم تخرجهم وإطلاعهم على كيفية تطبيق المخططات وتنفيذها، وإمعانهم النظر وتدقيق الاعتبار، والمقابلات بين صنوف التجارب الماضية لعدة قرون، والملاحظات المستفادة من السير السياسى والاقتصادى والعلوم الاجتماعية. وبكلمة موجزة: يلقن هؤلاء روح الشرائع التى هى من عمل الطبيعة نفسها، الهادية فى إدارة العلاقات الإنسانية بين البشر.

وإذا وجد أن المرشحين للعرش على الخط العمودى الداودى قد بدا منهم فى أثناء دراستهم وتخرجهم، طيش أو رخاوة أو ما يشبه هذا، مما يكون عاملاً فى فساد الحكم والسلطة، ويجعل الحاكم غير قادر على الوفاء بحق واجباته، وخطراً بنفسه على المنصب الذى يتولاه، فأمثال هؤلاء، إذا بدا منهم هذا النقص، ينحون على تسنم العرش.

وإنما يتسلم زمام السلطة من أيدى حكمائنا، من لا ريب فى مقدرتهم التامة، ليحكموا

حكماً بلا هوادة، لا ينى ولا ينثنى، ولو تضمن القوة والصرامة.

وإذا مرض الملك الشرعى الجالس على العرش، مرضاً يورثه ضعف الإرادة والرأى، أو ما يثلم أى صفة من صفات الأهلية، فتكف يده ويسلم زمام الحكم إلى من يأتى بعده من ملك قدير جديد.

وما لدى الملك من مخطط عمل للحاضر والمستقبل، لا ينبغى أن يدرى به أحد إطلاقاً، حتى ولا الذين هم بمثابة مستشارى الملك المقربين.

والذين يحصر فيهم علم هذا كله دون سواهم، هم الملك نفسه وثلاثة أعوان معه لا غير.

وفى شخص الملك الذى هو بإرادته الصامدة الصلبة سيد نفسه وسيد الإنسانية كلها، تستشف صورة القدر وخفاياه. ولن يكون بوسع أحد أن يعلم شيئاً من رأى الملك، ولا إلى ما يتوجه برغباته وميوله. ولذلك يكون من المستحيل أن يقف أحد عاثوراً فى طريقه وهى طريق غامضة مجهولة.

ومعلوم أن القوة المستوعبة الخازنة من عقل الملك ومداركه، ينبغى أن تتكافأ بسعة الأهلية والقدرة مع ما ينبغى أن يكون لدى الحكومة من خطط لنعمل. وإنما من أجل هذه العلة فى التوازن بين الاثنين، وجب الا يتسنم ملك العرش إلا بعد فحص قواه العقلية على يد الحكماء الثلاثة الأعوان.

وقد يتسنى للشعب أن يعرف الملك عن كثب، فيحبه، فلا بد له (الملك) أن يخرج إلى الساحات والمشاهد العامة فيحدثونه ويحدثهم، وهذا ما يجعل القوة فى الجانبين، الملك، والشعب، قوة متماسكة، وهى الآن غير موصولة، وهذا الانقطاع سببه نحن وما رأينا من أهوال.

وهذه الأهوال لم يكن منها مهرب، وكان حتماً احتمالها، إلى أن يحين الوقت للقوة المذكورة فتلتقى من طرفها. وتمسى حلقة مفرغة تحت أجنحتنا.

وملك اليهود لا يجوز له أن يكون منقاداً لشهواته ولا سيما البدنية، ولا أن يسمح لجانب الغريزة الجامحة أن تسلط على جانب العقل. فإن الشهوات مهلكة، تعطل القوى المدركة العاقلة، وتطفىء البصيرة المبصرة، وتسف بالأفكار إلى الحضيض الذى ما بعده شىء.

والقائم بعبء الإنسانية، المتمثل بشخص السيد الأعلى، الباسط حكمه على جميع العالم من نسل داود المقدس، عليه أن يضحى فى سبيل شعبه بكل شهواته الشخصية، وسيدنا الأعلى حرى به أن يكون فوق العيب ويكون المثل الأعلى.

(الموقعون) ممثلو صهيون من الدرجة ٣٣

(انتهت البروتوكولات)

الجراثيم الخبيثة فى مخطط البروتوكولات

١ - لا يسع القارىء بعد أن يطالع هذا المخطط، ويتأمل فى محتواه ومداه، وروحه وعوامله، وأبعاده وغاياته، إلا أن يسأل: من هم اليهود من الجنس البشرى على صعيد هذا المخطط الرامى إلى إفساد البشر جميعاً، ومحو الحضارة والأديان السماوية، أو فما هو نوع هذا الجنون أو الشذوذ؟ ويتوجه المطالع إلى نفسه بهذا السؤال قبل أن يشفع هذا بسؤال آخر وهو: أيمكن لهذا الجنون أن يتحقق منه شىء فى النصف الثانى من هذا القرن؟ (القرن العشرين)

٢ - ويسيرٌ الجواب على السؤال الأول: اليهود كتلة بشرية ضئيلة من أول أمرها فى الوجود. وأجمع المؤرخون المتجردون عن الهوى على أن اليهود لما كانوا يدورون على محورهم الصغير فى فلسطين فى الزمن القديم كانوا، حتى فى أيام شاول وداود وسليمان، حفنة قابلة أبداً لأن تذروها الرياح بين الامبراطوريات الكبرى فى وادى النيل ووادى الفرات والعراق وسوريا. ولم يستطع بنو إسرائيل باسمهم الأقدم، ثم اليهود باسمهم بعد انقضاء عصر سليمان، أن يأخذوا من صفحات التاريخ الحقيقى شيئاً يذكر إلا نتفاً فى زوايا الحواشى، ولم يتركوا فى فلسطين أثراً من بناء أو عمران يدل على حضارة كانت لهم، أو فن نشأ فى بيئاتهم، إلا التوراة التى هى نتاج ألف وخمسمئة سنة. ثم راحوا فى أثناء السبى وبعده يتعلقون بالأساطير والملاحم، والإكثار من نسج الأخيلة فوق التوراة حتى ابتنوا الى جانبها التلمود، مبتدئين به فى القرن الميلادى الأول. والتلمود انقلب عندهم الواقى من العفاء، ومناط الرجاء، وهو دنياهم من الألف إلى الياء.

٣ - والعبرية القديمة رطانة جافة، فأخذت تتأثر بالكلدانية حتى صارت لهجة تشبهها.

٤ - ولما كان الكنعانيون يسكنون المدن المسورة ولهم مستواهم الحضارى فى بلادهم المسماة بأرض كنعان، وعندهم الحديد وما يصنع منه، وهم يقيمون فى داخل البلاد الجبلية فى السفوح والوسوط والأعالى، ولما كان الفلسطينيون يقيمون فى السهول الساحلية من الكرمل وبيسان إلى غزة. وهم لا يقلون حضارة عن جيرانهم الكنعانيين، كان الإسرائيلى الجاف لا حضارة له ولا فن، يهبط السهول إلى الكنعانى أو الفلسطينى، ليصنع له سكة الحراثة أو منجل الحصاد.

٥ - من الكنعانيين أخذ بنو اسرائيل ما أخذوا. ومعظم ما فى التوراة من أخبار خلق العالم والتكوين والطوفان وتمجيد «ايل» الإله. إنما كل هذا اقتبسوه من الحضارة الكنعانية والحضارة العراقية. وبعد اكتشاف جوانب عظيمة من الحضارة الكنعانية الفينيقية فى

أوغاريت او راس شمرة قرب اللاذقية آخر الثلث الأول، من هذا القرن، انكشف الغطاء عن كثير من ينابيع التوراة.

٦ ـ واضمحل بنو إسرائيل سبيا وتشتيتاً، لكن اعتصموا منذ عشرين قرناً بالتوراة والتلمود، وأسطورة لا محل لها فى معقول البشر من أنهم شعب مختار.

٧ ـ وانفردوا بهذا. وجعلوا يحركون حوله الخيال والأسطورة ويمجدون ماضيهم، وسليمان وعصره بصورة خاصة، تمجيداً لا يقره تاريخ ولا حقيقة.

٨ ـ وإذا كانت لليهود حقيقة عرقية سامية فى زمنهم القديم، فهذه الحقيقة فقدوها شيئاً فشيئاً، لا بحكم السبى وحده، بل أيضاً بحكم اختلاطهم المكره بالأمم، وتفريقهم القسرى فى الشعوب فى مختلف البقاع، وجاء علم الأنثروبولوچيا ـ الأجناس البشرية ـ منذ القرن الماضى، يكشف عن هذه الحقيقة ويؤيدها بالبراهين والحجج، وكثير من أهل أواسط اوروبا وجنوبها وشرقها، تهودوا فى القرون الأولى بعد المسيحية، كما تهود الخزر فى جنوبى روسيا فى القرن الثامن والتاسع، وهؤلاء من التتر ولهم خبر طويل فى اليهودية. وأقوام كثيرة صقلبية تهودت كذلك. وعلى طول الزمن ضاعت حفنة العنصرية السامية فى الجماعات اليهودية، وبفعل الزمن والاختلاط بالزواج ووفرة المتهودين من العنصر الآرى، تحول التيار اليهودى إلى استيطان كل بلد وجد فيه يهود، والبقاء على الاعتصام بالتوراة والتلمود، والانتهاء بالوجود اليهودى بعد أن شتتهم الرومان إلى كيان شعورى دينى منعزل غير قابل للانصهار بالمجموعات البشرية الأخرى. ولازمت هذه الحالة اليهود حتى اليوم.

٩ ـ ومن هذا، يتضح لنا بطلان دعواهم التى يتعلقون بها اليوم، أو منذ الربع الأخير من القرن الماضى (التاسع عشر)، من أن الشعوب الأوروبية جعلت تناهضهم من أجل أنهم ساميون لا آريون. وهذه الكراهة لليهود، وقد عرفت باللاسامية وهو مصطلح حديث، إنما خلقه اليهود أنفسهم لكى يستغلوه فى سبيل مخططهم، وبهذا هم يعترفون فى هذه البروتوكولات.

١٠ ـ فإذا استطعت اليوم أن تجمع يهودياً صقلبياً، وخزرياً، وهندياً وصينياً، ويمانياً، وحبشياً، فبنظرة واحدة تعلم أن كل واحد من هؤلاء يدل بسحنته الموروثة على عرقيته غير السامية ماعدا الاثنين الأخيرين.

١١ ـ انتهى تاريخ اليهود فى فلسطين بظهور المسيحية تقريباً، ولم يعد لهم من ذكر مستقل بعد ذلك فى مجرى حوادث التاريخ العام، إلا وهم ملحقون إلحاقاً بأخبار كل بلد نزلوها طوعاً أو كرهاً. وبقوا هكذا إلى القرن التاسع عشر.

١٢ ـ وخير أيامهم بعد أن شتتهم الرومان، مرتعهم الآمن فى المملكة العربية الإسلامية، ولا سيما فى حمى الدولة العباسية فى العراق، والأيوبية فى مصر، والأموية فى الأندلس والمغرب.

١٣ ـ فلما جعلوا يخرجون إلى العالم الحديث، بعد أن طوردوا فى كل بلاد أوروبية تقريباً، وبعد

مئات السنين وهم يناوئون البابوية والكثلكة منذ الحروب الصليبية، إنما خرجوا وعلى جباههم هذه الحقائق.

أولاً: اليهود عنصر مختلط، لا حقيقة عرقية له.

ثانياً: السامية برئت منهم منذ وقت طويل، ولم تضمحل حقيقة عرقية في جماعة بشرية في التاريخ كله كما اضمحلت في اليهود، إلا الجماعات والأقوام التي زالت من الوجود جملة وتفصيلاً وانطفأ ذكرها.

ثالثاً: منذ المسيحية وتفرق اليهود فقضي عليهم بأن يخالطوا جميع الأمم والشعوب، على اختلاف الأقاليم والحضارات والألسنة والأهوية، فلم يتيسر لهم أن يندمجوا بغيرهم كما حصل لأقوام أخرى، والسبب هو كيانهم القائم على الانطوائية المغلقة بالتقاليد، والملتفة بتعاليم مستمدة من التلمود، فمن تهود من الآريين أصبح يهوديا بهذه الصفة.

رابعاً: هم يعترفون في المخطط أو البروتوكولات بأن السبي البابلي تحول إلى نعمة نقلتهم إلى الطريق التي صيرتهم يهوداً انعزاليين ليلاحقوا عقيدة الشعب المختار، وفسروا هذه العقيدة بأن لهم أن يمحوا الحضارة والأديان ليكونوا هم سادة العالم، وزادتهم حياة القهر، والحصر والذل في القرون الوسطى الأوروبية انكماشاً غير قابل للذوبان، فتحجروا أي تحجر.

خامساً: حتى إذا انطلقوا بعد الثورة الفرنسية يضعون مخططاً قائماً على أساسين، كان هذان الاساسان وهما:

١ . عقيدة أن هذا الشعب المختار يستطيع أن يفسد العالم ويعطله ويخربه ليقيم على أنقاضه ملكاً يهودياً داودياً، يتفرد بحكم العالم بأسره، وما الأمم والشعوب إلا حيوانات متخلفة العقل والذهن والفهم.

سادساً: أما عقيدتهم أنهم شعب مختار فالإشارة إليها وإلى الماسونية شيء كثير في البروتوكولات. وأما قدرتهم على أن يصلوا إلى نهاية مبتغاهم، فنحسب أن القطار قد فاتهم؛ ولكن قد يطول بالعالم الأميركي والبريطاني الأمد وهو مخدر تخديراً يهودياً، وأهم عوامل هذا التخدير ليس الذهب والمرأة والجاسوسية، بل التنصر ظاهرياً والبقاء على اليهودية باطناً. وقد أكثر اليهود من استعمال هذه الخدعة بعد طردهم من البرتغال وإسبانيا وقيام مجلس التفتيش عليهم بالعذاب المعلوم. وهكذا كان إسلام اليهود الذين جاؤوا المملكة العثمانية بعد القرن الخامس عشر فأسلموا وسموا بالدونمة أي المهتدين.

سابعاً: نظم اليهود أمرهم مراراً غير أن التنظيمين الكبيرين كانا حوالي الثورة الفرنسية وفي منتصف القرن قبل الماضي أيام كارل ماركس، حتى انتهوا سنة ١٨٩٧ إلى جمع أبعاد المخطط وافراغ ذلك كله في دستور خفي هو البروتوكولات.

رؤوس الحراب فى المخطط

غاية الغايات، ونهاية النهايات فى المخطط، هى:

١ ـ القضاء على روسيا القيصرية

٢ ـ القضاء على العروش الأوروبية.

٣ ـ القضاء على البابوية

٤ ـ اتخاذ أوروبا قاعدة ملكهم (مؤقتاً).

٥ ـ اعتبار الشعوب والأمم حيوانات ما خلقت إلا ليسودها الشعب المختار.

٦ ـ إبادة الحضارة وتفكيك الأمم والشعوب وتخريب المجتمع قبل إقامة الملك الداودى.

٧ ـ بإقامة الملك الداودى الصهيونى يدخل العالم فى عهد بركات الدولة اليهودية. ويستريح البشر فى ظلها.

٨ ـ المدة اللازمة للوصول إلى هذه الغاية هى قرن ابتداء من سنة ١٨٩٧

٩ ـ بعد محو الأديان والحضارة وإقامة المملكة الداودية، يصبح دين موسى الدين الوحيد فى العالم، وملك اليهود يغدو بابا العالم أجمع.

١٠ ـ وسائل التنفيذ فى مراحل هذا المخطط، أهمها القبالا السرية والماسونية اليهودية بقسميها اليهودى السرى المقصور على اليهود، وماسونية الغوييم ـ غير اليهود ـ وهؤلاء عملاء مسخرون، للماسونية السرية، والاغتيال والقتل الخفى، لكل من يخالف أمراً من أوامر الماسونية العليا.

١١ ـ لدين موسى أسرار عميقة فتبقى هذه الأسرار مقصورة على عدد قليل جداً من أركان الدولة اليهودية.

١٢ ـ أما تخريب المجتمع اقتصاديا واجتماعياً، وصحافياً وأخلاقياً، وتهذيبياً ونشر الجرائم الوبائية عمداً، فكل هذا مبسوط فى المخطط المؤلف من ٢٤ جزءاً وهو ما اطلع عليه القارىء، ويحسن القارىء إذا عاد فاطلع على ذلك ثانية وتمعن بكل عبارة ووسيلة، ومقصد، وغاية.

١٣ ـ وسكتوا عمداً فى البروتوكولات عن التصريح الواسع بنقطتين، الأولى: «اللاسامية» إذ لأمر ما طووها من هذا المخطط، واكتفوا بالقول إنهم إنما يرونها ضرورية لمصلحتهم.

والنقطة الثانية «فلسطين» أو ما هو بتعبيرهم البائد «أرض إسرائيل»، والسبب فى هذا السكون أنهم قالوا عند ذكر مخططهم لهدم البابوية واتخاذ أوروبا قاعدة حكمهم، إن تناول الأديان الأخرى - وقت وضع المخطط - أمر سابق لأوانه، وهم يعنون «الدولة العثمانية». وكانوا سنتئذٍ شرعوا فى التوغل فيها عملياً على نحو ما رأى القارئ فالوصول إلى فلسطين كان عندهم مرتبطاً بمصير هذه الدولة، وهم كانوا منغمسين بإفساد هذا المصير. وبعد وضع المخطط بعشرين سنة نالوا وعد بلفور سنة ١٩١٧.

***

المخطط ونقاط معينة نضعها
أمام القارىء مأخوذة من عبارات البروتوكولات

المخطط والجزويت

المخطط وروسيا القيصرية

المخطط وانهيار المسيحية

المخطط والأديان الأخرى

المخطط والبابوية

المخطط وملك اليهود باب العالم

المخطط والتاج على رأس ملك إسرائيل

المخطط والشعار الصهيونى

المخطط ولا دين غير دين موسى دين المستقبل وبه ارتبط مصير العالم

المخطط وأسرار دين موسى لا يباح بها لغير اليهود

المخطط والسياسة لا يحذقها إلا اليهود

المخطط والويل والاغتيال لمن لا ينفذ التعليمات

المخطط والقبالا وهى اكبر منظمة إرهابية سرية

المخطط وأن ثلث الشعب يتجسس على الثلين

المخطط وذبح من يتناول السلاح من المناوئين

المخطط وحيوانات الغوييم، المنة عليهم بالحياة

المخطط والتشبه بالإمبراطور صولا الرومانى العاتى

المخطط واللاسامية المستغلة لمصلحة اليهود

المخطط وتيارات الرعب

المخطط وشباب الغوييم

المخطط ونشر الجرائيم عمداً

المخطط والتدمير العالمى

المخطط وأن حكماء صهيون هؤلاء هم رجال اقتصاد

المخطط وأسرار الدولة اليهودية لا يطلع عليها إلا أربعة اشخاص

المخطط وتخريج الملك وإعداده للعرش

المخطط وعمل اليهود فى سبيله منذ ٢٠ قرناً

المخطط واعترافه بالشر المرتكب عدة قرون

المخطط وكان يقرأ على المؤتمرين على نوبات لعدة ايام

المخطط والجزويت:

«... وفى هذا المضمار ليس لنا ند ولا نظير فى رسم المخططات للنشاط السياسى ومعالجة المسؤوليات. وفى هذا المجال لا يضاهينا أحد إلا الجزويت، ولكننا قد ابتدعنا من الطرق ما يصح لإسقاط هيبتهم عند الدهماء وسواد الناس الذين لا يفكرون إلا سطحياً، وإنما تمكنا من الجزويت لأن مؤسستهم مكشوفة، بينما نحن استطعنا أن نبقى أجهزتنا السرية مغطاة محجوبة كل الوقت. وعلى كل فالعالم قد لا يبالى شيئاً بمن يتبوأ عرشه (لأن الشعوب والأمم حيوانات) أهو رأس الكثلكة أم المتسلط الذى يشهر منا منحدراً بدمه من صهيون؛ هذا من جهة العالم (أى الغوييم) اما من جهتنا نحن، فهذا الأمر يهمنا جداً، فإننا الشعب المختار، والمسألة تقتضى منا كل المبالاة»

(البروتوكول الخامس)

المخطط وروسيا القيصرية

«... الأوتوقراطية الروسية إنما كانت على هذه الصفة حتى وقت قريب (الآرميون اليهود داخل روسيا وخرجوا من أعشاش أودسا وأوكرانيا واغتالوا القيصر إسكندر الثانى سنة ١٨٨١) وهى العدو الوحيد الرهيب رأيناه فى العالم، ولا ندخل فى هذا الحساب الآن البابوية (أى وقت تلاوة هذا البروتوكول إذ ذكر البابوية آتٍ فى موضع آخر)

(البروتوكول الخامس عشر)

المخطط وانهيار المسيحية:

«.... وبتنا الآن، لا يفصلنا عن رؤية الدين المسيحى قد انهار انهياراً تامّاً سوى بضع سنين».

(البروتوكول السابع عشر)

المخطط والأديان الأخرى:

«... أما ما يتعلق بالأديان الأخرى، فالصعوبة التى سنلاقيها فى تعاملنا معها ستكون أقل، ولكن من السابق لأوانه ان نتكلم على هذا الآن، وسنضيق الحلقة على الكهنوتية ورجال

الكهنوت لنجعل نفوذهم ينكمش ويرجع القهقرى، بالقياس الى ما كان لهم من فلاح فى الماضى.

(البروتوكول السابع عشر)

المخطط والبابوية

«... ومتى ما حان الوقت لهدم البلاط البابوى، ستظهر أصبع يد خفية (كأصبع دانيال السرية فى قصر نبوخذ نصر وابنه بلشاصر الكلدانيين قبل نحو ٢٥ قرناً) نشير إلى الأمام بها نحو ذلك البلاط. فإذا ما انقضت الأمم عليه، سنخف ونسارع إليه تحت ستار الدفاع عنه رغبة فى حجب الدماء. وبهذه اللعبة سنوغل أيدينا فى أحشائه ولن نخرجها بعد، حتى تتبدد قواه ولا حراك به». (البروتوكول السابع عشر)

المخطط وملك اليهود بابا العالم

«... ثم يكون ملك اليهود هو البابا الحقيقى للمسكونة كلها، وبطريرك كنيسة دولية عالمية».

(البروتوكول السابع عشر - بعد الكلام المتعلق بالبابوية مباشرة)

المخطط والعصابة الأبوية اليهودية على العالم:

«... وستكون حكومتنا متشحة بمظهر الوصاية الأبوية على الشعب، ويتمثل هذا فى شخص الحاكم الأعلى». (البروتوكول السابع عشر)

المخطط والتاج على رأس ملك إسرائيل:

«... ومتى ما وضع ملك إسرائيل على رأسه المقدس التاج الذى تقدمه إليه أوروبا، فإنه يصبح أبا العالم» (البروتوكول السابع عشر)

المخطط والشعار الصهيونى:

«...وأكبر ضمان لوثاقة الحكم الجديد فى أوضاعه، هو إظهار عزة الدولة وهيبتها، كأنها تتعصب هالة من نور، وهذه الهالة مجلاها ومظهرها جبروت القوة، ويدل على ذلك الشعار الذى فى جبينها، وهو رمز عصمتها المستمدة من أسباب علوية - يوم اختارنا الله». (هذا الشعار هو الوصايا العشر التى يعلقها اليهودى فى جبينه موضوعة فى لفافة صغيرة ومربوطة بخيط حول رأسه ويعلقها اليهودى خاصة وقت الصلاة).

المخطط ولا دين غير دين موسى، دين المستقبل، وبه ارتبط مصير العالم:

«.. متى ما ولجنا أبواب مملكتنا، لا يليق بنا أن يكون فيها دين آخر غير ديننا، وهو دين الله الواحد المرتبط به مصيرنا من حيث كوننا الشعب المختار، وبواسطته ارتبط مصير العالم بمصيرنا».

(البروتوكول الرابع عشر)

المخطط واسرار دين موسى لا يباح بها لغير اليهود:

«... غير أنه لن يسمح بأن يطرح ديننا للبحث ابتغاء الوقوف على مقاصده وغاياته الصحيحة، إذ هذا عمله محصور بنا مقصور علينا وحدنا، ونحن دائماً حريصون على ألا نبوح بأسراره لغيرنا» (والمراد بهذه الأسرار ما ورد فى التلمود). (البروتوكول الرابع عشر)

المخطط والسياسة لا يحذقها إلا اليهود:

«... (الفوييم) وهم الذين يغيب عنهم أن يفهموا انهم ليسوا على شيء وأعجز من أن يدركوا اللباب. فأمور السياسة إنما نحن وحدنا نحذقها، وقد هيأنا الله لها بفعل الأجيال العديدة، فمن مبدعها غيرنا؟». (البروتوكول الثالث عشر)

المخطط ونعمة السبى والجلاء: تحول الضعف الى قوة تسود العالم:

«... والله قد أنعم علينا، نحن الشعب المختار، بنعمة السبى والجلاء، والتفريق والشتات، فى الأرض، وهذا الأمر الذى كان فيما مضى مجلى ضعفنا، انقلب فيما بعد سبب قوتنا التى أفضت بنا الآن إلى أن نلج الباب الذى منه نبسط سيادتنا وسلطاننا على العالم كله. هذا ما بلغناه. وأما ما بقى علينا أن نبنيه ونرفعه فوق الأساس فليس علينا بعسير».

(البروتوكول الحادى عشر)

المخطط والويل والاغتيال لمن لا ينفذ التعليمات:

«... فإذا ما تقاعسوا (الفوييم) عن تنفيذ التعليمات التى تصدر إليهم، فهم إما سيلقون الجزاء والعقاب متهمين، وإما سيغيبون عن الوجود بالمرة. وإنما نضعهم هذا الوضع لكى نحملهم على خدمة مصالحنا حتى النفس الأخير من حياتهم. (البروتوكول الثامن)

المخطط والقبالا وهى أكبر منظمة إرهابية سرية:

«... فإخواننا اليوم - اليهود - مكلفون تحت طائلة أخذهم بالمسؤولية والحساب العسير فى حالة الإهمال والتقصير، بأن يبلغوا هيئة القبالا عما يقع لهم أن يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودى من أبناء أقربائهم، أو ما يرونه من شغب على هيئة القبالا أو قذفها بتهمة، كذلك سيكون الأمر فى مملكتنا علناً فى أرجاء العالم كله، ويمسى من الواجب على رعايانا (الفوييم) بلا استثناء، ملاحظة هذه الخدمة للدولة» (البروتوكول السابع عشر)

المخطط وذبح من يتناول السلاح من المناوئين:

«... فإننا سنعنى بعد ذلك بمكافحة أى شيء من حياكة المؤامرات علينا، وسنذبح بلا رحمة جميع الذين يتناولون السلاح بأيديهم ليقاوموا الانضواء الى مملكتنا...

ونطرح رجالها (رجال الجمعيات المناوئة) فى المنافى فى القارات البعيدة من أوروبا...

وسنسن قانوناً يجعل جميع الأعضاء فى الجمعيات السرية السابقة معرضين للنفى فى أوروبا، وأوروبا حينئذ مقر حكمنا». (البروتوكول الخامس عشر)

المخطط وحيوانات الغوييم: المنة عليهم بالحياة:

«... ولعمرى، ما كان أحكم أسلافنا فى الأزمنة الغابرة، لما قالوا إن فى طلب كبار الغايات لا يقام وزن للوسائل والضحايا... وما بنا من حاجة لنحسب ما تحمله الغوييم من ضحايا لحفظ بذرة حيوانه والاحتفاظ بسلالته، مع أن ضحايانا نحن لم تكن بالقليلة، ولكن من أجل ما تحملوا هم، فنعطيهم اليوم (فى ظل الدولة اليهودية) من المكان والفسحة على وجه الأرض ما لم يتخيلوه حتى فى أحلامهم. وأما عدد ضحايانا القليل من مجموعنا فقد حفظ لنا قوميتنا وحماها من الاندثار» (البروتوكول الخامس عشر)

المخطط والتشبة بالإمبراطور صولا العاتى:

«واحفظوا فى بالكم على سبيل المثال ما وقع فى إيطاليا، فانها، وهى سابحة فى الدم، لم تستطع أن تمس ولو شعرة من رأس صولا، وهو الذى أسال تلك الدماء، تمتع صولا بصورة عارمة، فعلاً وتأله، لما ملأ عيون الناس من روعة السطوة، مع أن الشعب كان قد رأى منه الويل والعذاب، وانتثر من بين يديه مقطعاً إرباً إرباً، لكن لما عاد صولا إلى إيطاليا عودة المقحام الجرئ، أفرغت عليه عودته هذه بهاء العظمة ووشاح القدرة التى لا تغلب، فأمسى الشعب أخوف من أن يومئ إليه إيماء، وأصل ذلك عند صولا الإقدام وقوة العقل» (صولا أحد أباطرة روما العتاة) (البروتوكول الخامس عشر)

المخطط واللاسامية المستغلة لمصلحة اليهود

«... وذلك لأن اللاسامية لا نراها إلا ضرورية لنا للاستفادة منها فى رعاية إخواننا المستضعفين. ولا حاجة بى أن أتوسع فى هذه القضية أكثر من هذا الحد، لأن موضوعها قد أشبع بحثاً، وكرر ذلك فيما بيننا بما فيه الكفاية». (البروتوكول التاسع)

المخطط وتيار الرعب

«ومنا قد انطلقت تيارات الرعب الذى دارت دوائره بالناس» (البروتوكول التاسع)

المخطط وشباب الغوييم:

«وأما شباب الغوييم فقد فتناهم فى عقولهم ودوخنا رؤوسهم، وأفسدناهم، بتربيتنا إياهم على المبادئ والنظريات التى نعلم أنها فاسدة، مع اننا نحن الذين لقنوهم ما تربوا عليه».

(البروتوكول التاسع)

المخطط ونشر الجرائم عمداً:

«... ويظل هذا الانهيار فى طريقه حتى تستنزف قوى الإنسانية، وتهلكها الانقسامات، وتفشو بينها الكراهات، والمكايدات والحسد، والاستغاثات طلباً للنجاة من تعذيب الأجساد، كما تفشو المجاعات ونشر جراثيم الأمراض عمداً، فيستسلم الغوييم...» (البروتوكول العاشر)

المخطط والتدمير العالمى:

«بهذه التدابير نتمكن من القبض على السلطة التى ندمر بها شيئاً فشيئاً، وخطوة خطوة، ما نريد إزالته من دساتير العالم، تمهيداً للانتقال الكبير، ثم يعقب ذلك قلب كل حكومة وجعلها مقطورة إلى سلطتنا، تابعة طائعة». (البروتوكول العاشر)

المخطط وأن حكماء صهيون هؤلاء هم رجال الاقتصاد:

«... وأنتم أيها السادة الحضور هنا (فى بازل ١٨٩٧) وكلكم رجال اقتصاد» بوسعكم ان تتصوروا بعين العقل ما يكون لهذه القوة الاحتكارية، التى مضاؤها كمضاء السيف، من خطورة حاسمة».

(البروتوكول السادس)

وهم ممثلو الماسونية بدرجة ٣٣، وتوقيعهم فى نهاية المخطط هكذا: «ممثلو صهيون من الدرجة ٣٣» وهذا فى نهاية البروتوكول الرابع والعشرين وهو الأخير.

المخطط وأسرار الدولة اليهودية لا يطلع عليها إلا أربعة أشخاص:

«وما لدى الملك من مخطط للماضى والمستقبل، لا ينبغى أن يدرى به أحد مطلقاً، حتى ولا الذين هم بمثابة مستشارين الملك المقربين. والذين يحصر فيهم علم هذا كله دون سواهم، هم الملك نفسه وثلاثة أعوان معه لا غير». (البروتوكول الرابع والعشرون)

المخطط وتخريج الملك وإعداده للعرش:

(راجع تفصيله فى البروتوكول الرابع والعشرين).

المخطط وعمل اليهود فى سبيله منذ ٢٠ قرناً:

«... أضف إلى هذا أننا قد فتنا بعضهم ببعض (الغوييم) بالأمور الشخصية والشؤون القومية لكل منهم. وهذا ما عنينا بديمومته عليهم وتنميته مع الأيام خلال العشرين قرناً الأخيرة»

(البروتوكول الخامس)

المخطط واعترافه بالشر المرتكب عدة قرون:

«.. من المسلم أيضا أننا لن نفشل، وبيدنا ما بيدنا من كنوز المال، فى إقامة الحجة على أن الشر الذى عكفنا على ارتكابه عدة قرون، كان عوناً فى خاتمة المطاف لقضية الرفاهية

والخير، يجعل الأمور كلها تحت أجنحة النظام»

(البروتوكول الثانى والعشرون)

المخطط وكان يقرأ على المؤتمرين على نوبات عدة أيام:

وهذا هو رأى العلامة الروسى سرجى نيلوس. ولدينا أدلة على هذا من ثلاث عبارات صريحة:

فقد جاء فى أول البروتوكول العشرين: «نتناول فى نوبة اليوم البرنامج المالى الذى أرجأت بحثه إلى القسم الأخير من هذا التقرير، لأنه أعسر الأمور علاجاً وهو الغاية والنهاية».

ثم قال بعد هذا مباشرة: «وأول ما أذكركم به أنه سبق لى فى موضع متقدم أن أشرت إشارة عابرة الى أن حاصل أعمالنا كلها تقرره الأرقام».

وجاء فى أول البروتوكول الحادى والعشرين: «إتماماً للموضوع الذى شرحته فى الاجتماع الأخير، وهو القروض الأجنبية، أقدم الآن إيضاحاً وافياً حول هذه».

وجاء فى أول البروتوكول الثاني والعشرين: «فى جميع ما أوردته عليكم حتى الآن، كان هدفى أن أصور لكم ما سيأتى به الغد، وما هو جار اليوم مندفعاً إلى سيل الحوادث الجسام الطالعة علينا عما قريب».

١ـ التوراة وأسفار «العهد القديم»

أسفار العهد القديم كما هى اليوم

١ ـ الأسفار التاريخية

٢ ـ الأسفار الشعرية

٣ ـ أسفار الانبياء

الأبحاث:

الأنبياء «الكبار»

الأنبياء «الصغار»

نصوص العهد القديم

اللغة الأرامية تحل محل العبرية بعد السبى

الترجوم

التلمود

المجمع الأكبر

السنهدرين

الكنيس أو المجمع

الترجمة «السبعينية»

كتب (الأبوكريفا)

التوراة

وأسفار العهد القديم

كلمة «التوراة» معناها الحرفى «التعليم» ومدلولها الأول شريعة موسى أو أسفار موسى الخمسة، ثم اتسعت مع الزمن حتى صارت تشمل أسفاراً أخرى لأنبياء بنى إسرائيل، وأسفاراً تاريخية تتعلق بتاريخهم، وأسفاراً أدبية شعرية.

ومن أول أمر موسى، إلى السبى والعودة من السبى البابلى، واختتام أسفار التوراة، ما يقرب من ألف سنة، ثم جُمعت على يد عزرا الكاتب ـ عزير ـ بعد العودة من السبى. وفى القرن الأول المسيحى، فى زمن يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور، كانت ٢٢ سفراً كما ذكر هذا يوسيفوس نفسه. هذا هو «العهد القديم». فلما أشرقت المسيحية وجاءت أنوار الاناجيل سُمّى عهدها «بالعهد الجديد»، وبانضمامه إلى العهد القديم فى التوراة فى كتاب جامع واحد صار يقال «للتوراة»: «الكتاب المقدس».

***

أما «العهد القديم» فيتألف من ٣٩ سفراً[1].

«والعهد الجديد» من ٢٧ سفراً.

وفى كتابنا هذا نحصر الكلام فى العهد القديم، على نطاق مجمل للغاية. وإنما نقوم بهذا، لأن جذور اليهود وينابيعهم تعود إلى عهودهم السابقة، فإذا شئنا ان نفهم حقائق اليهود فى القرن العشرين، علينا أن نفهم حقائقهم منذ كانوا ومنذ كانت التوراة قبل عشرات القرون، لان «التوراة» مجالى ذلك كله، إلى اختتام نبواتهم المدونة، والتلمود» بعد «التوراة» وقد وضع نهائياً بعد انتهاء أسفار التوراة بعدة قرون. «والقبالة» من «التلمود» «وحكماء صهيون» وبروتوكولاتهم، كل ذلك يعود بجذوره إلى التلمود. فلا بدّ إذن من معرفة ما تقضى الضرورة بمعرفته من «العهد القديم».

***

(١) هذه هى اسفار التوراة «القانونية» المقررة عند البروتستانت ولا يدخل فيها الكتب التى ليست قانونية والمسماة «أبوكريفا»، وهذه سنتناولها فى موضع تالٍ فى هذه الصفحات، وهى فى التوراة الكاثوليكية.

أسفار العهد القديم

فى الكتاب المقدس عند البروتستانت

الأسفار التاريخية

١ ـ سفر التكوين
٢ ـ سفر الخروج
٣ ـ سفر اللاويين
٤ ـ سفر العدد
٥ ـ سفر تثنية الاشتراع
٦ ـ سفر يشوع
٧ ـ سفر القضاة
٨ ـ سفر راعوث
٩ ـ سفر صموئيل الأول
١٠ ـ سفر صموئيل الثانى
١١ ـ سفر الملوك الأول
١٢ ـ سفر الملوك الثانى
١٣ ـ سفر أخبار الأيام الأول
١٤ ـ سفر أخبار الأيام الثانى
١٥ ـ سفر عزرا (عزير)
١٦ ـ سفر نَحَمْيَا
١٧ ـ سفر استير

الأسفار الشعرية

١٨ ـ سفر أيوب
١٩ ـ سفر المزامير
٢٠ ـ سفر الأمثال
٢١ ـ سفر الجامعة
٢٢ ـ سفر نشيد الانشاد

أسفار الأنبياء

٢٣ ـ سفر أشعيا
٢٤ ـ سفر أرميا
٢٥ ـ سفر مراثى أرميا
٢٦ ـ سفر حزقيال
٢٧ ـ سفر دانيال
٢٨ ـ سفر هوشع
٢٩ ـ سفر يوئيل
٣٠ ـ سفر عاموس
٣١ ـ سفر عوبديا
٣٢ ـ سفر يونان (يونس)
٣٣ ـ سفر ميخا
٣٤ ـ سفر ناحوم
٣٥ ـ سفر حبقوق
٣٦ ـ سفر صَفنيا
٣٧ ـ سفر حَجّى
٣٨ ـ سفر زكريا
٣٩ ـ سفر ملاخى

أسفار العهد العتيق

(فى الكتاب المقدس عند الكاثوليك)

فهرس المجلد الأول

١ ـ سفر التكوين

٢ ـ سفر الخروج

٣ ـ سفر الأخبار(١)

٤ ـ سفر العدد

٥ ـ سفر تثنية الاشتراع

٦ ـ سفر يشوع

٧ ـ سفر القضاة

٨ ـ سفر راعوث

٩ ـ سفر الملوك الأول } (٢)

١٠ ـ سفر الملوك الثانى }

١١ ـ سفر الملوك الثالث } (٣)

١٢ ـ سفر الملوك الرابع }

١٣ ـ سفر أخبار اليوم الأول

١٤ ـ سفر أخبار اليوم الثانى

١٥ ـ سفر عزرا

١٦ ـ سفر نحميا

١٧ ـ سفر طوبيا

١٨ ـ سفر يهوديت

١٩ ـ سفر استير

---

(١) هو سفر اللاويين فى العهد القديم فى الكتاب المقدس عند البرتستانت.

(٢) هما سفر صموئيل الأول وسفر صموئيل الثانى عند البروتستانت.

(٣) هما سفر الملوك الأول وسفر الملوك الثانى عند البروتستانت.

اسفار العهد العتيق

(فى الكتاب المقدس عند الكاثوليك)

فهرس المجلد الثانى

أسفار العهد القديم كما هى اليوم

وتقسم حسب موضوعاتها إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ الأسفار التاريخية (من ١ ـ ٧).

٢ ـ الأسفار الشعرية (من ٨ ـ ٢٢).

٣ ـ أسفار الأنبياء (من ٢٣ ـ ٣٩).

أما الأسفار التاريخية فهى من سفر التكوين إلى سفر استير وهى ١٧ سفراً.

وأما الأسفار الشعرية فهى من سفر أيوب إلى سفر نشيد الانشاد وهى خمسة أسفار.

وأما اسفار الأنبياء فهى من أشعيا إلى ملاخى وهى ١٧ سفراً.

أسماء أسفار العهد القديم

الأسفار التاريخية

١ ـ سفر التكوين
٢ ـ سفر الخروج
٣ ـ سفر اللاويين
٤ ـ سفر العدد
٥ ـ سفر تثنية الاشتراع

(كتب موسى وفيها قواعد الشريعة الموسوية)

٦ ـ سفر يشوع
٧ ـ سفر القضاة

كان لبنى إسرائيل بعد تسللهم إلى فلسطين، وعلى يد يشوع بعد موسى الذى لم يدخل فلسطين، نظام عشائرى، والاسباط الاثنا عشر بمثابة قبائل، والحروب تكاد لا تتقطع بينهم وبين أهل البلاد الأصليين من الكنعانيين أبناء عمومة العرب، والفلسطينيين الطارئين من شرقى البحر المتوسط، ثم الحروب الداخلية بين الأسباط، واستمرت هذه المدة (٤١٠) سنوات تقريباً وتعرف بعصر «القضاة». وقضى بنو إسرائيل (١١١) سنة من هذه المدة وهم تحت تسلط مَن يستولى عليهم ويذلهم من الشعوب المحيطة بهم كما سيأتى بيانه. وبعد عصر «القضاة» جاء دور ملكيتهم القصيرة الأجل.

وأما القضاة فكانوا لا يخلفون بعضهم بعضاً سلسلة مطردة، بل كانوا على فترات، ويظهر الواحد منهم لينقذ قومه من مستعبديهم المتسلطين عليهم، ثم «تستريح الأرض» بلغة

التوراة مدة ما، فيغزو بنى إسرائيل متسلط آخر أو أحد المتسلطين سابقاً عاد يغزوهم كرة أخرى طويلة السنين، فيظهر فيهم من يدعو لإنقاذهم وهكذا دواليك. وأول هؤلاء المنقذين عثيل، وآخرهم شمشون، وشمشون قصته معظمها أسطورى، ومن المنقذين دبورة وهى الرابعة فى السلسلة.

٨ ـ راعوث امرأة مؤابية لا اسرائيلية وهى بطلة قصة. قالت التوراة اليسوعية فى مقدمة هذا السفر تعريفاً له: «يعود سفر راعوث إلى ما قبل العهد الملكى، ولذلك غالباً ما يأتى بعد سفر القضاة، لكنه فى التوراة العبرية، المألوفة عند اليهود، مفصول عنه تماماً، وموضوع مع عدة كتابات حديثة.. عقب نشيد الانشاد. لقد كان التقليد يعتبره مؤلفاً حديث الكتابة، وهذا صحيح. ولدينا أدلة مختلفة، منها اللغة ذاتها فى النص العبرى تشير إلى حداثة عهده الذى يعود إلى ما بعد السبى.

«إن راعوث بطلة هذه الرواية، داخلة فى سلسلة أسلاف داود المجيدة وذلك بسبب ابنها عوبيد أبى يسى. فما هو جوهر هذه القصة التاريخى؟ من المحتمل أن يكون الكاتب قد استعان فى البدء بذكريات تقليدية غير واضحة الظروف تماماً، ثم أضاف عدداً من التفاصيل ليجعل الرواية أكثر حياة ويعطيها قيمة أدبية» ا هـ.

ويؤخذ من جملة أقوال النقاد أن هذا السفر حوادثه كانت فى آخر عهد القضاة، وأما متى دون فغير معروف والمؤابيون، والعمونيون من نسل لوط ابن أخى إبراهيم، والأدوميون من نسل عيسو، وجميعهم كانوا كالعمالقة، على عداء مرّ مع بنى إسرائيل واليهود. والحجر المؤابى ـ مصطلح حديث عمره أكثر من قرن ـ هو حجر نارى عثر عليه أحد المنقبين الالمان سنة ١٨٦٨ فى خربة ذيبان ـ ديبون فى التوراة ـ كانت من مدن المؤابيين شرقى البحر الميت ـ وفى هذا الحجر (٤ أقدام طولاً و ٢ عرضاً، و ٣٥ سنتيمتراً سمكاً) نقش كتابى أحدثه الملك ميشا ملك مؤآب لتخليد انتصاره على ملك إسرائيل لما ثار ميشا عليه وأخرجه من بلاده وتاريخ هذا النقش حوالى ٨٥٠ ق م.

٩ ـ **سفر صموئيل الأول**، ١٠ ـ **سفر صموئيل الثانى** صموئيل (١١٠٠ ـ ١٠٥٠ تقريباً) هو صلة الوصل بين عصر القضاة وعهد الملكية التى بدأت بشاول واستمرت بداود وانتهت بسليمان ثم انقسمت ثم انشطرت إلى إسرائيل فى الشمال وعاصمتها السامرة، وإلى يهوذا فى الجنوب وقاعدتها أورشليم ثم انتهت كل منهما على ميقاتها إلى السبى.

١١ ـ سفر الملوك الأول.

١٢ ـ سفر الملوك الثانى.

١٣ ـ **سفر اخبار الأيام الأول.**

١٤ ـ **سفر أخبار الأيام الثانى.**

١٥ ـ **سفر عزرا** عزرا: راجع ترجمته فى هذا الجزء.

١٦ ـ **سفر نحميا** نحميا: راجع ترجمته فى هذا الجزء.

١٧ ـ **سفر استير** استير: راجع ترجمتها فى هذا الجزء.

الاسفار الشعرية

١٨ ـ **سفر أيوب** يقول ثقات النقاد أنه عربى الأصل وموطنه أنحاء شرق الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية) ويرجع أنه وموسى كانا متعاصرين أو فى وقتين متقاربين.

١٩ ـ **سفر المزامير** هو الزبور فى القرآن الكريم: كتاب داود.

٢٠ ـ **سفر الأمثال** ينسب إلى سليمان معظمه لا كله. قالت التوراة اليسوعية فى تعريفه: «إن هذه المجموعة المركبة قد اكتملت دون شك بشكلها النهائى بعد السبى».

٢١ ـ **سفر الجامعة** قالت التوراة اليسوعية فى تعريفه: «إن سفر الجامعة لهو فى الحقيقة أشد أسفار الكتاب المقدس غموضاً وأجدرها فى تضليل القارئ». ثم تبين وجوه الغموض مما لا محل لإيراده هنا.

٢٢ ـ **سفر نشيد الانشاد** قالت التوراة اليسوعية فى مقدمته أن أنبياء إسرائيل كهوشع وارميا وحزقيال قد شبهوا علاقات الشعب مع آلهته بعلاقات الزوجة بزوجها، وأن دخول هذا السفر فى الاسفار المقدسة إنما هو تجاوب مع هذه الصفات. أما فى النصرانية فالكنيسة هى عروس النشيد. والسفر يعرد إلى عصر متأخر ولا ريب.

***

أسفار الأنبياء

٢٣ ـ **سفر اشعيا** فى أيامه وقع سبى مملكة اسرائيل على يد سرجون الاشورى. قالت التوراة اليسوعية فى مقدمته: «دعى اشعيا إلى الرسالة النبوية سنة ٧٤٠». وقالت: «يعتبر اشعيا فى العموم كأعظم الأنبياء». وقال «هالى»: «اشعيا يطلق عليه النبى المسيحانى من كثرة تشبع نبواته إن من شعبه سيظهر المسيح». سفره هذا هو من جملة ما اكتشف سنة ١٩٤٧ من رقوق وادراج فى «كهف قمران» قرب البحر الميت وقالوا إن اشعيا عاش ٨٠ سنة منها ٦٠ فى النبوة. وقال قاموس الكتاب المقدس: «يعتبر اشعيا مصلحاً اجتماعياً، ففى الاصحاحات من ١ ـ ٥

نراه يلوم شعبه أشد اللوم ويوبخهم أقسى التوبيخ بسبب رشوتهم وتعويجهم القضاء وظلمهم للمسكين، ولأجل بذخهم وترفهم. ولأجل طمعهم وجشعهم وسكرهم.، ولأجل انعدام الإحساس الخلقى عندهم. أما كسياسى، فقد أدرك اشعيا تمام الإدراك وبإرشاد روح الله شؤون عصره والأحوال التى كانت سائدة فيه».

وأما الكتاب المسمى بكتاب «صعود اشعيا» فانه من الابوكريفا.

٢٤ ـ سفر ارميا هو من قرية قرب بيت المقدس وفى أيامه وقع سبى يهوذا. وقالت التوراة اليسوعية فى تعريفه: «فطوال السنين المفجعة التى تهيأ فيها، وحدث خراب مملكة يهوذا، لا يفتأ ارميا يندّد بمغامرة الملوك السياسية وفساد الشعب الدينى. ومأساة دعوته النبوية تكمن فى المعركة الدائمة التى تمزق نفسه. لقد نذر ارميا نفسه لشعبه، لكنه يرى ذاته مجبرة على محاربة الملوك والكهنة والأنبياء الكذبة والأشراف والشعب بأسره». ويعد خراب بيت المقدس اختفى عن المسرح.

٢٥ ـ سفر مراثى ارميا بكى ارميا خراب المدينة. قالت التوراة اليسوعية «تشبه مواضيع المراثى مواضيع سفر ارميا ومواضيع حزقيال بعض الشبه. لقد اسندت الترجمة اليونانية القديمة هذا الكتاب إلى ارميا، ولكن هذا الاسناد لا يستطيع أن يعرض علينا بصورة جازمة، فالمراثى فى العبرية لا تحمل اسم ارميا». لهذا دعى بالنبى البكاء.

٢٦ ـ سفر حزقيال راجع موجز ترجمتنا له فى هذا الكتاب

٢٧ ـ سفر دانيال راجع موجز ترجمتنا له فى هذا الكتاب

٢٨ ـ سفر هوشع (يوشع) كان فى آخر مدة المملكة الشمالية، وشهد قبل ذلك المملكة وهى فى القوة، وبقى حتى شهد انحدارها. وهو فى شبابه كما يقول هالى (ص ٣١٦) كان معاصراً لعاموس وفى شيخوخته لأشعيا وميخا. ولما كان فتى، فلعله لقى يونان.. قبل ظهور هوشع بنحو ٢٠٠ سنة كانت الاسباط العشرة قد انفصلت عن مملكة داود وانشأت لها مملكة مستقلة واتخذت من العجل الذهبى معبوداً قومياً رسمياً. فأرسل الله أولاً ايليا (الياس) فاليشع (اليسع) فيونان (يونس) فعاموس ثم هوشع، وبقيت رقاب الشعب غليظة بأن تمسكوا بالوثنية فلم يرتدوا عنها.

٢٩ ـ سفر يوئيل قال هالى (ص ٣٢٠): «يعدّ يوئيل من اقدم أنبياء المملكة الجنوبية». وكانت مدته آخذة من القرنين التاسع والثامن. وفى أيامه المجاعة والجراد بكثرة عظيمة. قال هالى إن أعداء يهوذا فى أيامه كانوا:

١ ـ الصيدونيين (فينيقيا المجاورة من الشمال).

٢ ـ والفلسطينيين (فى السهول الساحلية وشمال فلسطين الغربية).

٣ ـ والمصريين.

٤ ـ والأدوميين فى شرق الأردن.

٣٠ ـ **سفر عاموس** كان فى مملكة الجنوب ووجه كلامه إلى مملكة الشمال أيضاً. كان فى القرن الثامن. يقول هالى ان نبوة عاموس كانت حوالى ٧٥١، ولعله فى شبابه أدرك يونان وسمع عنه قصة رحلته (رحلة يونان) إلى نينوى. ولعله أيضاً لقى اليشع وسمع منه أخبار صحبته (صحبة اليشع) لايليا. ولما أقبلت نبوة عاموس، كانت أيام يونان واليشع قرب النهاية، وقد يكون يوئيل من معاصريه أو تقدمه بقليل. وهوشع كان يعمل معه. وهو يتنبأ بخراب إسرائيل والأمم المجاورة: سوريا والفلسطينيين وفينيقيا وادوم وعمون ومؤاب، ويهوذا وإسرائيل. ويصف لكل فريق من هؤلاء من المعاصى ثلاثاً أو أربعاً، ويشير إلى السبى، وبعد ٥٠ سنة وقع السبى. وهو من قرية جنوبى القدس. ولم يكن عاموس من الكهنة ولا محترفاً النبوة، فهو أقرب إلى أن يكون أحد أفراد العامة.

٣١ ـ **عوبديا** عدو ادوم وانصبت نبوته عليها، وادوم عدو المملكتين الشمالية والجنوبية، ويرجع أنه كان فى عصر خراب أورشليم على يد بابل.

٣٢ ـ **يونان (يونس)** وقصته المشهورة: أرسل إلى نينوى، ومن يافا ركب سفينة إلى ترشيش وثار البحر وهاج فأشرفت السفينة على الغرق، فسألوه فقال أنا عبرانى وهارب من وجه الرب، فألقوه فى البحر فالتقمه حوت، وبقى فى جوفه ثلاثة أيام وثلاث ليال، ثم قذفه الحوت إلى اليبس. ووصل إلى نينوى وأدى رسالته.

هذا فى التوراة. وأما فى القرآن الكريم، فقد ذُكر يونس (يونان) فى عدة من الآى الكريمة: فى «سورة يونس» ٩٨ وفى (سورة النساء) ١٦٢ وفى (سورة الأنعام) ٨٦ وفى (سورة الصافات ١٣٩ ـ ١٤٨) وهنا قصة أن الحوت التقمه.

٣٣ ـ **سفر ميخا** هو ميخا المورشتى. نبوته إلى المملكتين فى القرن الثامن. وهو من قرية قرب حدود الفلسطينيين وبيت جبرين الحالية فى قضاء خليل الرحمن. تنبأ بخراب المملكتين «كل ذلك من أجل معصية يعقوب وخطايا آل اسرائيل» (ميخا ١٠٥)

٣٤ ـ **سفر ناحوم** هو ناحوم الالقوشى ونبوته فى القرن السابع وهو تنبأ بخراب نينوى وهو بعد يونان (يونس) بنحو ١٥٠ سنة.

٣٥ ـ **سفر حبقوق** تنبأ بسقوط بابل ونبوته بين ٦٢٥ و ٦٠٦.

٣٦ ـ **سفر صفنيا** هو من نسل حزقيال، وكانت نبوته قبيل خراب أورشليم على يد بابل، ودعا على مدن الفلسطينيين: غزة وعسقلان واشدود وعاقر (عقرون) حتى ساحل البحر كله، وعلى مؤاب وعمون والكوشيين (الحبشة) وأشور.

٣٧ ـ **سفر حجى** هو وزكريا وملاخى عملوا فى مشروع إعادة بناء الهيكل بعد العودة من السبى من سنة ٥٢٠ ـ ٥١٦ وأخباره فى سفر نحميا وسفر عزرا.

٣٨ ـ **سفر زكريا** عمل زكريا مع حجى، وحجى فى الشيخوخة، وهو الحادى عشر من الأنبياء الصغار الاثنى عشر، وكان من الأنبياء الذين عملوا على شدّ عزائم اليهود، عند العودة من السبى ويقول النقاد أن سفره كتب فى العصر الفارسى.

٣٩ ـ **سفر ملاخى** مدته غير معلومة التاريخ، ويقول النقاد أنه عاش ١٠٠ سنة بعد حجى وزكريا، وكانت له صلة بعزرا ونحميا (٤٥٠ ـ ٤٠٠) وكان من الداعين إلى انعزال اليهود عن جميع الشعوب المجاورة ولا زواج بين اليهود وغيرهم.

الأنبياء الكبار ـ الأنبياء الصغار

والأنبياء الذين لهم أسفارهم فى «العهد القديم» هم الذين حُفظت ودُونت نبواتهم فى أوقاتهم أو فى وقت لاحق. وأما الذين لم تجمع وتدون نبواته، فكانت شفوية، فلم يكن لها سبيل إلى مجموعة أسفار «العهد القديم». فإن «ايليا»، مثلاً، (الياس)[1] لم تدون نبوته، وهو عاش فى المملكة الشمالية فى القرن التاسع ق. م. فى أيام آخاب الذى قالت فيه إنه شرّ ملوك إسرائيل، وزوجته ايزابل ابنة «ثيوبعل» بن حيرام ملك صور ومن كهان عشتروت، وايزابل هذه نشرت عبادة البعل فى المملكة، وكان حولها وبين يديها جيش يعدّ بالمئات من «الأنبياء الكذبة» أو «أنبياء البعل». وعند اليهود الأنبياء «الكبار»، وهم أربعة «والصغار» وهم ١١ نبياً، هؤلاء هم الذين دونت وحفظت نبواتهم «فالكبر» «والصغر» معناه من نبوته المدونة أطول أو أقصر.

ولم تجمع أسفار التوراة إلا بعد الرجوع من السبى.

ويقول العلماء أن اكتسابها المنزلة المقدسة، وهذا ما يعبرون عنه «بالأسفار القانونية»، حصل تدرجاً، فكانت كتب موسى الخمسة، هى الأولى، ثم صار يضاف إليها كتب الأنبياء والشعر.

وأسفار الأنبياء تختلف قصراً وطولاً، فسفر اشعيا هو أكبرها يشتمل على ٦٦ اصحاحاً، أو فصلاً[2]، وليس فى التوراة سفر أكبر منه إلا المزامير (الزبور)، بينما أسفار الأنبياء الاثنى عشر الصغار، من هوشع إلى ملاخى، عدد فصولها أو اصحاحاتها جميعاً ٦٧ فصلاً، وعوبديا، أحد هؤلاء الاثنى عشر، سفره كناية عن فصل واحد يشغل صفحة وبعض الصفحة. وعوبديا هذا، تنبؤه انطوى على دعاء حار ملح على ادوم بالخراب، وادوم كان عدو اسرائيل، كالعرب كما تقدم، وهذا الدعاء كان أثر تخريب أورشليم، وأورشليم خربت مراراً، والمرجح أن الخراب الذى شهده عوبديا هو خراب نبوخذ ناصر اواخر القرن السادس، وفى تنبؤ عوبديا شئ يسترعى الانتباه من القارئ العربى، فيقول القس سيكل سيل صاحب «المرشد إلى الكتاب

(١) قال الزمخشرى فى «الكشاف» فى تفسير قوله تعالى «واسماعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين». وهى آية ٨٥ من سورة «الأنبياء»: ـ «قيل فى ذى الكفل هو الياس، وقيل زكريا، وقيل يوشع بن نون وكأنه سمى بذلك لأنه ذو الحظ من الله، والمجدود على الحقيقة. وقيل كان له ضعف عمل الأنبياء فى زمانه، وضعف ثوابهم. وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين: اسرائيل ويعقوب، الياس وذو الكفل، عيسى والمسيح، يونس وذو النون، محمد وأحمد».

(٢) الترجمة البروتستانتية استعملت لفظة «اصحاح»، والترجمة اليسوعية استعملت لفظة «فصل».

المقدس» بالعربية (بيروت ١٩٥٨) فى باب موقف المسيحية من (العهد القديم) ص ١١ ما يلى: ـ

«فإذا قلتم أليست التوراة كتاباً خاصاً باسرائيل؟ فما لنا ولاسرائيل وكتبها؟ فالجواب: نعم إن الله كلم شعب إسرائيل على يد فئة صالحة من أبناء هذا الشعب. وكان كل ما تكلم به هؤلاء الأنبياء من وحى الله وليس منهم. ثم إن الله لم يجعل وحيه وقفاً على أمة إسرائيل فقط. فقد كلم الله مثلاً أيوب فى سفر من أسفار العهد القديم، وأيوب، على ما يعتقد، عربى وليس من بنى إسرائيل. وفى مكان آخر من التوراة أن ملاك الرب يكلم هاجر عن إسماعيل، الذى صار فيما بعد أباً لقبائل عدنان ومعد ونزار وربيعة وهى قبائل عربية صميمة. وهناك يونان (يونس) فقد تنبأ عن مصير نينوى التى كانت عاصمة الأشوريين. وكذلك النبى عوبديا، فقد تنبأ عن ادوم وعما يعتقد أن تكون نبوءته تشير إلى فتح العرب لبلادهم ا هـ. أى بلاد الأدوميين.

وهنا نقطتان، الأولى: أن تنبؤ عوبديا، وهو اسرائيلى، بخراب ادوم عدو اسرائيل، رأينا معناه فى كيف جَرَتْ المقادير بعد ذلك: بعد تخريب نبوخذ ناصر لبيت المقدس والهيكل، وبعد وقوع السبى، اورث الله الادوميين ديار يهوذا الجنوبية، من الخليل إلى بئر السبع، فشرقاً إلى وادى عَربَة حيث يتصل هذا بتخوم ادوم، وبقى الادوميون هم الوارثين نحو أربعة قرون، ومن الادوميين هيرودس الكبير الذى اجملنا الاشارة إليه فى هذا الكتاب فخرج من الادوميين ملوك حكموا إسرائيل أو اليهود نحو مئة سنة. نعم إن المكابيين لما اعصوصبوا مؤقتاً فى القرن الثانى والأول ق. م وهم بين أعداء يحيطون بهم، تغلبوا على أدوم وأذلوهم وحملوهم على الختان، لكن المكابيين لم يلبثوا إلا قليلاً حتى دثروا وانهاروا، ولحقوا بالغابرين من بنى قومهم لما جاءهم الرومان بسياط العذاب، فتشتتوا ثم لم تقم لهم بعد ذلك قائمة. وكل ما نضعه فى هذا الكتاب المراد به الأدلة المشتقة من النواميس الكونية على أن «إسرائيل»، مهما تصنعت من مظاهر الوجود، وتريد كيان دويلة فى الخضم العربى الزاخر بالقوى المستيقظة من روحية ومادية. فنهايتها النهاية التى يصفها تاريخ اليهود.

والنقطة الثانية، قول صاحب «المرشد إلى الكتاب المقدس» من أن عوبديا قد تنبأ عن ادوم وعما يعتقد بأن تكون نبوءته تشير إلى فتح العرب لبلادهم. فالأنباط العرب كانوا الأولين فى تحقيق نبوءة عوبديا، إذا كانت نبوءته نبوة، فهم بدأوا فى احراز ميراث الادوميين منذ القرن الخامس ق. م. وظلوا يقوون حتى بلغوا الذروة فى القرن الثانى قبل الميلاد إلى الثانى بعد الميلاد وكان «الحارث» اسم أغلب ملوكهم حتى صار ذلك بمثابة لقب لهم كالأذواء فى اليمن وفى القرن السابع كانت موجة الفتح العربى الإسلامى فتحاً خالداً.

***

وأما العبارة التى فى سفر عوبديا، والتى تتضمن النبوءة بفتح العرب لادوم، فليست واردة الا بالرمز والتأويل، لا بالصراحة، ولعلها هى هذه: «ويرث الجنوب جبل عيسو» وجبل عيسو هو بلاد ادوم. وهنا لم يكن من تأويل معقول إلا أن تكون إشارة عوبديا تعنى الأمة التى وراء ادوم وهى الأمة العربية ومنها الأنباط (عوبديا ١ : ١٩).

***

ومنذ زمن السبى فما بعد، إلى قبيل العهد المسيحى، وُضِعت كتب دينية عديدة، غير أنها لم تكن لتنتهى إلى مجموعة أسفار العهد القديم، وإنما اتخذت طريقها فيما بعد إلى التلمود حتى تكوّن من كل ذلك الشئ العجيب الغريب، وقالوا إن هذا هو شريعة موسى الشفوية لقنها أخاه هارون، وهارون لقنها الكهنة. قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس، وقد عاش فى القرن الأول المسيحى (٣٧ ـ ٩٥م): «إن ما عندنا من الأسفار لا يزيد على ٢٢ سفراً، تشتمل على أخبار الزمان كله وعلى الكتب المعتقد أنها سماوية. ومن هذه الكتب خمسة هى أسفار موسى تتطوى على شرائعه والروايات المأثورة التى تحدثنا عن بداية الجنس البشرى والتيه، حتى وقت وفاة موسى. ومن وقته إلى زمن ارتحششتا (ملك فارس ٤٦٥ ـ ٤٣٤ ق. م) قام الأنبياء الذين جاءوا بعد موسى بكتابة تاريخ الحوادث التى وقعت فى أزمنتهم، وجاء ذلك فى ١٣ سفراً، فهذا مجموعه ١٨ كتاباً، أما الكتب الأربعة الباقية فهى كتب الترانيم والتسابيح وقواعد السلوك للإنسان فى الحياة. ومن زمن ارتحششتا إلى وقتنا هذا دونت الحوادث كلها، غير أن هذه المدونات الحديثة بقيت منزلتها منخفضة عن منزلة المدونات السابقة بمراحل، وذلك لانقطاع السند بين نبى سابق ونبى لاحق، فحدثت الفجوة وكان الفراغ. وواضح ما نحن عليه من تقديس شامل للتوراة. فلم يستطع أحد بعد ذلك على الإطلاق أن يضيف إليها حرفاً واحداً فى سفر من اسفارها، أو أن يحذف منها حرفاً أو يبدل منها حرفاً، رغم تطاول الزمن بين انقطاع سند الأنبياء وزمننا هذا. حتى بات من المعتقد الغريزى عندنا أن اليهودى عندنا يولد ويولد معه الاعتقاد أن التوراة من الله، وعليه أن يرعى ويطيع أحكامها، بل لا يتردد فى أن يبذل مهجته فى سبيل الدفاع عنها إذا دعته الحال[1] (هالى ص ٣٥٧).

***

(١) ذكر «هالى» صفوة ترجمة يوسيفوس فقال: «ولد فى بيت المقدس سنة ٣٧ ب. م فى بيت من الطبقة الارستقراطية. واستوعب حتى ارتوى من الثقافتين اليهودية واليونانية. وكان حاكم «الجليل» وقائداً عسكرياً فى حروب اليهود مع رومية، وشهد تخريب بيت المقدس سنة ٧٠ ب. م على يد الرومان. فأخذ إلى رومية، وهناك انقطع إلى الدراسة وألف أربعة كتب: «الحروب اليهودية» و «آثار يهود» و «الرد على ابيون» والكتاب الرابع ترجمة حياته، ومن كتابه الثالث «الرد على ابيون» نقل هذا المقتبس، والترجمة هى لنا، وهذا المقتبس مشهور، ذكره كثير من أهل التاريخ.

نصوص العهد القديم

أجمل هالى صاحب التوراة المختصرة الكلام فى هذا الباب فقال:

«يعتقد أن أسفار العهد القديم كُتبت بالأصل على رقاع من الأديم أو الجلد، وكُتبت كلها بالعبرية، ما عدا شيئاً قليلاً من سفرى عزرا ودانيال، فهذا القليل كتب بالآرامية، والكتابة خط يد.

«والحروف العبرية هى المعروفة بالمربعة، وتكتب من اليمين إلى اليسار، مع استعمال نقط أو علامات شكل لتيسير حروف العلة (إذ طريقة هذه الحروف نهائياً لم تكن لتستقر على أوضاعها الباتّة قبل القرن السادس للميلاد) ومع أن الكتابة كان يفرغ فيها الجهد ابتغاء إتقانها وتجويدها فقد بقيت صورتها تحتمل أن تقرأ قراءات على عدة وجوه، والظاهر فى بعض الحالات كانت تحشيات النساخ وتعليقاتهم وشروحهم، تلحم بالنص الأصلى وتدمج به على يد ناسخ بعد ناسخ. غير أن هذا الأمر، وقد قتله البحاثة المحدثون تمحيصاً، قد غالوا فى تصويره، ولما اخترعت الطباعة، انتفى خطر وقوع هذه الأخطاء. وبعد عمل طويل شاق قام به العلماء لمدة طويلة فى مقابلات العديد من النصوص المخطوطة بعضها على بعض، استقر النص العبرى على ما هو الأصح على ما بلغه الجهد، وهذا المعروف بالماسورة (هالى ص ٣٦١) قلنا: وقد تم هذا قبل القرن العاشر المسيحى. ويرى القارئ بحثاً وافياً حول هذا الأمر عند الكلام على «التلمود».

***

اللغة الآرامية تحل محل العبرية

«كانت الآرامية هى اللغة الشائعة فى فلسطين فى عصر المسيح، وهى فى سوريا أقدم منها فى فلسطين، والشبه شديد بينها وبين العبرية. وبعد الرجوع من السبى البابلى، أخذت الآرامية تحل محل العبرية شيئاً فشيئاً حتى صارت لغة التخاطب بين الناس» (هالى - المصدر السابق). قلنا، وبعد المسيح بسبعة قرون أو أقل، حلت العربية المضرية الخالدة محل الآرامية.

***

الترجوم

«الترجوم هو ترجمة العهد القديم من العبرى إلى الآرامى، ولما شاعت الآرامية وصارت هى اللسان الحى الجارى، بات من الضرورة وقت الصلاة وعند قراءة التوراة أن تفسر معانى الكلمات العبرية من الكلام القديم، وكان هذا التفسير يقع شفوياً فى الكنيس والناس يسمعون، وبعدئذ جمع هذا كله وأفرغ فى صيغة كتابية فقيل له الترجوم.» «المصدر السابق»

***

التلمود

«هو مجموعة تقاليد يهودية سماعية تتعلق بالعهد القديم، وقد جمع هذا كله فى صيغة كتابية فى القرن الثانى الميلادى، ثم أضيفت إليه شروح وزيادات. «المصدر السابق».

قلنا: يحسن بالقارئ أن يرجع إلى الفصل الذى جمعناه فى هذا الكتاب حول التلمود. فكلام «هالى» هذا يصف التلمود من ناحية جدّ عامة مقتضبة لا تكشف شيئاً من الغطاء عنه، والكشف عن التلمود الغاية الكبرى من وضعنا هذا الكتاب

***

المجمع الأكبر

«وهو مؤلف من ١٢٠ عضواً، ويقال إن واضع أسسه نحمياً حوالى سنة ٤١٠ ق. م تحت رعاية عزرا، والقصد منه إعادة تنظيم أمور العبادة والحياة الدينية بعد السبى، مما كان عاملاً قوياً، كما تفيد التقاليد اليهودية، فى جمع أسفار العهد القديم وترتيبها لتعود إلى منزلتها السابقة. واستمر المجمع الأكبر فى عمله هذا وهو يهيمن على شؤون اليهود الذين عادوا من السبى، حتى سنة ٢٧٥ ق. م فتوقف وجاء بعده مجلس السنهدرين» «هالى ص ٣٦٢».

***

السنهدرين

«هو الهيأة العليا المسيطرة على الشعب، ولا من ينازع هذه الهيأة، والسندهرين كان فى عصر السيد المسيح وهو الهيأة اليهودية التى حاكمته وسلمته إلى بيلاص النبطى طالبة صلبه. ويظن أن أول ظهوره كان فى القرن الثالث ق. م وكان مؤلفاً من ٧٠ عضواً معظمهم من الكهنة وأعيان الصدوقيين ومن بعض الفريسيين والكتبة وشيوخ يمثلون جهة الأسباط، وكان الكاهن الأكبر يرأس السنهدرين، ثم اضمحل بخراب القدس سنة ٧٠ ق. م على يد تيطس الرومانى» «المصدر السابق».

قلنا: موضوع السنهدرين فى كتابنا هذا خطير للغاية، وليست هذه الخطورة هى من جهة المعلومات التاريخية عنه فيما مضى، بقدر ما هى من جهة ما لكلمة «سنهدرين» اليوم، عند الكتّاب المعنيين بدراسة نشاط اليهودية العالمية واجهزتها الخفية، من مدلول على هذه الاجهزة الخفية والمنظمات المحجوبة، فكلمة «سنهدرين» اليوم يتجه معناها إلى الهيئة الخفية. ولذلك يحسن بالقارئ إذا أحبّ، أن يعود إلى ما كتبناه حول هذا الموضوع فى موضع آخر من هذا الكتاب. السنهدرين اليوم «كالقبالة».

***

الكنيس أو المجمع

اصطلح مترجمو التوراة على ترجمة معبد اليهود واسمه الكنيس أو الكنيست بلفظة المجمع. والكلمة الانكليزية هى Synagogue وأصلها يونانى. والبرلمان الإسرائيلى أو مجلس النواب عند يهود إسرائيل يطلقون عليه «الكنيست» قال هالى فى صدد المجمع أو الكنيست وأصل منشأه:

«نبتت نبتة الكنيس فى أيام السبى فى بابل. إذ بعد أن أمسى الهيكل خراباً، والشعب مشتتاً، مست الحاجة إلى أمكنة للعبادة، وتلقى ارشادات الكهنة. فى كل بقعة حلّ فيها اليهود. وبعد العودة من السبى، ظلت المجامع تسير سيرها فى الرقعة اليهودية فى فلسطين وفى أى مركز آخر احتشد فيه اليهود فى الخارج حيث كانت منهم جماعات بقيت هناك فلم تشأ أن تعود إلى فلسطين. وفى كل مدينة من المدن الكبرى كان لليهود مجمع أو مجمعان أو أكثر، وأما فى القدس، فمع أن فيها الهيكل، فقد أقيمت فيها عدة مجامع وكان يشرف على كل مجمع هيئة من الربيين أو الحكماء. وكان فى حيازة كل واحد من هؤلاء نسخ من كتب التوراة، وكانت تقرأ فى الصلوات قراءات منتظمة على مسمع من جمهور المصلين».

***

الترجمة السبعينية

«الترجمة السبعينية» ـ هكذا درج تلفظها فى العربية على اختلاف محلها من الكلام ـ هى نقل «العهد القديم» من العبرية إلى اليونانية، وقد تمت هذه الترجمة فى الاسكندرية حيث كان هناك عدد كبير من اليهود يتكلمون اليونانية. ومن التقاليد أن هذه الترجمة إنما وقعت تلبية لرغبة بطليموس فيلادلفوس[1] (٢٨٥ ـ ٢٤٧) فأرسل سبعين عالماً لغوياً يهودياً من أورشليم إلى مصر من أجل هذه الغاية. فتُرجم من العهد القديم كتب موسى الخمسة، أولاً، ثم صارت تضاف بقية الأسفار إلى الترجمة. وإنما سميت «بالسبعينية» لأن الذين أتموها هم سبعون رجلاً عالماً. وهناك روايات تقليدية عديدة غير صحيحة، تتعلق بهذه الترجمة. غير أنه من الثابت أن الترجمة قد بدئ بها فى عصر بطليموس فيلادلفوس، وتمت الترجمة فى خلال المئة السنة التالية للسنة الأولى من العمل. وكانت اليونانية اللغة العالمية فى ذلك العصر. وهذه الترجمة هى التى كانت شائعة زمن المسيح، والعهد الجديد كتب باليونانية، والشواهد التى فيه مأخوذة من السبعينية» «المصدر السابق».

***

(١) قالت «موسوعة تاريخ العالم»: «معناه (المحب اخته) لأخذه بعادة الفراعنة إذ تزوج أخته «ارسينوى الثانية» وهو مؤسس متحف الاسكندرية وقام باستكشاف مجرى النيل الأعلى، وانتهى نفوذه إلى سواحل البحر الأحمر والأنحاء الشمالية من جزيرة العرب ترويجاً للتجارة.

الكتب «الابوكريفا»(١)

أجمل هالى قصة الابوكريفا فى ص ٣٥٧ من كتابه فقال:

«هذا الاسم يطلق عادة على أربعة عشر كتاباً ـ وهذه الكتب توجد فى بعض نسخ التوراة فى العهد القديم والعهد الجديد. وأول ما ظهرت هذه الكتب فى القرون الثلاثة الأخيرة قبل المسيح، وعلى الغالب يشك فى أسماء مؤلفيها، وقد أضيفت إلى «الترجمة السبعينية». والترجمة السبعينية تم بها نقل العهد القديم من العبرى إلى اليونانى، والكتب التى عُدت من الابوكريفا إنما وضعت بعد انطواء عصر نبوات العهد القديم والوحى السماوى.

«ويوسيفوس المؤرخ الإسرائيلى رفض هذه الكتب جملةً وتفصيلاً، ولم يكن اليهود ليعترفوا بها من جهة أنها تؤلف جانباً من التوراة، والمسيح لم يذكر منها شاهداً واحداً، وكتب العهد الجديد لم تعرج عليها بقليل أو كثير، والكنيسة الأولى لم تلتفت إلى هذه الكتب، إذ لا سند قانونى لها ولم تعتبرها من كتب الوحى.

«ولما ترجمت التوراة إلى اللاتينية فى القرن الأول بعد المسيح، فقد ترجم العهد القديم لا من العهد القديم العبرانى، بل من الترجمة السبعينية اليونانية للعهد القديم. فنقلت هذه الكتب الابوكريفا من الترجمة السبعينية إلى النسخة اللاتينية (النسخة الشعبية)(٢) التى أمست شائعة، فى أوربا الغربية حتى حركة الإصلاح البروتستانتى، وحركة الإصلاح قامت على الاعتصام بكلمة الوحى السماوى دون غيره، فنبذت الابوكريفا اذ ليست هى جزءاً من كلمة الوحى، وعلى هذا كانت الكنيسة الأولى وقدماء العبرانيين.

«ثم كان مجمع «ترانت» سنة ١٥٤٦ ميلادية، وغايته مناهضة البروتستانتية، فاعلنت الكنيسة الرومانية الكاثوليكية قانونية الابوكريفا، ومنذ ذلك الحين وكتب الابوكريفا توجد فى التوراة اللاتينية». ا هـ.

***

---

(١) هى كتب دينية مشكوك فى صحتها، لا توجد فى التوراة البروتستانتية وإنما توجد فى التوراة اللاتينية، وهنا يبين «هالى» صفتها بما فيه الكفاية. وكلمة ابوكريفا يونانية الأصل معناها المخفى، المستور.

(٢) Vulgate بالانكليزية. وقام بترجمتها القديس جيروم (٣٨٣ ـ ٤٠٥).

وانتقل معنى «ابوكريفا» إلى الأدب والعلم من حيث الاستعمال، فلذلك تستعمل الكلمة فى وصف الكتب المنحولة أو غير الصحيحة، وهى باقية على لفظها هذا.

وهذه هى كتب الابوكريفا

١ و ٢ ـ سفر ازدراس[١] الأول والثانى

٣ ـ سفر طوبيت

٤ ـ سفر يهوديت

٥ ـ سفر استير[٢]

٦ ـ سفر حكمة سليمان

٧ ـ سفر حكمة يشوع بن سيراخ

٨ ـ سفر باروخ

٩ ـ سفر نشيد الفتيان الثلاثة المكرمين

١٠ ـ سفر تاريخ سوسنة

١١ ـ سفر بعل والتنين

١٢ ـ سفر صلاة منسى

١٣ و ١٤ سفر المكابيين الأول والثانى

وهذه الكتب أو الأسفار «الابوكريفا» تجدها فى «الكتاب المقدس» ـ الترجمة اليسوعية ـ.

***

(١) «ازدراس» هى «عزرا» باللغة اليونانية.

(٢) هى السبعة فصول المضافة إلى السفر.

العمالقة

أو العرب الاولون أول من قاتل بنى إسرائيل زمن موسى ـ هامان الاجاجى العماليقى حاول تصفية اليهود قبل خمسة وعشرين قرناً ـ استير ومردخاى

● ●

«هؤلاء أبناء العمالقة! هؤلاء أبناء العمالقة!»

من قول بن غوريون فى البرلمان الاسرائيلى سنة ١٩٥٦ لما صار الفدائيون العرب يباغتون اليهود فى المنطقة المحتلة، ويروعونهم فى الليالى المدلهمة، حتى صارت المدن اليهودية والمستعمرات تطفئ الانوار ليلاً وصار اليهود يلجأون إلى منازلهم عند الغروب ليقوا أنفسهم من الفتكات المذهلة المباغتة فتكلم بن غوريون فى البرلمان (الكنيس) وصاح هذه الصيحة مرتين.

●

ينبغى للقارئ العربى، أينما كان يسكن ويقيم فى العالم العربى، أن يجعل يقظته الذهنية الفكرية فى استيعاب صفوة الحقائق التاريخية التى لابد من الإحاطة بها اليوم، يقظةً أشمل وأوسع ما يمكن، إذ فى ذلك زيادة اطلاع على أسرار خفايا اليهود المنسابة فى صدورهم، وتتغذى بأرواحهم، طول مجرى تاريخهم. وأخصّ ما نعنى بالحقائق التاريخية ما يتعلق بالعرب واليهود منذ خروج بنى إسرائيل من مصر. ومن هذه الحقائق ما يتعلق بالعمالقة، وهم من العرب الأولين، وهامان الذى كان فى البلاط الفارسى فى القرن السادس ق. م. وجرت القصة الكبرى بينه وبين استير، هو من العمالقة، بل امير عماليقى، قد يكون منحدراً من بيوتات الملك.

أول عراك بين بنى إسرائيل والشعوب العربية، وأبناء عمومة العرب، فى فلسطين غربى الأردن، وفى الأنحاء المختلفة شرقى الأردن، وهو العراك الأشد قوة، والأطول أمداً، والذى أوصى موسى بالمضى فيه إلى الأبد هو العراك الذى كان بين بنى إسرائيل والعمالقة.

***

ونوجز الكلام فى هذا المساق التالى:

١ ـ العمالقة هم أول شعب عربى قديم ذو عصبية قوية الشكيمة، شرقى سيناء وجنوب فلسطين، وقف بالسيف فى وجه بنى إسرائيل، لما خرج هؤلاء من مصر، فخرجوا بقيادة

موسى، للاستيلاء على الأرض، أو سعياً وراء أول ما تجوز تسميته «بالوطن القومي الإسرائيلي». وموسى ويشوع شهدا هذا الحرب في سيناء، وسجل تراث بني إسرائيل يوم كان يطلق عليهم «بنو إسرائيل»، ثم تراث اليهود، منذ صار يطلق عليه «اليهود»، أن أشد عداوة رآها بنو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، هي التي ذاقوا مرارتها على يد العمالقة. واستمرت هذه العداوة لا أقل من تسعة قرون، حتى بعد رجوع بني إسرائيل من السبي في القرن السادس والخامس قبل المسيح.

٢ ـ جميع الشعوب العربية، وبنت عمومة العرب: وهم المديانيون، وبنو قيدار، والإسماعيلية، هذا في الجنوب والشرق من فلسطين، والعمونيون والمؤابيون والأدوميون، هذا في الشرق من الأردن، والكنعانيون في أواسط البلاد فشمالاً، المقيمون في المدن وعاصمتهم «حاصور» قرب الحولة، والفلسطينيون[1] الذين جاؤوا من كريت وشرقي البحر المتوسط في عصور «اوغاريت» (المكتشفة حضارتها الكنعانية وآثارها ولغتها ومقدار وافر من ثقافتها، في النصف الأول من هذا القرن، وبهرت هذه المكتشفات عيون العالم) ونزلوا سواحل فلسطين بين الكرمل وغزة، وكانوا هم والعرب والكنعانيون أعدى أعداء بني إسرائيل؛ واليبوسيون الذين كانت عاصمتهم بيت المقدس حتى استيلاء داود عليها منتقلاً من حبرون (الخليل)، هؤلاء جميعاً، إلى نحو ٢٠ شعباً غيرهم لا نعلم حقيقة أصولهم ولم تصل إلينا أخبارهم المقتضبة إلا من التوراة وكانوا في البلاد وكان بعضهم معاصراً للأقوام والشعوب ممن ذكرنا، وبعضهم الآخر كان قديم الإقامة في البلاد قبل ظهور بني إسرائيل ـ هؤلاء جميعاً بفعل السنن الطبيعية من حيث القوة والضعف، اندمجوا بمجاوريهم أو استصفاهم العرق العربي، أو انتقلوا ونزحوا إلى أماكن أخرى وانضافوا إلى الأقوام التي جاوروها.

٣ ـ نضيف إلى ما تقدم، الحقيقة الكبرى الباهرة، وهي القبائل العربية التي نقلها الملك سرجون الأشوري من أعالي الحجاز إلى السامرة لما سبى مملكة إسرائيل في الربع الأول من القرن الثامن ق. م. فجميع هذه الشعوب لم تترك لنا قصة تصور الروح اليهودية، كما تركت قصة العمالقة، التي امتدت قروناً ثم ما تفرع منها من قصة هامان الأمير العربي العماليقي في بلاط الملك الفارسي في القرن السادس ق. م. فقصة هامان حرية بالدرس والاستيعاب لما تفتح أمامنا من نوافذ على نفسية اليهود التي ظلت نامية مستمرة حتى اليوم، وفي العصر الحديث، أو منذ الثورة الفرنسية، اتخذت شكل «حكماء صهيون». كما أن هامان العربي

(١) يرى الكاتب نفيل بارير البريطاني المعاصر في كتابه Nisi Dominus (١٩٤٦) أن بقايا الفلسطينيين لعلهم اندمجوا بالعرق العربي والتحموا به.

العماليقى[1]، ترك لنا أثراً خالداً، بطولياً رائعاً، فى مخططه الذى ذكرته التوراة، يقصد به كما تقول التوراة «إبادة اليهود» بعد السبى الثانى. والقصة مثيرة نأتى عليها فى هذا المساق.

٤ ـ الروح اليهودية التى مثلها مردخاى، واستير قبل المسيح بخمسة قرون تقريباً، هى الروح التى تتجلى فى «البروتوكولات» اليوم فى القرن العشرين بعد المسيح. أما أحشويروش ملك فارس، ودولته قضت على دولة نبوخذ ناصر البابلية السامية العرق وسابية مملكة يهوذا اليهودية المؤلفة من سبطين ونصف السبط، فإنه يمثل بمملكته المترامية الأطراف وفيها نحو من ١٢٧ ولاية أو مرزبانية من الهند إلى الحبشة، مثل الامبراطورية البريطانية فى القرن العشرين ـ دولة الفرس بعد ذهاب دولة بابل هى التى أعادت أهل السبى إلى بيت المقدس بعد أن قضوا فى السبى من ٥٠ إلى ٨٠ سنة. وقد تكون نهاية الامبراطورية البريطانية هى نهاية مملكة فارس.

***

هامان بن همداثا الأجاجى

٥ ـ هو على الراجح من نسل ملوك العمالقة. لقبته التوراة بالأجاجى، وأجاج إما أن يكون اسماً شخصياً، علمياً، وإما أن يكون وصفاً أو لقباً على العادة القديمة فى بيوتات الملك. فملوك اليمن كان يقال لهم الأقيال والأذواء وملوك فارس الأكاسرة، والرومان أو الروم القياصرة، ومثل هذا يقال فى بابين ملك الكنعانيين وعاصمتهم حاصور فى شمال فلسطين، (والتنقيب الأثرى اكتشف من آثارها شيئاً ما فى الزمن الحديث، أقل مما اكتشف فى اوغاريث طبعاً)، والنجاشى فى الحبشة والأخشيد فى آسيا الوسطى؛ وآخر ما شاع فى القرن الماضى الخديوى فى مصر، وسواء أكانت لفظة أجاج اسماً علمياً أم لقباً، فهامان يمت إلى هذا العرق العماليقى بنسب[2]. وورد فى سفر استير عدة أسماء رجال فى بلاط الملك الفارسى كالوزرا

---

(١) ذكر الدكتور جواد على صاحب «تاريخ العرب قبل الاسلام» (ص ١٧٦ ج١) نقلاً عن (حتى) ص «تاريخ العرب» أن أقدم من ذكر العرب من مؤرخى اليونان هو اخيلس أو اسكليوس (٥٢٥ ـ ٤٥٦ ق. م) فقد ذكر هذا المؤرخ وأشار إلى ضابط عربى اشتهر فى جيش احشويروش ملك فارس.

(٢) مع أن التوراة تصرح بأن هامان الاجاجى عماليقى، فقد ذكر فى الاضافات الملحقة بسفر استير فى الترجمة اليسوعية أن هامان «مكدونى» وليس لهذه الاضافة برهان معقول. وهذا من جنس (الابوكريفا) «والابوكريفا» رفضتها التوراة البروتستانتية جملة وتفصيلاً. وقول «الابوكريفى» أن هامان مكدونى، تنقضه البراهين التالية:

١ ـ تنعت التوراة هامان بالاجاجى، وليس بعد هذا مجال لقول آخر.

٢ ـ جو الحوادث التى تتعلق باستير ومردخاى من جهة، وهامان من جهة أخرى، متشبع بروح العداء العماليقى الاسرائيلى كما قلنا فى أوائل هذا الكلام. =

والخصيان، ومنها ما هو أسماء نساء فزوجة احشويروش اسمها وشتى، وزوجة هامان اسمها زَرَشْ، وأسماء أولاده العشرة عماليقية فارسية.

٦ ـ الواقعة حصلت فى القرن الخامس والرابع ق. م.، فى أثناء مدة السبى. فالعمالقة كانوا لايزالون على كيان ما فى سيناء، مع اجتهاد فريق من الكتاب التوراتيين فى الزمن الحديث، ولاسيما فى القرن الماضى، أن يخفضوا من شأنهم ويسدلوا عليهم ستار النسيان والعفاء، ذهاباً مع روح التوراة اليهودية، ولو كان ذلك متناقضاً لروح العلم فى هذا العصر. وفى زمن هامان العماليقى فى بلاد فارس، كانت دول سبأ وحمير فى اليمن قائمة، وكان قد مضى على عصر بلقيس نحو قرون. وبعد قليل جاء عصر الاسكندر فى الشرق الأدنى والأوسط. والمعقول أن هامان العماليقى قد استطاع أن يصل إلى ما كان يتحلى به من مزايا فريدة أهلته لذلك. فينبغى أن يكون ذا كفايات مليئة. أضف إلى هذا تحدره من بيت كان له ملك وسلطان، وذكر شائع فى البطولات ولاسيما فى مقارعة بنى إسرائيل.

٧ ـ ولابد من القول أن الروح المنبثة فى ثنايا سفر استير، هى روح تشير بوضوح إلى العداء المستحكم، على ممر التاريخ، بين بنى إسرائيل، (وأصبح يطلق عليهم فى القرن السادس والخامس وما بعد، اسم «اليهود» فحل محل «بنى إسرائيل») وبين العمالقة عن طريق هامان. ولا ريب أن مردخاى، لما هيأ استير لتكون فاتنة القصر بالجمال والمكيدة خدمة لقومها اليهود، كانت تستعر فى قلبه نار العداء لعماليق وكل من بقى منه. فلما جاءت استير إلى القصر وهامان هو الرجل الأول فى القصر بعد احشويروش الملك، وَضَع مردخاى فى مخططه أن يضرب هامان، العدو العماليقى التاريخى المزمن. ذلك بعبارة أخرى: لما مثلت هذه الرواية فى البلاط الفارسى، فى قصر احشويروش فى العاصمة شوشن(١) فى أثناء السبى، كان اليهود على يد نحميا وعزرا ودانيال، وقد فقدوا الهيكل والقدس، يتجدَّدون روحياً يهودياً، ويدورون على محورهم الموروث فى الخلق والجبلة، مما نشأ عنه أخيراً بحكم الامتداد والانسياب

= ٣ ـ بقايا عماليق عاشت إلى القرون الاسلامية الأولى، وقد اشتمل التاريخ العربى الاسلامى وكتب الأدب العربى، على كثير من طلى أخبارهم، ولاسيما مع عرب تدمر والزباء ملكة تدمر.

٤ ـ القول الابوكريفى هذا لا يقوم له أى وزن تاريخى أو علمى اذ هو يناقض الصراحة الواردة فى التوراة.

(١) شوشن أو شوشان، فى اقليم خوزستان، وفى التاريخ العربى «الأهواز» وفى الزمن الحديث فى العصر التركى العثمانى «عربستان». وسكان هذا الاقليم قبائل عربية محض معظمها من «كَعْب» ولما وقعت آخر تسوية لمسائل الحدود بين إيران والدولة العثمانية بقيت الأهواز لجهة ايران، وكان عليها أمير عربى هو «الأمير خزعل» حتى ازالته ايران بعد الحرب العالمية الأولى، واقليم الأهواز شرقى البصرة يشبه اليوم بعروبته قضية اسكندرونة فى شمال سوريا.

التلمود والقبالة»، ثم «حكماء صهيون» وكل هذا واحد فى الجوهر والمعنى.

٨ ـ لكن العنصر المهم فى القضية كلها، أن اليهود حفظوا وصية موسى بحمل العداوة لعماليق إلى الأبد. وهذا ما نعنيه بقولنا أن مردخاى لما جمعه الزمن مع هامان العماليقى، هب بواسطة استير لتهديمه. ومع أن عماليق كان قد ضعف شأنه السياسى والحربى فى شرق سيناء، فى القرن الخامس، وذهب الملك عنهم إلا ما انكمش إلى إمارات محدودة، ومع تقلص مملكة يهوذا فى القرن السادس والخامس حتى باتت لا تزيد على القدس وما والاها. من جهات، والكل رقعة ضيقة صغيرة، فقد ظلت تلك العداوة باقية. وعلينا أن نلاحظ جيداً كيف أن مردخاى ستّر فى أول الأمر «يهوديته» ويهودية استير، حتى إذا ما وصلت استير إلى القصر، راح ينشب مخالبه اليهودية معلناً يهوديته ويتباهى بذلك، مما كان يستره قبلاً ويوصى استير بكتمانه. وهذا ما يفت فى عضد هامان، ويشعل منه الحقد المتبادل، لكن هذه الروح اليهودية لا تهم الملك الفارسى أول الأمر شيئاً. ولما ذهب هامان إلى بيته من الوليمة المدبرة لاصطياده، وقد صنعتها استير ودَعَتْ إليها الملك وهامان، وأخبر زوجته «زرش» ما رأى من لؤم هامان وتغطرسه عليه، اجابت «زرش» زوجها: «أيبلغ بك الأمر أن ترى هذا السلوك من رجل مثل مردخاى «من نسل اليهود»، ويؤخذ عن عبارة «زرش» باستعمالها هذا التعبير، أن اليهود كانوا محتقرين أذلة، وأن هذه الكراهة قد عمتهم فى الشرق الأوسط كله، حتى فى ذلك الوقت، فتأمل.

٩ ـ ويبدو أن هامان قد لاحت له الفرصة، قبل اليوم بأربعة وعشرين قرناً، ليصفى اليهود فحاول ذلك ففشل، ومؤقتاً تغلب عليه مردخاى واستير! وتبقى قضية اليهود مستمرة، ظاهرها التوراة، وباطنها القبالة والتلمود، ووجهها الخارجى هرتزل، وماكس نوردو، ووايزمن، وروتشيلد ووجهها الداخلى «حكماء صهيون»: وهؤلاء هم على الحالين، حتى يتنبه العالم كله إلى خطر اقلية خطيرة عاتية، تريد الاستيلاء على العالم بالمال والنساء والمكيدة والحيلة، فيعمل العالم كله كما يعمل العرب على استئصال هذه الجراثيم من الجسم الانسانى.

١٠ ـ وإلى زمن الفتح العربى الاسلامى فى الثلث الأول من القرن السابع الميلادى، والارث المتناقل عند عرب الجزيرة، أن العرب هم ورثة العمالقة فى الشام. ذكر الواقدى(١) فى

---

(١) الواقدى من اركان التراث العربى الاسلامى، ولاسيما الحديث الشريف والتاريخ، وكتبه التى وصلت الينا تشهد له بالامامة والامارة فى هذه الفنون. غير أن بعض النقاد المعاصرين، من افرنج وعرب، يجنحون إلى الخفض من شأن كتابه «فتوح الشام» قائلين إن فيه عنصراً عاطفياً لا يقبله ميزان التاريخ. وليس هنا مقام التفصيل المبين أن هذا الزعم لا صحة له، وإنما نقول شيئاً يتعلق «بفتوح الشام». فهذا الكتاب اريد به تغذية الروح الاسلامية فيما بعد، كما حصل مثل هذا فى كتب عديدة فَبُدِّل من بعض عباراته ما بدل، وزيد عليه اضافات ما خدمت غرضاً الا الحشو الذى لا يزيد على المعنى الأصلى شيئاً. فصار بعض كلام الواقدى فى =

كتابه «فتوح الشام» أن عمرو بن العاص، لما جاء يقابل الأمير قسطنطين بن هرقل ملك الروم، قبل فتح قيسارة (جنوبي حيفا على ساحل فلسطين) جرى بينهما حوار لامع مقتضب. صفوته أن قسطنطين كان اميل إلى أن يزدرى أمر العرب الناهدين من الجزيرة بايمان وعقيدة للفتح، فاستخف بقدرتهم وهو لا يدرى من أمر ما فى صدورهم شيئاً، وما كانت الحركة فى نظره إلا غارة البادية الجافة على الحاضرة الناعمة المترفة. فعرض على عمرو الرجوع إلى الجزيرة والرضى بشئ يعطاه العرب. كأن المسألة مسألة غزو للغنيمة العابرة. ومما قاله قسطنطين «أن هذه البلاد ـ الشام ـ هى لنا، وما لكم أنتم العرب فيها شئ، ومواطنكم الجزيرة». فأجابه عمرو بمعنى «أنكم أنتم الغرباء، ونحن هنا ورثة العمالقة، الجبابرة الذين كانوا فى الشام». ثم اننا نرى فى مواضع كثيرة من كتب الارث الأدبى العربى الذى انتهى الينا وهو فى أيدى الناس، القول فى نسبة هذا أو ذلك من الرجال أنه «العماليقى». فلما جاء الاسلام، وقبله قرون شهدت أياماً للعرب بين عصر العمالقة وعصر الرسالة: كالانباط فى جنوبى الأردن، وعرب الزباء أو زنوبيا فى تدمر، والضجاعمة وسليح بين دمشق والأردن، والغساسنة فى غوطة الشام، والمناذرة فى العراق، كان ذكر العمالقة حياً، وبقاياهم متفرقة فى البلاد، والانتماء اليهم بالنسب انتماء إلى أرومة المجد والشرف. وهذا كله فى كتب التاريخ والأدب. والبقايا العماليقية انتقلت إلى الأرومة العربية بالاضافة والاندماج، سنّة طبيعية فى العمران البشرى.

وفى «معجم ما استعجم» للبكرى (طبعة القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦) أن قضاعة لما سارت من تهامة إلى الشام، ومنها الضجاعمة وسليح، كان ملك العرب يومئذ «ظرب بن حسان بن أذينة السميذع بن هوبر العمليقى» فرفع نسبه هكذا بقوله «العمليقى»، دلالة على أصل الأرومة، ويظهر أن بقايا العمالقة بعد الاندماج بالأرومة العربية، احتفظوا حسب عادة العرب بفخر النسب والأرومة، فاندمجوا بإخوانهم. ثم يتمم البكرى فيقول: «فانضموا إليه ـ أى إلى ظرب، وصاروا معه، فأنزلهم مناظر الشام من البلقاء إلى حوّارين إلى الزيتون، فلم يزالوا مع ملوك العماليق يغزون معهم المغازى، ويصيبون معهم المغانم، حتى صاروا مع الزباء بنت عمرو بن ظرب بن حسان المذكور، فكانوا فرسانها وولاة أمرها، فلما يزالوا ملوكاً حتى غلبتهم غسان على الملك، وسليح، وتلك القبائل فى منازلهم التى كانوا ينزلونها إلى اليوم». (البكرى طبعة

= بعض المواضع خليطاً من كلام هو أصل، ومضاف هو الحشو، غير أن البصير اللبيب، أو حتى القارئ العادى السليم الذوق، المتجرد عن الغاية، بوسعه أن يميز هذا عن هذا بكل يسر، أو بين الواقدى الأصلى، ومما حُمّل من اضافات لا فائدة منها. أما اعتبار أنه عاطفى، فجناية على العلم والتاريخ. وفى التاريخ اشتهر الواقدى بكتابه «فتوح الشام»، وهو من أقدم مؤرخى الفتح وكتبه الأخرى كلها شوامخ.

راجع ترجمته فى «معجم الأدباء» لياقوت الجزء الثامن عشر «محمد بن واقد».

القاهرة ١٩٤٥ ص ٢٦ و ١١٠ و ٢١٩).

١١ ـ هنا تتوجه القصة من جهة «العماليقى» فى كتب التاريخ والأدب إلى زنوبيا أو الزباء ودولة تدمر العربية التى قامت بعد تلاشى دولة الأنباط العرب فى جنوبى الأردن. ولسنا معنيين من هذا إلا بالناحية «العماليقية» من حيث الأرومة، لا بالمساق السياسى التاريخى لقصة زنوبيا، وتدمر شرعت تتكون وتنمو ثم تزدهر بالعمران وترقى فى معارجه منذ القرن السادس ق. م، أى منذ زمن هذه الحوادث لوقوعها على كتف بادية الشام واصلة بين الشام والعراق.

فقال زيدان فى كتابه تاريخ «العرب قبل الاسلام» مستنداً إلى ابن خلدون ص ٨٥: «فإن بيوتات الشرق فى تدمر عرب أصلهم من البادية من بقايا العمالقة، وأقاموا هناك للتجارة، فغلبوا على أفضل المدن بما كانوا فيه من خشونة البداوة وعلو الهمة وكبر النفس، وتدرجوا فى مناصب الدولة حتى صاروا ملوكاً واتخذوا لغة الشام وهى حينئذ الآرامية للمخابرات الرسمية والتدوين كما اتخذها النبطيون» وبقى ذكر العمالقة فى سيناء، على ما رأى بنو إسرائيل واليهود، خيالاً حياً فى أذهان كل يهودى إلى اليوم حتى قال بن غوريون، وهو خائف متزلزل، قوله الذى ذكرنا فى ترويسة هذا الفصل[1].

***

(١) إذا أحب القارئ أن يزداد اطلاعاً على الحقائق التاريخية فى باب العمالقة، وما استكشف من أمرهم البحث الحديث، فما عدا أمهات الكتب التاريخية فى تراثنا العربى، ولاسيما تاريخ ابن خلدون، فهناك ثلاثة أحواض مليئة من نتاج القرن الحالى، وهى:

١ ـ «تاريخ العرب قبل الاسلام» لزيدان، طبعته الأولى ١٩٠٨ بمصر.

٢ ـ «تاريخ سيناء القديم والحديث» لنعوم شقير، وقد كان مدير دائرة التاريخ فى وزارة الحربية فى مصر خلال الحرب العالمية الأولى، ومع أن هذا الكتاب القيم قد وضع خلال الحرب والاستعمار البريطانى جاثم على صدر مصر، ويوجد فى بعض المناحى من الكتاب رشاش من المعانى السياسية المشتقة من مصلحة الحلفاء فى أبّان الحرب، غير أن جهد المؤلف فى عرض الحقائق التاريخية المجردة، جاء موفقاً جداً، ولا نعلم كتاباً آخر فى تاريخ سيناء يماثله فى الشمول والصحة.

وللمؤلف شقير مؤلف آخر فى التاريخ هو «تاريخ السودان» طبع هذا الكتاب فى مصر سنة ١٩١٦.

٣ ـ «تاريخ العرب قبل الاسلام» للدكتور جواد على (العراق). شرع المؤلف فى وضع هذا الكتاب سنة ١٩٥١ فى بغداد وجعله أجزاء يصدر كل جزء فى فترة، ويقوم المجمع العلمى العراقى بطبعه فهو من مطبوعات المجمع. وقد صدر حتى هذه السنة من هذا الكتاب ١٠ أجزاء ضخمة. ويصح القول أن هذا الكتاب الفريد فى بابه قد اشتمل على أوسع مقدار من مادة التاريخ العربى، وما كشف عنه التنقيب الحديث وهو يؤلف مكتبة برأسها، وهو فى احتشاد النصوص والنقوش مما اكتشف إلى اليوم على يد العرب والافرنج، مرجع المراجع.

ما ذكره الطبرى عن عمليق والعمالقة

«فعمليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت فى البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم. ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ومنهم كانت الفراعنة بمصر، وكان أهل البحرين وأهل عمان منهم أمة يسمون جاسم، وكان ساكنو المدينة منهم، منهم بنو هف وسعد بن هزّان وبنو مطر وبنو الأزرق، وأهل نجد، منهم بديل وراحل وغفار، وأهل تيماء منهم وكان ملك الحجاز منهم بتيماء اسمه الأرقم وكانوا ساكنى نجد مع ذلك، وكان ساكنى الطائف بنو عبد بن ضخم حى من عبس الأول....»

حتى قال بعد هذا «فكانت طسم والعماليق واميم وجاسم قوماً عرباً، لسانهم الذى جبلوا عليه لسان عربى» ثم ذكر ثمود وجديس وغيرهما فقال: « ... وكانوا قوماً عرباً يتكلمون بهذا اللسان المضرى، فكانت العرب تقول لهذه الأمم «العرب العارية» لأنه لسانهم الذى جبلوا عليه، ويقولون لبنى اسماعيل بن ابراهيم العرب المتعرية لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين اظهرهم، فعاد وثمود والعماليق واميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب «ثم يذكر الطبرى مساكنهم بين حضرموت واليمن، والحجاز والشام مما لا حاجة إلى ذكره فوق ما تقدم. الطبرى ١ ـ ١٠٣»

بنو إسرائيل زمن عهدهم المعروف «بالقضاة» قضوا (١١١) سنة فى الذل تحت تسلط الشعوب المحيطة بهم ولاسيما العرب العمالقة والمديانيين (المدينيين)

يمتاز «هالى» صاحب «مختصر التوراة» بايراد الموضوعات التى فى «العهد القديم»، ايراداً منخولاً حسب منهجه وهدفه البرتستانتى. وهذا واضح بيّن، وفيه تيسير كبير للمطالع المسيحى وغير المسلم. ويستند «هالى» فى هذا كله إلى ناحيتين، الأولى: أرقام التوراة وهذه أحياناً فيها غلو ظاهر لا يتفق والمنطق العقلى اليوم، والثانية ما اكتشفه التنقيب عن الآثار التوراتية فى العراق وفلسطين والبادية وسيناء ومصر، من القرن الماضى إلى منتصف هذا القرن، من آثار قال العلماء أقوالهم فيها من حيث صحة انطباقها على نصوص «العهد القديم»، أو عدم انطباقها إلى حد ما.

ونحن نعتقد أن صاحب «مختصر التوراة»، قد أتى بعمل يشكر عليه، من حيث التيسير، والإحاطة، وتطبيقه المنهج الذى قرره بغاياته وأهدافه، على كل ما فى «العهد القديم» فصلاً فصلاً، ويبقى للمطالع بعد ذلك رأيه فى ما قالت التوراة، وفى ما قال «هالى» أيضاً. ونعتقد أن المطالع العربى له رأيه الذى لا يتفق ورأى «هالى» فى كثير من المواضع.

***

ينتهى هالى إلى القول أن بنى إسرائيل فى مدة «القضاة» ـ منذ خروجهم من مصر إلى انشاء الملكية ـ وهو يحسب هذه المدة (٤١٠) سنوات، قضوا منها (١١١) سنة فى الذل للشعوب المحيطة بهم فى فلسطين، وهم بعد موت يشوع ١٢ عشيرة متفرقة، كل عشيرة مستقلة عن الأخرى، وأمورهم مختبطة، والحرب لا تنقطع بينهم وبين الكنعانيين أهل البلاد، وبينهم وبين الفلسطينيين الذين قاموا حديثاً من جهة بحر ايجة، شرقى البحر المتوسط، ومنهم اتخذت البلاد اسمها، وأحياناً فى وجه العدو المشترك الكنعانيون والفلسطينيون الذين لهم السهول وساحل البحر من الكرمل ومرج بن عامر والحولة وجنوباً إلى غزة، ثم كانت الحروب الأهلية بين هذه العشائر تجرف منهم جرفاً كبيراً. هذا من جهة أحوالهم فى سكناهم ومعايشهم فى المنطقة الجبلية الوسطى. وأما من جهة معتقداتهم فإنهم تأثروا بالوثنية عند جيرانهم فعبدوا الأصنام مثلهم.

وطول مدة القضاة تؤخذ بالتقدير، وهى غير معلومة على وجه اليقين، غير أن مجموع عدد سنى الذل هو (١١١) سنة، كما ذكرتها التوراة، وفى خلال مدد الذل، يندثر أمر هذه العشائر، حتى يقوم منهم من يسمونه قاضياً أو مخلصاً أو منقذاً، فيخلصهم من المتسلط عليهم. وأشد ذل أحاق ببنى إسرائيل وأرهقهم، فهاموا على وجوههم فى كهوف الجبال، هو الذى انزله بهم المدينيون والعمالقة لمدة (٧) سنين متلاحقة كما سيجئ.

قالت التوراة: «فلما أقام الرب عليهم قضاة كان الرب مع القاضى، فكان يخلصهم من أيدى أعدائهم كل أيام القاضى لأن الرب رحم أنينهم من ظالميهم ومضايقيهم. وإذا مات القاضى كانوا يرجعون إلى الفساد أكثر من آبائهم باتباعهم آلهة آخر ليعبدوها ويسجدوا لها، لم يحيدوا عن سوء أعمالهم وطريق قساوتهم» (القضاة ٢: ١٨ و ١٩).

والشعوب التى تألبت على بنى إسرائيل فى عهد القضاة هى، كما ذكرتهم التوراة: - «خمسة أقطاب الفلسطينيين، وجميع الكنعانيين، والصيدونيين، والحويين المقيمين بجبل لبنان من جبل بعل حرمون إلى مدخل حماة» (القضاة ٣: ٣) فهذه شعوب أربعة فى الشمال أما الحويون فهم فصيلة من الكنعانيين بعضهم بقى فى فلسطين إلى ما بعد أيام يشوع، وأما موطنهم الكبير فكان فى سفوح جبل حرمون (الشيخ اليوم).

ولم يستطع بنو إسرائيل فى وقت ما، أن يجعلوا فلسطين كلها خالصة لهم فى داخلها، فاليبوسيون (فصيلة كنعانية) بقوا حتى فى القدس، مدينتهم من أول الأمر حتى أخذها داود، إلى ما بعد السبى، أى أكثر من خمسة قرون بعد استيلاء داود عليها. والفلسطينيون بقوا فى السهول وعلى سواحل البحر، وبعد السبى أصبحت فلسطين الشمالية وهى السامرة، قائمة وحدها. ويخطئ الذين يظنون، وظنهم من قلة الدراسة وضعف الملاحظة، أن بنى إسرائيل استطاعوا إخضاع البلاد كلها حتى فى زمن ملكيتهم، فكيف وهم عشائر تقيم فى كنف الفلسطينيين والكنعانيين وبين ظهرانيهم. قالت التوراة: «فأقام بنو إسرائيل بين الكنعانيين والحيثيين والاموريين والفرزيين والحويين واليبوسيين، واتخذوا بناتهم زوجات لهم، وأعطوا بناتهم لبنيهم وعبدوا آلهتهم. وفعل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب ونسوا الرب إلههم وعبدوا البعليم والعشتاروت». (القضاة ٣: ٥ - ٧).

***

أما ذل بنى إسرائيل للمدينيين والعمالقة، فقد وصفته التوراة بقولها: «وصنع بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب، فدفعهم الرب إلى أيدى مِدْيَن سبع سنين، وقويت أيدى مدين على إسرائيل فاتخذ بنو إسرائيل لأنفسهم المغاور التى فى الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين. وكان إذا زرع إسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم، ويجيشون عليهم ويفسدون غلة الأرض إلى مدخل غزة، ولا يبقون ميرة فى إسرائيل ولا غنماً

ولا بقراً ولا حميراً، لأنهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون فى مثل كثرة الجراد، لا يعدون هم ولا جمالهم، ويأتون الأرض ويفسدونها، فذل إسرائيل جداً أمام مدين». (القضاة - اليسوعية) (الفصل ٧ و ٨).

وبين اذلال الكنعانيين واذلال العمالقة والمدينيين فترة ٤٠ - ٥٠ سنة والذى قام اليوم لتخليص إسرائيل هم جدعون وبحسب رواية التوراة (القضاة ٧) جمع جدعون جيشاً ضخماً من ٣٢ ألفاً، رجع منهم ٢٢ ألفاً ثم اختار من العشرة آلاف ثلاث مئة وبهؤلاء تقول رواية السفر وهم حاملو أبواق ومشاعل، كسر جدعون جيش العمالقة والمدنيين قرب بيسان الحالية على كتف الأردن الغربى وقتل أميرهم وهما عوريب وزيب (فى الترجمة الأميريكية «غراب وذئب») وعبر النهر مطارداً المنكسرين فمر بمحلة «سكوت» (قرب نهر الزرقا)، وأهلها من المدينيين والعمالقة، «بقرقر» قضى عليه وأمسك بملكى مدين وهما «زاباح وصلمناع» (فى الترجمة الأميريكية «زنح وصلمناع»). قالت رواية السفر أن الذين قتلوا فى قرقر من جيش المشرق (المدينيين وحلفائهم) خمسة عشر ألفاً وهم البقية وأما القتلى كلهم فمئة وعشرون ألف رجل.

قلنا: إن رواية التوراة لا يثق بها أهل العلم متى ما خرجت عن المعقول. فهنا تقول رواية السفر أن جدعون اقتحم الجيش المدينى بثلاث مئة رجل حملة أبواق ومشاعل موضوعة فى جرار وأما الباقى من جيشه فلم يدخل الحرب. فكيف ينهزم جيش المدينيين وهو ١٢٠ ألف رجل أمام ثلاث مئة حملة أبواق ومشاعل!! ولما جعل جدعون يعود أدراجه، مر ببرج فنوئيل وسكوت ونفذ وعيده لهم بأبشع صورة من صور الوحشية التى اتقنها بنو إسرائيل، فانه جمع ٧٧ من شيوخ سكوت، برواية السفر، وألقاهم فوق حزم الشوك وجعل النوارج تجرى من فوقهم. وانتقل إلى فنوئيل فذبح أهلها. وأتينا بهذا التفصيل من سفر «القضاة» لعلتين، الأولى، أن أرقام التوراة أحياناً غير معقولة وما ذكرناه هنا هو من هذا الجنس، والأخرى، أن نظهر وحشية إسرائيل فى الحرب من أيام موسى ويشوع بن نون وجدعون، قبل اليوم بنحو ٣٤ قرناً، إلى أيامنا هذه ومجازر اليهود فى «دير ياسين»، ودير ياسين انما هى على سبيل المثال. اقرأ البروتوكولات بامعان.

وقبل اذلال المدينيين والعمالقة، وبنى المشرق (اسم عام للعرب فى شمالى الحجاز ومشارف الشام) هذه السنوات السبع، ومثل هذا الذل لم ير إسرائيل من قبل ولا من بعد، كان الكنعانيون قد أذلوا إسرائيل، وكان الكنعانيون قد غلبهم يشوع أول الأمر، لكنهم بعد عهده عادوا إلى القوة شيئاً فشيئاً حتى صاروا بطاشين. وبعد إذلالهم لإسرائيل جاء اذلال العمالقة والمدينيين وبنى المشرق. وملك الكنعانيين اسمه «يابين» وعاصمته «حاصور».

قال «قاموس الكتاب المقدس» تحت كلمة «حاصور»: «ولذلك يعتقد أن يابين كان لقباً لملوك كنعان، كفرعون لملك مصر، وأبى مالك لملوك الفلسطينيين، والحارث لملوك شمالى بلاد العرب (الأنباط)». ويرجع أن موقع حاصور كان قرب الحولة غربى جسر بنات يعقوب على بعد نحو ستة أميال. وقام الأثرى «غارستنغ» البريطانى بالتنقيب عن آثار حاصور فى العقد الثالث من هذا القرن (العشرين) فعثر على قطع فخار أكلتها النار، ويظن أن احراق حاصور على يد يشوع بن نون كان حوالى ١٣٨٠ ق. م وكان احراق حاصور آخر نكبة احدثها يشوع فى فلسطين. وعثر فى «تل العمارنة» فى مصر على رسالة من ممثل فرعون فى شمالى فلسطين يذكر فيها حاصور ونهايتها، ولم تعد حاصور إلى الحياة بعدئذ، إلا قليلاً بعد نحو أربعة قرون زمن سليمان بن داود، وقبل الميلاد بنحو سبعة قرون كانت حاصور قد غابت تماماً. وسنة ١٩٢٤ عثرت دائرة الآثار الفلسطينية على قبرين كنعانيين فى يافا فيهما بقايا عظام وقطع فخار محطم ومقابض سيوف من نحاس. وكان قائد جيش الملك يابين الكنعانى اسمه «سيسرا» وقالت التوراة (القضاة ٤) أنه كان لديه ٩٠٠ مركبة حديد وأذل إسرائيل ٢٠ سنة. وكان قائد جيش دبورة اسمه «باراق»، وكانت المعركة عند نهر قيشون «المقطع» وهذا واقع قرب سهول عكا، أو بين حيفا وعكا.

ذل إسرائيل من الشعوب المحيطة بهم

وهذا بيــان واضح جــمــعــه المؤلف هالى (ص ١٥٨) ينطوى على مــدى الذل، ومــدد الاستراحة، واسم المتسلط واسم المخلص وعدد السنين:

المتسلط	عدد السنين
ملوك العراق	٨
المؤآبيون، العمونيون، العمالقة	حلفاء ١٨
الفلسطينيون، الكنعانيون	حلفاء ٢٠
المديانيون، العمالقة	حلفاء ٧
العمونيون	١٨
الفلسطينيون	٤٠
	١١١

القضاة أو مدد الاستراحة

المخلص	عدد السنين
عثنئيل بن يهوذا	٤٠
اهود البنيامينى	٨٠
شمجر، دبورة، باراق	٤٠
جدعون	٤٠
ابيمالك	٣
تولع	٢٣
يائير الجلعادى	٢٢
يفتاح البيتلحمى	٦
ابصان البيتلحمى	٧
ايلون الزبلونى	١٠
عبدون الفرعتونى	٨
شمشون	٢٠
	٢٩٩

(٤) هامان العربى العماليقى
ومردخان واستير اليهوديان
من القصة التى روتها التوراة فى سفر استير

كلمة النقاد فى سفر «استير»:

هو آخر الكتب التاريخية فى «العهد القديم»، ويقال إن جمعه كان سنة ١٣٠ ق. م. فى ابان شدائد اليهود فى العصر المكابى، ويعلق على هذا الكتاب المحصون لتاريخ اليهود، بان اليهود كان من شأنهم فى أيام بلواهم أن يلجأوا إلى وضع الملاحم وتزيينها، تشديداً للعزائم وبعثاً للحماسة. ومعلوم أن اسفار التوراة لم تجمع كلها فى وقت واحد ولا فى قرن أو قرنين أو ثلاثة، بل امتد ذلك وطال أكثر من ألف سنة، وابتداؤها كان شيئاً قليلاً مقصوراً على الكتب الخمسة المنسوبة إلى موسى، ثم صار يضاف إلى ذلك أسفار جديدة. وإنما فى أثناء السبى، وبعد عودتهم من السبى عكفوا على جمع التوراة، وكان أوسعهم يداً فى ذلك، عزرا الكاتب، بل لعل الفضل فى ذلك يعود كله إليه، وقد أجملنا فى صفوة ترجمته الكلام على هذه الناحية فى هذا الجزء. أما سفر استير فقد جمع بعد موت عزرا وبعد موت استير ومردخاى بقرون.

وجدير بالقارئ العربى أن يعلم هذه الحقيقة فى سنة ١٩٤٧ ـ ٤٨ وفلسطين مضطربة وعلى وشك أن تكون منغمسة بالحوادث الكبرى، وقع اكتشاف خطير قرب البحر الميت، وذلك أن أحد الرعاة العرب من عشيرة «التعاسرة» المقيمة قرب بيت لحم، ويجول أفرادها فى جميع المنطقة الجبلية الجرداء الواقعة بين بيت لحم والبحر الميت، عثر فى أحد الكهوف على مجموعة من اللفائف الاسطوانية، وهو لا يدرى ما هى، فنقل الراعى التعامرى ما عثر عليه إلى تجار الآثار القديمة فى بيت لحم ومن التجار وصلت اللفائف إلى أهل الاختصاص من علماء الآثار المسيحيين، فوجد أن تلك اللفائف النحاسية ما هى إلا من أسفار «العهد القديم» ما عدا سفر استير فانه ليس بينها. وهذا يدل على أن وضع هذا السفر كان فى القرن الثانى ق. م. كما ذكرنا فى أول هذا الكلام، وأسفار التوراة القديمة كان قد انتهى عمل جمعها قبل الآن بوقت طويل. أما المثور على هذه الرقوق، فقد صرح كبار العلماء المسيحيين ومنهم العلامة الدكتور اولبريت الأميركى بأنه أعظم حادث من حوادث العثور على مادة الأسفار القديمة، ومن الغريب المدهش من باب الاتفاق أن فى زمن هرون الرشيد، عثر عربى فى الغور قرب اريحا على مقدار من هذه الطوامير المشتملة على أسفار العهد القديم أيضاً، ويظهر أن

المسيحية لم تستفد منها إذ انتهت تلك الطوامير إلى علماء اليهود(١).

ومما لاحظه النقاد أن سفر استير هذا يخلو كل الخلو من ذكر الله واسمه جلّ وعلا، ويتألف هذا السفر فى التوراة الاميركية أو البروتستانتية من ١٠ اصحاحات فى ١٤ صفحة، وفى التوراة اليسوعية مثل هذا وإنما اضيف إليه ٦ اصحاحات من جنس «الابوكريفا» غير القانونية والسفر لم يشر قط إلى أن هامان فارسى، وأما كونه أميراً عماليقيا، فقد سبق ايراد الأدلة على ذلك من التوراة.

***

وخلاصة القصة الرائعة أو المأساة من جهة هامان، أو المخطط الهامانى لمحو اليهود، فانعكس هذا كله على يد مردخاى واستير إلى ضده، فضرب احشويروش الملك هامان وصلبه هو وأولاده، والقصة هى هكذا:

جرت الحوادث فى عهد الملك احشويروش ابن الملك داريوس (عند العرب دارا)، وهذان من ملوك الدولة الاخمينية الفارسية، والفرس من العرق الآرى من حيث أرومات الشعوب. ومدة داريوس نحو ٣٦ سنة (٥٢١ ـ ٤٨٥ ق. م.) ومدة ابنه احشويروش نحو ٢٠ سنة (٤٨٥ ـ ٤٦٦) وعاصمته شوشن القصر فى اقليم المحمرة والاهواز، أو خوزستان، أو عربستان، وسكان هذا الاقليم قبائل عربية خالصة فتحها العرب فى عهد الخليفة عمر، وكان يحكم هذه الرقعة

(١) من اللذيذ المفيد بيان هذه الملاحظات:

١ ـ أن مكتشفات هذه الرقوق فى الحادثين، الأول عصر هرون الرشيد، والآخر سنة ١٩٤٧ اكبر خدمة للمسيحية، وقد وقع هذا على يد عربيين.

٢ ـ أن المنطقة الغورية قرب البحر الميت تعد اقليمياً حاراً بسبب انخفاضها عن مستوى سطح البحر، ولما كانت تلك الرقوق مكنوزة فى المغاور الصخرية وقد ختم عليها، فلم يتطرق الفساد إليها كلها، فبقيت بحالة حسنة إلى أن عثر عليها أولاً منذ اكثر من ١١ قرناً وثانياً سنة ١٩٤٧.

٣ ـ وليس الموقع الجغرافى الحار هو كل السبب فى اختيارها هذا المكان لاختزان هذه الرقوق فى هذه المغاور الصخرية فى المنطقة، واسمها (قمران) على البحر الميت من الجهة الغربية. بل هناك سبب آخر وهو أن فرقة من اليهود كانت تقيم فى هذه المنطقة، وكان لهذه الفرقة طقوس دينية خاصة تميزها عن فرقتى اليهود الكبيرتين: الفريسيين والصدوقيين، وعلى هاتين الفرقتين حمل السيد المسيح فى دعوته. وبعضهم يقول إن يوحنا المعمدان كان ينتمى إلى هذه الفرقة التى كانت تقيم حول البحر الميت فى منطقة قمران، واسم هذه الفرقة هو «الاسينيون» أو «المغتسلون» وكان لهم نظام خاص اشبه بنظم الرهبان فى العصور المسيحية اللاحقة على مبادئ اشتراكية جماعية.

٤ ـ يعود تاريخ هذه الرقوق فى كتابتها إلى القرن الأول أو الثانى ق. م. وقد وضعت الكتب فى شرح هذه الرقوق، وتفصيلها مما لا محل له هنا غير أن العلماء الاختصاصيين فى اميركا وأوروبا لا يزالون يبذلون العناية فى التعليق على هذه الأسفار. (راجع كتاب «مخطوطات البحر الميت وجماعة قمران»، للقس جيمس وليى وابراهيم مطر (١٩٥٧).

الأمير «خزعل خان» كما سبقت الاشارة إلى هذا، والأمير خزعل، خلعه شاه ايران سنة ١٩٤٤ خلعاً فظيعاً. والدولة الاخمينية كانت مدتها نحواً من ٢٧٠ سنة وكان آخر ملوكها داريوس الثالث الذى غلب عليه الاسكندر المقدونى فى موقعة اربيلا سنة ٣٣١ ق. م. واحشويروش له اسم آخر فى التاريخ اليونانى وهو بالعربية سرخس. وفى القرنين الخامس والرابع كانت الحروب العظيمة بين فارس والاغريق مما هو مبسوط فى التاريخ وكان احشويروش من الملوك الفرس الذين ابتلوا بنيران تلك الحروب حلاوة ومرارة، غلبة له وهزيمة عليه.

ومن سنة ٥٣٨ إلى فتح الاسكندر كانت دمشق تحت نفوذ ملوك فارس مدة أكثر من قرنين، وكذلك كانت فينيقيا تحت النفوذ الفارسى أيضاً، وكذلك العراق، وكذلك مصر، وإنما مدة وجود مصر تحت النفوذ الفارسى كانت اقصر (٥٢٥ ـ ٤٠٤) ثم قامت فى مصر السلالات الفرعونية الثلاث الأخيرة، من الثامنة والعشرين إلى الثلاثين، وكانت مصر فى خلال هذه المدة قد تخلصت من النفوذ الفارسى وعادت مستقلة حتى فتح الاسكندر. وفى جزيرة العرب كانت دولة سبأ، وعاشت ٧٣٥ سنة (٨٥٠ ـ ١١٥ ق. م) ودولة حمير وعاشت ٤١٠ سنوات (٥٢٥ ـ ١١٥) والدولة المعينية وهى قبل الدولة القحطانية (سبأ وحمير) واصلها من العراق وكانت قبل هذه القرون وإنما نشير إلى هذا للفائدة فى استيعاب الصورة، هذا ماعدا الدول العربية الصغرى فى اليمن الذين يقال لهم الأذواء، والدولة الجبأية والقتابية وغيرها. هذا فى الجنوب، وأما فى الشمال فتعبير التوراة عنهم يشتمل على «الاسماعيلية» أو بنى «المشرق» أو «قيدار».

***

حوادث القصة اقتضت ٩ سنوات حتى نضجت واكتملت

حقد الملك احشويروش على زوجته الملكة «وشتى» الجميلة الفنانة، لأنها لم تستجب لطلبه بارتداء أثوابها الملكية والتاج، والبروز أمام المدعوين فى وليمة ملكية يحضرها رجال الدولة وأعيان المملكة فيجتلوا فتنة محاسنها وسحر جمالها: واقيمت هذه الوليمة فى السنة الثانية من ملكه (٤٨٣). فاستاء الملك من أمر وشتى، فاشير عليه بأن فى المملكة الواسعة الآفاق المشتملة على ١٢٧ ولاية من الهند إلى الحبشة، من الفتيات البراعات من تليق لأن تكون الملكة بدلا من «وشتى» العاصية عليه يوم الوليمة. فاتخذوا ترتيباً، وجمعوا له نجوم المملكة، ففازت بقلبه استير، وهذا اسمها بالفارسية وأما بالعبرية فأسمها «هداسا» وهذا معناه زهرة الآس أو الكوكب. ولم يعرف أنها يهودية لما تقدمت للمباراة. ولما تزوجها احشويروش انبسط ظلها على القصر. هذا ما يفيد سفر استير وقاله اليهود للعالم. لكن من أوقع الفساد والضغينة بين الملك والملكة وشتى؟ ولماذا لم تخرج الملكة إلى المهرجان فى الوليمة حسب رغبة زوجها الملك؟ وهل كان من عادتها مخالفته؟ ومن كان المحرض للملك بالقول له أن وشتى بذلك

العصيان أعطت نموذجاً سيئاً لجميع نساء الامبراطورية حتى يتشبهن بها فى الخروج عن طاعة أزواجهن؟ ليس لدينا تفاصيل الا ما فى سفر استير. والمدقق فى هذا يستنتج أن حبك المؤامرة كلها تم على يد مردخاى.

***

مردخاى بطل القصة، وهو ابن يائير بن شمعى، كان من جملة السبى النبوخذناصرى، وكانت استير، كما يقول السفر، بنت عمه، يتيمة لكنها فريدة الجمال الطاغى، فتولى تربيتها تربية يهودية خالصة، وهيأها ليوم مقبل. ويظهر أن عدد الفتيات اللواتى جمعن من أرجاء المملكة لاختيار أفتنهن، كان عدداً ضخماً، وجعل العدد يهبط بالغربلة والتنحية حتى رسا على سبع فتيات. ففازت استير.

وأوصى مردخاى استير بألا تبوح باسمها العبرى ولا بيهوديتها. وهناك غاية من وراء هذا الكتمان، وقد بينا هذا فى ترجمة عزرا فى هذا الجزء. لما صارت استير الملكة، كان ذلك فى السنة السابعة من عهد احشويروش. أما المهرجان أو الوليمة فقد كان فى السنة الثالثة. ومضى ٣ سنوات حتى تم الاختيار. ثم بعد أن تفوز استير بانها النجم الأول، عليها أن تبقى سنة أخرى فى القصر، وهى تربى تربية خاصة فى الطعام المختار والشراب، والتعطر والادهان، لتصلح أن تكون الداخلة على الملك.

ويقول السفر، وهو يجمل الوقائع أو ينسج الخيط، أن مردخاى كان جالساً فى باب الملك فاطلع على مؤامرة يراد بها العدوان على الملك، وانك لتدهش حقاً عندما تعلم أن اثنين، كانا حسب ما اكتشف مردخاى، هما المتآمرين: بغثان وترش حارسى الباب. فأخبر مردخاى استير بالمؤامرة، وهى أخبرت الملك بها بلسان «المخلص» مردخاى. ففحص الملك ودقق فوجد الأمر صحيحاً فصلب بغثان وترش. وسجلت هذه اليد لمردخاى فى القصر. وكانت استير بعد أن اصبحت فى القصر، تتقيد برغبات عمها أو ابن عمها كما لو كانت لاتزال فى كنفه فى البيت تحت ولايته. فانظر وتأمل! سنذكر بواطن هذه المكيدة عندما تقرأ البروتوكولات.

***

ولنمعن النظر فى ما تقدم:

ولنستمع إلى مردخاى يحدثنا هو كما جاء فى السفر الذى جمع باسم استير، بعد تاريخ الوقائع بزمن طويل: كان هامان بن همدان الاجاجى (العماليقى) من رجال القصر؛ والآن حدث أن رقى فى منصبه حتى صار فى الرتبة فوق جميع الرؤساء، أو ما يعبر عنه فى زمننا هذا برئيس الوزراء والعبيد يسجدون له سجود التحية حسب وصية الملك والبروتوكول المراعى. ثم تنتقل القصة فى سفر استير فجأة لتخبرنا أن مردخاى ابى ان يؤدى هذه التحية لهامان،

وهامان رئيس الوزراء. فنبهه الحرس والعبيد فلم يرعو، بل زاد على رفضه أداء التحية بأن أعطى السبب الذى رآه، وهو أنه لكونه يهودياً فانه لا يؤدى التحية المرسومة لهامان. ونقول إذا كان يقصد التمويه أن السجود لا يكون إلا لإله إسرائيل حسب عقيدته، فسفر استير جاء كله خالياً من اسم الله على الإطلاق، ولو كان هذا هو المراد فما أحراه أن يصرح به ويسند السبب إلى أن دينه يمنعه من ذلك، أما السبب الحقيقى فهو العداوة بين العمالقة واليهود. وبعد أن وصلت استير إلى الصولجان، ما عادت تكتم يهوديتها، وهذا مردخاى يقول إنه لم يؤد التحية لأنه يهودى، وقبلاً كان يخفى يهوديته هو واستير.

***

فقام الحرس بإخبار هامان ما كان من مردخاى.

القصة كما هى فى السفر ليست متسلسلة الوقائع، وهى مشبعة بروح عدائية سافرة لهامان. فتنتقل بنا بعد هذا تواً إلى أن تقول أن هامان غضب على مردخاى، لكن لم يشأ أن يبطش به دون غيره، إذ استصغر ذلك واستقله، بل أراد أن يبطش بقوم مردخاى جميعاً، أى باليهود المنتشرين فى المملكة، والمملكة (١٢٧) ولاية.

وعلى هامان أن يبين للملك الأسباب. واجمل السفر هذا بأن قال هامان للملك: «أنه موجود شعب ما مشتت ومتفرق بين الشعوب فى كل بلاد مملكتك، وسننهم مغايرة لجميع الشعوب، وهم لا يعلمون سنن الملك، فلا يليق بالملك تركهم». فوافق الملك على إبادتهم. فاتخذ هامان الوسائل للتنفيذ فى ١٣ آذار وهو الشهر الثانى عشر من السنة الفارسية، وانفذت الأوامر السلطانية إلى الآفاق على أن يمحى اليهود جميعاً فى يوم واحد، وفيهم الشيوخ والأطفال والنساء. وهذه خلاصة المروى فى سفر استير (الفصل ٣).

***

ويعلم من السفر أن اليهود كانوا وقتها متفرقين فى أرجاء المملكة. «وفى كل كورة حيثما وصل إليها امر الملك وسنته كانت مناحة عظيمة عند اليهود وصوم وبكاء ونحيب». فجاء مردخاى إلى القصر وهو لابس مسح المناحة وعليه الرماد، فدخلت الجوارى على استير واخبرتها بحالة مردخاى، فارسلت إليه خصياً مؤتمناً يسأله السبب فى أمره هذا، فأعلمه بما دبر هامان من خطة بموافقة الملك لإبادة اليهود الذين فى المملكة، وأن نفقات هذا العمل تؤدى من خزانة الملك، واطلعه على صورة المرسوم الملكى الذى أطلق إلى أرجاء المملكة لتقع الابادة فى وقت معين فى جميع الولايات. وطلب مردخاى بواسطة الخصى المؤتمن أن تدخل استير على الملك وتطلعه على هذا كله. فوقعت استير فى مأزق حرج، إذ لا يجوز الدخول على الملك إلا لمن يدعى من قِبَله ومن دخل غير مدعو ولم يرفع الملك له قضيب الذهب علامة الرضى عند دخوله، قتل. فأجابت استير مردخاى بهذا الاعتذار، فرد عليها «مردخاى» ـ أو عمها، أو

ابن عمها، أو أحد «حكماء صهيون»:

«لا تفتكرى فى نفسك أنك تنجين فى بيت الملك دون جميع اليهود. لأنك إن سكت سكوتاً فى هذا الوقت، يكون الفرج والنجاة لليهود من مكان آخر، وأما أنت وبيت أبيك فتبيدون. ومن يعلم أن كنت لوقت مثل هذا وصلت إلى الملك (الاصحاح الرابع).

اقرأ البروتوكول السابع عشر وهو ينص على أن «للقبالا» أن تقتل اليهودى الذى لا يفى بواجباته نحوها من الإعلام والتجسس.

***

هنا الروح اليهودية تتكلم وقت جمع هذا السفر فى الحروب المكابية.

أنت إنما جئت القصر لتخدمى قومك اليهود!!

لا تظنى أنك إن لم تفعلى هذا، ونجا قومك بطريقة أخرى، تبقين أنت حية! نرجو من القارئ أن يقابل هذا الكلام الذى أنذر به مردخاى ربيبته استير، بما جاء فى البروتوكول السابع عشر. فمن القبالة اليوم فى القرن العشرين تتألف الهيئة الخفية التى بيدها الأوامر والنواهى السرية والمعبر عنها باليهودية العالمية. والأمر السرى بالقتل يصدر منها. وننقل هنا معنى فقرة واحدة من هذا البروتوكول، وهى تتعلق بأن من الواجب على كل يهودى أن يبلغ هيئة القبالة عن أى شئ يضر باليهودية، فان لم يفعل يجازى ويحاسب حساباً عسيراً، والحساب العسير المقصود هو القتل، وإن لم تصرح به مادة البروتوكول بهذا اللفظ، وقد ورد ذكر استباحة الدماء فى البروتوكولات فى مواطن عديدة، وإنما هنا يقع القتل للشخص المقصود لا لأنه اقترف جرماً ما، كلا، بل لأنه علم بأمر ضار لليهودية فلم يبلغ هيئة القبالة ما يعلم، فانظر وتأمل. وكان مردخاى يقول لاستير: ما أنت هنا فى القصر ملكة إلا لخدمة قومك اليهود، فإن لم تفعلى فستقتلين ولا يعصمك من القتل كونك الملكة زوجة احشويروش الممتد ملكه على ١٢٧ ولاية من الهند إلى الحبشة.

***

فأذعنت استير، وانصاعت إلى انذار مردخاى وأيقنت أنها ملاقية المصير الذى أنذرها به إن هى لم تفعل ما أمرها به. فأجابته: إنى أدخل إلى الملك خلاف العادة، فإذا هلكت هلكت. ولا بأس أن نجترئ باللباب. وللقارئ أن يطلع على القضية بكاملها فى السفر، إذا شاء.

١ ـ ارتدت ثوباً ملكياً ودخلت، فلما وقع نظره عليها فجأة خلبته، وسبت عقله، فرفع لها قضيب الذهب علامة الرضى، فدنت ولمست رأس القضيب، فسألها ما طلبها فطلبت أن يأتى الملك ومعه هامان إلى وليمة خاصة. فلما حضرا، وعند شرب الخمر قال لها الملك ما هو سؤلك تعطينه ولو بلغ نصف المملكة. فقالت أن يأتى الملك وهامان إلى الوليمة التى أعملها غدا حسب أمر الملك.

٢ ـ خرج هامان طيب القلب فرحاً وسره انه هو الوحيد المدعو مع الملك. لكنه وهو خارج، ابصر مردخاى فى باب القصر مصعراً خديه. فاغتاظ هامان، فأخبر زوجته وأصدقاءه عن تمرد مردخاى وأنه كلما رآه فى القصر اضطرب اضطراباً. فأشاروا عليه أن يصلبه فى الصباح على خشبة علوها خمسون ذراعاً.

٣ ـ فى تلك الليلة أرق الملك أرقاً جعله يقتل وقته بمراجعة اخبار الأيام وحوادثها تقرأ عليه، فوجد مكتوباً قصة تلك المؤامرة المزعومة وما لمردخاى من فضل عليه، فأمر بأن يكافأ بأن يلبس حلة ملكية ويمتطى جواداً ملكياً وعلى مفرقيه تاج الملك، ويمسك بزمام الجواد أحد الأشراف الذين حول الملك، ويطاف به هكذا فى ساحة المدينة. وإذا بهامان قادم صباحاً ليطلب من الملك الموافقة على صلب مردخاى، فيجد الملك يأمره بأن يكون هو الممسك بزمام الجواد، وقال له: «وافعل هكذا لمردخاى اليهودى الجالس فى باب الملك». ففعل هامان ما أمر به. ورجع مردخاى إلى القصر، وأما هامان فذهب إلى بيته وأصحابه وزوجته، فقالوا له ولاسيما زوجته زرش: هل بلغ الأمر أن تسقط قدام مردخاى من نسل اليهود؟. وبينما هم كذلك جاءه الرسول يطلبه إلى الوليمة.

٤ ـ فلما جلس الملك وهامان عند استير الملكة، سألها الملك وهو يتعاطى الشراب ما سألها سابقاً ولو بلغت طلبتها نصف المملكة، فقالت: «إذا حسن عند الملك فلتعط لى نفسى بسؤلى وشعبى بطلبتى، لاننا قد بعنا أنا وشعبى للهلاك والقتل والابادة»، فسألها، «ومن هو الذى يتجاسر على أن يفعل هذا؟ فقالت هو رجل خصم وعدو، وهذا هامان الردئ».

٥ ـ فارتاع هامان وتزلزل. فانتقل الملك إلى الحديقة مغتاظاً، فوقف هامان يتوسل عن نفسه إلى استير. ولما رجع الملك من الحديقة إلى ردهة شرب الخمر «وهامان متواقع على السرير الذى كانت استير عليه»، قال: «هل أيضاً يكبس الملكة معى فى البيت؟»، ولما خرجت الكلمة من فم الملك، غطوا وجه هامان. فقال أحد الخصيان: «هو ذا الخشبة التى هيأها هامان لمردخاى الذى تكلم بالخير نحو الملك قائمة فى بيت هامان ارتفاعها خمسون ذراعاً فقال الملك: اصلبوه عليها، فصلب.

٦ ـ «ونزع الملك خاتمه الذى أخذه من هامان وأعطاه إلى مردخاى» وصار مردخاى محل هامان فى القصر. وجثت استير وتضرعت، بأن يأمر الملك بابطال تدابير هامان المطلقة إلى أرجاء المملكة. وقالت: «لأننى كيف استطيع أن أرى الشر الذى يصيب شعبى وكيف استطيع أن أرى هلاك جنسى؟».

٧ ـ فكتب مردخاى إلى المرازبة والولاة ورؤساء البلدان، وإلى اليهود جماعته «من الهند إلى كوش (الحبشة) ١٢٧ كورة»، وإلى كل شعب بلسانه وختم الرسائل بخاتم الملك، وأطلقت برد الخيل والبغال بنى الرمك». ومحتوى الرسائل أن يقف اليهود فى كل مدينة «ويهلكوا ويقتلوا

ويبيدوا قوة كل شعب وكورة تضادهم، حتى الأطفال والنساء، وأن يسلبوا غنيمتهم فى يوم واحد». وهذا يدلنا على شيئين خطيرين:

أولاً ـ أن اليهود كانوا منتشرين فى جميع المملكة مع وجودهم فى السبى، وثانياً ـ أن الكراهة لهم كانت عامة فى جميع الشعوب التى أرسلت اليها تلك الرسائل.

٨ ـ وخرجت مدينة شوشن فرحة، ولليهود بهجة، مقرونة بالولائم الطنانة، «وكثيرون من شعوب الأرض تهودوا لأن رعب اليهود وقع عليهم». هكذا يقول السفر!.

٩ ـ «فضرب اليهود جميع أعدائهم ضربة سيف وقتل وهلاك وعملوا بمبغضيهم ما أرادوا» قتلوا فى شوشن القصر خمس مئة رجل. ابناء هامان العشرة قتلوهم ثم صلبوهم فى اليوم الثانى، وهم: فرشنداثا، ودلفون، واسفاثا وفوراثا، وادليا، واريداثا، وفرمشتا، واريساى، واريداى، ويزاثا[1].

١٠ ـ ثم قتلوا فى شوشن القصر ثلاث مئة رجل. «واستراحوا من أعدائهم وقتلوا من مبغضيهم خمسة وسبعين ألفاً... فى اليوم الثالث عشر من شهر آذار واستراحوا فى الرابع عشر منه وجعلوه يوم شراب وفرح».

إذا كان هذا صحيحاً كله أو بعضه من حيث عدد القتلى، فهنا باب للسؤال وهو: إذا كانت الشعوب التى فى مملكة فارس المنبسطة من الهند إلى الحبشة فى ١٢٧ ولاية، ويقطنها من الشعوب والأمم على اختلاف الالسنة عدد ضخم كبير، وهذه الشعوب والأمم تكره اليهود كما يقول السفر، فهذه الكراهة ليست من صنع هامان بن همداثا الاجاجى العماليقى، وهو بمختلف وسائله أعجز على كل حال من أن يملأ قلوب الشعوب والأمم بمثل تلك الكراهة العميقة الجذور، فهامان إذا بسط للملك من أمر تلك الكراهة لليهود ما بسط، فهو فى ذلك لم يعد الحقيقة شعرة، وأما الذى بذر بذور تلك الكراهة لليهود هم اليهود أنفسهم لا غير[2]. وكذلك فى الزمن المعاصر، فمنذ قامت الحركة المسماة «باللاسامية» إلى بعض المسيحيين وجعلوا مستندهم فى هذا الزعم «الدين اليهودى» وهذا كله باطل، فإن «اللاسامية» فى عارى حقيقتها حركة يهودية مصطنعة خلقها حكماء صهيون للاستغلال، وإنما تمكنوا من نشر التضليل حول هذه الحركة بسبب ما وضعوا من الكتب حولها للخديعة وما لهم من أجهزة

---

(١) فى الترجمة اليسوعية (الفصل التاسع) نرى هذه الاسماء على هذه الصورة بلا خلاف سوى، أن «الثاء» الأخيرة وبعده ألف فى خمسة من هذه الأسماء وردت «تاء» والاسم الأخير أوردته الترجمة اليسوعية «ايزنا». و «هامان بن همداثا «الاجاجى» أوردته اليسوعية «هامان ابن همداتا «الاجاجى» أى التاء تاء.

(٢) بعد ظهور المسيحية اشتد الويل على اليهود شيئاً فشيئاً فى الامبراطورية الرومانية، الغربية والشرقية، وكان الملك قسطنطين الكبير يلقبهم فى المنشور القيصرى «بالشعب المكروه» وبين عصر احشويروش الفارسى وعصر قسطنطين الكبير أكثر من ٨ قرون والكراهة لليهود تطرد وتزداد، وظلوا هكذا حتى جاء الإسلام فى القرن السابع فنعموا فى مرابع حضارته، ولاسيما فى الأندلس. (راجع تاريخ الإسرائيليين لابكاريوس ص ٨٠ طبع ١٩٠٤).

دعائية خبيثة علنية وسرية، وهذا كله مبسوط مستوفى فى «البروتوكولات».

١١ ـ وكتب مردخاى إلى جميع اليهود فى المملكة أن يعيدوا فى اليوم الرابع عشر والخامس عشر... ودعى هذا العيد عيد «الفوريم» أى القرعة لأن هامان القى قرعة لإفنائهم.

***

هذا العيد يحتفى به كل سنة على غير انقطاع وفى كل بلد فيها يهود، ويقال له «البوريم» ـ وفى التوراة «فوريم» ـ وله شأن كبير عند اليهود قاطبة حتى اليوم وغداً، وهو مجلى غرائزهم، ومظهر شراستهم، فإنهم فى كل سنة يخرج منهم إلى الأسواق فى المدن المختلفطة أفراد وجماعات متكرين زياً ولباساً ويأخذون بالاعتداء على غير اليهود، أحياء لذكرى ما صنعوا وقت استير ومردخاى، قبل اليوم بخمسة وعشرين قرناً. ويهيجون وهم يعتدون على المخازن التجارية واتلاف السلع، هياج السائمة. ويحرضهم على هذا طبقة متزمتة من الحاخامين الذين يمارسون جنايات الدم ـ خطف الأشخاص من المسيحيين والمسلمين وقتلهم وتصفية دمائهم واستعمال الدم فى طقوس دينية ـ وعيد البوريم فى فلسطين أيام الانتداب البريطانى كان يشتمل كل سنة على عدة حوادث عدوانية يقوم بها اليهود الذين ذكرنا صفتهم انتقاماً من العرب. وروح الانتقام هذه فى صدور اليهود غير مقصورة على شعب بعينه من شعوب العالم، بل موجهة إلى جميع البشر، ومتى ما علمنا أن اليهود فى العالم هم جزء قليل لا يجاوز الواحد من المثتين والخمسين، أدركنا أن هذا الخلق فيهم هو أكثر من مجرد إحياء ذكرى، بل هو غريزة شاذة لأذى الإنسانية. وهذه الروح هى النقطة المركزية فى البروتوكولات، وبوسع القارئ أن يقابل بين هذه الروح وكثير من الوقائع المشابهة لحوادث عيد «البوريم» فى كل دور من أدوار تاريخهم.

وأما «سفر» استير فإنه يقرأ فى المجامع اليهودية كل سنة، وقد ثابر اليهود على هذه العادة منذ ٢٥ قرناً. واسم استير عندهم هو «هداسا» وفى التوراة «هدّسة» وفى فلسطين مؤسسة مستشفيات يهودية اسمها «مستشفيات هداسا» أكبرها المستشفى الذى فى جبل الزيتون المطل على القدس..

***

ما ذكره الطبرى حول استير

وحرى بالقارئ العربى، وهو يطلع على غرائب هذه «اليهوديات» فى النصف الثانى من القرن العشرين، ويعلم أن الكشف الحديث، والبحث العلمى، والتنقيب الأثرى، كل هذا من ثمراته أن يزيح شيئاً فشيئاً من الحجب والسجف التى تستر ما يريد اليهود ستره من خفاياهم ـ حرى بالقارئ أن يسأل: هل لاستير ومردخاى اليهوديين من ذكر فى التاريخ العربى الاسلامى؟

ونجيب على هذا بأن ما ذكره التاريخ العربى الاسلامى من أمر استير، ما هو إلا خلاصة مبهمة، ضائعة بين الاسطورة ورشاش من الحقيقة. ونأخذ مثالا على هذا الطبرى، شيخ المؤرخين (٨٣٩ - ٩٢٣ م) وقد عاصر جملة من خلفاء بنى العباس، الواثق بعد المعتصم إلى المقتدر وهؤلاء نحو عشرة، وكان اليهود فى هذا العصر يرتعون فى بحبوحة الخير فى ظل الدولة العباسية فى المشرق والدولة الأموية واماراتها فى الأندلس والمغرب، وكانت الأساطير والآراء النابعة من المصادر اليهودية، قد تسربت ودبت حتى وصلت إلى كثير من التفسير والحديث وكتب التاريخ والسّير مما عرف بالإسرائيليات، حتى رأينا بعد ذلك قوافل من الحقائق العربية الاسلامية بحاجة إلى أن ينفى عنها زيغ ما لصق بها من الإسرائيليات. وكانت الإسرائيليات من مفسدات التاريخ.

***

ذكر الطبرى موجزاً سطحياً لقصة استير كما تهيأ له أن يأخذها من مصادره، وذكر مردخاى، غير أنه فى قصة استير لم يعرج على هامان بقليل أو كثير. أما الأسماء فان احشويروش فى الترجمة الاميريكية للتوراة هو عند الطبرى احشوارش ومردخاى هو مردخى واستير اشتر.

وبعد أن ذكر الطبرى اتساع رقعة المملكة بقوله «وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلى البحر» قال: «وتزوج من سبى بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشير ابنة أبى جاويل، كان رباها ابن عم لها يقال له مردخى، وكان اخاها من الرضاعة، لأن أم مردخى ارضعت اشتر، وكان السبب فى تزوجه اياها قتله امرأة كانت له جليلة جميلة خطيرة يقال لها وشتا، فأمرها بالبروز ليراها الناس ليعرفوا جلالها وجمالها فامتنعت من ذلك، فقتلها، فلما قتلها جزع لقتلها جزعاً شديداً. فأشير عليه باعتراض نساء العالم ففعل ذلك وحببت إليه اشتر صنعاً لبنى اسرائيل.. وكان ملك احشوارش كان اربع عشرة سنة. وقد علمه مردخى التوراة ودخل فى دين بنى إسرائيل، وفهم عن دانيال النبى.. ومن كان معه حينئذ مثل حننيا وميشايل وعازريا فسألوه بأن يأذن لهم فى الخروج إلى بيت المقدس..» والمراد بقول الطبرى أنها تزوجته صنعاً لبنى اسرائيل أى خدمة لقومها (الطبرى ١ : ٢٨٤). والمهم فى قول الطبرى أن احشوارش دخل فى اليهودية على يد مردخاى. راجع فى هذا الكتاب ترجمة دانيال.

***

٥ ـ البناة الأول « لحكماء صهيون »
الأنبياء: حزقيال ـ عزرا (عزير) ـ نحميا ـ دانيال

من حزقيال ودانيال وعزرا (عزير) ونحميا واستير ومردخاى، وارميا، من هؤلاء الذين عرفناهم عن طريق التوراة، وترددت اسماؤهم وقت سبى نبوخذناصر لاورشليم، وتخريبه الهيكل، وهدمه المدينة، وأخذه الكنوز التى استطاع العثور عليها فى الهيكل ـ وهى راس مال كل يهودى قديم وحديث ـ وبعد سبيه الشعب اليهودى إلى بابل العراق بحيث لم يبق فى المنطقة اليهودية والقرى المحيطة بها إلا الضعفة وقليل من الزراع والعملة، ولا شأن لهم جميعاً ـ من هؤلاء البناة الأولين لمنهج «حكماء صهيون» إلى دزراميلى، و «أحدها عام»، ووايزمن، وجابوتنسكى، وبن غوريون، ومسافة الزمن لا تقل عن ٢٤ قرناً ـ ترى انسياب الغرائز اليهودية مطّرداً يتخلل الأجيال كلها، نابعاً من خلق له خفاياه وبواطنه، وفى هذه المواطن المبهمة العميقة، تكمن أسرار اليهودية فهى أبداً تتلون، لكنها فى أصل عنصرها ومادتها لا تتغير.

وسواء علينا، أبدأنا بحزقيال وانتهينا بهرتزل، أم بهرتزل وانتهينا بحزقيال، فالأربعة والعشرون قرناً، وهى قرون تفاعل بين أمم العالم على وجه الأرض، وتتلاقح فى الدم والفكر والفن والصناعة، بحيث شارك فى هذا التفاعل والتلاقح كل جنس من الأجناس البشرية ـ على قدر طاقته، فهذه السلسلة من القرون ـ عجزت وستبقى عاجزة، عن أن تنقح شيئاً قل ما قل، من الغرائز اليهودية ولاسيما فى جذورها وأصل جراثيمها. اليهود، من أول أمرهم فى الوجود، يمثلون كتلة بشرية شاذة، قامت على الانفراد والأنانية، والابتلاع، وتأبى الانصهار الحضارى فى أى بوتقة حضارية عاش فيها اليهود أو احتكوا بها. حزقيال ورفقته، هم أول من مثل الدور الأول فى تهيئة النسيج الذى عرف نظامه فيما بعد «بحكماء صهيون»، فلنضع صورة مجملة أمام القارئ، لكل واحد من هؤلاء «الأنبياء» الذين وهم فى السبى فى القرن السادس قبل المسيح، كانوا الحلقة الأولى من «الحكماء» الذين هم يؤلفون بالامتداد والاطراد، القوة اليهودية العالمية السرية، وغايتهم الوصول إلى التسلط الموهوم على العالم بعد محاولة نسف المسيحية والإسلام.

أنبياء بنى إسرائيل، هم كما وصفهم الكاتب العالمى المؤرخ «ولز» فى كتابه «موجز تاريخ العالم»، على الغالب ساسة فى مسوح الأنبياء. وكانوا ثلاثة أصناف: الأنبياء الذين كانوا حول الملوك، ولهم مجاديفهم فى السفينة، فإذا كانوا مع الملك، والملك شرير، احترقوا، وإن كانوا مع الشعب فالسجون والنطوع مهياة. وقتل أى نبى من هؤلاء أهون من ذبح شاة. وأحياناً، لا بأس أن يكون القتل داخل الهيكل، عند قدس الأقداس.

ولذلك لما صرف ارميا ٤٠ سنة فى التنبؤ، آخرها لما جاء نبوخذناصر ليؤدب صدقيا آخر ملوك يهوذا، ويسوقه أسيراً مكبلاً إلى بابل، بعد أن سمل عينيه، وقتل أولاده بين يديه، فى اريحا، خاطب أرميا أورشليم بقوله: «لأنك منذ القدم كسرت نيرك، وقطعت قيودك، وقلت لا أتعبد. لأنك على كل أكمة عالية، وتحت كل شجرة خضراء أنت اضطجعت زانية»[1].

وكان ارميا ينصح صدقيا ألا ينقض عهد العبودية لنبوخذناصر فلم يستمع هذا إليه، فتنبأ ارميا وصدقت نبوءته: «فى ذلك اليوم،... يخرجون عظام ملوك يهوذا، وعظام رؤسائه، وعظام الكهنة، وعظام الأنبياء، وعظام سكان أورشليم من قبورهم، ويبسطونها للشمس والقمر ولكل جنود السموات التى أحبوها، والتى عبدوها والتى ساروا وراءها، والتى استشاروها، والتى سجدوا لها، لا تجمع ولا تدفع، بل تكون دمنة على وجه الأرض ويختار الموت على الحياة عند كل البقية الباقية من هذه العشيرة الشريرة الباقية فى كل الأماكن التى طردتهم إليها»[2]. وكأن ارميا يصور ما وقع لقومه من الفواجع جزاء تمردهم. وأتى نبوخذناصر على هذه «العشيرة الشريرة».

***

والصنف الثانى من انبيائهم كان يقال للواحد منهم «الرائى» من رأى، وهذا أدنى منزلة من «نبى» وأرفع من الرجل العادى، لكنه يسير فى اتجاه «الساسة»، و «الرائى» عدده وافر، إذ لا يحتاج من العدة إلا إلى شئ من بارع الفراسة وصحة الملاحظة[3].

والصنف الثالث هم الذين يقال لهم «الأنبياء الكذبة»، تجار، باعة، وحملة مجامر الملق والدهن، وعددهم بالمئات لا العشرات. لما اجتمع بهم النبى «ايليا» - إلياس - على جبل الكرمل، فى القرن التاسع ق. م. كانوا ٤٥٠ من أنبياء البعل، و ٤٥٠ من أنبياء موائد

(١) سفر ارميا الاصحاح الثانى. (٢) سفر ارميا الاصحاح الثامن.

(٣) للاستزادة من العلم بهذا الموضوع راجع كتاب الدكتور حسن ظاظا وقد علقنا عليه سابقا.

الملكة ايزابل زوجة الملك آخاب (ابتداء مدته ٩١٨)(١).

فلنتكلم عن بعض أنبياء الطبقة العالية، والذين يطلق عليهم «الأنبياء الكبار» الذين من أيديهم انتشرت بذور «حكماء صهيون»:

***

(١) حزقيال

هو حزقيال بن بوزى، ظهر فى آخر مدة ملوك يهوذا، قبيل زحف جيش بابل من العراق، وكان من جملة السبى (فى القرن السادس ق. م.) ورتبته الكهنوتية عالية، وهناك فى العراق سكن فى ناحية على نهر الخابور ومكان اسمه بالعبرية «تل أبيب»، وصار بيته نادياً يرتاده الشيوخ، فيعظهم حزقيال ويبكيهم، ويذكرهم باورشليم. وما مضى عليه أكثر من خمس سنين وهو دائب فى عمله من التذكر والتوبيخ والاستنهاض، حتى شرع يتنبأ، أو يستأنف عمله الذى كان قد بدأه فى أورشليم، ومدة نبوته كلها فى أورشليم وعلى الخابور أكثر من ٢٢ سنة. حزقيال كان معاصراً لارميا، وارميا بعد فتكة نبوخذناصر آثر البقاء فى القدس، ولا ندرى كيف استطاع ذلك، ثم انتقل إلى مصر لاجئاً وقضى هناك. وهو معاصر لدانيال أيضاً، ودانيال استاقه السبى إلى العراق أيضاً، لكنه وقت السبى كان صغيراً فى الرابعة أو الخامسة.

وحزقيال ماتت زوجته وهو فى الخابور، فظل متابعاً سيره فى نبوته، واشتهر أمره حتى لقب «بنبى السبى»، كما لقب زميله ارميا «بالنبى البكاء» من كثرة انتحابه على أورشليم. ويهمنا أن نعلم من أمر حزقيال ما صنعه وقت السبى:

١ ـ جعل منزله نادياً للشيوخ، فاستطاع بهذا أن يجمع الحلقات حوله ويبث فيهم من الآراء ما يريد، جارياً فى هذا على أوتار حساسة جامعة بين التأنيب والإيقاظ والتحريض.

٢ ـ فاكتسب ثقة الشيوخ، حتى صار أمينهم ومشكى الجامعة فى المسائل والمشكلات، وأمست اسرارهم عنده.

٣ ـ وصف الكتاب التوراتيون أسلوبه فى الكلام والخطابة بأنه حماسى مثير، ملهب للشعور.

---

(١) سفر الملوك الأول ـ الاصحاح ١٨.

٤ ـ وعندما يرى شدة الاستماع إليه، كان ينتقل بهم إلى التوبيخ والتقريع، ويبين لهم أن ما أصابهم من سبى وتشريد، سببه أنهم عصاة، لم يلوذوا «بتوبة»، فجاءت المصاقل تجازيهم على أعمالهم الباطلة، وتلك المجازاة قد حلت بهم وهى ستظل حالة بهم ماداموا فى السبى تحت حكم الكلدان خارج أورشليم.

٥ ـ لكنهم يستطيعون أن يعودوا، إذا تابوا حقاً.

٦ ـ وكان همه فى المقام الأول أن يعنى عناية خاصة باجتذاب الشباب الذين نشأوا نشأتهم الواعية فى تل أبيب الخابور، ولم يشهدوا يوم نبوخذناصر فى أورشليم.

***

إن عمل حزقيال على هذا المنوال ونحو الغاية الكبرى، وهى إعداد الجيل الجديد فى السبى للعودة إلى أورشليم، مع عمل عزرا الكاتب فى هذا المضمار أيضاً من ناحية أخرى ـ هذان العملان معاً ـ كانا أكبر عامل فى فتح أبواب الخيال الأسطورى مما أدى إلى نتائج كبيرة فى الأجيال المقبلة. وأول النتائج الخطيرة، جعل اليهود فى السبى يقبلون على المناخ الذهنى الفكرى إقبالاً مهد الطريق لظهور «التلمود» بعد عدة قرون وبعد أن خرب الرومان أورشليم سنة ٧٠ ب. م والتلمود هو العجيب الغريب، فالتربة الأولى لنبتته هى هنا، وهو كنز وذخر لمختلف الأخيلة الجامحة من ناحية، وغير المعقولة من ناحية أخرى، ومن التلمود خرجت «القبالة» ومن القبالة خرج منهج «حكماء صهيون» الذين اتخذوا البروتوكولات دستوراً عملياً خفياً سرياً لهم وهذا يراه القارئ مبسوطاً فى هذا الكتاب.

وحزقيال فى آخر حياته، جهل أمره، وتوارت أخباره، لكن الأساطير التى تعلقت به جعلت تغلفه بهالة بعد هالة من التعظيم. وقبره على شاطئ الفرات عند أحد فروعه، ولا يعلم تاريخ بنائه وهو عند اليهود مزار مقدس حتى اليوم، غير أننا لا نعلم مصيره بعد سنة ١٩٤٨، ومع الزمن ولاسيما فى عصور الدولة العربية الإسلامية، رتع اليهود فى ظل وارف من الأمن والدعة، مما لم يتذوقوه فى سالف أيامهم، فبنوا القباب على القبر، بعد ألف سنة من عصر حزقيال، وظلت الأساطير فى أثره، ومن هذا أنه كان فوق القبر قنديل يبقى مضاء ليل نهار وأن حزقيال أول من أضاءه فلم ينطفئ بعد. قلنا: ولكنه انطفأ ولا مرد. وجعلوا له المواسم والأعياد، والزيارات والنذور.

فحزقيال، بلغة الواقع المجرد، عارياً من الأساطير هو منظم حال الجالية اليهودية

فى السبى، المهئ للجيل الجديد العودة إلى أورشليم، وسنرى كيف أن الخيوط اليهودية التى غزلها هو وأنداده من الأنبياء فى أثناء السبى قد اثمرت التلمود، ومن التلمود انبثق «منهج حكماء صهيون» ويستطيع القارئ أن يدرك الآن ما أشبه مخطط حزقيال بمخطط «أحدها عام» المترجم فيما سبق.

وحزقيال أحد «الأنبياء الكبار» عند بنى إسرائيل، وغير حزقيال من «الكبار»، هوشع وعاموس وميخا، وارميا واشعيا ودانيال. وايليا (الياس) من أول الكبار، وإنما المراد بالكبار لا جميع الأنبياء بل الذين دونت نبواتهم ثم جمعت فى «العهد القديم» اسفار معلومة. وايليا، لا سفر له فى التوراة لأن نبوته لم تدون بل تتوقلت بالرواية التى غمرتها الأساطير.

***

٢ ـ عزرا الكاتب أو عزرا الكاهن (هو فى القرآن الكريم عزير)

هو أحد الذين مثلوا فى السبى ذلك الدور الخطير المتعلق بالعودة، ومما اجملناه فى إيجازنا الكلام على حزقيال. ونرى الآن أن الدور الذى أتقن عزرا القيام به، ارتفع بصاحبه إلى ذروة الذرى حتى قالوا فيه إن الله إذا كان لم يعط الألواح إلى موسى فما أحرى أن يعطيها إلى عزرا. بعبارة أخرى، أن اليهود وهم فى السبى كأنهم قد خلقوا مرة أخرى. وعزرا من أبطال «الرواية» ابتداء واختتاماً. وأما الحياة الخاصة لعزرا، فلا نعلم عنها شيئاً إلا ما نسجته الأساطير اللاحقة. وهو عاش حياة طويلة، وأما أين مات فأمر مجهول، لذلك ضاع قبره بين أن يكون فى العراق أو فى فلسطين.

صفوة عمله:

١ ـ أنه قد وصف فى التوراة (سفر عزرا ٧: ٣) بهذه العبارة: «عزرا هذا صعد من بابل (إلى أورشليم) وهو كاتب ماهر فى شريعة موسى».

ويفسر اليهود الكتابة هنا بمعنى القدرة الكتابية، لا النسخ وتعاطيه صناعة. لذلك لقب عندهم بعزرا الكاتب أو عزرا الكاهن.

٢ ـ لما صنع دوره على ما نرى الآن، غالى فيه قومه غلواً عظيماً ومما قالوا فيه: «عزرا أوجد حل البقاء لاسرائيل فهو من إسرائيل عن طريق التلمود، كموسى عن طريق التوراة. وكما أن موسى خلق أمة من العبودية، كذلك خلق عزرا أمة من السبى، وكان

حرياً بأن يعطى الله التوراة على يد عزرا لو لم يعطها على يد موسى[١]». وهذا القول يعزى إلى مجلس «السنهدرين»[٢].

وهؤلاء الغلاة من اليهود، والغلو عندهم صناعة تستغل ومنها فائدة لهم، هم الذين أحفادهم قالوا بعد اليوم بنحو ١١ قرناً فى موسى بن ميمون: «من موسى إلى موسى لم يقم مثل موسى»[٣] وقال الفيلسوف القبالى اليهودى موسى مندلسون، وكان مقربا من فردريك الكبير على نحو موسى بن ميمون من صلاح الدين، يصف بقاء الروح اليهودية رغم صروف الزمن: «أيها الموت! إنك قطعت الشجرة وأبقيت ثمرها فلم تقض عليها كلها بل على بعضها. وحكمته منقوشة فى الصحف والألواح، ولايزال يناقش أحباءه فى كلماتها ومعانيها وعلومها، لكنه لا يناقش بالشفاه واللحم والغبار والرماد، ولا بالكلمات والأموات، بل بالروح فقط».

٣ ـ وذهب فريق عظيم من اليهود فى تعظيمه إلى حد تأليهه. وبسبب هذا، جاء ذكره

---

(١) المقدمة من كتاب «التلمود» بالانكليزية Everyman's Talmud لمؤلفه أ. كوهين.

(٢) السنهدرين مجلس علماء اليهود الأعلى وظهر هذا المجلس بعد الرجوع من السبى، وهو راشح من تعاليم حزقيال وعزرا ودانيال واستير ومردخاى، أو هو الروح اليهودية فى السبى، ثم تجسدت وتجسمت فى أورشليم بعد العودة. ظاهره هيئة علماء وباطنه مجهول حتى لعامة اليهود ولما جاء الرومان لم يعارضوا به بل أبقوه وجعلوا أمرهم منه على حذر وسلطته دينية فى الظاهر وله سلطة جزائية قضائية إلى حد ما. كان مؤلفاً من ٧٠ عضواً. بعد خراب القدس انتقل إلى طبريا فى القرن الأول. ثم كافحته دولة الروم الشرقية بدورها. فصار يظهر ويختفى، ثم انقلب إلى مستودعات الأسرار اليهودية، وهو ينبوع جرت مياهه إلى التلمود. فالسنهدرين، وأصل الكلمة يونانى لا عبرانى، من الروافد التى تصب فى التلمود، وهو أسبق وجوداً من التلمود بقرنين إلى ثلاثة. وقد مر ذكره فى هذا الجزء فى باب «التوراة وأسفار العهد القديم».

(٣) موسى بن ميمون وكنيته أبو عمران، طبيب فى الصناعة وفى الفلسفة أحد تلامذة الفيلسوف العربى ابن رشد فى الأندلس. وموسى بن ميمون معروف عند العرب من هذه الناحية، فهو من اليهود الذين ظهروا فى حمى الدولة العربية الأندلسية. وكان مقامه قرطبة، فلما وقعت أحداث انتقال من دولة عربية إلى دولة عربية أخرى، فارق قرطبة وجاء أولاً المغرب ثم انتهت به الرحلة إلى مصر أيام السلطان صلاح الدين الأيوبى، ولقى موسى بن ميمون كل نعمة من صلاح الدين، فاتخذه طبيبه الخاص. والناحية الفكرية الأدبية الفلسفية الظاهرة، هى الناحية التى يعرف بها العرب موسى بن ميمون. غير أن موسى بن ميمون كان «قبالياً» تلمودياً مغالياً، فهو حلقة من السلسلة التى نتناولها فى هذا الكتاب بإيجاز لنصل بكل هذا إلى أن غاية الغايات فى النهاية كان وضع «بروتوكولات حكماء صهيون» أواخر القرن قبل الماضى. ومدار هذا الكتاب الكشف عن الحقائق الرهيبة التى تنطوى عليها البروتوكولات. موسى بن ميمون هو صاحب كتاب «دلالة الحائرين» وضعه بالعبرية وانتحى فيه منتحى قبالياً فاستخدم الحروف العبرية ليخفى ما يود إخفاءه، فيطلع على ذلك بنو قومه لا غيرهم من المسلمين والنصارى. ومرمى «دلالة الحائرين» من الناحية الفلسفية، أن لا تناقض بين العقل والوحى، أو بين ارسطو والتوراة. وقد يكون موسى بن ميمون، وهو قبالى من الغلاة، أنه سار فى الكتابة العربية بحروف عبرية على منهج استطاع به أن يقول لقومه اليهود ما لم يشأ قوله للقارئ العربى. غير أن كل هذه الأمور من القبالة وحكماء صهيون لم يكن العرب يحفلون بها فى الماضى.

فى القرآن الكريم بالاستنكار: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾(١). وقال الزمخشرى فى تفسيره فى «الكشاف» إن القول بتأليه عزير هو قول ناس من اليهود كانوا بالمدينة وما هو بقول كلهم، وذكر بعضهم كلام ابن مشكم، ونعمان بن أوفى وشاش بن قيس ومالك بن الصيف. فهؤلاء اليهود فى المدينة المنورة فى أوائل القرن السابع كانوا قائمين بالتعاليم التى وضعها عزير، وكان قد مضى على موته نحو من ألف سنة. فتأمل قوة الانسياب فى الخلق اليهودى عبر التاريخ.

٤ - لم يخف على اليهود، بعد أن حلت بهم الجائحة وأمسوا فى السبى فى بابل، وهم الآن البقية الباقية، سبطان ونصف السبط من الاثنى عشر سبطاً، أن يفنوا ويضمحلوا كما فنيت واضمحلت الأسباط السابقة قبل الآن بنحو ١٣٦ سنة وتلك التى ذهبت هى مملكة السامرة على يد سرجون الأشورى فى الشمال، وهذه التى محقها نبوخذناصر وسبا أهلها إلى العراق هى المسماة بمملكة يهوذا، وقاعدتها أورشليم. قلنا إن هذا الخطر المحتمل، لم يخف تصوره على قادة اليهود فى السبى البابلى، وفى سبى مملكة إسرائيل قبل ١٣٦ سنة كان عدد اليهود الذين استاقهم سرجون إلى اشور ثم ابتلعتهم الدواهى ٢٧,٢٩٠ نفساً كما تقول «موسوعة تاريخ العالم»، فما أهون أن يلحق بأثرهم المسبيون الجدد وهم أقل من أولئك، ومدة ١٣٦ سنة، المدة الفاصلة بين السبيين، ليست بالطويلة، بل هى مدى حياة أحد المعمرين فى كل عصر، على ما هو المشاهد. فجعل قادة اليهود يتفكرون، وكان عزرا أحد هؤلاء الذين رأوا وجوب المحافظة على «العشرة الشريرة» التى هكذا وصفها نبيهم الصادق أرميا. فمثل عزرا دوره وكان دوراً عظيماً.

٥ - كان سند اليهود فى أورشليم: الدين والهيكل، والأول يمارس بطقوسه المختلفة فى الثانى. أما الآن فهم فى سبى بابل، والهيكل حوله نبوخذناصر إلى خرائب عفنة. فلم يبق إلا إحياء التوراة والتمسك بها وهذا ما نهض به عزرا ووفق فيه ومن هنا رفعوه إلى مقام الألوهية وقالوا إن التوراة لو لم تنزل على موسى لنزلت عليه.

٦ - كانت لدى اليهود حتى يوم السبى النبوخذناصرى، بعض كتابات أنبيائهم وصحف الزبور، فجعل عزرا يجمع هذا ويحول التراث المتناقل عندهم بالروايات التى دائماً تقبل المزيد والنقص، إلى مجموعات مدونة، وينظم ذلك ويقول لهم: أن رمتم العودة إلى أورشليم فاعتصموا بالتوراة، وهذه هى توراتكم.

٧ - ينسب إلى عزرا إنشاء «الكنيس»، وهذا بدأوه فى بابل. وهذا ما صنعه عزرا.

---

(١) سورة التوبة: ٣٠.

٨ ـ صارت الدروس والعظات تعطى فى الكنيس. ومن الكنيس انبثق السنهدرين بعد العودة.

٩ ـ وعلى الجملة يصور هذا كله هكذا:

فى أورشليم حتى السبى البابلى: الدين أو التوراة فى الهيكل.

فى بابل: ١ ـ جمع الأسفار ولم تكن مجموعة من قبل، وجمع التقاليد الشفوية.

٢ ـ تهيئة الجيل الجديد للعودة. فى أورشليم:

٣ ـ العودة على نوبتين الأولى بقيادة زربابل والثانية بقيادة عزرا.

٤ ـ بعد العودة، الكنيس إلى جانب الهيكل.

٥ ـ وسيطرت على الجماعة هيئة عليا أو مجلس أعلى اسمه السنهدرين والسنهدرين مستودع أسرار.

٦ ـ قبل المسيح بنحو قرن كان الجو قد تهيأ لدفق جديد فظهرت طلائع ما عرف بعدئذ بالتلمود وهو كما زعموا الشريعة الشفوية التى تركها موسى إلى جانب التوراة. ومن التلمود القبالة ومن القبالة حكماء صهيون.

١٠ ـ ورأى عزرا أن اختلاط اليهود بغيرهم من الأقوام فى السبى مدعاة إلى توهين الروح اليهودية ورابطتها، وهذا التوهين يفل من العزم على العودة، فحرم عليهم الاختلاط بسواهم فى زواج أو قربى أو مصاهرة، ودعاهم للتسمى بأسماء كلدانية مع الاحتفاظ بأسمائهم العبرية. على نحو ما رأينا فى قصة استير، فهذا هو اسمها الفارسى أو الكلدانى، أما اسمها فى العبرية فهو «هدسّة» أى الكوكب أو النجم.

١١ ـ أمّا شريعة موسى، فبعد ظهور التلمود الممثل للشريعة الشفوية، أصبحت أثراً مقدساً لا أكثر، وسارت الغرائب والخيال القبالى بالتلمود إلى أقصى الحدود. فانهم إذا كانوا إلى أيام مؤرخهم يوسيفوس[1] لا يجرأون على تغيير التوراة التى كانت بأيديهم، إلا ما نالوه بالتحريف، ففى التلمود وجدوا أوسع مجال وأخصب ترية، والسند هنا لا كتابى بل رواية معزوة عزواً، ولما شرعوا فى هذا كان قد انقضى على وفاة موسى لا أقل من ١٢ قرناً، فتأمل وقال لهم عزرا: لا سبيل لكم إلى العودة إلا إذا تمسكتم بشريعتكم وتراثكم وتقاليدكم وكل ما يتألف منه ماضيكم، ولو تعرضتم للمهالك والنار والعذاب. وراحت هذه الروح تمتلج فى صدورهم حتى اليوم. وانظر فى قول كاتبهم الروائى «زنكويل» رفيق هرتزل ثم افترق عنه سنة ١٩٠٣:

---

(١) يوسيفوس المؤرخ كتب له أن يشهد تخريب الرومان لأورشليم والهيكل نحو سنة ٧٠ ب.م وهو أرّخ هذا التخريب، وكتب تاريخه مشهور وهو يقول أن التوراة إلى زمنه كانت ٢٢ سفراً لا أكثر، وفى عصر يوسيفوس من بدئ بوضع نسج التلمود ومات يوسيفوس سنة ١٠٠ ب.م وعاش نحو ٦٣ سنة وقد مرّ ذكره .

«إن التاريخ، وهو فى معظمه ذوبان الاقليات فى الأكثريات، لم يسجل بين دفتيه أن شعباً ما، كتب له البقاء بعد أن غمرته النكبات، إلا إذا كان طريق بقائه واحداً من اثنين: فإما التحصن بمكان حريز من الأرض وإما الاعتصام بدين فى الصدور يستبرد فى سبيل الحفاظ عليه لهب النار».

١٢ ـ وقال عزرا بضرورة الدين اليهودى لا لكى يتميزوا به دائماً عن الوثنيين وكفى، بل لكى يذكرهم بأنهم ينتمون إلى عرق يهودى ودين يهودى. فصارت حياة اليهودى فى السبى تتطبع بالطوابع اليهودية «العزراوية»، وكان عزرا دقيقاً فى اتباع السنن اليهودية وتطبيقها فى بيته ليكون قدوة للآخرين، أو ليجعل من مسلكه ونظام معيشته مسمياً يتسمى به كل يهودى فى السبى.

١٣ ـ بهذه الطرائق صارت التوراة بعدئذ بنوعيها: المكتوب المدون والشفوى المتناقل، تتسلط على يهود السبى. والشفوى المتناقل تهيأ ليكون أساس المادة التلمودية.

١٤ ـ جاء فى سفر عزرا (ص ٧: ١٠): «لأن عزرا هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها، وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء» ولكى تمهد الطريق من الآن فصاعدا للربيين حتى يجمحوا مع الغلو وشارد الخيال فقد قالوا: تلقى موسى التوراة فى سيناء، وأعطاها إلى يشوع، ويشوع أعطاها إلى الشيوخ (وهم الذين يطلق عليهم فى التوراة اسم «القضاة»[1]) ومدتهم نحو ٤٠٠ سنة والشيوخ أعطوها إلى الأنبياء، والأنبياء أعطوها إلى رجال الكنيس ومن الكنيس جاء السنهدرين وقد مر الكلام عليه.

١٥ ـ لما تغلبت دولة الفرس على دولة الكلدان البابلية التى منها نبوخذ ناصر، كان اليهود قد لاذو بكل مكيدة ليكونوا عيون الفرس على الكلدان، كشأنهم المعهود فيهم فى كل دور يقع فيه انتقال الأمر والسلطان من دولة إلى دولة، فإذا كانوا من رعية الدولة التى ستزول، انبعثوا بطرائقهم ووسائل نسائهم فى التقرب من الدولة المتوقع لها الغلبة فيكونوا أعوانها وعيونها ومن آلاتها فى ضرب الدولة التى هم من رعاياها، وهكذا فعلوا مع الفرس، ثم بعد زهاء قرنين رأوا الإسكندر فراحوا يتقربون منه قبل وصوله إلى بيت المقدس، ثم رأوا خلفاء الإسكندر والرومان وجميع هؤلاء كانوا يقتلون اليهود قتل الأفاعى، ولما فتح العرب جوانب العالم ومراكز حضارته القديمة وأفريقيا والأندلس، كان اليهود يجرون فى تقديم عون العيون إلى العرب الفاتحين ولا سيما عند فتح اسبانيا على نحو ما صنعوا مع الفرس لما غزا هؤلاء بابل. وآخر ما شهد العالم من هذه الجبلة اليهودية فى العصر الحديث انبثاثهم فى أجهزة الدولة العثمانية لما آنسوا أنها تتداعى للتفكك، وأمسكوا الخيوط مع رجال الدولة نفسها، ومع ألمانيا على يد الامبراطور غليوم، ومع بريطانيا، حتى إذا وجدوا رياحهم تهب مع الغالب تعلقوا به. ولما توغلوا فى أجهزة الدولة العثمانية كان حكماء صهيون، قد نظموا أوضاعهم الحديثة

(١) القضاة أو الشيوخ خمسة عشر عهدهم بعد عهد يشوع ويشوع بعد موسى منهم شمشون وآخرهم صموئيل النبى الذى على يده انشئت الملكية وبدأت بشاول ثم داود ثم سليمان ثم انقسمت المملكة إلى «يهوذا» و«إسرائيل».

على دستور «البروتوكولات» ليغزوا فلسطين عند أول ضربة قاصمة تحل بالدولة.

١٦ ـ وفى أورشليم جمعهم عزرا فى الهيكل الذى ما جدد بناؤه على يد الفرس إلا ليخرّب بعد عدة قرون على يد الرومان، وقرأ عزرا على الجميع أسفار الشريعة التى جمعها فى العراق، وأخذ عليهم العهد إلا يختلطوا بسواهم. قيل أنه عاش ١٢٠ سنة، واختلف فى مكان مماته. وسفره فى التوراة (مع سفر نحميا واستير) آخر الكتب التاريخية المتعلقة بالعهد القديم ومن الغلو فيه فقد نسبوا إليه إنه هو مجدد عسقلان فى فلسطين، وعسقلان كانت تعرف أيام عزرا «بنى براق» وتجديد عسقلان على يد عزرا من الأسطورة والخيال.

* * *

(٣) نحميا

هو من الأنبياء الكبار كما تقدم. أبوه اسمه حلقيا ونحميا وعزرا فرسا رهان فى حلبة العودة، وإعادة بناء الهيكل مع أسوار المدينة، وبوتقة اليهود فى قالب انتهى إلى الصيغة التلمودية فيما بعد. ولا يعرف ما صنعه الواحد منهما إلا بمعرفة ما صنعه الآخر أيضاً، لأن أوضاع اليهود لا يصح الحكم عليها من ظواهرها، فهى ذات ناحية باطنية مستورة. كما أن حزقيال ودانيال ومردخاى واستير نراهم جميعاً يقومون بأدوارهم فى بلاط ملوك الفرس بعد ذهاب الدولة البابلية، كذلك نرى هذين الاثنين، عزرا ونحميا، كتوأمين برأس واحد، فى أورشليم، ثم التردد بين أورشليم والعراق لمتابعة المهمة، وهى أن يعود أهل السبى إلى أورشليم. وقد علمنا ما صنعه نحميا، وهما فى سبيل واحد، وجميعهم فى بابل وأورشليم أشبه بالجذوع تمتص من البذور، وإذا كانت الجذوع مرئية فوق الأرض، فالجذور الممدّة بالغذاء مخفية تحت الأرض فى طبقات التربة. وفى التوراة سفر نحميا يرد بعد سفر عزرا مباشرة، وقيل إن هذين السفرين كانا بالأصل واحداً، وبعدهما سفر استير.

وسفر نحميا أخباره بعد التمحيص ذات قيمة كبيرة إذ تمكننا من أن نقف على كيفية العودة، وهى الرواية ذات الحلقات المترابطة، فبوقوفنا على أخبار عزرا ونحميا، نستطيع أن نخرج بصورة مجملة لهذه المرحلة من تاريخ اليهود، وهذه المرحلة اشتملت على منابت التلمود وجرثومة القبالة. أما من وجهة النظر العربية فعلى قدر ما نحن به معنيون فى هذا الكتاب المتعلق بكشف الستار عن مخطط حكماء صهيون فإننا نرى فى سفر نحميا خبر المقاومة العنيفة التى قام بها سنبلاط الحوروني[١]، وطوبيا العبد العمونى، وجشم العربى، لمنع نحميا

(١) هو زعيم اليهود السامريين الذين انشقوا عن يهوذا وبنيامين ورفضوا كل ما زيد فى التوراة على الكتب الخمسة لموسى أو المنسوبة إليه وبقيتهم فى نابلس إلى هذا اليوم يوم تأليف الكتاب وهم حوالى ١٥٠ نفساً.

من إعادة بناء الهيكل والسور وسيأتى الكلام على ذلك فى محله من هذا الكتاب.

١ ـ أول ما يعلمنا به نحميا أنه كان ساقياً للملك ارتحششتا الفارسى، وهذا منصب رفيع، وهو أحد المناصب العديدة التى وصل إليها اليهود فى البلاط الفارسى فى مدة قليلة، وهذا مما يسترعى الانتباه، ووثبات اليهود، وهم غرباء، إلى أعلى مناصب الدولة، لم يكن شيئاً عارضاً عابراً، ولا وليد المصادفات، بل نتيجة مخطط محكم: أن يحفظوا سلامتهم وكيانهم فلا ينقرضون كما انقرضت الأسباط السابقة فى السبى الأول للمملكة الشمالية، إسرائيل. وبين السبيين ١٣٥[١] سنة.

٢ ـ وبينما يقوم نحميا بعمله فى بابل، جاءه جماعة من إخوانه قادمين من أورشليم فسألهم عن حالهم وحال إخوانهم فقالوا إنها غاية فى البؤس والشقاء، وظاهر أن هؤلاء الجماعة هم من ضعفة اليهود الذين تخلفوا فى المدينة وبعض القرى. فارتمض نحميا، وراح يبكى ويصلى ويصوم، وخاطب ربه «اذكر الكلام الذى أمرت به موسى عبدك قائلاً إن خنتم فإنى أفرقكم فى الشعوب، وإن رجعتم إلى وحفظتم وصاياى وعملتوها، إن كان المنفيون منكم فى أقصاء السموات فمن هناك أجمعهم وآتى بهم إلى المكان الذى اخترت لإسكان اسمى فيه» (سفر نحميا الإصحاح الأول).

٣ ـ وبعد مدة قليلة، أسابيع أو أشهر، كان نحميا يسقى الملك وهو أى نحميا مكمد الوجه خلافاً لعادته، فسأله الملك فقال: «ليحمى الملك إلى الأبد، كيف لا يكمد وجهى والمدينة بيت مقابر آبائى خراب، ولبوابها قد أكلتها النار. فقال لى الملك وماذا طالب أنت؟ فصليت إلى إله السماء وقلت للملك إذا سرّ الملك وإذا أحسن عبدك أمامك ترسلنى إلى يهوذا إلى مدينة قبور آبائى فأبنيها، فقال لى الملك والملكة جالسة بجانبه ـ تماماً كما فى قصة هامان واستير واحشويروش ـ إلى متى يكون سفرك ومتى ترجع، فحسن لدى الملك، وأرسلنى، فعينت له زماناً. وقلت للملك أن حسن عند الملك فلتعط لى رسائل إلى ولاة عبر النهر لكى يجيزونى حتى أصل إلى يهوذا، ورسالة إلى آساف حارس فردوس الملك لكى يعطينى أخشاباً لسقف أبواب القصر الذى للبيت ولسور المدينة وللبيت الذى أدخل إليه، فأعطانى الملك حسب يد إلهى الصالحة على (ارميا الإصحاح: ٢).

٤ ـ أليس عجباً أن نحميا ينال طلبته كلها عفواً؟ الإذن بالسفر وتسهيل أسباب السفر، والأخشاب ومواد البناء؟ من كان وراء نحميا؟ أنه قد نال أكثر من ذلك، فلنسمعه يتمم:

---

(١) يقول المؤلف «هالى» صاحب كتاب «التوراة المختصرة المشروحة».

فى ٧٢١ ق. م كان سبى مملكة إسرائيل. فى ٦٠٦ ق. م كان سبى مملكة يهوذا فى ٥٣٦ العودة من السبى.

فأتيت إلى ولاة عبر النهر وأعطيتهم رسائل الملك وأرسل معى الملك رؤساء جيش وفرساناً «المصدر السابق».

٥ ـ ثم ينتقل نحميا فوراً بعد عبارته المتقدمة ليخبرنا بظهور المعارضة له بعيد وصوله إلى أورشليم. وهنا هو اكتفى، أو اكتفى جامع السفر، بمجرد الخبر عن هذه المعارضة. لكننا نسمع تفصيلاً فيما بعد. وجال فى أورشليم الخربة ثلاثة أيام، ومعه حرسه، ويقول إنه لم يطلع أحداً على المخطط الذى فى ذهنه وصدره. جال فى المدينة البالية جولة متنكرة راكباً بهيمته. لم يخبر الولاة عن جولاته هذه، ولا أحداً من اليهود. ثم لما فرغ من جولاته جمع وجوه الحكومة ـ المرزبان فارسى طبعاً، ووجوه اليهود، وبسط لهم غايته، وأبرز لهم الرسائل التى فى جيبه. لكن سرعان ما هبت مقاومة سنبلاط، وطوبيا العبد العمونى، وجشم العربى، وهذه كلمات نحميا: ـ

«هزأوا بنا واحتقرونا، وقالوا ما هذا الأمر الذى أنتم عاملون؟ أعلى الملك تتمردون؟ «المصدر السابق».

٦ ـ ثم يذكر لنا كيف اشترك اليهود فى عمل البناء، فيذكر نوع العمل ومقداره وأسماء من قام بذلك. وتم ارتفاع السور إلى نصفه.

٧ ـ ثم يعود نحميا إلى ذكر المقاومة وقد بلغت أشدها، فتكلم سنبلاط أمام إخوته وجيش السامرة وقال: «ماذا يعمل اليهود الضعفاء؟ هل يتركونهم؟ هل يذبحون؟ هل يكملون فى يوم؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهى محروقة؟ (نحميا الإصحاح ٤) وقال نحميا «وكان طوبيا العمونى بجانبه فقال أن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم «المصدر نفسه».

٨ ـ ثم استمر نحميا يخبرنا عن حركة المقاومة وقد انضم إليها آخرون فقال: «ولما سمع سنبلاط وطوبيا والعرب والعمونيون والأشدوديون أن أسوار أورشليم قد رفعت والثغر ابتدأت تسد، غضبوا جداً وتآمروا جميعهم معاً أن يأتوا ويحاربون أورشليم ويعملوا بها ضرراً». ولما علم نحميا بالاستنفار تهيأ هو واستعد. السحر والقوة فى الرسائل التى حملها فى جيبه من ارتحششتا. «كقصاصة» وعد بلفور. ثم قال نحميا إن الأعداء لما بلغهم استعدادنا توقفوا عن الهجوم.

٩ ـ وكانت المجاعة قد أيبست عروق اليهود، وأكل بعضهم بعضاً بالربا. يتداينون ليقتاتوا بالضرورة. بناتهم عبدات. رجالهم عبيد. فحثهم نحمياً على إسقاط الربا ليعيشوا. وأسعفهم بالقمح والزيت. وجمع الكهنة واستحلفهم أن يسهروا على هذا.

١٠ ـ وهنا السر: أن نحميا لما جاء من بلاط ارتحششتا ليبنى مدينة قبور أجداده، ويقوى الضعفة، كانت له صفة الوالى الرسمى من قبل الملك، هو الآن يمثل الملك ارتحششتا، تماماً كما جاء هربرت صموئيل اليهودى الصهيونى المندوب السامى الأول على فلسطين أول

تموز ١٩٢٠ إلى بيت المقدس! ممثلاً «لصاحب الجلالة البريطانية»، هذا في الظاهر، وفي الواقع كان من ورائه «حكماء صهيون» الذين بقوتهم الخفية نالوا وعد بلفور كما شاءوا وخططوا، وشاءوا أيضاً في الوقت نفسه أن يختاروا هربرت صموئيل ليكون «أمير إسرائيل الأول».

١١ ـ إن السنة التي جاء فيها نحميا بهذه المهمة، كانت، كما يقول بعض الكتاب سنة ٤٤٥ ق. م. وبقي والياً على اليهودية ١٢ سنة، وعاد إلى بابل سنة ٤٣٣ ق. م. وبعد مئة سنة تقريباً ظهر الإسكندر فتغيرت الدواليب كلها في الشرق الأوسط كله.

١٢ ـ وكانت مائدة نحميا، كما يقول هو في سفره، أو كما يقال في سفره عن لسانه، يجلس إليها مئة وخمسون من الولاة وأفراد اليهود فضلاً عن الطارئين: «وكان ما يعمل ليوم واحد، ثوراً وستة خراف مختارة» أما طعام نحميا خاصة: فقال: «وكان يعمل لي طيور، وفي كل عشرة أيام كل نوع من الخمر بكثرة».

١٣ ـ ثم عاد نحميا إلى ذكر المقاومة «سنبلاط وطوبيا وجشم العربي وبقية أعدائنا». ولما لم يبق إلا مصاريع الأبواب أرسل إلى سنبلاط وجشم قائلين: «هلم نجتمع معاً في القرى في بقعة أونو(١). وكانا يفكران أن يعملا بي شراً، فأرسلت إليهما رسلاً قائلاً إني أنا عامل عملاً عظيماً فلا أقدر أن أنزل... وأرسلا إلي بمثل هذا الكلام أربع مرات، وجاوبتهما بمثل هذا الجواب. فأرسل إلي سنبلاط بمثل هذا الكلام مرة خامسة مع غلامه برسالة منشورة بيده مكتوب فيها: قد سمع بين الأمم، وجشم يقول، إنك أنت واليهود تفكرون أن تتمردوا، لذلك أنت تبني السور لتكون لهم ملكاً حسب هذه الأمور. وقد أقمت أيضاً أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك. والآن يخبر الملك (ملك فارس) بهذا الكلام. فهلم الآن نتشاور معاً فأرسلت إليه لا يكون مثل هذا الكلام الذي تقوله أنت، بل إنما أنت مختلقه من قلبك».

١٤ ـ أن قول سنبلاط زعيم السامريين من أن نحميا أقام أيضاً أنبياء لينادوا به في أورشليم، يفيد بوضوح نوع هؤلاء الأنبياء الذين هم أشبه بالأنصار الذين في مواسم الإنتخابات النيابية في أيامنا هذه يروجون بالدعاية في الشعب أمر فلان، فهم أدوات للاستغلال السياسي.

١٥ ـ وبلغ نحميا عن لسان نوعديه «النبيّة» أنه سيقتل وقال أن شمعيا بن دلايا مستأجر من قبل سنبلاط وطوبيا وهذا حرك النبيّة. فانظر وظيفة هذه النبية ومهمتها (راجع الفقرة السابقة).

١٦ ـ ثم رأى نحميا أن يحصي العائدين من السبي، سبي نبوخذناصر، وعادوا في القافلة الأولى مع زربابل وفي القافلة الثانية مع عزرا، فكانوا، حسب أرقام التوراة، أربع مئة ألف بل أكثر قليلاً. وعلى ذكر أرقام التوراة في التعداد والإحصاء نقول إن داود بوقته أراد إجراء إحصاء عام فكان في إسرائيل الشمال التسعة الأسباط ونصف السبط فكان عدهم

---

(١) اسم قرية لاتزال إلى اليوم في قضاء الرملة واسمها «كفرعانة».

٨٠٠ ألف وفى يهوذا الجنوب السبطان ونصف السبط فكان عدّهم ٥٠٠ ألف (٢ صموئيل ٢٤: ٩) ويقى فى العراق عدد ضخم من أهل السبى لم يعودوا إلى أورشليم، وشأن هؤلاء فى إيثارهم نعمة البقاء فى العراق، كشأن يهود أميركا وغربى أوروبا اليوم، وموقفهم من الانتقال إلى إسرائيل، فهؤلاء وهم من حيث العدد الكثرة البالغة من اليهود جميعاً لا يتركون مواطنهم الأميركية الأوروبية ويأتون إلى إسرائيل، وإنهم لن يأتوا، ولن تستطيع إسرائيل بعد اليوم تحقيق أسطورة جلب الملايين.

١٧ ـ واجتمعوا فى الساحة، نحميا الوالى (المندوب السامى) ولقبه الرسمى الترشاتا، وعزرا الكاتب الكاهن، والكهنة، والشعب، ووضع منبر لعزرا فارتقاه وقرأ عليهم ما قرأ، وأخذ عليهم العهد (كما جاء فى الكلام على عزرا وقد تقدم).

١٨ ـ وطلب عزرا أن ينفصل اليهود عن الأمم، وإن تفسخ الزيجات، وخطب خطبة تاريخية من أول قصة إبراهيم ذلك اليوم. «وعصوا وتمردوا عليك، وطرحوا شريعتك وراء ظهورهم، وقتلوا أنبياءك الذين اشهدوا عليهم ليردوا إليك وعملوا اهانة عظيمة».

١٩ ـ وطلب عزرا الا يعمل شئ فى البيت، ورأى فى السوق معاملات أخذ وعطاء فأبطلها.

٢٠ ـ وأسكن العشر من الجماعة فى أورشليم والتسعة الأعشار الأخرى خارج المدينة فى القرى والأرياف.

٢١ ـ وانتهى العمل فى ترميم السور فى ٥٢ يوماً آخرها ٢٥ أيلول. (نحميا ٦).

٢٢ ـ والتشديد فى الانفصال عن سائر الأقوام المجاورة جاء فى ختام ما صنعه نحميا، وتناول هذا التشديد العمونيين والمؤابيين فى شرق الأردن، ومع فسخ الزيجات تمت حلقة الانفصال. ووجد أن نساء أشدوديات (أشدود من المدن الخمس التى أنشأها الفلسطينيون فى جنوبى فلسطين، وعجز بنو إسرائيل عن أخذها، واليوم هى قرية بين يافا وغزة، والشين تحولت إلى سين فيقال أسدود أو سدود) وعمونيات ومؤابيات رجالهم يهود لا يتقنون العبرية، فخاصمهم نحميا ولعنهم وجلد بعضهم ونتف شعورهم، وقال لقومه: إن سليمان ما جره إلى الخطيئة إلا تزوجه النساء الأجنبيات، فهل نسمح لكم ونسكت أن تعملوا هذا الشر العظيم؟ (سفر نحميا وعزرا).

٢٣ ـ إلى هنا انتهى الخبر المأخوذ من سفر نحميا لكننا نعلم من مواضع أخرى أن نحميا بعد أن قضى فى المرزبانية ـ الولاية ـ ١٢ سنة عاد إلى بابل، وفى غيابه عاد اليهود فانتكسوا وارتكسوا، فرجع نحميا إلى أورشليم ومكث هذه المرة ١٤ سنة. ويقال إنه عاد إلى بابل سنة ٤١٣، قبل ظهور الإسكندر بثمانين سنة.

٢٤ ـ ولما طلع الإسكندر، طلع على فارس أولاً فمزقها، ولما اتجه إلى فلسطين ودنا من

اورشليم، خرج اليهود بأفخر البستهم يحسنون استقباله، ولما تقاسم خلفاء الإسكندر ملكه، دخلت اورشليم فى عراك رهيب مع السلوقيين فى سوريا، وتتالت الأيام السود على اليهود ٣٠ سنة فظهرت فى اليهود الحركة «المكابية» (١٦٨ ـ ٦٣ ق. م) ثم جاءتهم روما المدرخة (١٦٣ ق. م ـ ٣٩٥ ب. م) ثم دولة الروم الشرقية (٣٩٥ ـ ٦٣٨ ب. م) ثم الفتح العربى ٦٣٨ ب. م.

(٤) دانيال

١ ـ لما سبى دانيال من جملة السبى النبوخذناصرى، كان طفلاً لم يبلغ الخامسة بعد. يقول السفر الذى جمع باسمه أنه هو مع ثلاثة آخرين من أبناء السبى، وقع عليهم الاختيار ليكونوا «الشباب الناضر، مع حكمة ومعرفة» فى قصر الملك نبوخذناصر الكلدانى. وأجريت عليهم الأرزاق من القصر «من طعام الملك ومن خمر شرابه» على أن يربوا هذه التربية مدة ثلاث سنوات ثم بعدها يقفون أمام الملك، إذ يكونون قد تدربوا على كل أمر ورسم وعادة، ولاسيما تعلم اللغة الكلدانية وهى لغة القصر. وتفصيل هذا فى الفصل الأول من السفر. وتمكن اليهود من الوصول إلى القصور صناعة دقيقة أتقنوها من أول الأمر فى تاريخهم كله، ولا فرق بين الزمن القديم والحديث فى اعتمادهم على الصلات الدقيقة التى ينسجون خيوطها فى القصور، وحول القصور، ثم يترتب على هذه الخيوط فيما بعد نتائج كبيرة يرمى إليها اليهود، وعند ذلك تتغير مفترقات طرقهم، فإما أن يفوزوا ويحققوا المراد، وإما أن يخذلوا ولا يلقون إلا الفشل والبوار.

٢ ـ هؤلاء الأربعة من شباب السبى هم دانيال، وحننيا، وميشائيل وعزريا. ويقول السفر أن الملك الكلدانى أمر بهذا على أن يكون الشباب المختارون «من بنى إسرائيل ومن نسل الملك ومن الشرفاء» ـ الترجمة الأميركية ـ أو «من بنى إسرائيل ومن النسل الملكى ومن الأمراء» ـ الترجمة اليسوعية. ويستفاد من السفر أن هذا الاختيار لعدد من الشباب لم يكن مقصوراً على هؤلاء الأربعة من بنى السبى، بل كان هناك آخرون أيضاً غير يهود، يختارون ويخرّجون ليكونوا فى خدمة الملك.

٣ ـ ولعل هذا الأمر فى اختيار عدد من الشباب للخدمة الملكية فى القصر، كانت عادة توافق رغبات الملوك، وفى رعاياهم بضاعات مختلفة من الشبان والشابات. ومثل هذا نرى فى قصة استير، لما أحب احشويروش الفارسى، عملاً بنصيحة الناصحين له، وكان فيهم يهود، أن يتخلى عن زوجته الملكة الجميلة «وشتى»، لأنها لم تنزل على أمره الذى أمرها به، وهو أن تبرز فى أحلى زينتها فى يوم الوليمة الكبرى ليسر الناس باجتلاء محاسنها والنظر إلى فتنة جمالها.

وقال الناصحون للملك إن فى مملكتك التى تنتظم فيها ١٢٧ ولاية فتيات باهرات، فاجمع منهن عدداً ثم سمّن أجسامهن بأطايب الأطعمة مدة من الزمن ثم اختر منهن من تشاء. ومن هنا دخلت استير فى المباراة، وفازت وأصبحت الملكة محل «وشتى» المسكينة.

٤ ـ وقصة دانيال ورفقته الثلاثة لا تعطينا أى تفصيل واف لكيفية وصول دانيال وإخوانه إلى القصر سوى أن اختيارهم كان بأمر الملك، ثم تجرى القصة بعد ذلك مجرى يشبه ما فى قصة استير ونحميا وعزرا. وكان السحر والتنجيم عند الكلدان من أهم وسيلة تفتقها الحيلة أو العقل، للنظر فى الخفايا، وكشف المحجوب، وتفسير الرؤى والأحلام، وكل ما يتصل بهواجس النفس. وما كان عند بنى إسرائيل قبل السبى من جنس هذه الوسيلة التى تشبه السحر والتنجيم، كان شيئاً آخر: الأنبياء على درجاتهم الثلاث ـ الكبار المتصلون بالملوك وتياراتهم، و «الأواسط» وهم الذين يقال للواحد منهم «الرائى»، وهو دون النبى المعترف به، ثم الطبقة الثالثة هم الكذبة وكانوا يعدون بالمئات. والأواسط كانوا آلات الترويج لمآرب أشخاص أو ملوك أو تنفيذ الاتجاهات السياسية أو المختصة بحركة ما يؤازرها نبى أو زعيم. وهؤلاء كما قلنا سابقاً أشبه الناس بالذين نراهم فى يومنا هذا يعملون فى ترويج المرشح للنيابة، فيدعون الناس إليه وإلى انتخابه ويقولون فيه من أقوال الثناء والإطناب ما جاوز الحد. وكل فريق من هؤلاء المروجين فى المضمار، يقابلهم فريق آخر متعلق بمرشح آخر هو ند الأول أو ضده، وكم تصور الحسنات سيئات، والسيئات حسنات فى بعض المنافسة للفوز بصوت «الناخب»! يقابل هؤلاء جميعاً فى بلاط نبوخذناصر ما يطلق عليهم اسم السحرة والمنجمين، وهؤلاء كانوا فى كل قصر وصول ملك. وهم «أجهزة الاعلام» فى أيامنا هذه.

٥ ـ بدأ دانيال أول ما بدأ فى القصر هو ورفقته، أن يظهر «يهوديته» وذلك عن طريق رفض الأطعمة المجراة عليه من القصر. قال السفر: «أما دانيال فجعل فى قلبه ألا يتنجس بأطايب الملك وخمر شرابه» فطلب من رئيس الخصيان أن يعفى هو ورفقته من طعام القصر وشرابه وأن يكون لهم بديل ذلك حبوب القطانى (كالعدس والحمص والماش والفول)، فأجاب رئيس الخصيان أنه يخشى إذا هو لبّى هذا الطلب الا تصح أجسامهم فتغدو «أنحل من الفتيات أترابكم» ـ (الترجمة اليسوعية) أو «أهزل من الفتيات الذين من جيلكم» ـ (الترجمة الأميركية)، فيتعرض رئيس الخصيان لغضب الملك وقد يذهب رأسه. وهذه العبارة بالانكليزية هى:

For why should he (the King) see your faces liking than the children wihch are of your sort.

ويستفاد من هذا كله أن رئيس الخصيان بعبارته هذه يشير إلى «أترابكم» أو إلى «الذين من جيلكم» وهو يعنى آخرين فى القصر هم زملاء وأمثال لدانيال ورفقته قد اختيروا بأمر

الملك - واستطردنا إلى هذا لكى نخلص منه للترجيح أن دانيال مع كونه هو ورفقته من شباب بنى السبى قد اختيروا بأمر الملك، فيبقى هناك - سر كبير من أسرار العمل اليهودى الخفى، وهو استطاعة دانيال ورفقته أن يصلوا إلى القصر. فسبب هذا يبقى غامضاً علينا، وهذا «السر» يبقى من أمضى الأسلحة التى يستخدمها اليهود فى قضاء مآربهم وتنفيذ مخططاتهم التى لها مظاهر وخواف كما هو المشاهد فى كل عصر من عصور تاريخهم. وما الأوضاع الخفية «للقبالة»، فى هذا العصر الذى نعيشه اليوم، سوى امتداد لهذا «السر» الرهيب.

أما وجود شباب آخرين فى القصر «يأكلون من طعام الملك» فهذا واضح من قول دانيال لرئيس الخصيان أن يسمح له بأكل القطانى عشرة أيام ثم ينظر إلى صحة أجسامهم بالمقابلة بينهم وبين «الفتيان يأكلون من طعام الملك» - الترجمة اليسوعية، أو «الفتيان الذين يأكلون من أطايب الملك» - الترجمة الأميركية. فنال دانيال طلبته، واستطاع أن يتميز هو ورفقته الثلاثة عن سواهم فى القصر، وقد تحقق لهم هذا.

٦ - ومر بنا فى الكلام على عزرا، فى الفقرة (١٠) أن عزرا مما دعاهم إليه فى السبى، أن يغيروا أسماءهم العبرية، ويحتفظوا بها، ويتخذوا أسماء كلدانية. ولهم مآرب فى هذا. وهنا نرى تغيير أسماء دانيال ورفقته جرى هكذا، وكما يقول السفر، على يد رئيس الخصيان:

دانيال: صار اسمه بالكلدانية بلطشاصر

حننيا: صار اسمه بالكلدانية شدرخ

مشائيل: صار اسمه بالكلدانية ميشخ

عزريا: صار اسمه بالكلدانية عبد نغو[١]

٧ - ثم تبدأ فصول الرواية العملية من هنا: حلم نبوخذناصر حلماً مخيفاً، فاستدعى المجوس والسحرة والعرافون والكلدانيون ليفسروه له فعجزوا، إذ أراد الملك أن يعرفوا الحلم بعبارته وتعبيره، دون أن يطلعهم على قصة الحلم. وهذا سر من أسرار القصة، إذ لا يعقل أن نبوخذناصر أراد من المنجمين والسحرة ومن فى صفهم، أن يكشفوا له لا عن تأويل الحلم، بل عن صورة الحلم، فكأنه بهذا يطلب منهم الاطلاع على الغيب، والغيب غيب، ماضياً كان أم مستقبلاً. ونرجح أن هذا من خيوط القصة السرية. وجاء دور دانيال فقال له الملك ما قاله

(١) هذا فى الترجمة الأمريكية، أما فى الترجمة اليسوعية فهكذا:

دانيال = بلتصر

حننيا = شدرك

ميشائيل = ميشك

عزريا = عبد نجو

للآخرين، فطلب مهلة يعود بعدها بالتعبير الكافى: فذهب دانيال وأعلم رفقته، فقضوا ليلتهم يتناجون كما يقول السفر، والتنافس بين دولتى اليونان وبابل على أشده، وقراءة ما فى الجو ليس بالأمر المغلق، وقلنا إن أنبياء إسرائيل بالأمس هم الذين يروجون «للسياسة» اليوم. وقد قامت القصور فزخرفتها أعشاش التجسس الخفى.

٨ ـ وجاء دانيال إلى نبوخذناصر وسرد له ما فى جعبته من تفسير مدروس متقن البداية والنهاية، والغاية والمرمى: لباب الحلم: تمثال ضخم رأسه من ذهب، ثم يكون سائر أجزائه من فضة ونحاس وحديد وخزف. ولا عبرة بما يقع للتمثال من مصير، فيتكسر. اختباط الأوضاع السياسية الدولية فى الشرق القريب، فارس واليونان ومصر وبابل، ما عدا الدول الصغرى، اختباط أترع قلب نبوخذناصر بالمخاوف والقلق، فتحرك عقله الباطن. فسر نبوخذناصر من دانيال، وقال السفر إنه سجد لدانيال، وأمر بإكرامه. لكن هناك ما هو أهم من كل هذا: وهو أن دانيال تمكن من أن يجعل نبوخذناصر يعتقد بصحة إله بنى إسرائيل. هنا بيت القصيد كله. وعبارة السفر هى هكذا: «حقاً إن إلهكم إله، ورب الملوك وكاشف الأسرار إذ استطعت على كشف هذا السر» (دانيال الفصل: ٢) وكان نبوخذناصر لما جمع المنجمين وطلب منهم أن يكشفوا له عن صورة الحلم فضلاً عن تأويله، هددهم بالإبادة إذا هم عجزوا عن ذلك. فقالوا له أما أن نستكشف صورة الحلم فهذا لا سبيل لنا إليه فالاطلاع على الغيب لا يكون إلا عند الآلهة، لا عند البشر. وهنا النقطة المركزية فى القصة: فلما علم دانيال بذلك كله، اتصل برئيس شرطة الملك، ارنوخ، وقال له لا يمضى الملك بالإبادة، وهذا الأمر لا يحله إلا رب السماء، فاذهب إلى الملك وقل له إنى أخبره صورة الحلم وتعبيره. فدعاه الملك ثم كانت الأجوبة من دانيال على ما أشبع نفس نبوخذناصر بالعقيدة أن دانيال إنما تلقى ذلك من ربه عن طريق الرؤيا.

٩ ـ صورة الحلم: رأى نبوخذناصر تمثالاً عظيماً هائلاً، رأسه من ذهب جيد، وصدره وذرعاه من فضة، وبطنه وفخذاه من نحاس، وساقاه من حديد وخزف، وإذا بحجر ضخم يقطع من مكانه بغير يد قطعته، وينطلق هذا الحجر نحو التمثال فيصيبه فى قدميه فيسحقهما، وإذا بكل ما هو حديد ونحاس وفضة وخزف وذهب يمسى كعصافة البيدر، وأما الحجر فينقلب جبلاً كبيراً وجعل يضخم حتى شغل الأرض كلها.

تعبيره: ١ ـ نبوخذناصر ملك ملوك، مؤيد من إله السموات.

٢ ـ رأس التمثال الذهب هو نبوخذناصر.

٣ ـ تقوم مملكة أخرى وثالثة من نحاس تتسلط على كل الأرض. ثم تكون مملكة رابعة صلبة كالحديد، ثم مملكة من خزف وهذه تسحق وتفنى.

٤ ـ فى أيام الملوك هؤلاء، يقيم رب السماء مملكة لن تنقرض وتتسلط على الممالك كلها.

وبعد أن وضع دانيال، صاحب الحلم على هذا الصعيد، تركه يهتدى بنفسه إلى المصير الذى يختاره.

١٠ ـ يقول السفر أن نبوخذناصر بعد أن سجد لدانيال، زاد فى إكرامه وسلطه على كل ولايةبابل وجعله رئيس الولاة على جميع حكماء بابل! وطلب دانيال من الملك أن يولى شدرخ وميشخ وعبد نغو على أعمال ولاية بابل، وكان دانيال فى باب الملك وبهذا أصبحت بابل فى قبضة دانيال! وبعد مدة أقبلت الدولة الفارسية فمحت الدولة الكلدانية، وهنا نرى عودة أهل السبى إلى أورشليم قد تمت على يد الدولة الفارسية، فتعلق اليهود بها، وكانت قصة استير.

١١ ـ ثم رأى بلشاصر، بن نبوخذناصر، حلماً غريباً على غرار حلم أبيه من قبل، وعجز العرافون عن تعبيره، فقالت الملكة للملك: عليك بدانيال. فلما حضر قال له الملك: «أأنت هو دانيال من بنى سبى يهوذا الذى جلبه أبى الملك من يهوذا؟ قد سمعت عنك أن فيك روح الآلهة وأن فيك نيرة، وفطنة وحكمة فاضلة».

١٢ ـ غير أن هذا الحلم هذه المرة كان فى اليقظة، وأروع من سابقه: صنع الملك وليمة لعظماء المملكة، «وشرب خمراً قدّام الألف». ولما كان يحتسى كأسه، خطر له أن يحضر آنية الذهب والفضة التى أخرجها نبوخذناصر أبوه من الهيكل، ليشرب بها مع العظماء وزوجاته وسراريه. فأحضرت الآنية وشرب الخمر. وقد رأينا دانيال فى المرة الأولى لا يريد أن يتنجس بتناول طعام القصر الملكى، وكله حتماً أطايب، فآثر أن يعود إلى ما اعتاده من حبوب القطانى، فكيف يطيق الآن أن يرى آنية الذهب المخرجة نهباً من الهيكل، تستعمل فى بابل وتتجس هذا التنجس؟

١٣ ـ ما أبرع هذه المفاجأة! فإذا بأصابع يد إنسان، تمتد وتكتب على الحائط، حائط القصر من داخل، والملك بيلشاصر ينظر طرف اليد الكاتبة. فانحلّ وتقوّض، واصطكت ركبتاه، وصاح يستنجد بالسحرة والمنجمين والعرافين، ولا يُستثنى الكلدانيون، ففشلوا جميعاً وعجزوا وخافوا مصير رؤوسهم. لكن لما جاء دور دانيال، وجاء على الوقت المناسب، «وعده الملك» أنه إن استطاع تفسير هذه الظاهرة الغريبة على الحائط، فما عدا لباس الارجوان وقلادة الذهب، فإنه يصبح ثالث متسلط على المملكة.

وفى المرة الأولى جُعل على مدينة بابل أم الدنيا فى عصرها، وجعل رئيس الحكماء جميعاً!

وفى المرة الثانية الآن، ثالث متسلط على المملكة! وأية مملكة هذه أليست هى بالأمس سبت يهوذا السبى المعلوم؟

١٤ ـ وهذا تفسير الكتابة الكلدانية التى ظهرت على الحائط:

١ - «أعطى الله أباك الملك والعظمة والجلال، يقتل من يشاء ويستحيى من يشاء. فلما قست روحه وتصلب قلبه انحط عن كرسى ملكه، وطُرد من بين الناس، وتساوى قلبه بالحيوان، وساكن الحُمُر الوحشية، حتى علم أن السلطان فى مملكة الناس «لله العلى» (أى إله بنى إسرائيل!)

٢ - وأنت يا بلشاصر ابنه فعلت مثله. بل تعظمت على رب السماء، فأحضرت قدّامك آنية بيته وشربت بها أنت وعظماؤك وزوجاتك وسراريك.

٣ - «فاسمع»! (ثم أورد السفر الكلام الكلدانى ثم تفسيره ونحن نكتفى بتفسيره) «أحصى الله ملكوتك وأنهاه. وُزنتَ بالموازين فوجدتَ ناقصاً قُسِمَتْ مملكتك وأُعطيتْ لمادى وفارس».

١٥ - قال السفر إن فى تلك الليلة قتل بيلشاصر، فأخذ المملكة داريوس المادى (وهو ابن ٦٢ سنة).

١٦ - يقول بعض المؤرخين أنه يحتمل أن يكون اليهود قد أنشأوا العلاقة بينهم وبين داريوس، مطلعينه على أسرار قصر بيلشاصر قبل إخراج الآنية بوقت قليل. وفارس أرجعت اليهود إلى أورشليم بعد أن استولت على بابل.

١٧ - والقصة إلى مزيد: رأى داريوس كما يقول السفر، أن يولى على المملكة ١٢٠ مرزباناً أو والياً، إذ ملكه يمتد من الهند إلى الحبشة. وجعل على هؤلاء المرازبة ثلاثة وزراء مراقبين، وأحد الثلاثة دانيال. ومهمة الوزراء المراقبين ضبط المالية حتى لا يقع على خزانة الملك حيف. أصبح دانيال كأنه روتشيلد. وقال السفر أن دانيال فاق زميليه الوزيرين والمرازبة جميعاً فأمسى الذروة، فنفسوا عليه زيادة الفضل فيه، فراحوا يطلبون علة للإيقاع به وزلزلته فلم يجدوها فى مجال التبعات التى يمارسها فى الإدارة والتدبير وحسن الضبط للأمور. فقالوا نجدها من جهة شريعة إلهه. هنا مشهد يشبه نوعاً ما، ما كان بين هامان ومردخاى من حيث الصراع، فماذا فعلوا؟

١٨ - قالوا لداريوس: عش إلى الأبد أيها الملك! لقد أجمع الوزراء والمرازبة والمشيرون والولاة والشُّحَن، بعد التشاور والمناقشة، على أن يصدر مرسوم ملكى يوجب على كل من يطلب طلبةً حتى ٣٠ يوماً من إله وإنسان إلا منك يكون قد خالف شريعة مادى وفارس، فيجازى بأن يطرح فى جب الأسود. فصدر المرسوم.

١٩ - فلما علم دانيال بإمضاء المرسوم، كما علم مردخاى بتدبير هامان، ذهب إلى بيته، ونوافذ عليته مفتوحة على جهة أورشليم، فصلى ثلاث مرات فى اليوم إلى إلهه، كما كان يفعل من قبل، فاجتمع من الرجال من شاهدوه يصلى صلاته اليهودية المعهودة، فنمى الخبر إلى الملك، فطرح دانيال فى جب الأسود، ووضع حجر على فم الجب، وختم بخاتم الملك، وفى

الصباح ذهب الملك وناداه فوجده حياً، والأسود لم تقترب منه! وقال دانيال: إلهى أرسل ملاكه وسد أفواه الأسود! ففرح الملك، وامر بإخراجه، وأن يؤتى بالرجال الذين اشتكوا على دانيال، فطرحوا هم وأولادهم ونساؤهم فى الجب، فما هووا حتى صاروا فى أشداق الأسود. كمصرع هامان تماماً.

٢٠ ـ جاء الحصيد: ثم كتب داريوس إلى كل الشعوب والأمم فى مملكته، بأن الإله الحى هو إله دانيال، صانع العجائب، وهو الذى نجّى دانيال من جب الأسود. قال السفر بعد هذا: «فنجح دانيال فى ملك داريوس وفى ملك كورش الفارسى».

٢١ ـ وجاء الدور إلى دانيال نفسه، يحلم الاحلام، ويبلغ الملك معناها ومغزاها. وما معناها ومغزاها إلا علو دول وانخفاض دول، وكل حلم من أحلام دانيال يؤلف مسرحية براسها، جميلة، دقيقة، محكمة. ثم تفنن فى الأحلام وصار يكشف الستار عن معان للأرقام الحسابية، وهو الذى أتى بالمعانى «السبعية»، الأسبوع وسبعة أسابيع، وسبعين أسبوعاً. وبنيت على هذه النظرية فيما بعد أشياء ومعتقدات كثيرة عند كثير من الأمم وأصحاب المذاهب. ثم نراه فى أحد مواقفه يستغنى عن الأحلام ويخاطب داريوس بلغة أخرى: خطبة سياسية مكشوفة تتناول إيران والاغريق، وقال إنه إنما فعل ذلك لكى يقوى داريوس ويشدده. ومن جهة أخرى صارت تفسيراته مكشوفة تشبه ما ينشره الفلكيون اليوم فى مطلع العام الجديد، من تنبؤات فى الصحف والمجلات الأسبوعية. والشئ الأخير نستفيده من أقوال دانيال هو أنه فى الاصحاح الثانى عشر فى السفر الذى يحمل اسمه، أطلق دانيال لخياله العنان ووردت عنده هذه العبارة: «وكثيرون من الراقدين فى تراب الأرض، يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية، وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدى». ثم بعد هذه عبارة أخرى هى عند «القبالة» أساس مذهبهم فى رد مادتهم إلى ينبوع قديم: «والفاهمون» «يضيئون» كضياء الجلد، والذين ردوا كثيرين إلى السير كالكواكب إلى أبد الدهور» ومن هاتين الكلمتين «الفاهمون» و «سيضيئون» خرجت بذرة «حكماء صهيون» كما خرجت البذرة الأخرى من عزرا. فيقول «القباليون» إنهم هم المقصودون هنا بالفهم والضياء، وعلى هذا يستقون من عزرا ودانيال! و«القباليون» يقيمون «وزناً كبيراً للرموز والأحلام، وتفسير الأحلام.

أما قبر دانيال فيقال إن التنقيب الأثرى الحديث عثر على مكانه فى خوزستان أو مدينة شوشان.

* * *

القس وليم هشار، كان مدة من الزمن قس السفارة البريطانية فى فيينا، وهذا الحادث جرى هناك سنة ١٨٩٦:

كان القس هشار من معتنقى عقيدة ظهور المسيح على حساب اليهود وطريقتهم، وراح يتوسع فى ذلك وينشر آراءه بمختلف الوسائل حتى صار يعرف معرفة لا بأس بها فى مجتمع فيينا. وسنة ١٨٩١ ألقى محاضرة حول مصر القديمة، ومما ذكره فى محاضرته هذه قوله: «سألنى بعضهم هذا السؤال: هل الآباء الأولون فى العهد القديم عاشوا تلك الأعمار الطويلة، ولكى أتوصل إلى هذا فقد بدأت الحساب منذ الطوفان».

وكان هشلر سنة ١٨٨٤ قبل المحاضرة بسبع سنوات، قد طبع كراساً عنوانه «عودة اليهود إلى فلسطين» وفى ذلك الوقت كان هرتزل فى الرابعة والعشرين، شاباً طويل القامة أنيق المظهر واللباس، صحافياً، قاصًا، فى فيينا، وكانت عقيدته فى حل معضلة اليهود هى «الاندماج» لا الصهيونية.

وسنة ١٨٨٢ نقل هشلر رسالة خاصة من الملكة فكتوريا إلى السلطان عبد الحميد، ولم يذكر مؤلف كتاب «دراسة منقبتين» خريسوفر بن مارك سايكس، ومن كتابه أخذنا هذا، أى مزيد يفيد ماذا كان موضوع الرسالة الخاصة من فكتوريا الامبراطورة إلى عبد الحميد الخليفة وربما احتوت هذه الرسالة رجاءً خاصًا «انسانياً» يتعلّق بالسماح لمنظمة «عشاق صهيون» فى روسيا بالإقامة فى فلسطين، إذ هم فى مثل هذا الوقت (١٨٨١) وكانوا صرعوا القيصر إسكندر الثانى، بدأوا يتوجهون إلى فلسطين.

ثم ننتقل إلى سنة ١٨٩٦ وفى هذه السنة ظهر كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» فاطلع عليه هشلر والتهمه التهاماً، إذ رأى فيه ما يبرد من لواذع أشواقه الروحية اليهودية. فجاء يزور هرتزل فى فيينا فزاره ودار بين الاثنين حديث مسهب لخصه هرتزل بعباراته الموجزة على أسلوبه فى تدوين مذكراته:

١٠ آذار ١٨٩٦

زارنى القس وليم هشلر قس السفارة الانكليزية.

وهو رجل جذاب رقيق العاطفة، يزدان وجهه بلحية خالطها البياض، ويبدو بجملة محياه كأنه أحد الآباء الأقدمين. وهو مهتم بمشروعى المتعلق بحل المعضلة اليهودية. وزيادة على هذا فإنه يرى فى حركتى تحقيقاً للنبوآت، وهو قد سبق له أن أخبر بهذا منذ سنتين. قال إن هناك تنبؤا وقع فى أيام عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ تأويله إنه بعد انقضاء اثنين واربعين اسبوعاً نبوياً (مجموعه ١٢٦٠ سنة) يتمكن اليهود من العودة إلى فلسطين. وبعد تعديل الحساب، على

الطريقة الخاصة. خرجت منه النتيجة وهى أن تكون سنة ١٨٩٥ ـ ١٨٩٨ سنة العودة.

هذا ما قاله المؤلف كريستوفر سايكس من دراسته ومن نقله ما نقل من مذكرات هرتزل.

على أنه فى هذه السنة، عقد المؤتمر الصهيونى العالمى الأول فى سويسرا، وكان هذا تحت هيمنة هرتزل. وفى هذا المؤتمر وضعت فى الصيغة الحديثة «بروتوكولات حكماء صهيون».

***

انتهى خبر دانيال. وحوادث هذا السفر، وإن كانت تعود بالزمن إلى القرن الخامس والسادس ق. م. غير أن التحقيق العلمى الحديث ردّ مسألة جمعها وتدوينها إلى سنة ١٩٠ ق.م لما كان اليهود فى فلسطين تحت ضربات السلوقيين خلفاء الإسكندر. وكثير من أسفار التوراة الملحمية المعنى، إنما وضع فى خلال هذه الفترة، وفترة الحروب المكابية، إذ بعد عودتهم من السبى لم يجدوا راحة إلا نوبات قليلة ثم تنطفئ حتى يعودوا إلى الويل. وهذا السفر لا يخلو من غرابة فى كثير من وقائعه وحوادثه.

بعد السبى
وهم تحت الحكم الفارسى حتى فتح الإسكندر
٥٣٦ ـ ٣٣١ ق. م.

نعيد فى أول هذا الفصل ما قلناه فى أكثر من موضع سابق، من أن اليهود (وقد صار يطلق عليهم اسم اليهود بعد سليمان وانقسام المملكة إلى شطرين: يهوذا ومقرها أورشليم، وإسرائيل ومقرها السامرة فى الشمال على الغالب) لما حلّ بهم السبى الثانى، كان أهل السبى الأول أى سبى إسرائيل الشمالية، قد فنوا واضمحلوا فى أرجاء مملكة أشور وعاصمتها نينوى فى شمال العراق (الموصل). ولما وقع سبى يهوذا بعد قرن وثلث قرن تقريباً، وانتهى أمر اليهود فى فلسطين، إلا بقايا قليلة مؤلفة من المزارعين والضعفة والعجزة، انصرف يهود السبى الثانى بكل قواهم وأساليبهم لكى يتداركوا أمرهم فلا يدركهم من الأسباب ما يقضى بفنائهم، وهم يأخذون العبرة من مصير السبى الأول. أما السبى الأول فبطله سرجون الثانى ملك أشور، وأما السبى الثانى فبطله نبوخذناصر، ثانى ملك فى المملكة البابلية الثانية التى قامت على يد نابوبولاصر فأسقطت دولة نينوى الأشورية وجددت كيان بابل للمرة الثانية.

وبابل مهد الجنس البشرى، وبقيت نحو ألفى سنة وهى سيدة العالم، ثم بعد ذلك عصرٌ امتد نحو ألف سنة كان فيه تجاذب الحبال بين بابل وأشور جارتها الشمالية، ثم كانت بعد ذلك مدة نحو ثلاثة قرون عادت فيها إلى العظمة، وهذه الثلاثمائة سنة تنتهى ٦٠٧ ق. م. إذ قامت بابل فى نهضتها الثانية فقضت على أشور وبدأت بابل تبسط ظلها على معظم العالم حواليها.

هذا الدور الأخير لبابل لم يطل كثيراً، ومن عجيب الاتفاقات التاريخية أن دولة بابل الثانية هذه عاشت ٨٩ سنة تقريباً، ففى بداية أمرها سبت يهوذا، وفى السنة الأولى لاستيلاء فارس عليها، قامت فارس بالسماح لليهود فتقاربت مدة بقاء دولة بابل مع مدة السبى.

وبدأت بابل الثانية، وتسمى الجديدة، على يد نابوبولاصر (٦٢٥ ـ ٦٠٤ ق. م.) فقد ظهر سنة ٦٢٥ وحرر بابل من أشور، ثم قضى على أشور سنة ٦٠٧. وقبل سنتين من هذا الوقت كان ابنه نبوخذناصر قد أصبح القائد الأعلى لجيوش أبيه، وسنة ٦٠٦ أمسى مشاركاً لأبيه فى الملك، وفى هذه السنة نفسها بدأ يدوّخ يهوذا، واستمر يكرر ضرباته لها عشرين سنة، فسباها أربع مرات والمرة الأخيرة كانت سنة ٥٨٦، ويقول المؤرخون أنه كان بوسعه أن يقضى على يهوذا

بصرية واحدة، وجحافله تقتلع الممالك وتجرف جرفاً، غير أنه كان يود أخذ الجزية على أوسع نطاق ممكن قبل أن يخرب ما يريد.

والمرات الأربع هى هذه:

١ ـ سنة ٦٠٦ ضرب نبوخذناصر يهوياكين ملك يهوذا، وهذا ليس بعده من ملك إلا الأخير وهو صدقيا. فاستولى الملك البابلى على كنوز الهيكل واستاق عدداً كبيراً أسرى فيهم الكثير من العائلة الملكية والأشراف ومن هؤلاء دانيال وكان صغيراً.

٢ ـ سنة ٥٩٧ جاء نبوخذناصر ثانية واستولى على ما كان باقياً مخبئاً من كنوز الهيكل، واخذ يهوياكين أسيراً واستاقه إلى بابل ومعه عشرة آلاف أسير فيهم معظم الشعب إلا من لا يقوى على السير.

٣ ـ سنة ٥٨٦ عاد نبوخذناصر فأحرق المدينة وهدم أسوارها وسمل عينى الملك صديقا فى أريحا واستاقه إلى بابل ومعه ٨٣٢ أسيراً. وهذه المرة بقى جيش نبوخذناصر لا أقل من ١٨ شهراً فى محاصرة المدينة.

٤ ـ سنة ٥٨١ عاد الجيش الكلدانى إلى أورشليم الخربة واستاق ٧٤٥ أسيراً واستطاع فريق من اليهود أن يفر إلى مصر لاجئاً ومع هؤلاء أرميا، وأرميا لم يعد من مصر بعد ذلك.

وما بقى علينا أن نقوله عن بابل هو: أن نبوخذناصر (٦٠٦ ـ ٥٦١) هو أعظم ملوك هذه الدولة التى فى عصرها السابق أنجبت المشترع العالمى الأول حمورابى العربى. بل كان نبوخذناصر أعظم ملوك الأرض بوقته. حكم ٤٥ سنة وهو الذى شاد مجد المملكة، وزين بابل بالعمران الباهر إلى حد يقضى بالدهش، وهذا كله تؤيده مكتشفات الآثار حديثاً منذ القرن الماضى، فهو موقع السبى. وجاء بعد نبوخذناصر خمسة ملوك آخرهم بلشاصر، وكان دانيال لايزال حياً يسعى ويعمل، فاتصل ببلشاصر وكانت بينهما الفصول التمثيلية مما أجملناه فى ترجمة دانيال.

وكما أن نبوخذناصر جعل يسبى يهوذا فى السنة الأولى من ملكه كذلك كورش الفارسى ففى السنة الأولى من إزالته دولة بابل سمح لليهود بالعودة!

أما عدد السبى فهو على كل حال أقل بمجموعه كله من سبى إسرائيل قبل قرن وثلث تقريباً. لكن لما عاد اليهود من بابل، عادوا عشرات الألوف، وأثروا فى بابل إثراء كبيراً، وبقى منهم هناك بقية كبيرة لم تقبل أن تعود إلى أورشليم، وأما ما ذكرناه فى هذه الفقرات من تواريخ وأرقام، فمأخوذ من «موسوعة تاريخ العالم» و «التوراة المختصرة» لهالى.

***

والمدة التى قضاها اليهود فى منطقة بيت المقدس تحت الحكم الفارسى إلى مجئ الإسكندر تنقسم إلى دورين: الأول منذ ابتداء العودة من السبى إلى انتهاء مراحل العودة والفراغ من إعادة بناء الهيكل وأسوار المدينة. وبدأت العودة فى أول مراحلها سنة ٥٣٦ ق. م. بقيادة زربابل أحد رجالهم ويقال إنه من البيت الداودى وملك فارس وقتئذ هو كورش[١]، وكانت آخر مراحل العودة سنة ٤٣٢ على يد نحميا أحد أنبيائهم وقد مرت ترجمته، فمراحل العودة اقتضت قرناً وبعض سنين.

والقسم الثانى من المدة المذكورة هى بقاء اليهود تحت الحكم الفارسى نحو مئة سنة حتى فتح الإسكندر، ويبدو تاريخ اليهود فى خلال هذه المدة كلها غامضاً خاملاً، يمارس السلطة العليا الوالى الفارسى ـ المرزبان ـ ويتولى أمور اليهود محليا الكاهن الأكبر تحت رقابة الوالى، ومساحة المنطقة اليهودية لا تزيد على بيت المقدس وتمتد شمالاً إلى قرب رام الله، وشرقاً إلى نهر الشريعة وجنوباً قرب الخليل وغرباً السهول الساحلية.

***

وقد أجمل صاحب كتاب «مختصر التوراة»، هنرى هالى، هذا كله على هذا الوجه مع التواريخ والحوادث والمراحل والأدوار مما ننقله لفائدته للقارئ العربى (ص ٢١٢) من الطبعة العشرين ١٩٥٦ فقال:

***

(١) فى الطبرى أنه تهود على يد مردخاى واستير ويذكره الطبرى بلفظ كيرش.

عزرا ـ نحميا ـ استير
العودة من السبى ـ إعادة بناء بيت المقدس

إن هذه الأسفار الثلاثة هى خاتمة الأسفار التاريخية فى العهد القديم، وهى تخبرنا قصة عودة اليهود من بابل، وإعادة بناء الهيكل وبيت المقدس وتجديد الكيان اليهودى وحياتهم القومية فى موطنهم الأول، والمدة التى تتناولها هذه الأسفار هى نحو من ١٠٠ سنة ٥٣٦ ـ ٤٣٢(١) ق. م. وفى هذه المدة كان الأنبياء الثلاثة: حجى وزكريا وملاخى، فعاشوا وعملوا فى خلالها.

***

هناك دوران وكل منهما متميز عن الآخر

من ٥٣٦ ـ ٥١٦ ق. م. ٢٠ سنة، وفى هذه المدة كانت عودة اليهود بقيادة زربابل فكان هو الوالى ويشوع بن يوصادق الكاهن الأكبر، فأعيد بناء الهيكل، وهو محور حياة اليهود القومية. (عزرا اصحاح ٣ ـ ٦) وفى هذا الوقت كان من الأنبياء حجى وزكريا.

٤٥٧ ـ ٤٣٢ ٢٥ سنة، وفى هذه المدة كانت عودة نحميا، فكان هو الوالى، وعزرا الكاهن الأكبر. فأعيد بناء الأسوار، والمدينة بحصونها. وفى هذا الوقت كان من الأنبياء ملاخى.

أما سفر عزرا فيحدثنا عن المدتين أو الدورين.

أما نحميا فيحدثنا عن الدور الثانى.

أما استير، فتتوسط الدورين.

العودة فى ثلاث نوبات

٥٣٦ ق. م. عودة زربابل ومعه (٤٢٣٦٠) يهودياً و ٧٣٣٧ خادماً و ٢٠٠ من المغنين و ٤٣٥ جملاً، و ٦٧٢٠ أتاناً، و ٥٤٠٠ قطعة الذهب والفضة (مما أخذه نبوخذناصر).

(١) قلت: ويتلو هذه المدة، مدة أخرى هى مئة سنة إلى الإسكندر ثم تطوى صفحة الحكم الفارسى وينتقل اليهود إلى حكم دول خلفاء الإسكندر.

٤٥٧ ق. م. عودة عزرا ومعه ١٧٥٤ من الرجال و ١٠٠ وزنة من الذهب و ٧٥٠ وزنة من الفضة، وهذا يثقل التقدمات والهدايا من ملك فارس. ولا ذكر أن نساءكن مرافقات فى هذه العودة ولا أطفالاً. قطعت المسافة فى ٤ أشهر.

٤٤٤ ق.م. عودة نحميا وهو الوالى ومعه حرس عسكرى فقام بتجديد بناء المدينة وحصونها وذلك على نفقة حكومة فارس.

تواريخ العودة ومراحل تجديد البناء

٥٣٦ ق.م. (٨٩٧، ٤٩) عادوا من بابل إلى بيت المقدس

٥٣٦ ق.م. فى الشهر السابع تم بناء المذبح وقدمت القرابين

٥٣٥ ق.م. بدىء فى بناء الهيكل ثم لم يلبث أن توقف[١]

٥٢٠ ق.م. استئناف عمل البناء على يد حجى وزكريا

٥١٦ ق. م. إتمام بناء الهيكل

٤٧٨ ق.م. استير تصبح ملكة فارس

٤٥٧ ق. م. عودة عزرا من بابل إلى بيت المقدس

٤٤٤ ق. م. نحميا يجدد بناء الأسوار

٤٣٢ ق. م. نحميا يعود إلى بابل

***

٧٢١ ق. م. سبى مملكة «إسرائيل» على يد سرجون إلى بلاد أشور

٦٠٦ ق. م. سبى مملكة «يهوذا» إلى بابل

٥٣٦ ق. م. فارس تسمح لليهود بالعودة

---

(١) هذا ما سنعنى ببيانه عما قريب، وفيه قصة الأمير «جشم العربى» ومعارضة الأقوام المحيطة بمنطقة القدس لليهود فى إعادة البناء.

٧ـ أعداء اليهود بعد العودة من السبى
سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى وجُشَم العربى
والدور الذى قاموا به لمنع اليهود من تجديد بناء الهيكل وأورشليم

بعد أن أحطنا علماً بكل ما تقدم، عليناالآن أن ننتقل فى الكلام إلى ناحية خطيرة في تاريخ اليهود من حيث محاولتهم إعادة بناء الهيكل والمدينة مع أسوارها فى ظل الحكم الفارسى، وفارس وقتها تشبه فى العظمة واتساع الرقعة الامبراطورية البريطانية التى صنعت لليهود فى القرن العشرين ما صنعت فارس قبل ٢٥ قرناً، بل زادت على ذلك ما هو أسوأ بكثير من الناحية العربية، فكأن الخمسة والعشرين قوناً هذه، وهى امتداد متواصل للحضارة، قد ردت الضمير البريطانى خمسين قرناً إلى الوراء.

***

وكان هؤلاء الثلاثة، زعماء الحركة المقاومة ومعهم أحلاف آخرون، وأخبار هذه المقاومة وردت فى سفرى عزرا ونحميا بالتفصيل الذى أراده واضعو الأسفار وجامعوها. لكن قبل الدخول فى الكلام على حركة المقاومة، علينا أن نعلم من هم هؤلاء الثلاثة، ومن يمثلون فى الحركة وسبب العداء بينهم وبين اليهود، ومن انضاف إلى الحركة من أقوام آخرين فى فلسطين الساحلية، وشرق الأردن، فضلاً عن فلسطين الشمالية حيث السامرة، وهناك كانت مملكة إسرائيل سابقاً، بحيث إن الحركة كانت مطوقة لليهود، وحدود المنطقة اليهودية، ضيقة تمتد من الشمال إلى قرب رام الله، نحو ١٥ ك. م.، ومن الشرق حتى نهر الشريعة، ومن الجنوب إلى قرب الخليل، ومن الغرب إلى السواحل أو سفوح الجبال المطلة عليها. ونتناول كل واحد من الثلاثة على حدة.

(١) سنبلط الحورونى اليهودى
زعيم السامريين أعداء اليهود

هو زعيم يهود السامرة المناوئين لسبطى يهوذا وبنيامين اللذين منهما كانت تتألف مملكة «يهوذا» الجنوبية، وباقى الأسباط العشرة كانت تتألف منها مملكة «إسرائيل» فى الشمال. وكانت الحروب بين المملكتين تكاد لا تنقطع وأحياناً تتحالف هذه أو تلك مع ملك سوريا أو

أشور لكى تتمكن من خضد شوكة ضرتها.

وكيف بقى عنصر من السامريين بعد سبى سرجون لمملكة السامرة؟

فلما سبى سرجون ملك أشور وممتلكاتها، فرّق المسبيين فى أنحاء مختلفة، ولاسيما فى الخابور وشمالى إيران، وأتى بأقوام وجماعات من بابل وسوريا وأسكنها مساكن المسبيين وهذه الجماعات وثنية. لكن بقيت فى السامرة بقايا قليلة من اليهود الأصليين، لم يسقها سرجون فى السبى كما ساق غيرها، والسبب ضعف تلك البقايا، وقلة شأنها وهى فى السامرة والأرياف، فلما جاءت الجماعات الجديدة واختلطت بتلك البقايا بطبيعة الحال، صارت تلك الجماعات الوثنية تنتقل إلى الدين اليهودى أو الموسوى ومع الوقت امتزج العنصران معاً حتى صارا شيئاً واحداً، ولهم نزعاتهم التى لا تماشى نزعات مملكة يهوذا التى عاشت نحواً من ١٤٠ سنة بعد سبى السامرة. بعد الرجوع من السبى جمعت أسفار التوراة، وصارت إلى وقت المؤرخ اليهودى يوسيفوس (القرن الأول للمسيح) ٢٢ سفراً، منها كتب موسى الخمسة والباقى أنبياء وتواريخ وأخبار. فهؤلاء السامريون لم يقبلوا إلا أسفار موسى الخمسة، ورفضوا كل ما عداها، وتمسكوا بهذا حتى اليوم. فازدادت الشقة بين الفريقين، وبعد سبى يهوذا، انتعشت حال السامريين فنظموا أمورهم واستقلوا دينياً بكيانهم، وأراد اليهود أن يخرجوا السامريين من حظيرة «اليهودية» فلم يستطيعوا، وجعل السامريون كلما عيّرهم اليهود بأنهم من أصول غريبة يجيبون بأنهم هم من سبط يوسف، وأن التوراة هى الكتب الخمسة لموسى ولا كتب غيرها، فيرد هؤلاء بأنهم هم عترة اليهود وهم سبط يهوذا وبنيامين! والتوراة هى أكثر من كتب موسى!

* * *

وهنا بيت القصيد: فلما عاد يهود «يهوذا» من السبى بقيادة زربابل، لإعادة بناء الهيكل والمدينة، هب زعيم السامريين يعترض على ذلك، وتحالف معه فى هذه الحركة زعماء آخرون، منهم طوبيا العبد العمونى، و «جشم العربى» والفلسطينيون الذين كانت بقاياهم فى السواحل ومركزهم أشدود، وعرب شرق الأردن، والعمونيون والموآبيون، إلى عناصر أخرى، بحيث لا تذكر التوراة أحداً من أهل الجيرة كان راضيا عن حركة زربابل. وهذا طوق محكم حول المنطقة اليهودية آخذ بمخنقها، والدولة الفارسية ـ البريطانية فى القرن العشرين ـ حامية اليهود على ما سنرى فى هذا المساق من الكلام.

* * *

والقارىء العربى اليوم على الجملة، ومن العادة أنه قليل الاطلاع على تاريخ اليهود، والتوراة، لابد إنه وهو يجتلى هذه الأسماء الثلاثة، يسترعى انتباهه ذكر «جُشَم العربى» بهذا اللفظ والوصف، وإنه أحد زعماء حركة المقاومة لليهود. وقد عنينا بكل هذا البحث، وغايتنا

منه أن نبين بأدلة التاريخ وبالتوراة، أن العرب فى ذلك الوقت، كانوا :

١ ـ ببعض القبائل يقيمون فى السامرة إذ أتى بهم سرجون الأشورى فى خبر يختلف عن خبر إتيانه بالجماعات الأخرى ليحلوا محل المسبيين، وهذا سنأتى عليه عما قريب.

٢ ـ محيطين بفلسطين من الجنوب والشرق وبعض الشمال، فإذا كان الطوق الأول المحيط بالمنطقة اليهودية يتألف من مختلف الأقوام، الذين منهم بنو عمومة العرب فى الدم كالأدوميين والمؤابيين والعمونيين، فالطوق الثانى الذى يليه هو طوق العنصر العربى الخالد المالىء للجزيرة وبادية الشام والعراق، وهذا العنصر ابتلع مع الأيام العناصر كلها التى كانت فى سيناء وشرقى سيناء، وجنوب الأردن وشرق الأردن. ولا عبرة هنا بالأسماء التى تعيش زمناً، ثم تتغير، فيكون المسمون قد اندمجوا بمادة الأرومة الأصلية ـ وهنا الأرومة هى مادة العرب التى لا تفنى.

٣ ـ وما فعلته سنن الكون قبل ٢٥ قرناً من تعريض المنطقة اليهودية تحت الظلال الفارسية للاختناق والجفاف، تفعله هذه السنن اليوم، وهى سنن ثابتة لا تتغير ولا تتبدل.

و«جشم العربى» سنعلمه أنه من عرب شمال الحجاز وكان أمير قومه وله سيف وسلطان.

* * *

سنبلط الحورونى

نعود إلى سنبلّط الحورونى والسامريين. وراح اليهود العائدون من السبى ينظرون شزراً إلى السامريين، ويكيدون لهم، وكان بين الفريقين صلات زواج، فحرّم كهنة اليهود الزواج من السامريات وأوجبوا أن تطلق السامريات المتزوجات من اليهود وهذا ما قام به عزرا ونحميا خاصة. فلنسمع نحميا نفسه يقول فى آخر سفره: «وفى تلك الأيام أيضاً رأيت يهوداً قد تزوجوا نساء أشدوديات (فلسطينيات) وعمونيات ومؤابيات وكان نصف كلام أولادهم بلغة أشدود، ولم يكونوا يحسنون التكلم باليهودية، بل بلسان شعب وشعب فخاصمتهم ولعنتهم وضربت منهم رجالاً ونتفت شعرهم واستحلفتهم بالله أن لا تعطوا بناتكم لبنيهم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم ولا لكم... وكان واحد يهوياداع بن الياشيب الكاهن العظيم صهراً لسنبلط الحورونى فطردته من عندى»، وهذا بعدئذ انضم إلى حلف سنبلط فى مقاومة نحميا. وذكر عزرا فى آخر سفره أسماء أكثر من مائة عائلة نساؤها غير يهوديات. فالانشقاق بين اليهود والسامريين وقع فى أيام نحميا. ويذكر بعض الكتاب أن هذا وقع سنة ٤٣٧ ق.م.

وإلى ذلك الوقت، لم يكن للسامريين هيكل. فقابلوا حركة الكيد من اليهود العائدين من السبى بإنشاء هيكل لهم على جبل جرزيم (نابلس) واعتبروه بمثابة «جبل الطور»، وبقوا على الأسفار الخمسة، وتحول هذا إلى عداء مرّ استمر القرون مما لا حاجة لنا إلى متابعته فى هذا الموطن، وعلى الجملة راح السامريون يعينون كل فاتح بعد ذلك يدوّخ البلاد ويريد ضرب اليهود، من الإسكندر إلى الرومان وغيرهما، وكان السامريون يقيمون فى أنحاء مختلفة فى فلسطين بعد الفتح الإسلامى، ثم تقلصوا حتى باتوا اليوم لا يزيدون على عائلة وموطنهم نابلس.

وكان سنبلط زعيمهم الأكبر يوم عاد اليهود من السبى يريدون تجديد بناء الهيكل والمدينة وأسوارها. وذكر «قاموس الكتاب المقدس» (بيروت ١٩٦٤) فى موجز ترجمته (لسنبلّط): «وقد جاء فى أوراق البردى التى اكتشفت فى الجزيرة فى أسوان أنه كان حاكماً للسامرة قبل عام ٤٠٧ ق.م.».

* * *

(٢) طوبيا العبد العمونى
أحد الأركان الثلاثة فى مقاومة حركة نحميا

هو أحد الزعماء السامريين، مثل سنبلط، ومن وزنه، الذين اعتصموا حلفاً وقادوا حركة المقاومة لنحميا فى إعادة بناء أورشليم والهيكل. والثالث فى الحلف هو جُشَم العربى ـ بهذا اللفظ فى السفر ـ وإذ أوجزنا خبر سنبلط، فلنعلم ما نستطيع عمله من أمر طوبيا، ثم نتناول جشم.

كان أحد أبناء يوياداع بن الياشيب الكاهن الأكبر لليهود فى أورشليم صهراً لسنبلط السامرى، والعداء مستحكم بين السامريين فى السامرة، واليهود فى أورشليم، والمسافة بينهما نحو ٧٥ كيلومتراً.

فقام نحميا وطرد حفيد الياشيب من الجماعة جزاء له على مصاهرته لسنبلط. فانتقل هذا من القدس إلى السامرة، وانضم إلى سنبلط فى حركة المقاومة.

لكن كانت هناك علاقة قوية بين طوبيا والياشيب الكاهن أبى يوياداع، نمت واستحكمت عراها فى غيبة نحميا إلى مملكة فارس، فهيأ الياشيب مخدعاً خاصاً لطوبيا ينزل فيه عندما يكون هذا فى بيت المقدس، وهذا المخدع هو فى داخل بناء الهيكل وكان مستعملاً سابقا لغرض آخر، وهو أن يحفظ فيه ما يتعلق بالهيكل من تقدمات وآنية ولبان، وأنصبة الكهنة اللاويين من العشور المفروضة لهم. وكان الياشيب هو متولى المحافظة على هذه الأشياء كلها بصفته الكاهن الأكبر، فأخرجها. كما يبدو من المخدع، ليجعله نزلاً لطوبيا عند الحاجة.

فلما عاد نحميا من فارس ساءه ما صنع الياشيب فألقى بأمتعة طوبيا إلى خارج وأعلن سخطه، ويتضح من هذا أن الياشب لما صنع ما صنع، وهو الكاهن الأكبر، لم يكن مقتنعاً بتطرف نحميا فى مقاطعته السامريين فى الزواج، إلى الحد الذى يريده نحميا. وتطرّف نحميا أدى إلى الانفصال وترسيخه. فانظر إلى نوع العلاقة بين اليهود العائدين من السبى، وقد وصفنا أطوارهم، وبين هؤلاء السامريين فى الشمال، ورغم المناوأة بين الفريقين من حيث أصل الأرومة من جهة السامريين، ومن حيث اعتبار كل فريق لأسفار التوراة اعتباراً يختلف عن الآخر، فقد كان بين الفريقين مصاهرات، وعلى هذا نقم عزرا ونحميا.

هؤلاء الثلاثة: سنبلط، وطوبيا، وجشم، يؤخذ من سرد أسمائهم على هذا الترتيب فى سفر نحميا الذى فيه كل هذا الموضوع، أن نفوذ كل منهم كان مندمجاً بنفوذ زميله.

* * *

(٣) جُشَم العربى

نوجزه فى هذا المساق:

١ - هو فى الترجمة الاميريكية «جَشَم»، بفتح أوله، وفى اليسوعية «جاشم» ونرى أن الصحيح الذى لا ريب فيه هو «جُشَم» وهو عندنا فى العربية اليوم من الأعلام الممنوعة من الصرف، ويذكر شاهداً فى كتب النحو.

وهذا الممنوع من الصرف قال النحاة فيه إنه معدول عن صيغة أخرى كزُحَل عن زاحل، وزُمَر عن زامر، ولما كان للمنوع من الصرف علتان توجبان ذلك، وهى العَلَمية، وهذا هو الأصل، وعلة أخرى فرعية، لما جاؤوا إلى جشم وزمر وعمر وقثم، قالوا العلة الفرعية هنا هى هى كونه محولاً عن صيغة أخرى، هى زامر وعامر وقاثم وجاشم إلى آخر الأمثلة، وانتهوا فى الاعتبار عند هذا الحد فى العلة الفرعية، وهذا ما سموه «العدل» وهو مصدر فعل «عدل»، وعدل عن الأمر أو الطريق حاد عنه.

وقضية جشم تقتضينا زيادة التوضيح، فهى على جانب كبير من الدقة والطرافة، وأى شىء أدق، لعمرى، وأطرف، من أن نجتلى قدر المستطاع حقيقة أمير عربى الأصل من شمالى الحجاز، آباؤه هنا فى السامرة منذ نحو قرنين، فرسخ فى السامرة وامتدت جذوره، وجشم اليوم نراه أحد أركان الحلف لمقاومة إعادة بناء الهيكل والأسوار.

٢ - ولنحلَّ أولاً مسألة «العدل» و«المعدول» والممنوع من الصرف، فالاسماء المعدولة عندنا فى كتب الصرف والنحو محصورة معدودة وهى نحو ١٥ اسماً، وذكرنا بعضها فى الفقرة المتقدمة، وهذه البقية: جُمَح، وقُزَح، ودُلَف، وعُصَم، وثُعَل، وحُجى، وبُلَع، ومُضَر، وهُبَل،

وهُدَل. كلها على وزن فُعَل.

وقالوا: «إن العدل قسمان: تحقيقى، وهو ما كان خروجه عن أصل محقق يدل عليه دليل غير منع الصرف، وذلك فى الصفات كأحاد وأُخَر، وتقديرى، وهو ما كان خروجه عن أصل مقدر مفروض يكون الداعى إلى تقديره وفرضه منع الصرف لا غير، ولا يكون هذا إلا فى الأعلام الخمسة عشر التى جاءت ممنوعة ولم يوجد فيها سبب ظاهر إلا العلمية، فاعتبر فيها العدل تصحيحاً لمنعها، ولما توقف اعتبار العدل على وجود أصل، ولم يكن فيها دليل على وجوده، قدر لكل واحد أصل عدل عنه إلى الصورة الحاضرة (بحث المطالب صـ ١٥٩)

* * *

وقال ابن هشام الانصارى المصرى المتوفى سنة ٧٦١ هـ فى كتابه «شرح شذور الذهب»: «مثال العدل من العلمية: عُمَر وزُفَر وزُحَل وجُمَح ودُلَف، فإنها معدولة عن عامر وزافر وزاحل وجامح ودالف، وطريق معرفة ذلك أن يتلقى من أفواههم (أفواه العرب) ممنوع الصرف، وليس فيه مع العلمية علة ظاهرة» (طبعة ١٩٥٣ صـ ٤٥١)

* * *

٣ ـ ونرى أن هذا العدل إنما جرى على أسماء علم انتهت إلى العربية المضرية من لهجة عربية سابقة، وهنا قد يرجع الاسم إلى أصل فى لغة العمالقة أو مدين أو قيدار، أو أى شعب عربى بين العراق وسيناء وشمال الجزيرة. ولذلك جعل علماء اللغة السبيل إلى معرفته «السماع» كما قال ابن هشام الأنصارى. وإذا جئنا نفكر فى أن عمر معدولة عن عامر، فلا نجد منطقاً يسلم بأن «عامراً» اسم منصرف متمكن أمكن، كما يقول الصرفيون والنحاة، لمّا عدلنا به إلى «عمر» امتنع هذا عن الصرف، ولماذا؟

٤ ـ والدليل على أن «السماع» هو السبيل الصحيح إلى معرفته، قلة عدد الاسماء العلمية المعدولة.

٥ ـ أما أن يكون قد انتهى إلينا أسماء عربية أخرى من الشعوب العربية القديمة المذكورة فى التوراة، فشىء وافر، وهذا بعضه أو معظمه:

مِبْسام، مِسْماع، تَسيْما، قُدْمة، بَسْمة. (سفر التكوين فصل ٢٥)

شَمَّة، مِزَّة (التكوين فصل ٢٦)

صَفْو، عَماليق، عَلْوان، عَلْوة، حَمْدان، تَيْمان. (المصدر نفسه)

سَمْلة (بنت مسريقة) مهطبئيل بنت مَطْرِد بنت «ماء ذهب» (فى ملوك ادوم) والشاهد هنا مطرد وماء ذهب (المصدر نفسه)

آوِى، واقِم، صور، حور، رابع، وهى اسماء ملوك مدين. (سفر العدد ٣٠)

زَيَح (فى اليوسعية «زاباح»).. وصلمنّاع، ملكا مدين، غراب، ذئب، أميرا مِدّين (فى اليسوعية عوريب وزيب).

٦ ـ قال الدكتور جواد على فى كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام» (صـ ٢١٦ جـ ٣): «ووصلت إلينا اسماء ثمودية كثيرة مثل أوس، وسعد، وعفير، ووائل، وبارح، وعياش، وإياس، وقيس ابن وائل وغيرها.»

وقال الدكتور جواد على أيضاً صـ ٢١٤: «وقد عثر على كتابات ثمودية يرجع تاريخ عدد منها إلى القرن السابع قبل الميلاد، وهناك كتابات يظن أنها أقدم عهداً منها غير أن أكثر ما عثر عليه من كتابات ثمودية يعود تاريخه إلى ما بعد الميلاد».

٧ ـ فنرى إن «جشم» العربى، وقد حفظته التوراة بهذا اللفظ، ولا عبرة بأن الترجمة الاميريكية جعلته «جَشَم»، إذ هو هكذا «جُشَم» منذ القرون الخوالى، وهو فى السامرة فى القرن الخامس قبل الميلاد، أحد الاسماء العربية الأصل التى عاشت إلى اليوم. وهذا هو خبره قدر ما استطعنا جمعه وترتيبه.

* * *

٨ـ «جُشَم العربي»
زعيم العرب في السامرة في أواسط القرن الخامس ق.م

كيف وجد العنصر العربى فى السامرة فى تلك العصور؟ ومن أين جاء جُشَم، ووصفته التوراة «بالعربى» فلم تقل العماليقى، كما قالت فى هامان، ولا المديانى، ولا الإسماعيلى، ولا القيدارى ولا من «بنى المشرق»، وهو تعبير آخر فى «العهد القديم» عن العرب الذين كانوا وراء ممالك أدوم وعمون ومؤاب (شرق الأردن) نعم، لما جمعت أسفار التوراة، وهذا بعد السبى لا قبله، كانت كلمة (عرب) قد رسخت فى معناها ومدلولها وشمولها، وغطت على التعابير السابقة، وصارت تستعمل فى التوراة بالمعنى الذى هو قريب من استعمالنا اليوم. وذكر العرب فى «العهد القديم» وارد مراراً، وأما فى التلمود فوارد أيضاً، غير أن التلمود بدىء بوضعه بعد هذا الوقت بعد قرون. وأما نعت «جشم» «بالعربى» فى سفر «نحميا»، لم يكن من واضع السفر تبرعا أو استحساناً، بل مجاراة للواقع، إذ جشم كان يلقب بالعربى، إذ وجوده فى السامرة، أو شرق الأردن، ونحن نرجح فى السامرة للأسباب القريبة الورود، كان مع قبائل عربية هو فى ذلك العصر كان أميرها المطاع. ولندخل فى القصة التاريخية:

جاء فى قرميدة من القرميد المكتشف فى العراق فى الزمن الحديث مما يتعلق بفتوحات الملك سرجون الثانى، ملك أشور، ما يلى: «إن قبائل ثمود وعباديد مرسمان وخيابا من قبائل العرب سكان البادية الذين لم يصل خبرهم إلى حكيم ولم يدفعوا الجزية لأحد قبلى، كل هذه الأمم غلبتها باسم إلهى أشور، ونقلت بقاياها إلى سامرية»[١].

والسبب فى وصول سرجون الثانى إلى أعالى الحجاز أو شمالى الجزيرة هو أن عرب هذه البلاد كانوا قد غزوا السامرة ونهبوها قبل ذلك وكانت السامرة فى حماية الأشوريين فعزم سرجون على الانتقام. على أن السامرة، ويهوذا، كانتا معرضتين لتغزوهما الشعوب المجاورة المختلفة مرة بعد أخرى، وما تاريخهما إلا هذا السبى الثانى منذ انقسام المملكة بعد سليمان فى القرن التاسع ق.م إذ المملكة اليهودية الصغيرة هى، مجردة عن كل وصف من أوصاف الغلو الذى ينفخ فى أبواقه اليهود وفريق من الكتاب التوراتيين، كناية عن فخذ دويلة تتحكم فيها دولتا الواديين الكبيرين: وادى الفرات من الشرق، ووادى النيل من الغرب، كما كان يتحكم فيها فريق ثالث لكن إلى حد أقل، هو ملوك سوريا الآراميين. وبين هذه القوى الثلاث كانت «يهوذا» و«إسرائيل» تأخذان بالمداهنة والملق والرياء تارة، والعصيان والتمرد طوراً، لدى

(١) زيدان ـ تاريخ «العرب قبل الاسلام» صـ ٩٢ وغلازر صد ١١٢ و٣١٧.

كل دولة من هذه القوى الثلاث ثم تحل بها الضربة. ولم يتسم تاريخ اليهود بغير هذا على طول المدى. وهذا واضح لا يحتاج إلى دليل. فالغزو الذى قامت به القبائل العربية القوية الشكيمة، فى أعالى الحجاز، للسامرة اليهودية، فى أثناء الثلث الأول من القرن الثامن ق.م لم يكن غزو دولة كدولتى الفرات والنيل، لكنه عظيم الخطر إذ يدلنا على ما كانت عليه تلك القبائل من الصولة والمنعة حتى تقوم بذلك الغزو، والسامرة فى حماية ملوك أشور.

وسرجون الثانى مدته من ٧٢٢ ـ ٧٠٥ ق.م. وأما سبى مملكة إسرائيل الشمالية أو السامرة فقد كان فى أول سنى ملكه ٧٢١ ق.م. وبعد هذا بنحو سبع سنين أو ٧١٥ ق.م. قام سرجون باكتساح بلاد العرب مجتازاً البوادى حتى يصل إلى أماكن لم يصلها أحد قبله. قال زيدان: «وذكر فى جملة القبائل التى أخضعها أو الملوك الذين ضرب عليهم الجزية: ثمود ويثعمر السبأى وشمسية ملكة العرب» ـ هذا على حدود مصر وسينا ـ وهذا نص القرميدة كما قراوها، فبعد أن ذكر فتوحه فى الشام ومصر وبلاد العرب قال: «ووضعت الجزية على فرعون ملك مصر وشمسية ملكة العرب (عربى) ويثعمر السبأى (أو يثعمر السبأيين) واخذت حاصلات الذهب من جبالهم والخيول والجمال»[1].

وليست هذه المرة الوحيدة لغزو الأشوريين بلاد العرب أو القبائل التى فى أطراف الجزيرة فقد تكرر ذلك مراراً بين سنة ٩٠٠ ـ ٥٦٢ ق.م. وقد قام بذلك تغلات بلاصر الثالث (٧٤٥ ـ ٧٢٧) ثم سرجون الثانى (٧٢٢ ـ ٧٠٥) ثم سنحاريب (٧٠٥ ـ ـ ٦٨١) ثم اسرحدون (٦٨١ ـ ٦٦٨) ثم أشور بانيبال (٦٦٨ ـ ٦٠٥) ثم نبوخذ ناصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢) ق.م. (عند العرب بختنصر) وعلى يديه كان سبى مملكة يهوذا، وبعد ذهاب دولتى أشور وبابل قامت دولة الفرس، ثم الإسكندر.

وكان نقل القبائل أو جانب من الشعب أو السكان من موطنهم إلى مهجر جديد عادة عند الدول القديمة الظافرة فى حرب أو الانتقام والقصاص. ونقل سرجون تلك القبائل العربية إلى السامرة كان من هذا النوع.

وأما أين كانت تقيم تلك القبائل العربية قبل نقلها إلى السامرة، فهناك رأيان فإمّا فى أعالى الحجاز القريبة من منطقة العقبة، وهذا ما ذكره زيدان وذهب إليه، وإمّا قرب خليج العقبة وهذا يجعلها أقرب مكاناً إلى السامرة قال الدكتور جواد على صاحب «تاريخ العرب قبل الإسلام»[2]: «ويرى «موسل» أن هذه القبائل الأربع المذكورة فى اخبار سرجون الثانى التى تعود

(١) المصدر نفسه. و«تاريخ العرب قبل الإسلام» للدكتور على الجزء الثانى صـ ٣١٢ ـ ٣١٧.

(٢) «تاريخ العرب قبل الإسلام» لزيدان فى جزء واحد، صدر فى العقد الأول من هذا القرن، وكان أول مؤلف بحث فى هذا الموضوع بحثاً علمياً منظماً مستنداً إلى أقوال ثقات المؤرخين، وما كشف عنه اعمال التنقيب والنقوش الكتابية فى جزيرة العرب والشام والعراق، فله منزلته الكبيرة الباقية لا ريب فى هذا وبقى=

إلى سنة ٧١٥ قبل الميلاد، وهى قبائل مَدينية (مديانية) ـ بالترجمة الأميركية وأما الترجمة اليسوعية فذكرتها مِديمية نسبة إلى مِديَن كما جاءت فى القرآن الكريم ـ تدخل فى ضمن مديان المذكورة فى التوراة، وفى جملتها قبيلة ثمود. وإذا صح هذا الرأى تكون الحملة التى قام بها سرجون الثانى قد وجهت إلى قبائل كانت تقيم فى العربية الحجرية المقابلة لخليج العقبة، وربما وصلت إلى حدود تيما، وبناء على ذلك اضطر «يثع أمر» السبئى إلى دفع الجزية إلى الأشوريين، ولم يكن «يثع أمر» هذا غير كبير على «ديدان» وقد أمر سرجون بنقل عدد من رجال القبائل إلى منطقة السامرة عقاباً لهم وقد كانت سياسة الترحيل الإجبارية من الخطط المتبعة عند الأشوريين وعند غيرهم من الحكومات»(١).

* * *

وفى أى جانب من هذين الرأيين كانت الصحة أو معظمها، فى معرفة المجال الذى كانت تقيم فيه تلك القبائل، أهو أعالى الحجاز أم ما هو أقرب منه إلى السامرة قرب العقبة، فإن «جشم العربى»، على ما نستنتج هو سليل هؤلاء العرب فى السامرة وفى أيام نحميا كان جشم أميراً على عرب السامرة، أى بعد نقل قومه بنحو ٢٧٠ سنة.

وهذا ما يذهب إليه فريق من العلماء. قال الدكتور جواد على:ـ

«ويخبر سفر نحميا أن «سنبلط الحوروني» وطوبيا العبد العموني «وجشم العربى» قد احتقروا اليهود حينما حاولوا بناء سور القدس واغتاظوا من ذلك، وأن سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيين والأشدوديين غضبوا جدا وقرروا أن يحاربوا أورشليم، وأن سنبلط وجشم خاصة حاولا إبطال بناء السور، لأنهما خافا من تمرد اليهود ومن عودة ملكهم. فيظهر من سفر نحميا أن هؤلاء المذكورين كونوا جبهة حاولت منع نحميا من إعادة بناء سور القدس (أورشليم) وتحكيمه، وذلك لأنهم وجدوا فى إحكام المدينة خطراً يتهددهم وإحياء لمملكة يهوذا التى قضى عليها البابليون. وهذا مما يدل على أن العرب وحلفاءَهم قد استعادوا نفوذهم فى فلسطين، وأنهم كانوا على أبواب القدس. ويظهر من هذا السفر أيضاً أن عدداً قليلاً من العبرانيين حاولوا الرجوع بعد السبى إلى أورشليم على الرغم من سماح الفرس لهم بالعودة ومن إلحاح الأنبياء عليهم فى طلب الرجوع». (جواد على ٣٦٢).

= نصف قرن وهو أوثق مرجع. أما كتاب الدكتور جواد على فيحمل العنوان نفسه «تاريخ العرب قبل الإسلام» إنما جاء فتحاً جديداً جامعاً، دافقاً مترعاً جعل كل وارد للحوض منه يستقى وله تابعاً، وهذا المؤلف موسوعة فى نحو عشرة أجزاء ضخمة، زاخرة بمختلف النصوص والرسوم والنقوش والكتابات بحيث يمكن أن يقال إنه لم تبق مادة تتعلق بتاريخ العرب كله قبل الإسلام إلا جمعت ونخلت ووزنت فى نفسها، وقوبلت بنظائرها وما يثبتها أو يضعفها للجلاء والتصفية. وهذا الكتاب الفريد هو من مطبوعات المجمع العلمى العراقى، وصدر الجزء الأول منه سنة ١٩٥١.

(١) الدكتور جواد على الجزء الثالث صـ ٣١٨

أما بشأن «جُشَم» العربى، فقد قال جواد على متمماً ما تقدم:

«واسم جُشَم من الأسماء المعروفة[١]، ويرى بعض العلماء احتمال كونه من العرب الذين أجلاهم سرجون من ديارهم ونفاهم إلى السامرة، أو إنه من مشايخ الأعراب الذين كانوا يقطنون جنوب يهوذا، ولهذا اشترك فى الحلف الذى عقد لمنع نحميا من بناء سور أورشليم».

* * *

واورد «قاموس» الكتاب المقدس[٢]» ترجمة «جُشَم» على ما فى نحميا، وإنما جاء بكشف جديد يدل على أن «جشم» كان ملكاً على قبيلة قيدار: و«قد اكتشف مؤخراً نقوش فى الجهة الشمالية الشرقية من مصر على وعاء فضى ويذكر أن جشم كان ملكاً على قبيلة قيدار[٣]».

وهذا كشف خطير فى بابه، وليت ملخص ترجمة جشم فى قاموس الكتاب المقدس أعطانا تفصيلاً أكثر، إذا كان لديه ذلك، مما يتعلق بهذا الوعاء.

ومن هذا يؤخذ على إيجازه أن جشم كان أكبر من شيخ قبيلة، وهذا الكشف يذكره بأنه كان ملك قبيلة قيدار، وقيدار لها خبر فصله الدكتور جواد على فى الجزء الثانى من كتابه «تاريخ العرب قبل الإسلام»، ونأخذ عنه بإيجاز واقتضاب:

«قيدار» الولد الثانى من أولاد إسماعيل بن إبراهيم.

«قيدار» التوراة هو فى التاريخ العربى (الطبرى والمسعودى وابن خلدون) «قيذار» و«قيذر» و«قيدر» و«قاذر» قبيلة عربية ورد اسمها فى النصوص الأشورية والمؤلفات الكلاسيكية (لمؤرخين رومان ويونان) فذكر بلينوس أنها كانت تقيم على مقربة من النبط، وقد حاربهم أشور بنبال (٧٦٨ ـ ٦٢٥ ق.م) وكان ملك قيدار فى ذلك العهد الملك «أو أيطع» ابن خزاعيل . وجاء ذكر قيدار فى سفر حزقيال حيث جمع بينهم وبين العرب: «العرب وكل رؤساء قيدار». ويظهر من الكتابات الأشورية ومن التوراة والكتب الكلاسيكية أن القيداريين كانوا شعباً قوياً، تغلب عليهم البداوة، ويعيشون فى الخيام عيشة الأعراب. وقد وصفت خيامهم فى التوراة بأنها خيام

(١) قال الفيروز آبادى فى «القاموس المحيط» فى مادة «جشم» الاسم على وزن فُعَل أن فى العرب أحياء متعددة باسم «جشم» وهى من مضر ومن اليمن ومن تغلب، وفى ثقيف وفى هوازن.

(٢) هذا الكتاب القيم حديث الوضع قام عليه «نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين» كما جاء فى صفحة الوسمة. وهيئة تحريره: الدكتور بطرس عبد الملك، والدكتور جون الكساندر طمسن، والأستاذ إبراهيم مطر. صدر الجزء الأول منه فى بيروت سنة ١٩٦٤ يشتمل على المواد من حرف «الف» إلى «سين» وقدم له الدكتور فيليب حتى الأستاذ الشرقى فى جامعة برنستون. وهو على غرار «قاموس الكتاب المقدس» للدكتور جورج بوست الذى ظهر فى بيروت بين ١٨٩٤ ـ ١٩٠١.

(٣) قاموس الكتاب المقدس مادة «جشم» واورد كاتب هذه الترجمة: القس إبراهيم عبد الله «جشم» بفتح الجيم، وقد سبق لنا إبداء الملاحظة على هذا. فهى «جُشَم» والأمر واضح.

سود... وكانوا يعتنون بتربية المواشى.. وكان من القيداريين حضر يسكنون المدن، ومنهم من يقيم فى مناطق صخرية، وقد أطلقت التوراة على المخيمات والأماكن التى أقاموا فيها كلمة «حصور» وتعنى هذه الكلمة ما تعنيه كلمة «حيرتا» فى الآرامية و«الحيرة» فى العربية... وقد يرجع تاريخهم إلى ما قبل حملة أشور بنبال، وقد يصل إلى الألف الثانية قبل الميلاد. ويظهر أنهم كانوا يهاجمون مع قبائل عربية أخرى حدود مملكة أشور والقوافل الأشورية لذلك جردت عليهم اشور تلك الحملة، وقد شهدوا نهاية حكومة إسرائيل وعاشوا إلى ما بعد ذلك[1].

ونحصر الاستنتاج أن «جشم العربى» كانت له قوة ومنزلة توزنان وزناً كبيراً، زمن نحميا اليهودى العائد من السبى يريد إعادة بناء أسوار أورشليم وزمن سنبلط الزعيم السامرى اليهودى خصم نحميا، بالوجوه التالية:

١ ـ أن يكون جشم وارثاً إرثاً سلالياً زعامة العرب فى السامرة منذ نقل سرجون الأشورى تلك القبائل العربية إلى السامرة قبل الآن بنحو ٢٧٠ سنة.

٢ ـ أن يكون جدوده قد علوا إلى زعامة العرب فى السامرة فى أثناء هذه المدة حتى انتهت إليه الزعامة زمن نحميا وسنبلط.

٣ ـ أما أن نعتبره ملك قيدار، كما جاء فى الآنية المكتشفة فى مصر، فهذا مما يزيد معلوماتنا عنه على ما جاء فى التوراة. فإذا صح هذا، فيكون لجشم زعامة عربية تشمل السامرة وشرق الأردن.

٤ ـ ونعت «بالعربى» لأن مجموعة القبائل التى نقلها سرجون إلى السامرة إنما صارت تتميز بصفتها القومية الجنسية العربية العامة أكثر من امتدادها أن تعرف بأسماء قبائلية فرعية خاصة متفرقة. وإذا كان الاسم القبائلى لم يتغير لفظه بين عرب السامرة أنفسهم وهم على حال ليسوا بالكثرة الكاثرة، فهم فى نظر نحميا، «عرب» وكان العرب خصومه.

٥ ـ ومهما يكن من أمر، فإننا نعتبر جشم زعيماً عربياً له وزنه وعلو شأنه، إزاء نحميا فى أواسط القرن الخامس قبل المسيح. ولننتقل بعد هذا إلى خبر معارضة الحلف لنحميا.

---

(١) الدكتور جواد على الجزء الأول ص ٢٩٠ ملخصاً.

٩ ـ مقاومة السامرة لليهود بعد العودة من السبى على يد حلف كبير

هذا الحلف، كما عرفنا، مؤلف من سنبلط الحورونى (الحورونى نسبة إلى قرية كانت تعرف «بيت حورون» فى السامرة وهى اليوم «بيت عور التحتا» و «بيت عور الفوقا» وطوبيا العبد العمونى، وجُشَم العربى، قد مر ذكرهم جميعاً، والعمونيين فى شرق الأردن، والأشدوديين فى سهول فلسطين الساحلية الجنوبية، لتطويق اليهود فى المنطقة التى كانوا يقيمون فيها، ويمنعوهم من إعادة بناء الهيكل والأسوار، وكل هذا هدمه وخربه وأحرقه نبوخذناصر كما رأينا.

***

بين عودة زربابل، وهو أول قافلة عادت من السبى فى زمن كورش (كيرش عند العرب) الفارسى سنة ٥٣٦ ق. م. وعودة نحميا، وهو ثالث قافلة وهى الأخيرة سنة ٤٤٤ ق. م. ـ ٩٢ سنة.

فى خلال هذه المدة اجتاز اليهود الخطر المذهل الذى كان ينذرهم بالمحو والفناء، جملة وتفصيلاً، وهو أن يفنوا فى مملكة بابل الكلدانية بهذا السبى الثانى كما فنى بنو قومهم من قبل وهم يهود إسرائيل الشمالية، وكان ذلك السبى على يد الملك سرجون الأشورى الثانى.

فالسبى الأول سنة ٧٢١ ق. م. جرف الاسباط العشرة التى كانت تقيم فى السامرة وبعض أجزاء شرق الأردن، وأما كيف تلاشت هذه الأسباط تلاشياً تاماً بالسبى الأول، وكيف وزعت فى مملكة بابل، حتى انطفأت أخبارها بالمرة من الوجود، فذلك كله لم تحفظ لنا أخباره فى تواريخ بابل وأشور وفارس، حتى لم يستطع اليهود أنفسهم أن يحفظوا شيئاً منه. والسبى الثانى ليهوذا شمل السبطين، الباقيين من الاثنى عشر سبطاً، وهما يهوذا وبنيامين.

وقصة اليهود بعد ذلك محصورة بهذين السبطين، ولولا يقظتهم العجيبة فى السبى الثانى ومدته ٥٠ ـ ٧٠ سنة، على يد «أنبيائهم» واستير ومردخاى ولولا مساندة دولة فارس لهم، لاضمحلوا من سفر الوجود، ولما كان تاريخ العالم تعثر بهم مرة أخرى فى عدة أدوار، وهم ينسجون، حتى الثورة الفرنسية فى أواخر القرن الثامن عشر، خيوطها السرية المشتقة من روح «التلمود»، و «التلمود» مخطط الإفساد البشرى، حتى انتظموا بالتالى «بالقبالة» السرية، ومن «القبالة» خرج المخطط الحديث بشكله القديم بروحه وغايته وهدفه، وهو «بروتوكولات حكماء صهيون».

***

المقاومة لزربابل وعزرا ونحميا، لكى لا يمكنوا من تجديد الهيكل والمدينة وأسوارها. تقسم إلى قسمين.

فالأول، هو مقاومة زربابل؛ فأدى ذلك إلى وقف العمل بأمر ملك فارس وبقى متوقفاً نحواً من ١٥ سنة حتى استؤنف سنة ٥٢٠ ق. م. بذهاب ملك ومجئ ملك فى فارس، وأكمل البناء فى مدى ٤ سنوات بعد ذلك، أى سنة ٥١٦ وهذا الهيكل ينسب إلى زربابل بعد أن بقى خراباً نحو سبعين سنة. وبقى قائماً حتى جاء هيرودس الكبير، الادومى الأصل، والمعدود نصف عربى[1]، فجدده وزاد فيه استرضاء لليهود لدى الرومان، وبقى هيرودس يعمل فى تزيينه أكثر من ٤٠ سنة، حتى جاء الرومان بسخطهم ونارهم على اليهود فدمروه والمدينة كلها سنة ٧٠ ب. م. وهذا آخر خراب حلّ به. وبعد هذا الوقت بأكثر من ستة قرون بقليل بدأ عبدالملك بن مروان الخليفة الأموى يبنى مسجد الصخرة ثم المسجد الأقصى قائمين إلى ما شاء الله، وكل هذا حيث كان الهيكل وساحته. والقسم الآخر هو مقاومة عزرا ونحميا على يد «الحلف» واستغرقت المقاومة الثانية نحو ربع قرن.

***

---

(١) ابوه ادومى جاء من ناحية بئر السبع. وأمه ابنة أحد أمراء العرب الأنباط. الأدوميين، من نسل عيسو كما تقول التوراة، وهم أبناء عمومة العرب. قال الدكتور على جواد: «وقد ذهب مونتكومرى إلى أن الأدوميين كانوا عرباً من حيث «الرس» وكانت عواطفه مع العرب كذلك» (تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢٥٧ ج ٢). مواطنهم من وادى عربة فشرقاً، بين البحر الميت والعقبة، ومما هو اليوم الطفيلة. والشوبك، ومعان، ووادى موسى، فى المملكة الأردنية كان من أدوم سابقاً. وإلى شمال أدوم مباشرة بلاد مؤآب، وإلى الجنوب مباشرة مدين التى تمتد إلى تبوك وشمال الحجاز، وكان الأدوميون أعداء بنى إسرائيل واليهود مدى الدهر كله كالعرب تماماً، وهم كالعمالقة حاربوا موسى يمنعونه من اجتياز بلادهم. ولهم ذكر فى سجلات الفراعنة، وكانت أيام قوتهم من القرن ١٣٠ ـ ٦» ق. م. أى سبعة قرون متمادية. وكان لهم ملوك وبنو إسرائيل فى عبودية مصر. ومرة بعد قيام الملكية الإسرائيلية ذهب أحد أمراء أدوم واسمه «هدد» إلى فرعون، واستنصر به لكى يخاصم سليمان بن داود. ولما دمر نبوخذناصر بيت المقدس والهيكل اقام الأدوميون مهرجان فرح. وفى القرن الخامس ق. م. بدأ الأنباط يزحمونهم ويزاحمونهم فى مواطنهم شرقى وادى عربة. وكان السبى الثانى قد وقع فانتقل بعضهم أو معظمهم إلى القسم الغربى المناوح لبلادهم (ما هو جنوبى «الخليل» وشرقه حتى وادى عربة)، وهو أرض يهوذا الجنوبية، فورثوها وأقاموا فيها. لكن لما جاء المكابيون اليهود فى القرن الثانى ق. م. تناولوهم بالقهر والمذلة وحملوهم على الختان وأرادوا تهويدهم. وبعد هذا بقليل كان منهم هيرودس الكبير، اقامه الرومان ملكاً على اليهود، فلا هو يهودى محض، ولا هو برئ من اليهودية، أما جملة اليهود فقد بقوا ينظرون إليه وإلى خلفائه من بعده الأدوميين بازدراء. فلما جعل ملكاً (٣٧ ـ ٤) ب. م. راح يتقرب من اليهود محاولاً حملهم على الإذعان للرومان، ومن هنا قام بتجديد الهيكل وبقى يعمل فى هذا أكثر من أربعين سنة حتى جعله مترفاً بالمحاسن كلها. وهو المذكور فى الإنجيل إذ فى عصره ولد السيد المسيح والقصة مبسوطة هناك. وهو بانى قيصرية (قيسارية) جنوبى حيفا، وسبطية (قرب نابلس) واختل عقله آخر حياته والهرادسة كلهم ينسبون اليه حتى خراب الهيكل الأخير.

واخبار المقاومة ناخذها بمعظمها من سفرى عزرا ونحميا. ومع أن كلاً من هذين السفرين ينسب إلى صاحبه، وعزرا متقدم قليلاً فى الوقت على نحميا. على أنه يؤخذ من سياق الكلام والحوادث فى كل منهما، أن بعض الكلام رتب وزيد بوقت لاحق، فعزرا يتكلم عن أيامه وأيام زربابل من قبل، ونحميا يتكلم عن أيامه فقط، وفى كلا السفرين يكون الكلام أحياناً بصيغة المتكلم وأحياناً بصيغة الغائب.

***

البوادر الأولى للمقاومة قالها عزرا، فأول ما بنوه أيام زربابل هو المذبح، ولما اجتمع اليهود فى بيت المقدس من مختلف النواحى لتقديم الذبائح، كان «عليهم رعب من شعوب الأراضى» (الترجمة الأمريكية) أو «مع ما كان عليهم من الذعر من شعوب البلاد» (الترجمة اليسوعية). والمقصود بشعوب الأراضى أو شعوب البلاد جميع الأقوام المحيطة بالمنطقة اليهودية الصغيرة، وهذه لا تزيد بمساحتها بين رام الله شمالاً والخليل جنوباً على نحو ٤٥ ك. م. ويؤخذ من هذا أن الرأى العام، ولاسيما فى السامرة، حيث تتمركز القوة المعادية ليهوذا وبنيامين، أخذ يهتاج منذ عاد زربابل بمخططه المسنود من ملك فارس. (عزرا. الفصل ٣).

ولم يزد عزرا على هذا فى إيراد هذه البادرة الأولى من بوادر المقاومة. ثم يعطينا تعبيراً آخر بعد قليل بقوله: «ولما سمع أعداء يهوذا وبنيامين أن بنى السبى يبنون هيكلاً للرب، تقدموا إلى زربابل ورؤوس الآباء وقالوا لهم نبنى معكم، ونعبد إلهكم مثلكم ونحن نذبح له من أيام اسرحدون ملك أشور الذى صيرنا إلى هنا» (عزرا الفصل ٤).

ومن هذا يؤخذ مباشرة، أن قائلى هذا القول هم أهل السامرة الذين نقلهم سرجون يوم السبى من مختلف الأقطار إلى هنا، وتروى التوراة فى أخبارهم وأخبار هذا السبى أن الذين أتى بهم إلى السامرة كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، فلما استقروا فى بيئتهم الجديدة، رأوا فوجدوا أن من الخير لهم أن يطلبوا من ملك أشور أن يرسل إليهم من يعلمهم عبادة إسرائيل فلبى طلبهم، ومن هنا دخلوا فى اليهودية. وقلنا فى الكلام على منشأ الفرقة السامرية أنها مؤلفة من عنصرين: الأول بقايا اليهود الضعفة الذين لم يحتملوا مشقة السفر وقت السبى، فهؤلاء رسبوا فى البلاد، ثم انضاف إليهم الذين يقولون اليوم لزربابل تعال نبنى معك فإننا نعبد إلهكم منذ أيام اسرحدون، واسرحدون مدته ٦٨١ ـ ٦٦٨ وقبله سنحاريب (٧٠٥ ـ ٦٨١) وقبله سرجون الثانى (٧٢٢ ـ ٧٠٥) الذى كان على يديه السبى. وهذا الكلام من السامريين لزربابل ينبغى أن يكون فى حدود ٥٣٥ ق. م.، وربما فى الشهر السابع من السنة اليهودية كما جاء فى عزرا (٣: ٨) فتوسلوا إلى زربابل بأنهم على دين واحد هو إله إسرائيل.

فلم يقبل زربابل هذا الكلام فأجاب: «ليس لكم ولنا أن نبنى معاً بيتاً لإلهنا، ولكن نحن

نبنى للرب إله إسرائيل كما أمرنا الملك كورش ملك فارس». وينبغى أن تكون الحال قد تأزمت بين الفريقين.

ويقول عزرا بعد هذا مباشرة «وكان شعب الأرض يرخون أيدى شعب يهوذا ويقلقونهم فى البناء، واستأجروا مشيرين ضدهم لإبطال مشورتهم جميعهم أيام كورش ملك فارس إلى أن ملك داريوس ملك فارس».

وهذا معناه اشتداد حركة المقاومة حتى صار العمل فى البناء معرضاً لخطر الهجوم عليه، فضلاً عن الدعاية المنتشرة من حول اليهود تفسد عليهم ما هم بسبيله.

أما داريوس الأول فمدته ٥٢١ ـ ٤٨٥ ق. م. وبعده جاء مباشرة احشويروش صاحب استير (٤٨٥ ـ ٤٦٥) ويقول عزرا أن المقاومين كتبوا شكوى إلى احشويروش فى أول أيامه ولا يذكر عزرا شيئاً من النتيجة لذلك، وفى أول أيام احشويروش لم تكن استير قد صارت ملكة بعد ويذكر عزرا (٤ : ٩) لا أقل من تسعة أجناس من الأقوام والأمم الذين أجلاهم سرجون، اعصوصبوا الآن معاً وأرسلوا احتجاجاً إلى ملك فارس، وكان هو اليوم ارتحششتا (٤٦٥ ـ ٤٢٤) الذى جاء بعد احشويروش.

ويؤخذ من كلام عزرا (الفصل الرابع) أن الاحتجاج الذى رفع إلى ارتحششتا كان على نوبتين:

الأولى ـ من بشلام وميتردات، وطبئيل وسائر صحابتهم والكتابة بالآرامية (ثم مترجمة إلى الفارسية).

الثانية ـ من «رحوم» صاحب القضاء «وشمشاى» الكاتب، باسم تسعة أقوام وسائر الأمم التى أجليت إلى السامرة، أى قبل هذا التاريخ بأكثر من قرنين ونصف.

أما «بشلام» هذا يقول قاموس الكتاب المقدس أنه كان الحاكم على فلسطين من قبل الدولة الفارسية فى مدة رجوع اليهود من السبى، ولما يبدأ الراجعون من السبى فى ترميم هيكلهم، أرسل كتابة ضدهم إلى الملك ارتحششتا عما شرعوا فيه.

وقياساً على هذا، يحتمل أن يكون مارددات وطبئيل وسائر رهطهم المشتركين معهم فى الاحتجاج، هم من كبار موظفى الحكومة. ويظهر أن هؤلاء الموظفين لما أيقنوا بصحة ما يقوله المقاومون لليهود، رأوا من واجبهم الرسمى أن يكتبوا إلى الملك ففعلوا ومما يلفت النظر فى خطورة هذا الاحتجاج، قولهم «وسائر صحابتهم» ولما كان هذا الاحتجاج «تقريراً» رسمياً، بلغة اليوم، فهو يدل على أن الحكومة الفارسية فى فلسطين، كان رأيها كرأى السامريين فى أن لليهود مرامى بعيدة إذا تحققت فتحققها يضر بمصلحة فارس.

أما «رحوم صاحب القضاء»، فظاهرة منزلته العالية، ومعه الكاتب شمشاى، أو ما نعبر عنه اليوم بأمين الديوان أو رئيسه، إذ كلمة «كاتب» ليس معناها هنا الذى يكتب الرسائل بل معناها «السكرتير» الأمين.

والمهم فى احتجاج رحوم وشمشاى أنه يمثل الأقوام التى فى السامرة وهى تسع عدّا ولا فائدة من ذكرها هنا لأنها غريبة على ذهن القارئ، ما عدا قوله «والاركويين» نسبة إلى «آرَك»، وهى اليوم «وركة» فى العراق لاتزال تجرى فيها أعمال تنقيب واسعة عن أقدم الآثار وبقية تلك الأقوام البابليون والعيلاميون.

ومن المفيد المعجب فى هذا الموطن من عزرا أن جامع السفر أثبت صورة الاحتجاج الذى نظّمه رحوم وشمشاى، ونجمل محتواه وهو (مخاطباً الملك):

١ ـ أن اليهود الذين خرجوا من عندك قد وفدوا إلينا إلى أورشليم المدينة المتمردة الشقية يبنون ويرمون أسوارها وقد فرغوا من الأساس.

٢ ـ ليكن معلوماً لدى الملك أنه إن بنيت هذه المدينة وتمت أسوارها فإن أهلها (اليهود) لا يؤدون الخراج ولا الجزية ولا الخفارة المعتادة فيكون الملك قد أضر بخزانته.

٣ ـ ولما كنا قد أكلنا ملح الملك، فلا يليق بنا أن نسكت عن هذه المساءة، ولذلك كتبنا هذه الشكوى.

٤ ـ وليبحث الملك فى السجلات، فيجد أن هذه المدينة متمردة مسيئة إلى الملوك والأقاليم.

٥ ـ وهؤلاء اليهود قد أثاروا شغباً فى الأيام السابقة ولذلك حلّ بهم بالتالى الخراب.

٦ ـ وإذا ما بنيت وأقيمت لها الأسوار فلا يكون للملك نصيب فى عبر النهر (سوريا وفلسطين وفينيقيا).

***

وكأن هذا الاحتجاج لو كُتب اليوم، لما كشف عن جديد من غرائز اليهود. وهذا الاحتجاج منذ خمسة وعشرين قرناً.

***

قال عزرا: فلما تليت نسخة رسالة الملك ارتحششتا أمام رحوم وشمشاى الكاتب وصحابتهما، بادروا فى الذهاب إلى أورشليم إلى اليهود وكفّوهم كفّ اليد بالقوة (بأمر الملك).

ثم أنهى عزرا هذا الفصل بقوله:

«فتعطل عمل بيت الله الذى فى أورشليم وبقى منقطعاً إلى السنة الثانية من ملك داريوس». وهذه المدة نحو ١٥ سنة داريوس هو «دارا» فى التاريخ العربى.

فلما جاء داريروس بعد الخمس عشرة سنة، وكانت استير قد بذرت بذورها فنمت وأثمرت، جدد زربابل مساعيه، والطرق الآن مفتوحة لديه، فشرع يبنى كما فى النوبة الأولى، وإذا بلجنة تحقيق مؤلفة من:

تتناى ـ والى عبر النهر وهو فارسى.

شتر بوزناى ورفاقهما ـ (من كبار ممثلى الأقوام التسعة) يحضرون إلى أورشليم ويجرون تحقيقاً هذا إيجاز محتواه:

١ ـ ليكن معلوماً أننا ذهبنا إلى بلاد يهوذا... وإذا به يبنى بحجارة عظيمة، ويوضع خشب فى الحيطان.

٢ ـ هذا العمل يعمل بسرعة.

٣ ـ سألنا الشيوخ: من أمركم ببناء هذا البيت وتكميل هذه الأسوار؟

٤ ـ فأجابوا: بناه ملك عظيم لإسرائيل، ثم وقع آباؤنا فى المعاصى فسلّط عليهم نبوخذناصر ملك بابل الكلدانى فهدم الهيكل وسبى الشعب إلى بابل.

٥ ـ فى السنة الأولى لكورش أصدر أمره ببناء البيت ورد إليه الآنية من ذهب وفضة مما أخذه نبوخذناصر.

٦ ـ كلف كورش شيشبصر بنقل الآنية إلى أورشليم وجعله والياً على الإقليم، ووضع حجر الأساس وشرع فى البناء ولما يكمل.

٧ ـ الرجاء أن يفتش فى السجلات هل هناك ما يثبت صدور الأمر من كورش ببناء البيت، وليرسل الملك إلينا مراده.

***

لم يذكر زربابل شيئاً من السبب فى توقف العمل فى البناء وكان قد مضى على ذلك ١٥ سنة. ففتش فى السجلات فوجدوا الأمر من كورش بالبناء.

فصدر الأمر من داريوس:

«أنا داريوس قد أمرت فليفعل عاجلاً».

قال عزرا: «وكمل هذا البيت فى اليوم الثالث من شهر آذار فى السنة السادسة من ملك داريوس (عزرا ٦ ـ ١٢) وهذا يوافق ٤١٦ ق. م.

***

والاحتجاجات إلى ملكى الفرس صارت ثلاثة، واحداً إلى احشويروش صاحب استير، واثنين إلى ارتحششتا وينبغى أن يكون هذا فى خلال بضعة أشهر. وإلى الآن لا ذكر لسنبلط

ولا لطوبيا ولا لجشم العربى. فأخبارهم عند نحميا عما قريب. وهذا جواب ارتحششتا:

فإنه وجه جوابه إلى موقعى الاحتجاج وإلى الذين كتب باسمهم وبعد التحية والسلام، كما تفتح الرسائل فى عصرنا هذا، قال ما نجمله مع المحافظة على تركيب الكلام الأصلى ما أمكن:

١ ـ أن الرسالة التى بعثتم بها إلينا قد قرئت بين يدينا جهراً.

٢ ـ وقد أمرت فبحث فوجد أن هذه المدينة فى قديم الدهر قامت على الملوك وكان فيها تمرد وفتنة.

٣ ـ وقد كان على أورشليم ملوك أقوياء تسلطوا على جميع عبر النهر، ورُفع إليهم الخراج والجزية والخفارة.

٤ ـ والآن أخرجوا أمراً بتوقيف أولئك الرجال فلا تبنى هذه المدينة حتى يصدر أمر منى.

٥ ـ واحذروا أن تتهاونوا فى تنفيذ هذا لئلا يتفاقم الفساد لأذى الملوك (عزرا الفصل ٤).

***

ولما كمل البناء، جمع عزرا الشعب فى أورشليم، وأنذر بأن من يتخلف عن الحضور يخرج من جماعة «السبى». فقام فيهم عزرا وجعل يحضهم إلا يختلطوا «بالأجنبيات» فى الزواج، وتليت أسماء من زوجاتهم غير يهوديات، فكان عدد هؤلاء فوق المئة فحرم عليهم ذلك وطلب منهم القَسَم، هذا هو القسم الأول من المقاومة ونستخلص من ذلك:

١ ـ إن الولاة الفرس فى فلسطين كانوا هم أنفسهم يرون رأى أهل السامرة فى وجوب إبطال ما يعمله أهل السبى العائدون، من إعادة بناء الهيكل والمدينة بأسوارها.

٢ ـ كانت الجالية الفارسية على هذا الرأى أيضاً.

٣ ـ كان مستند الاحتجاج، ما لليهود فى ماضى أيامهم من فتن ومكايد إزاء الدول والملوك، وما كان هذا المستند إلا ما هو مسجل فى التواريخ القديمة.

٤ ـ لما أمر داريوس بما أمر، كانت دولة «حكماء صهيون» قد أرسلت قواربها فى النهر.

وإنما إلى الكشف عن هذه الخفايا نرمى فى وضع هذه الصفحات.

***

والآن، إلى المقاومة على يد «الحلف».

***

الحلف الذى قاوم نحميا
وبرز فيه جشم العربى

لما جاء نحميا إلى بيت المقدس سنة ٤٤٤ عائداً من السبى، كان زميله عزرا قد سبقه إلى هناك ومضى عليه فى بيت المقدس ١٣ سنة. وكان نحميا هو ساقى الملك ارتحششتا، وهذا منصب عالٍ خطير فى بلاط الملك الفارسى يقوم به يهودى مثل نحميا. وقد استوفينا هذه الناحية فى ترجمة نحميا، قدر الإمكان، فلتراجع، ويقول «هالى» صاحب مختصر التوراة (٢١٦) أن المأثور عند اليهود أن عزرا هو واضع الأسفار الأربعة «أخبار الأيام» الأول والثانى وعزرا ونحميا. ولما جاء بيت المقدس، جاء وفى جيبه مرسوم الملك يجيز له بناء السور وتحصين المدينة. ومع هذا يقول «هالى» أن اليهود بقوا فى موطنهم بعد العودة مئة سنة تقريباً، وخلال هذه المدة لم يستطيعوا التقدم إلا قليلاً، وجل ما استطاعوه هو بناء الهيكل لكنه جاء هيكلاً ضئيلاً للغاية، والسبب أنهم كانوا كلما أقبلوا يعملون فى السور، داهمهم جيرانهم الذين هم أشد بأساً فعرقلوهم بالقوة والقهر، أو استطاع هؤلاء الجيران إيصال صوتهم إلى البلاط فيحصلون من الملك على أمر بتوقيف العمل» (المصدر نفسه ٢١٦).

ويقول «هالى»: «لما كان ارتحششتا ملك فارس من ٤٦٥ ـ ٤٢٥ ق. م. هو ابن احشويروش، فأمسى بمثابة الابن الربيب لاستير الملكة اليهودية واستير أصبحت الملكة بعد البدء بالعودة بنحو ٦٠ سنة أو بعد الفراغ من بناء الهيكل بنحو ٤٠ سنة. وهذا الوضع ينبغى أن ينيل اليهود النفوذ الواسع فى البلاد الفارسية، ويحتمل أن استير كانت لاتزال فى قيد الحياة، وشخصية واسعة النفوذ لما عاد عزرا ونحميا إلى بيت المقدس». ثم يقول هالى أخيراً: «ونعتقد أنه يجب علينا شكر استير على ما أبداه ارتحششتا من حسن الشعور نحو اليهود وعنايته بأن يرى سور المدينة قد تم بناؤه»! هذا ما يقوله المؤلف هالى. ونقول إن القضية فى ما يجب من الشكر لاستير على ما صنع ارتحششتا، هى القضية عينها التى توجب الشكر لاستير على ما صنعت لارتحششتا.

***

يقول نحميا فى السفر المنسوب إليه:

«ولما سمع سنبلط الحورونى وطوبيا العبد العمونى ساءهما مساءة عظيمة»، أى لما سمعا بمقدمه من فارس ومعه مرسوم الملك، إلى الولاة، ورسالة إلى آساف حارس غابة الملك أن يعطيه أخشاباً لسقف أبواب القصر ولسور المدينة.

وهذه أول مرة يشير فيها نحميا إلى سنبلط الحوروني وطوبيا العبد العموني في أوائل سفره في الفصل الثاني منه.

وفي هذا الفصل نفسه بعد أن يصف ثلاثة أيامه الأولى في بيت المقدس وتفقده المدينة والسور والوادي، وقام بهذا البناء سراً دون أن يخبر الكهنة والولاة الفرس المسؤولين، يقول أنه جمع قومه واطلعهم على مخططه، وطلب منهم أن يكونوا متعاونين في العمل يداً واحدة. وهو ولا شك يعلم جيداً الصعاب التي لاقاها زربابل من قبل، قبل اليوم ب ٩٢ سنة، وهذا زميله عزرا هو في بيت المقدس الآن منذ ١٣ سنة يلقى الصعاب، لكن المقاومة اليوم لها شكل جديد، وعناصرها هي أقوى عناصر في الإقليم كله (عبر النهر) بتعبير التوراة.

وإذا بنحميا في الفصل الثاني يعود فيقول: «ولما سمع سنبلط الحوروني، وطوبيا العبد العموني وجشم العربي، هزأوا بنا واحتقرونا وقالوا ما هذا الأمر الذي أنتم عاملون؟ أعلى الملك تتمردون؟»

هنا يرد ذكر جشم العربي لأول مرة مع زميله سنبلط وطوبيا.

ويمضي نحميا في وصف السير بالعمل حتى وصل إلى الفصل الرابع فإذا به يفتتحه هكذا:

«ولما سمع سنبلط أننا آخذون في بناء السور، غضب واغتاظ كثيراً، وهزأ باليهود، وتكلم أمام إخوته وجيش السامرة وقال: ماذا يعمل اليهود الضعفاء، هل يُتركون؟ هل يذبحون؟ هل يكملون في يوم؟ هل يحيون الحجارة من كوم التراب وهي محرقة؟».

وعلينا أن نلاحظ شدة النبرة الغضبية في كل كلمة من كلمات سنبلط وهو يقول هذا الكلام أمام رفقته وجيش السامرة، وهذا يؤخذ إيذاناً بأن جيش السامرة سيتحرك. ثم تراه يصوّر اليهود على حقيقتهم وهو الضعف. ثم عاد يستصرخ: هل يترك هؤلاء يمضون في عملهم؟ ثم وضعهم موضعهم من الجبن فقال: هل يذبحون؟ أي هل اليهود رجال حتى يذبحوا عدوهم، هم أجبن من ذلك. ثم استرعى انتباهه السرعة في العمل فقال: هل يكملون هذا العمل في يوم، فلن يكملوه. ثم وزن المسألة كلها، وبيت المقدس لاتزال خراباً، فقال: هل يحيون الحجارة من كوم التراب؟ وهي هنا من وقت نبوخذناصر تحدّث بالويل.

***

ولما كان سنبلط يلقي هذا الكلام المحرّض، على مسمع من رفقته والجيش السامري، كان بجانبه طوبيا العموني فقال طوبيا:

«إن ما يبنونه إذا صعد ثعلب فإنه يهدم حجارة حائطهم». وكانت غاية نحميا ومن قبله، أن يحصنوا المدينة تحصيناً عسكرياً تحت ستار الهيكل والدفاع عنه.

هذا كله ورد في الأعداد الستة الأولى من الاصحاح الرابع. ثم نرى نحميا ينفجر فجأة ليقول بعد هذا مباشرة:

«ولما سمع سنبلط وطوبيا والعرب والعمونيون والاشدوديون أن أسوار أورشليم قد رمّمت والثُغَر ابتدأت تسدّ غضبوا جدا، وتآمروا جميعهم معاً أن يأتوا ويحاربوا أورشليم ويعملوا بها ضرراً».

هنا يذكر نحميا «الاعداء» فريقاً فريقاً، وكانت الحركة على ما يظهر قد اتسعت حتى انتهت إلى شرق الأردن، وإلى الفلسطينيين الذين فى السهول الساحلية ومركزهم أشدود. ولعل نحميا يقصد «بالعرب» لا جشم وحده بل عرب السامرة وعرب الأردن من الشرق.

فاستعد نحميا وأقام الحراس، وأما سواد اليهود فأخذهم الرعب وقالوا «قد ضعفت قوة الحمالين، والتراب كثير، ونحن لا نقدر أن نبنى السور».

وبلغ نحميا أن «الأعداء» سيبغتونهم ويأخذون أورشليم على حين غرة، فازداد الخوف والهلع.

وكان اليهود الساكنون فى السامرة جيرة للسامريين، يقومون بأعمال التجسس ويأتون إلى نحميا بكل شئ يطلعونه على صفة الحال فى السامرة، والسامرة هى مركز الحركة، كما رأينا. فعاد نحميا إلى الاستعداد العسكرى وهو يقول: «فأوقفتُ الشعب من أسفل الموضع وراء السور، وعلى القمم، أوقفهم حسب عشائرهم بسيوفهم ورماحهم وقسيهم». وقال نحميا بعد ذلك محرضا على الدفاع: «وحاربوا من أجل إخوتكم وبنيكم وبناتكم ونسائكم وبيوتكم». وكان العمل على السور قد توقف كله استعداداً للدفاع المباغت. ويظهر أن أعمال التجسس التى كان يقوم بها اليهود الذين فى السامرة، وهم جيران السامريين أو فى قرى متشابكة الحدود، كانت أعمالاً فظيعة، شأن اليهود المعهود فيهم هذا على الدوام.

ولسبب ما، لم يقع الهجوم المباغت. فعاد نحميا فجعل عمل البناء يستأنف، وإنما ابقى حَمَلة السلاح على سلاحهم وفى مراكزهم، وأمرهم بأنهم إذا سمعوا صوت البوق من ناحية فعليهم بالكرة إلى هناك! وجعل الحراسة بالتناوب ليل نهار. وقال نحميا عن نفسه: «ولم أكن أنا ولا اخوتى ولا غلمانى ولا الحراس الذين ورائى نخلع ثيابنا. كان كل واحد يذهب بسلاحه إلى الماء» (عزرا الاصحاح ٤).

***

وأخذت الأزمة المعيشية بمخنق اليهود فصاحوا بوجه نحميا:

بنونا وبناتنا كثيرون فأين القمح لنأكل ونحيا؟

حقولنا وكرومنا وبيوتنا هى فى الرهن مقابل القمح لندرأ المجاعة.

خراج الملك (الفارسى) استقرضناه ورهنا حقولنا وكرومنا.

وها نحن نجعل بنينا وبناتنا عبيداً.

ليس لنا شئ فحقولنا أمست لغيرنا.

وفى إبّان هذه الأزمة، كان الربا هو العلق اليهودى يستنزف ويمتص الدم اليهودى، فدعاهم نحميا وقال لهم:

«نحن افتدينا إخواننا اليهود الذين بيعوا للأمم، وافتديناهم قدر طاقتنا، وأما أنتم فتبيعون إخوانكم فيباعون لنا». وطلب منهم إسقاط الربا والدين، وردّ رهون الحقول والزيتون والبيوت إلى أهلها. وأعطاهم القمح والقروض من الفضة، والخمر والزيت (نحميا الفصل ٥).

ثم قال نحميا أنه صار الآن والياً، ومكث في الولاية ١٢ سنة فما هي تلك السلطة الخفية التي جلبت إليه منصب الولاية؟ وهنا يحدثنا نحميا ما ذكرناه في ترجمته، من أن مائدته كان عليها ١٥٠ من اليهود وموظفي الحكومة الفارسية، فضلاً عن القادمين طوارئ.

***

ولعل القارئ لاحظ أن نحمْيا يفتتح عبارته عند ذكر «الأعداء» بقوله «ولما سمع...» وها هو يفتتح الفصل السادس بقوله: -

«ولما سمع سنبلط وطوبيا وجشم العربي وبقية أعدائنا أني قد بنيت السور، ولم تبق فيه ثغرة - على أني لم أكن إلى ذلك الوقت قد أقمت مصاريع الأبواب، أرسل سنبلط وجشم إلى قائلين: هلمّ نجتمع معاً في القرى في بقعة «أونو» وكانا يفكران أن يعملا بي شراً».

فلم يستجب نحميا لهذا الطلب.

وكرراه عليه خمس مرات، فظل يرفض الاستجابة.

والمرة الخامسة أنفذ إليه سنبلط رسالة خاصة نقلها غلام سنبلط بيده. وفي هذه الرسالة يقول سنبلط لنحميا: «إن الأمم تقول إنك وقومك اليهود تفكرون أن تتمردوا، وتحصين المدينة بسورها القصد منه أن تصنعوا منكم ملكاً، والدليل على هذا انطلاق الأنبياء بهذه الدعاية وقد أقمت أنبياء لينادوا بك في أورشليم قائلين في يهوذا ملك» فتعال نبحث ونتشاور.

هذا هو محتوى الرسالة الخاصة من سنبلط إلى نحميا. فلم يستجب نحميا. غير أن الرسالة فيها شئ آخر، فقد ذكر نحميا في أولها أن الأمم تقول هذا، وهذا يقوله أيضاً جشم، وظاهر أن قصد سنبلط من هذا، أن يستند بالإضافة إلى جيش السامرة، إلى قوة جشم، ولذلك قال له: «قد سمع بين الأمم وجشم يقول إنك أنت واليهود» إلى آخر الرسالة.

وعلينا أن نلاحظ هنا عدة نقاط:

١ - هذا دليل على ما لجشم من القوة، فذكره هنا سنبلط بهذا المعنى دون أن يذكر طوبيا. وسواء أكانت قوة جشم في السامرة، منفردة أم مندمجة بجيش السامرة، أم هي في شرق الأردن فمن الناحية العسكرية كان جشم قوة عربية يعتد بها. وهذا واضح.

٢ - أما «أونو» التي عينها سنبلط مكاناً للاجتماع، فهي اليوم قرية للشرق من يافا على نحو مسافة ١٠ كلم. واسمها الحالي (كفرعانة)، ونأخذ من هذا أن هذه المنطقة كانت في ذلك الحين خارج المنطقة اليهودية في الحكم الفارسي.

٣ ـ والمهم فى قول جشم أن نحميا أطلق «أنبياء» يبثون فى سواد اليهود الدعاية أن أورشليم سترى ملكاً جديداً فى يهوذا بعد السبى، أما نوع هؤلاء «الأنبياء» فهم، كما قلنا عند الكلام عليهم، طبقة تستأجر للدعاية السياسية، أو ما هو بمعنى بعض الصحف فى أيامنا هذه. فهؤلاء هم «عملاء» لمن يستأجرهم، والمستأجر هنا هو نحميا. وأما استناد هذه الدعاية إلى أن اليهود سيرون ملكاً جديداً، ففيه غرضان: أولاً هو هذا الذى يقوله جشم، والآخر، تحريك مطامع اليهود، وهم فى شدق الأزمة الخانقة، وإشعال نوازعهم. ومن هنا نبتت الملاحم اليهودية الأسطورية، وزادت وضخمت فى عصر المكابيين بعد قرنين من الزمن ومن هذا نبت التلمود.

***

وكثرت المخاوف على نحميا، وقد أبى الاجتماع فى «أونو» والآن يحدثنا عن أمر آخر يتعلق بهذا. فيقول إنه ذهب إلى بيت شمعيا بن دلايا بن مهطبئيل أحد الأنبياء، فوجد الباب مقفلاً، فأجابه شمعيا بأن يجتمعا معاً داخل الهيكل وتغلق الأبواب لأن القوم آتون لقتله فى تلك الليلة، فلم يقبل نحميا الالتجاء إلى الهيكل، ثم هو يقول إنه تحقق بعدئذ أن شمعيا لما تنبأ بما تنبأ به من مقتله، إنما فعل ذلك إذ كان مستأجراً من قبل طوبيا وسنبلط. ولا يذكر نحميا هنا أن جشم من مستأجرى شمعيا. وهناك «نبية» اسمها «نوعادية» فعلت مثل شمعيا أيضاً، وقال نحميا إنها مستأجرة، كشمعيا. وهنا فى هذا الموطن، لا نرى شمعيا ونوعادية إلا ناصحين لنحميا. فالمدة التى قضاها نحميا فى الترميم والبناء هى ٥٢ يوماً، كانت كلها رعباً على اليهود فى أورشليم. ويصف نحميا نفسه كيف اشتدت به الأزمة بين الضيق الاقتصادى، وعلق الربا، والمخاوف من السامرة وغيرها، حتى اضطر إلى جعل فريقٍ يبنون وفريقٍ على السلاح والحراس فى كل مكان.

***

وبقوة خفية منسابة من البلاط الفارسى، كالقوة التى كانت تنساب إلى فلسطين من لندن أيام الانتداب، تمّ بناء السور فى وسط هذه المخاوف المستمرة.

يقول نحميا أنه فرغ من بناء السور فى ٢٥ أيلول وفى ٥٢ يوماً وقد مرّ هذا فى ترجمته (نحميا الفصل ٦).

وكانت صفة نحميا الأخرى أنه «الوالى» وهو بالفارسية «الترشاتا»، وهذا يشبه «المندوب السامى» بمصطلح الانتداب.

وذكرنا فى ترجمة نحميا أموراً أخرى، تغنينا عن تكرارها هنا.

***

ومرة أخرى عاد الهيكل والسور، فخربا إلى ما شاء الله.

١٠ ـ الفرق اليهودية

١ ـ الصدّوقيون

٢ ـ الفريسيون

٣ ـ الأسينيون أو المغتسلون

٤ ـ الهيروديون

٥ ـ الجليليون

قبيل العهد المسيحى وبعده

مر بنا فى الكلام على عزرا ما يتعلق بالشريعة الشفوية إلى جانب الشريعة المكتوبة من موسى، وصورة ذلك: تلقى موسى التوراة فى سيناء فأعطاها إلى يشوع، ويشوع أعطاها إلى «الشيوخ» (هم المعروفون «بالقضاة» وعصرهم بعد يشوع إلى قيام الملكية فى القرن الحادى عشر ق. م.، وهم خمسة عشر قاضياً آخرهم صموئيل الذى هو أسّس الملكية مبتدئاً بشاول) والشيوخ أعطوها إلى «الأنبياء».

الأنبياء بدأوا يظهرون فى أيام الملكية ولعلّ إيليا (إلياس) وعاموس، ثم راحوا يتلون بعضهم بعضاً، أو يتعاصر اثنان أو ثلاثة منهم فى وقت واحد، من كبارهم وصغارهم، وتقع فترات، لا نبى فيها ولا نبوة ويمتد عهد الأنبياء إلى أيام السبى البابلى، وهذه مدة نحو خمسة قرون، فعهد «القضاة» غير عهد الأنبياء، الأول قبل الملكية، والآخر بعد الملكية، والأنبياء أعطوا التوراة الشفوية إلى رجال الكنيس بعد خراب الهيكل الأول فى القرن السادس ق. م. وأصل منشأ الكنيس وواضع أسسه عزرا، وقد سبق الكلام الوافى على عزرا.

وبذور التلمود كانت، كما رأينا على يد عزرا ورفقائه فى مدة السبى الثانى أو السبى البابلى. والمشكلة فى تاريخ اليهود أن هناك بعد عزرا مدة حوالى قرنين ونصف قرن، غامضة، مغلفة بالضباب، وحقائقها المحسوسة تبدو هنا على شئ من الظهور، وتبدو هناك مستخفية، مبعثرة فى دهاليز من العقد. وعلى الجملة فإن مدة الغموض هذه تكاد تنتقل بدارس تاريخ اليهود من عهد عزرا ونحميا، إلى عهد المكابيين توّاً، القرن الثانى والأول قبل الميلاد.

وبعد عزرا نرى ما يسمونه «السوفريم»، وهذه اللفظة هى فى ترجمة التوراة العربية «الكتبة» وأول من لُقب بالكاتب هو عزرا، فقيل عزرا الكاتب كما قيل عزرا الكاهن. وصار هؤلاء المعروفون بالكتبة، طبقة متميزة، يضمون «العلماء» المفسرين للشريعة، وهم يزعمون عن طريق وصفهم والإشارة إلى غايتهم، أنهم يطلبون «الرؤية فى الحكم، وتكثير عدد التلامذة والتابعين، وإقامة السياج حول التوراة». وقالوا: أما الرؤية فى الحكم، فلكى يؤمن الأخذ من ينبوع التوراة، وأما تكثير سواد التلاميذ فلكى يكون منهم خَلَفٌ بعد سلف يتابعون حَمْل التوراة، وأما إقامة السياج حول التوراة، فمعناه العمل بأحكامها.

وبعبارة موجزة: أن من هذه الهيئة التى قالت بلسانها هذا القول، انبثق التلمود الذى طار فوق التوراة فى الغلو كل مطار.

ويختلف كتاب اليهود اليوم فى تعيين آخر عهد هذه الهيئة، لكن آخر عهدها كان على كل حال بعد أيام عزرا بعدة قرون، وفى خلال العهد المكابى، ويظهر أنهم امتدوا إلى ما بعد العهد المسيحى. فالكتبة كانوا فى أيام المسيح، وأخبارهم فى الإنجيل مستفيضة، وبقوا إلى ما بعد ذلك. ويقال لهم فى الإنجيل «الناموسيون» أو «أصحاب الناموس» أى الشريعة، وكلمة «ناموس» يونانية لا عبرية. وكان هؤلاء الكتبة يحاجون المسيح بالباطل، ويدعون أن لهم وحدهم تفسير الناموس أى الشريعة. وإذا كانت كلمة «كاتب» زمن عزرا تعنى المفكر غير الناسخ، فمع الأيام صار معناها ما هو طبيعى أن يكون مفادها: نسخ الكتب المقدسة.

وليس المراد هنا الكلام على ما نشأ من فرق يهودية بعد العودة من السبى إلى وقت ظهور المسيح، فذلك خارج عن المقصود من هذا الباب، إنما نريد من القول شيئاً مجملاً يفى بحاجتنا المطلوبة إلى مساق الموضوع.

وهذه الفرق هى التى كان لها النفوذ، وتردد ذكرها فى الإنجيل، وكانت بتأثيرها جسراً عبرت من فوقه أشياء إلى ما بعد أيام المسيح بزمن طويل.

***

١ ـ الصدُّوقيون: ولعل نسبتهم هذه هى إلى رائدهم الأول «صدوق» أو «صادق». وأرجح الأقوال فى تعيين وقت ظهور هذه الفرقة، هو عهد خلفاء الإسكندر، وكان اليهود قد أمسوا تحت حكم بطالسة مصر تارة، والسلوقيين فى سوريا طوراً، وذاق اليهود من هؤلاء جميعاً العذاب الذى يستحقون. ومما يلفت النظر من أمر هذه الفرقة، اتجاهاتها وعقائدها، وهى مؤلفة من طبقة الكهنة وبعض الكتبة ومن العنصر اليهودى الذى يميل إلى مسالمة الرومان:

١ ـ الصدوقيون يرفضون كل ما يأتى به الشيوخ والكتبة مما هو خارج عن الوحى المدون فى أسفار التوراة. ولهم فى مجلس السنهدرين ممثلون أقل من عشرين عضواً (من أصل ٧٠ عضواً).

٢ ـ هم يقتصرون من التوراة على أسفار موسى الخمسة. وهم فى هذه الناحية يقفون مع «السامريين» على صعيد واحد، إذ كلاهما لا يقبل من التوراة إلا الأسفار الموسوية الخمسة، لا غير.

٣ ـ هم ينكرون البعث والنشور والقيامة. وقالوا إنما هى الحياة الدنيا وكفى. وخلود النفس أمسى عندهم باطلاً. ولا يعتقدون بالملائكة. وقالوا إن الإنسان خالق لعمله باختياره. وفى تحليل معتقداتهم هذه، يتضح أنهم بنوا شيئاً كثيراً من ذلك على فلسفة ابيقور اليونانى الذى جعل اللذة رأس النعيم للإنسان وقاعدة الأخلاق، ثم تطوحت هذه الفلسفة حتى دخلت الشهوات البدنية فى المسألة. والصدوقيون أدركهم يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور فى القرن الأول بعد المسيح. وهم كانوا قلة فى العدد، لكن كانت لهم الثروة المادية واليسر، والبروز فى المجتمع. ومن الصدوقيين بعد تسعة قرون تقريباً، نبتت فرقة القرائين فى بغداد العباسية، والقراؤون لا يقولون بالتلمود. ومنهم فى «إسرائيل» اليوم ـ الجزء المحتل من فلسطين ـ جماعة اشتهرت بالتزمت حول الطقوس والسبت، ومن وقت إلى آخر تنقل الصحف من أخبارهم ما به زيادة كشف عن أمورهم السياسية والاعتقادية.

(٢) الفريسيون: هم يناقضون الصدوقيين، ولهم الكثرة فى العدد وفى مقاعد السنهدرين، وجمهرة العلماء من سوادهم، ومعظم «الكتبة» ينتمون إليهم. يقبلون بالإضافة إلى التوراة، الأشياء الخارجة عن الوحى، ولذلك غزرت عندهم الأساطير. يتباهون بأنهم حفظة شريعة موسى، وغالوا فى ذلك تقيداً وتزمتاً، حتى انغمسوا فى المظاهر الكاذبة فى السلوك اليومى وقيامهم وقعودهم وكل ما يصنعون. فالقشور استغرقتهم حتى أعمت بصائرهم. وهؤلاء هم الذين عانى من أمرهم السيد المسيح ما عانى، وخبره معهم مفصل فى الأناجيل، فوصفهم بالمرائين وكرر ذلك فيهم. وشبههم بالقبور المكلسة من خارج. لكن معاناته من الصدوقيين لم تكن أقل مما عانى من هؤلاء.

واسم «الفريسيين» يدل على طبيعة أمرهم وعقائدهم، فهم لمغالاتهم فى كواذب المظاهر، جعلوا انفسهم كأنهم جماعة مفروزة عن عامة الجمهور اليهودى أو الشعب. وجذر الكلمة «فرز» بالعربية ومن شاء الاستزادة من أخبار هاتين الفرقتين، ثم جماعة «العشّارين» فى حياة السيد المسيح، فليقرأ الانجيل. فان بولس الرسول كان من فرقة الفريسيين قبل أن يشرق عليه الإيمان المسيحى.

***

وهناك فرق أخرى تأتى فى المنزلة والشأن بعد الفرقتين المذكورتين.

٣ ـ الأسينيون أو «المغتسلون»، وقد أجملنا خبرهم فى موضع آخر من هذا الكتاب، هم

فرقة يهودية لا تصطف مع الفرقتين المذكورتين، اعتزلت المدن وأقام أتباعها رجالاً لا نساء بينهم، قرب البحر الميت فى الكهوف والمغاور، ومحاجى الصخور، واتخذوا لهم نظاماً نسكياً خاصاً دقيقاً، قائماً على الصرامة والطاعة. كانوا بضعة آلاف وانقرضوا فى القرن الأول المسيحى، وقت تدمير الرومان للقدس. ومن الخصائص فى نظامهم أنهم يرفضون القَسَم وتقديم الذبائح والقرابين. وقد ذكرهم يوسيفوس المؤرخ اليهودى الذى عاصرهم. ويقال إنه أقام بينهم وعاشرهم ثم فارقهم وكان لهم صبغة اشتراكية.

٤ ـ الهيرودُيون: نسبة إلى هيرودوس ملك اليهود، أدومى الأصل لا يهودى وقد أجملنا ما يتعلق بأمره فى موضوع سابق ما به الكفاية. وكانت روما هى التى تعين الحاكم، ولذلك نقم عليه اليهود رغم ما صنعه لمرضاتهم من بناء الهيكل بناء فخماً جاوز فيه الغاية وهو يتقنه ويحسنه مدة أكثر من أربعين سنة. وهيرودوس «نصف عربى» بدمه من جهة العرق الادومى، وامه سيدة من عرب الأنباط. والهيروديون كانوا فرقة سياسية لا دينية تمثل الاتجاه الرومانى وتيار «الاندماج»، أى على النقيض مما دعا إليه عزرا ونحميا بعُيد الرجوع من السبى. وفى عهد هيرودوس ظهر السيد المسيح. والفريسيون كانوا على خصومة مع الهيروديين. و«الهيروديون» لو التقوا اليوم «بحكماء صهيون» لنابذوهم.

٥ ـ الجليليون: هم أتباع رجل اسمه يهوذا الجليلى (نسبة إلى منطقة الجليل) أحدث فتنة فى أيام اجراء الاحصاء للمواليد المسمى فى الانجيل «بالاكتتاب» وتبعه قوم وصار ينادى أن ليس لليهود ملك إلا الله.

١ ـ مجمع السنهدرين ينبوع التلمود

«السنهدرين»[١] بمعناه العام، هو «السينودس» أو المجمع الدينى الأعلى عند اليهود، أو هو ما يشبه السينودوس فى المجامع المسيحية. والكلام عليه يحتاج إلى زيادة تبصرة ووعى من القارىء العربى اليوم، لِمَا للسنهدرين من بالغ الخطورة الخفية فى أمر «حكماء صهيون» فى إيامنا هذه، بل يصح أن تكون لفظة «حكماء صهيون» و«السنهدرين» مترادفتين لمدلول واحد.

أصل الفكرة وظلالها، وأشواقها، بنبضها الروحى الأول كل هذا يعود إلى عزرا ونحميا. لكن ظهور السنهدرين باسمٍ أصلُهُ يونانى، كان فى أثناء الحروب المكابية، أو قبيلها، واليهود كما قلنا بين شقى الرحى: البطالسة فى مصر والسلوقيين فى سوريا. ومرّ بنا أن من عادة اليهود أنهم عندما تشتد بهم النكبات والجوائح، وتعمل على محوهم أو استئصالهم، يجنحون بكل قواهم إلى الاعتضاد بروح الملاحم لتقوية الروح المعنوية فى سوادهم ورجالهم، فتتبع عندهم الأساطير والغرائب وتحشى بالأقاصيص، ويخلقون لها الصور والأشباح. وبعد رجوعهم من السبى اشتدت فيهم هذه النزعة دوراً بعد دور، ولاسيما فى أثناء الحروب المكابية. كما اشتدت أمورهم بين أن تدور على ظاهر وباطن، وبادٍ وخفى، ومعلن ومستور، لكى يتقوا عدوهم المحيط بهم، وعدوهم لا ينتهى، إذ هم بشكاستهم لا ينتهون.

وإنما نشير إلى هذه الحقيقة فى هذا الموضع، لأن السنهدرين. كان من أول أمره مطوياً على هذه الصفة الخادعة. وأمره حير الرومان، وهذا «السنهدرين» هو الذى حاكم السيد المسيح، المحاكمة المبسوطة فى الإنجيل. والمعلوم أن السنهدرين فى بيت المقدس ألغى سنة ٥٧ ق. م. كما ذكر هذا المجمع تمكن بعد ذلك من أن يستمر بكيانه ووجوده استمراراً خفياً، وإذا كان له رسم ظاهر للعيان، فذلك مما يجوز احتماله فى نظر الرومان لتجرد الهيئة فى الظاهر من المعانى السياسية، بينما المعانى السياسية هى لب اللباب فى السنهدرين بقيت قابعة مستسرة. ومن السنهدرين انطلقت التيارات العجيبة، وبذور المنظمات السرية التى تطلع على أوصافها فى «بروتوكولات حكماء صهيون».

***

---

(١) وتلفظ «السنهدريم» و «السنحدرين» وأصل الكلمة يونانى بمعنى المقعد أو المجلس ولما كان هذا «السنود» أو المجمع الأعلى قد ظهر فى أيام خلفاء الاسكندر، البطالسة فى مصر والسلوقيين فى سوريا، فقد هوّد اليهود التلفظ بهذا الاسم حتى بات يلوح كأن أصل الكلمة عبرى وليس الأمر كذلك.

هذا هو معنى السنهدرين أمس واليوم. بالأمس هو المجمع الدينى الأكبر، والسياسة فى باطنه تدب فى أوكارها وأعشاشها، دبا خفياً، واليوم هو نفسه لم يتغير منه شئ، فأما الناحية الدينية فليس يهمنا هنا أمرها سوى كونها آلة السياسة، وأما الناحية الخطيرة فهى الحقيقة السياسية: هو مقعد الرابطة اليهودية فى العالم أجمع، هو الرابط الخفى الذى يسيطر على «البروتوكولات» وتنفيذها. «السنهدرين» معناه اليوم امتداداً من القرون الماضية، ولاسيما من القرن السابع عشر، عند الكتاب والمعلقين السياسيين الباحثين فى شؤون اليهود، الهيئة اليهودية السرية العليا، لا يعلم أين مكانها، ولا من هم رجالها، ونوجز أمره اليوم بما يلى:

١ ـ الكتاب اليهود، يحاولون أن يجعلوا بداية وجود السنهدرين الأقل بعد الرجوع من السبى، ومنهم من يعين البداية فى خلال السبى. وهناك هيئتان باتتا بارزتين بعد الرجوع من السبى: نظام الهيئة العليا عند اليهود ـ أى السنهدرين ـ ونظام الكنيس، وهذا يعزى أساسه كله إلى عزرا ونحميا. أما الكنيس فبرزوه ظاهر، وأما السنهدرين، فيظهر ويتوارى، يضعف ثم يقوى، ومن السنهدرين خرجت بذور التلمود، ثم «القبالة».

٢ ـ يقول أ. كوهين صاحب كتاب «التلمود لكل مريد»، أن بعد السبى ظهر الكتبة، وقد مرّ وصفهم، ثم السنهدرين، وكوهين هذا يعرف السنهدرين، بقوله: «هو هيئة أخرى عُهد إليها فى رعاية شؤون اليهود فى بلاد «اليهودية»[1]. ويقول كوهين أيضاً أنه قد تعاقب على رياسة هذا المجمع خمسة أزواج من الرؤساء، إذ كانت الرياسة تعطى لاثنين اثنين، لا لواحد واحد، والاثنان يعملان معاً، وآخر رياسة لهليل وشماى، وهذان كانا فى عصر السيد المسيح، ومن هذا يستنتج أن السنهدرين لم يعش فى بيت المقدس أكثر من قرن. ونقول إن مراد المؤلف كوهين بهذا هو الكيان المعترف به من الرومان، ثم بعد ذلك اتشح بالخفاء.

٣ ـ وكان يقال لأحد الاثنين فى الرياسة «ناسى» بمعنى «رئيس» ويقال لنده الآخر «أب بيت دين»، أى رئيس المحكمة، والأول له حق التقدم والصدارة. وأما إطلاق هذا اللقب «ناسى» على كبراء آخرين من اليهود بعد انقضاء أمر السنهدرين فى بيت المقدس، فقد حصر ذلك فى عدد قليل[2]. ثم يقول كوهين فى أمر السنهدرين: «لكن الدراسة التاريخية الحديثة تقول: إن

---

(١) اليهودية هنا معناها جغرافى، المنطقة المحيطة بالقدس وهذ هو اسمها زمن السيد المسيح.

(٢) من هؤلاء العظماء عند اليهود الذين نالوا لقب «ناسى» أى الرئيس، «يوسف منده» وقد برز فى السياسة العثمانية فى القرن السادس عشر وكان عنصراً مهماً فى النزاع الدموى على العرش بين سليم وبايزيد ابنى سليمان، ويوسف هذا أصله من يهود البرتغال، ولما طُرد اليهود من إسبانيا جاء إلى السلطان وتقرب منه ونال حظوته، ومثل يوسف أدواره تمثيلاً عجيباً ظاهره النصح للسلطان، وباطنه تاريث نار الحرب بينه وبين من يريد يوسف الانتقام منهم بسبب الطرد من إسبانيا. وقصة «يوسف ناسى» هذا تعطينا أوضح نموذج من التصلب الخفى بالروح اليهودية، وهو كان يرمى فى كل خدماته للسلطان وأحد أولاده، أن تعطى له=

السنهدرين هيئة مؤلفة من الكهنة والعلمانيين، ثم انقسم المجمع على نفسه فى الرأى فصار قائماً على حزبين. أما الكهنة فذهبوا مذهباً فيه مسايرة الفكر الهلينى، ولو كان ذلك على حساب الإخلاص التام للتوراة. وأما العلمانيون فذهبوا مذهباً يناقض مذهب الكتبة، وهؤلاء من نسل عزرا الكاتب، وتمسكوا بالتوراة أى تمسّك، وكان زعماؤهم الربيّون هم الذين عرفوا «بالاحماس» (المغالين المتعصبين) غير أن هذا الانقسام ارتفع من بينهم لمّا وقعت الثورة المكابية، ولما انتهت الثورة عادوا إلى الانقسام انقساماً أشدّ وأحدّ، ولا سيما لما جلس يوحنا هركانوس[1] المكابى (١٣٥ ـ ١٠٥ ق.م) ملكاً.

٤ ـ هذا الانقسام ظل يطرد ويتسع حتى أدى بالتالى إلى ظهور الحزبين اليهوديين الكبيرين وهما الصدوقيون والفريسيون. والفريسيون مع العشارين هم الذين قاوموا المسيح وورد ذكرهم فى الأناجيل. ثم يقول كوهين فى صدد هذين الحزبين: «ومن جملة الفروق بينهما فرق كان له شأن خطير فى تاريخ اليهودية: قدم الفريسيون إلى الشعب أوامر وأحكاماً ونواهى توارثوها عن أسلافهم، لكنها ليست مكتوبة ولا مدونة فى شريعة موسى. فرفض الصدوقيون ذلك وقالوا: ما واجب علينا أن نراعى إلا ما ورد فى النص المدون، ولا نأخذ بما جاءت به التقاليد الشفوية الموروثة من الآباء والأجداد. فكان هذا مثار خلاف شديد بين الفريقين. (راجع ما تقدم حيث تناولنا الكلام بإيجاز على الفرق اليهودية).

٥ ـ وتابع كوهين كلامه فقال: «وهذا النزاع حول صحة التوراة الشفوية، حمل المدافعين عن ذلك على أن يدرسوها ثانية دراسة مدققة. فوجدوا أن التوراة السماعية الشفوية كانت جزءاً متمماً للتوراة المكتوبة، فهما من مخرج واحد. ومن هذا الصراع الآن فتح الباب على مصراعيه أمام التلمود ليظهر وينمو».

٦ ـ هذا الكلام الذى يقوله أ. كوهين فى الفقرة السابقة جد واضح فى بابه. فالفريسيون الذين لم يعجبهم إلا غلوهم فى أخيلتهم، لم يذعنوا حتى للمسيح وهو يحاجهم بالحسنى، لما جاء المسيح بعد مدة. وهنا مسألة: إذا كان هذا كله قد وقع قبل ظهور المسيح، فلماذا لم يرد ذكر التلمود فى الأناجيل وفى كتب العهد الجديد؟ إن التلمود إذا كانت بذوره الأولى كانت هنا، ومناخه الروحى من أيام السبى، فتكامله المبنى على شريعة شفوية متناقلة

= فلسطين لينتقل إليها اليهود المطرودين من إسبانيا. ومن أجل كشف الغطاء عن هذا النموذج، فقد جمعنا ليوسف منده ترجمة وافية هى الفصل الحادى عشر.

(١) توالى على الحركة المكابية ١٢ رجلاً، خمسة زعماء غير «ملوك»، لقبهم اليهود «بالأحبار»، وسبعة لقبوا أنفسهم بالملوك، وهركانوس هذا هو آخر الزعماء، ثم بعده الملوك الذين انتهى أمرهم سنة ٣٧ ق. م. وأولهم جميعاً متاتياس والباقون أولاده وأحفاده. والمدة كلها للعهد المكابى (١٦٧ ـ ٣٧ ق. م. أى ١٣٠ سنة). ويقال للمكابيين «آل حشموناى».

من عهد موسى، كما زعم الفريسيون، لم يتم فى نوبة واحدة أو قرن واحد، بل اقتضى ذلك خمسة قرون أو ستة كما سنرى. وبعد خراب بيت المقدس سنة ٧٠ ب. م. انتقل علماء اليهود الأحبار من الفريسيين إلى «يبنة» أو «يَبْنا» (قرية قرب يافا) ثم إلى طبرية ثم إلى العراق. كل هذا وهم يتابعون العمل ويتوسعون ـ سيأتى تفصيل ذلك عما قريب فى البحث التالى ـ ويبنون على الروايات الشفوية. فلما كانوا لم يزالوا فى الطريق فى أول عهد المسيحية، لم تكن كلمة تلمود قد أخذت استقرارها بعد، لذلك لم يرد ذكره لا فى الحوار بين المسيح والفريسيين ولا فى الأناجيل فيما بعد. وفضلاً عن هذا، فقد كان شأنه يتعلق بفريق من اليهود لا بهم جميعاً، وكان الحوار يُدور حول «الناموس» و «الأنبياء»، أو ما يعبر عنه كله بالشريعة «الموسوية».

ويسأل أيضاً: إذاً، ينتظر أن يكون قد ورد ذكر التلمود فى القرآن الكريم أو الحديث الشريف، والرسالة الإسلامية متأخرة عن أختها المسيحية بضعة قرون. وهنا أيضاً لا ذكر للتلمود فى الأناجيل ولا فى القرآن الكريم ولا الأحاديث النبوية، فنقول إن اليهود اعتبروا التلمود كتابهم الجامع للتوراة الشفوية، والتوراة الشفوية كانوا حريصين على الاستئثار بها لأنفسهم، لا يطلعون منها إلى غيرهم إلا ما يرون فيه مؤيداً لخيالهم أو نزعتهم. ولعلهم كانوا إذا تعاطوا التلمود تعلما وتعليماً، لم ينشروه فى الأيدى نشر التوراة، ومنشأ التلمود ومنشأ الكتب الدينية «الابوكريفا» متقارب ومعنى الابوكريفا الكتب المخفية أو المستورة، وهى لا شئ فيها يوجب الستر والتخفية وإن كانت غير مصدقة كلها من حيث محتواها، وغير مأخوذ بها عند جميع المسيحيين فى ذلك الوقت واليوم. إذاً، لم يكن التلمود وقت الرسالة الاسلامية فى أوائل القرن السابع الميلادى، شيئاً يريد اليهود نشره وهم ما كانوا يطلعون أحداً من غير اليهود على التلمود إلا ما يتناقلون من اقاصيصه وأساطيره شفوياً وأما تكامله بالجمع والوضع والشرح والتبويب فذلك لم ينجز حقاً إلا قبيل العهد الإسلامى.

وكلمة «تلمود» معناها «التعليم» وهذه الكلمة لم تقرر إلا بعد أن سبقها كلمتان كانتا الأساس لكلمة «تلمود» وهاتان الكلمتان هما «المِشْنَا» و «الجِمَّارا» شرح للمشنا. فكان يقال أولا «تعليم مشنا»، أى تعليم التوراة الشفوية، هذا هو العمل الأول، فلما احتاجوا بعد هذا إلى شرح المشنا كانت الجمَّارا، أو التكملة فكان هذا العمل الثانى، وبعدئذٍ أطلقوا على مجموع الاثنين، المشنا، والجمارا، من جهة التعليم، كلمة «تلمود توراة» أى تعليم التوراة، ثم اجتزأوا بكلمة تلمود، فاستقر هذا الاسم ولم يتغير بعد. هذا ما استطعنا جمعه من التفصيل من مصادره، فى الكشف عن أصل منشأ الكلمة، ولعل القارئ العربى لهذا الكتاب يتلقى هذا التفصيل بالوعى إذ لهذا الأمر التلمودى من النتائج الخَطيرة، شئ كثير.

***

وإليك أموراً أخرى لتتمم الكلام على أن السنهدرين منبع التلمود، وإن بذور التلمود الأولى ومناخه الروحى الأول، كل ذلك يعود إلى زمن عزرا ونحميا، كما تقدم القول غير مرة.

قال كوهين المؤلف لكتاب «التلمود لكل مريد»، أن يوسيفوس المؤرخ اليهودى المشهور، ذكر أن الوالى الرومانى على سوريا غابينوس، الغى أوضاع اليهود سنة ٥٧ ق. م. ثم قسم البلاد إلى خمس مناطق، وأقام فى كل منطقة هيئة سنهدرينية محلية صغيرة، وأورشليم كانت العاصمة لولايتها، وهنا الهيئة السنهدرينية تعتبر الأولى. وفى التلمود «السنهدرين الأعلى» وهذا تمييزاً للأعلى عن الهيئات المحلية.

ويستفاد من كلام كوهين أن هيئة السنهدرين «لتزمتها الشديد» كانت تجلس فى بهو بناؤه من حجر، والحجارة أتى بها من مقالع لم يعمل فيها أزميل حديد. ويذكر كوهين وهو يزيد إضفاء هالة من الإشراق على الأوضاع اليهودية، أن كان هناك أيضاً سنهدرين سياسى وكانوا يجتمعون فى مبنى الهيكل، ثم يقول: «وجميع المراجع التى تشير إلى السنهدرين تعطينا تفصيلاً كافياً عن صلاحياته والمكانة التى كانت له، وصلاحياته كانت تضيق وتتسع من وقت إلى آخر حسب مراد الرومان. من جملة ذلك ما صنعه غابينوس من قسمة البلاد إلى خمس مناطق، وهذه الصلاحيات كانت تافهة فى عهد هيرودوس وارخيلوس، لكنها اتسعت بعد موتهما، وصار مقود الحكومة بأيدى السنهدرين، تقريباً.

***

ونقول: القارئ العربى يجد هنا نقطتين مهمتين، الأولى أن المؤلف كوهين، وكتابه محيط بموضوعه، يصرح بأن كان هناك سنهدرين سياسى، وهذا ما عنينا بأن نؤكده للقارئ، والناحية السياسية هذه فى السنهدرين هى الخفية لا الظاهرة، ولم تكن لتعمل جهاراً قط، إذ لو عملت لضربها الرومان لأن غاية السنهدرين، كما يطلب اليهود، المحافظة على الشريعة الموسوية، والرومان وسعوا عليهم فى هذا ولم يبخلوا عليهم بشئ، لكن أن يعمل السنهدرين فى السياسة خفية، فهذا هو التنزى الصريح على السلطة الرومانية، وإذا كان السنهدرين هذه صفته أيام الرومان فى بيت المقدس، فما أحرى أن تظل هذه الصفة ملازمة له، بعد أن تشتت اليهود فى العالم بعد تخريب القدس سنة ٧٠ ب. م. وهم يرون أن لا حياة لهم وهم شتات فى الشعوب والأمم، إلا بالتمسك باليهودية، والتمسك باليهودية هو التمسك بالسنهدرين. والسنهدرين معناه اليوم، كما قلنا، عند الكتاب المعنيين بشؤون اليهود، الهيئة السرية السياسية الخفية، لكن غلب تعبير «حكماء صهيون» بعد ظهور البروتوكولات منذ ما يقرب من سبعين سنة. عند تأليف هذا الكتاب

والنقطة الأخرى الجديرة بالملاحظة من قول كوهين هى أن صلاحيات السنهدرين كانت

ضعيفة أو ضيقة فى عهد هيرودوس وارخيلوس، ثم اتسعت بعد موتهما، والمراد قوله من ناحيتنا فى هذا الموضع أن أوضاع اليهود من الآن إلى تخريب بيت المقدس، لم تبرح كاوية لليهود وهى مدة تقرب من سبعين سنة. ومعنى أن نطاق صلاحيات السنهدرين قد ضاق، أن بطشات الرومان باليهود أخذت تزداد، وهذا معناه من الناحية الأخرى اليهودية، ازدياد النشاط السياسى الخفى داخل أجهزة السنهدرين. وبالتالى طفح الكيل فدمر الرومان أورشليم تدميراً شراً من تدمير نبوخذناصر قبل نحو ستة قرون. ولما حاكم السنهدرين المسيح كان نفوذه عاتياً.

وهيرودوس الكبير مات فى السنة الأولى للميلاد.

***

وتناول كوهين ما كان للسنهدرين من صلاحيات فى الأمور الجزائية أو العقوبات، فقال: «كان المجمع - السنهدرين - يطبق قانون الجزاء والعقوبات وله سلطة نافذة على الشرطة، ومن هنا سلطته فى إلقاء القبض والسجن. وكان ينظر فى القضايا التى عقابها دون الإعدام «إذ بقيت السلطة التى تقضى بالموت أو الإعدام بيد الرومان». ثم يقول كوهين: «أما سيسيل جون كادو، مؤلف «حياة المسيح» ١٩٤٨ فقال فى ص ٢٣ «كان السنهدرين يتألف من نحو ٧٠ عضواً - من الكهنة والكتبة، وفى الحكم الرومانى لم يكن للسنهدرين سلطة الحكم بالإعدام. ومعلوماتنا قليلة عن كيفية تأليفه وتعيين أعضائه. ومع أنه قد وضعت له فى الأزمنة اللاحقة أنظمة مفصلة، تبين وتحدد عمله، ونطاق إدارته، ففى زمن المسيح كان كل هذا غامضاً، وكان الأحامس هم الجناح الأيسر اليسارى من الفريسيين، وهؤلاء الأحامس دائماً مستعدون للثورة ضد روما، متهيئون لسفك الدماء».

وقلنا إن وقت صلب السيد المسيح كان السنهدرين موجوداً، واسمه فى الإنجيل «المجمع»، أو مجمع الكهنة والكتبة، ورئيساه بالازدواج هما قيافا وحنانيا، وهما أثارا الجمهور بواسطة أولئك «الأحامس» - الغوغاء - وهؤلاء أشبه بعصابات فى المدينة. ولم يكن من صلاحيات السنهدرين الحكم بالقتل كما سبق إيضاحه، لذلك كانوا يلحون على الوالى بيلاطس النبطى بأن يسلمهم المسيح ليقتلوه، فالتسليم هو الموافقة على القتل، وكأنه حكم بالقتل وهم تولوا التنفيذ. والتفاصيل المتعلقة بصلب السيد المسيح تعطينا صورة مصغرة للخلق اليهودى السنهدرى، هو الخلق الذى تراه فى كل قضية على المحك، خلقاً يهودياً أنانياً يدور على محوره، لا يتغير بجوهره، وإن تغير بأرضه. وهذا كله اجتمع بالتلمود، وأخذ التلمود يسير فى الخفاء، ولم يلقِ عصا التسيار بعد، وإنما تهيأ للوثوب «بالبروتوكولات».

* * *

حسب التقليد اليهودى، إن أول سنهدرين كان فى عهد موسى، وهم السبعون رجلاً الذين

دعاهم موسى ليعملوا معه لتسكين بنى إسرائيل لما قاموا يذمرون ويطلبون العودة إلى مصر حيث «قد تذكرنا السمك الذى كنا نأكله فى مصر مجاناً، والقثاء والبطيخ والكراث والثوم والبصل» ـ (سفر العدد ١١: ٤ ـ ٢٩) وبنى التلمود و«القبانيون» عقائد دينية على الأرقام منها عدد (٧٠) هذا. فالذين ترجموا التوراة من علماء اليهود فى الإسكندرية «الترجمة السبعينية» كانوا ٧٠ عالماً، ولا عبرة بأن زاد العدد اثنين، إذ الزيادة لها معناها فى التأويل عند اليهود. ولما جاء السنهدرين، ومجيئه كان بعد إنجاز ترجمة السبعينية، جعلوا عدد أعضائه (٧٠) والحادى والسبعين جعلوه الرئيس. ومن قبل، لما فرق الله الأمم والشعوب فى بابل جعلهم ٧٠ شعباً ولغة، إلى غير هذا من دروب التأويل المصطنع وهذا الفن المتعلق بالأرقام إنما أتقنه دانيال فى العراق وقت السبى، ومنه هذه البذور كلها، وهى شىء واسع جداً، ويكفينا هنا الإشارة إلى هذا لتعلقه بغرائب التلمود، والتلمود نتاج المناخ السنهدرينى.

***

إن التشتيت الذى فرق اليهود أوسع تفرقة فى العالم، هو الذى أنزله بهم الرومان سنة ٧٠ ب.م، وأما تخريب بنوخذناصر قبل ستة قرون لم تكن نتيجته سوى بعث الروح اليهودية وقت السبى والاستيقاظ العجيب على يد «أنبيائهم» الذين أوجزنا ترجماتهم، كى لا يفنى اليهود، وهم سبطان ونصف السبط فى بابل العراق، كما فنى إخوانهم الأسباط التسعة ونصف السبط قبل أكثر من قرن بقليل. ومنذ تشتيت الرومان، والسنهدرين الخفى يتبع جماعة اليهود فى كل بلاد، ومنذ الثورة الفرنسية صار لهم سنهدرين عالمى له السلطة العليا على الحركة اليهودية فى العالم كله. هم «حكماء صهيون» ودستورهم هو «البروتوكولات».

(٢) التلمود

«المِشْنا»: هى تفسير شريعة شفوية معزوَّة إلى موسى

«الجمَّار»: هى شرح المشنا

«التلمود»: هو الاسم الجامع للمشنا والجمَّار معاً

*

قال أ. كوهين فى مقدمة كتابه «التلمود لكل مريد»: «ولما جاءت وسائل جديدة لتفسير التوراة، وامست دراستها وتفسيرها امراً مختصاً بالعلماء، سمى هؤلاء «بالتنائيم»، أى المعلمين، وسمى عملهم «بالمشنا». والذى ترك أكبر أثر فى هذا الباب هو هليّل. مولده فى بابل، وحسب الرواية السماعية هو من نسل داود عن طريق أمه. هاجر إلى فلسطين وبقى ٤٠ سنة وهو الحبر الذى لا ينازع. ويمثّل هليّل وجهة نظر الفريسيين. وقال كوهين إن تفسيرات هليّل كانت بحيث تتناسب والحاجات المستجدة مع الأيام. ونحن نقول وهذا معناه الاسترسال فى التأويل توسعة للتوراة الشفوية. وبقى الصدوقيون فى حيزهم منابذين. وقال كوهين: «كان هليّل مؤسس مدرسة التنائيم، يعاصره ندّه شمّاى، وهذا أنشأ أيضاً مدرسة أخرى، وخلال العقود السبعة الأولى من القرن الأول المسيحى، كانت هاتان المدرستان هما السائدتين بتياراتهما على عقول عامة الجمهور اليهودى تحت الظلّ الفرّيسى. ولكن كانت مدرسة هليّل متسامحة فى التفسير، ومدرسة شمّاى متزمتة. وسجل التلمود لا أقل من (٣٠٠) نقطة خلاف بينهما، وفى النهاية انتصر مذهب هليّل. وكان هليّل واسع الحفظ عن ظهر قلب على طريقة علماء الشرق، وهو يعد الجامع الأول لمادة المشنا، وحفظت أقواله الشفوية وهذا كله اصبح النسخة الأولى للمشنا. ونقول: من كلمات هليّل، ما كان ينادى به اليهود خارج فلسطين فى عصره وهو هذا الشعار: «من لم يساعد نفسه فلا نصير له». وفى سنة ١٨٨٢ لما أنشئت الجمعية اليهودية السرية فى روسيا أثر اغتيال الارهابيين اليهود، للقيصر، واسمها المجتزأ «بيلو» (مقتطعة من عبارة معناها: هيا يا بيت يعقوب أقبل علينا فنقبل عليك) اذاعت هذه الجمعية منشوراً سرياً خطيراً على يهود العالم تدعوهم فيه للالتفاف حول فروع الجمعية التى مركزها الظاهر الآستانة، وافتتحت المنشور بعبارة هليّل هذه. وفحوى المنشور «نريد وطناً فى بلادنا» أما مركز الجمعية الأكبر فهو القدس كما يذكر المنشور[١].

---

(١) هذا المنشور خطير فى بَابه، إذ هو قبل ظهور كتاب هرتزل «الدولة اليهودية» باربع عشرة سنة. وأما أن بيت المقدس كانت هى المركز الأكبر للجمعية، فهذا فى الخفاء لا فى العلن، إلا أن تكون الجمعية قد تمكنت واصطنعت الذل وادعت خيرية لاسعاف الفقراء، وهذا هو اسلوب حكماء صهيون فى منظماتهم فى البلاد التى لا يعملون فيها إلا خفية، وهذا المنشور ذكره سوكولوف فى كتابه «تاريخ الصهيونية».

يقول كوهين: «إن الشخصية التى تلى هليل وشماى هى يوحنا بن زكّاى، أصغر تلاميذ هليل. كان أكبر وعاء علم عند الفريسيين لما دمّر تيطس الهيكل. ولما أيقن بن زكّاى بالهلكة مطبقةً على بنى قومه، نصحهم بالتسليم، فأبوا، وهو كان يرى إن بقاء الدين اليهودى أهم من الاستقلال القومى. فلجأ إلى وسيلة تحفظ الشعب من الدمار إذا ما انهارت قوة اليهود وهُدم الهيكل. وتقول القصة أن بن زكاى رام أن يصطنع طريقةً تحمل اليهود على الخروج من المدينة، فإذا خرجوا منها وهى محاصرة صعب عليهم أن يرجعوا، وعليها الحرس الشرس من اليهود المعبر عنهم «بالاحامس» (وهم الجناح الأيسر من الفريسيين)، فذاع فى أورشليم أن بن زكاى قد مات. فحُمل فى نعش ومشوا به إلى المقبرة، وكان عليهم أن يجتازوا بالنعش المزيف، الأبواب التى عليها حرس، والرجل ليس بميت، وإنما أراد بهذه الطريقة الخدعة. لكن حيلته اكتشفت على الأبواب. قال كوهين: «ولولا ما له من حرمة لعاجله الحرس بطعنة تخترقه وتتركه هامداً، لما اكتشفوا أنه حى متماوت فى التابوت، وعرفوا قصده. فذهب إلى القائد فسباسيان وطلب منه أن ينتقل هو وقومه اليهود إلى قرية «يبنة أو يبنا» قرب يافا، فسمح له، فأقام فى «يبنا» وأنشأ مدرسة صغيرة لم تلبث أن نَمتْ وصارت مركز التعليم اليهودى الفريسى بعد خراب القدس». وحلت محل القدس من هذه الناحية، وانشىء فى «يبنا» سنهدرين صغير وامست يبنا عاصمة علمية لليهود فترة من الزمن. وبعد يبنا انتقل السنهدرين إلى طبريا، وبقى هنالك إلى القرن الرابع والخامس، ثم تفرّق علماؤه فذهب فريق كبير منهم إلى العراق، حيث استأنفوا العمل فى إكمال التلمود فانتهى ذلك فى القرن السادس ب.م.

هذا ما قاله كوهين فى بن زكّاى. أما قصة ذهاب بن زكاى إلى القائد الرومانى فذهب وطلب منه أن يسمح له ولقومه بالخروج من المدينة المحاصرة، فلهدف القصة تكملة حسنة ذكرها «نفيل باربر» الإنجليزى فى كتابه: «Nisi Dominus» صـ ٢١، وصفوتها أن بن زكاى لما ذهب إلى القائد فسباسيان وهو يمثل الفريسيين، والقائمون بالثورة على الحكم الرومانى هم الفريسيون، وجندهم هم (الأحامس Zealots) من جناحهم الأيسر، وبّخه القائد بعبارات حادة، ومما قال له: «إن ثوّاركم أشبه بالأفاعى التى تختبىء فى جحورها، ولابد أن تستخرج هذه الأفاعى لتسحق وتداس». وهذا على ما يبدو زاد بن زكاى اعتقاداً أن اليهود مأخوذون، إذ كل محاصر مأخوذ، مهما يطل ليله. وفى هذا الموضع بيَّن نفيل باربر أن ثورة الفريسيين على الحكم الرومانى كانت بلا مبرر، وإنما تنزّى اليهود على الرومان بالثورة لأن السلطة الرومانية ما كانت تطلق للفريسيين الحبل على الغارب ليصنعوا ما يشاءون من تضليل الناس وهم وقتئذ كانوا، وقد مضى نحو ٦٨ سنة على المسيحية، يعملون على نشر أساطير التوراة الشفوية المزعوم تلقيها من موسى، لما رأوا أن تعاليم المسيح قد كشفت عن زيفهم فى تمسكهم بالقشور

من التوراة المكتوبة ـ الناموس والأنبياء ـ وتلك الأساطير التى كانوا يزعمون أنها توراة شفوية، هى المادة التى نسج منها التلمود بعد قليل. فكأنهم جاءوا بالتلمود وأساطيره مقابل التعاليم التى جاء بها السيد المسيح. فتأمل.

* * *

هذا موجز الكلام على هؤلاء الثلاثة، بن هليّل، وشماى، وبن زكّاى، حوّلوا الأشواق «الأساطيرية» إلى «المشنا». وإليهم يعزى وضع هذا الأساس، امتداداً بالروح اليهودية من أيام عزرا ونحميا ودانيال.

ونتابع الاجمال: ففى القرن الثانى ب.م ظهر اثنان استأنفا العمل الذى وضع أساسه الثلاثة الأولون. هذان الاثنان هما إسماعيل بن اليشع الذى قتل فى أيام الإمبراطور هدريان (١١٧ ـ ١٣٨) وإسماعيل هذا مؤسس مدرسة، وقد توسع فى قواعد هليل فى التأويل حتى صارت هذه القواعد (١٣) بعد أن كانت (٧) وعدّت كتب إسماعيل بن اليشع من أساس المشنا، والثانى هو عُقَيبة بن يوسف مات فى قتال الرومان سنة ١٣٢ وكانت مهمة عقيبة أنه أرسى أول التأويل والتفسير التلمودى على قواعد. وقال إن ليس هناك حرف واحد من التوراة يعدّ من الحشو أو مما لا معنى له. وجعل يعلّم على هذه الطريقة. وقيل إنه استطاع أن يردّ التوراة إلى ينابيع فى حلقات دورية، ونظم احكامها حتى انتهى إلى زمنه هو. ويقال فيه إنه مهندس أوضاع المشنا، التى برزت إلى الوجود بعد قرن، ولولا عمل عقيبة هذا ـ قالوا ـ لما كان هناك تلمود.

وكان لعقيبة تلاميذ اقتفوا أثره أهمهم مائير، ومائير هذا كان عمله إنه اعدّ نسخة من المشنا، وهذه النسخة ارتضاها يهوذا ناسى أساساً لما تمّ بعد، وذكر عزرا حداد اليهودى العراقى، وصاحب كتاب «رحلة بنيامين» صـ ١١٠ أن يهوذا هذا كان يقال له «الربانى الأكبر» وهو سابع رؤساء السنهدرين، والسنهدرين انتقل من يبنا إلى طبرية، وكان فى القدس قبل يبنا كما مر بنا فى الكلام عن بن زكاى. عاش يهوذا (١٣٥ ـ ٢٢٠ ب.م)

* * *

وقد جاء فى التلمود المحدث بالإضافة بعد الإضافة إلى المشنا، إنه لما مات عقيبة، ولد يهوذا. ويقول كوهين فى ترقيع هذا القول إن هذا من قبيل التضخم المصادم للتاريخ الواضح، إذ بين موت عقيبة ومولد يهوذا ٣ سنوات ومولد يهوذا سنة ١٣٥ ومات عقيبة سنة ١٣٢. وما بداه عقيبة أتمه يهوذا، فإذا كان الأول المهندس فالثانى هو البانى. يهوذا هو ابن معلم مشهور، سيمون بن غملائيل الثانى، من عائلة غنية ولها جاه طويل. درس اليونانية وكان صديق الرومان، ولقب أيضاً «بالناسى» وبقى على هذه المنزلة ٥٠ سنة. وهو الذى قام بجمع أشتات المجموعات السابقة، وانتهت إليه نسخة عقيبة، فتم الآن «المشروع الكبير» وهو تدوين التوراة الشفوية فصارت المشنا مقابل التوراة المكتوبة.

وعلى هذه الصورة، باتت المشنا أساس ما سمى بعدئذ بالتلمود.

* * *

وإنك لتدهش حقاً إذ تعلم إن أساس المباحث فى التلمود كله، قائم على ستة أبواب فطرية، بدائية، تدل على مجتمع فى ابسط اطواره الأولى، وهذه الأبواب هى:

(١) الفلاحة (٢) الأعياد والمواسم (٣) النساء وما يتعلق بهن من زواج وطلاق وحضانة ونذور وإرث ووصية (٤) النواهى والعقوبات (٥) الذبائح وما يتعلق بالتقدمات والقرابين ومراسم الهيكل فى ذلك (٦) الطهارة. ثم اخذت الفروع تمتد من هذه الأبواب الستة وتزداد الآراء والشروح جيلاً فجيلاً حتى رست مواد التلمود فى (١٢) مجلداً ضخماً. وهذه الأبواب فرّعت على ٦٧ مبحثاً فى ٥٢٤ فصلاً أو حكماً.

هذا هو التلمود، لكن لم يجاوز بعد دوره الأول، وكيف جاءت الزيادات بعد ذلك؟ إذ عاد يتضخم وينمو ويزيد، وذلك أنهم وجدوا أن المشنا على تفصيلها فى الأصل الذى وضعوه، تحتاج إلى الشرح هى نفسها، وسمو شرح المشنا «الجمَّار» وهو بمعنى التكملة. وكما أن العلماء او الأحبار الذين وضعوا أصول المشنا سمو «بالتنائيم» وهذا فى فلسطين، فعلماء «التجمير» سموا «بالامورائيم» وهذا فى العراق على نحو ما كان فى فلسطين. وكل هذا العمل من وضع المشنا والجمار، مما تم فى فلسطين والعراق، كان منه بالتالى تلمودان، الفلسطينى، واليهود يسمونه «بالاورشليمى»، والعراقى، ويسمونه «بالبابلى». والتجمير أو شرح المشنا لم يتناول التلمودين حتى ولا أحدهما بشرح كامل يأتى على كل أبوابه. فالفلسطينى او الأورشليمى مجمّر منه ٣٩ باباً، والعراقى أو البابلى ٣٧ باباً. والمعتمد اليوم عند اليهود بالأكثر هو العراقى، وذلك بسبب لغته فى الدرجة الأولى. ولما أشتد ضغط الرومان على «السنهدرين» فى طبرية، هاجر العلماء المسمون بالمورائيم إلى العراق، واستأنفوا هناك عملهم فى التجمير أو شرح المشنا، وحسنت حال اليهود فى العراق كأيام سبى نبوخذ ناصر فجعلوا يعاونون بقية زملائهم فى طبرية بالمال، وتمت مرحلة شرح الامورائيم العراقيين أواخر القرن الثالث الميلادى. ولم يقفوا عند هذا الحد، فإنهم أنشأوا المدارس أيضاً، واهتموا بتعليم التلمود فيها. وذكر عزرا حداد صاحب «رحلة بنيامين» أن من مشاهير العلماء العراقيين الذين عملوا فى هاتين الناحيتين، التجمير وانشاء المدارس، الحبر أبو اريخا (مات ٢٤٧) والحبر مار صموئيل الفلكى (١٦٥ ـ ٢٥٧) وكان ختام التلمود البابلى سنة ٤٩٩ م على يد حبرين آشى، وهذا مات ٤٢٧ م ورببنة بن هفاء وهذا مات ٤٩٠ م وبهما انتهى دور الامورائيم فى العراق، كما يقول عزرا حداد.

ولم يقف العمل بعد، فخلّف الامورائيم، طبقةً جديدة من العلماء عرفوا «بالسبورائيم» أى الشارحين، وراحوا يعلقون على شرح الامورائيم من سنة ٥٠٠ ـ ٥٥٠ م. وبهذا اختتمت

صورة التلمود البابلى، وما بعد هذا إلاّ إضافات مما يشبه الفتاوى. وما جاءت أواخر الدولة الساسانية الفارسية إلا والعذاب يحيط بيهود العراق، واليوم لا مردخاى ولا استير. فلما جاء الفتح الإسلامى، رتعوا فى نعمه واجتروا فى ظله، حتى إذا مالت الدولة العباسية إلى الضعف انتقلوا إلى مصر والأندلس، وهنا ما لقوا إلا النعمة والمقام الطيب. وفى أيام بغداد والقاهرة والأندلس لم يكن لليهود مراكز علمية فى اوروبا قط، وإنما بدأ ذلك يكون لهم بعد ضعف العرب فى الأندلس. وفى الدولتين الفاطمية والأيوبية فى مصر شملت اليهود نعمة إضافية: أبو الفرج يعقوب بن كلّس كان وزير المعز لدين الله الفاطمى، ومنشا بن إبراهيم وزير العزيز، وأبو نصر صدقة بن يوسف الفلاحى، وأبو سعد التسترى، وموسى بن العازار طبيب المعز، والرئيس صموئيل بن حنَنَيّة، والرئيس يحيى شالوم وأبو المعالى وصهره أبو عمران بن ميمون ونثانيال بن صموئيل وكلا هذين الآخرين كانا طبيبى صلاح الدين.

* * *

وقع هذا الأصل فى نطاق محدود، لكن الزيادات جعلته ينمو حتى بلغ ١٢ مجلداً. وانتهى العمل التلمودى فى القرن السادس الميلادى قبل ظهور الإسلام بقليل. لكن بعد القرن السادس لم تتقطع الزيادات والإضافات، وقد أمسى اليهود متفرقين فى العالم، وكل فريق من علمائهم فى صقع يضيفون ويعلقون ويشرحون، وبسبب هذه الكثرة تراكمت أحكامه، وأبهمت كلماته، وقتله النساخ قبل اختراع الطباعة بالتحشية ثم إدخال التحشية فى متن الكلام فاضطربت حاله وأمسى كناية عن دهاليز ودياميس، وزوايا ملئت بالخفايا، والغرائب، وما يجاوز حدود العقل، فى كثير من المواضيع، وصارت مغالقه والأقوال المختلفة فيه تحول دون الوصول إلى جميع نصوصه ومحتوياته بيسر وسهولة إلا طبقة رجال الدين، وصار يطلق عليهم فى الزمن الحديث اسم «الحاخام» للواحد منهم، وهى بالعبرية «الحكيم»، فهؤلاء هم حملة التلمود، واقفون على مكنوناته، كما يقال.

ولما ثقلت هذه الحال، وجدوا أن التراكم فى نصوصه وشروحه كل هذا قد بلغ حداً جعله مغلقاً، فعادوا على يد علمائهم فحاولوا تهذيب محتوياته وتنظيم موارده ومسارده، وهو خضم واسع، فجعلوا منه نسخة سميت «بالماسورا» وعلى رأيهم أن ما صنعوه هو خير ما يمكن من الغربلة والتنظيم، وقد تمّ هذا قبل القرن العاشر الميلادى، واليهود فى المشرق لا يزالون ينعمون بحالهم فى ظل الدولة العربية فى دمشق وبغداد والقاهرة والأندلس.

على أن موسى بن ميمون، الفيلسوف اليهودى القرطبى الأندلسى الأصل، وتلميذ ابن رشد، لما انتقل إلى مصر، واستقر فيها، قام بعمل كبير فى أمر التلمود، فإنه اختصره وشرح المشنا شرحاً تلمودياً على مذهبه، وسمى هذا المختصر «مشنا توراة»، إحياءً للاسم الأول الذى

مر بنا ونحن نورد الكلام على منشأ الاسم وعُدّ اختصار موسى بن ميمون هذا، آخر ما صنع في سبيل تسهيل التلمود. وكانت العربية هي لسان اليهود في التخاطب وشؤون الحياة العملية، والعبرية لا تجاوز حد الاعتبارات الدينية، وأمرها مقصور على طبقة من اليهود هم «العلماء» أو «الحاخامون». فوضع ابن ميمون اختصاره وشروحه بالعربية لفظاً وتعبيراً وباللغة الدارجة في مصر، وجعل الكتابة بالحرف العبري. وعلى هذا جرى أيضاً في كتابه المشهور «دلالة الحائرين» فهو بالعربية أما الحروف فعبرية.

والتلمود اليوم في اللغة الإنجليزية، بأصوله ومتونه وشروحه وتعليقاته، يبلغ ٣٦ مجلداً من القطع الوسط. وكل ما يمكن معرفته حتى اليوم من أمر التلمود، عند العرب، بعد مرور ١٤ قرناً على تكامل وضعه في العراق، كناية عن أوصاف سماعية، وشذرات خطية قليلة. ولا احسب أن عربياً ما، مسلماً كان أم مسيحياً، في العالم العربي كله، قرأ مجلداً واحداً من التلمود، إلا أن يكون ذلك الواحد دارساً مختصاً في معهد أو جامعة. ولعل السبب الأول هو اللغة، والثاني محاولة اليهود دائماً ابعاده عن أذهان غير اليهود، والثالث اعتقاد الجمهرة من مفكري العرب أن التلمود بضاعةٌ قديمة بالية، وإذا ما ذكروا، ذكروا التوراة، وحتى التوراة قليل من العرب من عُني ويُعنى بالاطلاع عليها ليعلم ما فيها من صور اخلاق اليهود. ومن الغريب أن من العادة عند طلاّب العلم في الجامعات أن يضع الواحد منهم ما يسمى بالاطروحة يطويها على بحث كامل يشهد له بالكفاية في موضوعه فينال الشهادة الجامعية وتكون هذه الاطروحة بمثابة زكاة علمه وصحة بحثه. وإلى الآن لم نر بعد عربياً في العالم خطر له أن يتصدى للتلمود فيضع فيه اطروحةً ما. فإذا قيل أن هذا مستصعب في الجامعات الأوروبية والأميركية، وقد يكون هذا صحيحاً إلى حدّ ما، فالأمر ليس بعسير في الجامعات الشرقية والعربية. وقد حان الوقت في سنة ١٩٦٦ أن يعلم العربي أن التلمود هو مباءة «حكماء صهيون»، إليه يرجعون وعنه يصدرون، ومن روحه اشتقت (البروتوكولات) وصيغت في مقرّرات.

ثم جاء عصر الطباعة الآلية بعد عهود النسخ والمسخ، فكانت أول طبعة كاملة للتلمودين، الفلسطيني والعراقي، سنة ١٥٢٠ ـ ١٥٢٤ في البندقية وصددت طبعات قيل إنها طبعت في الخفاء تحتوي مجلداتها العبرية على ابذأ كلام ينال من كرامة السيد المسيح، والبابوية، فلما قامت القيامة على اليهود من أجل ذلك، واحرقت كتبهم، وفيها التلمود، بالأحمال تجرّها خيول المركبات، طُبعت كتب التلمود طبعة أخرى خالية بعض الشيء من الكلام البذيء، وبقيت الطبعة الأولى الكاملة في حيازة اليهود سراً، وهذا ما يؤكده المطلعون على خفايا اليهود.

ولغتا التلمودين، الفلسطيني والعراقي، مختلفتان، تمثلان لهجتين آراميتين أما «الجمارا» الفلسطينية فلهجتها آرامية غربية (شامية) وتشبه آرامية عزرا أو دانيال، وأما الجمارا العراقية فلهجتها آرامية شرقية أقرب إلى المندوية (عراقية) هذا ما يقوله العارفون.

(٣) «حتى بناء الهيكل المقدس فى بيت المقدس لا يبرر إهمال قراءة التوراة والتلمود»

(الربى الدكتور إسرائيل برود فى مقدمته للتلمود)

*

وضع الحاخام الدكتور برود مقدمة للتلمود فى طبعة جديدة منه صدرت سنة ١٩٦٠ بالإنجليزية، وهى مقدمة تتجلى فيها روح التلمود خير تجلّ، وفى هذا صورة مدهشة لعمل الغرائز اليهودية، ونقول «الغرائز»، لا كلمة أخرى غيرها، لأننا نعنى بالغرائز ما لا يتبدل بحال من العنصر اليهودى الذى يستمد غذاءه من التلمود. والعنوان الذى يراه القارىء فى أعلى هذه الصفحة هو ليس لنا، بل للحاخام برود واضع المقدمة. وانظر كيف تجرى التوراة والتلمود عند الدكتور برود فى ركب واحد لخدمة «إسرائيل» و«إسرائيل» هى مناط الأمل للإحياء اليهودى.

هذه الطبعة الجديدة من التلمود بالإنجليزية يشرف على إخراجها عدد من كبار الربانيين، بحيث يختص كل ربّانى بمجلد، والمجلد الذى نحن بصدده الآن هو الذى يتضمن باب «الذبائح والمقادس» واشرف على ترجمته من العبرية إلى الإنجليزية الربّى دكتور أ. ابشتين.

وهذه مقاطع من كلام الدكتور برود فى المقدمة.

«إن تيسير الوصول إلى دراسة التوراة، حقٌّ لكل يهودى من أقدم الأزمنة، وهى دراسة متصلة السير مدى الحياة وإهمالها لا تقبل فيه المعاذير والعلل، من فقر مدقع، أو غنى مشبع، ولا يبرر هذا الإهمال شىء حتى بناء الهيكل المقدس فى أورشليم. «فالتوراة والمشنا والتلمود، ثلاثة أسس لبناء واحد. وبينما نرى معظم الدارسين، يأخذون بالتوراة والمشنا، فالذين يدرسون - التلمود[١] هم قلة لا يذكرون - قد لا يزيدون على واحد فى الالف يتحملون ضنى المطالعة ليل نهار. هذا هو الشأن طول القرون الخالية والحال باقية على هذا وستبقى على هذه الوتيرة، لن تتغير. وعدة العقود الأخيرة شهدت انقراض مراكز العلوم الدينية فى شرق أوروبا. وكم من علماء أحبار مشهورين بالتقوى ذهبوا ضحايا الجزار، ،معهم مئات من تلاميذهم الأبرياء المجتهدين».

* * *

(١) لعل القارىء العربى اصبح الآن ملماً الإلمام الكافى بمعنى التلمود والمشنا، على حد ما يذكره هنا الدكتور برود حتى يعلم الفرق بين تناول معظم الدارسين المشنا، وبين القلة التى تطالع التلمود، فالمشنا، عبارتها فقرات، فبوسع الدارس أن يدرس منها على قدر طاقته، وأما التلمود فمعناه المشنا والجمارا معاً، ونسبة المشنا إلى الجمارا كنسبة الجزء القليل إلى المقدار الكبير ومن هنا صعب على المطالع أن يقرأ التلمود أو المشنا والجمارا معاً، قراءةً كاملة.

ثم يدخل صاحب المقدمة فى ناحية أخرى، وهى أن يشير إلى خسارة العلماء اليهود الذين ذهبوا فى الحرب الثانية على يد هتلر فى ألمانيا والنمسا، ثم هو يشكر ما عمل يهود أمريكا وبريطانيا فى سبيل إنقاذ المشردين.

ثم ينوّه بإسرائيل مباشرة:-

«ولكننا اليوم، وعلى قدر ما نستطيع أن نرى من خلال الحوادث وتفسير تياراتها، نقول إنه يتعين على إسرائيل فى المقام الأول - هى ومن وراءها الناطقون بالإنجليزية من اليهود فى العالم - أن تكفل لنا التربة الصالحة والمجال الوافى لامتداد جذور «شجرة الحياة» ورسوخها فى التربة بقوة. ذلك بعبارة أخرى، أن الأقدار قد قضت بأن أمر الاحتفاظ بالقيم الروحية اليهودية، واطراد نموها، على غرار ما عرف فى تراثنا وكتبنا، ومنهج حياتنا، تقع تبعته على عاتق «إسرائيل»، ومن فى صفها من اليهود الناطقين بالإنجليزية، وها إننا نرى أن إسرائيل قد أصبحت اليوم كهفاً أميناً للتوراة. ويتحتم على «البقية» التى فى خارج «الأرض المقدسة»، من قبيل الواجب الذى لا مرد له، أن تأخذ بكل مستطاع لترويج دراسة التوراة، والتشويق إلى هذا وبث الوسائل التى يكون منها التيسير والتسهيل. وإنما يعتبر هذا واجباً لا مناص منه، احتراماً للتوراة ووفاءً بمنزلتها، ولما فيه من العامل المؤثر فى توجيه حياتنا».

* * *

ثم يقول: «إن الكتب المقدسة وآثار الربانيين، والتلمود والمشنا، كل ذلك هو مجالى حضارة لها بالغ التأثر فى أنفسنا تأثيراً شمل مظاهر وجودنا اليهودى، وفسر معانى حياتنا. فالمصادر والينابيع التى كان منها كل هذا، يجب علينا أن نستوعبها استيعاباً صحيحاً، وهذا ما ينبغى أن يكون المهمة الأولى لدينا لا تعلوها مهمة أخرى، عند المعلمين والطلاب والدارسين فى كل مكان. وفى هذا الصدد، وسيراً نحو هذه الغاية، لا نرى فى هذه الترجمة الإنجليزية للتلمود إلا كل سبب من أسباب التيسير المراد، والإنجليزية اليوم هى لسان نصف مجموع اليهود، إن لم يكن أكثر من نصفهم، فى العالم».

ثم يقول بشأن دراسة التلمود:

ومن الناحية الأخرى، فإن طالب دراسة التلمود يجد فى هذه الترجمة المعتمدة المتميزة بالصحة والدقة، خير معوان له فى تحقيق ما يصبو إليه ويرغب فيه، وذلك بما اشتملت عليه هذه الترجمة من حواش شارحة وتعليقات تجلو الغوامض، إلى إيضاح ما ينبغى إيضاحه من الأسماء والمصطلحات» ثم ختم بقوله: «والتلمود»، رغم ما لحقه من التشويه والتحقير عمداً من أصحاب الغرض والقصد، هو هو، أحد الكتب التى تحمل ثقافة عالمية، وله من السعة ما يجعله أشبه بدائرة معارف هى الآن فى متناول الدارس اليهودى».

ولكى يقف القارىء العربى على شىء من روح التلمود، نقدم إليه بعض نماذج من محتوياته.

٤ـ نماذج من محتويات التلمود
ما قاله فى العرب، وأمثلة من أحكام المشنا والجمارا

ـ المخلوقات نوعان، علوى وسفلى. العالم يسكنه سبعون شعباً بسبعين لغة. إسرائيل صفوة المخلوقات، واختاره الله لكى تكون له السيادة العليا على بنى البشر جميعاً، سيادة الإنسان على الحيوان المدّجن.

*

ما للعرب من ذكر ووصف فى التلمود

* العرب، الأمة المحتقرة.
* لم يتاجروا إلا بالجلود وبعض الزيوت النباتية للتداوى بها.
* من العار الزواج بعربية.
* العرب يعبدون الأصنام.
* العرب هم مرتكبو تسعة اعشار الجرائم فى العالم.
* (يقول اليهودى): أهون علىّ أن يحكمنى إسماعيلى (عربى) من أن يحكمنى رومانى، وأهون علىّ أن يحكمنى رومانى من أن يحكمنى فارسى.
* شاهد يهودى عربياً فى القرن الثالث الميلادى يذبح شاة فنزع كبدها ليتنبأ عليه.
* العربى يعبد الغبار الذى يعلق بصندله.
* فى العبرية ١٢ كلمة عربية ممتزجة بعناصر آرامية ونبطية.

(دائرة المعارف اليهودية مادة Arabia)

* فى التقاليد اليهودية المتناقلة من القرون الأولى فى المسيحية أن العرب هم كالرومان أعداء اليهود، ويذكر التلمود خلافاً بين وفدين من «الإسماعيلية» واليهود فى مجلس الإسكندر. فقال العرب إن أرض كنعان هى ميراثنا نحن. قال «نفيل باربر» معلقاً على هذا، وقد أوردها فى كتابه، إن هذه الرواية تدل حتى فى العصر التلمودى، أى قبل القرن الخامس والسادس ميلادياً، على أن اليهود يغصون بوجود العرب فى فلسطين. (والميراث المقصود هنا العمالقة والكنعانيون).

* تقول التقاليد اليهودية أن نبوخذ ناصر لما استاق اليهود إلى بابل سبياً تعرض لهم الإسماعيليون (العرب) فى الصحراء والبادية. فقدم الإسماعيليون لقوافل المسبيين الطعام لكنه مالح، فطلب الأسرى الماء فاعطوهم ظروفاً من جلود الماعز، منتفخة، وتبدو كأنها مملوءة ماء. فلما وضع الأسرى أفواههم عليها ليشربوا، والعطش يحرقهم، فإذا بريح ساخن تخرج من الظروف، فدخل الهواء أمعاء الأسرى فقضوا مكانهم.

* لما كان تيطس يهدم الهيكل الثانى الذى بناه هيرودس، كان أحد قواده العسكريين الأربعة عربياً، وكان هذا القائد العربى مرّ العداوة لليهود. فراح يحضّ الجيش على الهدم حتى لا يبقى من الهيكل حجر على حجر. ولما رآه اليهود يفعل هذا نقموا عليه، فأجابهم بإنه إنما يفعل ذلك من أجل خيرهم ومصلحتهم، إذ ما دام الهيكل قائماً فالإمبراطورية الرومانية «لا تبرح عدوّاً لكم، لكن إذا زال الهيكل زالت تلك العداوة». فقال له اليهود: أنت عربى لا نؤمن بنصيحتك.

* فى قصة تتعلق بالرّبى يوحنان بن زكاى (حوالى ٧٥ ب م) وقد مرّ ذكره فى صفحات قريبة، إن العرب فى ذلك الوقت كانوا يقيمون فى عكاء ولهم الخيول لكنه نعتهم نعتاً جد قبيح.

* أورد «باربر» بالإضافة إلى ما تقدم القصة التالية: أخبر عربى يهودياً أن المسيح قد ولد يوم تدمير الهيكل! وكان اليهودى يحرث حقله، فمرّ به العربى، ولما اقترب منه، فإذا ببقرة اليهودى وهى تحت النير تبرك على الأرض من تلقاء نفسها. فسأله العربى من أنت؟ يهودىّ أنا، أجاب اليهودى. فقال العربى: فكّ البقرة من النير والمحراث. ولماذا؟ لأن الهيكل قد هدم. وكيف عرفت هذا؟ عرفته من بروك البقرة. وإذا بالبقرة تبرك ثانية. ثم قال العربى: يا يهودى يا يهودى! فك البقرة فقد ولد المسيح مخلص اليهود.

ولما علم هذا اليهودى بأن الطفل هو فى بيت لحم، باع البقرة والنير والمحراث، واشترى بالثمن البسة أطفال، وأتى بيت لحم وجعل ينادى مناداة البائع المتجول: وأتى أم الطفل وألح عليها بأن تشترى منه ما تحتاج إلى طفلها من ألبسة. ولما اعتذرت إليه بأن لا نقود بيدها، عرض عليها أن يبيعها ديناً ثم يأتى بعد مدة فيأخذ الثمن. فاشترت. ولما عاد، قالت له إن ولدها قد مات. ولما سألها وكيف كان ذلك، اجابت: بعد أن فارقتَ بيتى هبّت عاصفة أخذت الولد من بين يدى وطارت به! انتهت الأسطورة. قال باربر: وبعد هذه القصة لا ذكر للعرب فى التلمود».

* * *

وأما ما للعرب من ذكر فى الكتب اليهودية، ففى ثلاثة أنواع:

١ ـ أسفار «العهد القديم»، ففيها شذرات متفرقة عن العرب باسمهم هذا، أو باسم العمالقة، والإسماعيليين، وقيدار، وبنى المشرق، والمدينيين.

٢ ـ سفر المكابيين الأول والثانى ففيهم أخبار الأنباط خاصة.

نماذج من أحكام التلمود

التلمود منظمة أبوابه وفصوله هكذا: فاسم الباب أولاً، ثم الفصل الأول منه، وهذا كله بحروف بارزة. ثم أول سطر من أول فقرة كلمة «مشنا» بحروف سوداء، ثم عبارات الفقرة التى تتضمن الحكم. وبعد هذا فاصل، وبعد الفاصل يرد شرح المشنا، المسمى «جمارا» فترد كلمة «جمارا» فى أول السطر بحروف سوداء كما وردت كلمة «مشنا» ثم الشرح، لمختلف العلماء.

وقد يكون الشرح فى عشرين إلى ثلاثين صفحة أو أكثر أو أقل، لحكم واحد هو فى عبارة المشنا فى أسطر. ومن هنا تضخمت مجلدات التلمود مع الزمن.

* * *

أمثـــلة

(**مشنا**: إذا قال رجل إنى أتعهد بأن أقدم قرباناً من طعام مطبوخ بالفرن فليس له أن يأتى به مطبوخاً فى غير الفرن، كموقد الحجارة أو «تنور» العرب. وإذا قال: إنى أتعهد بأن آتى بتقدمة مخبوزة، فليس له أن يأتى ببعضها مخبوزاً وببعضها الآخر فطيراً. ربى سيمون يجوّز هذا، لأن كلا النوعين يعودان إلى أصل التقدمة).

(**جمارا**: شرح مسهب لمختلف الربيين تفسيراً لما تقدم، وتعليقاً عليه، وذهاباً به مناحى مختلفة. وهذا الشرح لهذه المسألة المتعلقة بالتقدمة استغرق ٣ صفحات).

(**مشنا**: الإسرائيلى الذى يشترى فلو أتان من وثنى[١]، أو يبيع فلواً من وثنى، أو الإسرائيلى الذى يتشارك مع وثنى[٢] (فى حيوان)، أو يتفق مع الوثنى على تربية الحيوان[٣]، أو الذى يقبل الحيوان لتربيته[٤]، فهذا لا تنطبق عليه شريعة الحيوان إذا جاء « لأن كل بكر هو لى يوم اهلكت كل بكر فى أرض مصر قَدَّستُ لى كل بكر فى إسرائيل من الناس والبهائم إنهم لى يكونون أنا الرب[٥]»، ولكن ليس فى الأمم).

(**جمارا**: ما الحاجة إلى كل هذه الأمثلة فى المشنا؟ وهل من الضرورى ايراد هذه الوجوه كلها ما دام النص يتناول الذى يشترى؟ ولعل السبب هو اعتبار الحيوان طاهراً، ولكن الذى

---

(١) (هذه الشروح هنا فى حاشية الصفحة ليست من متن المشنا، وإنما هى شرح وتعليق لأنه ممنوع على الإسرائيلى أن يبيع حيواناً كبيراً من وثنى، لأن الوثنى «يشغل» الحيوان فى السبت.

(٢) كأن يشتركان فى شراء حيوان ويكون لكل منهما حصة فيه.

(٣) مقابل تربية الحيوان يأخذ نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثنى.

(٤) كأن يأخذ الإسرائيلى نصف النتاج ويبقى الحيوان للوثنى.

(٥) سفر العدد ٣ : ١٣.

يبيع من وثنى، وقد رفع يده عن الحيوان سبّب فى أن تتعرض الطهارة للزوال فيجب قصاص الإسرائيلى لفعله ذلك).

ثم يطّرد الشرح على هذا الحكم حتى يشغل ١٥ صفحة.

* * *

وجاء فى أحد الفصول هذا الكلام فى أوله:

(هذا الفصل كله نصوص من المشنا، يشتمل على وصف الهيكل الثانى المقدس وما حواليه، وذلك دقيق للغاية تفصيله. ولا ريب أن هذا الوصف قد وضع لما كان الهيكل المقدس لا يزال قائماً، وكُتب ودوّن باليونانية، وضم إلى المشنا حتى يكون دليلاً ومرشداً عند اعادة بناء الهيكل).

ثم يأتى شرح الجمارا فى ٢٧ صفحة (مجلد ٢ صـ ٢٤٠ فصاعداً).

* * *

(مشنا: انقضاء السبت يكون على هذه الوجوه:

١ ـ يقف الفقير خارج الباب، ورب البيت داخل الباب، فإذا مدّ الفقير يده إلى داخل الباب ووضع قطعة متاع فى يد رب البيت، أو إذا تناول قطعة متاع من داخل البيت ومضى بها، فالفقير آثم(١)، ورب البيت لا إثم عليه.

٢ ـ إذا مدّ رب البيت يده خارج الباب ووضع قطعة متاع فى يد الفقير أو إذا تناول قطعة متاع من يد الفقير ومضى بها، فرب البيت آثم، والفقير لا إثم عليه.

٣ ـ إذا مد الفقير يده إلى داخل الباب وتناول رب البيت منه قطعة متاع أو إذا وضع الفقير قطعة متاع داخل الباب وتناول قطعة متاع أخرى ومضى بها، فلا إثم على كليهما.

٤ ـ إذا مدّ رب البيت يده إلى خارج الباب وتناول الفقير قطعة متاع منه، أو إذا وضع الفقير قطعة متاع فنقلها رب البيت إلى داخل، فلا إثم على أحد منهما.

ثم يتلو شرح الجمارا فى ٣١ صفحة

* * *

(مشنا: لا يخرج الخياط (من بيته أو محل عمله) وبيده ابرة الخياطة قبيل الغروب (مساء الجمعة) ولا يخرج الكاتب ومعه الدواة، ولا يبسط الواحد رداءه، ولا يقرأ على ضوء قنديل).

وفى الشرح قال فيما يتعلق بالقنديل أن السبب هو خشية أن يتضاءل الضوء فيعالج الفتيل ليصحّ انسياب الزيت أو امتصاصه، وهذا يدخل فى العمل الممنوع فى السبت.

---

(١) (الحاشية فى الأصل) إنه دنس السبت.

لمحتويات التلمود صفتان «هلاكا» و«هجادا»
أو «العقل» و«القلب»

من عجائب التلمود فى الحوادث المتخيّلة، والارقام، والصور البعيدة من التصور، ما يخرج عن حدود العقل الإنسانى، دع عنك ضروب التطوح فى كل ناحية، إذ الرواية السماعية من عهد موسى قد وسعت كل هذا. أما صفة «الهلاكا» فيعنى بها الأمور التى تتعلق بجهة الشريعة ومذاهب الرأى والفقه فيها. أما «الهجادا» فمعناها القصة أو الرواية أو الحكاية، فهى ما هبّ ودبّ من أقاصيص القصّاص، منفلتين من التقيد بأحكام شريعة موسى، ويحصر استنادهم فى ذلك بأن هذه الأمور والأقوال مرويّة منقولة بالسماع من عهد موسى. ولكن تُضفى هالة عامة على كل هذا، نوعى «الهلاكا» و«الهجادا» قالوا إن «الهلاكا» طريق العقل، و«الهجادا» طريق القلب. وهذا معناه عندهم أن الأولى رأى وتدبر ونظر، والثانية عاطفة وميل وهوى، وفى النهاية وضعوا الصفتين هكذا:

هلاكا = نابعة من العقل

هجادا = نابعة من القلب

* * *

٥ - التلمود وجهاً لوجه مع العرب والأمم وهذه هى أقواله:

ومع المسيحية والإسلام، أما الأخلاق الإنسانية فتشيح بوجهها عن كلماته

*

ما قاله التلمود فى (٨٠) نموذجاً

«لا يعدّ المرء ناضجاً فى السياسة أو الكتابة ما لم يدرس القضية الصهيونية».

هذه الكلمات للعلامة بولس حنا مسعد، صاحب كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» وقد وضعه سنة ١٩٣٨ ومما قاله فى مقدمته: «للمسيحى انجيله يبشر به العالم، وللمسلم قرآنه ينشره بين جميع الشعوب. أما الإسرائيلى فله كتابان: كتاب معروف وهو التوراة لا يعمل به، وآخر مجهول عند العالم يدعى التلمود، يفضله على الأول، ويدرسه خفية، وهو أساس كل مصيبة. إن النصارى يؤمنون بأن الله هو أبو الجميع. والمسلمين يعترفون بأن الله رب العالمين.

«أما الصهيونيون فلا يريدون أن يكون الإله إلا لهم وحدهم. زد على ذلك أن التلمود ينص على أن جميع خيرات الأرض ملك لبنى إسرائيل، وأن النصارى والمسلمين وعبدة الأوثان، خلقوا عبيداً لهم. هم (اليهود) متحدرون من الله كما يتحدر الابن من أبيه، وشعوب الأرض مشتقة من الأرواح النجسة، ولم يعطوا صورة الإنسانية إلا إكراماً لبنى إسرائيل. على هذا المنوال تعاليم هذا الكتاب الموبوء، وقد اتخذ له مبدأ: الغاية تبرر الوسيلة، فلا عجب إذا قامت عليه قيامة المخلصين لبلادهم، وطهروا حكوماتهم من اتباعه الصهيونيين..

«والآن بعد أن أخفق إسرائيل فى سائر انحاء العالم وعاد بصفقة المغبون، رجع يفكر فى احتلال فلسطين، البلد المقدس، مدّعياً أن الله وهبها له. فلا غرو بذلك، فالذين يدّعون ملكية المعمورة، ألا يجرأون على المناداة بامتلاك بقعة صغيرة كفلسطين!»

وقال المؤلف فى نهاية المقدمة:

«تلك صورةٌ مصغرة أو جزءٌ من ألف مما حواه كتابنا هذا ونحن لم نرجم بالغيب، ولم نقل كلمة واحدة إلاّ أسندناها إلى مرجعها الأصلى. وبما أن العثور على نسخ كاملة من التلمود صعب للغاية، نظراً لما حذفه المتأخرون من الأقوال، واستعاضوا عنها بدوائر هندسية أو بصفحات بيضاء منقّطة، فإننا اعتمدنا فى إدراج النصوص، وترجمتها، على كتاب الاستاذ اغوست روهلنج».

* * *

واختتم العلامة بولس حنا مسعد مقدمة كتابه بقوله:

«إلى القارئ العربي العزيز، هذا الكتاب عن عقيدة إسرائيل كما هي في التلمود بلا زيادة ولا نقصان، والموضّح التعاليم الركيكة التي يتناقلها الأبناء عن الآباء، والشارح الخرافات المضحكة التي يقدسها ذلك الشعب المبغوض، ولا غاية لنا من وراء ذلك إلا نشر العلم الحقيقي الذي آلينا على نفسنا خدمته بكل ما في صدرنا من قوة وعزم وحماسة ونشاط».

* * *

واطلعت مجلة «المقتطف» ـ شيخة المجلات العربية ـ على هذا الكتاب بعد طبعه باثنتي عشرة سنة، فكتبت، بعد أن أوردت بعض محتوياته تقول: «لكي تطلع على سائر أمثال هذا التجديف الذي لا تحتمله نفس بشرية، يجب أن تطلع على هذا الكتاب ـ كتاب الخوري بولس حنا مسعد ـ الذي نحن بصدده، فترى أقوالاً لا تخطر في بال المجانين والمخرفين والسكارى والأرازل، والذين فقدوا الصواب والعقل والأدب والحياء بتاتاً». انتهى قول مجلة «المقتطف» في عدد فبراير ١٩٥٠.

وهذا ما نشرته «المقتطف» من أقوال التلمود، غير ناقلة الكلام بعينه لشدة كفره وبذاءته، بل تسوق الكلام بالوصف مكتفية بذلك:

«اليهود يصفون التلمود فوق التوراة، والحاخام فوق الله (استغفر الله) والله يقرأ وهو واقف على قدميه. وما يقوله الحاخام يفعله الله. إن تعاليم اللاهوتيين في التلمود لهي اطيب من كلام الشريعة والخطايا المقترفة ضد التلمود لهي أعظم من المقترفة ضد التوراة».

«يقسم (الله) النهار إلى ١٢ ساعة، ففي الساعات الثلاث الأولى، يجلس الله ويدرس الشريعة، وفي الساعات الثلاث الثانية يدين الشعوب، وفي الساعات الثلاث الثالثة يغذي العالم، وفي الساعات الثلاث الأخيرة يلعب مع ملك الاسماك، وملك الاسماك هذا طوله ثلاثمائة قدم يدخل في فمه فلا يتضايق».

* * *

كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» صغير الحجم واقع في (١١٥) صفحة يقرأ في ساعتين من الوقت. غير أن القارئ لا يلبث أن يشعر بالحاجة في نفسه إلى قراءة الكتاب مرة ثانية وثالثة لعله يبتدئ يتأمل مطرقاً وقد تتفاعل عدة أمور في نفسه. فإذا أقفل الكتيّب وطرحه أمامه على سريره أو منضدته، أو مكتبته، ليعود إليه مرة أخرى، وقع نظره على العبارة التي أحب المؤلف أن يوجز بها الباب مقاصده فقال تحت وسمة الكتاب:

« لا يعدّ ناضجاً فى السياسة أو الكتابة ما لم يدرس القضية الصهيونية »

وإذا كان القارىء العربى حيّاً، فيعلم أن المراد بالصهيونية التلمود، إذ هى منه، ومن التلمود خرج ويخرج كل شىء يدخل فى مخطط اليهود الذى يريدون به تحقيق أحلامهم من إقامة دولة دينية داودية سليمانية اوتوقراطية، عاتية مستبدة، تحكم العالم. من روح التلمود خرجت البروتوكولات.

* * *

وكان العلامة بولس حنا مسعد حريصاً على أن يذكر المرجع لكل عبارة نقلها، فأثبت فى نهاية كل فصل من فصول الكتاب جدول المراجع بذكر الكتاب المقتبس منه مع رقم الصفحة باللغات الأجنبية، ولا نرى أهل البحث العلماء يدقّقون أكثر من هذا. وفصول كتاب «**همجية التعاليم الصهيونية**» ١٩ فصلاً مختصراً، وعدد المقتبسات المثبتة المراجع بلغ (٢٦٣) مقتبساً. وعناوين الفصول المذكورة هى: المذهب التلمودى ـ كلمة التلمود ـ ألوهية التلمود ـ إله التلمود ـ الملائكة ـ قصة الشياطين ـ الأسرار التلمودية ـ النفوس ـ النعيم والجحيم ـ قريب اليهودى ـ التملك ـ الخداع ـ الأشياء الملتقطة ـ الربا ـ الأشخاص ـ المرأة ـ اليمين ـ الحرم ـ الخلاصة.

* * *

ونكتفى هنا بنقل عبارات وفقَر من كتاب «**همجية التعاليم الصهيونية**» بعد أن وضعنا بين يدى القارىء هذا التفصيل، لنزيده علماً بمحتويات العقائد التلمودية، دون حاجة إلى ذكر المصادر والمراجع فى الكتب الأجنبية التى يستغرق ذكرها مجالاً فسيحاً، فهى فى كتاب العلامّة بولس حنا مسعد لمن يريد الرجوع إليها.

المقتبسات:

١) «أما تهذيب الربانيين (الحاخاميين) الذين هم رؤساء اسرائيل فأساسه ومرجعه التلمود. لذلك قد افتتحت مدارس كثيرة لقراءة التلمود فى جميع انحاء اوروبا تحت ادارة الربانيين، لتتيح لجميع أبناء اسرائيل الالمام بتعاليمه. حتى ان فى برلين نفسها كانت توجد منذ حمس وثلاثين سنة جمعية من هذا النوع تجمع أعضاءها كل مساء لقراة الكتب المقدسة. وبهذه الوسيلة يجد، مثلا، التجار اليهود الذين لا يعرفون شيئاً عن التلمود، اخواناً لهم اسرائيليين يفقهونهم بمعلوماتهم التلمودية. وهنا نتساءل: لم هذه الدروس؟ ألم تكن الغاية منها وضعها موضع العمل فى الحياة اليومية.. حتى إن منهم من يقول: **نعترف جهاراً بسمو التلمود أكثر من كتاب الشريعة الموسوية**» (ص ١١).

٢) «ان الدكتور كورنر يلصق بالشريعة القديمة حوادث تجعلها أحط من التلمود، فضلاً عن اننا نجد ألوفاً من الأدلة التلمودية التى تناقض على طول الخط أحكام التوراة. فاليهودى الذى يسرق المسيحى، او يفضح امرأة اجنبية، لا يعاقبه المجمع، لأن التلمود يسمح له بذلك. ومع هذا فان اليهود يتبجحون بأنهم يحافظون على التوراة بحفظهم التلمود». (ص ١١ و ١٢).
قلت: المجمع اليهودى هنا هو السنهدرين السرى.

٣) «ان الربانى «راشى» يثبت هذه التعاليم بمثل ما أورده التلمود. رأى الربانى كرمة متهدلة بالعناقيد الناضجة فقال لخادمه: اذا كانت هذه الكرمة لغريب فاقطف منها، واذا كانت ليهودى فلا تمسها» (ص ٦٣).

٤) «إن الوصية القائلة «لاتسرق» معناها عند النسر بن ميمون: لا تسرق اليهودى. اما غير اليهودى فيسمح دون ما وجل بسرقته» (ص ٦٣).

٥) قال العالم «بفافركن» فى هذا الصدد: ان ممتلكات النصرانى بالنظر الى اليهودى، هى ممتلكات لا مالك لها مثل رمال البحار. وأول يهودى يستولى عليها عنوة يكون هو مالكها الأصيل» (ص ٦٥).

٦) «يقول التلمود بشدة: «كما ان ربة البيت تعيش من خيرات زوجها، هكذا أبناء اسرائيل يجب ان يعيشوا من خيرات امم الأرض دون ان يحتملوا عناء العمل» (ص ٦٥)

٧) «وفى المجمع اليهودى المنعقد فى بولونيا سنة ١٦٣١ قرروا بالإجماع أن العبارات التى تهين الاغيار يجب حذفها، والاستعاضة عنها اما بدوائر هندسية، واما بتركها بيضاء، وان التعاليم القائلة مثلاً بان المسيحيين هم سافلو الاخلاق لا يستحقون المحبة او العدل... لا يصحّ نشرها الا شفوياً فى مدارسهم (اليهود)». (ص ١٤ و ١٥).

٨) «فى كل عصر عدّ اليهود عموماً، ما عدا بعض المشاقين (كالقرائين)، التلمود إلهيا، كالتوراة. ولكن اذا فحصنا الحقائق بمنظار الروية وجدناهم يضعونه فوق التوراة نفسها» (ص ١٦).

٩) «ان التوراة كالمياه، والميشنا كالخمر، والجيمارا كالخمر المعطّر. فالعالم لا يمكنه الحياة بدون مياه وخمر، وخمر معطر. والغنى لا يدع واحدة منها تفوته. ولهذا السبب فان العالم لا يمكنه الثبات بدون التوراة والمشنا والجيمارا. فالشريعة كالملح، والميشنا كالبهار، والجيمارا كالتوابل. اما العالم فانه لن يعيش بدون الملح والبهار والتوابل» (ص ١٦).

١٠) «ان الذين يدرسون التوراة يحتمل ان يكون عملهم فضيلة. اما الذين يدرسون الميشنا فانهم يمارسون الفضيلة ويثابون عليها، الا ان الذين يدرسون الجيمار فانهم يكتسبون اعظم فضيلة وأسماها» (ص ١٦ و ١٧)

١١) «يقول التلمود: من يحتقر كلمات الربانيين يستحق الموت» (ص ١٧)

١٢) «إن تعاليم اللاهوتيين فى التلمود لهى أطيب كلام الشريعة» (ص ١٧).

١٣) «اذا كان احدكم يملك نسخة من التوراة والمشنا ولا يملك نسخة كاملة من التلمود فلا يجوز لكم ان تتعاملوا معه» (ص ١٧)

١٤) «ويعلم التلمود بهذه الالفاظ: ان الله قد انزل الشريعة على جبل سيناء كما وردت فى التوراة. اما فى الميشنا والجيمارا فقد جاءت بصورة القصص والأمثال، وذلك لأن الله أراد أن يعطى التلمود متجسداً بصوته الحى. حتى إذا خضعت الشعوب لأبناء إسرائيل تبقى الفوارق قائمة بين إسرائيل وعبدة الأوثان» (صـ ١٨).

١٥) «لو أراد الله أن يكتب التلمود برمته على الورق، لما وسعته الأرض صحفاً مكتوبة» (الصفحة ١٨).

١٦) إن الربانى منا حين يطلعنا بالاتفاق مع كثير من العلماء على أن الله يأخذ رأى الربانيين العائشين على الأرض فى المشاكل التى تنشأ فى السماء» (صـ ١٩).

١٧) «جاء فى كتاب يهودى سنة ١٥٩٠: أن كلمات الربانيين لأشد عذوبةً من كلمات الأنبياء... وذلك لأن كلمات الربانيين هى كلمات الله الحية.. إذا قال لك الربانى أن يدك اليمنى هى اليسرى وأن اليسرى هى اليمنى، فلا يجوز لك أن تنبذ كلامه. فكما يلزمك أن تحترمه إذا قال لك أن اليمنى هى اليمنى، واليسرى هى اليسرى» (صـ ١٩).

١٨) «إذا أتى صوت من السماء يبقى بغير قيمة حتى يحققه الربانى، وإن الله إذا عضد ربانياً فى مجادلة، فإنه يعضد خصمه فى المجادلة نفسها لتكون الغلبة الكبرى للربانى» (صـ ٢١).

١٩) «إن الله تعالى قد تاب عن تركه بنى إسرائيل يرتطمون فى الشقاء، كمن يتوب عن اسم شخصى، فلذلك إنه يهمر كل يوم دمعتين سخينتين فى البحر، تسببان فرقعة شديدة تسمع من أقصى العالم إلى أقصاه، وفى كثير من الأحيان تنزل قواتها الهزات العنيفة بالمسكونة» (ص ٢٧).

٢٠) «والتلمود يقول فى غير محل إن الله عندما يقسم فى كل مرة بدون مبرر معقول، فمن اللازم أن يحل قسمه بقسم آخر نظيره، وهذا يثبته أن احد الحكماء فى إسرائيل قد سمع يوماً الله يصرخ: يا لشقائى! من ينقذنى من قسمى هذا؟» (صـ ٢٧).

٢١) إن الله قد اقسم بغير عدل، وارتكب خطيئة الكذب لكى يلقى السلام والوئام بين إبراهيم وسارة. وهذا هو المسوّغ الذى يخوّل بنى إسرائيل الكذب لإعادة السلام إلى نصابه» (صـ ٢٨).

٢٢) «إن واحداً وعشرين الفاً (من الملائكة) يحرسون الأعشاب لأن على الأرض واحداً وعشرين

الف نوع من العشب» (صـ ٣٠).

٢٣) «إن عمل الملائكة الرئيسى سكب النوم على عيون البشر، وحراستهم فى الليل. أما فى النهار فإنهم يصلّون عن البشر، ولذلك يجب أن نلتجىء إليهم. إلا أن الملائكة لا يفهمون السريانية والكلدانية وهذا هو السبب الذى يمنعهم من سماع طلبات وصلوات أبناء هاتين اللغتين» (صـ ٣١).

٢٤) «إن الشياطين مركبون من الماء والنار ومنهم من خلقوا وفيهم شىء من الهواء وغيرهم من التراب. أما نفوسهم فقد صنعت من مادة محفوظة حول القمر، ولا يجوز استعمالها لغير ذلك. إن بعض الشياطين تحدروا من صلب آدم الذى بعد أن لعنه الرب رفض الدنو من حواء لكيلا يلد نسلاً شقياً، وفى ذلك الوقت بانت أمامه شيطانتان فعرفهما، وولدتا منه شياطين جديدين» (صـ ٣٣).

٢٥) «قال ساحر فرنسى كبير يدعى «اليفاس ليفى»: «إن التلمود هو الكتاب الأساسى لكل أنواع السحر» (صـ ٢٦).

٢٦) «إن الربانى العازار كان يحوّل حقله المزروع قرعاً وبطيخاً إلى ظباء وجداء» (صـ ٣٦).

٢٧) «يعتقد أصحاب التلمود أن إبراهيم ابا الآباء كان يستعمل السحر وعلّمه لغيره حتى كان يربط فى عنق كل مريض حجراً، يرد له صحته... ويخبرنا التلمود أن ربانياً قطع راس أفعى بسنّه ولمسها ثانية بحجره فعادت إليها الحياة. بل إنه كان يلمس بهذا الحجر الطيور التى ماتت فتعود إليها الحياة وتطير ثانية» (صـ ٣٧).

٢٨) «إن الربانى فابيوس من ليون اوضح فى خطابه يوم عيد رأس السنة العبرية (١٨٤٣م.) أن الديانة اليهودية تعلو على المسيحية وغيرها من الأديان، وذلك لعدم وجود أسرار فيها، فإن كل شىء فى الديانة اليهودية هو نور وعقل، بعكس المسيحية التى تكبّل العقل وتسترسل وراء الأفكار الجنونية» (صـ ٣٩).

٢٩) «كان آدم كبيراً جداً حتى لامس برأسه قبة السماء. ولما كان ينام كان رأسه يبلغ آخر العالم من الجهة الشرقية، ورجلاه تصلان إلى الغرب من الجهة الثانية. وصنع الله له كوّة كان يرى من خلالها العالم بأسره. لكن لما اخطأ آدم صغّره الله ومسخه بالهيئة البشرية الحاضرة» (صـ ٣٩).

٣٠) «إبراهيم أكل أربعة وسبعين رجلاً وشرب دماءهم دفعة واحدة، ولذلك كانت له قوة أربعة وسبعين رجلاً» (صـ ٤١).

٣١) «إن نفوس جميع البشر التى وجدت والتى ستوجد حتى انتهاء العالم قد خلقها البارى فى أيام التكوين الستة، ثم خزن هذه النفوس فى مخازن السماء وأمرها بألا تغادر مسكنها

إلا عندما تكون الأمهات على وشك وضع مولود جديد فى العالم» (صـ ٤٢).

٣٢) «أوجد الله فى البدء ست مئة ألف نفس يهودية، لأن كل آية فى التوراة تحتمل ست مئة ألف تفسير، وكل تفسير جدير بنفس واحدة» (صـ ٤٢).

٣٣) «إن نفوس اليهود منعمٌ عليها بأن تكون جزءاً من الله فهى تنبثق من جوهر الله كما ينبثق الولد من جوهر أبيه» (صـ ٤٢).

٣٤) «هذا السبب يجعل نفس اليهودى أكثر قبولاً وأعظم شأناً عند الله من نفوس سائر شعوب الأرض، لأن هؤلاء تشتق نفوسهم من الشيطان وهى مشابهة لنفوس الحيوانات والجماد. ولهذا يقول التلمود: إن زرع الرجل غير اليهودى هو زرع حيوانى» (صـ ٤٢).

٣٥) «تنتقل نفس اليهودى بعد موته إلى جسد آخر، وعندما يلفظ المتقدم فى السن أنفاسه، تسرع نفسه إلى جنين فى بطن أمه» (صـ ٤٣).

٣٦) «كان لقايين ثلاث نفوس: الأولى انتقلت إلى يثرو والثانية إلى قورح، والثالثة إلى المصرى الذى قتله موسى» (صـ ٤٣).

٣٧) «أما نفس يافث فقد انتقلت إلى شمشون، ونفس تارح إلى أيوب، ونفس حواء إلى إسحق، ونفس خادم راحاب الزانية إلى حبرو، ونفس جايل إلى إلياس، ونفس عيسو إلى المسيح..» (صـ ٤٣).

* * *

فى هذا الموضع أجاب مؤلف «همجية التعاليم الصهيونية» على قول التلمود هذا بقوله:ـ

«نحن نجلّ قلمنا عن ايراد هذه النتيجة السمجة. إنا نحيل أبناء إسرائيل إلى إنجيل المسيح لكى يروا بأعينهم أية حياة طاهرة عاشها مؤسس الديانة المسيحية، وأى حياة طاهرة يطلبها من أتباعه. أما اليهود الذين يمرقون من دينهم، أو يقتلون أحد ابناء ملتهم، فإن نفوسهم بعد الموت تسير تواً إلى الحيوانات والنباتات وتقطن بها، ثم بعد حياة شقية يرسلون إلى الجحيم ليحتملوا ألوان العذاب اثنى عشر شهراً، وعند انتهاء المدة يبعثون أحياء وينتقلون متجسدين فى الحيوان وعبدة الأوثان وعندما يطهرون يعودون إلى اليهودية» (صـ ٤٣).

* * *

٣٨) «يقول التلمود إن النعيم عبارة عن مكان تعيش فيه اذكى الروائح والطيوب، فإن ايليا قد ضمّخ فى ذات يوم ثوب كاهن بأوراق شجر الفردوس فظل العبير منتشراً من الثوب حتى تهرّأ وأخيراً باعه بثلاثماية قطعة من الفضة» (صـ ٤٤).

٣٩) «وجهنم هى أرض موحلة فاسدة لا فرح فيها ولا سرور، بل بكاء وظلام. وكل مسكن فى الجحيم يشتمل على ستة آلاف صندوق وكل صندوق فيه ستة آلاف برميل من الحنظل

والاسفنتين» (صـ ٤٥).

٤٠) «المشروبات السماوية هى الخمور الفاخرة المعتقة المحفوظة من يوم الخليقة السادس، وهذه الجنة اللذيذة لا يدخلها إلا اليهود الصالحون، أما الباقون فيزوجون فى جهنم النار» (صـ ٤٥).

٤١) «إن جهنم هى أكبر من السماء بستين مرة، وهى سجن القلف (من لا ختان لهم) وفى مقدمتهم اتباع المسيح ابن مريم لأن هؤلاء يحركون أيديهم كثيراً برسم إشارة الصليب على ذواتهم. ويأتى بعد النصارى المسلمون لأنهم لا يغسلون سوى أيديهم وأرجلهم وأفخاذهم وعوراتهم. كل هؤلاء يحشرون حشراً فى جهنم ولا يغادرونها إلى الأبد» (صـ٤٦).

٤٢) «يقول التلمود إن المسيح عندما يأتى تنتج الأرض حلوى وأثواباً من الصوف وحنطة خصبة الحبة الواحدة منها تزن ثقل كلية ثور فحل» (صـ ٤٧).

٤٣) «إن المسيح يعيد قضيب الملك إلى إسرائيل فتخدمه الشعوب وتخضع له الممالك».

«وعندئذ يمتلك كل يهودى ألفين وثمانماية عبد وثلاثماية وعشرة أبطال يكونون تحت إمرته.

«المسيح لا يأتى ما لم ينقرض ملك الشعوب غير اليهودية.

«ذلك لأن إسرائيل إذا كان صالحاً يجب عليه أن يعمل بغير هوادة فى أن ينبذ المتسلطين، وطالما هم بعيدون عن تحقيق هذه الفكرة فيعتبرون نفوسهم غرباء ومنفيين» (ص ٤٧).

* * *

نود أن نستوقف القارىء العربى لحظات فى هذا الموضع لنلفت نظره إلى الحقائق الرهيبة التالية:

١ ـ كل ما يتعلق بمخطط اليهود للاستيلاء على العالم، وتعمل له اليهودية العالمية الخفية بأجهزتها السياسية والاقتصادية، العلنية والخفية، خطوطه فى التلمود.

٢ ـ لا نرى بنا حاجة إلى أن ننقل إلى هذه الصفحات هنا متن البروتوكولات التى نصت على هذا كله بالتفصيل الكافى الوافى. وإن كان مذهلاً أمر هذا المخطط. فإننا عندما نقرأه فى التلمود، نقرأه اساطير وأوهاماً وتخاليط وما اشبه، ولكن عندما ننتقل إلى متن البروتوكولات ونمعن النظر فيها بروية،، نجد أن اساطير اليهود صارت تتحول إلى برامج محكمة. ونقول: أن ما بلغته اليهودية العالمية حتى اليوم من تحقيق جزء من مخططها هذا، يرفضه العربى، وكل مسلم ومسيحى من ابناء الأمة العربية ولا يقبله دليلاً على أن اليهودية العالمية قادرة على أن تمضى طويلاً بعد اليوم فى اجتياز المراحل نحو تحقيق الغاية الكبرى وهى احراز السلطة العالمية وصولاً إلى الملك الداودى السليمانى، ومحو أنظمة الدول، والأديان، وجعل اليهودية المادية هى الدين السائد على جميع الأمم فى

العالم. فيعود الأمر إلى ما يشبه الأساطير. فمع الاعتقاد الراسخ من أن «إسرائيل» هى - القفاز الخارجى الموقت لليهودية العالمية - يجب أن يؤخذ بخناقها حتى تهمد، علينا أن ننتبه بقوة جبارة إلى الأجزاء المقبلة من المخطط اليهودى.

٣ - لذلك نلفت نظر القارىء إلى أن يقابل بين ما يقوله التلمود هنا، وما هو مبسوط من هذا المخطط فى البروتوكولات وهى:

السابع عشر، والثامن عشر، والتاسع عشر، والعشرون، والحادى والعشرون، والرابع والعشرون، وهذا كله بين يدى القارىء.

* * *

٤٤) «قبل أن تضمحل شعوب العالم وتستعبد، وقبل أن يصير اليهود أسياد مدنهم، وقبل بدء الملكوت المسيحى، ستنشب حرب طويلة تشيب لهولها الأطفال، فتزهق ثلثى العالم. ويمكث اليهود سبع سنوات يحرقون الأسلحة المكتسبة، وعندئذ تتضخم أسنان أعداء إسرائيل القدماء وتبتعد عن أفواههم بعرض اثنين وعشرين قدماً، وفى انتظار ذلك يعيش اليهود فى حرب مستمرة مع الشعوب الغريبة» (صـ ٤٨).

٤٥) «عندما يعقد لواء الظفر النهائى يرتضى المسيح بكل الشعوب إلا أنه يرفض المسيحيين منهم، وفى ذلك الوقت يصبح أبناء إسرائيل أغنياء كباراً لأن كنوز الشعوب تسقط بين أيديهم. إن هذه الكنوز تملأ قصوراً وسيعة، حتى أن ثلاثمائة دابة لا تكفى لحمل مفاتيح الأبواب والخزائن» (صـ ٤٨).

٤٦) «فى ذاك الوقت يعتنق الجميع الإيمان اليهودى، إلا أن المسيحيين لا شركة لهم فى هذه النعمة، بل إنهم يستأصلون عن وجه الأرض، لأنهم متحدرون من الشيطان، وعندئذ تشبع رغائب اليهود، لأن المسيح الذى ينتظرونه ويستعدون للقائه هو إسرائيل نفسه، أى أن الشعب اليهودى يملك على باقى الشعوب وقت مجىء المسيح» (صـ ٤٨).

* * *

وعلّق المؤلف على هذا الكلام الهمجى الصهيونى بقوله:

«والعجب الغريب أن الحكومات المسيحية والإسلامية تسمح لليهود بأن ينشروا هذه السفاسف والخزعبلات وأن يلصقوا أمثال هذه السماجات بالسيد المسيح، واضعينه بين عبدة الأصنام وقائلين عنه إنه ابن.....» (صـ ٤٩). والكلمة التى أشرنا إليها بنقاط نأبى أن نوردها هنا وإن أثبتها المؤلف فى كتابه.

٤٧) «أن اليهود أحب إلى الله من الملائكة فالذى يصفع اليهودى كمن يصفع العناية الإلهية سواء بسواء. وهذا يفسر لنا استحقاق الوثنى وغير اليهودى الموت إذا ضرب يهودياً» (صـ ٥٢).

٤٨) «يعلمنا التلمود إنه لولا اليهود لامتنعت البركة من الأرض، وانقطع المطر وانحجبت الشمس، لذلك لا تستطيع شعوب الأرض الحياة بدون الإسرائيليين» (صـ ٥٢).

٤٩) «إن المفاضلة الموجودة بين جميع الأشياء فكلما أن الإنسان يعلو البهيمة كذلك اليهود هم ارفع من شعوب الأرض، لأن زرع الأغراب كزرع الحصان» (صـ ٥٢).

٥٠) «إن مدافن غير اليهود تثلج صدور ابناء إسرائيل لأن اليهود وحدهم هم بشر. أما الشعوب الأخرى فليست سوى أنواع متخلفة من الحيوانات» (صـ ٥٢).

٥١) «إن غير اليهود كلاب عند اليهود بحسب تعليم التلمود المستند إلى الآية السادسة عشرة من الفصل ١٢ من سفر الخروج وقد جاء فيه أن الأعياد المقدسة وضعت لإسرائيل وليس للأغراب والكلاب» (صـ ٥٢ و ٥٣).

٥٢) «قال الربانى موسى بن نحمان لكم وليس للنجسين، لكم وليس للكلاب وضعت أعياد مقدسة» (صـ ٥٣). (قلت: اقرأ الفصل السابع فى هذا الجزء ففيه ترجمة بن نحمان).

٥٣) «لا يسمح باعطاء اللحم لغير اليهودى بل للكلب لأنه أفضل من غير اليهودى (صـ ٥٣).

٥٤) «إن بيوت غير اليهود زرائب للحيوانات» (صـ ٥٣).

٥٥) «رأى الربانى ايدل: أن غير اليهودى لا يختلف بشىء عن الخنزير البرى. فالمرأة اليهودية التى تخرج من الحمّام عليها أن تستحم ثانيةً إذا وقع نظرها لأول مرة على نجس كالكلب والحمار والمجنون وغير اليهودى والجمل والخنزير والحصان والابرص» (صـ ٥٤).

٥٦) «من الفطنة الانقطاع عن المراقص لأن فى ذلك خصلتين: اثواب الراقصات تثير كوامن الشهوات القبيحة، وجمالهن الذى يسترق منا عبارات الثناء، وهذان الأمران ممنوعان بتاتاً إذا كانت الراقصات غير يهوديات» (صـ ٥٥ و ٥٦).

٥٧) «إن عبدة الأوثان الذين لا يعتنقون الدين اليهودى، والمسيحيين المؤمنين بيسوع المسيح والمسلمين التابعين للنبى محمد، هم فى نظر اليهود اعداء الله وأعداء اليهود» (صـ ٥٦).

٥٨) «يسمح التلمود لاصدقاء الله وأقاربه فى أن يضلّوا الأشرار لأنه مكتوب: كن تقياً مع الأتقياء وشريراً مع الأشرار» (صـ ٥٧).

٥٩) «ممنوع السلام على الكفار. يجب على الإنسان أن يوارب أبداً فى خوف الله. إذا سلّم اليهودى على غير اليهودى فحباً للسلام والوئام ودفعاً للمشاحنات والمشاجرات» (صـ ٥٧).

٦٠) «يقول الربانى بيشاى: إن الرياء مسموح به» (صـ ٥٧).

٦١) «إن هؤلاء الأشرار هم شعوب الأرض قاطبةً وكل الذين ليسوا على شىء من اليهودية يقول التلمود: كل خير يصنعه إسرائيل، وجميع الاحسانات التى يوزعونها على الاغيار، والمحبة التى يستعملونها نحوهم، هذه كلها خطايا على اليهود لأنهم يعملونها تباهياً وتبجحاً،

فضلاً عن أهل الغرلة (الذين ليس عندهم ختان) وثنيون لا ذمة لهم ولا ذمام، وكذلك أهل الختان من المسلمين لا يشذون عن هذه القاعدة لأنهم ليسوا أخياراً» (صـ ٥٨).

٦٢) «يقول التلمود: «يمكنك أن تغش الغريب وتدينه بالربا الفاحش ولكن إذا بعت أو اشتريت لقريبك (اليهودى) فلا يجوز لك أن تراوغه وتساومه» (صـ ٦٧).

٦٣) يقول التلمود: «عندما يقيم يهودى قضية على غير يهودى، عليك أن تعضده وتقول للغريب: هذا ما تريده شريعتنا منا. وإذا كانت شريعة الغريب تشدّ أزر اليهودى، فيجب عليك أن تساعد أخاك ليكون له الحكم فى الدعوى، وتقول للغريب: هذا ما تريده شريعتك منك. .إذا لم يكن الأمر كذلك (أى إذا لم يكن لليهود قضاة فى البلاد ولم يكن لهم شرائع خاصة بهم) فعندئذ يتحتم عليك أن تحوك حول الغريب أحابيل الخداع وتوقعه بها حتى يظهر اليهودى عليه» (صـ ٦٧).

٦٤) «يقول التلمود أن الربانى إسماعيل كان يحلل سرقة غير اليهودى. وهو نفسه، الربانى إسماعيل، آخذ آنية ذهبية بسعر طفيف لأن صاحبها غير اليهودى كان يظنها نحاساً، ومع ذلك فإن الربانى إسماعيل لم يدفع له ثمنها البخس كاملاً» (صـ ٦٨).

٦٥) «اشترى الربانى كاهانا مئة وعشرين برميلاً نبيذاً من رجل غير يهودى. لكنه لم يدفع له من الثمن سوى ثمن مئة برميل.

٦٦) «ربانى آخر، بعد أن باع لرجل غريب جذوع شجرة، أمر خادمه قائلاً: «اذهب واحفظ شيئاً من كل جذع لأن سرقة غير اليهودى جائزة» (صـ ٦٨).

٦٧) «قال الربانى موسى: «إذا غلط غير اليهودى فى عملية حسابية وكان الغلط على الغريب، ولليهودى لا عليه، فعلى اليهودى أن يقول ولو اكتشف الغلط: أنا لا أعرف شيئاً لكن لا يليق أن يغلّط الغريب، إذا كان هذا يحاول تجربته اختياراً، وذلك لئلا يفتضح الأمر» (صـ ٦٩).

٦٨) «كتب الشيخ برناتز» فى مؤلف يقول: عندما يركض اليهودى، ويبحث فى كل مكان طول الأسبوع عن نصرانى ليغشه فإن عمله يماثل يوم السبت المقدس، ويحق له أن يفاخر بعمله ويقول: يجب انتزاع قلب النصرانى من جسده واهلاك عليّة القوم منهم» (صـ ٦٩).

٦٩) «جاء فى التلمود: إذا ردّ أحد إلى غريب ما اضاعه فالرب لا يغفر له أبداً. ممنوع عليك ردّ ما فقده الغريب ولو وجدته. الربانى موسى يعلم تلاميذه: لا يجوز رد الأشياء الضائعة إلى الهراطقة وعبدة الأصنام ومن يدنّس يوم السبت جهاراً» (صـ ٧٠).

٧٠) «إذا أعطى يهودى معلومات عن يهودى هارب من وجه غريب له عليه دين مستحق، فالهارب لا يستوجب الادانة أكثر من أخيه الذى سعى به، وعلى هذا الذى سبب الوشاية أن يعوض على أخيه ما خسره بسبب الوشاية» (صـ ٧٠).

٧١) «قد كتب على شعوب الأرض: لحومكم من لحوم الحمير، وزرعكم من زرع الحيوانات. ولهذا السبب فالمباركون أولاد الحق هم اليهود واورمتهم التى تضمخت على جبل سيناء تبعد عنهم كل قذارة» (صـ ٧٩).

٧٢) «يقول التلمود: اقتل عبدة الأوثان ولو كانوا من أكثر الناس كمالاً. من يرفع وثنياً من حفرة وقع فيها فإنه يبقى على رجل من عبّاد الأوثان» (صـ ٨٠).

٧٣) «إذا وقع وثنى فى حفرة فاسددها عليه بحجر كبير. قال النسر بن ميمون: محرّم عليك أن تأخذ الشفقة على وثنى بل عندما تراه قد تدهور فى نهر أو زلّت به قدمه فكاد يموت، أجهز عليه ولا تخلصه» (صـ ٨٠).

٧٤) «يقول التلمود: اقتل الجاحد بيدك إن استطعت. من يسفك دم الكفار بيده يقدم قرباناً مرضياً لله. قال الربانى عازرا: هذا يعنى يسوع وأتباعه. ويقول الربانى يوشافاط: هذا يعنى كل الأجانب أيضاً بغير استثناء، إن الوصية القائلة (لا تقتل) معناها: لا يجوز لك أن تقتل إسرائيلياً. وقال ابن ميمون: إن من ينكر التعليم اليهودى، وخصوصاً النصارى، تتحتم ابادتهم عن بكرة أبيهم واهراق دمهم يكون دائماً من الأعمال المحمودة. وإذا كان التنكيل بهم غير مستطاع فالوشاية بهم واجبة» (صـ ٨٢).

٧٥) «إذا ولدٌ اجنبىٌّ شتّام وعابد للأصنام، قتل أجنبياً آخر وضاجع امرأته، يتبرّر إذا اعتنق الدين اليهودى. لكن إذا قتل يهودياً واعتنق الدين اليهودى بعد ذلك فإنه يظل دائماً مجرماً يستحق القتل» (صـ ٨٣).

٧٦) «إذا أضلّ يهودىٌّ رجلاً اجنبياً غير يهودى وجعله يصدقه إنه غير يهودى، فهذا جائز. أما اليهودى الذى يقبل العمادة (التنصير) ولو رياء، ويتزوج مسيحية، ويمارس عبادة الأصنام مثل زوجته، فهذا يناله ما ينال النصارى من العذاب المخلد فى حفرة لا يصعد منها إلى الأبد» (صـ ٨٣).

٧٧) «قال موسى (لا تشته امرأة قريبك) ومن يرتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يستحق الموت. التلمود يعلم أن الله يحرم على اليهودى ارتكاب الفحشاء مع امرأة قريبه اليهودى فقط. أما نساء الأجانب فمباحة له». (صـ ٨٧).

إن للربانيين راشى ولاوى وجرسون وغيرهم، رأياً واحداً فى هذا: إن اليهودى لا يؤمن بأنه يرتكب الفحشاء عندما يفض بكارة فتاة مسيحية ويصرح ابن ميمون فى مؤلفاته ان لليهودى حقاً فى ان يتمتع بامرأة غير مؤمنة اى أجنبية» (ص ٨٧ و ٨٨).

٧٨) فى كتاب شرح لربانى عاش فى فرنسا فى القرن ١٢ هذا الكلام: «ان الربانى» «تام» يعلم بان تجارة البغاء بالاجنبى او الاجنبية ليست إثماً، لأن الشريعة هى براء منهما، كما قيل زرعهم من زرع البغال، ولهذا السبب يسمح فى بعض ظروف لليهودية ان تتزوج نصرانياً

حتى تسلبه دينه بمساكنتها له مساكنة غير شرعية ومع أن الشريعة تأمر أمراً محتماً بزواج المومسات، إلا أنها تسمح بهذا العار فى هذا الظرف لأن مساكنة المسيحى هى مساكنة حيوانية، وهكذا تعد علاقتها الزوجية به» (ص ٨٨)

٧٩) «يقول التلمود: من يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع أمه يمكنه ان يصير حكيماً لأنه جاء فى سفر الامثال «دعوت الحكمة امّا». ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع خطيبته، له أمل كبير فى الحصول على صداقة الشريعة. ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع شقيقته له أمل كبير بانارة نفسه. ومن يحلم أنه ارتكب الفحشاء مع امرأة قريبه يحصل على السعادة الخالدة، (ص٨٨).

٨٠) «يقول التلمود ان البنت التى لهاْ من العمر ٣ سنوات ويوم واحد تكون خطبتها بالمضاجعة، ولكن إذا كان عمرها اقل من ٣ سنوات يلتزم خطيبها بازالة بكارتها» (ص ٨٩) ويشرح التلمود فى محل آخر ان جمهوراً من الحكماء الاولين كالربانى راب ونشمال وغيرهما كانوا ينادون جهاراً فى كل مدينة ينزلون فيها ولا يجدون لهم امرأة: مَنْ من النساء تريد أن تكون امرأة لهم بضعة ايام (ص ٨٩).

***

قلنا ان النصوص الواردة فى التلمود، تتعلق بالفحشاء على هذه الوجوه ووجوه غيرها، وهى اكثر من أن تحصى، ونجعل القلم يتعفف عن ذكر مزيد اكثر من نماذج هذه الأخلاق، وإن كانت صفحات كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» قد أحسنت كثيراً باستيفاء ما استوفته من النصوص التلمودية، حتى يتأمل فى هذا كل قارىء يريد الوقوف على نماذج من محتويات التلمود بمثل هذه التعاليم التى لم يكشف عنها الغطاء للعالم العربى قبل عدة عقود. والنصوص التلمودية التى أثبتت فى كتاب «همجية التعاليم الصهيونية» شغلت منه ٩ صفحات، والكتاب كله مع المقدمة وفهارس المراجع الأجنبية باللغات الأجنبية (١١٦) صفحة، لا أكثر.

***

وهذا ما نضيف إلى ما تقدم من هذه النماذج:

وهذه واقعة نموذجية من الخلق اليهودى فى كل عصر ومصر، وشرق وغرب، وقديم وحديث، ذكرها أبو حيّان التوحيدى (من أعلام رجال الأدب والفقه والفلسفة فى القرن الرابع الهجرى ٩٢٢ ـ ١٠٢٣ ميلادى فى بغداد وكتبه اليوم نفائس، وهو طراز معلم فى أخبار الخلفاء والوزراء وأهل العلم وسائر الناس وله نظرات واعية فى مجتمع عصره) فى كتابه «الإمتاع والمؤانسة، ج ٢ ص ١٥٧ طبعة مصر ١٩٣٩، قال:

«حدثنى ابو الحسن على بن هارون الزنجانى القاضى صاحب المذهب قال: اصطحب رجلان فى بعض الطرق مسافرين: مجوسى من أهل الريّ، والآخر يهودى من ارض جيّ ـ

تسمى الآن شهرستان فى ناحية أصبهان ـ وكان المجوسى راكباً بغلة له عليها سفرة من الزاد والنفقة وغير ذلك، وهو يسير مرفَّها وادعاً، واليهودى يمشى بلا زاد ولا نفقة. فبينما هما يتحدثان، إذ قال المجوسى لليهودى: ما مذهبك وعقيدتك يا فلان؟ قال اليهودى:

«أعتقد ان فى هذه السماء إلهاً هو إله بنى اسرائيل. وانا أعبده واقدسه وأضرع إليه، وأطلب فضل ما عنده من الرزق الواسع، والعمر الطويل، مع صحة البدن والسلامة من كلّ آفة، والنصرة على عدوى، وأسأله الخير لنفسى ولمن يوافقنى فى دينى ومذهبى، فلا أعبأ بمن يخالفنى، بل أعتقد أن من يخالفنى دمه لى يحل، وحرام على نصرته ونصيحته، والرحمة به.

«ثم قال للمجوسى: قد اخبرتك بمذهبى وعقيدتى وما اشتمل عليه ضميرى، فخبرنى انت ايضاً عن شأنك وعقيدتك وماتدين به ربك؟ فقال المجوسى:

«أما عقيدتى ورايى، فهو أنى اريد الخير لنفسى وابناء جنسى، ولا أريد لأحد من عباد الله سوءاً، ولا أتمنى له ضرّاً. لا لموافقى ولا لمخالفى. فقال اليهودى: وان ظلمك وتعدى عليك؟ قال: نعم، لأنى أعلم أن فى هذه السماء إلهاً خبيراً عالماً حكيماً لا تخفى عليه خافية من شىء، وهو يجزى المحسن بإحسانه، والمسىء باساءته. فقال اليهودى: يا فلان، لست أراك تنصر مذهبك وتحقق رأيك. قال المجوسى: كيف ذاك؟ قال: لأنى من أبناء جنسك، وبشر مثلك، وترانى امشى جائعاً نصباً مجهوداً، وانت راكب وادع مرفه شبعان. فقال صدقت، وماذا تبغى؟ قال: أطعمنى من زادك، واحملنى ساعة، فقد كللت وضعفت. قال: نعم وكرامة. فنزل ومدّ من سفرته وأطعمه واشبعه، ثم أركبه، ومشى ساعة يحدثه. فلما ملك اليهودى البغلة وعلم أن المجوسى قد اعيا، حرّك البغلة وسبقه، وجعل المجوسى يمشى ولا يلحقه، فناداه: يا فلان، قف لى وانزل، فقد انحسرت وانبهرت. فقال اليهودى: ألم أخبرك عن مذهبى وخبرتنى عن مذهبك، ونصرته وحققته؟ فانا أريد ايضاً أن أحقق مذهبى وأنصر رأيى واعتقادى. وجعل يحرك البغلة، والمجوسى يقفوه على ظلع وينادى: قف يا هذا واحملنى، ولا تتركنى فى هذا الموضع فيأكلنى السبع وأموت ضياعاً، وارحمنى كما رحمتك. واليهودى لا يلوى على ندائه واستغاثته، حتى غاب عن بصره. فلما يئس المجوسى منه وأشفى على الهلكة، ذكر اعتقاده وما وصف به ربه، فرفع طرفه إلى السماء وقال: الهى قد علمتَ أنى اعتقدت مذهباً ونصرته، ووصفتك بما أنت أهله، وقد سمعت وعلمت فحقق عند هذا الباغى علىّ ما مجدتك به، ليعلم حقيقة ما قلت. فما مشى المجوسى إلا قليلاً حتى رأى اليهودى وقد رمت به البغلة، واندقت عنقه وهى واقفة ناحية منه تنتظر صاحبها. فلما أدرك المجوسى بغلته ركبها، ومضى لسبيله، وترك اليهودى معالجاً لكرب الموت. فناداه اليهودى: يافلان، ارحمنى احملنى ولا تتركنى فى هذه البرية أهلك جوعاً وعطشاً، وانصر مذهبك، وحقق اعتقادك.. قال المجوسى: قد فعلت

ذلك مرتين، ولكنك لم تفهم ماقلت لك، ولم تعقل ما وصفت. فقال اليهودى. وكيف ذلك؟ قال: لأنى وصفت لك مذهبى فلم تصدقنى فى قولى، حتى حققته بفعلى، وذاك أنى قلت: «ان فى هذا السماء إلهاً خبيراً عادلاً لا يخفى عليه شىء، وهو ولىّ جزاء المحسن بإحسانه، والمسىء بإساءته. قال اليهودى. قد فهمت ما قلت، وعلمتُ ما وصفت. قال المجوسى: فما الذى منعك من أن تتعظ بما سمعت؟ قال اليهودى: اعتقاد نشأت عليه، ومذهب تربيت به، وصار مألوفاً معتاداً كالجبلة بطول الدأب فيه، واستعمال أبنيته، اقتداء بالآباء والأجداد والمعلمين من أهل دينى ومن أهل مذهبى، وقد صار ذلك كالأس الثابت، والأصل النابت، ويصعب ما هذا وصفه أن يترك ويرفض ويزال.

«فرحمه المجوسى وحمله معه حتى وافى المدينة، وسلمه الى أوليائه محطماً موجعاً، وحدث الناس بحديثه وقصته، فكانوا يتعجبون من شأنهما زماناً طويلاً.

«وقال بعض الناس للمجوسى بعد: كيف رحمته بعد خيانته لك وبعد إحسانك إليه؟ قال المجوسى: اعتذر بحاله التى نشأ فيها، ودأب عمره فى اعتقاده، وسعى لها واعتادها، وعلمت أن هذا شديد الزوال عنه، وصدقته ورحمته، وهذا منى شكر على صنع الله بى حين دعوته عندما دهانى منه، وبالرحمة الأولى أعاننى ربى، وبالرحمة الثانية شكرته على ما صنع بى». انتهت الواقعة.

***

ونقول:

١ ـ إن أمثال هذه النماذج لما يملأ مجلدات، حقاً.

٢ ـ غير أننا نرى اليهودى لما تركه المجوسى بعد الخيانة، وصف للمجوسى السبب الذى لا يساعده على أن يكون انساناً، وذلك ما نشأ عليه نشأة خالطت دمه اباً عن جد، جيلاً بعد جيل، وكان اليهودى بهذا الكشف عن حقيقة نفسه فى المأزق الحرج، إنما يكشف عن شىء وإن كان عاراً بنفسه، غير أنه هو الحقيقة التى لاريب فيها، واعتقد اليهودى أن الكشف عن هذه الحقيقة لا بد أن تقنع المجوسى وقد كان ذلك.

٣ ـ أما المهم فى وجهة نظرنا اليوم فهو هذا: إن ما وصف به اليهودى نفسه، هذا الوصف المعرّى للإنسان من إنسانيته، هو من روح التلمود، والقبالا، وهذا ما يدأب الحاخامون يلقنونه فى المدارس اليهودية، والكنيس، ويحاذرون أن يكشفوه لغير اليهود.

٤ ـ وهذا قبل اليوم بألف سنة! وهذا الخلق لا يفنى بالموت، بل ينتقل بالوراثة كما قال مؤرخهم المشهور يوسيفوس قبل ألفى سنة. كل هذا تجلت روحه فى البروتوكولات.

(٦) القبَالا أو القبَّالة
روح التلمود أو عصيره

هذا بحث غريب فى جدته العربية، وعويص فى استلال خيوطه من العنكبوتيات التلمودية، ظاهره انه يروح ويجيء فى نطاق الخرافات ويغرّب ويشرّق فى أفق الأوهام، واليهود حتى يفرغوا عليه مسحة من التغطية والتضليل قالوا إنه «التصوف اليهودى» المغرق فى الروحانيات، وجاراهم فى هذا كثير من كتبة الفرنج، والعرب عن هذا غافلون؛ وباطنه الذى لا ريب فيه أنه هو جسّد روح التلمود وعصيره، وسترى الآن مصداق هذا وتحليله وتعليله. والعرب قد خلت كتبهم وتواريخهم، وصحفهم ومجلاتهم، ومجالات أبحاثهم، فى القديم والحديث من الزمن، من ذكر القبالا التى هى هذا التجسيد لغايات التلمود فى «بروتوكولات حكماء صهيون» وقد ذكرتها البروتوكولات صريحاً وأشارت اليها فى آخر البروتوكول السابع عشر [١].

ففى هذا البروتوكول «السابع عشر» تناول الحكماء مسألة التجسس ونظامه فى الدولة الداودية (الموهومة) المقبلة، بعد استئصال المسيحية والإسلام، وتعقيم العقول الكثيرة عند الأمم والشعوب غير اليهودية، وقد زالت دولها وحكوماتها ومختلف منظماتها فى المجتمع. ومما قرره الحكماء فى تعيين العقاب والجزاء لمن لا يبلغ الحكومة ما يطلع عليه من أمور ضارة بالدولة اليهودية، أن يكون ذلك الجزاء على غرار ما هو جار اليوم عند «القبالا» [٢]. ومن المفيد ان ننقل الفقرة المعنية فى البروتوكول ١٧ وهى: ـ

«وكما تجرى الأمور من هذه الناحية الإخبارية فى بيئتنا اليوم (أى بيئة القبالا) كذلك تجرى فى المستقبل وتبقى على صفتها هذه. فإخواننا اليوم (أى اليهود) مكلفون، تحت طائلة أخذهم بالمسؤولية والحساب العسير فى حالة الإهمال والتقصير، بأن يبلغوا هيئة «القبالا» عما يقع لهم أن يطلعوا عليه من حوادث الارتداد عن الدين اليهودى من أقربائهم، أو ما يرونه من شغب على هيئة القبالا أو قذفها بتهمة، كذلك سيكون الأمر فى مملكتنا علناً فى أرجاء العالم كله، ويمسى من الواجب على رعايانا، بلا استثناء، ملاحظة هذه الخدمة للدولة، انتهى. أى أن ما يجب على اليهودى فى هذا الأمر من التطوع بالتجسس، يجب أيضاً على كل مسيحى ومسلم عندما تقوم الدولة الداودية (الموهومة).

(١) نقاط هذا البروتوكول تشمل: المحاماة ونظامها فى الدولة الداودية ـ القضاء على نفوذ رجال الدين عند الغوييم (غير اليهود) ـ البلاط البابوى ـ ملك اليهود محل الأب البابوى ـ كيف تكافح الكنسية ـ واجبات الصحف فى الدولة الداودية ـ منظمة البوليس ـ التجسس على منوال التجسس المعمول به فى منظمات القبالا.

(٢) هو القتل «الإعدام» وهذا مصرح به في مواطن عديدة في البروتوكولات.

القبالا نابعة من التلمود، ولذلك جاء دورها الفعال فى العصور التالية لعصر ظهور التلمود، لا فى عصر ظهور التلمود، وكل هذا تعود بذوره الأولى إلى عزرا وحزقيال ونحميا ودانيال واستير ومردخاى، فى القرن الخامس قبل المسيح، أيام السبى الثانى النبوخذناصرى، يوم خشى اليهود المسبيون من أورشليم، وقد خربت أورشليم، وخرب الهيكل، ونقلت كنوزه إلى بابل، أن يحلّ بهم فى هذا السبى الجارف وهم سبطان ونصف السبط، ما قد حلّ قبل قرن، وبعض القرن، بإخوانهم يهود السامرة الذين سباهم سرجون الثانى الأشورى إلى العراق، وهم تسعة أسباط ونصف السبط، فاضمحلوا وبادوا، وخفيت حتى عن بقية اليهود فى فلسطين أخبارهم، وانقلبت قصتهم فى النهاية إلى أسطورة، تتعلق بكيفية اضمحلال أهل السبى الأول. هذا ما أقام أهل السبى الثانى وأقعدهم، فراحوا بمختلف قواهم الشريرة يختلقون أسباب البقاء، مما أوجزنا أخباره فى تراجم أولئك الزعماء اليهود الكبار المسمين بالأنبياء [١]. فصنع عزرا ونحميا فى بيت المقدس ما صنعا، وقد سبق إيجازه فى فصول تراجم الأنبياء، وكان بعد ذلك نشوء الفرق اليهودية بعد فتح الإسكندر، وظهور فرقة الفريسيين التى منها ومن غيرها كان يؤلف المجمع الاكبر المسمى «بالسنهدرين»، والسنهدرين ظل ينتقل من مكان إلى مكان، فبعد خراب القدس سنة ٧٠ ب.م. انتقل إلى بلدة يبنا «قرب يافا» ومن يبنا إلى طبرية، وفى طبرية بدأ الحكماء يضعون أساس التلمود، زاعمين أنه هو شريعة موسى الشفوية، والشريعة الشفوية هى فى القوة كالشريعة المكتوبة، وذكرنا قصة نشوء التلمود، فلما ظهرت القبالا، أعطتنا موجة جديدة رهيبة من موجات الروح اليهودية الخفية، وبقيت القبالا إلى اليوم، قائمة، مستترة، محجوبة، هى المنظمات التى يعيش فى بيئتها حكماء صهيون فلما بحثنا قصة التلمود وما إليه، فقد جئنا الآن نبحث قدر ما نستطيع قصة القبالا.

ومن دهاليز القبالا خرجت الأفاعى الجديدة فى الثورة الفرنسية، ومنذ الثورة الفرنسية، وفى أواخر القرن التاسع عشر، انتظم القباليون التلموديون فى مؤتمر ١٨٩٧ تحت رياسة هرتزل، وفى هذا المؤتمر اتخذت المقررات المسماة «بالبروتوكولات».

***

ونرى أنه من التيسير على القارىء العربى، أن نفرغ الكلام فى فقرات، كل فقرة تشتمل على معنى مفرد، أو ناحية، ليسهل تحصيل الصورة العامة فى الذهن، ثم لا يكون من الصعب بعد ذلك أن يعلم القارىء من مجموع ما يطلع عليه فى هذه الكتب، ما هى اليهودية العالمية اليوم وراء المظاهر المضللة.

***

(١) يلاحظ القارىء العربى أننا كثيراً ما كررنا الإشارة إلى هذه الناحية فى هذه الأجزاء، لأنها فى نظرنا نقطة اعتبار خطيرة فى متابعة هذه الروح اليهودية إلى ينابيعها ومصادرها الأولى.

١) منشئو القبالا يردون اصلهم «المعنوى» الروحى، إلى كلمات فى سفر دانيال، ودانيال كما نعلم، كان من رجال السبى (القرن ٥ و ٤ ق. م.) اشتهر بتفسير الهواجس النفسية، والأحلام والرؤى وقراءة المستقبل السياسى، مطلاً من وراء كبريات الحوادث الواقعة فى دول الشرق الأوسط وقتئذ، من الفرس أو دولة مادى وفارس، والكلدان، أو الدولة البابلية الثانية، والأغريق، والفراعنة.

وسفر دانيال لذيذة مطالعته لما فيه من ذكر التنبوءات الفلكية، والكلدان زها عندهم علم التجيم ومراقبة الحركات الفلكية زهواً رفيعاً، واشتقوا من هذا علوماً؛ فالسحر كله أو معظمه من هنا، وعمّ السحر العالم القديم، حتى استقر فى الأذهان كأنه قوة ضرورية فى الأرض. ولم يكن دانيال بعد أن أخذ فى السبى، إلا بارعاً فى هذه العلوم كلها. وما جرى عليه اليهود من أمر العمل لحفظ كيانهم بالتوراتين: المكتوبة والشفوية، وكلتاهما من موسى كما يقولون.

٢) دانيال كان فى مسوح عالم، منجم فلكى، سياسى، طموح، يعمل فى سبيل العودة الى ارشليم هو وقومه. سفره مؤلف من ١٢ فصلاً فى نحو من ٣٥ صفحة لا أكثر. وفى الفصلين الأخيرين تكلم عن ملك الشمال وملك الجنوب، وعن المركبات والسفن والفرسان، والحرب وذهاب دولة، وقيام أخرى، وهو يريد من خلال هذا كله أن يرمز إلى عودة اليهود، لكن من خلال ماذا؟ من خلال الحروب الكبرى بين تلك الدول. وهذا ما رآه العالم المعاصر من امر اليهود فى الحربين العالميتين فى خلال الثلثين الأولين من القرن العشرين، بعد دانيال بخمسة وعشرين قرناً، فتأمل.

دانيال يرمز أيضاً الى نوع من الرجال اليهود، هم الذين سيقومون بالعبء، ووصف هؤلاء وصفاً مبهجاً. وبعد أن قال دانيال عبارته التى حشاها ما شاء من رموز، نطق مباشرة: «أما أنت يا دانيال فاخف الكلام واختم السفر إلى وقت النهاية، كثيرون يتصفحون والمعرفة تزداد». ولما ودّع دانيال «الرجل اللابس الكتان» كانت آخر كلماته: «اذهب يا دانيال لأن الكلمات مخيفة ومختومة إلى وقت النهاية». (راجع الفصلين الأخيرين من سفر دانيال).

٣) أما كلمات دانيال التى اتخذها القباليون دستورهم وقالوا: إنما نحن المعنيون بهذا، لا غيرنا، فهى هذه: «والفاهمون يضيئون كضياء الجَلَد، والذين ردوا كثيرين إلى البر كالكواكب إلى أبد الدهور» (فصل ١٢: ٣ الترجمة الأميركية) أما فى الترجمة اليسوعية فالكلام هو هذا: «ويضىء العقلاء كضياء الجلد والذين جعلوا أبراراً كالكواكب إلى الدهر والأبد».

عندنا الآن لفظتا «الفاهمون» فى الترجمة البروتستنتية، و «العقلاء» فى الترجمة اليسوعية. وليست لدينا نسخة من ترجمة احمد فارس الشدياق لنعلم بماذا كانت ترجمته هو. أما هذه الكلمة «بالانكليزية فهى Wise وبالعبرية «مسكليم». ونعتقد انه كان أصح لو ترجمت

هذه اللفظة «بحكماء». فإذا كانت ملاحظتنا هذه فى محلها، فتصبح عبارة الترجمة هكذا: «والحكماء يضيئون»، او «ويضيء الحكماء».

***

٤) وقال القباليون إنما نحن «الحكماء» الذين أشار إليهم دانيال. وتطّرد قافلة «الحكماء» بعد ذلك، تلموديين وقباليين، حتى نصل إلى 'لحكماء المحدثين، آخر حلقة: «حكماء صهيون» فى هذا العصر.

٥) معنى «القبالة» فى العربية، نقلاً لمعناها عند اليهود، القبول أو التلقى للرواية الشفوية. قال لويس غنزبرغ L. Ginsberg أستاذ التلمود فى المدرسة اللاهوتية فى نيويورك (سنة ١٩٠٢): القبالة مصطلح يراد به التعليم الباطنى المتعلق بالله والكائنات، ونزل هذا وحياً على أكرم القديسين فى الزمن القديم الأقدم، واحتفظ به عدد قليل من الأخيار». وقال غنزبرغ أيضاً: «كانت القبالة فى مراحلها الأولى تدعى «الحكمة المستورة» The Hidden Wisdom .

وأطلق على دارسيها «طلاب النعمة». وقال صاحب كتاب «تاريخ اليهود من أقدم الأزمنة إلى العصر الحديث»، هـ. هـ. فلمان: «القبالة سر فوق الأسرار. ادعت القدم، والوحى والرواية عن الأوائل. والقبالة كانت قائمة على علم التنجيم السحرى، تعاطاه كثيرون فسمّوا «الحكماء»، وجعلوا هذا الاسم يتضمن المعنى الباطنى لتفسير «الناموس والأنبياء». درسوا التلمود ثم اجتازوه إلى تعاليم هى أعلى وأبعد. كان كتابهم «الإشراق» [١] (الزوهر) دستورهم المقدس. والقبالة السرية تبدو على طول المدى أنها كشفت عن أسرارها للعالم الخارجى [٢]. وقال فلمان فى موضع آخر وهو يشرح معنى القبالة: «يعنى بكلمة قبالة عادة تلك الطريقة الفلسفية الشرقية وبعبارة أوضح، تحتوى القبالة على جميع آراء الربانيين فى الشؤون الدينية والمدنية. وأما معناها الخاص بوجه الحصر فهى تعنى تلك المعرفة التى رشحت تقاليدها من الأسرار الخفية الموجودة فى حروف الشريعة وكلماتها، وعدد المرات التى وردت فيها، ومواضع ذلك. وحتى موسى بن ميمون كان يستعمل كلمة القبالا كمترادف للتفسير الشفوى (المنقول بالرواية عن موسى). والقبالة تعلّم جميع المعانى الرمزية «لتجسيم الله» تعليماً مفصلاً (ص ٤٢٤).

٦) وقال البروفسور فرانك صاحب كتاب «القبالة والفلسفة الدينية عند العبرانيين [٣]» مانورده بايجاز:

* ربما عادت القبالة بأوليتها إلى أيام السبى، وإذا لم ينطبق هذا على كلها فإنه ينطبق على بعضها.

---

(١) سيأتى بعد قليل الكلام على هذا الكتاب الذى هو مستودع أسرار القبالا.

(٢) ص (٤٣٧) من كتاب تاريخ اليهود ـ المصدر السابق.

(٣) طبع فى باريز سنة ١٨٤٣.

* أما القبالة فى شكلها الذى انتهى إلينا، وبمعناها الحاصل اليوم، فهى تعود الى القرن الاول (الميلادى).
* القباليون يدعون أن كتاب «التكوين» عندهم مستمد من موسى وموسى استمده من إبراهيم، إذا لم يكن من آدم، أو ممن هو أعلى من آدم وأقدم. وأما كتاب «الإشراق» - «الزوهر» - عندهم ومعناه الضياء أو النور فيرجع إلى عصر احدث.
* اصل منشأ القبالة يعود إلى ذلك الزمن الذى كان فيه العقل اليهودى فى خلال السبى، منغمساً فى الآراء الشرقية ودين الفرس وزردشت.
* من أوليات مبادىء القبالة وتعاليمها وعقائدها، ولا سيما ما أخذوه من أساطير التلمود، ما يتفق تماماً مع «زاندافستا» (١) اتفاقاً مقنعاً.
* اسست القبالا أول موطن لها فى فلسطين بعد العودة من السبى. ومن فلسطين انتقلت إلى الإسكندرية حيث ترى آثار هذا فى الترجمة السبعينية للتوراة، وفى كتب فيلو (٢).
* تعاليم القبالة لمّا مر بها فيلو عجنها ومزج بعضها ببعض، مستعيناً بالفلسفة اليونانية، مما تحوّل بالتالى وتطور إلى مذهب صوفى باطنى. ومع هذا فلا يصح أن يقال إن الإسكندرية هى مصدر القبالة.

---

(١) زند (Zend) أصل معناها التفسير أو الشرح، وهى لغة الفرس القديمة، وينابيعها الجذرية تلتقى كثيراً واللغة السنكريتية، وفى لغة الزند كتبت تعاليم زردشت الذى صار يعرف أتباعه «بعبدة النار» وبقاياهم إلى اليوم طائفة فى الهند ولا سيما بومبى. وفى العربية فارس مقابل Parsi او Parsees .

اما زردشت فكان فى زمن (٦٠٠ ق.م - ٥٣٨ ق.م) وعلى قول علماء آخرين (٧٥٠ ق.م - ٥٠٠ ق.م، تقريباً) وهو بأول أمره مصلح دينى لما كان عليه الفرس من عبادة الطبيعة. وعنده أن «اهورا مزدا» Ahura Mazda أو هرمز، هو رئيس آلهة الخير، كما أن اهريمان Ahrima هو رئيس آلهة الشر، أو هو الشيطان. والتنازع المستمر بين هذين الاثنين هو مصدر قوى الكائنات، وفى النهاية ينتصر هرمز. وازدهر هذا الدين فى عهد الدولة الأخمينية الدولة الساسانية (٢٢٦ - ٦٥١ ب. م. التى ذهبت بالفتح الإسلامى) وتقول بقية الفرس من عبدة النار الذين فى الهند إنهم هم لا يعبدون النار، وإنما يقدسونها تقديساً. والغموض يكتنف عقائد عبدة النار حتى اليوم.

(٢) Philo او Philcn فيلو على الغالب وفيلون على الأقل، فيلسوف يهودى عاش فى الإسكندرية، تقريباً من سنة ٢٠ ق. م - ٥٠ ب. م. ولعله أول يهودى قيل له فيلسوف. اتخذ الشريعة الموسوية أساساً لآرائه مستعيناً بمصطلحات الفلسفة اليونانية للتعبير عن أفكاره وللتوفيق بين الفلسفة والتوراة، وكان عنده للرموز شأن كبير، وربما كان من هذه الناحية متأثراً بدانيال، وعنه تأثرت الكنيسة الأولى، وبعض فلاسفة العرب بعد قرون لما درسوا الفلسفة اليونانية. وكان فيلو يرى أن اليهود فى زمنه يصعب عليهم بسبب ضخامة عددهم أن يجتمعوا ويعيشوا معاً فى بلد واحد. فمواطنهم المختلفة التى كانوا وقتئذ يقيمون فيها ينبغى أن تكون مواطنهم الماشية، وأما القدس حيث الهيكل المقدس فهى عاصمتهم الروحية، ولا ينبغى أن تكون العاصمة الزمنية المادية. وفى ذلك الوقت كانت المطامع اليهودية ترمى إلى ترسيخ أقدامهم فى شمال افريقيا وقبرص وشرقى البحر المتوسط، لكى يحلوا محل قرطاجنة ويخلفوا الرومان فى الشرق. ونسترعى انتباه القارىء العربى إلى هذا. أما هرتزل فكان مخططه على النقيض من رأى فيلو، ومثل هرتزل حميع حكماء صهيون واضعى البروتوكولات.

* القبالة نتاج يهودى من حيث العنصر الأساسى فيها، وما عدا فيلو فالقباليون يجهلون اليونانية وفلسفتها.
* رغم ما أخذت القبالة من الزردشتية من جموح وخيال وتطوح، مما أعطاها صفة ميثولوجية، فقد بقيت فى جوهرها موسوية يهودية.
* القبالة ترفض المثنوية أو الشرك، مما وصلت إليه عقائد فارس.
* من غرائب القبالة:

اللانهاية تمثلها الكثرة فى الزمان والمكان. كان الواحد من القدماء الأولين طول وجهه أكبر من عشرة آلاف عالم بثلاث مئة وسبعين مرة، ولون وجهة يضىء أربع مئة ألف عالم. وكل يوم ينبثق من عقله أربع مئة ألف عالم، وهذا هو ميراث الفائزين فى الآخرة (ص ٢٧١ المصدر السابق).

* للإنسان عند القبالة منزلة عالية، فهو صورة الله وهو أدنى من الملائكة. والشياطين والعفاريت ما هى إلا أسماء أخرى لشهواته واستكباره وقسوته، وهنا تختلف القبالة عن الزردشتية.
* الزردشتية هى ميثولوجيا، والقبالة فلسفة.
* فى القبالة شرر من علم الطبيعة، وفيها كما فى التلمود، أن الأرض كروية، وتدور على محور، ولها قطب.
* ثم انحطت القبالة كما انحطت الأفلاطونية الجديدة، حتى امست أخيراً، سحراً وشعوذة، وطلاسم وتدجيلاً من كل ضرب. فأوّلوا التوراة، ووضعوا للأعداد ٧ ـ ١٠ ـ ١٢ ـ ٣٢ ـ معانى رمزية خاصة.
* تعزى القبالة فى كثير من أوضاعها الى الربى عقيبة وسمعان بن يوشاى، وهما قد صنعا الأعاجيب من كلمات التوراة واستخراج الرموز منها.
* لكن حملة التلمود، لما رأوا القباليين، يصولون ويجولون، حتى فاقوهم فى التطوح، أخذوا ينظرون إليهم بعين الحسد، وقالوا إن القباليين يتلاعبون بالأشياء المنهى عنها، ويودون معرفة المغلقات والمغيبات، ويمارسون فنوناً محرمة (قلنا: التلمود، على نحو ما رأينا، يعرف المحرمات!!) واستغرقت القبالة فى السحر والشعوذة والتنجيم. راجع ماقلنا فى دانيال.
* تأثرت أوربا بالقبالة فى القرون الوسطى، فإلى جانب القبالة اليهودية صار هناك قبالة مختلطة بظواهر العلوم.
* وفى الأندلس اختلطت بالفلسفة العربية. (ص ٤٤٣ و ٤٤٤ المصدر السابق).

***

قلنا، ومعنى «القبالا» فى المعاجم الأوروبية. لا شىء من المعانى الصوفية. الا كأحد المعانى الجمة الأخرى. أما البارز من معانيها المعجمية فهو الطغمة التى تتشح بالظلام وتعمل بالمؤامرات الخفية، وحبك الدسائس، حتى إذا قلت: هذا «قبالى» فكأنك قلت هو ذا الرجل الغامض لا يؤمن له ويجب أن يتقى شره. وكيف لا يكون هذا والقباليون جعلوا لكل حرف وكلمة من التوراة معنى باطنياً رمزياً. فانظر وتأمل. وظلوا فى سيرهم حتى انتظموا فى الزمن الحديث وهم ورفقتهم فى الحظيرة الكبرى للقباليين: «حكماء صهيون» وهذه البروتوكولات من ثمارهم.

(٧) النحمانية والميمونية فى القبالا
(موسى بن نحمان وموسى بن ميمون)

جاء فى كتاب «دراسات فى اليهودية» (١).

«وهذه سجايا المعلمين الكبيرين فى اليهودية: ابن ميمون ونحمان. فان كليهما انبثقا من جبين آدم، واخذ القباليون ينسجون حول هذه الفكرة الهالات المتلألئة: ابن ميمون كان جوهرة فى خصلة الشعر للجهة اليسرى من آدم، وهذه يوم القيامة الحساب والعذاب، ونحمان كان جوهرة فى خصلة الشعر للجهة اليمنى، وهذه تمثل اللطف والرحمة (ص ٩٩).

وقال المؤلف: «وقد اخترت هذه الفاتحة، ومن هنا ابتدىء، حتى لا اخطىء الهدف: نحمان كان تلمودياً عظيماً، وعالماً محيطاً بالتوراة، وفيلسوفاً مجادلاً، وربما كان أيضاً طبيباً، وبكلمة موجزة: انه كان رأساً فى كل شىء.

«ولد فى جيرونة (اسبانيا) حوالى ١١٩٥ ميلادية. وجيرونة بليدة فى اقليم قشتالة، ومع انها فى اسبانيا، فانها لم تشتهر بفلاسفتها وشعرائها كما اشتهرت غرناطة وبرشلونة وطليطلة. ولوقوعها فى الشمال من اسبانيا، فقد كانت تتأثر بميول وعواطف من النفوذ الفرنسى اليهودى. اما افتخارها فهو بما انجبته من علماء التلمود مثل زراحيا اللاّوى، وعزرا ابن بكّار. واطلع نحمان على كتاب «حكمة سليمان» وهذا الكتاب موضوع منتحل (ابوكريفا) وقد جاء فيه:

«فصلّيت واعطيتُ الحكمة. وسالت الله فنزّل على روح الحكمة، اذ اعطانى معرفة لا تخطىء أخذتُ منها كيف خلق الله العالم، ووقفت على حركة الأفلاك، وسير الزمن فى أزليته وأبديته وما بينهما، ودوران الشمس وانتقالها فى أبراجها، واختلاف الفصول، وطبائع المخلوقات الحية من إنسان وحيوان، وقوة الأرواح والقوة العقلية فى الإنسان، واختلاف أنواع النبات، وفضائل الجذور فى التربة، وكل ماهو ظاهر وباطن من العلوم قد أصبته» (ص ١٢٦).

«والملك الحكيم الذى يستمد منه كل هذا، هو برأى نحمان «التوراة» والتوراة هى هذه الحكمة بعينها، والحكمة هذه كائنة قبل الخليقة، وبها خطّط الله العالم والكائنات، ولذلك تحوى التوراة علوم الدنيا بأسرها. واذا قال: «اطلعنى الملك على المكنون عنده» فهو يعنى بالملك

(١) Studies in Jadaism لمؤلفه س. شختر «جمعية النشر اليهودية» فى بنسلفانيا. الطبعة الأولى سنة ١٨٩٦ والثانية ١٩١٥ وقال المؤلف ان هذه الابحاث سبق نشرها فى مجلتى «جويش كرونكل» (التاريخ اليهودى) «وجويش كوارتلى» المجلة الدورية الربع سنوية.

التوراة والأسرار العظيمة» (١٢٧).

ثم قال المؤلف شختر: «وعلينا ان نكتفى بهذه القبسات القليلة او الشرارات الضئيلة من النار المتقدة من هذه الاسرار، لكى ندل بهذا على شخصية نحمان. ولا اود مرافقة هذا الصوفى الى المخادع العظيمة، «مخادع الملك»، حتى لا نصل بالتالى الى دياميس كلها مصطلحات غامضة ومستعصية على الافهام، فنرى امامنا «الابواب الخمسين» للمعرفة، «والمائتين والواحد والثلاثين لرموز الحروف الهجائية»، وهذا كله له مفاتيح لا افقه منها شيئاً. وهذه امور اشك فى انها تستحق بذل العناء فى سبيلها، ولا سيما عندما يرى الواحد منا عند القبالا مثل هذه الاسماء المتراكمة المقفلة الغامضة.

«الأرض؟ الحياة؟ ارض الموعد؟ رب العالم؟ حجر الاساس؟ صهيون؟ الأم؟ - البنت؟ - الاخت؟ جماعة اسرائيل؟ الوردتان التوأمان؟ العروس؟ الازرق؟ النهاية؟ الشريعة الشفوية؟ البحر؟ الحكمة؟ وهذا كله يدل على موصوف واحد، شىء واحد بعينه، فلا بد للباحث ان يشك ويرتاب، وهو امام جرف من الكلمات المعمّاة، ويعترف بانه عاجز عن فهمها».

***

«عند الربيين ان من لاعقب له فهو فى حكم الميت. وعند القبالا ان من يموت بلا عقب فيعد محروم الرزق فى الدنيا، وسيولد ثانية على الارض حتى يولد له ولده، وهذه غاية الانسان» (ص ٢٨٣).

و «يقول الربيون انه لما جعل الرجال يعطون الذهب والحلى ليصنع منه العجل الذهبى، امتنعت النساء عن العطاء، فكوفئن على عملهن هذا بأن أعطين يوم راحة. ويقول بعض القباليين، زيادة على ما تقدم، أن الذين عبدوا العجل الذهبى لم يزالوا على الأرض، وأرواحهم تنتقل من جسد إلى جسد، ومع هذا الجزاء فقد جعلت النساء مسيطرات عليهم» (ص ٣١٥).

انتهى ما نقلناه من «شختر».

موسى بن ميمون

موسى بن ميمون كما ذكرته مصادر يهودية جمة، فيلسوف تلمودى فلكى طبيب. ولد فى قرطبة ١١٣٥ ميلادية ومات فى القاهرة ١٢٠٤ وهو فى الكتب العربية للتراجم: ابو عمران موسى بن ميمون بن عبدالله «وأما كتاب «تاريخ موسى الثانى» الموضوع فى وصفه فأكثره أساطير. كان عمر موسى بن ميمون ١٣ سنة لما استولى «الموحِّدون» على قرطبة، والموحدون مفرطون فى عصبيتهم الإسلامية، فتعين على موسى وقومه إما الإسلام وإما الجلاء، فاختاروا

الجلاء، وبقى ١٣ سنة يعيش فى حلّ وترحال فى أسبانيا هائماً لا يسقر له قرار.

وفى سنة ١١٦٠ جاء فاس والقى عصاه فيها، وفى وهمه أنه يستطيع الاجتياز والمرور اذا تظاهر بالاسلام تظاهراً، فعرّضه هذا الى مزيد من ملاقاة الاخطار، لكن لما صار اسم الميمونية يشيع، انتبهت له السلطات الرسمية وما عسى ان تكون حقيقته، وما شأنه وشأن طريقته، لكان مصير موسى الهلكة، وكذلك مصير يهوذا بن شاشان، بضرب عنقيهما. وهذا ما دعاه للهجرة من فاس سنة ١١٦٥ بعد ان اقام فيها حوالى خمس سنين. فجاء عكاء وبيت المقدس، ثم استقر فى الفسطاط (القاهرة).

هذا ما ورد فى مجمل ترجمته فى دائرة المعارف اليهودية. وبعد هذا الكلام وصف مطول لفلسفته مع نماذج من خطه باللفظ العربى والحرف العبرى فى كتابه «دلالة الحائرين». وأما صاحب كتاب «دراسات يهودية» فقد ذكر أن أهم اعتراضات المعترضين على موسى بن ميمون غلوه فى التفسيرات العقلية عما يتعلق بالوحى، وتأويلاته للتوراة، حتى كاد يبلغ به الأمر أن ينكر الوحى. واتهم بإنكار البعث بالأجساد.

لكن واضع الترجمة لموسى بن ميمون فى دائرة المعارف اليهودية، تجاهل ناحية مهمة فى حياة بن ميمون فى مصر، كما هو شأن كتّاب اليهود أن يفعلوا مثله، وهو ان يتجاهلوا نعمة العرب عليهم، فقد عطف السلطان صلاح الدين على بن ميمون وقرّبه واتخذه طبيبه الخاص، وأما عمل موسى بن ميمون فى العقائد القبالية فقد كان قباليا فحلاً كبيراً، وامتد بقباليته الى حدود جعلته يؤلف كتابه «دلالة الحائرين» فأما اللفظ فعربى وأما الكتابة فبحروف عبرية، لكى يخفى عن المسلمين المقيم فى كنفهم وحمى سلطانهم ما يريد أن يبثه فى كتابه من عقائد قبالية لو كشف عنها الغطاء، لطاحت بعنقه.

هذا قبالى ينبغى أن يعد قبل اليوم بأكثر من ٨٠٠ سنة أحد «الحكماء» الذين نتكلم عنهم فى هذا الكتاب. وقد ورد ذكر موسى بن ميمون فى مواضع أخرى من هذا الكتاب.

***

(٨) كتاب «الإشراق» هو دستور «القبالا» اسمه فى العبرية «الزوهر»

وشبتاى لاوى المسيح الكذاب فى القرن السابع عشر

فى القرن الثالث عشر للميلاد، ظهر فى اسبانيا كتاب «الإشراق» وهو كتاب غريب النوع، والمحتويات غرابة القبالا نفسها وما لها من مذاهب. رأينا ان نورد صفوتها فى هذا الكتاب:

«الإشراق» متخم بأخبار خلق العالم، وطبيعة الله، والمعانى الباطنية فى التوراة، والرموز الخفية فى كل حرف وكلمة، مما يظهر أسرار الوجود وعلل الكون. يعتقد ان واضعه الربى سمعان بن يوشاى فى القرن الثانى للميلاد. وأما أعداء سمعان والمخالفون له فيقولون إن هذا الكتاب موضوع ومزوّر، وكان تزويره فى القرن ١٣».

ومضت عدة قرون بعد ظهوره فلم يكن له عند اليهود شأن يذكر، لكن بعد طردهم من اسبانيا أواخر القرن الخامس عشر، بدت أمور جديدة، فقيل ان هذه النكبة تشير لليهود بقرب مجىء المسيح، «مسيا»، المخلص المنقذ، وما بعد الظلام الدامس إلا الفجر. وقام واحد بعد آخر من الأدعياء الكذبة المدجلين ادعى كل منهم انه المسيح، واستثاروا الشعور اليهودى نحو فلسطين ثم كانت حركاتهم تنتهى بالشعوذة والفشل. فى هذه الأوقات علا كتاب «الاشراق»، وأقبل عليه اليهود لغرائبه واستبداده بالشعور «الصوفى»، فوجدوا فيه متنفساً لآمالهم، وتعزية لهم عما كانوا فيه من ويل وانحلال ونكبة. وغبّر «الاشراق» فى وجه التلمود، كما ان التلمود غبّر فى وجه التوراة. ويقول بعض كتاب اليهود ان حركته الروحية كانت اقوى حركة ظهرت بعد خراب الهيكل. ونسترعى انتباه القارىء ان كلمة «صوفى» و «تصوف» ما يراد بهما إلا التستر والتضليل، ابتغاء التدجيل.

شبتاى بن لاوى

والحركة وقتئذ سارت مسيراً واسعاً فى اوروبا ودهش لها العالم، وهبّ إعصارها على يهودى اسمه شبتاى لاوى من ازمير، وبعد ذكر هذا الرجل تصبح القصة قصته، لا قصة كتاب «الاشراق». او كأن كتاب «الاشراق» ظل يهيج من شعور اليهود حتى ظهر مسيح كذاب بشخص شبتاى لاوى، وهذا الحادث يظهر لنا أشياء حَرية بالنظر الدقيق فى امر اليهود الذين فى

تركيا اليوم، وهم فيها منذ خرجوا من اسبانيا مطرودين فى آخر القرن السادس عشر، ويسمون «بالدونمة» وهم مسلمون فى الظاهر.

٧ ـ ولد شبتاى لاوى فى ازمير سنة ١٦٢٦ فى بيئة تلمودية متزمتة. وكان ابوه مردخاى وكيل شركة انكليزية. فشبّ شبتاى، وقد استهواه تعلق اليهود بالمسيح الموعود، وبكتاب «الاشراق». ودخل فى عقائد القبالا فاستغرقته، وتوغّل فى متاهاتها، حتى صار يحب التعرض للشدائد، وجعل يعذب جسده، وأولع بالسباحة فى البحر صيفاً وشتاء ليغالب الصعاب. وكان كثيراً ما يقضى الليل ساهراً منشداً أشعاراً بالية بالعبرية والآرامية. وأضيف إلى مجموع صفاته هذه، أنه اكتسب هيبة فى هيئته الشخصية واتقن الآلة كلها حتى بات مرموقا فى جملة حاله ومنظره.

٢ ـ سنة ١٦٦٣ قام بسياحة الى فلسطين ومكث فى القدس مدة وصرف فى هذه السياحة سنتين. وكان فى القدس الرجل الذى خضع شبتاى لتوجيهه. وما ذاك الرجل الا «ناثان» وهو من غزّة، واشتبكت الامور كثيراً بين «ناثان» وشبتاى. وبعد قليل نرى فتاة بولونية اسمها «سارة» فقدت اهلها فى بعض المذابح، فأخذت الى أحد الأديرة ونُصّرت، لكنها فرّت وجاءت الى فلسطين، وكانت زوجة شبتاى لاوى الذى هو فى الطريق ليكون المسيح الكذاب.

٣ ـ هذه المعلومات المتعلقة بسارة وناثان وشبتاى، ليست موجودة فى مصادر عربية إطلاقاً، على ما نعلم. وإنما ننقلها من كتاب «موجز تاريخ الشعب اليهودى من ١٦٠٠ ـ ١٩٣٥» لمؤلفه سيسل روث (١) اليهودى.

٤ ـ سياحة شبتاى لاوى الى فلسطين، واتصاله بناثان الغزاوى، وزواجه من سارة البولونية اليهودية المتنصرة كذباً، وطيران أخباره إلى البيئات اليهودية، جعل التلفت إليه يزيد ويتضخم. أينما حل تلقاه اليهود بالترحيب والمناصرة. آمنوا به وصاروا يعتبرونه على مستوى النبوة، وهو متقن عمله فى التضليل والتدجيل إلى ما وراء الغاية.

٥ ـ من هذه الناحية: ناحية تلقى اليهود له بالتعظيم، والاتجاه إليه بالآمال المنقذة، لم يعهد ان يهودياً آخر لقى مثل ما لقى شبتاى، حتى تيودر هرتزل لما امتطى ذروة النفوذ بعد مؤتمر بازل الصهيونى العالمى الاول سنة ١٨٩٧ لم ينل من الالتفاف حوله مثل ما نال شبتاى فى القرن السابع عشر.

---

(١) اسمه بالانكليزية:

A Short History of the Jewish People,

1600 - 1935

by Cecil Ruth, Macmilla, London, 1936

٦ ـ فانتشرت التوبة بين اليهود، وكان منهم أناس انقطعوا عن الدنيا. منشورات شبتاى جابت كل بلد فيها يهود. توقفت الاعمال التجارية فى بعض الاماكن. تجار تبرعوا بالذخيرة والاطعمة لتشحن الى فلسطين فى البحر. تجار كبار فى امستردام توقيعاتهم المالية انفذ من القوانين، قدموا الى شبتاى الكذاب عريضة يؤكدون له فيها انهم مستعدون لعونه. فى همبورغ فى المانيا صار اليهود يرقصون فى الكنيس.

٧ ـ اشتد هوس شبتاى. فقسّم فلسطين، وقسم العالم الى ٣٨ مملكة، وعين ملكاً من قبله على كل منها. وصارت صلوات اليهود فى الكنيس تفتتح «بيا سيدنا ومولانا» و«ياملكنا ـ المقدس التقى شبتاى لاوى مسيح رب اسرائيل!» وأغفل الدعاء لسلطان بنى عثمان.

٨ ـ سئل بندكت دى سبينوزا، الفيلسوف اليهودى فى هولندة، عن رأيه فى المسيح شبتاى لاوى فقال انه لايرى سبباً عقلياً يمنع إمكان إعادة الحكم الزمنى الى اليهود. وسبينوزا أصله من يهود اسبانيا، وجرته فلسفته إلى أن حرمه الكنيس اليهودى قصاصاً له على بعض آرائه، فلم يبال بل بقى على مذهبه. وانظر فى جوابه هذا وتأمل. ثم تدرك من جواب سبينوزا مبلغ ما وصل اليه شبتاى من الاستئثار بعواطف اليهود. (سبينوزا ١٦٣٢ ـ ١٦٧٧).

٩ ـ السلطان العثمانى فى ذلك الوقت كان محمد الرابع (١٦٤٨ ـ ١٦٨٧) وكانت له الأدعية فى المعابد عند جميع الطوائف فى المملكة، فصار اليهود يسكتون فى الكنيس عن الدعاء للسلطان وبدلاً من ذلك راحوا يدعون للمسيح شبتاى بن لاوى. وصار شبتاى يوقع منشوراته السرية: «شبتاى بن داود وسليمان».

١٠ ـ الا يهودياً واحداً فى لندن، كما روت أخبار هذه الحركة، قام وجهر بصوته باسم جماعته اليهود فى لندن قائلاً: إنى أراهن على أن الشخص الذى فى ازمير، شبتاى لاوى، ما هو الا دجال!! صدق هذا اليهودى، ولا تروى الأخبار أن احداً غير يهودى لندن من يهود العالم وقف مثل هذا الموقف فى الجهر بأن شبتاى دجال منافق.

١١ ـ وهذه التفاصيل الى هنا تنتهى بنا إلى أن نرى شبتاى قد وصل استنبول، ايام السلطان محمد الرابع، ثم تختصر المصادر اليهودية القصة بعد ذلك بعبارة ان شبتاى ما كاد يصل البوسفور فى طريقه الى فلسطين، حتى دخل السجن او قتل بأمر السلطة. وليست هذه النهاية التى تقولها المصادر اليهودية إلا كذباً، لا تقلّ ضخامة عن ضخامة تدجيل شبتاى نفسه. إلى هنا تنتهى رواية المصادر اليهودية، آخذين منها ما يقتضيه المساق.

١٢ ـ إن لشبتاى لاوى من باقى القصة فى استنبول، بعد وصوله إليها، ومعه قافلة من أتباعه، ولعله كان ينوى التوجه بهم الى فلسطين لإعلان ملكيته العالمية المدجلة، ماهو فى الواقع الذى لا ريب فيه، أروع بكثير من كل ما علمنا من أمره حتى الآن.

وقصة شبتاى هذا، فى استنبول، وهنا الخاتمة، فى القرن السابع عشر، ما كان لنا أو لغيرنا ان يتمنى له الاطلاع عليها على هذه الصورة، فى النصف الثانى من القرن العشرين، أو بعد ثلاثة قرون من حادثة شبتاى لو لم يظهر منذ عشر سنوات فى التركية كتاب «الخطر المحيط بالإسلام أو الصهيونية وبروتوكولاتها» للجنرال جواد رفعت. وهذا الكتاب متخم بالمعلومات الكاشفة عن حقائق اليهود وتاريخهم وعن الماسونية فى تركيا خاصة، والماسونية أداة يهودية عالمية (١).

١٣ ـ اتضح للسلطة العثمانية فى استنبول ان شبتاى ما هو الا كذاب متلاعب باسم الدين فصدر الأمر باعدامه. ولكن لاسباب ما، لم يبسطها المؤلف الجنرال جواد رفعت "الا ليست متيسرة له كما نعتقد، لم يعدم شبتاى. وعندنا إن عدم اعدامه سر من أسرار القوة اليهودية الخفية. والقوة اليهودية الخفية هذه لا حد لوسائلها، وكلها وسائل شيطانية. والسر فى عدم إعدام شبتاى الكذاب مستتر لكنه غير مستعص على القارىء، كالسر الذى جعل

---

(١) ترجم هذا الكتاب الى العربية فى بغداد الاستاذ وهبى عزالدين السنة الماضية (١٩٥٥)، واطلعنا عليه فوجدناه حرياً بان يقرأه كل عربى، من مسلم ومسيحى، لجزالة محتوياته من المعلومات التى لا تجدها فى مواطن اخرى، وما يزيد فصول الكتاب قيمة ان المؤلف، جرت على يديه حوادث جمة منذ الحرب العالمية الاولى، اذ كان «ضابط الاستخبارات» فى جبهة فلسطين وسمع كثيراً من الروايات المهمة من أفواه أصحابها الذين هم المصادر الأولى لها. فنوجز نقاط الباب من هذا الكتاب.

أما الجنرال جواد فهذه صفوة ترجمته كما هى «فى سطور» على الغلاف الخارجى من الكتاب وفى بعض المواضع نجتزىء الكلام اجتزاء.

* الجنرال جواد رفعت ضابط تركى مسلم، كان ضابط الاستخبارات فى جبهة فلسطين فى الحرب العالمية الأولى، وله كتاب عن جبهة جواسيس فلسطين مترجم إلى عدة لغات.
* ساهم فى حرب الاستقلال التركى، فقاد قوات الحركة الشعبية فى جبهة بارتين وغيرها.
* أسس جمعية الشرق الأكبر للدفاع عن القيم الإسلامية والتراث التركى الإسلامى.
* كان رئيساً للحزب الديمقراطى الإسلامى فى تركيا.
* له مؤلفات عديدة حول الحركات الهدامة عبر التاريخ والتى استهدفت الأديان عامة والدين الإسلامى خاصة، ومن موضوعات هذه الكتب الماسونية، واليهودية العالمية والصهيونية وأخطار إسرائيل. وكتاب «أسرار الماسونية» ترجم إلى العربية. (لم نطلع على هذا الكتاب).
* زار مصر والقى فى الاندية الكبرى محاضرات فى اخطار اليهودية العالمية
* كان نائب رئيس جمعية محاربة الصهيونية فى المانيا قبل الحرب العالمية الثانية.

اما من حيث الترجمة العربية لهذا الكتاب، فمع الشكر للمترجم الفاضل، فان القارىء العربى يود لو ان هذه الترجمة جاءت خالية مما علق بها من الشوائب، التى لا يسع القارىء الا ان يلاحظها وعسى ان يتدارك هذا فى الطبعة الثانية ان شاء الله.

محمد على باشا فى مصر سنة ١٨٤٠ يعفو عن اليهود المجرمين من يهود دمشق الذين ذبحوا الراهب الاب توما الكبوشى فحوكموا على مشهد من قناصل الدول الأجنبية، وبعضهم اعترف بالجناية، وقام العالم اليهودى وقعد، فجاء «مونتفيورى» الى محمد على وكان السحر! قلنا: لاحظ هذا فى ترجمتنا لمونتفيورى.

١٤ ـ وحوكم شبتاى فى «سراى ادرنة»، وكان المترجم للقاضى الطبيب مصطفى حياتى، وهذا مسلم فى الظاهر وحقيقته المستورة انه من «الدونمة» او اليهود الذين استجاروا بحمى السلطان لما طردوا من اسبانيا، فأجارهم السلطان، واقاموا فى كنفه، وأخذوا يسلمون اسلاماً خادعاً دون ان ينتبه اليهم، فأمسوا يهوداً متلبسين الاسلام للتضليل. والطبيب مصطفى حياتى كان أحد هؤلاء الدونمة. ونراه الآن يترجم لشبتاى.

١٥ ـ لما بدأت المحاكمة تزلزل شبتاى. فقال له رئيس المحكمة إنك تدعى أنك المسيح المنتظر وتدعو الناس إلى تصديقك واتباعك، فأرنا معجزة منك وهى ان تتعرض ببدنك عارياً لثمانية من رماة النبل، فاذا لم يؤثر النشاب فى جسمك قامت لك الحجة. وكان اليهود يشيعون هذا عنه بأمر منه، فطلبت منه المحكمة ان يثبت صحة ما يدعيه هو وجماعته. فأجاب وهو متهاو منهار، ينكر صحة صدور هذا القول منه، ويعزوه الى وشاية من بعض اليهود الذين لا يحبونه، فقيل له أعلن إسلامك. ويقول المؤلف جواد رفعت إن المراد بهذا أنه إذا أسلم قام عليه اليهود وأسقطوه، ثم يستخفّ المؤلف هذه العقلية فى الدولة العثمانية فى ذلك الوقت. والحق مع المؤلف جواد رفعت.

١٦ ـ وهنا سر آخر: لما كان شبتاى لا يتقن التركية، وكان الذى يترجم له الى الاسبانية ـ اذ عائلة شبتاى من اسبانيا ـ هو الضابط الطبيب مصطفى حيانى، اليهودى بثوب مسلم، فقد كلفت المحكمة المترجم بان يبين لشبتاى ان الامر جد، فتمكن مصطفى حياتى من ان يأخذ ويعطى مع شبتاى بالاسبانية حتى اقنعه بان اعلان اسلامه لا يحول دون المضى بدعوته الى انه المسيح المنتظر، بل سيتسنى له من الفرصة للعمل فى سبيل ذلك وهو بثوب مسلم خادع، اكثر مما يتسنى له وهو بثوب المدعى انه المسيح المنتظر. لقد تم هذا فى المحكمة والمحكمة لم تشعر بشىء، واسلم شبتاى، واطلق عليه «محمد أفندى»، ولبس الجبة والعمامة البيضاء، وعين له مرتب مالى شهرى من السراى السلطانية. غير ان العقلاء من الاتراك وهم أعزة الإسلام أدركوا أن فى الأمر لعبة.

١٧ ـ فى اثناء هذه الحوادث، كان اتباع شبتاى فى بيت المقدس وصفد قد أشاعوا «ان شخصية شبتاى قد عرجت إلى السماء، وحل محلها بأمر الله مسيح يرتدى ثوب مسلم».

١٨ ـ فى الوقت نفسه ظهر فى الشام نبى كاذب لليهود اسمه ناثان (أهو ناثان غزة

متنكراً، أم ناثان جديد، من يدرى، وكلاهما محتمل) ووزع بياناً على اليهود يطلب منهم فيه أن يظلوا على إيمانهم، وألا تأخذهم الحيرة من أمر شبتاى، فشبتاى شبتاى!!

١٩ ـ فطلب شبتاى من الحكومة مساعدة مالية، إذ يريد أن يطوف كنائس اليهود ويدعوهم إلى الاسلام! فلبّى طلبه! يا للغفلة، امس، كما يا للغفلة حتى إلى هذا اليوم!

٢٠ ـ وجعل ينبه إخوانه اليهود إلى انه ما أسلم إلا خدعة، وراح يقنعهم بان يفعلوا فعلته فيرتدوا هذا الثوب، وتبقى يهوديتهم فى قلوبهم. وجعلوا يلبون رغبته. فأسلموا. هؤلاء هم الذين يقال لهم «الدونمة» وهم إلى اليوم فى تركيا، إسلامهم رياء، ومكايدهم لا تنقطع، وهم أوتاد يهودية تحت الجبة والعمامة والقبعة. كانوا المعول الأول فى الهدم، ونقل الترك المغرورين من العثمانية الإسلامية إلى الفكرة الطورانية فى اول القرن ١٩. ومن هنا بدأ انحلال الدولة العثمانية. وفى حرب البلقان سنة ١٩١٢ كان الدونمة مسببى هزيمة الدولة. ويرى الجنرال جواد رفعت فى هذا الباب وقائع مذهلة وما هو اشد اذهالاً الغفلة المتمادية لا فى تركيا وبلاد العرب فقط، بل فى معظم العالم، عن فتح العيون على حقائق اليهودية العالمية والبروتوكولات.

٢١ ـ فتح الباب امام شبتاى. فاذا به يبعث رسائله ومناشيره بالعبرية الى الجماعات اليهودية، يحضهم على الثبات معه والى جانبه فى كونه هو المسيح المنتظر، ولما سأله الصدر الاعظم ـ رئيس الوزراء ـ ما هذا يا شبتاى؟ أجاب شبتاى: إنما أدعو بقية اليهود لكى يسلموا إسلامى!.

٢٢ ـ وهنا ينطلق المؤلف ينتقد عقلية الدولة فى تعليل حركة شبتاى فى ذلك الوقت. وكل ما قاله المؤلف فى محله.

٢٣ ـ حتى أمسكوا شبتاى فى إحدى الكنائس، يعظ بالعبرية، عظة اليهودى الماكر، ويخون الإسلام، ولم يستطع ان ينكر هذا التلبيس. فرؤى ان يقطع رأسه. واذا بشيخ الاسلام يتشفع له، ووجه الشفاعة ان شبتاى، اذا قطع رأسه طارت الاشاعات انه صعد الى السماء، فنفتق من حيث نريد ان نرتق. ومرة ثانية نجا شبتاى، وبقى رأسه بين كتفيه.

٢٤ ـ نفى شبتاى الى البانيا، فاستقر فى سلانيك وتزوج من امرأة يهودية، وعدنا لا نعلم شيئا عن سارة، ولا عيون عليه وهو فى سلانيك، فباض وأفرخ، وانقلب يحرض اليهود على التوغل فى المجتمع التركى الإسلامى لتوهين عراه، وفك روابطه، وغزوه باليهودية اللابسة العمامه والجبة. وهكذا كان.

٢٥ ـ لم يقتل شبتاى، ولم يقطع رأسه، ولا قلامة ظفر منه، وبقى على خطته، والغفلة عنه نائمة تغط فى نومها لا تستيقظ، حتى اذا تلفتنا بعد قليل، نرى من ثمار اعمال شبتاى ان كل كنيس يهودى فى المدن، واليهود لا يسكنون الا المدن، يصطنع صلوات هى مزيج من

الاسبانية والتركية ينشدها اليهود والدموع تنهمر من عيونهم تعلقاً بشبتاى. ويقدم المؤلف وصف هذا فى عدة صفحات. ثم يختفى شبتاى فى الافق. كيف اختفى؟ لا ندرى. واما الطقوس المبطنة التى يمارسها اليهود فى كل كنيس فى تركيا حتى اليوم فعجب اى عجب! المواعظ السرية! الصلوات! ينقلها اليك المؤلف حرفاً حرفاً بالفاظها الاسبانية والعبرية بحروف عربية.

* * *

هؤلاء «الدونمة» فى تركيا لا يزالون على جميع خصائصهم اليهودية. من ذلك انهم لا يتزاوجون مع غير جماعتهم حتى اليوم. راجع الفصل ٢٤ و ٢٥ من الجزء الاول حيث تفصيل أخبار هؤلاء الدونمة.

يروى المؤلف هذه الواقعة فى خلال الحرب العالمية الأولى فى دمشق: كان لمصطفى الشامى فى الشام، ومصطفى هذا يهودى من «الدونمة»، ابنتان أحبت إحداهما ضابطاً تركياً وفرت معه. فقامت القيامة حتى انتهت المسألة الى مجلس الوزراء ووقعت من اجل الفتاة «سويم» مناقشة حادة بين أنور باشا وزير الحربية، المسلم التركى، وجاويد بك المسلم اليهودى (الدونمى) وظهرت روح جاويد اليهودية بكل قرونها. والفتاة الأخرى أحبت شاباً من أهالى قونية اسمه «فهيم»، وهو اليوم فى ادارة كهرباء الآستانة، وبعد اربعين سنة تماماً، راجعت المرأة هذه المحاكم طالبة الطلاق من زوجها، وكانت قضيتها هذه لم يفصل فيها بعد حتى تاريخ وضع المؤلف كتابه سنة ١٩٥٤. أما مصطفى الشامى ابو الفتاتين فظل يأكله الكمد، حتى ذاب وقضى. قلنا: راجع النماذج التلمودية وقد مررت بها.

* * *

(٩) الفرقة البعلشامية فى ألمانيا
نشأت فى القرن السادس عشر وهى تستمد من كتاب «الإشراق» و «القبالا» الغيب والتدجيل

مؤسس هذه الفرقة هو اسرائيل بعلشام، ومعنى البعلشامية القدرة على اتيان المعجزات باسم الله. وأول ما ظهر هذا الاسم كان ظهوره فى يهود المانيا وبولونيا عن طريق القباليين، وذلك فى القرن السادس عشر، والقبالة وقتئذ فى ازدهارها، وكان البعلشاميون يمارسون الطب التدجيلى، مفرغين عليه ما استطاعوا وشاءوا من «الشعوذات» التى قالوا انها مستمدة من كتاب «الاشراق». واليهودى التى يأتى بالمعجزات على الطريقة البعلشامية ينظر اليه كأنه متصل بروح الربى سمعان بن يوشاى فى القرن الثانى الميلادى. والربى سمعان هذا هو أحد جامعى التلمود الأوائل، وهو أحد الذين عرفوا بالقدرة على إتيان المعجزات البعلشامية، ويقولون إن عدد هؤلاء المختصين بلغ أحد عشر رجلاً، كما جاء فى دائرة المعارف اليهودية فى ترجمة بعلشام.

كتب البعلشامية تبحث فى كل شىء غامض، فى الكائنات، والنفس البشرية، والخير والشر. ومن يريد الدخول فى البعلشامية عليه ان يكون فى مجلسه ساكتاً صامتاً، مربعاً، مستغرقاً فى التأمل، قارئاً صلواته. وعليه أن يجتاز سبع حالات، وبعد اجتياز كل حالة يصل المريد أو الطالب إلى منزلة سماوية عليا تسمى «الهيكل»، وكل هيكل لاحق يختلف عن سابقه حتى يدرك السابع الأخير، وهذا لا لون له، وهنا يفقد المتأمل شعوره ويضربون مثلاً على هذا كما فى كتاب «الاشراق».

«قال الربى سمعان بن يوشاى: استغرقتُ يوماً فى التأمل حتى أبصرت بالتالى انبثاقاً نورانياً شديد الوهج، فى كل وهجة ٣٢٥ دائرة نورانية صغرى، ثم بدا لبصرى ان فى وسط هذا النور بقعة سوداء تسبح فى بحر النور هذا، ثم أخذت هذه البقعة السوداء تتحول الى بيضاء، وتعوم وتطوف على سطح الماء النورانى حيث احتشدت صور العظمة على ما يأخذ العقل. فسألت عن معنى هذه الرؤيا فقيل لى ان هذا يمثل غفران الخطايا والذنوب».

* * *

وكتاب «الإشراق» هو مصدر كل هذا، لجميع القباليين والبعلشاميين، فما كاد ينقضى خمسون سنة على ظهوره فى اسبانيا حتى تلقفه القباليون التلموديون والتهموه. وقال القباليون

ان كتابًا مثل هذا لا يمكن ان يضعه انسان ان لم يكن مؤيداً من الله، ولذلك جعلوه فى القداسة كالتوراة، كان له أثره فى تطور الشعائر الدينية. ولما قال الميمونية أن الإنسان جزء صغير من الكائنات، وخلوده موقوف على درجة ترقى عقله الفعال، قال اصحاب «الإشراق» إن الإنسان سيد الكائنات وخلوده موقوف على فنائه، فجعلوا الفناء سبب الخلود.

ثم إن هؤلاء جميعاً ينحدرون من التلمود.

وترسب هذه البعلشامية فيما وراء الستار هيئة سرية قبالية ملثمة.

١٠ - القهال

منظمة سرية امها القبالا وابوها التلمود
ومظهرها الخارجى أنها صلة بين الحكومات وجماعات اليهود

القَهَال لفظة عبرية معناها الهيئة أو المجلس أو الجماعة، كانت حتى القرن التاسع عشر تستعمل للتعبير عن الهيئات اليهودية المحلية،فى لتوانيا وبولونيا وروسيا. ومبدأ كيانها فى أوربا، وربما قبل الحروب الصليبية، كما تقول المصادر اليهودية.

وأما معناها اليوم فى الكتابات العالمية السائرة، فينصرف إلى ما هو هيئة سرية غامضة، كالقبالة، والبعلشامية، ويقول النقاد أن معظم الناس لا يفرقون بين القبالة والقهال.

ومن وجهة النظر الخارجية فى هذه المسألة، أى التمييز بين يهودى قبالى، ويهودى بعلشامى، ويهودى قهالى، فهذا كله فى الواقع مترادفات تنصب على شيء واحد، هو منظمة «حكماء صهيون» التى هى القطب والمدار، وما باقى المنظمات الا روافدتنتهى اليها. وتكاد تلمح أن البعلشامية التى تكلمنا عنها فى الفصل السابق تشبه فى صورة تركيبها طريقة من الطرق الدينية فى الشرق، هذا فى مظهرها الخارجى، وأما فى داخل جهازها فهى شيء آخر، وما اتخذ الشكل الظاهر الا ليكون ستراً لما فى الداخل. هذه هى الحقيقة الكبرى تتجلى لكل دارس لبواطن الحركة اليهودية العالمية. وتأتى الماسونية العالمية ونراها لا تعدو هذه القاعدة أيضاً من حيث اختلاف ما بين الظاهر منها والخفى. ثم تنقلب بالتالى الاداة الفعالة الأولى بيد اليهودية العالمية، وفى البروتوكولات تفصيل هذا كله.

وكثيراً ما يقع المطالع للرويات والقصص الغربية على كلمة «القهال» في مساق الرواية، فلا يحصل من معناها الا الاشباح الغامضة وما تسوقه اليه القرينة، ومعنى القهال على الجملة هيئة مريبة تعيش فى الزوايا والسراديب، ومثل هذا ما يحصله من معنى «القبالا» ولفظة «كاباليست» فى اللغات الاوربية. لكن هذه الحجب كلها تتمزق عندما تتسلط عليها حقيقة ،واحدة رهيبة: ان عادة الحصول على الذبائح البشرية أو خطف اليهود للمسيحيين والمسلمين لاستنزاف دمائهم واستعمال الدماء فى طقوس يهودية منذ القدم، ونقل أجزاء من الدم المعجون بمادة أخرى الى اقطار اخرى حيث لا يستطيع يهود تلك الجهة ممارسة الخطف والاستنزاف فى بلادهم، ان هذه العادة تفرض على كل يهودى تلمودى ان يمارسها عندما يطلب منه ذلك. ومن يطلب منه؟ طبقة «الحاخامين» فى المجتمع اليهودى، وعلى الغالب انما يقع على «الحاخامين» العبء الاكبر من جرم ارتكاب هذه الجنايات الوحشية، بل نعت الوحشية

اقل من ان يدل على فظاعتها، اذ لو استعملناها لوصف الخلق اليهودى المجرم الجانى، فماذا ابقينا من الوصف للوحش البرى الذى هو اقل وحشية من طالبى القرابين البشرية ومرتكبى جرائم الدم والاستنزاف؟ وطبقة الحاخامين موجودة فى كل منظمة يهودية ظاهرة ومستترة، فعلينا ان ننظر الى القاسم المشترك بين هؤلاء جميعاً، على اختلاف اسمائهم، فنجد ان الطبقة الحاخامية هى السلسلة الفقارية فى الجهاز كله. ومعظم الرجال اليهود فى فلسطين، منذ أخذ اليهود يحاولون الاقامة فى فلسطين واستيطانها، من ايام السلطان عبد الحميد، - معظم هؤلاء اليهود، ونعنى البارزين المسؤولين منهم، عندما نقرأ تراجمهم، نرى كل واحد منهم ابوه «حاخام» ونرى تخرّجه كان أولاً من مدرسة «دينية» أو حاخامية، وقلما ذهب احد هؤلاء الى مدرسة عامة ولو يهودية، قبل ان يمر فى نشأته على المدرسة «الحاخامية» التى تغذى الناشئين بالتعاليم والاسرار التى لا تذاع للناس. وما اختلاف المنظمات عندهم بالاسماء، الا من نوع اختلاف العناوين لما هو وراء العناوين شىء واحد. وانما نقول هذا هنا، اذ مررنا بذكر التلمود، بعد التوراة، ومررنا بالقبالا، ثم اتينا الى النحمانية والميمونية، ورأينا كتاب «الزوهر» أو كتاب «الاشراق»، والبعلشامية مدعية اتيان المعجزات، وحططنا رحالنا فى هذا الفصل فى ساحة «القهال». وحتى لا يدخل شىء من الابهام على ذهن القارى، فقد رأينا من المفيد ان نسترعى انتباهه الى ما قلناه هنا. وما كل قارىء من العرب يحتاج الى هذا. وبعد الاطلاع على كل هذه المناحى المشتملة عليها هذه الكتب التى بيد القارىء، وبعد الوقوف على «البروتوكولات» والتمعن فيها، لا يبقى بالعربى حاجة على ما نعتقد، الى ان يرجى عنايته بدراسة اليهودية العالمية عن طريق التوراة والتلمود، ليدرك اى واجب عليه نحو نفسه وولده وذريته، ونحو وطنه وتاريخه، من العمل فى سبيل المكافحة لكل ما هو بمعنى «يهودى» أو اسرائيلى فى فلسطين.

* * *

نعود الى تكملة الكلام على القهال. فيقول النقاد فى هذه الحركة انه ان لم يمكن ردها فى قدم المنشأ الى ما هو ابعد من القرن العاشر الميلادى، فاستعدادها من التلمود هى والبعلشامية شيءٌ واحد. تتحدان من التلمود ثم تتخذ كل واحدة طريقها. وهناك شىء آخر وهو ان تظهر منظمة القهال مظهر جهاز «تلمودى» لمن يراها من الخارج، ثم هى فى الحقيقة ستار للقبالة الكبرى، والقبالة ما لها الا تاريخ اسود فى أوروبا كلها. فاحتاجت فى القرون الاربعة أو الخمسة الاخيرة الى ما يستر امرها قدر الامكان، فكانت منظمة القهال القفاز الخارجي، وتقوم مقام الصلة الظاهرة بين الحكومات فى اوروبا الوسطى، واوروبا الشرقية خاصة، وبين الجماعات اليهودية الملتفةعلى نفسها، وعليها ان تدفع الضرائب الرسمية الحكومية، وتقضى معاملاتها المدنية، فقامت المنظمة القهالية بكل هذا حتى اخذت تنفطم وتنتهى فى القرن الماضى، اذ جاءت التنظيمات اليهودية الجديدة، بعد حركة كارل ماركس فى منتصف القرن

التاسع عشر، فدخلت الحركة اليهودية العالمية فى دور جديد، وهذا حتى قبل ان يولد هرتزل.

* * *

ويبدو للدارس لقضية اليهودية العالمية ان المجال الواسع لنشاط منظمة القهال كان فى روسيا وبولونيا ولتوانيا، وسائر بلدان شرق أوروبا. ومسألة تأدية الضرائب المدنية للحكومات كانت اهم وظائف القهالة، ولا يغيب عنا أن انكماش اليهود على انفسهم فى احياء خاصة بهم فى المدن تدعى عادة Chetto باللغات الاوروبية، انكماشاً هم فيه مختارون لا مكرهون، انسياقاً مع غريزتهم فى الانفراد والعزلة عن المجتمع غير اليهودى، ساعد اجهزة القهال فى الانسياب فى عملها، واستفادت اليهودية العالمية السرية من هذا، اذ هذا الوضع سترٌ للمنظمات اليهودية وتخفية وحجب، وهذا رأس مال النشاط اليهودى. ويقول بعض النقاد ان وظائف منظمة القهال كانت اشبه بنظام البلديات فى المدن، هذا فى الظاهر. ونحن الآن ليس بوسعنا الاستطراد الى ما يزيد المساق فروعاً وشعاباً، والغاية الكبرى لنا فى هذا الفصل استيفاء الكلام على صفة القهال كما فعلنا فى زميلاتها من البعلشامية والقبالة. ولا ندخل هنا فى الكلام على ناحيتين مهمتين: «الحى اليهودى» الاوروبى، واللاسامية وكلاهما فى نظرنا شيء واحد، رغم ما يحاول كتاب اليهود القول فى اللاسامية انها حركة مخلوقةعلى يد «الغوييم» غير اليهود، لمناهضة اليهود. لكن مسألة الحى «اليهودى» فى شرقى أوروبا وهو عش الغرائز اليهودية، فلا بأس ان نوجز فيه الكلام ايجازاً.

هذه الكلمة غيتو أو جيتو. يقول المعجم الانكليزى على الراجح انها من اصل ايطالى (Borghetto) تصغير Borgo أى «الحى» من المدينة او البلدة. وهذا فى الانكليزية Borough وتطور الاستعمال حتى اختصت هذه الكلمة بالحى الذى يسكنه اليهود دون سواهم فى اى بلد اوروبى. وكما قلنا ان اليهود انكمشوا الىٰ هذا انكماشاً ولم يساقوا اليه بالاكراه، ويستفاد ان أول ما نشأ هذا فى ايطاليا، فى القرن الحادى عشر، والقرن الحادى عشر كانت فيه الحروب الصليبية فى مطالعها، وكانت ايطاليا مباءة النشاط فى تلك الحروب من جهة البابا، واليهود يكيدون فى الخفاء للكثلكة، ولعل هنا فى ايطاليا صار اليهود أول من ينكمشون الى احياء خاصة بهم. ثم شاع هذا فى أوروبا، فى المانيا وبافاريا واوستريا وبلاد الانكليز حتى القرن التاسع عشر. ومع بقاء كلمة «عيتو» تعنى الحى اليهودى خاصة، فقد توسع هذا المعنى وامتد حتى صار يستعمل اليوم للتعبير عن كل جماعة سرية أو علنية تنعزل فى ناحية خاصة بها وقد يكون العدد ضخماً، وقد يكون الانعزال انعزال «اقلية» يهوداً كانوا ام غير يهود. اما فى البلاد العربية والاسلامية، فاليهود هنا ايضاً جروا على الطريقة نفسها، وهذا دليل آخر على ان السبب فى انكماشهم ليس السبب فى المضايقة من الدولة أو من مخالفيهم، بل هم فى هذا مستجيبون لغرائزهم اليهودية. ويقال عندنا «الحى اليهودى» أو «حارة اليهود» تبعاً للمصطلح

الدارج فى العاصمة أو المدينة، غير اقامة اليهود فى البلاد العربية الاسلامية والشرقية كانت نعمة عليهم لم يروا شبهاً لها فى بلد أوروبى.

ونعود الى القهال ومنظماتهم: واذا كان خيراً لليهود، أن يتولى أمرهم ومعاملاتهم المدنية مع حكومات البلدان التى يقيمون فيها، جماعة مسؤولة منهم، فهذا كان خيراً ايضاً للحكومات فتجد أمامها هيئة يهودية مسؤولة، تحصر امر التعامل معها. واذا كان هذا بات لا يصلح اليوم مع مستوى حكومات العصر ففى الماضى كان تدبيراً عملياً هو أصلح ما يمكن للسير عليه فى معاملة اليهود.

ويقول النقاد: إن هيئات القهال مرت بأدوار مختلفة من فوضى وفساد وانحلال، وكانت هيئاتها تنتخب مرة كل سنة. ومنذ القرن الثامن عشر أخذت تنحل وتتفكك شيئاً فشيئاً، ويضيق نطاق صلاحياتها، واليهود لا يهنأ لمنظماتهم من عيش إلا اذا كانت الجهة الأخرى من أجهزتهم هى الظلام والخفاء.

فصارت أجهزة القهال تتحول شيئاً فشيئاً الى منظمات سرية، يتولى أمرها ويسيطر عليها الحاخامون، حملة التلمود، وسيفه الخفى مصلت فوق الرقاب، فمن ارتكب جرماً بحق «القبالة» والقبالة هى الفك الأعلى، قتل بلا هوادة. وما كانت حكومات شرق أوربا يهمها هذا داخل الاجهزة اليهودية ويقول النقاد أيضاً إن هيئات القهال كانت لها جهة داخلية سرية أيام كانت القهالة فى الازدهار، فكيف الآن وقد ضُويقت وشد من حول عنقها الخناق. وبالتالى استغرقت هيئات القبالة هيئات القهال فى الظاهر، فما عاد للقهال من وجود ظاهر. أما فى الخفاء فالقهال بوسعه أن يعمل ما يشاء، إذ انقلب الى قوة مندمجة اندماجاً تاماً فى أجهزة القبالة.

١١ - كتاب جاكوب «برافمان» من نوع البروتوكولات ظهر سنة ١٨٦٩

فى سنة ١٨٦٩ وضع جاكوب برافمان Gacob Brefman كتاباً شرح فيه اسرار هذه الهيئات، وما تمارسه من وسائل لابقاء الجو التلمودى مسيطراً على اذهان اليهودسيطرة مخيفة، فكان كتاب برفمان هذا، أشبه بظهور البروتوكولات بعد هذا الوقت بنحو ٣٩ سنة، تفضح «حكماء صهيون» فى مؤامراتهم على الاديان، المسيحية والاسلام، والممالك الاوروبية، والبابوية، ثم المملكة العثمانية.

ثم اختفى كتاب برفمان اختفاءً عجيباً، ولا وجود له اليوم، إلا فى مواضع الله أعلم بها.

وبقيت الصحافة الروسية مدة طويلة، تنشر اشياء غريبة من كتاب برفمان، حتى اختفى وغاب.

ولكى يقلل اليهود من امر هذا الكتاب الفاضح لهم، اخترعوا قولاً وراحوا يذيعونه بمختلف وسائل النشر، من ان برافمان اعتنق اليهودية اعتناقاً مصطنعاً ثم ارتد عنها وما كتب هذا الكتاب الا طلباً للشهرة لنفسه والنقّاد يرفضون هذا القول، ويعتقد فريق منهم ان كتاب برافمان تناول اسرار الذبائح البشرية. غير ان هذه المحاولة لاطفاء نار الفضيحة لم تجد القهاليين شيئاً، ذلك لأن ما يشاهده الناس من أمور القهالة لا يمكن اخفاؤه، وجل ما أتى به كتاب برافمان انه كشف الغطاء، كجريمة فظيعة وقعت وظلت تفاصيلها مبهمة، والتهم تدور حول زيد وعمرو، حتى صاح التحقيق هذه هى الجريمة وتصويرها، وهؤلاء هم المجرمون. وايضاً ما وقع لبرافمان وقع مثله فى أمر البروتوكولات. فكتاب أوروبا المعنيون بالقضية اليهودية يعطون أول دليل على صحة البروتوكولات هو أن المخطط الذى تستند اليه اليهودية العالمية، وتطبقه مرحلة بعد أخرى، ليتم لها المراد بعد نهاية قرن من الزمان (آخره القرن العشرون) هو ظاهر بارز فى الحروب الدولية، والانقلابات والازمات الاقتصادية المفتعلة، وافساد الضمائر التى تستطيع اليهودية العالمية الاستيلاء عليها، أو أخذها تحت جناحها بواسطة الماسونية العالمية. وما يحتاجه العرب اليوم أشد احتياج ليس ليس البراهين على صحة البروتوكولات ولا على صفة المخطط اليهودى، بل هم محتاجون الى فهم هذا ووعيه، وتوعية الاجيال العربية الجديدة على حقائق اليهودية والاحاطة بهذا بطريقة مجدية، لا مجرد تسلية، أو عبث عابر.

١٢- الحاخام نافيطوس المنتصر وكتابه المطبوع سنة ١٨٦٩ فى بيروت

ان قصة كتاب برافمان لها شقيقة يهودية، حذوك النعل بالنعل. وهذه صفوتها:

فى سنة ١٨٦٩ أى سنة ظهور كتاب برافمان فى أوروبا الشرقية، ظهر كرّاس صغير الحجم بقدر الكف أو ما هو أصغر، فى العربية، فى سوريا ولبنان، مطبوع بحرف «جسم ٢٤» يشبه كل الشبه حرف المطبعة الاميركية فى بيروت فى ذلك الوقت. عنوان هذا الكراس: «الصحيفة الرضية اللماعية فى انهدام الديانة العبرانية» وهذا العنوان لا يدل على حقيقة المحتوى، لا تغطية وبعداً من التصريح، بل اعتقاداً من مؤلفه الذى بسطه فى الكرّاس يقع تحت فلك الديانة اليهودية. فاضاف الموضوع الى الدين العبرانى، وهذا صحيح، واقعاً وشكلاً. اما الموضوع نفسه ومن حيث هو، فأخطر واكبر واعظم. وهو ما عبّر عنه المؤلف فى أول عبارته بعد صفحة الوسمة فقال ان الكراس يبحث فى:

«السر المكتوم من اليهود عن الدم الذى يسفكونه من المسيحيين واسبابه الثلاثة».

ثم يمضى المؤلف فى شرح هذا واسبابه والغاية منه، ومن يمارس هذه الجناية من اليهود.

ويكاد شعر الرأس يقفّ من فظاعة ما هو مبسوط فى هذا الكراس الواقع فى (٥٥) صفحة من ممارسة هذه الجناية الوحشية. ويظهر ان هذا الكراس، لما طبع سنة ١٨٦٩ كانت الاذهان فى بيروت أخذت تتفكك من قيود الجمود، تطلب الخروج الى النور، وكانت حركة المعلم بطرس البستانى فى التنوير قد قامت على سوقها، والجامعة الاميركية (الكليةالسورية الانجيلية) فى سنواتها الاولى، وحركة نقل الكتاب المقدس الى العربية تنمو وتلتمع. فلا نعتقد ان هذا الكتيب طبع سراً، ومطبعة الجامعة الاميركية اذا صدق الظن ان هذا الحرف الطباعى هو حرفها - لا ترى سبباً لكى تتولى طباعة اى شىء بطريقة خفية، ولا سيما فى الكشف عن فضائح لها صلة بالدين الموسوى. زد على هذا ان فى آخر صفحة هذه العبارة: «وكان الفراغ من طبعها سنة ١٨٦٩. ثمنها ثلاث غروش ٣» فهذا يدل على ان هذا الكراس كان يباع فى الأسواق. لكن يجب الا يغيب عنا أن قبل ظهور هذا الكراس بنحو ٣٠ سنة، كانت قد وقعت فى دمشق الحادثة المروعة التى حتى اليوم كلما ذكرت جمد الدم فى العروق وهى خطف الاب توما الكبوشى[1]

---

(١) الأب توما جاء دمشق من ايطاليا سنة ١٨٠٧ واقام فى البلاد ٣٣ سنة يخدم المساكين والفقراء والمرضى بخلق رضى، حتى اشتهر أمره فى الشام واحبه الناس، ثم ذهب دمه على شفار السكاكين بطريقة =

هو وخادمه وذبحهما واستنزاف دمهما، فى طسوت خاصة، ورمى العظام فى نهر دمشق ثم ثبوت هذه الجناية على نحو ١٠ رجال من أعيان يهود دمشق منهم الحاخامون طبعاً. وكان لهذه الحادثة الوحشية صدى واسع فى العالم، والتحقيق الرسمى أثبت كل التفاصيل المروعة، وحكم علي الجناة بالاعدام. فتحركت اليهودية العالمية فى أوروبا، وكان وقتئذ موسى مونتفيورى، اليهودى الانكليزى، المثرى الكبير من صدور «حكماء صهيون»، وكان هذا الرجل قد اتصل بمحمد على فى مصر وفاوضه بشأن استئجار معظم فلسطين، وفلسطين وقتها بيده وقبل محمد على أن يقطع مونتفيرورى ما أراد. وفى غضون ذلك وقعت حادثة الأب توما والحكم على الجناة، فنُدب مونتفيورى ليأتى من لندن، ومعه جيب مترع، ليطلب من محمد على إصدار العفو عن الجناة، فنجح مونتفيورى. أما المضى بعد ذلك فى «استئجار» فلسطين لمدة ٩٩ سنة فقد قضى عليه انسحاب إبراهيم بن محمد على من بلاد الشام. وتجد ذكر هذا فى ترجمتنا لمونتفيورى فى الفصل ١٢ من هذا الكتاب.

* * *

إن مؤلف هذا الكراس ليس مسيحياً ولا مسلماً، ولا بوذياً ولا ملحداً ولا برهمياً ولا وثنياً. بل هو «من الحاخام نافيطوس الذى رفض المعتقد العبرانى واعتنق الايمان المسيحى فى السنة الثامنة والثلاثين من عمره ودخل فى عيشة النساك راهباً قانونياً». وما هذه العبارة الا عبارته.

هذه هى عبارته، عبارة الحاخام نافيطوس، نقلناها بالحرف. ثم هو يقول بعد ذلك مباشرة ما ننقله مبقين على اغلاطه الاملائية:

«قد طبعت باللغة المذكورة (الملدافية سنة ١٨٠٣ ثم استخرجت الى اليونانى، ثم الى الايتاليانى سنة ١٨٣٤ فى مدينة نابولى من اقليم برومانيافى مطبعة يوحنا جاورجيوس تحت تسمية انهزام العبرانية. وأخيراً استخرجت فى هذه السنين الى العربية». ثم يبتدى فى شرح ما يريد وهو يسمى موضوعاته «بالاسباب» أى أسباب سفك الحاخامين لدم المسيحيين.

= خاصة للذبح. فهو بلا ريب اكبر ضحية انسانية. عالجت مجلة «اسرار العالم» فى بيروت هذا الموضوع بعد الحرب العالمية الثانية. فكتب المؤرخ الاستاذ يوسف يزبك بحثا فى العدد الثانى (غير مؤرخ) طواه على حقائق الجناية مما اثبته التحقيق، واوراق التحقيق وارادة فى كتاب «الأصول العربية لتاريخ سورية»، وننقل هنا العبارات التى قدمت بها المجلة هذا البحث إلى القراء، فقالت:

«كانت امهاتنا يحذرننا فى طفولتنا من الابتعاد عن منازلنا والدنو من احياء اليهود، لأن هؤلاء فى زعمهم يخطفون الأولاد الصغار ويضعونهم فى «سرير الشوك» لينزف دمهم، فيعجنون منه خبزهم المسمى «خبز الفطير» عملا بطقوس مذهبهم. وكثيراً ما كنا نضحك لهذه الرواية ونسميها خرافة. غير ان وقائع القضية العجيبة التى يعرضها الكاتب الكبير من الأسئلة المحيرة والشكوك المثيرة قلنا وكراس الحاخام نافيطوس لا يحتاج الشاكّ والمرتاب بعد الاطلاع عليه، إلى اى برهان آخر.

وهذا الحاخام نافيطوس، ولا ندرى ما كان اسمه قبل ذلك، هو ابن حاخام، ويظهر أنه الابن الاكبر لأبيه، اذ يقول أن الحاخامين من شدة حرصهم على كتمان مسألة الدم، يختارون من أولادهم من يتوسمون فيه القدرة على كتم السر ليتسلم هذه «الصناعة» الانسانية الراقية! ويبين نافيطوس ان سائر أفراد البيت، بيت الحاخام، لا يطلعون على الأسرار المتعلقة بكيفية ممارسة الجناية، وينتقل هذا من والد الى ولده المختار، لا الى أى من ابنائه.

وهذا الكراس لعله حتى اليوم موجودة نسخ منه فى بعض البيوت فى سوريا ولبنان وغير مكان. أما نحن، فقد اطلعنا على نسخة منه فى دمشق سنة ١٩٥٥ وسمح لنا أن ندرسها، وقد قمنا بهذا، وقيدنا ما رأينا تقييده من ملاحظات حول محتوياته. غير أننا هنا لسنا بصدد ذلك إلى أبعد مما قلنا، وكان كتاب برافمن هو الموضوع الذى نسوق الكلام عليه. غير أنه من المحتمل أن نعالج مسألة الرب توما، الراهب الطبيب المحسن الانسانى، معالجة مفردة قائمة برأسها فى كراس على حدة. ونعتقد أن كل ما كتب فى الصحف من تفاصيل حول «الجناية» فى العشرين سنة الاخيرة، وهو فى محله. لكن القضية، من جهة الكشف عن وحشية الغرائز اليهودية، تتجلى انجلاء اوسع وألمع، اذا طبقنا تفاصيل الجناية على ما ذكره نافيطوس.

* * *

ومع محاولة اليهود تعمية أخبار الخطف واستنزاف الدم، كلما وقعت حادثة بربرية وحشية من هذا النوع، فى ناحية من أنحاء العالم، ومع أن فى دائرة المعارف اليهودية (المطبوعة (١٩٠٤ – ١٩٠٥) ذكراً لأكثر من أربعين حادثة فى أوروبا والشرق، فالتنصل الكاذب لا يغير من الوقائع، شيئاً، ونعتقد أن حادثة الاب توما الكبوشى على بشاعتها فليست هى من حيث الفظاعة أفظع حادثة من نوعها، والتحقيق الرسمى واستقصاء حتى أصغر أجزاء الحادث، واكتشاف الهياكل البشرية الملقاة فى نهر دمشق، والاعترافات التى أدلى بها الجناة، وشهادات الشهود والاطباء الرسميين، وكل هذا تحت مراقبة قناصل الدول فى دمشق، كل هذا بلغ حده وانتهى الى ما لا نهاية بعده من الاثبات. وهناك حوادث عديدة يستطيع اليهود ان يطمسوا آثارها» ويطفئوا أخبارها، فتندرج فى الدهاليز، والعالم غافل عنها. الا اذا سبق للحادث ان انتشرت انباؤه الى الآفاق قبل أن يتمكن اليهود من خنق ذلك، فحينئذ يعمدون الى التنصل، والانكار والتضليل.

وفى سنة ١٩٦٣، وهذا قريب جداً، نشرت جريدة «هارتس» اليهودية فى الجزء المحتل من فلسطين شيئاً من المفيد ان يطلع عليه القارىء العربى. و «هارتس» هذه هى كبرى الصحف اليهودية فيما يسمى «اسرائيل»، وهى تمثل الجناح اليمينى من المخطط الصهيونى. قالت: «إن اليهود فى منطقة طشقند فى روسيا متهمون باختطاف اطفال المسلمين لعجن فطائر عيد الفصح اليهودى بدمائهم وقد طالبت سيدة، هى عضو فى مجلس الاتحاد الاعلى

فى طشقند، بطرد جميع اليهود الموجودين فى هذه المدينة، وعددهم يزيد على خمسين الفاً، بعد أن كانت ابنتها ضحية لليهود الذين استنزفوا الدم من إذنيها ليعجنوا به فطائر عيد الفصح[1]».

ثم لا أخبار بعد ذلك عما جرى فى طلب السيدة أم الطفلة، هل حقق أم لا، والى أين ذهب الخمسون الفاً من اليهود، ونعتقد أنهم بقوا حيث هم الى هذه الساعة. وكنا نود لو أن مكاتب الجامعة العربية تتنبه الى هذه الحوادث وتستقصى انباءها حادثة حادثة.

* * *

وقد أتينا بهذه التفاصيل البشعة للموضوع، لتعلق حوادثها بالشىء الذى من واجبنا استرعاء انتباه القارىء اليه، وهو الروح الجنائية فى الفطرة اليهودية من التلمود فنازلاً، فالقبالة، فالكهال، فحكماء صهيون، فالبروتوكولات. تبرز رؤوس هذه الجنايات متفرقة هنا وهناك فى مختلف الاقطار والبقاع، فى الشرق والغرب، أوروبا وآسيا، غير انها في الجوهر منحدرة عن نبع واحد، كما ترى، وتتجلى صور الوحشية الصهيونية فى المذابح التى ينزلها اليهود بعرب فلسطين تجلياً يتفق وكل هذه الغرائز اليهودية.

---

(١) راجع جريدة «الشرق» التى تصدر فى بيروت عددها ٢/٢/٦٣.

١٣- اليهودى يوسف منده الملقب بالناسى[١]
نموذج من «الحكماء» فى القرن السادس عشر

هو، كما يقول مترجموه اليهود «سياسى عثمانى» ومن ارباب الثروة والجاه والحقيقة انه سياسى يهودى من «حكماء صهيون»، وسنرى في سيرته الموجزة هنا انه حاول ان يكون عَلَقاً ممتصاً لدماء الدولة العثمانية فاستطاع هذا، وحاول الاستيلاء على فلسطين، وفى سيرته عبرة للقارىء العربى. واما غرضه الاول والاخير، فرمى الدولة بالحروب بينها وبين دول اخرى، لكى يجد يوسف منده الفرصة من خلال ذلك ليتوجه بقومه المطرودين من اسبانيا والبرتغال، الى فلسطين أو قبرص. هو يقضم العروش كما يقضم الفأر السنابل. وفى هذه الترجمة يوسف منده او يوسف ناسى واحد.

* * *

ولد فى البرتغال فى بداية القرن السادس عشر، ومات فى استنبول سنة ١٥٧٩. وهو الاخ الاكبر لفرنسيسكو، و «دياغو - منده» من اسرة مارانو التى فرت من اسبانيا الى البرتغال، آخر القرن الخامس عشر، ولكى ينجو من الاضطهاد فى البرتغال، هاجر فوراً الى «انفرس» مع عمه دياغو. وهناك انشأ مع قريب لهما، شركة صرافة على نطاق واسع، واتسعت شهرة يوسف، نه قريته الملكة مارى الوصية على عرش «الارض الواطئة». ثم جاءت عمته «غراسيا» الى انفرس سنة ١٥٣٦ وكانا يتظاهران بالنصرانية، فانكر عليهما الناس هذا، اذ علموا بانهما يهوديان من يهود البرتغال فهبطا فى عيون الجمهور فانتقلا بالتالى الى تركيا. وفى سنة ١٥٤٩ وصلا الى البندقية بعد مشقة شديدة. ويبدو انهما كانا مطاردين، ومن الصعب استخلاص قصتهما استخلاصاً جلياً من تضاعيف الكتابات المختلفة. وهناك دلائل وقرائن على انهما كانا كالخائف المترقب يفران من بلد الى بلد.

* * *

وفى البندقية كان يقيم فريق من بيت مارانو، فاضطربت امورهم من كثرة دسائسهم، فلم يكن بد من نفيهم، فنفوا ثانى سنة وصول غراسيا ويوسف ابن اخيها، هذا اذا كان يوسف

(١) لقب تعظيم عند اليهود ينادى به عدد من الذين يعدونهم عظماء كرؤساء مجمع «السنهدرين» وكبراء الاحبار، ولعل الذين نُعتوا «بالناسى» لا يجاوز عددهم العشرة أحدهم يوسف منده هذا. ولم يسمع بهذا اللقب الا زمن المكابين وما بعد، وبعد منده لم يسمع بيهودى آخر نال هذا اللقب. وقد شرحنا معنى هذا اللقب فى مواضع اخرى من هذا الكتاب.

حقاً ابن أخيها، لان الغموض يعطى مجالاً لهذا الاحتمال وهو ان القرابة بينهما على هذا الوجه قد لا تكون صحيحة.

وابرز سبب فى هذا الاحتمال تضارب الاقوال فى تعيين درجة القربى بين «غراسيا» و«يوسف». ثم ان القارىء يلمح بغاية السهولة الحلقات المتقطعة فى سليلته وسيرته، بين ان يكون نافذ الكلمة فى مكان تارة، وان يتوارى فجأة ويترك المسرح، طوراً. فهو بين بروز وهروب، وعلو وانخفاض، يوماً عند الملوك، ويوماً آخر يلاحقه منهم الغضب، ويلمح القارىء هذا الغموض فى اكثر من دور من ادواره. وتقول سيرته فى المراجع اليهودية انه وهو فى البندقية طلب من رئيس جمهوريتها ان يقطعه احدى الجزر القريبة، لتكون ملجأ لليهود الفارين من البرتغال فرفض طلبه. ثم اننا نرى غراسيا قد سجنت بسبب سوء سلوك ابن اختها، ونراها هنا ارتدّت الى اليهودية فصودرت املاكها، ثم تنتقل القصة بنا الى ان ترينا يوسف يستنجد بالسلطان سليمان القانونى (١٥٢٠ - ١٥٦٦) والغموض يجعلنا حقاً نتساءل عما كان ليوسف وقتها من مكانة، وهو يهودى تنصّر ثم صبأ عن النصرانية، هو وعمته او خالته، ترفع به الى حد مخاطبة سليمان القانونى، السلطان الذى كانت هيبته وقتئذ ملء اوروبا والشرق، ويستنجد به، وهو اليهودى الفار من البرتغال، المتنصّر، المرتد الى اليهودية فى البندقية المصادرة املاكه هناك، الخائف المذعور. سليمان القانونى سنة ١٥٢٩ ضرب اول حصار على فينا، فمن هو هذا اليهودى الذى يستنجد به فرد ضعيف؟ الجواب: هو يوسف، نعم، وهو على هذه الصفة التى ذكرنا، اما السر فى امره فظاهر فى البروتوكولات، اذ هذه البرتوكولات ليست آراء مرتجلة فى اواخر القرن الماضى، ارتجلها نحو ٣٠٠ قطب من اقطاب اليهود فى العالم. وانما هى الدستور الدائم لليهود من ايام نحميا وعزرا واستير ومردخاى. هذا الدستور هو هو فى كل دور، وعصر، لا يتغير وروحه واحدة لا تتبدل ما اهون على اليهود الذين فى رتبة «الحكماء» ان يصلوا الى كل بلاط فى العالم، فى الشرق والغرب، فى بلاط الفرس كما فى بلاد بنى عثمان. «الحكماء» قد أوتوا من الوسيلة الخادعة والطريقة المصنوعة الكاذبة، ما يمكنهم من ان يدقوا فى أى بلاط يريدون، وَتَداً بعد وتد، حتى يبلغوا القربى والزلفى من الجالس على العرش، ثم تبتدىء الحجارة تنهار حجراً بعد حجر.

ويبقى اليهودى على مكذوب الولاء، حتى اذا وقع قومه فى ضنك، أو يريدون تفريج ازمة آخذة منهم بالمخنق، أو يريدون الوصول الى غرض، طلبوا من صاحب العرش ان يقضى لهم مطالبهم، ويستعطفون فى البداية، ويتوسلون، ويبكون، فاذا لم ينزل صاحب العرش على مبتغاهم، تدحرج الى قعر الوادى. واذا لم يستمع الملك اليهم فى اثناء الحوار أو الضراعة، رموه بالمرأة والذهب، فان لم يفد هذا شيئاً، انقطعوا الى التدمير. وهذا مكرّر فى تاريخهم،

ويارز محسوس. وأسرار القصور عند اليهود أبجديات سهلة. والمفاتيح تارة من حديد وطوراً من ذهب.

* * *

ثم لا نستطيع ان نعلم كيف تمهدت السبل لغراسيا ويوسف حتى نراهما ينتقلان الى تركيا.

جل ما نعلم، ان سليمان القانونى كان عنده وتد يهودى لما كان يوسف وغراسيا يستنجدان به. هذا الوتد هو طبيب السلطان، يهودى اسمه موسى هامون. ولا نسمع بهذا الوتد الا الآن. ومن اتى به الى السلطان، وكيف كان اختياره ليكون الطبيب لابن عثمان؟ وكيف صدّق السلطان ولاءه؟ وموسى هذا، حادَثَ السلطان بشأن يوسف وغراسيا. غير أن موسى هامون، «الحكيم» بزى طبيب، ينبغى ان يكون مزوداً بالاشياء المهمة التى عليه ان يبسطها للسلطان ويقنعه بها. عليه ان يعلم من هم اصدقاء السلطان ومن هم اعداؤه. ماذا يحب السلطان وماذا يكره. وما يسره فى مباهجه الخاصة وما لا يودّ رؤيته او سماعه. ويظهر ان موسى بسط للسلطان ما فى جعبته بسطاً مستهوياً اخاذاً، وجذاباً:

١ - آل ناسى وجه اليهود فى العالم.

٢ - يوسف وغراسيا ليس لحكمتهما مثيل.

٣ - اذا انتقلا الى كنف السلطان فما وراء هذا إلا الخير.

٤ - المنافع التجارية والمالية.

٥ - يضعان كل كفايتهما تحت تصرف السلطان.

٦ - ممالك السلطان لا تغيب عنها الشمس، فلا تضيق بحفنة من اليهود، وفلسطين مقاطعة نائية كادت تكون مهجورة من قلة السكان فما أحوجها الى الإعمار ومضاعفة الأعشار.

٧ - لكن غراسيا ويوسف هما الآن فى السجن او الاعتقال فى البندقية، وليسا حرين واقفين على الحدود ليدخلا اذا سمح السلطان لهما بالدخول.

٨ - وهنا فى جعبة موسى هامون «تعليمات» الحكماء: فما زال هذا الموسى يفتل من سليمان فى الذروة والغارب حتى حمله على أن يرسل سفيراً من قبله الى البندقية فيطلب اطلاق سراح «المعتقلين» ورد املاكهما اليهما.

٩ - امام البندقية طريقان لا ثالث لهما: إما التلبية والاستجابة، وإما التعرض للحرب بعد قليل مع السلطان».

* * *

معلوماتنا هذه كلها من مصادر يهودية مما يتعلق بالوقائع، ولا مصادر غيرها حتى الآن. فعلينا ان نلاحظ ونعتبر. وأهم ما نلاحظه انه انقضت سنتان اثنتان قبل أن تنجح المفاوضات. فتمطّت وكان لتمطيها سبب، ولا ندريه وبعد سنتين جاءت غراسيا وحدها الى السلطان، وكيف تمّ ذلك؟ لا ندرى. وبعد سنة أتى يوسف، سنة ١٥٥٣، وكان قد انقضى على سليمان ٣٣ سنة خاقان الخواقين، وسيد المشرقين والمغربين؛ ويتضح من الحوادث ان غراسيا ويوسف كانا باقيين فى الظاهر على النصرانية ما داما فى البندقية. فلما استقرّا فى حمى السلطان، ارتدا الى اليهودية،وكان يوسف متخذاً اسماً آخر، فعاد الآن الى اسمه الحقيقى يوسف هاناسى (الهاء أل التعريف)وتخلى عن اسمه المسيحى، وتزوج الفتاة الفاتنة الحسناء «رينا» التى كان أمرها بيد غراسيا. ومن هى هذه الخلابة رينا؟ لا ندرى. ولما جاء يوسف من البندقية كان يحمل فى جيبه وصاة، ممن؟ لا ندرى! أمن البندقية؟ ليس هذا معقولاً. فقرّ به السلطان ووثق به. ثم نلاحظ ان الستار اخذ يسدل شيئاً فشيئاً على غراسيا. والقارىء أعقل من أن يظن ان غراسيا فى هذا التوارى، والاحتجاب، قد ضعفت سلطتها. كلا. «الحكمة» تقضى عليها بذلك، لكى تستطيع تمثيل الادوار كلها من وراء الستار.

* * *

هنا درس وعبرة:

لابد أن القارىء قد لاحظ موسى هامون وهو يحسّن للسلطان أمر يوسف وغراسيا، وهما سجينان فى البندقية، من جهة المنافع التى تحصل عليها الدولة العثمانية من وجودهما فى حمى السلطان، إذا أَذِنَ لهما بالمجىء والاقامة فى دولة بنى عثمان، بعد ان طوّفا فى أوروبا، وعرفا ما عرفا من دخائل امورها، فى جيوشها وقصورها «ومحاصيلها، واساطيلها وما بين الملوك من سرّاء وضراء ومطامع ومطامح، وظلّ السلطان هو المرهوب!

* * *

لما قام هرتزل سنة ١٨٩٧ بمخططه الجديد بعد المؤتمر الصهيونى العالمى الاول، يطلب ان يعطى فلسطين ليكون لبنى قومه فيها دولة، بعد شتات ١٩ قرناً، أخذ هرتزل يتقرب من ثلاث دول، الواحدة بعد الاخرى:

فأولاً، تقرب من عبد الحميد، وعرض عليه المغريات كلها، والتى هى من المفروض ان تجعل عبد الحميد يرقص بها طرباً:

١ - انشاء جامعة علمية فى القدس تغنى الشباب التركى عن الذهاب الى أوربا للتحصيل العالى، فيكون التحصيل هنا فى جامعة القدس «عثمانيا» لحمته وسداه الولاء للسلطان. وبهذا تجف مادة «الأحرار» الشاربين والذين يشربون من مياه «مدحت» وتخنق شعارات «الحرية».

٢ - الصهيونية تجعل سياستها الخارجية تسير على المخطط الذى يرتضيه السلطان بوجه عام.

٣ - تساعد الصهيونية الخزانة العثمانية فى بناء اسطول وتجديد اسطول وتقوية السلاح الحربى.

٤ - تكون الصهيونية فى فلسطين درعاً للسلطان، اذا ناوأه يوما العرب وطلبوا منه ما فيه ازعاج له.

٥ - تقوم الصهيونية بمساعدة السلطان فى قضاياه الدولية، مع الدول الكبار.

هذا ما تناقلته المصادر من ضروب مغريات هرتزل المعروضة على عبد الحميد قبل اليوم (يوم تأليف هذا الكتاب) بسبعين سنة.

* * *

فلما فشل هرتزل فى هذا انقلب الى بريطانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:

١ - تكون «الصهيونية» شرقى ترعة السويس، فى فلسطين، قاعدة لحماية الترعة فى أى وقت.

٢ - نشر التجارة البريطانية فى الشرق.

٣ - والثقافة الانكليزية أيضاً.

فلما فشل هرتزل فى هذا انقلب الى المانيا وجعل معروضاته المغرية هكذا:

١ - مصالح المانيا والمصالح الصهيونية يمكن أن تكون فى اتجاه واحد.

٢ - اذا كانت المانيا بحاجة الى قاعدة مقابل ترعة السويس، ففلسطين بيد الصهيونية هى هذه القاعدة.

٣ - نشر التجارة الالمانية على أوسع نطاق ممكن.

٤ - اما الثقافة الالمانية، افليس ان الالمانية وقد كانت اللغة المعتمدة فى المؤتمرات الصهيونية، هى الدليل على ان الصهيونية تنشر هذا فى العالم الشرقى نشراً تقصر عنه ثقافات أخرى؟

٥ - وهذه المساعدة من المانيا للصهيونية تجعل المانيا نائلة قصب السبق في الانسانية الراقية.

ولما جاء نابليون مصر قبل اليوم بنحو ١٦٩ سنة، وخال اليهود انه قاطع على الانكليز طريق الهند، ولاح لهم ان الرجل سيقلب تاريخ الشرق، عرضوا عليه، اذا اعطاهم فلسطين، فهم يقدمون:

١ - أى تعويض مالى يريده نابليون.

٢ - اليهود يحصرون التجارة التى بينهم وبين الهند، بينهم وبين التجار الفرنسيين فقط.

فلم يتم وقتها شيء من تحقيق احلام نابليون ولا احلام اليهود.

فانظر كيف يدورون مع كل دولة المدار الذى يماشى مصالحها ولو كان ذلك على النقيض مما عرضوه على الأخرى فى الوقت نفسه.

* * *

نعود الى غراسيا ويوسف.

وما كاد يوسف يحط رحاله على ضفاف البوسفور، «اسلامبول» حتى اعلن ارتداده الى اليهودية، وهنا «اليهودية» انفع لسليمان من «المسيحية» ولا حاجة بيوسف الى ان «يسلم». لكن هرتزل لما كان يفاوض عبد الحميد، قال له مما قال: «ان اليهود حلفاء طبيعيون للمسلمين ضد النصارى». ويقال ان هرتزل جعل هذه «العاطفة» تقدم الى السلطان فى آخر سلاسل الحوار.

بين قصة يوسف منده مع سليمان، وقصة هرتزل مع عبد الحميد ٣٤٤سنة.

* * *

وما نوجزه الآن بعضه من المصادر اليهودية وبعضه الآخر من دائرة المعارف البريطانية:

لما وقع النزاع على العرش العثمانى بين ابنى سليمان، سليم وبايزيد، وسليم فى ولاية كوتاهية، وبايزيد اصغر من اخيه وألمع، تبنى يوسف منده قضية السلطان من البداية، ونجح فى ان اكتسب عطف السلطان وثقته فى دفقات غزيرة، لا رشفات. وجنح الى سليم. و لما وقعت المعركة العنيفة الحاسمة فى قونيه، هزم بايزيد وفرّ إلى بلاد العجم (ايران) وهناك اغتيل مع ابنائه الاربعة، فكافأ سليم، مستشاره الحكيم يوسف بأن جعله فى الحرس السلطانى، هذا ماتقوله المصادر اليهودية، فى اخطر «لعبة» يهودية فى بلاد سليمان القانونى، والقارىء مهما يكن يقظاً قد تخدعه الروايات اليهودية، وهذا الذى ذكرناه من امر مكافأة يوسف وارد فى دائرة المعارف اليهودية وكتب يهودية اخرى. وقد يحسب القارىء ان هذه المكافأة ليس وراءها شىء، فعادة الملوك والسلاطين والامراء ان يمنحوا الجوائز والمكافأت، وقد علا يوسف منده فى اخلاصه وولائه لسليمان وسليم، افلا يكافأ؟ بلى، ولماذا لا، لكن علينا ان ننتظر ما فى الغيب، فقد يكون هناك ماهو ادهش مالا يزال تحت الغطاء، لان الحوادث المخططة انما العبرة بنتائجها،والنتائج، لا تقع إلا باوقاتها، ولا عبرة إن طال الوقت بين مرحلة واخرى، او حلقه واخرى من حلقات السلسلة. وكم من مكايد يهودية فى القصور دفنت ولم تزل حيث هى لم يفتح تابوتها بعد، ولم يعلم الناس عنها شيئاً، فعلينا الآن إن نسأل: امكن ان نعلم شيئاً من صحة قول نابليون الذى قاله بعد هذا التاريخ بأكثر من قرنين من الزمن: «فتش عن المرأة»، ولو كانت البروتوكولات ظهرت فى حياته لقال «فتش عن المرأة اليهودية» أو اقرأ البروتوكولات اذ نابليون نفسه انقلب عليه اليهود بالتالى وكانوا اكبر عامل خفى فى هزيمته النهائية فى

معركة «واترلو» في بلجيكا سنة ١٨١٥، وفي البروتوكولات تبجح يهودي بأن مهندسي الثورة هم يهود، والثورة الفرنسية كانت عواملها الخفية بيد الجمعيات اليهودية السرية، وكان مركز هذه الجمعيات في المانيا.

* * *

توفي سليمان القانوني في ٥ سبتمبر (ايلول) ١٥٦٦ فكانت مدته ٤٦ سنة، وهذه من المدد الطوال لبعض سلاطين بني عثمان. ويكون يوسف منده قد عاش لا أقل من ١٣ سنة الى جانب سليمان القانوني، وما هذه المدة بالقليلة حقاً!

قلنا انه بعد ان ظفر سليم باخيه بايزيد في كوتاهية، قام سليمان وسليم بان جعلا يوسف في الحرس السلطاني، وهذه هي الرواية اليهودية، لكن المكافأة كانت اعظم من هذا واضخم: كانت كاشفة عن مآرب يوسف منده في فلسطين وتكمل الرواية اليهودية خبر المكافأة فتقول بعد ذلك مباشرة ان السلطان سليمان اعطى يوسف طبريا مع سبع قرى مجاورة، وملكه كل هذا الاقليم ليستغله يوسف ويستعمره ويستثمره لمصلحة اليهود. ثم تقف الرواية اليهودية عند هذا الحد، وتنتقل فوراً لتخبرنا ماذا صنع يوسف في طبريا، في مشروعه لنقل اليهود المطرودين من اسبانيا الى فلسطين عن طريق ايطاليا، واين افلح واين فشل، واسباب ذلك، ثم تظل الرواية اليهودية ماضية باخبارها عنه حتى نهاية حياته، مسدلة الستار عما تريد ستره او تخفيته.

أما استيفاء بقية اخبار يوسف من الرواية اليهودية فضروري، لكننا قبل ذلك نوجز من المصادر غير اليهودية ما نستطيع العثور عليه ومعظمه من حوادث سليمان وابنه سليم.

ذكرت دائرة المعارف البريطانية ان السلطان سليمان لانه كان وحيداً كان في عافية من فتن التنافس على العرش، وبدأ عهده باطلاق سراح الاسرى، واعادة الاموال المصادرة الى اربابها التجار الذين كانوا يتاجرون مع ايران ايام ابيه. لكن سليمان لطخ سيرته بقتله ولديه. اما ما يتعلق بمقتل الاكبر، مصطفى، فالسبب استقواء نفوذ السلطانة «خرّم» زوجة سليمان المشهورة وهي المعروفة في التاريخ الاوروبي باسم «روكسلانة»، حتي لاتدفع لولديها منافساً، وفي عهد روكسلانه بدأ ان يكون للنساء تدخل ونفوذ في شؤون الدولة. ويقال انه كان لروكسلانة يد في مقتل الصدر ابراهيم باشا حتى ينتقل النفوذ الى صهرها رستم باشا.

وذكرت «موسوعة تاريخ العالم» ان السنوات الاخيرة من حياة سليمان كانت مرّة بسبب المشاحنات العائلية ونصب المكايد، فقامت زوجته روكسلانة[1] وصهرها الصدر الاعظم

---

(١) دائرة المعارف البريطانية تقول ان روكسلانة من سبي روسي، ويحتمل ان تكون ابنة قسيس، وتقول الموسوعة لعلها من سبي روسي ايضاً. لكن الصحيح انها ابنة قسيس روسي ام انها من اصل يهودي؟ وهي تشبه استير في بلاد احشويروش الفارسي في تمثيل ادوارها في البلاط العثماني، ويوسف ناسي هو مردخاي، لكن هنا لا هامان العربي العمالقي، الذي دبر مجو اليهود فلقي الفشل.

(رئيس الوزراء) رستم باشا، بتسميم افكاره من جهة ولده مصطفى فقتله سنة ١٥٥٣ ثم شجر الخلاف بين ابنى روكسلانة، سليم وبايزيد، فقام بايزيد بالسلاح سنة ١٥٥٩ وطلب الامر لنفسه، لكنه هزم فى قونية وفر إلى ايران فاغتيل هناك كما سبق ذكر هذا فى الصفحات القريبة، والذى قام بالاغتيال اعطاه سليمان جائزة مالية، ثم اخذت الازمات تستشرى فى السلطنة، وهى أعظم امبراطورية فى اوروبا، وبلغت الذروة فلاحاً وتقدماً، فلما مات سليمان كانت مملكته قد اصبحت معرضة للهجوم عليها من الدول الاوروبية واستلابها املاكها، وما حال دون هذا إلا انغماس تلك الدول فى النزاع السلالى والخلاف الدينى المسيحى.

هذا ما تقوله «موسوعة تاريخ العالم». ثم تمضى فتقول ايضا:

«اما السلطان سليم الثانى (١٥٦٦ - ١٥٧٤) فكان ذكياً ألمعيا لكنه مفرط فى تعاطى الخمرة. وانتاشه نفوذان يتجاذبانه: الاول الصدر الاعظم محمد صوقوللى (١٥٦٠ - ١٥٧٩) واتجاهه استمرار توطيد السلم مع البندقية، واستمرار الحرب مع اسبانيا (وكان انعقد صلح بين سليم ومكسيميليان سنة ١٥٦٨) والجاذب الآخر هو يوسف ناسى (وصار يقال له فى الموسوعة «الدوق» ويظهر ان لقب ناسى لعبريته اندمج بالاسم يوسف اندماجاً لا يتبين معه ان «ناسى» لقب لا اسم علم) زعيم اليهود المطرودين من اسبانيا وايطاليا والمقيمين اليوم فى الآستانة وسلانيك وآدرنة وغيرها من المدن العثمانية ويعدون بعشرات الألوف[١].

* * *

وتمضى الموسوعة فتقول: «اما دوق نكسوس (نكسوس اسم احدى الجزر) فقد جاء الآستانة سنة ١٥٥٣ وموّل سليماً فى حروبه مع اخيه بايزيد، ومقابل هذا، فان سليماً اغرى سليمان اباه بأن يهبه الاقليم المحيط ببحيرة طبريا، حيث كان يوسف يدير هناك مشروعاً لاسكان اليهود المطرودين من ايطاليا فى تلك النواحى، وفى سنة ١٥٦٦ منحه سليم لقب حاكم نكسوس والجزائر الاخرى فى بحر ايجه، وكان ناسى يحمل عداوة شديدة لفرنسا والبندقية لاسباب شخصية. (لا نعتقد ان الاسباب شخصية بل تتعلق بمصالح اليهود) «فالموسوعة التاريخية» تصرح بأن يوسف قد موّل سليماً، فهذا سكتت عنه المصادر اليهودية.

وسنة ١٥٧٠ حرّض يوسف، او دوق نكسوس، السلطان على ان يحارب البندقية اثر رفضها ان تتخلى عن قبرص، وقبرص كان ناسى يريدها لنفسه، فبعد ان تهزم البندقية وتؤخذ منها قبرص، يضع يده هو على الجزيرة، ويتخذها ملاذاً وملجأ لاخوانه المطرودين من اسبانيا، واجّجت نار الحرب فعلا، وحالفت اسبانيا البندقية فى غزواتها البحرية ولكن التحالف لم يكن

---

(١) راجع «رحلة بنيامين» لعزرا الحداد: مادة سلانيك، والقسطنطينية، حيث تجد تفصيلاً لوجود اليهود الواسع فى هذه الأماكن بعد الطرد من اسبانيا.

محصف العقدة، فكانت حركته جد بطيئة، وما وصلت الأساطيل الى قبرص الا متأخرة، وفى السنة التالية ١٥٧٨ نجح البابا بيوس الخامس من شن حرب صليبية على الاتراك بقيادة دون جوان النمسا، ولم يستطع الاتراك أخذ «فماغوستا» الا بعد حصار استمر ١١ شهراً وهجوم عنيف تكرر ست مرات، وبعد نحو شهرين، احتشد الاساطيل المتحدة، مقابل اساطيل الاتراك بقيادة عالى باشا، فدارت الدائرة على الاتراك وكانت هذه الموقعة البحرية اشد موقعة بعد موقعة «اكتيوم» (قبل الآن بنحو ١٦ قرناً) فترنحت أوروبا طرباً لكنه كان طرباً عابراً، اذ سرعان ما عاد التنافس بين الاسبان والبنادقة اشد منه سابقاً، غير ان الاتراك استطاعوا بسرعة فائقة ان يبنوا اسطولاً جديداً، وبقيت قبرص بيد الترك حتى ١٨٧٨ اى نحو ٣٠٠ سنة حتى قدّمها عبدالحميد شبه هدية الى بريطانيا فى يونيو من تلك السنة. ألا ترى يوسف ناسى يروح ويغدو وراء كل هذا لكى يصل إلى قبرص، ثم فلسطين؟

بعد هذه المدة بقليل اختفى يوسف ناسى فى الظاهر، لكن بقيت شباكه تلقى واصابعه تلعب، وتوفى السلطان سليم سنة ١٥٧٤ ثم جاء السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥) فانعقد الصلح بين تركيا واسبانيا، وفى ايام السلطان مراد دخلت المملكة فى دور التقلص والجزر. وصار السلاطين وراء مشتهياتهم، وفسدت الاحكام، والامر بيد وزراء ينهش بعضهم بعضاً، ثم ظهر دور الطغمات المتحكمة ولاسيما من اليهود واليونان، واستقرت الانكشارية، والنساء بطانة كل مكيدة، وكان صوقللى حصيفاً مصلحاً، ووقف فى وجه يوسف ناسى، غير ان السلطان مراداً أعرض عن نصائح صوقللى، فدبّت الفوضى، وبعد قليل اغتيل صوقللى، واتهم السلطان بمقتله، لكن اصابع طغمة ويوسف ناسى بارزة مرئية، وآخر ما نذكره من اعمال اليهود قبل العودة إلى تكملة سيرة يوسف ناسى، هو هذا: بينما الفوضى عامة والفساد ضارب اطنابه، والناس فى مخاوف، ظهر بطريقة مريبة نَقْدٌ سمى «بالنقد اليهودى» أو «العملة اليهودية» فاشتبه الناس بذلك فرفضوا التعامل بذلك النقد، وكان الانكشارية اول من رفض ذلك، وكانت بعد ذلك فتن صماء، واستمرت الحال على هذا المنوال الى سنة ١٥٩٣ وكان يوسف ناسى وراء احبولة ذلك النقد. ولنعد الى مساق الكلام على هذا الرجل «الحكيم» من «حكماء صهيون».

* * *

وقفنا فى الاخذ من المصادر اليهودية عند منحه طبريا وجوارها من السلطان ونعلم بعد ذلك من هذه المصادر ان يوسف أوفد الى طبريا رجلاً اسمه يوسف أضرات يثق به ويعتمد عليه، مزوداً بفرمان سلطانى، ومحملاً المقادير الكبيرة من المال، ومعظم هذا المال من ثروة غراسيا - (غراسيا! من قبل عدة مراحل، ما عدنا سمعنا بها الا الآن فاين كانت؟ كانت وراء

الستار) - ومهمة ابن اضرات أن يحدد سور المدينة، طبرية[1] ولما شرع فى ذلك، انبرى لمقاومته - وهنا ننقل الكلام حرفياً: «العمال العرب الذين حركهم الحسد من ناحية، والتحريض من احد المشايخ الكبار من ناحية اخرى، لكن ابن اضرات تمكن بالتالى من اتمام العمل بمساعدة والى دمشق. وفى اثناء الحفر عثر على سلالم درج من حجر، يؤدى إلى كنيسة بناؤها من عقود، وفى الكنيسة مقادير كبيرة من تماثيل رخام وثلاثة اجراس يرجع تاريخها الى الملوك الصليبيين فى القدس، فسبكت هذه الأجراس مدافع. ولكى يرقى يوسف الصناعات فى فلسطين فقد قام بادخال زراعة التوت لجنى الحرير واستجلب النسيج والقماش من البندقية. واصدر منشوراً الى اليهود يخبرهم ان كل مضطهد منهم بيده صنعة او له ميل لتعاطى الزراعة، بوسعه الآن ان ينتقل الى فلسطين ويقيم فيها. . فانتقل اليهود الذين كانوا قد لاقوا العذاب فى عهد البابا بولس الرابع (١٥٥٥ - ٥٩) فى البندقية وجاءوا طبرية فى سفن يملكها يوسف ناسى.

ثم تمضى هذه المصادر بوصف التدابير المتعلقة بنقل المطرودين الى طبريا حتى تقول ان البابا بيوس الخامس (١٥٦٦ - ١٥٧٢) اصدر مرسوماً هو المرسوم المشهور (١٥٦٩/٢/٢٦) يقضى بطرد اليهود من الممالك البابوية، وحتى تقول ايضاً ان السفينة كانت تقل اكثر من مطرود اصطادها قراصنة مالطة وباعوا من فيها من اليهود بيع الرقيق.

* * *

ولما تسنم سليم العرش ١٥٦٦ بعد وفاة ابيه، وكان سليم يحب اللهو، ولنلاحظ هذا، وصل نفوذ يوسف ناسى الذروة، ولما عاد سليم من بلغراد، منح يوسف الولاية على جزيرة نكسوس مع عدة جزر اخرى فى بحر ايجه، فتولى يوسف الحكم على هذه المجموعة بواسطة وكيل له مسيحى اسبانى اسمه فرنسيسكو كوروناو، وانما اختار وكيله مسيحياً لكى يخول هذا المسيحى دون وقوع النزاع بين يوسف واهل الجزر[2] اليونان. وراح يتحبب إلى السكان اليونان بتخفيف الضرائب عنهم، فما رتب عليهم للخزانة السلطانية اكثر من ١٤ الف دوكة سنوياً

(١) طبرية يقدسها اليهود لا لعلة دينية فى الاصل، بل لانها أصبحت بعد خراب القدس والهيكل مقر السنهدرين من القرن الثانى إلى الرابع وقرب الخامس بعد الميلاد. وطبرية احدى المدن الاربع فى فلسطين يقدسها اليهود وهى القدس والخليل وطبرية وصفد، بانى طبرية الملك هيرودس انتيبا سليل هيرودس الادومى النصف عربى سنة ١٦ ميلادية تكريماً للقيصر طيباريوس وفى «حطين» قرب طبرية، انتصر صلاح الدين على الصليبيين انتصاره الكبير المدهش.

(٢) قلنا: هذا كلام للتغطية، والامر ظاهر، فان كراهة اهل الجزر ليوسف، وليس من الغرابة هذه الكراهة، أخافته مع ماهو عليه من اللياذ بكنف السلطان، فحرصاً منه على حياته ومصالحه ومصالح قومه اليهود، جعل الحكم عن طريق وكيله المسيحى. اذ متى كان اليهودى ويهودى مثل يوسف ناسى يؤثر مسيحياً على يهودى؟

(الدوكة عملة كانت شائعة فى معظم اوربا فاذا كانت من ذهب ساوت نصف جنيه وان كانت من فضة ساوت ثلث الذهب تقريباً) ومنحه السلطان ما يجبى من رسوم الخمور المستوردة من البحر الاسود.

وتقول الرواية اليهودية، انه مع الحسد والمكايد من الصدر الاعظم محمد صوقللى، فقد كان نفوذ يوسف عند السلطان سليم من الضخامة بحيث كانت اليه المراجعات من ممثلى الدول الاوربية، فيرون احياناً ان يوسطوه فى قضاء مصالحهم لدى السلطان. ولما رغب مكسيميليان امبراطور المانيا فى عقد الصلح مع السلطان (١٥٦٧) لم يغفل عن اصدار الامر الى سفيره بأن يقدم هدايا إلى يوسف كما يقدم إلى غيره من اركان الدولة. لكن السفير لم يفعل هذا بل اقترض من يوسف مالاً وفى سنة ١٥٧١ أرسل إليه الامبراطور كتاب شكر بخط يده.

* * *

وفى سنة ١٥٦٦ شجع يوسف مجلس البروتستنت فى انفرس ليقاوموا الملك الكاثوليكى فى اسبانيا، وظهر لهم عداوة السلطان سليم له. فأرسل وليم اورانج (١٥٦٩) رسولاً سرياً الى يوسف يعلمه ان قيام اهل البلاد الواطئة بالثورة على ملك اسبانيا ينبغى ان يقرن بحرب من السلطان يشنها على اسبانيا، حتى تضطر اسبانيا الى سحب جيوشها من البلاد، وجرت بين يوسف «وسجسموند اوغست» الثانى ملك بولونيا مراسلات ودية حارة، واقترض الملك منه مبالغ كبيرة سنة ١٥٧٠ فكافأه على ذلك بمنحه امتيازات تجارية واسعة، رغم أن مجلس مدينة لمبرغ احتج على منح تلك الامتيازات.

* * *

وفى أول ايلول ١٥٦٩ شبت حرائق شديدة فى البندقية، فألح يوسف على السلطان باحتلال قبرص وفتحها. ودخل سليم فى حرب مع البنادقة وسلبهم قبرص سنة ١٥٧١. وهناك رواية ان سليم وهو يوماً غارق فى سكره وملذاته، وعد يوسف بلقب ملك قبرص، فعلّق يوسف شعار السلاح الملكى فى بيته ونقش اسمه فيه. ومهما يكن من أمر فان سليماً لم ينفذ وعده.

* * *

وفى سنة ١٥٦٩ ايضاً منح السلطان يوسف حق مصادرة جميع السفن الفرنسية الماخرة فى المياه العثمانية، وحق ارتهانها، حتى يستوفى (يوسف) ما له من دين على فرنسا وهو ١٥٠ الف سكودى (السكودى عملة ايطالية قديمة تساوى نحو اربعة شلنات) وكانت فرنسا تماطل فى الوفاء، فضبط يوسف السفن فى الاسكندرية وباع وسقها بسداد دينه، هذا رغم احتجاج السفير الفرنسى الى السلطان. وحاولت فرنسا الانتقام استرداداً لشرفها فَرَشَتْ رجلاً يهودياً حقيراً اسمه داود لكى يتهم يوسف بالخيانة العظمى، ولما اطلع ناسى على هذه المكيدة أقنع

السلطان بصحة ولائه له، فنفى داود ومن يناصره الى رودس وطلب يوسف من الحاخامين أن يرموا داود ورفقته بالحرم الدينى فحرموه.

* * *

ولما توفى السلطان سليم (١٢ كانون الاول ١٥٧٤) فقدَ يوسف نفوذه السياسى مع انه قد استبقى فى ديوانه وهو باقٍ على مرتباته، وقضى بقية حياته فى عزلة فى قصره فى بلفردى، ومات بلا عقب، فاستولى السلطان مراد على تركته باغراء محمد صوقالى. ورثاه الشاعر سعديا «اليهودى التلمودى» وألف أحدهم كتاباً فى ذكراه.

وكان يوسف ناسى سنداً وعضداً لعلماء التلمود الذين فى الاستانة وهم تابعون لمعهد اسمه «يوسف بن لب» نزولاً عند رغبة غراسيا. وكان ليوسف مكتبة فى بيته، وأباح للجمهور الاستفادة من كتبها المخطوطة، وأسس مطبعة يهودية فى الاستانة فعاشت زمناً قصيراً. ويقال انه نتيجة لما كان يقع فى قصره من المناقشات والمحاورات، فقد حماه ذلك على أن يضع كتاباً منطوياً على علم الكلام اليهودى أثبت فيه ان التوراة أصح من الفلسفة اليونانية. وكأنه أراد بهذا السير فى ظلال فلسفة فيلو اليهودى الفيلسوف الذى كان فى الاسكندرية وكانت له آراء فى أن اليهود الموزعين فى شرقى البحر المتوسط (المملكة الرومانية) اوطانهم انما هى البلدان التى يقيمون فيها ويعتاشون، وأما بيت المقدس فهو مركزهم الروحى لا أكثر. أما يوسف منده وحكماء صهيون فيريدون تطبيق مخطط يهودى عالمى مركزه فلسطين، وانما أراد ابن منده بتزييف هذا الكتاب الاعلاء من شأن التوراة

* * *

ولا نحسب ان القارىء يحتاج الى مزيد اكثر مما تقدم ليستخرج من سيرة يوسف منده هذه نموذجاً واسعاً من العقل الاحتيالى اليهودى الجبار، وفى كل جزء من هذه التفاصيل الغزيرة، موضع عبرة ودرس. هذه قوافل «حكماء صهيون» ! عنصر المكيدة، والأنانية، واحدٌ من عهد استير الى عهد غراسيا وما بعد زهو اللعب بالسلاطين، وشهوات النفوس فن احتكره اليهود. وفى النهاية بوسعنا ان نضع يوسف منده فى هذا الاطار:

١ - هو صورة من روح التلمود، وتعاليمه الخفية.

٢ - يرينا انه يعمل بدأب وراء غاية ولا يتراجع عنها، ويظل مرصداً لها الحيلة، والعقل، والمال، والجمال والمرأة، حتى يظفر بمراده.

٣ - انظر ! فان رئيس الوزراء محمد صوقالى كان يتعب بسببه.

٤ - «السنهدرين» الذى تكلمنا عنه، لم ينقطع وجوده فى الخفاء، فيوسف منده لا ريب

ينبـغى أن يكون هو رأس السنهـدرين فـى زمنه. ولقب ناسى لـم يعط إلا لـرؤسـاء السنهـدرين وبعض كبار الاحبار كما قلنا، لا غير.

٥ - انظر كيف كان يتـلاعب بالسلطـان ومشتـهيـاته، وفد مـوّل السلطان فى حـربه مع أخيه. ومن اغتال بايزيد فى إيران؟

٦ - «حكمـاء صـهيـون» اليـوم هم فـى العـالم السنهـدرين المتسلط على الاجهـزة الخـفيـة نعلمهم من أعمالهم ومخططهم.

٧ - قـوة «اسـرائيـل» فى الجـزء المحـتل فى فلسطين مـسـتـمـدة من نبـعين: الأول الكيـان الدولى البـاطل الظاهر، مـستـوية فيـه مع سـائر الـدول مثيـلاتهـا فـى الحجم والوزن. والثـانى الأجهـزة اليهودية العـالمية الخفيـة وهذا هو السر الأول والاكبر. وفى الأمـة العربيـة كامن القوة فى آسيا وافـريقيا، ما هو كفيل بأن يجعل العالم يشهد على ايدى العـرب تعطيل الآلة اليهودية، المجرمـة المخـربة، ظاهرهـا وخفيّهـا، فى المسـتقبل المطل على العـرب بـآيات جديدة. يتـحـرك التاريخ، ولا يحركه فى الشرق إلا العرب.

١٤ - موسى مونتفيورى
١٧٨٤ - ١٨٨٤

في سطور قليلة اولاً:

* بين سور المدينة، بيت القدس، ومحطة سكة الحديد للجنوب من المدينة تسير الطريق العامة الى بلدة خليل الرحمن.

* هنا عند السور ساحة من ساحات المدينة تسمى «باب الخليل».

* فى الطريق الى محطة سكة الحديد، وتبتدىء من ساحة باب الخليل، بناية قديمة مستطيلة ساذجة لايواء فقراء اليهود. هذه البناية انشأها موسى مونتفيورى فى الربع الاخير من القرن قبل الماضى.

* عاش هذا الرجل من «حكماء صهيون» مئة سنة.

* كان غنياً كبيراً، وبعد الاربعين من عمره، انقطع عن جمع المال وعكف على احياء اليهودية فى فلسطين.

* لاحت له الفرصة ان يحقق مشروعه، لما كان ابراهيم بن محمد على فى الشام مدة نحو ٩ سنوات آخرها ١٨٤٠ وقصته تشبه قصة يوسف منده.

* كان مشروع مونتفيورى ان يستأجر من محمد على ١٠٠ - ٢٠٠ قرية فى شمالى فلسطين، صفد وطبرية وما اليهما، لمدة ٩٠ سنة على أن يدفع الاعشار المقررة كل سنة سلفاً دفعة واحدة وبزيادة ١٠ - ٢٠ بالمئة على معدل تخمين الاعشار وقتئذ. فوافق محمد على. وما منع تنفيذ المشروع سوى: حادث اليهود فى الشام من خطف الاب توما الكبوشى وخطف خادمه واستنزاف دمهما وهو حادث هزّ العالم، وانسحاب ابراهيم من الشام.

* لمونتفيورى قصة مع «دوق كنت» والد الملكة فكتوريا تتعلق بوراثة العرش البريطانى وهى قصة مكر يهودى عظيم.

* لما حكم على اليهود الجناة فى قضية الاب توما، وهم نحو (١٠) والحكم بالاعدام، استغلّ مونتفيورى الصلة التى له مع القصر، وحصل سنة ١٨٤٠ على رسالة شفاعة من الملكة فكتوريا الى محمد على. هذه الرسالة مع المال، اطلقا سراح الجناة. وهذه التوصية من فكتوريا مكافأة له على ما سبق له صنعه مع والدها على ما نرى الآن.

* سيرة مونتفيورى سيرة احد «حكماء صهيون».

ولد مونتفيورى فى ايطاليا سنة ١٧٨٤ وعاش مئة سنة ومات فى لندن سنة ١٨٨٤. ويؤخذ من سيرته ان عمه كفله ورباه، كما كفل مردخاى استير والقصة بين ما صنع مردخاى واستير، وما صنع مونتفيورى متشابهة، لكن هنا لا يدخل مخطط محو اليهود على يد هامان العماليقى العربى، بل اليهود أراد مونتفيورى ان يجمعهم فى فلسطين.

لما شب عن الطوق، نقله عمه الى لندن، ووضعه فى اعمال مصرفية على غرار ما صنع يوسف منده وعمته الفاتنة غراسيا، او استير المستترة فى بلاط سليمان القانونى، وابنه سليم. وضعه عمه فى اعمال مصرفية، وهذه الاعمال من ادق الاساليب عند «حكماء صهيون» للتخريج والتدريب، وانما جعل عليه رقابته الدقيقة، ويمده بالارشاد والملاحظات. وتولى مناصب مالية دقيقة فى خزانة البلاط البريطانى، وكانت مهنة الصيرفة العالمية الطراز فى لندن محصورة فى عدد قليل قد لا يزيد عددهم على اثنى عشر صرّافاً كبيراً، وهذه المهنة تحتاج الى رخصة عالية، فحصل مونتفيورى على هذا كله. وهذه الرخصة تمهّد الطريق للاتصال بالقصر.

ولما بلغ موسى مونتفيورى حدود الاربعين، اى حوالى ١٨٢٤ كان قد اسطاع ان يجمع ثروة طائلة. وهنا، فانه بدلاً من اطّراده فى العمل المصرفى، استزادةً للمال، كما هو المألوف المتوقع فى الطبع اليهودى، انقطع عن ذلك وفطم جشعه فى الظاهر، وختم على اكياسه، لكن لا عن تحوّل فى الفريزة، بل استجابة لواجب اليهودية.

وقصته تبتدىء وتنتهى رائعة. جبروتها فى قوتها الخفية. فكان مونتفيورى صيّاد ملوك كيوسف منده وامثاله، ممن نقدم نماذج من تراجمهم الموجزة فى هذا الكتاب. ونقطة البيكار اصطياد الملوك، وهم او عروشهم فى المآزق الحرجة. والعقدة فى جمع ما يمكن جمعه من اخبار «حكماء صهيون» فى تراجمهم، انهم، عمداً منهم فى القديم والحديث من الزمن، يخفون مخططهم، فتخفى على العالم الخارجى اخبارهم، ولا يذيعون منها الا ما يريدون هم، وعلى الصورة التى يؤثرون، فتدخل الزيادة ويدخل التشويه، والاختلاق، والتخفية. هذا يوسف مندة، المثل الذى مررنا به، وهذا مونتفيورى وسيأتى دزرائيلى وامثالهما العشرات، بل كل «حكماء صهيون». غير ان المقدار الذى يحصل عليه العالم الخارجى من اخبار «الحكماء»، فى أى بلد كان، كاف للدلالة على القضاياالمبحوث فيها. والامور الباطنية المستورة عند اليهود لا استقصاء لها ولا نهاية، على كل حال، والوصول اليها من الالف الى الياء، مستحيل فى نظرنا.

* * *

وهذا مصدر يهودى فيه قبصة من المعلومات تتعلق بمونتفيورى، فنقرأ، ونزن،ونتأمل. ومن هو هذا المصدر، الى جانب ما عندنا من اخبار مونتفيورى، واسم مونتفيورى فى القدس

معروف؟ هو كتاب «يقظة العالم اليهودى» ليهودى من مصر اسمه «ايلى ليفى ابو عسل» وايلى هو «ايليا» وليفى هو «لاوى» وابو عسل برهن علي انه زقّوم وغسلين. كما سترى الآن هذا الكتاب ظهر فى مصر سنة ١٩٣٤ فى طبعته الاولى (وطبع بمطبعة «النظام» واطلع عليه كثير من العرب)ومما قال مؤلفه فى المقدمة: «وانى أشعر بشىء فيه كثير من الغبطة لبلوغى هذه الامنية، أى لكشفى النقاب عن حقائق كانت فى ظلمات التاريخ، فظهرت فى وضح الضحى سافرة الوجه يراها ويتمعنها كل من له إلمام باللغة العربية اية كانت عقيدته».

والكتاب في نحو ٣١٥ صفحة، مرماه وغايته الاشادة بذكر اليهودية والصهيونية والاشادة بسير الوطن القومى فى فلسطين وايجاز تراجم عدد كبير من الشخصيات اليهودية الصهيونية، والنقطة الكبرى في الكتاب كله هى نسج هالة لماعة حول الصهيونية وهى تبنى «الوطن القومى اليهودى » فى فلسطين، وممن تناولهم هذا الكتاب موسى مونتفيورى.

١ - تبتدىء القصة بالملك جورج الثالث (١٧٦٠ - ١٨٢٠) فقد انتابته شدائد جعلته ينحلّ فخولط فى عقله، وفى سنة ١٨١١ نحى عن الملك، وجىء «بالبرنس اوف وايلس» وصياً على العرش ومات الملك جورج الثالث سنة ١٨٢٠.

٢ - تولى العرش بعد جورج الثالث، ابنه جورج الرابع سنة ١٨٢٠، وهذا كان قد تزوج من «كارولين اوف برنسويك» سنة ١٧٩٥ زواجاً لم يرض عنه الشعب وبعد زواجه انفصل عن ابيه، ولما ارتقى العرش سنة ١٨٢٠ كانت زوجته تقيم فى القارة، فجاءت لتكون الملكة، فتلقاها الشعب بالنقمة والسخط فطلقها الملك. وبقى جورج الرابع على العرش الى ١٨٣٠.

٣ - بعد جورج الرابع تولى العرش اخوه وليم الرابع (١٧٦٥ - ١٨٣٧) ولما مات ١٨٣٧ جىء بفكتوريا (١٨١٩ - ١٩٠١) وهى ابنة «امير كنت (او دوق كنت) جدها جورج الثالث وكل من جورج الرابع ووليم الرابع عمها. وتولت العرش من (١٨٣٧ - ١٩٠١) اربعاً وستين سنة، وبها انطبع عصر بكامله فى بلاد الانكليز وموسى مونتفيورى انما كانت «حكمته» «ويهوديته» يدوران حول فكتوريا، وأخبار كهذه تكمن فى زوايا القصور لا تجد سبيلها الى التاريخ الا بعد مدة، وبعد التمحيص والغربلة، لترابط الحوادث بأسبابها الطبيعية الصحيحة.

٤ - من المفيد ان نجلو مسألة فكتوريا، وكيف انتهت الى العرش، وهذا الجلاء يلقى ضوءاً ليس بالقليل على استعداد العقل اليهودى العَلَقى الممتص، للانسياب الى الزوايا فى القصور، وعرض الولاء والخدمة،وهذا كله بذور، لكى تجنى من ذلك الثمرات فى يوم مقبل.

٥ - فكتوريا اسمها الكامل «الكسندرينا فكتوريا» بنت دوق كنت، ابن الملك جورج الثالث. جورج الثالث هو حفيد جورج الثانى ابن جورج الاول الالمانى الاصل، اذ كان امير هانوفر فى المانيا. والدة فكتوريا، لويزا فكتوريا بنت دوق المانى، واخت ليوبولد الاول ملك البلجيك،

فكتوريا، وقد ولدت فى ٢٤ مارس ١٨١٩، مات والدها وهى فى الثانية، فقامت والدتها على تربيتها احسن تربية، واختارت لتربيتها البارونة لهزن، وهذه المانية من أعقل المربيات فى العالم. لما بلغت فكتوريا الحادية عشرة تعلمت عدة لغات من المانية وفرنسية وايطالية حتى اللاتينية، وأتقنت آداب اللغة الانكليزية. وبرعت فى الفنون الجميلة، واعتنت بالدين خاصة. فتكامل لها من حسن الشمائل النسوى ما اهّلها للملك، خير تكامل.

٦ - وما نقوله هنا فى هذه الفقرة، على غاية الاهمية. ولنتذكره عندما نأتى إلى مونتفيورى ولعلبيته. فان والدة فكتوريا ادركت ان العرش سيؤول الى ابنتها:

فعمها جورج الرابع مات لا عقب.

وخلفه عمها الآخر وليم الرابع، وهذا كان له بنتان ماتتا فى حياته.

فجعلت امها، والبارونة المربية، تذكران على مسمع منها فى المناسبات الجميلة، انها ستكون الملكة يوماً ما. ويوماً ما، وقع نظر فكتوريا على «شجرة» الملك، فى ورقة وضعت فى كتاب كانت تحب المطالعة فيه، فلاحظت من «الشجرة» انها هى المطلة على العرش. فقالت: اننى اقرب مما كنت اظن. ثم قالت: ان الملك شيء عظيم ومجده كبير، لكن اعباءه أكبر واعظم. ثم قالت للبارونة المربية: «الآن علمت سبب الحاحك على ان أتعلم اللاتينية».

٧ - مات عمها فى منتصف الليل (٢٠ يونيو ١٨٣٧) فحضر اليها رئيس الاساقفة، ومركيز، وأحد الاطباء، وكانوا قد حضروا موت عمها. ولما اوقظت، وعلمت بالخبر طلبت من الاسقف ان يصلى. وأول آية من آدابها، انها تناولت ورقاً وكتبت رسالة تعزية الى امرأة عمها، خاطبتها فيها بلقب «صاحبة الجلالة»، حتى لا تكون هى أول من خاطب امرأة عمها بغير هذا اللقب بعد وفاة زوجها الملك. ونودى بها الملكة فى اليوم الثانى، واحتفل بالتتويج بعد سنة.

٨ - من حسن الفأل يوم تتويجها، بأبّهة فائقة، وأن ذلك اليوم كان مطيراً، والغيوم متلبدة، والقوم فى الكنيسة، وهى فى كرسيّها، وبعد قليل سيوضع التاج المرصع بالجواهر على رأسها، واذا بالغيوم تتقشع لحظات ويسطع نور الشمس من النوافذ، ويقع الشعاع على التاج وهو يوضع على رأسها فتألقت الجواهر، فعجب الناس من هذا، وعدّوه بشائر خير.

٩ - زوجها هو ابن خالها، ليوبولد ملك البلجيك، والزواج كان سنة ١٨٤٠. ولما كانت حفلة مراسم الزواج تقام فى الكنيسة، وتهيأ الاسقف ليقرأ من الكتاب المقدس الفصل الذى تؤمر فيه المرأة بطاعة الزوج، سألها هل تبيح له ان يقرأ ذلك الفصل فأجابته برزانة: «اننى اقترن امرأةً لا ملكةً فلا تتخطى شيئاً من كلام الكتاب، وكانت تعامل زوجها معاملة الزوجة الفاضلة، وعاشت معه ٢١ سنة.

١٠ - ومما يرى: لن شيئاً من الاغبرار وقع بينهما - الزوج والزوجة - وهذا قلما يخلو منه

بيت، وبينما هو فى مكتبة احبت ازالة الاغبرار، فجاءته وقرعت الباب فسأل: من؟ فأجابت: الملكة. فاستمهلها ومضى يعمل الى منضدته. وانتظرت ثم عادت فقرعت الباب ثانية، فسأل: من؟ فأجابت الملكة وامبراطورة الهند، فاستمهلها ثانية. ثم عادت فقرعت الباب لثالث مرة فسأل: من؟ فأجابت فكتوريا زوجتك! فهبّ لاستقبالها بحفاوة قائلاً: اهلاً بسيدتى وزوجتى العزيزة!

١١ - من كلامها المأثور عنها: «السر فى عظمة بريطانيا هو الكتاب المقدس». «التجارة وحدها لا تجعل الامة عظيمة وسعيدة» وانكلترا انما بلغت من العظمة بممعرفة الإله الحقيقى».

١٢ - من عظماء الانكليز الذين كانوا من وزرائها: لورد ملبورن. سير روبرت بيل. جد لورد بيل رئيس لجنة التحقيق الملكية فى فلسطين ١٩٣٦ - ٣٧). لورد جون رسل. لورد بالمرستون. لورد بيكنسفيلد - (هو دزرائيلى او «بن اسرائيل» اليهودى المتصّر، الآتية ترجمته بعد هذا) ارل اوف دربى. غلادستون. لورد روزبرى لورد سالسبرى.

١٣ - جاءها رئيس الوزراء يوماً بمشروع خطير للتوقيع عليه بالموافقة وكانت هى غير مقتنعة به، وراح رئيس الوزراء يحاول اقناعها وان المشروع عظيم الخطورة للأمة، وهى تستمع اليه، فلما فرغ من الكلام قالت له: ان اخطر المسائل لدى واهمها ان اوقع على مشروع لم اقتنع به.

١٤ - وفى عصرها تضخم العمران الامبراطورى الاستعمارى، وازدادت مساحة الاملاك نحو ٣ ملايين ميل مربع، والرعايا من ١٦٨ مليون الى ٤٠٠ مليون، وكان دخل الخزانة من بلادها ٥٠ مليوناً ومن الهند ٢٥ مليوناً فصارا من بلادها ١٢٠ مليوناً و٧٠ مليوناً من الهند و٣٠ مليوناً من اوستراليا و٢٠ مليوناً من باقى المستعمرات ومجموع هذا الدخل (٢٤٠) مليوناً بعد ان كان ٧٥ مليوناً.

١٥ - وعند الانكليز يقولون «عصر فكتوريا» وكان لها صداقات مع كثير من الملوك والرؤساء واالسلاطين. وكانت رسائلها تحل من عويص المشكلات ما لا يحله الوزراء والسفراء. ومرة أرسلت رسالة خاصة الى عبد الحميد لما كان هرتزل يراجعه بشأن فلسطين، ولم يعرف فحوى تلك الرسالة.

١٦ - جعلت زواج بنيها، سبب رابطة تقارب بين البيت المالك فى بريطانيا والبيوت المالكة الاخرى فى كل من روسيا والمانيا والدانيمرك واليونان ورومانيا. ومدة حكمها، اطول مدة، على كل حال، فى التاريخ الانكليزى.

١٧ - لما قضت نحبها سنة ١٩٠١ نشرت صحف العالم ترجمتها ونوّهت بفضائلها، وهذا فى العالم العربى خاصة. ورثاها الشعراء العرب، وممن رثاها حافظ ابراهيم شاعر النيل وجرى فى رثائه على نمط حكيم، وفى سيرتها وضعت الكتب عند الانكليز، وترجمت خلاصة بعضها الى العربية.

- وطراز فكتوريا شاع فى بلاد الانكليز فى افق العادات، والألبسة والفكر، ومظاهر الفنون: وكان القرن قبل الماضى قرن اقتسام افريقيا، والتوسع الاستعمارى، فسميت اشياء كثيرة باسم فكتوريا، من مستعمرات وبحيرات ومعارض، واستحدثت الاوسمة، واطلق اسمها على الشلالات، والسفن الفخمة، والاندية الى آخر ما يظهر من شارات الاستعمار، والعمران الممتص من شرايين آسيا وافريقيا.

- وسنرى الآن فى ترجمةمونتفيورى ان هذا «الحكيم» من «حكماء صهيون» لما جاء الى محمد على «ليلعب» به اللعبة الذهبية ويطلب منه العفو عن اليهود المجرمين قتلة الراهب الاب توما الكبوشى فى دمشق، ونال مونتفيورى، ما اراد، كان فى جيبه كتاب وصاة من فكتوريا الى محمد على.

١٨ - نعود الى مونتفيورى، ولعبته هذه هى: جاء فى ترجمة «يقظة العالم اليهودى» ما يشبه هالة من العاب العنكبوت حول اسم مونتفيورى، وقال «ابو عسل»، وهو يصنف ما يلقى اليه من المراجع الصهيونية فى مصر وفلسطين وقتئذ، إنه لما اشتدت وطأة المرض بالملك جورج الثالث سنة ١٨٢٦ (كان مرضه متمادياً نحو ٩ سنين) كان «دوق كنّوت» قد غادر البلاد بعد ان بدّد ثروة ضخمة، وحرم من الاقامة فى القصر الملكى، فاقام فى بروكسل، وبعد سنتين تزوج «البرنس فان لنجن» وهو فى الحادية والاربعين. وليس غريباً أن تحلّ به ازمات مالية.

١٩ - فينهض اليهودى الثرى الغنى، الواسع النفوذ على اليهود، وهو رأس من رؤوسهم، أو مقدم «حكمائهم» موسى مونتفيورى، ويحشو حقيبته مالاً، ويأتى دوق كنوت فى بروكسل، ويثير لديه أهم قضية تقيم وتقعد، قضية العرش البريطانى، ويبين له الوضع: الملك ينتظر موته بين يوم وآخر (جورج الثالث)، وابنه جورج فى مرض شديد وليس لجورج من ولد، واما البرنس وليم فلسبب ما فلا ينتظر ان يكون له ولد. فاذا حصل هذا كله، وهو شديد الاحتمال، فالعرش البريطانى سيؤول الى دوق كنوت. هذه هى الصفوة التى كانت فى جعبة مونتفيورى، ولا ريب انها نتاج تفكير طويل، وتحليل وتعليل، وحسابات، ودراسة عميقة، وقد قلّبها ظهراً لبطن، وطحنها وزناً وتقديراً، لينفذ من كل هذا الى غايته اليهودية التى يحملها فى صدره، حمله المال فى جيبه.

* * *

٢٠- ولماذا هذا الامر يتصدى للنظر فيه ويبحثه يهودى، ولو كان غنياً، ويأتى من لندن الى بروكسل بهذه الفكرة الى دوق كنت؟ ايخفى هذا كله على دوق كنت؟ كلاّ. أمن غيرة مونتفيورى على العرش البريطانى؟ وهناك الوزراء ومجلس النواب، وأهل الحل والعقد من رجالات الانكليز، وهم أولى ان يكونوا مباشرى هذه الفكرة مع دوق كنت. أتبقى هذه المسألة

هاجعة، حتى ينهد لها مونتفيورى؟ فما يقوله كتاب «يقظة العالم اليهودى» من ولاء مونتفيورى للعرش؟ موضعه سلة المهملات! فلنتناول ناحية أخرى، قد تكون صحيحة: فان دوق كنت ربما كان فى ازمة مالية خاصة، وعلى فرض ان الدوق كان من تلقاء نفسه يريد الانتقال إلى لندن بعد زواجه، حتى إذا رزق ولداً، كان هذا الولد، بحكم قانون العرش، يحق له تولى العرش، فاذا كان هذا مفعولاً، فالدوق لا مال له، فما يفيده الفكر الغنى مع الجيب الفارغ؟ ثم أن مونتفيورى لما كان يتعاطى الصيرفة العالمية الطراز فى لندن، مكنته الصيرفة من الاطلاع على خفايا القصر.

٢١ - انكشفت الحقيقة، وزالت عنها الظلمات!! فإن اليهودى مونتفيورى جاء يستغل الازمة المالية لدوق كنت، ويشوّقه الى العرش الذى سيؤول إلى ولده، لكن هذا الولد لا يحقّ له ان يتولى العرش اذا لم يكن قد ولد فى بلاد الانكليز لا فى بلد اجنبى. فلما اقتنع دوق كنت بوجوب انتقاله إلى لندن، قدم اليه مونتفيورى المال. هذا هو السحر كله.

٢٢ - وانتقل الدوق، وولدت فكتوريا، وربيت التربية المؤهلة لها لتولى الملك، وتوجت، وتزوجت، وهذا لا يمنع ان تكون واقفة على الحقيقة: لما انتقل ابوها من بروكسل إلى لندن، اعانه مونتفيورى بالمال. وتبقى هذه القصة فى زاوية القصر. اما مقدار المال، وكيف استوفاه مونتفيورى وما إلى ذلك، كل هذا لا ندرى منه شيئاً.

٢٣ - تزوجت الملكة فكتوريا سنة ١٨٤٠.

فى هذه السنة وقعت حادثة خطف الاب توما الكباشى واستنزاف دمه فى دمشق، هو وخادمه، وفى هذه السنة جعل ابراهيم بن محمد على ينسحب من سوريا كرهاً.

وكان مونتفيورى فى شغل شاغل من امر فلسطين!

ففى ايام احتلال ابراهيم للشام، سنة ١٨٣٧ زار مونتفيورى فلسطين ودرس احوالها وزراعتها وتربتها ومستقبلها، فى جهات صفد وطبرية، فرأى أن يحقق فكرة له: وهو أن يستأجر من محمد على ١٠٠ - ٢٠٠ قرية لمدة ٩٩ سنة وهو يدفع اعشارها لمحمد على ان تكون الاراضى خلال مدة الاجارة لا يد لاحد عليها، واليهود احرار فى التصرف فى الانتاج داخل فلسطين وخارجها(١).

وفى السنة التالية ١٨٣٨ قام برحلة ثانية إلى فلسطين، وسجّل كل هذا فى مذكراته الخاصة وما اوردناه في الفقرة السابقة منقول من مذكراته المكتوبة ١٨٣٩. ثم جاء مرة ثالثة سنة ١٨٣٩.

---

(١) يقول كتاب «يقظة العالم اليهودى» ان مونتفيورى زار فلسطين مراراً وطافها دارساً سبع مرات. واحب مونتفيورى اغتنام الفرصة ايام محمد على وحاجة هذا الى المال. فيعقد الصفقة معه لا مع السلطان. واما معدل الاعشار وضرائبها فمع زيادة ٢٠ بالمئة يبقى هذا المعدل قليلاً عندما تتحسن الأراضى بعد قليل ولا اشارة إلى مصير الارض بعد ٩٩ سنة.

٢٤ – ولما رأى مونتفيورى و «حكماء صهيون» ان الحكم بالموت على نحو (١٠) رجال من يهود دمشق، فيهم وجوه واعيان وحاخام، فى حادثة الاب توما، سيكشف الغطاء عن شيء كثير، زمّ حقائبه وحشاها بالمال، كما حشاها لما أتى دوق كنوت فى بروكسل، وتناول من الملكة فكتوريا «الصنِّيقة بنت الصِّدِيق»، رسالة خاصة الى محمد على فى الاسكندرية، وفى الرسالة ان يعفو محمد على عن الجناة!

٢٥ – وكان محمد على وابنه ابراهيم يجتازان شرّ ازمةٍ سياسية واقتصادية، وبريطانيا هى الملحّة على محمد على بوجوب الانسحاب من الشام. وليس يهم محمدٍ على وقتها كثيراً، ان يعدم الجناة او يعفى عنهم، وانما يختار احد الوجهين الذى فيه مرضاة خاطر الملكة فكتوريا. فالرسالة شخصية، وهو بحاجة الى ما فى حقيبة مونتفيورى، فأمر بالعفو. واطلق سراح الجناة، الا من مات منهم فى السجن.

٢٦ – اما التقدم بمشروع استئجار المئتى قرية من شمالى فلسطين لِـ ٩٩ سنة، فتوقف اذ جعل ابراهيم ينسحب بعد قليل وقبل عقد الصفقة، فانسحب.

٢٧ – لكن بعد ١٨٧٠ بقليل، انشأ مونتفيورى بناءً لايواء فقراء اليهود، فى ضاحية خارج سور القدس، وقيل لهذا البناء «حارة مونتفيورى» وكانت لا تزال قائمة الى ١٩٤٨. وهى التى اشرنا اليها فى اول هذا الفصل.

٢٨ – ثم مضى مونتفيورى يعيش ويلتفت الى الوراء عاداً ايامه، حتى صار يعد من عمره مئة سنة! وفى هذه السنة المئوية احبت فكتوريا الزيادة فى اكرامه، فاذا بالبريد الملكى يحمل اليه من أميركا مئة رسالة تهنئة بالقرن الكامل وهذه الرسائل من الاقطاب والعظماء من مئة صديق وهم «الحكماء»وظلت الملكة فكتورياتذكر تفريجه ازمة ابيها.

وقلنا أن فكتوريا زودت مونتفيورى برسالة شفاعة الى محمد علي، وهذه الرسالة مع الذى فى الحقيبةنجّت الجناة. ومرة اخرى ارسلت فكتوريا رسالة خاصة إلى عبد الحميد، وهذه بشأن هرتزل وفلسطين وبين الرسالتين نحو من ستين سنة، فتأمّل.

٢٩ – لما قضى مونتفيورى نحبه١٨٨٤، كان هرتزل لم يطل بعد، وانما اطل بعد هذا الوقت بأربع عشرة سنة. وكان السير فرنسيس مونتفيورى، وارث عمه موسى فى المال والحال والجاه، والقفاز الابيض، هو رئيس «الجمعية الانجلو – يهودية» فى لندن وقت اعطاء وعد بلفور ١٩١٧.

٣٠ – وكان فرنسيس على صلة بهرتزل، بل معوانه فى كبار الامور، وربما كان يقدم اليه مالاً. وكان هرتزل يرشحه فى احد المؤتمرات الصهيونية لنيابة الرياسة، اىْ نائب هرتزل وكان الفريق اليهودى الروسى لا يفتأ ينتقد هرتزل ويفنّد مخططه بعد أن مال الى قبول عرض

بريطانيا فى «كينيا» شرق افريقيا. واليهود الصهيونيون الروس كانوا يرفضون هذا العرض، وهرتزل يعتبره صالحاً وتعتبر كينيا بعدئذ مستعمرة لفلسطين بعد ان ينزل اليهودفلسطين. وكان ويزمن على رأس المناهضين لهرتزل فى مشروع كينيا. ولما راح هرتزل يبدى لياقة فرنسيس مونتفيورى لنيابة الرياسة، اجابه ويزمن: «دكتورهرتزل! لكن هذا الرجل شبه معتوه!!» فأجابه هرتزل بعد اطراقة عميقة وبلهجة غير مستعجلة: «لكنه هو الذى يفتح لى ابواب القصور!».

٣١ - وهناك كلود مونتفيورى، فانه كان يعارض انشاء وطن قومى فى فلسطين على اساس «السياسة» و «الدولة اليهودية». وهناك جمعية اخرى ايضاً كانت تقول بقول الاولى، رئيسها السير دافيد اسكندر ومن رأى الجمعيتين أن اليهود لا ينبغى ان يطلبوا فى فلسطين الا صورة مركز ثقافى روحى، وفق ما اعلنته الصهيونيةسنتى ١٩١١ و ١٩١٣ من انها لا تبتغى غير هذا من حركتها، ومن يقول بأن الغرض هو انشاء دولة سياسية فذاك القائل جاهل او حاقد.

* * *

وهذا الاختلاف كله يتناول الاساليب والطرق مع اتحاد جميع اليهود فى الهدف والغاية. اما رأينا أن الصهيونيين يعلنون هم انفسهم فى مؤتمراتهم العامة وعلى مسمع من العالم انهم لا يريدون دولة سياسية فى فلسطين؟ والخداع لا يزال عندهم سلاحاً من امضى الاسلحة.

١٥- دزرائيلى (بن إسرائيل)
١٨٠٤ - ١٨٨١
يهودى تنصر وبقى يهودياً ليخدم الصهيونية على طريقة «حكماء صهيون»

١) «اليهودى، هو القوة وراء كل عرش فى بلاد أوروبية».

لمن هذا القول؟

هو لدزرائيلى الذى اسمه الحقيقى «بن إسرائيل».

«كتاب الحكومة الخفية ص ٥٦».

Hidden Covernment

٢) «انما يحكم العالم ويسيره اشخاص هم وراء الستار يختلفون كل الاختلاف عن الأشخاص الذين على المسرح أمام الستار».

«دزرائيلى - المصدر السابق».

٣) قال بلزاك (١٧٩٩ - ١٨٥٠) : - «المعركة الأخيرة لظفرالمسيحية هى معركة المال،ومن الآن إلى ان تحل مشكلة المال فالمسيحية اعجز من ان ترى احكامهاالعملية نافذة مطبقة تطبيقاً عالمياً».

٤) قال قطب من اقطاب روتشيلد قبل ١٠٠ سنة: «اعطنى سلطة اصدار النقد ومراقبته، ولا ابالى بعد ذلك بمن يسن الشرائع والقوانين».

راجع البروتوكولات

قال هيلر بلوك Hilaire Belloc فى كتابه «اليهود» يصف اليهود فى بلاد الانكليز، وما كانوا عليه وما صاروا إليه:-

«وتلفت اليهودى،فوجد ان جميع ما يطلبه شعبه من «الغوييم» موجود فى الدولة البريطانية. وهنا يمكنه أن يكون على حال لم يحلم بها أو بمثلها فى أى بلد آخر فى العالم. فالكراهية التى كان يلاقيها من قبل، قد زالت وفتحت امامه مناصب الدولة، وصار عدد كبير من اليهود من اصحاب السلطة التنفيذية فى الدولة، وبرسوخ هذا الوضع وامتداده ونموه، صار المجتمع ممتزجاً بهم بتبادل الزواج بين الاسر الانكليزية التى كانت سابقاً ارستقراطية اباً عن جد، وبين الأسر اليهودية الغنية، بحيث لم يبق من الاسر البريطانية المحافظة على نقاوة دمها

القديم، دون ان يخالطها الدم اليهودى، الا القليل، وصارت كل حكومة تعطى اليهود نصيبهم من كراسيها فانتظموا فى السلك الدبلوماسى، واحتلوا مقاعدهم فى مجلس اللوردات، ومجلس النواب، والجامعات والمعاهد. واستولوا على الصحافة ثم على المراكز التجارية المهمة».

وفى رأى هايمسنون فى كتاب «تاريخ اليهود» ان هذا كله قد تم فى خلال المئة سنة الأخيرة، وفى «موسوعة تاريخ العالم» ان آخر القيود التى كانت على اليهود فى بلاد الانكليز ازيلت سنة ١٨٥٨ وفى هذا الوقت كان دزرائيلى رئيس وزراء.

* * *

أهم البنود في «قانون اليهود» في بلاد الانكليز سنة ١٢٧٥

١- ان يحصروا سكناهم في أماكن معينة.

٢- ان يمنعوا من تعاطي الربا.

٣- ان يمنعوا من شراء الأراضي.

٤- ان يمنعوا من الاختلاط بأهل البلاد (المسيحيين).

٥- ان يجبروا على تعليق الشرائط الصفراء على اكمامهم ليعرفوا انهم يهود.

بعد صدور هذا القانون بـ ١٥ سنة امر الملك ادوار الاول بطردهم من البلاد وطردوا وبقوا خارج البلاد ٣٦٧ سنة حتى اعادهم اليفركرمويل، وكرمويل موّله منسى بن اسرائيل وموسى قراجا، دون ان يلغى قانون الطرد.

* * *

دزرائيلي

سياسي بريطاني مسيحي في الظاهر، تولى رئاسة الوزراء غير مرة،ومن اخطر «حكماء صهيون» في الحقيقة والباطن،ووصل إلى ذروة الشهرة أثر مؤتمر برلين ١٨٧٨ وهو المؤتمر الدولي الذي انعقد بعد الحرب الروسية العثمانية، ووقعت فيه الدولة العثمانية بين ايدي الجزارين من ساسة أوروبا[1]فقطعوا أوصالها في اوروبا، ومابقي لها من املاك في الناحية الاوروبية الا رقاع صغيرة لا تذكر، وأخذت الشعوب البلقانية طريق الاستقلال من هذا المؤتمر، وكان دزرائيلي وبسمرك بطليه الأولين.

١ - ولد بنيامين بن اسرائيل (تحول الى دزرائيلي) في لندن ١٨٠٤ آيام بداية عراك محمد على في مصر. وختن ختانا يهودياً في اليوم السابع من ميلاده ويقول ايلي ليفي ابو عسل مؤلف كتاب «يقظة العالم اليهودي» ان بنيامين لما ولد حوّطه ابوه، اسحق بن اسرائيل، بكتب مقدسة وهي بالعبرية ومن جملة تلك الكتب كتاب «العبقرية اليهودية» وامّ بنيامين من ايطاليا، وفي سنة ١٨١٧ بعد ميلاد بنيامين بنحو ١٣ سنة، اعتنق ابوه المسيحية وتبعه ابنه،

(١) وهم في مؤتمر برلين هكذا:
عن بريطانيا: دزرائيلي وسالسبوري. «المانيا: بسمرك، ولقّب «بالسمسار الشريف»
«روسيا: غورثاكوف وشوفالوف. «النمسا: اندراسي. «فرنسا: ودنتون
«ايطاليا: كونت كورتي. «تركيا: كاراديوتوري اليوناني.
وكان عبدالحميد قد ارتكب جناية بابعاد مدحت باشا «ابي الاحرار» وكان مدحت يساوي عشرات الرجال في العقل والحكمة والاخلاص فثقبت سفينة عبدالحميد وصارت تهوى إلى القاع.

وقال ابو عسل: «لاسباب ما برحت منضوية تحت اجنحة الخفاء الى يومنا هذا» قلت: هذا يهودى يحاول ان يتكلم بمكر ومراوغة، فغاية التنصر واضحة، وهى شبكة للاصطياد.

٢ - اصل بيت دزرائيل (بن اسرائيل) من يهود اسبانيا، وبعد الطرد من اسبانيا لجأت الأسرة الى ايطاليا وأقامت فيها الزمن الطويل حتى قام جد دزرائيلى صاحب الترجمة، واسمه بنيامين ايضاً، فانتقل الى لندن بأعماله المصرفية، وهذا القرن الثامن عشر. لاحظ الشبه بين قصة دزرائيلى وقصة مونتفيورى.

٣ - ولما برز دزرائيلى ببروزه المعلوم فى منتصف القرن قبل الماضى فصاعداً، رقى الى رتبة اللوردية ومنح لقب «ارل بيكنسفليد»، وفى أثناء توليه الوزارة وقعت الحرب الروسية العثمانية، وحرب الانكليز والافغان، وحرب الزولو فى جنوب افريقيا.

٤ - وفى حقيقة انتحاله المسيحية هو وأبوه، قال ابو عسل: «وبالرغم من اعتناق المسيحية... كان باذلاً روحه ومهجته فى سبيل تعزيز قوة انكلترا، وترسيخ قدمها فى تلك الاصقاع (فلسطين)، لتحقيق مطامع اليهود ومراميهم عندما تسنح له الفرصة بذلك. ومن الغريب ان هذا الرجل كان جامعاً شعائر الانكليز الخاصة الى شعائر اليهود وتقاليدهم جمعاً وثيقاً. وقد صرح سوكولوف[1] غير مرة ان دزرائيلى هو الرجل الذى يمثل الحركة الصهيونية تمثيلاً حقيقياً».

٥ - وقال ابو عسل ايضاً ليؤكد ان دزرائيلى هذا، او ارل اوف بيكنسفيلد، بقى يهودياً على الحقيقة: «فاذا اراد الانسان سبر غور عواطف بيكنسفليد، وجس نبضه فى نزعاته وميوله، لمعرفة ما اذا كان هذا الرجل بقى يتغذى خفية بلبان عقيدته الاولى، او اذا كان اتخذ المسيحية ذريعة، توصلاً لاكتساب المعالى... وتحقيق المطامع الكبرى التى كان يصبو اليها وهو فى ريعان شبابه، فمليه بمطالعة تاريخ حياته، فهو المرجع الوحيد الذى لا يوارب ولا يداجى... فالحوادث التى تخللت حياته، ابانت لنا ان روح هذا الرجل كانت تحوم حول اليهود، وتفيض بالعطف عليهم، وكانت الأوتار الحساسة الكامنة ابداً فى مزاجه وطبيعته تهتز اهتزازاً شديداً. وكان يرقب حركاتهم وسكناتهم فى غدوه ورواحه، الا ان ذلك ما كن ليمنعه من تأدية فرائضه الدينية المسيحية».

٦ - حدثتنا «موسوعة تاريخ العالم» بقصة اليهودى باسيفيكو وهو تحت اجنحة دزرائيلى، حديثاً ممتعاً! وفى بضعة اسطر: الدون باسيفيكو يهودى من (مراكش) المغرب العربى، ولكنه يحمل الجنسية الانكليزية. وتتركه الموسوعة هنا رجلاً غامضاً، ومن جاءه هذا الاسم باسيفيكو؟ للتخفية طبعاً وكان هذا اليهودى المراكشى فى خدمة اليهود، وكانت له صلات تجارية مع الحكومة اليونانية افضت الى خلاف بينه وبينها وصار له دين عليها، ولما

(١) وردت ترجمته الوافية سابق.

جاء يطالب بدينه استعمل الفظاظة والتمر، الامر الذى دعا الفريق اليونانى، للحملة عليه ليهوديته «الشيلوخية» وشرهه. ووراءه دزرائيلى. فقررت الوزارة البريطانية انفاذ عمارة بحرية من الاسطول البريطانى الى «بيروس» لتكرهه حكومة اليونان على تلبية مطالب باسيفيكو حامل الجنسية البريطانية، فاستعظمت حكومة اليونان ان تفعل الحكومة البريطانية هذه الفعلة من اجل هذا اليهودى الجائر المكابر، فازدادت رفضاً لمطالبه وابدت العناد، والصمود على وجهة نظرها، فاذا بالاسطول البريطانى يتقدم ويصادر القطع البحرية اليونانية فى حوض بيروس سنة ١٨٥٠، وبعد فشل وساطة فرنسية، لم يكن لليونان بد من تأدية ما طلب منهم تأديته. واثيرت ضجة واسعة فى بلاد الانكليز احتجاجاً على ما عمله الأسطول الانكليزى، فاضطر بالمرستون ان يلقى فى البرلمان خطبة عاطفية ضرب فيها على نغمة المحافظة على الكبرياء البريطانية، فما اعجب الملكة فيكتوريا عمل الاسطول ولا خطبة بالمستون، من اجل اليهودى المراكشى، فوقع أخذ ورد بينها وبين بالمرستون من اجل هذا، فاصدرت اوامر ملكية بانه لا يحق للوزارة، بعد ان توافق الملكة على شكل ما، لحل معضلة ما، ان تعود الوزارة فتغير من ذلك وتبدله، متجاهلة نصائح الملكة.

ولكن علينا الا ننسى ان اليهودى المراكشى، ما كان الا الرجل الذى يقف أمام الستار، كما يقول دزرائيلى، وما الرجل الذى وراء الستار الا دزرائيلى نفسه. وعلينا ان نتذكر ايضاً ان فى تلك الغضون الغيت بقايا القيود التى كانت على اليهود فى بريطانيا. والعامل على ذلك دزرائيلى نفسه. وتبقى القصة بعد هذا كله غامضة لان نواحيها الاخرى الحقيقية خافية علينا.

٧ - صدق دزرائيلى لما قال، وقد ذكرنا قوله فى أول هذا الكلام، من أن العالم يديره رجال هم وراء الستار، وكأنه يعنى بهذا نفسه باعتباره أحد «حكماء اسرائيل». وما هى اتجاهاته فى السياسة البريطانية الخارجية المستوحاة من وراء الستار، الجامعة بين مصلحة بريطانيا ومصلحة الصهيونية؟ ليس من المغلق علينا ان نعلم هذا بغاية اليقين. فان دزرائيلى هو احد رجال لا اكثر من ثمانية تناوبوا على توجيه السياسة البريطانية، فيما يتعلق بالدولة العثمانية ومسألتها الشرقية المزمنة، وذلك خلال المدة التى كان يعمل فيها دزرائيلى فى الوزارة والسياسة الخارجية، ولنسحب هذا من ١٨٤٦ الى نهاية حياته وهذا نحو ٣٥ سنة مطردة. فالذين تولوا الوزارة فى خلال هذه المدة هم ملبورن، وبيل (جد لورد بيل الذى كان رئيس اللجنة الملكية لدراسة ثورة فلسطين ١٩٣٦) ورسل، ودربى، وابردين، وبالمرستون، وغلادستون، وكل واحد من هؤلاء تولى رياسة الوزارة مرتين وبعضهم ثلاث مرات.

٨ - حاول اليهود ان يخدعوا نابليون ويتمكنوا بواسطتة وعدائه لبريطانيا ان يصلوا الى فلسطين ففشلوا. بعد هذا بنحو ٣٥ سنة حاول اليهود بمساعى زعيمهم مونتفيورى الوصول الى فلسطين على يد محمد على وولده ابراهيم فلم يفلحوا. ولكن حوادث الشام فى النصف الاول من القرن قبل الماضى، جعلت اليهود يتقنون استغلال الشيعة البرتستانتية المتهودة،

وعلمنا ان الحكومة البريطانية انشأت قنصلية لها فى القدس فى ايام ابراهيم بن محمد على، وبعد انسحابه بقيت القنصلية ماشية، والغرض منها حماية المصالح اليهودية فى فلسطين، وكان انشاء هذه القنصلية من عمل العناصر البروتستانتية. ونرى السياسة البريطانية بعد ذلك تنشىء لها تقاليد مضحكة، وهى بقاء السلطنة العثمانية قائمة، دفعاً لاطماع الطامعين فيها من الدول الاخرى، حتى لا تذهب فلسطين، فيما اذا انحلت الدولة، الى دولة لا يميل اليهود اليها. وهنا اجتمعت مصلحة بريطانيا التى اخذت منذ انسحاب ابراهيم من الشام وفلسطين ١٨٤٠ تمد لنفسها بحبل الاطماع فى احتلال مصر، ومصلحة اليهود فهذا قبل قصة السويس بزمان.

وفى هذا المعنى قال نفيل باربر فى كتابه Nisi Domiuus (ص ٤٩): «وكانت كتابات اليهودى المتنصر دزرائيلى رئيس الوزارة البريطانية ذات تأثير عظيم فى اجتذاب العطف على اليهود، وكان توجيهه للسياسة البريطانية فى شرق البحر المتوسط يهدف فيه الى غاية معينة. فقد برز دزرائيلى يقاوم روسيا فى محاولة نشر الادارة التركية المتخلفة الى ان تحين الفرصة لليهود لاقتناصها، هو الواقى لها من الانتقال الى يد دولة اخرى، غير بريطانيا».وهذا ما صنعه دزرائيلى. وقد عرفت الصهيونية له فضل هذا العمل. وقلنا فى موضع آخر مما يتعلق بعرض هرتزل على الامبراطور غليوم اواخر القرن الماضى، ان تتبنى المانيا الصهيونية فى فلسطين وتضعها تحت حمايتها - وقد فشل هذا العرض - فلم يؤثر أى تأثير سىء فى الصلة الوثقى بين الصهيونية وبريطانيا، وخاصة الشيعة البروتستنت.

* * *

٩ - انشاء ترعة السويس كبّد مصر الشدائد. أوليات هذا المشروع كانت بعيد انسحاب ابراهيم من الشام ١٨٤٠، وكان اسماعيل الخديوى، المبذر المتلاف ينادى بأنه يريد «ان يجعل مصر قطعة من اوروبا» وكانت هناك صداقة وثيقة بين محمد على ونابليون الثالث، وهذا ما سهل على دى لسبس الحصول على الامتياز. ولما بدأ المشروع، اقتضى انجازه ١٠ سنوات، وافتتحت الترعة رسمياً فى ١٦ نوفمير ١٨٦٩، فاختصرت الطرق البحرية بين اوروبا والشرق، واما بريطانيا فقد رأت فى مشروع ترعة السويس من الخطورة ما جعلها ترمى باطماعها نحو مصر على مستوى اعلى من المستوى الذى قيّمت عليه مصالحها قبل الآن بثلاثين سنة. ولم يكن للانكليز يد فى الشروع،بل كانوا يعارضونه، لكن بعد ان تم تحقيقه وتجلت خطورته، تغيرت اوضاع سياستهم تجاهه، بحيث صاروا يشتهون الى السيطرة عليه من طريق الشركة، او على الاقل ان يكون لهم فيها يد نافذة[1] وبعد ان مضى ٥ سنوات على افتتاح ترعة السويس حصل شىء آخر.

---

(١) بعد ان نال المهندس دى لسبس الامتياز من الخديوى سعيد باشا ابن محمد على (١٨٥٤ - ١٨٦٣) تألفت شركة عامة سنة ١٨٥٨ باسهم وافرة العدد، ومن هنا كان لفرنسا النصيب الاكبر فيها.

١٠ - سنة ١٨٧٥ كان هنرى اوبنهام صاحب جريدة «الديلى نيوز» يقوم بسياحة فى فرنسا، وجاء مصر بعد ذلك، فبلغه سراً ان الخديوى اسماعيل فى ضنك مالى، وهو يريد ان يستدين برهن اسهمه المالية التى له فى شركة القناة، وكان له ٤٤ بالمئة من اسهمها، ويريد ان يكون رهن الاسهم فى باريز. فادرك اوبنهام ما لهذا الامر من خطورة. فاسرع الى لندن، وأطلع صديقه فردريك جرينوود صاحب جريدة «بال مال غازيت» على ما فى جعبته، فخفّ هذا إلى وزير الخارجية لورد دربى، وقص عليه النبأ، فجاء دربى إلى دزرائيلى رئيس الوزراء وهذه وزارته الثالثة. فشمر دزرائيلى عن ساعديه وجعل اجهزة الاعلام البريطانية تنطلق بكل وسيلة تتسم له الاخبار وتوافيه بها. فعلم ان اربعة ملايين جنيه كافية لصفقة اسماعيل على ان تُشّرى السهام منه شراء ويدفع المبلغ كله نقداً. ومما قيل ان شركة فرنسية كادت هى ان تظفر باسهم اسماعيل، لكن الابرة الخفية غيرت هذا. فان بيت روتشيلد فى باريز، ومنهم «الحكماء» فاوفد دزرائيلى لورد روتن، امينه الخاص، الى البارون دى روتشيلد. وفى ثمانية ايام تم عقد الصفقة، وشرع دزرائيلى يعضّ عليها، متخذاً على عاتقه المسؤولية امام البرلمان، وابرز الاسباب فى تبرير ما عمل انه لم يكن هناك وقت لطرح المسألة امام البرلمان، والقضية يجب الا تضيع فرصة اغتنامها. ولما اطلع البرلمان على الصفقة، وما معناها ومغزاها فى سياسة بريطانيا فى البحر المتوسط، شكر عاقدها، وبعد سنة رقى دزرائيلى إلى اللوردية، ودعى «ارل بيكونسفيلد» وبقى فى دست الحكم إلى ١٨٨٠ ومات ١٨٨١.

ويعقب ايلى ابو عسل صاحب «يقظة العالم اليهودى»، ويبدو ان المعلومات التى استعملها هذا اليهودى فى كتابه هذا، ملقاة اليه من المراجع اليهودية - يعقب على ما تقدم بقوله ان ظفر بريطانيا على يد دزرائيلى اليهودى المتنصر، بأسهم إسماعيل[1]، ظفر له خطورته، اذ كان من شأنه ان قوّى جذور المصالح البريطانية، ومن هذا الوضع البريطانى فى شركة القناة، ثم ما تبعه من احتلال مصر بعد قليل، انفتح الباب الآن لفكرة الوطن القومى فى فلسطين تمهيداً للاستيلاء عليها بالتالى. هذا هو دزرائيلى.

* * *

١١- وعقد مؤتمر سرى، بين يدى مؤتمر برلين، بين بريطانيا وتركيا، وتركيا اصبحت الآن مهيضة الجناح، وبوسع روسيا ان تهددها فى الاناضول أو آسيا الصغرى، ومفاد ذلك الاتفاق السرى ان بريطانيا تساند تركيا فى وجه روسيا اذا ما توجهت هذه الى الاناضول العثمانى. ولابد لهذا من ثمن لا ريب فيه. فوافق عبدالحميد على السماح لبريطانيا باحتلال قبرص فاحتلتها بعد قليل. فتجهم وجه فرنسا، فوعدت بتونس، فاحتلتها بعد ثلاث سنين،

(١) ان الاربعة ملايين جنيه هذه، لم تصل إلى إسماعيل الا ناقصة بعد ان اخذ منها ما انتاشه السماسرة، واعاصير اسماعيل لا تهب الا على رياح السماسرة.

ويحلقت ايطاليا بعينيها، فوعدت بالتوسع فى ألبانيا، وسنة ١٩١٢ - ١٩١٣ غزت ايطاليا طرابلس وبرقة (ليبيا).

* * *

أرأيت كيف يعمل «حكماء صهيون»؟

خذ امثلة من يوسف منده مع السلطان سليم والسلطان سليمان، ومن مونتفيورى مع محمد على، ومن هرتزل مع عبد الحميد، ومن دزرائيلى مع عدة جهات.

* * *

والجولات الأخيرة، وقد عاصرها المعمرون من ابناء هذا الجيل، هى التى كانت بين هذا المثلث:

«عبد الحميد بين غليوم وهرتزل» وليس لهذه الناحية الدقيقة موضع فى هذا الكتاب، وعسى ان تستوفى فى مناسبة مقبلة، والله من وراء القصد.

١٦- الكتاب المقدس

الترجمات الثلاث:

١- البروتستانتية - الاميركية (١٨٦٠ - ١٨٦٤) } **بيروت**
٢- اللاتينية - اليسوعية (١٨٧٨ - ١٨٨٠)

٣- الترجمة التى قام بها احمد فارس الشدياق فى لندن فى منتصف القرن التاسع عشر بطلب من «جمعية ترقية المعارف المسيحية» (١٨٥١).

* * *

عالى سمث

١- { **كرنيليوس ڤانديك**
الشيخ ناصيف اليازجى
المعلم بطرس البستانى
الشيخ يوسف الاسير }

* * *

٢- { **الاب روديت اليسوعى**
الشيخ ابراهيم اليازجى }

* * *

٣- أحمد فارس الشدياق

* * *

الكتاب المقدس فى العربية
لماذا نضع هذا المجمل؟

لا نحسب القارىء العربى الا وفى نفسه نزعة طيبة الى ان يعلم ولو علماً مجملاً، متى نُقل الكتاب المقدس الى العربية النقل الكامل الذى هو بأيدى الناس اليوم فى ترجمته البروتستانتية المعروفة بالأميرية، واللاتينية المعروفة بإليسوعية. وهذه الناحية عالية المنزلة فى نظرنا لعدة اسباب.

الأول: ان الكتاب المقدس فى العربية فى هذا العصر يفسح المجال للمطالع العربى فيطلع منه على اخبار بنى اسرائيل فى جميع ادوارهم حتى بداية العهد المسيحى، وبعد ذلك انقطع تاريخ اليهود، فبات اقله فى بقاياهم التى بقيت فى فلسطين ولا شأن لها، ومعظمه فى جماعاتهم التى تفرقت فى العالم والامم فيطلب فى تاريخ كل أمة نزلوا بلادها واقاموا فى حماها.

والثانى: ان كل شعب فى العالم انتظم فى سلك الحضارة الانسانية فى دور من الادوار، يمكنك ان تقرأ ما يتعلق بتاريخه ودينه، وخلقه، ولون نفسيته، وروح تطوره، وصعوده وهبوطه، فى كتب مصدرها ابناء ذلك الشعب، كما يصح لك ان تقرأ ذلك، ولو بتفصيل اقل، فى كتب وضعها مؤلفون من غير ذلك الشعب. اما الشعب الإسرائيلى أو اليهودى فلا ينطبق عليه هذا، وهو شاذ منفرد فى تاريخه، فلا سبيل لك الى اكتناه اللباب من الجبلة الإسرائيلية منذ القدم إلى اليوم، وإلى كشف الستار عن خفايا نفسية اليهودى، ونفسيته خاضعة لعاملين: عامل ظاهر وعامل باطن، إلا إذا قرأت أولاً ما كتبه انبياؤهم، الكبار وهم اربعة انبياء، والصغار وهم اثنا عشر نبياً، وهؤلاء اسفارهم فى العهد القديم. ومعظم انبياء بنى إسرائيل كانوا إلى جانب ملوكهم، ويقفون في وجه ملوكهم ولذلك تجد فى أسفار نبواتهم الاتجاهات السياسية والاجتماعية، فضلاً عن الدينية، مما نراه اليوم يعالج فى كتب مفردة، كل كتاب وموضوعه، مستقلا عن الدين تمام الاستقلال.

والثالث: ان الاطلاع على هذا لا تكون الفائدة منه ذات جدوى، و«إسرائيل» تصطنع الحياة اصطناعاً منذ ١٩٤٨، إلا إذا كان اطلاعاً كاملاً، حتى تستبين الحقائق الكبرى كلها فى قافلة واحدة، ويمكن ملاحظة عامل «الانفرادية» اليهودية فى مجرى تاريخهم كله. وهذا على غاية الخطورة. والعهد القديم فى «الكتاب المقدس» حوى هذا من ألفه الى يائه. فالخلق اليهودى وحدة لا تتجزأ، لا يفعل فيها زمن ولا اقليم ولا مكان، وانما تستخفى وتتلون، مع بقائها على عنصرها الاصلى لا تتبدل. وهذا لعمرى من اهم الأسباب فى التماسك اليهودى

المشهود فى العالم كله، على اختلاف القارات والبقاع. وهذا التماسك فيهم هو سر بقاء «اليهودية» فى افرادهم وجماعاتهم، وهذا هو المسيطر على هيئاتهم ومنظماتهم واتجاهاتهم، وما يبطنون من مخططهم وما يعلنون.

والرابع: هو ان نقل الكتاب المقدس إلى العربية فى بيروت (لبنان) فى القرن قبل الماضى، لابد انه يتخذ نصيبه الوافر من البيان العربى الناصع. ومن هذه الناحية الجديرة بالاعتبار، نرى ان نقل الكتاب المقدس إلى العربية، ماعدا ماله بنفسه من منزلة دينية عالية، اضافة ضياء جديد من البيان الضادى الى اللغة المضرية[1].

* * *

وليس لدينا فى العربية، على ما نعلم، كتاب افرد الكلام فيه على هذا الموضوع بوجه الاستقلال، الا اذا كان هناك مثل هذا الكتاب لم يقع لنا ان نطلع عليه، وانما هناك شذرات، ومقالات متفرقة كتبت فى مناسبات قليلة، والقس سيكل سيل صاحب «المرشد الى الكتاب المقدس»، و قد اشرنا إليه فى غير موضع سابق من كتابنا هذا، عقد الفصل الثانى عشر من كتابه على «الترجمة العربية للكتاب المقدس» غير ان هذا لم يشغل من كتابه الا صفحات معدودات. فنأخذ منه ما نحتاج إليه من اللباب ونعرضه على القارىء مع ما يبدو لنا من ملاحظات على نقاط البحث، وما لدينا من مزيد وتكملة.

* * *

يقول القس سيكل سيل: «ولا نسمع عن ترجمة عربية قبل الترجمة التى ترجمها يوحنا اسقف اشبيلية من اعمال إسبانيا سنة ٧٥٠ب م. والتى نقلها عن ترجمة ايرونيموس اللاتينية التى شاعت فى اسبانيا فى القرن السابع فما بعد. وقد قام يوحنا المذكور بترجمة كل الكتاب المقدس، و«مارينا» اليسوعى وجد جملة نسخ من تلك الترجمة فى ايامه، والظاهر أنها لم تطبع قط ولم تعرف فى سورية». (المرشد ص٦٢).

ونقول: هذا المراد منه الترجمة الكاملة للكتاب المقدس، اما الترجمة لبعض اجزاء من العهدين، فلا يعقل ان العرب النصارى فى العراق والشام كانوا الى القرن الثامن، لا يقرأون الانجيل، فى العربية وهذا، مثلاً، القديس يوحنا الدمشقى (٦٧٦ - ٧٤٩) فهو من اساتذة المسيحية زمن بنى امية، وهو له فضل. ونضال فى سبيلها، وابوه كان من الذين تولوا الاعمال المالية للدولة الأموية، وللقديس يوحنا عدة مؤلفات فى العربية منها الإيمان المستقيم، فبأى لغة

(١) واضيف الى التراث العربى فى العقد الأول من القرن الماضى ثروة اخرى من البيان عن طريق الترجمة، وهى ترجمة سليمان البستانى لالياذة هومير او هوميروس، وإذا كان نقل الكتاب المقدس تعاون فيه جماعة هنا وجماعة هناك، فان نقل الالياذة، وهو عمل له نصيبه ايضاً من قوة أهل العزائم، قد اضطلع به البستانى وحده.

كان يقرأ الانجيل هو وقومه؟

وقد كانت وفاته فى مطلع الدولة العباسية.

ثم يقول هذا المؤلف أيضاً: «والحاخام سعديا المعلم المشهور فى مدرسة بابل، ترجم من العبرانية كل العهد القديم او اكثره فى القرن التاسع (الميلادى) لمنفعة اليهود الذين كانوا يتكلمون العربية، فطبع جزء من هذه الترجمة، وهو الاسفار الخمسة فى القسطنطينية سنة ١٥٤٦ بالاحرف العبرانية، ثم طبع فى باريس سنة ١٦٤٥ وفى لندن سنة ١٦٥٧ بالحروف العربية» (المصدر السابق).

ونقول: ان سعديا هذا هو سعيد بن يوسف الفيومى ولد فى مصر فى العقد الاخير من القرن التاسع الميلادى ومات فى بغداد سنة ٩٤٢ أو ٩٤٤. ويقول صاحب «رحلة بنيامين» عزرا حداد - وكلاهما يهودى: فان بنيامين صاحب الرحلة يهودى من اسبانيا فى القرون الوسطى، وحداد يهودى عراقى معاصر - ان سعديا كان معدوداً بين كبراء العلماء اليهود وفلاسفتهم ومن مؤلفاته معجم عبرى وترجمة عربية للتوراة وله كتاب فلسفة عنوانه (الامانات والاعتقادات) فهو من اهل القرن العاشر. (رحلة بنيامين ص ١٤٧).

وقال القس سيكل سيل: «وقد تُرجم الزبور (المزامير) ترجمات عديدة. فالترجمة التى فى أيدى الكاثوليك الملكيين الآن ترجمها عبدالله بن الفضل من اليونانية قبل القرن الثانى عشر، ثم طبعت فى حلب سنة ١٧٠٦ وفى لندن سنة ١٧٢٥ وطبعت ترجمة اخرى فى جنوى سنة ١٥١٦ وفى رومية سنة ١٦١٤ وطبعت أيضاً ترجمة ثالثة مطابقة للسريانية فى الشوير فى جبل لبنان سنة ١٦١٠» (المصدر السابق) وقال هذا المؤلف ايضاً انه فى أوائل القرن السابع عشر استأذن سركيس الرزى مطران حلب، من البابا فى اخراج نسخة مضبوطة من الكتاب المقدس وقام المطران بذلك مع فريق من العلماء، وبعد وفاته طبعت الترجمة سنة ١٦٧١ فى ثلاثة مجلدات مع الترجمة اللاتينية، وهذه الترجمة كانت تطبع فى لندن بكثرة، لكنها مجردة عن كتب الابوكريفا» هذه لمحة تاريخية لكنها جد مقتضبة.

* * *

الترجمتان الكاملتان للكتاب المقدس في القرن التاسع عشر في بيروت

١- الترجمة الامريكية - البروتستانتية ١٨٦٠ - ١٨٦٤.

٢- الترجمة اليسوعية - اللاتينية ١٨٧٨ - ١٨٨٠.

الترجمة الاميركية:

قام بها المرسلون الاميركان في بيروت فنسبت بالاسم الشائع اليهم، وهي من عمل خمسة علماء اعلام، اثنان اميركان وهما عالي سمث وكرنيليوس فانديك، وثلاثة لبنانيون هم الشيخ ناصيف اليازجي، والمعلم بطرس البستاني، وإلى حد ما الشيخ يوسف الاسير الحسيني.

***

عالي سمث (؟ - ١٨٥٧)

كرنيليوس فانديك (١٨١٨ - ١٨٩٥)

الشيخ ناصيف اليازجي (١٨٠٠ - ١٨٧١)

المعلم بطرس البستاني (١٨١٩ - ١٨٨٣)

الشيخ يوسف الاسير (١٨١٧ - ١٨٨٩)

اما عالي سمث، فكان متقناً للعربية وواقفاً تمام الوقوف على اللاتينية واليونانية، وكان يعمل عمله التبشيري في مالطة، فنقل إلى بيروت سنة ١٨٢٧ أو قبل هذا التاريخ بقليل، وبعد سنوات شرع في انشاء المطبعة التي سميت بالمطبعة الاميركية المشهورة. واما فانديك فاستاذ في الطب والعلوم الطبيعية والرياضيات وبلغ من تضلعه من العربية انه الف كتاباً في علم العروض واخذ العربية عن بطرس البستاني والشيخ يوسف الاسير، وهو هولندي الاصل، اميركي المنشأ، لبناني الدار منذ هبط بيروت سنة ١٨٤٠ إلى آخر حياته ١٨٩٥ فيكون قد صرف في لبنان لا اقل من ٥٥ سنةو هذه المدة كانت فترة التفاعل الذهني العميق في لبنان، وانتقاله من عهد الاقطاع الى العهد الحديث ولما جاء فانديك بيروت كان عالي سمث قد مضى عليه هنا لا أقل من ١٣ سنة.

* * *

ولدينا من أخبار فانديك الشيء الوافر. ولا نعلم مستعرياً، لا في لبنان وحده، بل في العالم العربي، اندمج في الحياة العربية اللبنانية اندماجه وانسجم مع طبيعتها انسجامه، لا في العادات واساليب المعيشة وأعراف المجتمع وكفى، بل ايضاً في استطياب الوان الاطعمة

اللبنانية واستحسان اللباس الشرقي، واطلاق اللحية وطرق المعاشرة الراقية، وحب المستملحات من نادر النكات البارعة، ولا يزال الناس حتى اليوم يتحدثون عنه، وله ذكر فى المنازل والبيوت. وكان فى الطب طبيباً انسانياً ممتازاً، وهو يدرس الطب فى الجامعة الاميركية، وله عدة مؤلفات قيمة فى العربية. وسكن فى القرية الجميلة «عيناب» المطلة على البحر، والمنزل الذى كان يقيم فيه لايزال شاخصاً بمجمل هيكله حتى اليوم. وقد مررت به سنة ١٩٤٩ لأشاهد الماثل من بقاياه. وفى المرحلة الاخيرة من حياته، انفصل فانديك عن الجامعة الاميركية لان الجامعة بدلاً من المضى فى التعليم بالعربية، وهذا هو رأيه، عدلت عن ذلك إلى الانكليزية، وقد كان هذا من الجامعة بعيد ان احتلت بريطانيا مصر ١٨٨٢أ.

* * *

واما الشيخ ناصيف اليازجى فامام العربية وشهاب من شهب الفكر الثاقب، والعصامية القليلة النظير، وهو وعاء الادب العالى فى القرن قبل الماضى، وانتشرت مراسلاته مع اقطاب الادب فى الشام والعراق ومصر وغير اقطار، وهو لم يتخرج من مدرسة، بل لجأ الى مكتبات الاديرة، وجعل يعتصر منها، وحفظ القرآن الكريم، واوغل عن طريق الكتب فى مصاحبة رجال التراث العربى من المتقدمين ايغالاً موفقاً زاهياً غزيراً. ووجد مدة فى ديوان الامير بشير الثانى، مع زميليه بطرس كرامى ونقولا الترك، من عيون شعراء القرن قبل الماضى. وبعد انصراف اليازجى من قصر بشير، اقام فى بيروت حوالى ٣٠ سنة حتى آخر حياته سنة ١٨٧١. ولا تزال كتبه فى الصرف والنحو والبيان والشعر تدرس فى المدارس حتى اليوم. وجمع لباب لغة العرب فى مؤلفات عديدة، طبع بعضها فى حياته، وبعضها الآخر بعد وفاته، وقد تولى ذلك ابنه الشيخ ابراهيم، والتوفيق الذى ادركه الشيخ ناصيف لا فى نفسه فقط، بل ايضا فى اسرته وبنيه وبناته جميعاً، توفيق واسع الافق، فقد رزق ١٢ ولداً من بنين وبنات، وبعض هؤلاء جميعاً ان لم يكن كلهم من بنين وبنات - اتوا من وراء الغاية فى النجابة والاشراق والالمعية. وفى البنين لعل ابنه الشيخ ابراهيم كان العَلَم المفرد وفى بناته «وردة» (١٨٣٨ - ١٩٢٤) الشاعرة المتوهجة برقة العاطفة وشجى الحنين، كانت ند أخيها إبراهيم، وديوانها «حديقة الورد» لا ينفد عطره.

* * *

وأما المعلم بطرس البستانى فعلم شامخ فى توطيد الحركة الثقافية العلمية، ونشر المعارف، وغرس الروح الوطنية عن طريق المجلات والصحف ومدرسته المشهورة - المدرسة الوطنية - فى بيروت. واما فى الدراسة وطرق التحصيل فقد تيسر للبستانى ما لم يتيسر مثله لليازجى، فقد درس البستانى فى مدرسة «عين ورقة» وبرحها إلى بيروت سنة ١٨٤٠.

وفى هذا الوقت هبط اليازجى من قصر الأمير بشير كما تقدم، فكأن هذين القطبين، اليازجى والبستانى، على موعد عن طريق القدر، ليلتقيا معاً فى بيروت ويكونا العمادين الكبيرين للنهضة الأدبية العلمية، متعاونين متساندين، الأول فى الأدب واللغة والبيان مع التأليف والتدريس، والآخر فى العلوم الطبيعية والرياضيات والصحافة، مع التدريس والتأليف أيضاً. وسارا على خطين شبه متوازيين إلى نهاية الشوط غير ان لقاء القدر جمع ثلاثة لا اثنين، اذ فى هذا الوقت أيضاً، كان قد حل فانديك بيرون، كما رأينا، وتيسر للبستانى ان يحصل الانكليزية من اختلاطه بالانكليز والاميركان، وكان فى «عين ورقة» قد حصل نصيبا جيداً من السريانية واللاتينية والايطالية الحديثة. ولم يلبث فى بيروت ان انعقدت الصحبة المؤكدة بينه وبين فانديك العالم الانسانى الفعال، وعمل معه اولاً فى انشاء مدرسة «عبيه» - فى مقاطعة الغرب - سنة ١٨٤٦ ثم فى بيروت والآن شقّ البستانى طريقه، وإلى جانبه ابنه سليم، وكان منه لابيه ما كان من إبراهيم لابيه الشيخ ناصيف. واتسعت حلقة البستانى مع عالى سمث ايضاً، وجعل يعلم فانديك العربية، ويستفيد منه فى الانكليزية. وفى هذه الفترة يظهر ان لاحت له الفرصة، وطالب العلم نهم، فدرس ما استطاع من اللغات القديمة، الآرامية والعبرية واليونانية، فامتلأ حوضه من الوقوف على اللغات، وهذا بالاضافة الى ما كان قد حصله فى عين ورقة. وما نريد ان نعنى به الآن من نواحى البستانى هو ناحية صلته بزملائه الذين قاموا بترجمة الكتاب المقدس، اما جملة خبره بعد هذا، فإنه مع اشتغاله بترجمة التوراة ظل يسير سيره الجبار، فانشأ (نفير سوريا) الصحيفة الوطنية بعد ١٨٦٠ ثم المدرسة الوطنية، الاولى من نوعها فى لبنان سنة ١٨٦٣ ثم بعد ذلك عكف على وضع المعجمين «محيط المحيط» و«قطر المحيط» ثم ولج باب «دائرة المعارف» العربية، وهو اول مشروع من نوعه فى العربية، لكنه عظيم ضخم، ولاسيما قبل اليوم بتسعين سنة (وقت تأليف هذا الكتاب) والنهضة فى مدارجها الأولى، وجملة ما صدر من «الدائرة» ١١ جزءاً بالغة كلمة «عثمانية» وصدر أول جزء سنة ١٨٨٣ والحادى عشر سنة ١٩٠٠، وتعاون فى هذا العمل مع المعلم بطرس، ابناؤه سليم ونجيب ونسيب، وابن عمهما سليمان البستانى «معرب الالياذة» فستة اجزاء اصدرها المعلم بطرس وولده سليم فى سنتى ١٨٨٣ و١٨٨٤ والباقى صدر فى خلال الست عشرة السنة التالية[1].

قال القس سيكل سيل، وهو يعتمد فى هذا على مقالات الدكتور جون طمسون، وفى وصف طريقة النقل: ان المعلم بطرس كان يقوم بترجمة النصوص ثم يدقق هذه الترجمة عالى سمث من حيث مطابقة معانيها على الاصل، ثم يتولى الشيخ ناصيف الصياغة العربية. بعد هذا يقوم سمث بطبع المادة المترجمة فى كراريس، ويوزع هذه الكراريس على المختصين من

---

(١) كتاب «المعلم بطرس البستانى» فى نحو ١٢٥ صفحة للاستاذ ميخائيل صوايا (بيروت ١٩٦٣) كتاب «حيز حوى لباب سيرة المعلم بطرس، مطالعته مفيدة لذيذة.

المرسلين البروتستانت فى بلاد العرب، وأيضاً على عدد من العلماء الالمان فى المانيا، لابداء الرأى والملاحظة. ثم يعود الشىء كله الى سمث فيعيد فيه النظر لاقرار الصيغة النهائية، وبهذا تصبح الترجمة مهيأة ومعدة للطبع. وقد قام هذا الرهط: البستانى - سمث - اليازجى بترجمة اسفار موسى الخمسة واجزاء مختلفة من «الانبياء» والعهد الجديد على هذا المنوال.

وبعد ان شرع فى طبع العهد القديم ادركت المنية عالى سمث سنة ١٨٥٧ فانتقل العمل إلى فانديك.

فاستعان استاذه، فنقحا ترجمة العهد الجديد التى تركها سميث. ثم طبع ذلك سنة ١٨٦٠ واما العهد القديم فتمت ترجمته سنة ١٨٦٤ وطبعه ١٨٦٥.

وقال صاحب «المرشد» ان سمث كان مذهبه فى البيان «الميل الى ايثار الاسلوب الفصيح، مع اختيار المفردات القريبة المنال. اما فانديك فمذهبه ان طبقة الفصاحة تتبع اسلوب الكلام وروحه وتتنوع بتنوع الاسلوب، وفى التوراة اساليب مختلفة شتى» وكنا نود لو ان تفصيلات اوسع من هذه، قد حفظت لنا عن هذا العمل الخطير.

* * *

الشيخ يوسف الأسير

الشيخ يوسف بن عبدالقادر الأسير[١] الحسيني، من رجالات العلم والادب والفكر والتحرير، طبقة اولى، فى لبنان وديار الشام فى القرن الماضى. ولد فى صيدا، وكان والده يتعاطى التجارة امّا المترجَم فعزف عن ذلك وجارى ميله إلى العلم والادب، وفى صدره نوازع نبل وطموح. درس فى بلده اول نشأته ثم انتقل الى دمشق ودرس فى «المدرسة المرادية» مدة قليلة، فتوفى والده فانقطع عن الدرس وجاء بلده ليرعى امور اخوته وشؤون عائلته، ولمّا أسعفته الاسباب عاد الى تحقيق مطمحه فرحل إلى مصر فأقام فى «الازهر» سبع سنين حتى ارتوى وكان من النبغاء فى العلوم النقلية والعقلية ولم يلبث ان امسى فى كل هذا اماماً وهو فى مطلع حياته العملية، ولبنان يجتاز ادواراً كلها تطور وانتقال. ثم اننا نرى الشيخ الاسير بعد ذلك، الى نهاية حياته التى امتدت إلى اول العقد الاخير من القرن قبل الماضى، على ثلاث دروب، ويدخل بعضها فى بعض، وهى:

١- تولى المناصب الرسمية، والشرعية، فى بيروت وطرابلس وعكا والآستانة. وكانت حالته الصحية تحمله احياناً على النقلة من مكان إلى آخر انتجاعاً للعافية.

٢- عمله فى نشر كل ما يؤول الى اليقظة الذهنية العامة، وبث روح العلم، والتآخى الوطنى وتغذية النهضة ولاسيما بعد سنة ١٨٦٠.

٣- عمله فى الصحافة العربية وهى فى ادوارها الاولى. تولى رياسة تحرير مجلة «ثمرات الفنون» الشهيرة، وعمل فى «لسان الحال[٢]». وتولى التدريس فى عدة معاهد كبيرة منها «مدرسة الحكمة» و«الجامعة الاميركية» التى كانت تعرف وقتئذ «بالكلية السورية الانجيلية». هذا الى التأليف فوضع عدة كتب فى الأدب، والعلوم الشرعية.

ومن مميزات الاسير رقة الشمائل وزكاوة الخلق، ولما ظهرت حركة نقل الكتاب المقدس الى العربية فى بيروت، كان من الاعلام، كما قلنا، فى لبنان وديار الشام، وهو وقتئذ فى الكهولة الريّانة. وقبل ان يأخذ يسهم فى تنقيح الترجمة العربية مع فانديك، كان فانديك يدرس عليه اللغة العربية.

---

(١) قال الزركلى فى «الاعلام» ان «الاسير» لقب لأحد جدود المترجم وقع فى اسر الافرنج فى مالطة فلما عاد الى وطنه صار يلقب بالاسير.

(٢) «الاعلام» للزركلى فى ترجمة «الاسير».

الترجمة اليسوعية

الترجمة اليسوعية ليس لدينا الا القليل من التفصيل حولها. وصفوة هذا القليل، ما ذكره الاب شيخو اليسوعي، وهو يترجم لرهط الأسرة اليازجية فى كتابه «الآداب العربية فى القرن التاسع عشر» فقال:

«ولما عمد الآباء اليسوعيون إلى تعريب الاسفار المقدسة من اصلها العبرانى واليونانى، رأوا ان امانة التعريب لا تفى بالمرام ان لم يُعْطَ المعرَّب حقه من الفصاحة والبلاغة، بتنقيح العبارة، وسبك الكلام، وكان اذ ذاك الشيخ ابراهيم (اليازجى) نال بعض الشهرة، فدعوا به إلى مدرستهم فى غزير سنة ١٨٧٢ وباشروا معه فى العمل، وكان الاب اوغستين زوده الذى درس العربية فى الجزائر وعلم الكتابة فى فرنسة، ينقل الكتب المقدسة فصلاً فصلاً وآية آية، بعد مراجعة تفاسير الآباء والمعلمين، والترجمات الشرقية العديدة منها ثلاث ترجمات عربية، فاذا اتمّ عمله نظر فيه الشيخ نظراً مدققاً فعرض على المعرب ملحوظاته، ثم تفاوض كلاهما إلى ان يتفقا على رأى واحد، فيدونانه بالكتابة، ثم يعرضان شغلهما على أربعة اساتذة من الآباء المتضلعين بالعلوم العربية والمعرفة باللغات الشرقية، فلا يطبع شيء إلا بعد مصادقتهم على كمال الترجمة.

«واشتغل الشيخ ابراهيم فى تنقيح التوراة العربية نحو ٩ سنوات فى غزير وبيروت، وقد علم سنين طويلة فى المدرسة البطريركية، فتخرج عليه كثيرون من احداثها اشتهر بعضهم بالتأليف، ثم يمضى الاب شيخو بايجاز ترجمة الشيخ ابراهيم. (الآداب العربية فى القرن التاسع عشر ص٣٥ و٣٦ الجزء الأول).

ولا نعلم متى بدأ المترجمون اليسوعيون عملهم ولعله سنة ١٨٧٢. غير ان صاحب «المرشد» يقول (ص٦٠) ان العهد الجديد طبع سنة ١٨٧٨ و«العهد العتيق» سنة ١٨٨٠. وفاة الشيخ ناصيف كانت سنة ١٨٧١.

ونلفت النظر الى «معجم اعلام الشرق والغرب» فى «المنجد» فنجد شيئين حريين بالذكر، أولاً كلمة موجزة تتعلق بالترجمة اليسوعية تحت مطلب «الكتاب المقدس»: «هو كتاب الوحى المسيحى. اشهر ترجماته العربية - المعروفة بترجمة اليسوعيين - تعتبر طرفة فى الادب العربى. وضع نصوصها نخبة من علماء الكتاب المقدس، ثم نقح عبارتها الشيخ إبراهيم اليازجي، وأصدرتها المطبعة الكاثوليكية، وسجل طبعها تقدماً جريئاً فى الفن الطباعى العربى».

وقال المعجم فى ذكر الشيخ إبراهيم: - (.. من ائمة النهضة الادبية والعلمية لاسيما

بابحاثه اللغوية. اخذ علوم العربية عن ابيه الشيخ ناصيف. حفظ القرآن. وتوسط حلقات التعليم فى المدرسة البطريركية. اتقن اللغات الغربية وألم بالعبرية والسريانية. صنع بيده امهات الاحرف العربية للمطابع نقح نصوص العهد القديم التى ترجمها اليسوعيون. أسس مجلة «الضياء» وحرر القسم الاكبر منها. «والضياء» كانت بين ١٨٩٧ و١٩٠٦ وكانت مجلى عبقرية الشيخ ابراهيم فى نصوص البيان العربى والابحاث اللغوية).

ومما ذكره المعجم حول ترجمة الكتاب المقدس، نعلم ان الذين تعاونوا فيه «نخبة من علماء الكتاب المقدس» ولا زيادة من العلم على هذا، وهذا يدل على ان الاب روديث لم يكن منفرداً.

والبيت اليازجى، ويا للغرابة، بدأ يضىء ويشرق بالشيخ ناصيف وجعل يخبو بوفيات اولاده وبناته من بعده واحداً بعد آخر، فما جاء آخر الربع الاول من القرن العشرين، الا واليازجيون خالدون فى الكتب الى ما شاء الله. وليس منهم احد اليوم يدب فى الدنيا والخلود دائما هو هذا: فى الكتب، وآخر ما نذكر من سلالتهم ان أحد احفاد الشيخ ناصيف، وهو حبيب، عاش إلى ما بعد الحرب العالمية الاولى بقليل، وكأن قد هالته الكثرة فى النسل اليازجى! فأحب ان يترهب فينقطع النسل بالمرة، وكان فى مصر الصحافى الاجتماعى النقريس، سليم سركيس، صاحب «مجلة سركيس» فناداه: «إلاَّ أنت يا حبيب!» أى: كل غيرك يدخل الدير الا انت. ثم انطفأت القناديل كلها. «ووردة» الشاعرة ابنة الشيخ ناصيف توفيت فى مصر سنة ١٩٢٤.

* * *

وقد يسأل قارىء: وأين هذا الذى اوردناه بايجاز عن البستانى واليازجيين ورهط المستعربين الاميركان، ومن قافلة الكلام على ترجمة «الكتاب المقدس»؟ والجواب: ان الشوامخ البناة فى التراث العربى، فى أى عصر كانوا، علينا ان نلم بكل ما يمكن من اخبارهم. والذين اضطلعوا بترجمة الكتاب المقدس، هم اولى الناس بان نعرف من اخبارهم على الأقل هذا الموجز. جزاهم الله خيراً.

أمثلة من عبارة الترجمتين: الأميركية البروتستانية واليسوعية اللاتينية

الأميركية - البروتستانتية

(١) وعمل بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب ليد مديان سبع سنين (٢) فاعتزت يد مديان على إسرائيل. بسبب المديانيين عمل بنو إسرائيل لانفسهم الكهوف التى فى الجبال والمغاير والحصون (٣) وإذا زرع إسرائيل كان يصعد المديانيون والعمالقة وبنو المشرق يصعدون عليهم. (٤) وينزلون عليهم ويتلفون غلة الأرض إلى مجيئك إلى غزة ولا يتركون لإسرائيل قوت الحياة ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً. (٥) لانهم كانوا يصعدون بمواشيهم وخيامهم ويجيئون كالجراد فى الكثرة وليس لهم ولجمالهم عدد. ودخلوا الأرض لكى يخربوها. (٦) فذل اسرائيل جداً من قبل المديانيين. وصرخ بنو إسرائيل إلى الرب.

(سفرة القضاة ٦: ١- ٦)

(١) وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين وقالت اقتنيت رجلا من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت اخاه هابيل. وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً فى الأرض (٣) وحدث من بعد ايام ان قايين قدم من اثمار الأرض قرباناً للرب (٤) وقدم هابيل ايضا من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وقربانه.

(سفر التكوين ٤: ١ ـ ٤)

اليسوعية - اللاتينية

(١) وضع بنو إسرائيل الشر فى عينى الرب فدفعهم الرب إلى ايدى مدين سبع سنين (٢) وقويت ايدى مدين على إسرائيل فاتخذ بنو اسرائيل لانفسهم المغاور التى فى الجبال والكهوف والحصون من وجه مدين. (٣) وكان اذا زرع اسرائيل يصعد المدينيون والعمالقة وبنو المشرق ويخرجون عليهم (٤) ويجيئون عليهم ويفسدون غلة الأرض الى مدخل غزة و لا يبقون ميرة فى إسرائيل ولا غنماً ولا بقراً ولا حميراً (٥) لانهم كانوا يصعدون بماشيتهم وخيامهم ويأتون فى مثل كثرة الجراد بحيث لا يعدون هم ولا جمالهم ويأتون الأرض ويفسدونها (٦) فذل إسرائيل جداً امام مدين وصرخ بنو اسرائيل إلى الرب.

(سفرة القضاة ٦: ١ ـ ٦)

(١) وعرف آدم حواء امرأته فحملت وولدت قاين فقالت قد رزقت رجلاً من عند الرب (٢) ثم عادت فولدت اخاه هابيل راعى غنم واقين كان يحرث الأرض (٣) وكان بعد ايام ان قاين قدم من ثمر الأرض تقدمة للرب (٤) وقدم هابيل ايضاً شيئا من ابكار غنمه ومن سمانها فنظر الرب إلى هابيل وتقدمته.

(سفر التكوين ٤: ١ -٤)

(١) حكمة المرأة تبنى بيتها والحماقة تهدمه بيدها (٢) السالك باستقامته يتقى الرب والمعوج طرقه يحتقره (٣) فى فم الجاهل قضيب لكبريائه. اما شفاه الحكماء فتحفظهم.

(الامثال ١٤: ١-٣)

(١) للانسان تدابير القلب ومن الرب جواب اللسان (٢) كل طرق الانسان نقية فى عينى نفسه والرب وازن الارواح (٣) الق على الرب اعمالك فتثبت أفكارك (٤) الرب صنع الكل لغرضه والشرير ايضاً ليوم الشر.

(الامثال ١٦: ١-٤)

(٨) هلمى معى من لبنان يا عروس معى من لبنان. انظرى من «رأس امانة[1]» من رأس شَنِير[2] وحَرْمون من خدور الاسود من جبل النمور (٩) قد سبيت قلبى يا اختى العروس قد سبيت قلبى بإحدى عينيك بقلادة واحدة من عنقك (١٠) ما احسن حبك يا اختى العروس كم محبتك اطيب من الخمر وكم رائحة ادهانك اطيب من كل الأطياب.

(نشيد الانشاد ٤: ٨-١٠)

(١٠) حبيبى ابيض واحمر مُعْلَمٌ بين ربْوة (١١) رأسه ذهب ابريز. قصصه

(١) المرأة الحكيمة تبنى بيتها والسفيهة تهدمه بيديها (٢) السائر باستقامته يتقى الرب والذى طرقه ملتوية يستهين به (٣) فى فم السفيه قضيب الكبرياء وشفاه الحكماء تحفظهم.

(الامثال ١٤: ١-٣)

(١) للانسان إعداد القلب ومن الرب جواب اللسان (٢) جميع طرق الانسان زكية فى عينيه والرب وازن الارواح (٣) فوض الى الرب اعمالك فتثبت مقاصدك (٤) الرب صنع الجميع لاجله والمنافق أيضاً ليوم السوء.

(الامثال ١٦: ١-٤)

(٨) هلمى معى من لبنان ايتها العروس معى من لبنان. انظرى من «رأس امانة[1]»، من «رأس سنير[2]»، وحرمون من مرابض الاسود من جبال النمور (٩) قد خلبت قلبى يا أختى العروس قد خلبت قلبى باحدى عينيك وقلادة من عنقك (١٠) ما ألطف حبك يا أختى العروس ان حبك الذ من الخمر وعَرْق ادهانك فوق جميع الأطياب.

(نشيد الانشاد ٤: ٨-١٠)

(١) حبيبى ابيض واشقر عَلَم بين ربوة (١١) رأسه نُضَارٌ ابريز وغدائره

---

(١) قال قاموس الكتاب المقدس: «امانة» كلمة عبرية معناها «الثبات» وهى اسم لجبل لبنان الصغير. وربما يقع نبع نهر ابانة، الذى يسمى ايضا امانة، فى هذا الجبل.

(٢) سنير أو شنير واحد. قال قاموس الكتاب المقدس: «اسم اموري ربما كان معناه جبل السنا او النور وهو الاسم الذى اطلقه الاموريون على جبل حرمون».

مسترسلة حالكة كالغراب (١٢) عيناه كالحمام على مجاري المياه مغسولتان باللبن جالستان فى وَقْبَيْهما (١٣) خدّاه كخميلة الطيب وأتْلام رياحين ذكية. شفتاه سوسن تقطران مراً مائعاً (١٤) يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد، بطنه عاج أبيض مغلف بالياقوت الأزرق (١٥) ساقاه عمودا رخام مؤسستان على قاعدتين من ابريز. طلعته كلبنان. فتى كالارز.

(نشيد الانشاد ٥: ١٠ - ١٥)

(٣) لان بنى اسرائيل وبنى يهوذا انما صنعوا الشر فى عينى منذ صباهم. لأن بنى إسرائيل انما اغاظونى بعمل ايديهم يقول الرب (٣١) لأن هذه المدينة قد صارت لى لغضبى ولغيظى من اليوم الذى فيه بنوها إلى هذا اليوم لانزعها من امام وجهى (٣٢) من اجل كل شر بنى إسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم ورجال يهوذا وسكان اورشليم.

(ارميا ٣٢: ٣٠ -٣٢)

كسعف النخل حالكة كالغراب (١٢) عيناه كحمامتين على انهار المياه تغتسلان باللبن وهما جاثمتان فى وَقْبَيْهما (١٣) خدّاه كروضة أطياب وخضيلة رياحين وشفتاه سوسن تقطران مراً ذكياً (١٤) يداه حلقتان من ذهب مرصعتان بالزبرجد وجسمه عاج يغشّيه اللازورد (١٥) ساقاه عمودا رخام موضوعتان على قاعدتين من ابريز وطلعته كلبنان. هو مختار كالارز.

(نشيد الانشاد: ٥: ١٠ - ١٥)

(٣٠) فان بنى اسرائيل وبنى يهوذا انما هم صانعو شر فى عينى منذ صِبَائهم اذ أسخطنى بنو إسرائيل بعمل ايديهم يقول الرب (٣١) لان هذه المدينة كانت عرضة لغضبى وحنقى من يوم بنوها الى هذا اليوم حتى أمحقها من امام وجهى (٣٢) لأجل جميع شر بنى اسرائيل وبنى يهوذا الذى صنعوه ليسخطونى هم وملوكهم ورؤساؤهم وكهنتهم وانبياؤهم ورجال يهوذا وسكان اورشليم.

١٧ - احمد فارس الشدياق
١٨٠٤ - ١٨٨٧

- ترجمته الكتاب المقدس فى لندن ١٨٥١.
- «صقر لنان» لمارون عبود فى الشديلق.
- صفوة ترجمة احمد فارس الشدياق ووصف آثاره.
- لماذا طويت هذه الطبعة ولم تعرف فى العالم العربى؟
- مناجاة مارون للشدياق فى يوبيل الذكرى الخمسين.

احمد فارس الشدياق
١٨٠٤ - ١٨٨٧
ترجمته الكاملة للكتاب المقدس سنة ١٨٥١

قد يدهش القارىء اذ يعلم، وهو يتابع هذه الصفحات، ان هناك ترجمة عربية ثالثة «للكتاب المقدس»، قام بها امام العربية احمد فارس الشدياق فى لندن وطبعت فى لندن فى منتصف القرن التاسع عشر. واين هى اليوم هذه الترجمة، ولماذا لم تظهر للناس فى اى رقعة من العالم العربى، وما صفوة خبرها؟

* * *

اما الامام احمد فارس الشدياق، فهو فى «النهضة الادبية الحديثة» «رجلها الاول»، كما وصفه بهذا مترجمه ومؤرخه مارون عبود فى كتابه «صقر لبنان»[1] (بيروت ١٩٥٠).

مجمل سيرته واعماله الكبرى

سيرته تختلف عن سيرة انداده الائمة فى لبنان الذين قاموا بعبء الترجمتين، الاميركية واليسوعية. وهو لبنانى، ومن اسرة الشدياق المشهورة بانجاب العباقرة من رجال الدين والدنيا، وولد فى عشقوت (كسروان - لبنان).

ونحن هنا لسنا فى صدد ترجمته الا مجملاً. وخير ما يفعل القارىء العربى، اذا شاء الالمام الحسن بحقائق حياته، ان يقرأ «صقر لبنان».

وعلى من يريد ايجاز صورته فليعلم اين يبتدىء، فالرجل لا يسترعى انتباه القارىء اذا سلط عليه المقاييس العادية فى وزن الرجال الذين يعلون حتى يصبحوا فى فلك العباقرة. فالشدائد التى ذاقها فى حياته ذاقها غيره. والحياة لا تصفو لأحد. لكن تتجلى قيم احمد فارس الشدياق فى النهاية. بعد ان انتهى الشوط كله، وخلف وراءه دنيا مترعة بالفكر المتلألىء والنقد، وفن الكتابة الحرة، والعبارة السلسة، حتى امست العربية فى ذهنه وصدره وعلى

(١) «صقر بنان» كتاب صغير الحجم فى اقل من ٢٢٥ صفحة، وهو على ايجازه، الكتاب الكافى الوافى في ترجمة احمد فارس الشدياق، وذلك لان المترجم والمؤرخ هو مارون عبود الدائر فى فلك وحده. واما تسمية هذا الكتاب «بصقر لبنان» فسببها تسمعه من مارون عبود نفسه، فقال فى صفحة مفردة بعد صفحة الوسمة: «اخى القارىء! ربما ذكرك قولنا «صقر لبنان» بقولهم «صقر قريش»، وهو كذلك. فكما فى السياسة كذلك فى الادب. فرّ عبد الرحمن من الشام فشيد مملكة طريفة نسميها اليوم «الفردوس المفقود». وفر احمد فارس الشدياق من لبنان فاحيا دولة ادبية ما زال رأسها سالماً. ليس للبنان فرد صقر. قد اهتدى بهذا العلم صقور ونسور، وكان ما كان».

لسانه، كأنها اشياء طبيعية ولدت معه بالفطرة، تخالط انفاسه، وتمتزج بروحه، وهو كيفما دار وتحرك وسكن، وتحول واتجه، اعطاك فيضاً من عبقريته الدائمة الاشعاع والتضوع. رجل عجيب حقاً.

هو نيزك لبنان فى القرن التاسع عشر. فى مستوى نبوغه كأنه هبط من فوق.

توفى فى استنبول، ونقل جثمانه الى بيروت، ودفن «فى مقبرة عائلته» ثم نقل الى مقبرة خاصة بجوار مدافن «المتصرفين[1]» فى «الحازمية» وحدث أخيراً ١٩٣٧ انه بينما كان العمال يحفرون «فى اصلاح الطريق العام فى الحازمية حيث مدفن الشدياق) عثروا على نعش من الرصاص، ففتحوه فإذا به يضم احمد فارس الشدياق.

«الجثمان على حاله - ولشد ما كانت دهشة العمال عندما وجدوا الجثمان لا يزال على حاله، كأن العلامة الشدياق ميت منذ يومين فقط. فلحيته باقية، وحاجباه باقيان ايضاً، ولم يطرأ على شعره وعلى وجهه اى تبدل او تغير، وليس هذا فقط. بل ان الكفن الذى لف به، وهو من الحرير المعروف «بالتفتا» لا يزال على حاله ايضاً، كما ان ختم دائرة الصحة فى استنبول مابرح موجوداً على التابوت». (صقر لبنان ص ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢١٥ و ٢١٦)

* * *

وأعيد الى مثواه، وأقيم له مهرجان يوبيل خمسينى، قام ببعثه عصبة فى طليعتها اثنان مارون عبود وفؤاد حبيش، ومارون كان اوفى لبنانى فى تخليد ذكرى الفارياق.

* * *

قالوا: اذا نظرت اليه عبقرياً، فيؤخذ عليه فى بعض المواطن، النقد اللاذع الممزوج بالمجون: اجاب مارون عبود على هذا الاعتراض، فارجع اليه فى «صقر لبنان» إن شئت.

وصفته جريدة (البورص اجبسيان) فى ٢٦ تموز ١٩٣٧ وجعلت منه ومن «فكتور هيغو» كفتى ميزان، وفرسى رهان، فقالت: «ما بين ١٨٠٢ و ١٨٨٧ نشأ رجلان، ان اختلفا موطناً ولغة، فقد اتفقا فى الاتجاه والمثل الأعلى. من المفيد جدا ان نعلم ان هذين الرجلين اللذين لم يتعارفا ابداً، قد جريا لغاية واحدة طول حياتهما. فهذان الرجلان هما المعلمان المطلقان للغتهما، قد تصرفا بها كما شاءا بسهولة عجيبة. اسخطهما محيطهما فماشا يهجوان شعراً ونثراً المتسلطين فى عصرهما، مقبحين الاساءة والجور: فيكتور هيغو وأحمد فارس الشدياق». ولد احمد فارس الشدياق (١٨٠٤) فى ايام الامير بشير الثانى الكبير.

وخرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو فى الحادية والعشرين، وما فى صدره هوما

(١) حكام لبنان زهاء ٥٤ سنة، بعيد سنة ١٨٦٠ الى أوائل الحرب العظمى الاولى سنة ١٩١٤ وهذا تعبير تركى «والمتصرف» دون «الوالى»، وربما كان «المحافظ» اليوم دون المتصرف.

حصله من المعارف فى مدرسة «عين ورقة» وما اخذه عن اخيه اسعد. قال الشعر قبل ان يبلغ العاشرة. ومن فطرته كان مولعاً بالنمط الجيد الصحيح الفصيح من العربية. وفى مصر، ازداد وتبحر، واوعب واستوعب، فعينته الحكومة المصرية محرراً أو مصححاً للجريدة الرسمية التى كانت تسمى «الوقائع المصرية» فبرز فى عمله وأخذ اسمه وذكره يلتمعان. وفى مصر تزوج بنت «الصولى» وهى من أسرة سورية وجيهة. وفى مصر ايضاً اتصل به المرسلون الامير كان للاستفادة من لغته وبيانه. ثم نقل الى مالطة لعمل مع الاميركان اوسع مسؤولية من عمله فى مصر، بعد ان قضى فى وادى النيل ٣ سنوات، ومالطة كانت مركزاً تبشيرياً للاميركان، فعمل معهم فى مالطة مدة لا تقل عن ١٤ سنة مطردة.

* * *

قال مؤرخه وواضع سيرته الجبار مارون عبود، ان الشدياق لما كان فى مالطة» استدعته وزارة خارجية انكلترا ليعاون «الدكتور لى» فى ترجمة التوراة وتنقيحها، فاقام فى لندن وضواحيها سنوات، فوصفها لنا اطرف وصف فى «كشف المخبأ» وقد جاءت ترجمته للتوراةاصح الترجمات بشهادة علامة زمانه المطران يوسف الدبس الشهير. اما شيخنا الشدياق، فلم يكن راضياً كل الرضى عنها، وقد وصف لنا ما كان يعترض طريقه عند الدكتور لى» (صقر لبنان ص ٩٤) وسنعود الى هذه المسألة التى هى من غاية المراد فى كلامنا على ترجمة الكتاب المقدس.

وتوفى ابن له فى لندن اسمه «فايز»، فتجمل فى فقده بصبر جميل. ومن لندن انتقل الى باريس، وواتاه الحظ بأن لقى فيها احمد باشا باى تونس، فدعاه (الباى) الى بلاده فقبل الدعوة شاكراً، وبعد عودة الباى الى تونس ارسل باخرة خاصة تقلّ الشدياق وعائلته من مرسليا الى تونس الخضراء. وهنا نقطة مهمة، فان الشدياق احمد فارس، لما هاجر من لبنان سنة ١٨٢٥ الى مصر انما كان السبب فى هجرته هذه، ما خشى على حياته فى لبنان من مصير غامض يفاجئه بعد النازلة التى حاقت باخيه اسعد وأودت به سنة ١٨٣٠. وقصة اخيه اسعد مأساة بدأت سنة ١٨٢٣ وفى هذه السنة بدأ المرسلون الاميركان يفدون على بيرت من مالطة، فاتصلوا باسعد للاستفادة من علمه وادبه وكفايته فى الترجمة وما اليها، وادّى هذا به الى اعتناقه البروتستانتية، فلم ترضَ عنه الكنيسة المارونية فطالت قصته وكانت مأساة فى النهاية وبعد سنتين من بدء هذه القصة هاجر أخوه احمد فارس الى مصر شبه فار، وفى مصر محمد على، وفى لبنان الامير بشير، ولما وضع الشيخ طنوس الشدياق، اخو احمد فارس واسعد، تاريخه «اخبار الاعيان فى جبل لبنان» وبلغ به ما يقرب من سنة ١٨٥٩ لم يذكر شيئاً من مأساة اخيه اسعد، وانما مر به بعبارة موجزة. ولما طبع الكتاب واطلع عليه احمد فارس،

عاتب اخاه الشيخ طنوس على اغفاله قصة اسعد. والقصة حقاً شائكة لمن يريد ان يؤرخها ويبسط تفاصيلها أمس واليوم.

* * *

هذا هو الوجه الاول للنقطة المهمة، ولها وجه آخر وهو: ان حياة احمد فارس فى لبنان كانت بين الاصطراعات الاقطاعية والامير بشير، واسرته منذ القرن ١٧ فى المضمار، مليئة بالمخاوف والبؤس والشقاء، وهو، احمد فارس، وصف كل هذا فى كتابه المشهور، واخذ ينتقل بين مصر ومالطة ولندن وتونس والاستانة، جعل الدهر يبسم له أفقا بعد افق، وهو يزداد علوا واشراقاً، الى آخر حياته.

* * *

ولهذا. قال واصف عبقريته وسادن كمبته، مارون عبود مشيراً الى تعالى استاذه (احمد فارس) فى الرتب والنعم، بين باى تونس، والخليفة: «وجاء تونس» فغرق فى نعمة الباى. قلده اسمى المراتب، وعهد اليه برئاسة تحرير جريدة «الرائد التونسى» و«مديرية المعارف». ثم اسلم وتسمى احمد، وتكنى «بأبى العباس»، وطار صيته فى الشرق والغرب، فطمعت الآستانة به، فطلبه جلالة السلطان من سمو الباى، فجاء الآستانة مكرماً مبجلاً، بعد سير وراء ذلك الحمار بين «بسوس» «وبشامون» «وعين عنوب»[1] وغيرها، فها هو فى قصور اسطمبول ينعم غارقاً بين الزهور والعطور بعد ما كان يسير وراء حمار وصفه بقوله...» (صقر لبنان ص ٩٧).

* * *

بلغ احمد فارس ذروة مجده فى الاستانة، مقرباً من السلطان الخليفة، مرموقاً بالتجلة من كل ناحية، فأكرمه السلاطين ولا سيما عبد الحميد، فأحاطه بالرعاية والاوسمة والرتب، فضخم اسم احمد فارس وبَعُد صيته، وانطلقت مواهبه فوق كل انطلاق سابق، وأصدر جريدة «الجوائب» التى كانت تصدر من ضفاف البسفور وتجوب العالم الاسلامى، وعواصم العالم الغربى، وهناك ثلاث صحف اسلامية بلغن السنام الاعلى فى الذيوع والانتشار فى الربع الاخير من القرن قبل الماضى: «الجوائب» لأحمد فارس فى الآستانة، «والمؤيد» للشيخ على يوسف فى القاهرة، «وثمرات الفنون» للسيد عبد القادر القبانى فى بيروت، وتعاصرت هذه الصحف مدةً ما. وتولى بالاضافة الى اصدار «الجوائب» ادق عمل ثقافى فى ذلك الوقت، وهو تصحيح «الطباعة الشاهانية» وهذه تحتاج الى كفاية علمية نادرة. وطبع من كتب التراث العربى شيئاً كثيراً، واتّسمت مطبوعات «الجوائب» بالرونق والاتقان الى ما وراء الغاية، وبمثل هذا ايضاً امتازت مطبوعات اليسوعية فى الوقت نفسه. وظلت «الجوائب» تصدر نحواً من ٢٣

---

(١) قرى فى قضاء عالية من لبنان.

سنة حتى احتجبت سنة ١٨٨٤ قبل وفاة صاحبها بنحو ٣ سنين.

* * *

انطلقا نيزك لبنان بعد قليل تاركاً وراءه من الكنوز ما لم يستطع ان يتركه احد غيره.

ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس

نعود الى ترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس .

واول ما ينبغي الاشارة اليه، هو ان احمد فارس قام بهذه الترجمة قبل ان يسلم ويتسمى احمد، ويكنى بأبي العباس.

ونستطيع الآن ان نعلم جملة مراحل حياته بعد خروجه من لبنان[1]:

١ - خرج من لبنان الى مصر سنة ١٨٢٥ وهو في الحادية والعشرين ليجتنب مصيراً سيئاً بسبب اخيه اسعد.

٢ - اقام في مصر نحواً من ٣ سنين ثم انتقل الى مالطة سنة ١٨٢٧ - ١٨٢٨.

٣ - في مالطة اقام ١٤ سنة. في مصر جعل يلتمع وفي مالطة يزداد التماعاً.

٤ - حوالي ١٨٤٢ طلبته وزارة الخارجية ليعاون «الدكتور لي» بترجمة الكتاب المقدس، فذهب الى لندن واقام فيها سنوات وقام بهذا العمل الخطير، خير قيام.

٥ - بعد اقامته في لندن، تحول الى باريز، وليس لدينا تاريخ ذلك، ولا ندري ايضاً كم بقي في باريز حتى لقي باي تونس، وبعد اقامته في تونس السني التي كتبت له هنالك، وبعد اسلامه، لبى دعوة السلطان فتراه سنة ١٨٦١ في الآستانة وهو يرتقي الى أعلى أوج من عز بلغه وتصدر «الجوائب» في الاستانة ١٨٦١ وامتد به الشوط الى نهاية حياته في الاستانة.

* * *

وذكر مارون عبود من اسماء مؤلفات الفارياق (اكثر من ٢٠) مؤلفا اهمها «سر الليال في القلب والابدال»، و «الجاسوس على القاموس» و «منتهى العجب في خصائص لغة العرب» وهذه في اسرار العربية علا فيها علواً ضاهى به الأئمة المتقدمين وله «غنية الطالب» في

(١) يقول مارون عبود ان الفارياق عاد الى لبنان خلسة سنة ١٨٣٧ (اي ايام مقامه في مالطة، ووجود ابراهيم بن محمد علي في الشام) ولم يطل مكثه في لبنان وفي احد المجالس قال لجلسائه: «ان رأس الفقير ليس باضيق ولا اصغر من رأس الامير. وان يكن هذا اكبر عمامة واغلظ قذالاً. ارفعوا فرق المذاهب من بينكم، فذلك ادعى لكم الى الحظ والسرور. اعلموا، هداكم الله، ان فرق الآراء في الاديان لا يمنع من الالفة والمخالسة (الفارياق طبع باريز ص ٤٦٣).

الإعراب والقواعد والصرف والنحو.

هذه قافلة. واما «الساق على الساق فيما هو الفارياق» في عدة اجزاء فدنيا وحدها. وهذا الكتاب طار كل مطار، وغيثه مدرار وهو صفحة الرجل من ألفه الى يائه في طبعه وعلمه وملاحظته ومجونه. طبع في باريز، ثم في مصر بعد الحرب المللية الاولى، وعلم انه يطبع في بيروت اليوم طبعة انيقة. هذا الكتاب قافلة ثانية ويجرى وحده.

القافلة الثالثة هى كتبه التى طواها على وصف الحضارة وعاداتها ومجتمعها فى رجالها ونسائها. «كشف المخبا عن فنون اوروبا» و «الواسطة فى معرفة احوال مالطة».

والرابعة بقية كتبه فى الادب والشعر والنوادر والمقالة الصحفية اللامعة، وجمع من مقالاته وطبع سبعة اجزاء تؤلف ثروة فكرية سياسة ادبية ليس لها نظير.

والقافلة الخامسة كتاب خطير حول التوراة، لم ينشر قط، ويقول مؤرخه ابو محمد مارون عبود ان هذا الكتاب مفقود.

وقافلته الكبرى، ترجمة الكتاب المقدس، وهذا ما انتهى بنا الكلام اليه بعد ان استوفينا من الفارياق جملة مناحيه المتقدمة.

* * *

هذا الموضوع المتعلق بترجمة احمد فارس الشدياق للكتاب المقدس، يهمنا من ناحية الادب العربي، او التراث، او تعدد العبارة المترجمة للتوراة. ونكرر، انه حرى بالقارىء العربي ان يحيط بمجمل هذا الامر كله، قدر المستطاع.

ونوزع الكلام فقرة وكل فقرة تنطوى على معنى أو ناحية:

١ - لترجمة الكتاب المقدس اليوم عبارتان فى العربية، عبارة الترجمة الاميركية، وعبارة الترجمة اليسوعية، وقد تقدم الكلام على كل منهما.

٢ - ترجمة احمد فارس الشدياق لم نقف عليها، ولا هى فى الوجود المحرز، ولا فى اى متناول، على ما هو ظاهر، ولا نعلم احداً من العرب المعاصرين فى لبنان قد وقف عليها، ولا نعلم شيئاً من السبب فى احتجابها بعد ان طبعت، الا ما يجوز تقديره، والقارىء رأيه فى ما نقوله فى هذا الصدد. ولو كانت هذه الترجمة فى المتناول اليوم، لكان للترجمة ثلاث عبارات، واذا جاز لنا ان نضيف كل عبارة الى صاحبها من حيث البيان، كانت هذه العبارات الثلاث تتصرف هذا المنصرف:

١ - عبارة الشيخ ناصيف اليازجى والشيخ يوسف الاسير الحسينى فى الترجمة الاميركية.

٢ - عبارة الشيخ ابراهيم اليازجي في الترجمة اليسوعية.

٣ - عبارة الشيخ احمد فارس الشدياق في الترجمة التي تولتها «جمعيه ترقية المعارف المسيحية» البروتستانتية في لندن.

٣ - ترجمة احمد فارس الشدياق هي اسبق الجميع في الظهور، لكن في بلاد الانكليز لا في بلاد العرب.

٤ - مصادر علمنا عن ترجمة احمد فارس الشدياق، التواتر المتواصل منذ منتصف القرن الماضي وقليل من المصادر المطبوعة.

٥ - اسباب انطواء ترجمة الفارياق، تدخل طبعاً في بحث هذا الموضوع بحثاً علمياً مجرداً. غير اننا هنا لسنا في هذا الصدد بشيء، ولا سبله ميسورة اذا ابتغيناه، وهذه الاسباب نقدرها تقديراً وهي، على ما يظهر، ان الجمعية التي كان يمثلها «الدكتور لي» في لندن لترجمة الكتاب المقدس، لما رأت ان المترجم قد «أسلم» في تالي حياته، وهو وحده كان مضطلعاً بعبء العمل، مع الدكتور لي، فرأت أنه اولى بالترجمة ان تطوى، بعد ان طبعت، ولا توضع في التداول. يرد على هذا: وهذا الشيخ الاسير، قد اشترك مع فانديك في تنقيح ما تركه الشيخ ناصيف، فكيف يحلل الأمر في بيروت ويحرم في لندن والجواب ان هنالك فرقاً بارزاً لا ينكر بين شركة الأسير الجزئية في بيروت والمقدم بعد كل حساب هو فانديك، وبين استقلال الفارياق بالعمل وحده وهو لا شريك له، ولا رأى ينسخ رأيه، او يعدله، او يأبى قبوله الا الدكتور لي ومباشر الترجمة هو احمد فارس. ثم هنالك فرقاً بين البيئة الفكرية في لبنان وبيئة الدكتور لي في لندن.

٦ - وضع الفارياق كتاباً ضخماً طواه على آرائه في قضايا كثيرة وردت في التوراة. وهذا الكتاب لم يطبع قط، واختفت نسخته المخطوطة. وقد تكون آراء الفارياق في بعض المسائل الواردة في التوراة لا تتفق ورأى غيره من الناس. فاذا اضفنا هذا الى ما قلناه في الفقرة السابقة كان من الاثنين وجهة نظر لها وزنها عند فريق الدكتور لي.

٧ - كان الفارياق يذهب في تفسير القضايا الدينية، في المسيحية والاسلام مذهباً عقلياً، او «معتزلياً»، اذا جاز التعبير. وهنالك نقاد في كل عصر للمسائل الدينية، على هذا الغرر. اما في الاسلام، فقد قال مؤرخه مارون عبود ابو محمد انه لا يؤمن بالوحي ويخطيء ما لا يسلّم به العقل (صقر لبنان ص ١٠٧).

٨ - عبارته الناقدة، اللاذعة، الحرفية، شائعة في ادبه، وهو لو جرّد من هذا الطبع لهبطت قيمه الأدبية الى ما فوق القعر بقليل. وعند ناقديه من رجال الدين، هذه هي علته، وعند قارئيه من العلمانيين هذه هي ميزته في ادبه، وشارته في تصاويره، الا ما بلغ الغلو فهذا

على الجملة غير مستملح ولا مستحب كما يقول فريق. أما مؤرخه الصيرفي الجهبذ الخبير، الحار المتحرر، مارون عبود، فمع استاذه الفارياق، اشراقاً باشراق، ومشتاقاً بالعقل الى مشتاق. هذه هى الحقيقة ودع عنك سجعة «الساق على الساق» فالشرر المتطاير من مطرقة الحداد على السندان، غير الوميض من البرق في الابراق.

٩ – هذا التقدير الذى نعرضه فى هذا المعرض للاسباب التى حالت دون السماح لترجمة الفارياق فى الانطلاق، ودعت الى استردادها وجمعها وطيها بعد ان بلغت الاسواق، مدة محدودة، اذا جمعنا بعضه الى بعض لعله يفسر لنا ما يسأل عنه القارىء العربى. وقد نرى عما قريب بحثاً مستفيضاً فى هذه المسألة لغيرنا، يكشف فيه من الستار ما تظهر معه خوافى الاسرار.

* * *

١٠ – وما قلناه حول ترجمة الفارياق للكتاب المقدس، انما يتعلق بالناحية الادبية البيانية فى التراث العربى، لا اكثر. واما انكماش ترجمة الفارياق فخسارة لا فى بلاد الانكليز بل فى بلاد العرب.

قال القس سيكل سيل صاحب «المرشد الى الكتاب المقدس» فى نهاية الفصل الذى عقده على الترجمات العربية الحديثة. وجعل هذا ختام كلامه: «وقد ترجم الكتاب كله المعلم فارس الشدياق بعناية ونفقة الجمعية الانكليزية المعروفة بجمعية ترقيةالمعارف المسيحية، وطبع العهد الجديد عن هذه الترجمة سنة ١٨٥١، ثم طبع العهدان ايضاً سنة ١٨٥٧ فى مدينة لندن» (المرشد ص ٦٤).

ونرى ان القس سيكل سيل، مع ايجازه القصة هذا الايجاز، لم يتطرق بشىء الى ناحية المصير الذى لاقته ترجمة الفارياق.

وقد ذكر مارون عبود فى «صقر لبنان» نماذج مستطابة، لذيذة، فكهة، من مذهب «الدكتور لى » فى اختيار العبارة بحيث لا تكون موشاة بشىء مما يشبه القرآن الكريم او الحديث الشريف فارجع الى هذا اذا شئت (ص ٩٤ – ٩٦) واضحك!

* * *

اما اجمال الكلام ، لا اشباعه، فى عبقريات الفارياق فيحتاج إلى كراريس قد تبلغ الكراديس، ويظل الرجل كلما اقبلت على افق منه انجلى لك منه افق آخر، وآفاقه لا تنتهى. من شاء ان يزوره، فضريحه بجانب الطريق العام فى الحازمية.

* * *

قال العبقرى ابو محمد مارون عبود فى نهاية (صقر لبنان): -

«وشاع عند العوام ان الشدياق قديس (هذا لما فُتح التابوت فاذا بالفارياق بعد خمسين سنة كأنه ما فارق: صورته كاملة، لكنها صامتة، وشعر لحيته وحواجبه هو هو!) لان جسده لم يبل. فخطر لى ان اكتب كلمة حول الموضوع، فتخيلت اننى اخطب الناس على قبر الشدياق يوم يوبيله، فكتبت:

قلت: وهذا الذى كتبه ابو محمد يقع فى نحو من صفحتين من كتابه «صقر لبنان»، طواه على عتبة ابى العباس ومناجاته، فى عبارات يتضوع منها ارج الوفاء. وليس هذا هو الميزان. بل لا اعتقد ان احداً يقوى على مثل هذه المناجاة، غير ابى محمد، وهو بالغ اعلى درجات السلم، فى العالم قاطبة، لا فى لبنان وحده، فى معرفة قدر المناجى العظيم. وأول تحية جميلة رقيقة، اسديت الى الفارياق بعد خمسين سنة من وفاته، هى هذه العبارات فى الصفحتين ونصف الصفحة من «صقر لبنان». رحم الله ابا العباس، وابا محمد مارون

ومارون عبود فى جماع ما كتب ونقد، قطعة من الفارياق، وما اشبه المعدن بالمعدن، وبعد خمسين سنة قد يغدو الناس يتكلمون فى موضوع رصانة الفكر والادب، من جهة ابى محمد، كما تكلموا ولا يزالون يتكلمون من جهة ابى العباس.

انتهى الكتاب

الفهرس